



ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطبرك

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٨٣١٠

الجزء السادس

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة الخامسة



٨

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١١ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

بيان

من الأصول الخطية التي اعتمدت عليها في تحقيق هذا الكتاب ، أجزاء متفرقة ، مختلفة الخطوط ، من نسخة مصورة عن النسخة المحفوظة بمكتبة أحمد الثالث بإستانبول برقم ٢٩٢٩ ، وقد رجعت إلى جزء منها في تحقيق الجزء الأول ، ومن هذه النسخة جزء يشتمل على ذكر حوادث سنة ٦٥ إلى آخر حوادث سنة ٨٠ هـ ؛ رجعت إليه فيما يقابله من هذا الجزء ، وأثبتت الفروق في الحواشي مع بعض فروق النسخ التي رجع إليها مصححو طبعة ليدن ، ووزمت إلى نسخة أحمد الثالث بالحرف « ا » ، كما مر ذكره في مقدمة الجزء الأول ، وقد وقعت فيها على تصويبات هامة ، وتوجيهات مفيدة .

وضع هذا الجزء على أساس تجزئة خاصة للناسخ ، وعلى صفحة العنوان : « الجزء التاسع من كتاب تاريخ الملوك وأخبارهم ومواليد الرسل وأنسابهم والكاثرين كان في زمن كل واحد منهم ، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري رحمة الله عليه » وآخره : « تم الجزء التاسع بعون الله تعالى وتوفيقه من التاريخ يتلوه في الجزء العاشر : ثم دخلت سنة إحدى وثمانين . والحمد لله وحده ، وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد نبيه وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل » . كتب بخط نسخي جلي واضح ، يميل إلى الجردة والإتقان ، وضبطت بعض كلماته ضبطاً صحيحاً في الغالب ، وفي علامات الوقف والمراجعة ، ويبدو أنه كتب في القرن السادس الهجري . وعدد أوراقه ٢٢٤ ورقة ، وعدد الأسطر ١٩ سطرًا لكل صفحة ، في كل سطر ١٠ كلمات تقريباً .

وقد عنيت عناية تامة بإثبات جميع التصويرات والاستدراكات والكثير من التعليقات التي وضعها مصححو طبعة ليدن في مجلد خاص ؛ وهي في مجموعها تحقق كثيراً من أعلام الأشخاص والبلدان ونصوص الشعر ؛ وذلك ممّا لم يشته ناشر هذا الكتاب في الطبعتين المصريتين .

أما باقى التعليقات فقد جرى الأمر فيها على نحو ما جرى فى الأجزاء السابقة من الرجوع إلى أمّهات كتب التاريخ واللغة والأدب ودواوين الشعر ؛ مما أرجو أن يوضع فى ثبت خاص مع البيانات الكافية فى آخر الكتاب إن شاء الله .

والله الموفق والمعين .

محمد أبو الفضل إبراهيم

الحرم سنة ١٣٨٤

مايو سنة ١٩٦٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة ست وستين

ذكر الخبر عن الكائن الذي كان فيها من الأمور الجليلة

فمّا كان فيها من ذلك وثوب المختار بن أبي عبيد بالكوفة طالباً بدم الحسين بن عليّ بن أبي طالب وإخراجه منها عامل ابن الزبير عبد الله بن مطيع العدويّ .

ذكر الخبر عما كان من أمرهما في ذلك وظهور المختار للدعوة إلى ما دعا إليه الشيعة بالكوفة :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن فضيل بن خديج ، حدثه عن عبيدة بن عمرو وإسماعيل بن كثير من بني همد ، أن أصحاب سليمان بن صرّد لمّا قلموا كتب إليهم المختار :

أمّا بعد ؛ فإنّ الله أعظم لكم الأجر ، وحطّ عنكم الوزر ، بمفارقة القاسطين ، وجهاد المُحلّين ؛ إنكم لم تنفقوا نفقة ، ولم تقطعوا عقبة ^(١) ، ولم ^{٥٩٩/٢} تخطوا خطوة إلا رفع الله لكم بها درجة ، وكتب لكم بها حسنة ، إلى ما لا يحصىه ^(٢) إلا الله من التضعيف ؛ فأبشروا فإنّي لو قد خرجت إليكم قد ^(٣) جردت فما بين المشرق والمغرب في عدوكم السيف ^(٤) بإذن الله ، فجعلتهم ^(٥) بإذن الله رؤساء ؛ وقتلتهم قدّاً وثؤاماً ؛ فرحب الله بمن قارب منكم واهتدى ؛ ولا يبعد الله إلا من عصي وأبى ؛ والسلام يا أهل الهدى .

فجاءهم بهذا الكتاب سيحان بن عمرو ، من بني ليث من عبد القيس قد أدخله في قلنسوته فيما بين الظّهارة والبطانة ^(٦) ؛ فأقّى بالكتاب رقاعة بن شداد

(١) ف : « وادياً » . (٢) ف : « لم يحصه » .

(٣) ف : « لقد » . (٤) أ : « من عدوكم » ، ف : « السيف في عدوكم » .

(٥) أ : « يحملهم » . (٦) أ : « الظاهرة والباطنة » .

والمُشْتَى بن مُخَرَّبَة العبدى وسعد بن حُذَيْفَة بن اليمَّان ويزيد بن أنس وأحمر بن شُمَيْط الأحمسيّ وعبد الله بن شدَّاد البجليّ وعبد الله بن كامل ؛ فقرأ عليهم الكتاب ؛ فبعثوا إليه ابن كامل ؛ فقالوا : قل له : قد قرأنا الكتاب ^(١) ؛ ونحن حيث يسرك ؛ فإن شئت أن نأتيك حتى نخرجك فعلنا . فأتاه ، فدخل عليه السجن ؛ فأخبره بما أرسل إليه به ؛ فسرَّ باجتماع الشيعة له ؛ وقال لهم : لا تريدوا هذا ؛ فلما أخرج في أبيأى هذه .

٦٠٠/٢ قال : وكان المختار قد بعث غلاماً يدعى زريباً إلى عبد الله بن عمر ابن الخطاب ، وكتب إليه :

أمّا بعد : فلما قد حبست مظلوماً ، وظنّ بي الولاة ظنوناً كاذبة ؛ فاكذب في يرحمك الله إلى هذين الظالمين كتاباً لطيفاً ؛ عسى الله أن يخلصني من أيديهما بلطفك وبركتك ويمنك ^(٢) ؛ والسلام عليك .

فكتب إليهما عبد الله بن عمر :

أمّا بعد ؛ فقد علمتُمَا الذي بيني وبين المختار بن أبي عبيد من الصهر ، والذي بيني وبينكما من الود ؛ فأقسمت عليكما بحقّ ما بيني وبينكما لَمّا خَلَّيْتُمَا سبيله حين تنظران في كتابي هذا ، والسلام عليكما ورحمة الله .

فلما أتى عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة كتابُ عبد الله ابن عمر دعواً للمختار بكفّسلاء يضمنونه بنفسه ^(٣) ، فأتاه أناس من أصحابه كثير ، فقال يزيد بن الحارث بن يزيد بن رؤيم لعبد الله بن يزيد : ما تصنع بضميان هؤلاء كلهم ! ضمته عشرة منهم أشرافاً معروفين ، ودع سائرهم . ففعل ذلك ، فلما ضمّينوه ، دعا به عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة فحلفاه بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم ؛ لا يبيعهما غائلة ، ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان ؛ فإن هو فعل فعليه ألف بدنة

(١) ف : « كتابك » .

(٢) ط : « منك » ، تحريف ، صوابه من ا ، وفيها : « ببركتك ومنك » .

(٣) ا : « قضمنوه بنفسه » .

ينحرها لدى رِثَاجِ الكعبة ؛ وماليكُهم كلُّهم ذَكَرُهم وأَنَّهُم أحرارٌ . فحلف
لها بملك ، ثم خرج فجاء داره فترها .

قال أبو مخنف : فحدثني يحيى بن أبي عيسى ، عن حميد بن مسلم ،
قال : سمعت المختار بعد ذلك يقول ^(١) : قاتلهم الله ! ما أحصاهم حين يَرَوْنَ
أَنِّي أفي لهم بأيمانهم هذه ! أمّا حليق لم بالله ؛ فإنه ينبغي لي إذا حلفت على
يمين فرأيت ما هو خير منها أن أدع ما حلفت عليه وآتي الذي هو خير ؛ ٦٠١/٢
وأكثر يميني ، وخروجي عليهم خير من كتمتي عنهم ؛ وأكثر يميني ؛ وأمّا
هَدْيُ ألف بدنة فهو أهون عليّ من بصفة ؛ وما عن ألف بدنة فيهلوسني
وأمّا حق ماليكي فوالله لوددت أنه قد استتب لي أمري ، ثم لم أملك مملوكاً
أبدأ .

قال : ولمّا نزل المختار داره عند خروجه من السِّجْن ، اختلف ^(٢) إليه
الشيعة واجتمعت عليه ؛ واتَّفَق رأيها ^(٣) على الرضا به ، وكان الذي يبايع له الناس
وهو في السِّجْن خمسة نفر : السَّائب بن مالك الأشعري ، ويزيد بن أنس ،
وأحمر بن شُعَيْط ، ورفاعة بن شدّاد الفُتَيْياني ، وعبد الله بن شدّاد الجُشَمي .
قال : فلم تزل أصحابه يكثرُونَ ، وأمره يقوى ويشدُّ حتّى عزل ابنُ الزبير
عبدَ الله بن يزيد وإبراهيمَ بن محمد بن طلحة ، وبعث عبد الله بن مُطِيع
على عملهما إلى الكوفة .

قال أبو مخنف : فحدثني الصَّقْعَب بن زهير ، عن عمر بن عبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام ، قال : دَعَا ابنُ الزبير عبدَ الله بن مطيع أَخا بني عديّ
ابن كعب والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ؛ فبعث عبد الله بن مطيع
على الكوفة ، وبعث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على البصرة . قال :
فبلغ ذلك بِحَجيرَ بن ريسان الحميري ؛ فلقبهما ، فقال لهما : يا هذان ؛
إن القمر الليلة بالناطح ^(٤) ، فلا تسيرا . فأما ابنُ أبي ربيعة ؛ فأطاعه ؛ فأقام يسيراً ٦٠٢/٢

(١) ف : « يقول بعد ذلك » . (٢) ١ : « اختلفت » .

(٣) ف : « رأيهم » . ١ : « رأيها » .

(٤) الناطح والناطح : من منازل القمر ما يتشام به .

ثم شخص إلى عمله فسلم ؛ وأماً عبد الله بن مطيع فقال له : وهل نطلب إلا النطح ! قال : فلي والله نطحاً وبطحاً ، قل : يقول عمر : والبلاء موكل بالقول .

قال عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : بلغ عبد الملك بن مروان أن ابن الزبير بعث عمالا على البلاد ؛ فقال : مَنْ بعث على البصرة ؟ فقيل : بعث عليها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ؛ قال : لا حرَّ بوادي عوف ، بعث عوفاً وجلس ! ثم قال : مَنْ بعث على الكوفة ؟ قالوا : عبد الله بن مطيع ، قال : حازم وكثيراً ما يسقط ، وشجاع وما يكره أن يفر ، قال : مَنْ بعث على المدينة ؟ قالوا : بعث أخاه مُصعب بن الزبير ، قال : ذاك الليث النهدي ، وهو رجل أهل بيته .

قال هشام : قال أبو مخنف : وقدِم عبد الله بن مطيع الكوفة في رمضان سنة خمس وستين يوم الخميس لخمس بقين من شهر رمضان ، فقال لعبد الله ابن يزيد : إن أحببت أن تقيم معي أحسنتُ صحبتك ، وأكرمتُ مثواك ؛ وإن لحقتُ بأمر المؤمنين عبد الله بن الزبير فبك عليه كرامة ، وعلى مَنْ قبله من المسلمين . وقال لإبراهيم بن محمد بن طلحة : الحقُّ بأمر المؤمنين ؛ فخرج إبراهيم حتى قدم المدينة ، وكسر على ابن الزبير الخراج ، وقال : إننا كانت فتنة ، فكف عنه ابن الزبير .

قال : وأقام ابن مطيع على الكوفة على الصلاة والخراج ؛ وبعث على شرطته إياس بن مضارب العجلي ، وأمره أن يُحسن السيرة والشدّة على المريب .

١٠٣/٢ قال أبو مخنف : فحدثني حصيرة بن عبد الله بن الحارث بن دريد الأزدي . — وكان قد أدرك ذلك الزمان ، وشهد قتل مُصعب بن الزبير — قال : إني لشاهد المسجد حيث قلم عبد الله بن مطيع ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أماً بعد ؛ فلان أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثني على مصركم وثغوركم ، وأمرني بجباية فيثكم ؛ وألاً أحمل فضل فيثكم عنكم إلا برضاً منكم ، ووصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته ، وبسيرة عثمان ابن عفان التي سار بها في المسلمين ؛ فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا ، ونحذوا

على أيدي سفهائكم ؛ وألا تفعلوا فلو ما أنفسكم ولا تلوموني ؛ فوالله لأوقعن^١ بالسقيم العاصي ؛ ولأقيم^٢ درء^٣ الأصغر المرتاب. فقام إليه السائب بن مالك الأشعري ، فقال : أمّا أمر ابن الزبير إيتاك ألا تحمّل فضل فيتنا عنّا إلا برضانا فإننا نشهرك^٤ أنّا لا نرضى أن تحمل^٥ فضل فيتنا عنّا ؛ وألا يقسم إلا فينا ؛ وألا يُسار فينا إلا بسيرة على^٦ بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك رحمة الله عليه ؛ ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فيتنا ولا في أنفسنا ؛ فإنها إنما كانت أثره وهوى ، ولا في سيرة عمر بن الخطاب في فيتنا ؛ وإن كانت أهون السيرتين علينا ضرراً ؛ وقد كان لا يألو الناس خيراً . فقال يزيد ابن أنس : صدق السائب بن مالك وبرّ ، رأيُنا مثل رأيهِ ، وقولنا مثل قوله . ٦٠٤/٢ فقال ابن مطيع : نسير فيكم بكل سيرة أحببتموها وهويتوها ثم نزل . فقال : يزيد بن أنس الأسدي : ذهبت بفضلها يا سائب ؛ لا يعلمك المسلمون ! أما والله لقد قتُ وإني لأريد أن أقوم فأقول له نحواً من مقاتلك ، وما أحب أن الله وليّ الردّ عليه رجلاً من أهل الميصر ليس من شيعتنا .

وجاء إياس بن مضارب إلى ابن مطيع ، فقال له : إنّ السائب بن مالك من رموس أصحاب المختار ، ولست آمن المختار ؛ فابعث إليه غليأتك ؛ فإذا جاءك فاحبسّه في سجنك حتى يستقيم أمر الناس ؛ فإن عيوني قد أتتني فخبّرني أنّ أمره قد استجمع له ؛ وكأنه قد وثب بالميصر . قال : فبعث إليه ابن مطيع زائدة بن قدامة وحسين بن عبد الله البُرْصَمي من همدان . فلخلا عليه ، فقالا : أجب الأمير ، فدعا بشيابه وأمر بإسراج دابّته ، وتخشخش^٧ للذهاب معهما ؛ فلما رأى زائدة بن قدامة ذلك قرأ قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَاذِ يَمْكُرْ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُنْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^٨ ، ففهمها المختار ، فجلس ثم أتى ثيابه عنه ، ثم قال : ألقوا على القطيفة ؛ ما أراي إلا قد وعيت ؛ إني لأجد قفقة^٩

(١) الدرة : الليل والرمج . (٢) ف : « تشهد »

(٣) التخشخش : الحركة ، وفي ط : « تخشخش » ، والصواب ما أثبتته من أ .

(٤) سورة الأنفال ٣٠ .

شديدة ، ثم تمثل قول عبد العزى بن صهل الأزدي :

إذا ما معشرُ تركوا نَدَاهُمْ ولم يأتوا الكريهة لم يهابُوا

ارجعنا إلى ابن مطيع ، فأعلمناه حالي التي أنا عليها . فقال له زائدة بن قدامة : أما أنا ففاعل ؛ [فقال :^(١)] وأنت يا أبا محمدان فاعذرني عنده فإنه خير لك .

قال أبو مخنف : فحدثني إسماعيل بن نعيم الهمداني ، عن حسين بن عبد الله ، قال : قلت في نفسي : والله إن أنا لم أبلغ عن هذا ما يرضيه ما أنا بأمن من أن يظهر غداً فيهلكني . قال : فقلت له ، نعم ، أنا أضع^(٢) عند ابن مطيع عذرك ، وأبلغه كل ما تحب ؛ فخرجنا من عنده ؛ فإذا أصحابه على باب ، وفي داره منهم جماعة كثيرة . قال : فأقبلنا نحو ابن مطيع ، فقلت لزائدة بن قدامة : أما إني قد فهمت قولك حين قرأت تلك الآية ؛ وعلمت ما أردت بها ، وقد علمت أنها هي تبتطه عن الخروج معنا بعد ما كان قد لبس ثيابه ، وأسرج دابته ، وعلمت حين تمثل البيت الذي أنما أراد يخبرك أنه قد فهم عنك ما أردت أن تفهمه ، وأنه لن يأتيه . قال : فجأحدني أن يكون أراد شيئاً من ذلك ؛ فقلت له : لا تحلف ؛ فوالله ما كنت لأبلغ عنك ولا عنه شيئاً تكرهانه ؛ ولقد علمت أنك مشفق عليه ، تجد له ما يجد المرء لابن عمه . فأقبلنا إلى ابن مطيع ؛ فأخبرناه بعلته وشكواه ؛ فصعد قتنا ولما عنه . قال : وبعث المختار إلى أصحابه ؛ فأخذ يجمعهم في الدُّور حوله ، وأراد أن يشب بالكوفة في الحرِّ ؛ فجاء رجل من أصحابه من شيكَم^(٣) — وكان عظيم الشرف يقال له عبد الرحمن بن شريح — فلقى سعيد بن منقذ الثوري وسعر ابن أبي سِعر الحنفي والأسود بن جراد الكندي وقدامة بن مالك الجشمي ؛ فاجتمعوا في منزل سِعر الحنفي ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد ؛ فإنَّ المختار يريد أن يخرج بنا ، وقد بايعناه ولا ندرى أرسله إلينا ابن الحنفية أم لا ؛ فانهضوا بنا إلى ابن الحنفية فلنخبره بما قدم علينا به

(١) تكله من أ .

(٢) كذا في أ ، س ، و ، فط : « أضع » .

(٣) ابن الأثير : « وشيكَم : حى من همدان » .

وبما دعانا إليه ؛ فإن رخص لنا في اتباعه اتبعناه ؛ وإن نهانا عنه اجتنبناه ؛
فوالله ما ينبغي أن يكون شيء من أمر الدنيا أثرَ علينا من سلامة ديننا .
فقالوا^(١) له : أراك الله ! فقد أصبت ووفقت ؛ اخرج بنا إذا شئت .
فأجمع رأيهم على أن يخرجوا من أيامهم ، فخرجوا ، فلحقوا بآلِ الحنفية ؛
وكان إمامهم عبد الرحمن بن شريح ، فلما قلموا عليه سلمهم عن حال الناس
فخبروه عن حالهم وما هم عليه .

قال أبو مخنف : فحدثني خليفة بن ورقاء ، عن الأسود بن جراد الكندي
قال : قلنا لآلِ الحنفية ؛ إن لنا إليك حاجة ؛ قال : فسر^(٢) هي أم علانية ؟
قال : قلنا : لا ، بل سر ، قال : فرويدا إذا ؛ قال : فكث قليلا ، ثم تنحى
جانبا فدعانا فقمنا إليه ، فبدأ عبد الرحمن بن شريح ، فتكلم ، فحمد الله
وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ؛ فإنكم أهل بيت خصكم الله بالفضيلة ،
وشرّفكم بالنبوة ، وعظّم حقكم على هذه الأمة ؛ فلا يحلّ حقكم إلا
مغيون الرأي ، غسوس النصيب ؛ قد أصبتم بحسن رحمة الله عليه . عظمت
مصيبة اختصاصكم^(٣) بها ، بعد^(٤) ما عم بها المسلمون ، وقد قدم علينا
المختار بن أبي عبيد يزعم لنا أنه قد جاءنا من تلقائكم ، وقد دعانا إلى
كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ والطلب بدماء^(٥) أهل البيت ،
والدفع عن الضعفاء ؛ فبايعناه على ذلك . ثم إننا رأينا أن تأتيك فذكر لك
ما دعانا إليه ، وتذنبنا له ؛ فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه ، وإن نهيتنا عنه اجتنبناه .

٦٠٧/٢

ثم تكلمنا واحداً واحداً بنحو ما تكلم به صاحبنا ؛ وهو يسمع ، حتى إذا
فرغنا حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
أما بعد ؛ فأما ما ذكرتم مما خصصنا الله^(٦) به من فضل ؛
فإن الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ؛ فله الحمد !
وأما ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين ؛ فإن ذلك كان في الذكر الحكيم

(٢) ف : « أنسر » .

(١) ف : « قالوا » .

(٣) كذا في ف ، وفي ط : « ما قد خصكم » . (٤) كذا في ا ، وفي ط : « فقد عم » .

(٦) ف : « خصنا » .

(٥) ف : « بدم » .

وهي ملحمة كُتبت عليه ، وكرامة أهلها الله له ، رفع بما كان منها درجات قوم عنده ، ووضع بها آخرين ، وكان أمر الله مفعولا ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً . وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا ، فوالله لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

قال : فخرجنا من عنده ، ونحن نقول : قد أذن لنا ؛ قد قال : لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ، ولو كره لقال : لا تفعلوا . قال : فجئنا وأناس من الشيعة ينتظرون مقدمنا ^(١) ممن كنا قد أعلمناه بمخرجنا وأطلعناه على ذات أنفسنا ؛ ممن كان على رأينا من إخواننا ؛ وقد كان بلغ المختار عرجنا ، فشق ذلك عليه ، وخشى أن تأتيه بأمر يُخذل الشيعة عنه ؛ فكان قد أرادهم على أن ينهض بهم قبل قدومنا ^(٢) ، فلم يتهيأ ذلك له ^(٣) ، فكان المختار يقول : إن نفيكم منكم ارتابوا وتحيروا وخابوا ؛ فإن هم أصابوا أقبلوا وأنا بوا ؛ وإن هم كبوا ^(٤) ، وهابوا ، واعترضوا وانجابوا ، فقد ثبروا وخابوا ؛ فلم يكن إلا شهراً ^(٥) وزيادة شيء ؛ حتى أقبل القوم على رواحلهم ؛ حتى دخلوا على المختار قبل دخولهم إلى رحالهم ، فقال لهم : ما وراءكم ؟ فقد فُتِنْتُمْ وارتبتم ، فقالوا له : قد أمرنا بنصرتك فقال : الله أكبر ! أنا أبو إسحاق ، اجتمعوا إلى الشيعة ، فجمع له منهم من كان منه قريباً فقال : يا معشر الشيعة ؛ إن نفرأ منكم أحبوا أن يعلموا مصداق ما جئت به ، فرحلوا إلى إمام المهدي ، والنقيب المرتضى ابن خباز من طشي ^(٦) ومشى ؛ أحاشا النبي المحبتي ؛ فسألوه عمماً قدمت به عليكم ؛ فنبأهم أن وزيره وظهيره ، ورسوله ونظيله ، وأمركم باتباعي وطاعتي فيما دعوتكم إليه من قتال المحلّين ، والطلب بدماء أهل بيت ^(٧) نبينا المصطفين . فقام عبد الرحمن بن شريح ، فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : أما بعد يا معشر الشيعة ؛ فإننا قد كنا أحبينا أن نستثبت لأنفسنا خاصة ولجميع إخواننا عامة ؛ فقلعنا على المهدي بن علي ، فسألناه عن حربنا هذه ، وعمماً دعانا إليه المختار منها ، فأمرنا بمظاهرتة ومؤازرتة وإجابته إلى ما دعانا إليه ،

(١) كذا في أ ، وفي ط : « لقدومنا » . (٢) ف : « قلعنا » . (٣) ف : « له ذلك » .

(٤) ف : « تكسروا » . (٥) ف : « غير شهر » .

(٦) كذا في ط ، وفي السان : « طشي المريض » ، برئ . (٧) ف : « بدم أهل البيت » .

فأقبلنا طيبة أنفسنا ، منشرة صلورنا ، قد أذهب الله منها الشك والغيل^١ والريب ، واستقامت لنا بصيرتنا في قتال عدونا ؛ فليبلغ ذلك شاهدكم ، ٦٠٩/٢ غائبكم ، وامتعذوا وتأهبوا . ثم جلس وقمنا رجلا فرجلا^(١) ، فتكلمنا بنحو من كلامه ؛ فاستجمعت له الشيعة^(٢) وحديث عليه .

قال أبو مخنف : فحدثني نعيم بن وعلة والمشرق . عن عامر الشعبي . قال : كنت أنا وأبي أول من أجاب المختار . قال : فلما تهيأ أمره ودنا خروجه ؛ قال له أحمر بن شميطة ويزيد بن أنس وعبد الله بن كامل وعبد الله بن شداد : إن أشرف أهل الكوفة مجتمعون على قتالكم مع ابن مطيع ؛ فإن جامعنا على أمرنا إبراهيم بن الأشتر رجونا بإذن الله القوة على عدونا ، وألا يضرنا خلاف من خالفنا ، فإنه في بثيس ، وابن رجل شريف بعيد الصيت ؛ وله عشرة ذات عز وعدد . قال لهم المختار : فالقوه فادعوه ، وأعلموه الذي أمرنا به من الطلب بدم الحسين وأهل بيته .

قال الشعبي : فخرجوا إليه وأنا فيهم ، وأبي ، فتكلم يزيد بن أنس ، فقال له : إننا قد أتيناك في أمر نعرضه عليك ، وتدعوك إليه ؛ فإن قبلته كان خيرا لك ؛ وإن تركته فقد أدبنا إليك فيه النصيحة ؛ ونحن نحب أن يكون عندك مستورا . فقال لهم إبراهيم بن الأشتر : وإن مثل لا تخاف غائلته ولا سعايته ؛ ولا التقرب إلى سلطانها باغتيال الناس ، إنما أولئك الصغار الأخطار الدقاق هماً . فقال له : إنما ندعوك إلى أمر قد أجمع عليه رأى الملا من الشيعة ؛ إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه ، والطلب بدماء أهل البيت ، وقتال المحلّين ، والدفع عن الضعفاء . قال : ثم تكلم أحمر بن شميطة ، فقال له : إني لك ناصح ، ولخطك عيب وإن أباك قد هلك وهو سيد الناس^(٣) لموفيك منه إن رعيت حق الله خلك ؛ قد دعوناك إلى أمر إن أجبتنا إليه عادت لك منزلة أبيك في الناس ، وأحييت من ذلك أمرا قد مات ؛ إنما يكنى مثلك اليسير حتى تبلغ الغاية التي لا مذهب وراءها ، إنه قد بنى لك أولك مفتخرا^(٤) . وأقبل القوم

(١) ف : « رجلا رجلا » .

(٢) ف : « لنا الشيعة وله » .

(٣) ط : « فخرى » ، والصواب ما أثبت من أ .

(٤) ف : « تكلم من أ » .

كلهم عليه^(١) يدعوونه إلى أمرهم ويرغبونه فيه. فقال لهم إبراهيم بن الأشتر: فلاني قد أجبتمكم إلى ما دعوتوني إليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته، على أن تولوني الأمر، فقالوا: أنت لذلك أهل؛ ولكن ليس إلى ذلك سبيل؛ هذا المختار قد جاءنا من قبيل المهدي؛ وهو الرسول وللمأمور بالقتال؛ وقد أمرنا بطاعته. فسكت عنهم ابن الأشتر ولم يحبهم. فانصرفنا من عنده إلى المختار فأخبرناه بما ردد علينا؛ قال: فغبر ثلاثاً؛ ثم إن المختار دعا بضعة عشر رجلاً من وجوه أصحابه - قال الشعبي: أنا وأبي فيهم - قال: فسار بنا ومضى أماننا يقود بنا بيوت الكوفة قد لا ندرى أين يريد؛ حتى وقف على باب إبراهيم بن الأشتر؛ فاستأذننا عليه فأذن لنا، وأقيت لنا وصالداً؛ فجلسنا عليها وجلس المختار معه على فراشه؛ فقال المختار:

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وصلى الله على محمد، والسلام عليه، أما بعد، فإن هذا كتاب إليك من المهدي محمد بن أمير المؤمنين الوصي؛ وهو خير أهل الأرض اليوم، وابن خير أهل الأرض كلها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله؛ وهو يسألك أن تنصرتنا وتؤازرنا، فإن فعلت اغتبطت، وإن لم تفعل فهنا الكتاب حجة عليك، وسيغني الله المهدي محمد وأوليائه عنك. قال الشعبي: وكان المختار قد دفع الكتاب إلى حين نخرج من منزله؛ فلما قضى كلامه قال لي: ادفع الكتاب إليه، فلفحته إليه، فلما بالمصباح ونفض خاتمه، وقرأه فإذا هو:

بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد المهدي إلى إبراهيم بن مالك الأشتر، سلام عليك؛ فلاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو؛ أما بعد فلاني قد بعثت إليكم بوزيري وأميني ونجيبتي الذي ارتضيته لنفسى؛ وقد أمرته^(٢) بقتال عدوتي والطلب بدماء أهل بيتي؛ فانفض معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك؛ فلذلك إن نصرتني وأجبت دعوتي وصاعدت وزيري كانت لك عندي بذلك^(٣) فضيلة؛ ولك بذلك أمانة الخليل وكل جيش غازي، وكل مصر وسنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد أهل

(١) ف: «عليه كلهم».

(٢) ف: «وأمرته».

(٣) ف: «بذلك عندي».

الشام، على الوفاء بملك على عهد الله ؛ فإن فعلت ذلك قلت به عند الله أفضل الكرامة ، وإن أبيت هلكت هلاكاً لا تستقيه أبداً ، والسلام عليك .

فلما قضى إبراهيم قراءة الكتاب ، قال : لقد كتب إلى ابن الحنفية ؛ وقد كتبت^(١) إليه قبل اليوم ؛ فما كان يكتب إلى إلا باسمه واسم أبيه ، قال له ١١٢/٢ المختار : إن ذلك زمان وهذا زمان ، قال إبراهيم : فمن يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفية إلى ؟ فقال له : يزيد بن أنس وأحمر بن شبيب وعبد الله بن كامل وجماعتهم — قال الشعبي : إلا أنا وأبي — فقالوا : نشهد أن هذا كتاب محمد ابن علي إليك ، فتأخر إبراهيم عند ذلك عن صدر القراش فأجلس المختار عليه ، فقال : أبسط يدك أبايعةك ؛ فبسط المختار يده فبايعه إبراهيم ، ودعا لنا بفاكهة ، فأصبت منها ؛ ودعا لنا بشراب من عسل فشربنا ثم نهضنا ؛ وخرج معنا ابن الأشتر ؛ فركب مع المختار حتى دخل رحله ؛ فلما رجع إبراهيم منصرفاً أخذ ييلدى ، فقال : انصرف بنا يا شعبي ، قال : فانصرفت معه ومضى بي حتى دخل بي رحله ، فقال : يا شعبي ، إني قد حفظت أنك لم تشهد أنت ولا أبوك ؛ أفترى هؤلاء شهدوا على حق ؟ قال : قلت له : قد شهدوا على ما رأيت وهم سادة القراء ومشايخه المعمر وفرسان العرب ، ولا أرى مثل هؤلاء يقولون إلا حقاً . قال : فقلت له هذه المقالة ؛ وأنا والله لهم على شهادتهم متهم ؛ غير أني يعجبني الخروج وأنا أرى رأى القوم ؛ وأحب تمام ذلك الأمر^(٢) ؛ فلم أطلعه على ما في نفسي من ذلك ؛ فقال لي ابن الأشتر : اكتب لي أسماءهم فلنأى ليس كلهم أعرف . ودعا بصحيفة ودواة ، وكتب فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا ما شهد عليه السائب بن مالك الأشعري ، ويزيد بن أنس الأسدي وأحمر بن شبيب الأحمسي ومالك بن عمرو النهدي ؛ حتى أتى على أسماء القوم ؛ ثم كتب : شهدوا أن محمد بن علي كتب إلى إبراهيم بن الأشتر يأمره بموازة المختار ومظاهرة على قتال المحلّين ، والطلب بدماء أهل البيت ، وشهد على هؤلاء النفر الذين شهدوا على هذه الشهادة شرّاحيل ابن عبد — وهو أبو عامر الشعبي الفقيه — وعبد الرحمن بن عبد الله النخعي ،

وعامر بن شراحيل الشعبي . فقلت له : ما تصنع بهذا رحمك الله ؟ فقال :
دعه يكون . قال : ودعا إبراهيم عشيرته وإخوانه ومن أطاعه ، وأقبل يختلف إلى
المختار .

* * *

قال هشام بن محمد : قال أبو مخنف : حدثني يحيى بن أبي عيسى الأزدي ،
قال : كان حميد بن مسلم الأزدي صديقاً لإبراهيم بن الأشتر ، وكان
يختلف إليه ، ويذهب به معه ، وكان إبراهيم يروح في كل عشية عند المساء ،
فيأتي المختار ، فيمكث عنده حتى تصوب النجوم ، ثم ينصرف ، فمكثوا بذلك
يدبرون أمورهم ، حتى اجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع
عشرة من ربيع الأول سنة ست وستين ، ووطن على ذلك شيعتهم ومن أجابهم .
فلما كان عند غروب الشمس ، قام إبراهيم بن الأشتر ، فأذن ، ثم إنه
استقدم ، فصلّى بنا المغرب ، ثم خرج بنا بعد المغرب حين قلت : أخوك أو
الذئب^(١) - وهو يريد المختار ، فأقبلنا علينا السلاح ، وقد أتى إياس بن مضارب
عبد الله بن مطيع فقال : إن المختار خارج عليك لإحدى الليلتين ، قال :
فخرج إياس في الشرط^(٢) ، فبعث ابنه راشداً إلى الكُنَاسة ، وأقبل يسير
حول السوق في الشرط .

ثم إن إياس بن مضارب دخل على ابن مطيع ، فقال له : إني قد بعثت
ابني إلى الكُنَاسة ، فلو بعثت في كل جبانة بالكوفة عزيمة رجلاً من
أصحابك في جماعة من أهل الطاعة ، هاب المريب الخروج عليك . قال :
فبعث ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس إلى جبانة السبيع ، وقال :
اكفني قومك ، لا أوتين من قبلك ، وأحكم أمر الجبانة التي وجهتك إليها ،
لا يحدثن بها حديث ، فأوليك العجز والوهن . وبعث كعب بن أبي كعب
الخشعمي إلى جبانة بشر ، وبعث زحر بن قيس إلى جبانة كندة . وبعث
شمر بن ذى الجوشن إلى جبانة سالم ، وبعث عبد الرحمن بن مخنف بن سليم إلى
جبانة الصائليين ، وبعث يزيد بن الحارث بن رويم أبا حوشب إلى جبانة مراد .

(١) يقال : أخوك أو الذئب ؛ إذا اشتد الظلام . (٢) ف : الشرط .

وأوصى كلَّ رجل أن يكفيه قومه ، وآلا يؤتى من قبله ، وأن يحكم الوجه الذى وجهه فيه ؛ وبعث شَبَث بن رِبْعَى إلى السَّبْحَةِ ، وقال : إذا سمعت صوت القوم فوجهه نحوهم ؛ فكان هؤلاء قد خرجوا يوم الاثنين ؛ فنزلوا هذه الجبابين ، وخرج إبراهيم بن الأشتر من رحله بعد المغرب يريد إتيان المختار ؛ ١١٥/٢ وقد بلغه أن الجبابين قد حُشِبَتْ رجالا ، وأن الشرط قد أحاطت بالسوق والقصر .

قال أبو مخنف : فحدثني يحيى بن أبى عيسى . عن حميد بن مسلم . قال : خرجت مع إبراهيم من منزله بعد المغرب ليلة الثلاثاء حتى مررنا بدار عمرو بن حريث ، ونحن مع ابن الأشتر كتيبة نحو من مائة ، علينا اللدروع ، قد كفنا^(١) عليها بالأقمية ، ونحو متقللو السيوف ؛ ليس معنا سلاح إلا السيوف فى عواتقنا ، واللدروع قد سترناها بأقميتنا ؛ فلما مررنا بدار سعيد بن قيس فجزئناها إلى دار أسامة ، قلنا : مُرُّبنا على دار خالد بن عرفة ، ثم امض بنا إلى بَسْجيلة ، فلنمرَّ فى دورهم حتى نخرج إلى دار المختار — وكان إبراهيم فتى حدثا شجاعا ؛ فكان لا يكره أن يلقاهم — فقال : والله لأمرنَّ على دار عمرو بن حريث إلى بجانب القصر وسط السوق ، ولأرعبنَّ به علونا ولأرينَّهم هوانهم علينا . قال : فأخذنا على باب الفيل على دار ابن هبَّار^(٢) ؛ ثم أخذ ذات اليمين على دار عمرو بن حريث ؛ حتى إذا جاوزها ألفينا لإياس بن مضارب فى الشرط مظهرين السلاح ، فقال لنا : من أنتم ؟ ما أنتم ؟ فقال له إبراهيم : أنا إبراهيم بن الأشتر ، فقال له ابن مضارب : ما هذا الجمع معك ؟ وما تريد ؟ والله إن أمرك لمريب ! وقد بلغنى أنك تمرَّ كلَّ عشية ها هنا ، وما أنا بتاركك حتى آتى بك الأمير فىرك فيك رأيه . فقال إبراهيم : لا أبا لغيرك ! خلَّ سبيلنا ، فقال : كلا والله لا أفعل — ومع لإياس بن مضارب رجل من هَمْدَان ، يقال له أبو قطن ، كان يكون مع إمرة الشرط فهم يكرهونه ١١٦/٢ ويؤثرونه ، وكان لابن الأشتر صديقا — فقال له ابن الأشتر : يا أبا قطن ، ادنْ منى — ومع أبى قطن رمح له طويل — ؛ فدنا منه أبو قطن ؛ ومعه الرمح ؛

(١) كفنا ، أى سترنا .

(٢) ط : ه هبار ، وانظر الجزء الرابع ص ٢٧٣ .

وهو يرى أن ابن الأشر يَطلب إليه أن يشفع له إلى ابن مضارب ليخطئ سبيله ؛ فقال إبراهيم — وتناول الرمح من يده ^(١) : إن رمحك هذا لطويل ؛ فحمل به إبراهيم على ابن مضارب ، فطعن في ثُغرة نحره فصرعه ، وقال لرجل من قومه : انزل [عليه] ^(٢) ، فاحتز رأسه ، فنزل إليه فاحتز رأسه ، وتفرق أصحابه ورجعوا إلى ابن مطيع . فبعث ابن مطيع ابنته راشد بن إياس مكان أبيه ^(٣) على الشرطة ، وبعث مكان راشد بن إياس إلى الكُنْكَاسَة تلك الليلة سُويد بن عبد الرحمن المِنْقَرِيّ أبا القعقاع بن سُويد . وأقبل إبراهيم بن الأشر إلى المختار ليلة الأربعاء ، فدخل عليه فقال له إبراهيم : إننا اتعدنا الخروج للقابلة ليلة الخميس ، وقد حدث أمرٌ لا بدّ من الخروج الليلة ، قال المختار : ما هو ؟ قال : عرض لي إياس بن مضارب في الطريق ليحبسني بزعمه ، فقتلته ؛ وهذا رأسه مع أصحابي على الباب . فقال المختار : فبشرك الله بخير ! فهذا طير صالح ، وهذا أول الفتح إن شاء الله . ثم قال ^(٤) المختار : قم يا سعيد بن منذر ، فأشعل في المردى ^(٥) النيران ثم ارفعها للمسلمين ، وقم أنت يا عبد الله بن شدّاد ، فناد : يا منصور أمت ؛ وقم أنت يا سفيان بن ليل ، وأنت يا قدامة ابن مالك ، فناد : يا لأتأت الحسين ! ثم قال المختار : حلّ بدرعى وسلاحى ، فأتى به ؛ فأخذ يلبس سلاحه ويقول :

٦١٧/٢ قَدْ عَلِمْتَ بَيْنَهُمَا حَسَنَاءَ الطَّلَلِ وَأَمِصَّةَ الْخَلْبِ عَجْزَاءَ الْكَفَلِ

• أُنَى غَدَاةَ الرُّوعِ مِقْدَامٌ بَطْلٌ •

ثم إن إبراهيم قال للمختار : إن هؤلاء الرؤس الذين وضعهم ابن مطيع في الجبائين بمنعون إخواننا أن يأتونا ، ويضيّقون عليهم ؛ فلو أني خرجت بمن معي من أصحابي حتى آتي قومي ؛ فيأتيني كلّ مَنْ قد بايعني من قومي ، ثم سرت بهم في نواحي الكوفة ، ودعوت بشعارنا ؛ فخرج إلى مَنْ أراد الخروج إلينا ، ومنّ قلر على إتيانك من الناس ؛ فن أذاك جيسته عندك إلى مَنْ

(١) من ف .

(٢) ف : « يده » .

(٣) ف : راشد مكان أبيه إياس . (٤) كلما في ف : وفي ط : « فقال » .

(٥) في السند : « المردية » : قصبات تظم ملوكة بطاقات الكرم ، تحمل عليها قضبانته .

مَعَكَ وَلَمْ تَفَرِّقْهُمْ ؛ فَإِنْ عَوجِلْتَ فَأَتَيْتَ كَانَ مَعَكَ مَنْ تَمْتَنِعُ بِهِ ؛ وَأَنَا لَوْ قَدْ
 فَرِغْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ عَجِلْتُ إِلَيْكَ فِي الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ . قَالَ لَهُ . إِمَّا لَا^(١) فَاغْجَلْ
 وَلِيَاكَ أَنْ تَسِيرَ إِلَى أَمِيرِهِمْ تَقَاتِلُهُ ، وَلَا تَقَاتِلْ أَحَدًا وَأَنْتَ تَسْتَطِيعُ آلَا تَقَاتِلُ ،
 وَاحْضَظْ مَا أَوْصَيْتَكَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَبْدُوكَ أَحَدٌ بِقِتَالٍ . فَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْثَرِ
 مِنْ عِنْدِهِ فِي الْكَتِيبَةِ الَّتِي أَقْبَلَ فِيهَا ؛ حَتَّى أَتَى قَوْمَهُ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جُلُوسٌ مِنْ
 كَانَ بَايَعَهُ وَأَجَابَهُ . ثُمَّ إِنَّهُ سَارَ بِهِمْ فِي سِكَكِ الْكُوفَةِ طَوِيلًا مِنَ اللَّيْلِ ؛ وَهُوَ فِي
 ذَلِكَ يَتَجَنَّبُ السَّكَّكَ الَّتِي فِيهَا الْأَمْرَاءُ ، فَجَاءَ إِلَى الَّذِينَ مَعَهُمُ الْجَمَاعَاتُ
 الَّذِينَ وَضَعَ ابْنُ مَطِيعٍ فِي الْجَبَايِينِ وَأَفْوَاهِ الطَّرِيقِ الْعِظَامِ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى
 مَسْجِدِ السَّكُونِ ، وَعَجِلَتْ إِلَيْهِ خَيْلٌ مِنْ خَيْلِ زَحْرُ بْنُ قَيْسِ الْجُعْفَى لَيْسَ
 لَهُمْ قَائِدٌ وَلَا عَلَيْهِمْ أَمِيرٌ . فَشَدَّ عَلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْثَرِ وَأَصْحَابُهُ ،
 فَكَشَفُوهُمْ حَتَّى دَخَلُوا جَبَانَةَ كِنْدَةَ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : مَنْ صَاحِبُ الْخَيْلِ فِي ٦١٨/٢
 جَبَانَةَ كِنْدَةَ ؟ فَشَدَّ إِبْرَاهِيمُ وَأَصْحَابُهُ عَلَيْهِمْ ، وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ
 أَنَا غَضَبْنَا لِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ ، وَثَرْنَا لَهُمْ ، فَانصَرْنَا عَلَيْهِمْ ، وَتَمَسَّ لَنَا دَعْوَتُنَا ؛
 حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، فَخَالَطُوهُمْ وَكَشَفُوهُمْ فَقِيلَ لَهُ : زَحْرُ بْنُ
 قَيْسٍ ؛ فَقَالَ : انصَرَفُوا بِنَا عَنْهُمْ ، فَرَكَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كُلُّمَا لَقِيَهُمْ
 زَقَاقٌ دَخَلَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ، فَانصَرَفُوا يَسْبِرُونَ .
 ثُمَّ خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ يَسِيرُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى جَبَانَةِ أَثِيرٍ ، فَوَقَفَ فِيهَا طَوِيلًا ،
 وَفَادَى أَصْحَابَهُ بِشَعَارِهِمْ ، فَبَلَغَ سُؤْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُنْقَرِي مَكَانَهُمْ^(٢) فِي
 جَبَانَةِ أَثِيرٍ ، فَرَجَا أَنْ يَصِيبَهُمْ فَيَحْظَى بِفُلِكَ عِنْدَ ابْنِ مَطِيعٍ ، فَلَمْ يَشْعُرْ ابْنُ
 الْأَشْثَرِ إِلَّا وَهُمْ مَعَهُ فِي الْجَبَانَةِ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ابْنُ الْأَشْثَرِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ :
 يَا شُرَطَةَ اللَّهِ ، انْزِلُوا فَإِنَّكُمْ أَوْلَى بِالنَّصْرِ مِنْ اللَّهِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْفَسَاقِ الَّذِينَ خَاضُوا
 دِمَاءَ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَانْزَلُوا . ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمُ ،
 فَضَرَبَهُمْ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنَ الصَّحْرَاءِ ، وَلَوْوَا مِنْهُمْ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ،
 وَهُمْ يَتَلَاوَمُونَ ، فَقَالَ قَاتِلُ مِنْهُمْ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ يَرَادُ ؛ مَا يَلْقَوْنَ لَنَا جَمَاعَةً

(١) إِمَّا لَا ، أَيْ إِنْ كُنْتَ لَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ .

(٢) ف : هـ حَتَّى يَمُوتُوا وَكَانَهُمْ هـ .

إِلَّا هَزْمُوهُمْ ! فَلَمْ يَزَلْ يَهْزِمُهُمْ حَتَّى أَدْنَحَكَهُمْ الْكُنُاسَةَ . وَقَالَ أَصْحَابُ إِبْرَاهِيمَ لِإِبْرَاهِيمَ : اتَّبِعْهُمْ وَاعْتَمِمْ مَا قَدْ دَخَلَهُمْ مِنَ الرَّعْبِ ، فَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ إِلَى مَنْ نَدَعُو وَمَا نَطْلُبُ . وَإِلَى مَنْ يَدْعُونَ وَمَا يَطْلُبُونَ ! قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ سِيرُوا بِنَا إِلَى صَاحِبِنَا حَتَّى يُؤْمِنَ اللَّهُ بِنَا وَحُشَّتْهُ ، وَنَكُونَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى عِلْمٍ ، وَيَعْلَمُ هُوَ أَيْضًا مَا كَانَ مِنْ عَمَلَانَا ، فِيزِدَادُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ قُوَّةً وَبَصِيرَةً إِلَى قَوَاهِمُ وَبَصِيرَتِهِمْ ، مَعَ أَنِّي لَا أَمْنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَتَى . ٦١٩/٢

فَأَقْبَلَ إِبْرَاهِيمُ فِي أَصْحَابِهِ حَتَّى مَرَّ بِمَسْجِدِ الْأَشْعَثِ ، فَوَقَفَ بِهِ سَاعَةً ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى أَتَى دَارَ الْخِتَارِ ، فَوَجَدَ الْأَصْوَاتَ عَالِيَةً ، وَالْقَوْمَ يَقْتَتِلُونَ ، وَقَدْ جَاءَ شَبَبْتُ بْنُ رَبِيعٍ مِنْ قَبْلِ السَّبَّخَةِ ، فَعَبِيَ لَهُ الْخِتَارَ يَزِيدُ بْنُ أَنَسٍ ، وَجَاءَ حَجَّارُ بْنُ أَبِي الْمَعْجَلِيِّ : فَجَعَلَ الْخِتَارَ فِي وَجْهِهِ أَحْمَرَ بَنَ شَمِيطٍ ، فَالْتَمَسَ يَقْتَتِلُونَ ، وَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ قَبْلِ الْقَصْرِ ، فَبَلَغَ حَجَّارًا وَأَصْحَابَهُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ قَدْ جَاءَهُمْ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَتَفَرَّقُوا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ إِبْرَاهِيمُ ، وَذَهَبُوا فِي الْأَزْقَةِ وَالسَّكَكِ ، وَجَاءَ قَيْسُ بْنُ طَهْفَةَ فِي قَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي نَهْدٍ مِنْ أَصْحَابِ الْخِتَارِ ، فَحَمَلَ عَلَى شَبَبْتُ بْنُ رَبِيعٍ وَهُوَ يَقَاتِلُ يَزِيدَ بْنَ أَنَسٍ ، فَخَطَمَ لَهُمُ الطَّرِيقَ حَتَّى اجْتَمَعُوا جَمِيعًا . ثُمَّ إِنَّ شَبَبْتُ بْنُ رَبِيعٍ تَرَكَ لَهُمُ السَّكَّةَ ، وَأَقْبَلَ حَتَّى لَقِيَ ابْنَ مَطِيعٍ ، فَقَالَ : ابْعَثْ إِلَى أَمْرَاءِ الْجَبَبَايِينِ فَرِهِمْ فَلْيَأْتُواكَ ، فَاجْمَعْ إِلَيْكَ جَمِيعَ النَّاسِ ، ثُمَّ أَنْهَدَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَقَاتِلَهُمْ وَابْعَثْ إِلَيْهِمْ مَنْ تَتَّقِي بِهِ فَلْيَكْفِكَ قِتَالَهُمْ ، فَإِنَّ أَمْرَ الْقَوْمِ قَدْ قَوِيَ ، وَقَدْ خَرَجَ الْخِتَارُ وَظَهَرَ ، وَاجْتَمَعَ لَهُ أَمْرُهُ . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْخِتَارُ مِنْ مَشُورَةِ شَبَبْتُ بْنُ رَبِيعٍ عَلَى ابْنِ مَطِيعٍ خَرَجَ الْخِتَارُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى نَزَلَ فِي ظَهْرِ دَبِيرٍ هَنْدٍ مِمَّا بِلَى بُسْتَانَ زَائِلَةً فِي السَّبَّخَةِ .

قَالَ : وَخَرَجَ أَبُو عُمَانَ النَّهْدِيُّ فَنَادَى فِي شَاكِرٍ وَهُمْ يَجْتَمِعُونَ فِي دَوْرِهِمْ ، يَخَافُونَ أَنْ يَظْهَرُوا فِي الْمِيدَانِ لِقُرْبِ كَعْبِ بْنِ أَبِي كَعْبٍ الْحُثَمِيِّ مِنْهُمْ ، وَكَانَ كَعْبُ ٦٢٠/٢ فِي جَبَانَةٍ بَشَرٍ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ شَاكِرًا تَخْرُجُ جَاءَ يَسِيرٌ ^(١) حَتَّى نَزَلَ بِالْمِيدَانِ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ بِأَفْوَاهِ سِكَكِهِمْ وَطَرَقَهُمْ . قَالَ : فَلَمَّا أَتَاهُمْ أَبُو عُمَانَ النَّهْدِيُّ

في عصابة من أصحابه ، نادى : يا لثارات الحسين ! يا منصورُ أُميت !
يأيتها الحيّ المهتدون ، ألا إنَّ أميرَ آل محمد ووزيرهم . قد خرج فتزل
ديرَ هند ، ويعني إليكم داعياً ومبشراً ، فخرجوا إليه يرحمكم الله ! قال :
فخرجوا من الدور يتداعون : يا لثارات الحسين ! ثم ضاربوا كعب بن
أبي كعب حتى خلى لهم الطريق ، فأقبلوا إلى المختار حتى نزلوا معه في
عسكره ، وخرج عبد الله بن قراد الخثعمي في جماعة من خثعم نحو المائتين
حتى لحق بالمختار ، فنزلوا معه في عسكره ، وقد كان عرض له كعب بن
أبي كعب فصافه ، فلما عرفهم ورأى أنَّهم قومه خلى عنهم : ولم
يقاتلهم .

وخرجت شيبام من آخر ليلتهم فاجتمعوا إلى جبانة مراد ، فلما
بلغ ذلك عبد الرحمن بن سعيد بن قيس بعث إليهم : إن كنتم تريدون السحاق
بالمختار فلا تمروا على جبانة السبيع ، فلتحقوا بالمختار ، فتوافي إلى المختار
ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثني عشر ألفاً كانوا بايعوه ، فاستجمعوا له قبل
انفجار الفجر ، فأصبح قد فرغ من تعبته .

قال أبو مخنف : فحدثني الوالي قال : خرجت أنا وحديد بن مسلم ،
والنعمان بن أبي الجعد إلى المختار ليلة خرج ، فأتيناه في داره ، وخرجنا معه
إلى معسكره ، قال : فوالله ما انفجر الفجر حتى فرغ من تعبته ، فلما
٦٢١/٢ أصبح استقدم ، فصلبى بنا الغداة بغلس ، ثم قرأ « والنازعات » و« عبس وتولى » ،
قال : فاسمعنا إماماً أم قوماً أفصح لهجة منه .

قال أبو مخنف : حدثني حصيرة بن عبد الله ، أن ابن مطيع بعث إلى
أهل الجبايين ، فأمرهم أن ينضموا إلى المسجد ، وقال لراشد بن إياس بن
مضارب : ناد في الناس فليأتوا المسجد ، فنادى المنادى : ألا برئت الذمة
من رجل لم يحضر المسجد الليلة ! فتوافى الناس في المسجد ، فلما اجتمعوا
بعث ابن مطيع شبث بن ربعي في نحو من ثلاثة آلاف إلى المختار ، وبعث
راشد بن إياس في أربعة آلاف من الشرط .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الصلت التيمي عن أبي سعيد الصيفي :

قال : لما صُلِّيَ المختار الغداة ثم انصرف سَمِعْنَا أصواتًا مرتفعة فيما بين
 بنى سُلَيْمٍ وسَكَّةَ البريد ، فقال المختار : مَنْ يعلم لنا علم هؤلاء ما هم ؟
 فقلت له : أنا أصلحك الله ! فقال المختار : إمَّا لا (١) فألقى سلاحك وانطلق
 حتى تدخل فيهم كأنك نظار ، ثم تأتيني بخبرهم . قال : ففعلتُ ، فلَمَّا
 دنوت منهم إذا مؤذنه يقيم ، فجئت حتى دنوتُ منهم فإذا شَبَثُ بن
 رِبْعَى معه خيل عظيمة ، وعلى خيله شَيْبَانُ بن حُرَيْث الضبي ، وهو في
 الرجالِ معهُ منهم كثرة ، فلما أقام مؤذنه تقدّم فصلّي بأصحابه ، فقرأ : ﴿ إِذَا
 زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ ، فقلت في نفسي : أما والله إني لأرجو أن يزلزل الله بكم ،
 ١٢٢/٢ وقرأ : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ ، فقال أناس من أصحابه : لو كنت قرأت سورتين هما
 أطول من هاتين (٢) شيئًا إنا لَشَبَثُ : نرون الدليلُ قد نزلت بساحتكم ،
 وأنتم تقولون : لو قرأت سورة البقرة و آل عمران ! قال : وكانوا ثلاثة آلاف ،
 قال : فأقبلت سريعًا حتى أتيت المختار فأخبرته بخبر (٣) شَبَثُ وأصحابه ،
 وأثناء معي ساعة أتته (٤) سِمْعَرُ بن أبي سحر الحنفي يركض من قبيل مراد ،
 وكان ممن بايع المختار فلم يقدر على الخروج معه ليلة خرج مخافة الحرس ،
 فلَمَّا أصبح أقبل على فرسه ، فرَّ يَجْبَانَةً مراد ، وفيها راشد بن إلياس ، فقالوا :
 كما أنت ! ومن أنت ؟ فراكضهم حتى جاء المختار ، فأخبره خبر راشد ، فأخبرته
 أنا خبر شَبَثُ ، قال : فسرَّح إبراهيم بن الأشتر قبل راشد بن إلياس في تسعمائة—
 ويقال سبائة فارس وسبائة راجل — وبعث نعيم بن هبيرة أخا مصقلة بن هبيرة
 في ثلثمائة فارس وسبائة راجل ، وقال لهما : امضيا حتى تلقيا عدوكم ، فلماذا
 لقيتاهم فأنزلا في الرجال وعجلا الفسراخ وابدأهم بالإقدام ، ولا تستهدا لهم ؛
 فلمنهم أكثر منكم ، ولا ترجعا إلى حتى تظهرا أو تقتلا . فتوجه إبراهيم إلى
 راشد ، وقدّم المختار يزيد بن أنس في موضع مسجد شَبَثُ في تسعمائة أمامه .
 وتوجه نعيم بن هبيرة قبل شَبَثُ .

قال أبو مخنف : قال أبو سعيد الصبقل : كنت أنا فيمن توجه مع نعيم

(١) إمَّا ، أي إن كنت لا تعلم غير ذلك . (٢) ف : « منها » .

(٣) ف : « وانيته » .

(٤) ف : « خبر » .

ابن هبيرة إلى شَبَثَ ومعى سِعْر بن أبي سحر الحنفي، فلما انتهينا إليه قاتلناه ١٢٣/٢ قتالا شديداً، فجعل نعيم بن هبيرة سحر بن أبي سحر الحنفي على الخيل، ومشى هو في الرجال فقاتلهم حتى أشرقت الشمس وانسبطت، فضر بناهم حتى أدخلناهم البيوت؛ ثم إن شَبَثَ بن ربيعة ناداهم: يا حماة السوء! بش فرسان الحقائق^(١) أنتم! أمين! عبيدكم تهربون^(٢)، قال: فثابت إليه منهم جماعة^(٣) فشد علينا وقد تفرقنا فهزمتنا، وصبر نعيم بن هبيرة فقتل، ونزل سحر فأسير وأسرت أنا وخليد مولى حسان بن مخلوج^(٤)، فقال شَبَثُ الخليلد - وكان وصياً جسيماً: من أنت؟ فقال: ^(٥) خليد مولى حسان بن مخلوج الدهلي، فقال لشَبَثَ: يا بن المستكاء، تركت بيع الصُّحُنة^(٦) بالكُثامة وكان جزاء من أعتقك أن تملو عليه بسيفك تضرب رقابه! اضربوا عنقه، فقتل، ورأى سحر الحنفي فعرّفه، فقال: أخو بني حنيفة؟ فقال له: نعم؛ فقال: ويحك! ما أردت إلى اتباع هذه السبيّة! قبح الله رأيك، دعوا ذاك. فقلت في نفسي: قتل المولى وترك العربي، إن علم والله إنني مولى قتلني، فلما عرّضت عليه قال: من أنت؟ فقلت: من بني تميم الله؛ قال: أعربي أنت أو مولى؟ فقلت: لا بل عربي، أنا من آل زياد بن خصمة، فقال: يخ بخ! ذكرت الشريف المعروف، الحق بأهلك. قال: فأقبلت حتى انتهيت إلى الحمراء، ١٢٤/٢ وكانت لي في قتال القوم بصيرة، فجئت حتى انتهيت إلى المختار؛ وقلت في نفسي: والله لأتبن أصحابي فلا واسينهم بنفسى، قبح الله العيش بعدهم! قال: فأتيتهم وقد سبقني إليهم سحر الحنفي، وأقبلت إليه خيل شَبَثَ، وجاءه قتل نعيم بن هبيرة، فدخل من ذلك أصحاب المختار أم كبير، قال: فلدنوت من المختار، فأخبرته بالذي كان من أمري، فقال لي: أسكت، فليس هذا بمكان الحديث. وجاء شَبَثَ حتى أحاط بالمختار ويزيد بن أنس

(١) ف: الحقيقة. (٢) ف: تفرقون.

(٣) ف: جماعة منهم.

(٤) ط: يخلج، والصواب ما أثبت؛ وانظر الاستبصار ٣٤٧. (٥) ف: قال.

(٦) المستكاء من النساء: هي التي لم تخفص؛ وهو من السب عظم. وفي اللسان: الصحناء

بالكسر: إدام يخذل من السلك، يمد ويقصر، والصحناء أخضر منه.

وبعث ابن مطيع يزيد بن الحارث بن رؤيم في ألفين من قبل سكة لحام جريز، فوقموا في أفواه تلك السكك، ووكى المختار يزيد بن أنس نخيله، وخرج هو في الرجال.

قال أبو مخنف: فحدثني الحارث بن كعب الوالي؛ والية الأزدي، قال: حملت علينا خيل شبيب بن ربيعة حملتين، فما يزول منا رجل من مكانه، فقال يزيد بن أنس لنا: يا معشر الشيعة، قد كنتم تقتلون وتقطع أيديكم ولطمكم، وتسمك أعينكم، وترفعون على جلود النخل في حب أهل بيت نبيكم، وأنتم حميمون في بيوتكم، وطاعة عدوكم، فما ظنكم بهؤلاء تقوم إن ظهروا عليكم اليوم! إذا والله لا يدعون منكم عيناً تطرف، وليقتلنكم صبراً، ولعرون منهم في أولادكم ولزواجكم وأموالكم ما الموت خير منه، والله لا ينجيكم منهم إلا الصلح والصبر، والظعن الصائب في أعينهم، والضرب الدراك^(١) على هامهم. فيسروا للشدة، وتهيئوا للحملة، ٢٢٥/٢ فإذا حركت رايي مرتين فاحملوا. قال الحارث: فتهيأنا ونيسرنا، وجشونا على الركب، وانتظرنا أمره.

قال أبو مخنف: وحدثني فضيل بن خديج الكندي أن إبراهيم بن الأشتر كان حين توجه إلى راشد بن إلياس، مضى حتى لقيه في مراد، فإذا معه أربعة آلاف، فقال إبراهيم لأصحابه: لا يهولنكم كثرة هؤلاء، فوالله لرُب رجل خير من عشرة، ولرُب فئة قليلة قد غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين، ثم قال: يا خزيمه بن نصر، سرّ إليهم في الخيل. ونزل هو يمشي في الرجال، ورايته مع مزاحم بن طمبل، فأخذ إبراهيم يقول له: اذكف برايتك، امض بها قدماً قدماً. واقتل الناس، فاشتد قتالهم، وبصر خزيمه بن نصر العيسى براشد بن إلياس، فحمل عليه

(١) الطعن الدارك: المتابع.

فطعنه ، فَمَتَّكَلَهُ ، ثُمَّ نادى : قَتَلْتُ رَاشِدًا وَرَبَّ الكَعْبَةِ . وانهزم أصحابُ رَاشِدٍ ، وأقبل إبراهيمُ بن الأَشْثَرِ خزيمة بن نصر ومن كان معهم بعد قتل رَاشِدٍ نحو المختار ، وبعث النعمانُ بن أبي الجعد يبشِّرُ المختار بالفتح عليه ويقتل رَاشِدًا ، فلمَّا أن جاءهم البشير بذلك كَبُرُوا ، واشتدَّتْ أنفُسُهُمْ ، ودخل أصحاب ابن مطيع الفَسَلُ ، وسرح ابن مطيع حَسَّانَ بن فائد بن بكير العبسيَّ في جيش كثيف نحو من ألفين . فاعترض إبراهيمُ بن الأَشْثَرِ فُوقَ الحمراء ليردَّه عَمَّنْ في السبْخَةِ من أصحاب ابن مطيع ، فَقَدَّمَ إبراهيمُ خزيمة بن نصر إلى حَسَّانَ بن فائد في الخيل ، ومشي إبراهيمُ نحوه في الرجال . فقال :

والله ما اطمعنا بمرح ، ولا اضطررنا بسيف ، حتَّى انهزموا . وتخلَّفَ حسان بن فائد في أخريات الناس يَحْمِيهِمْ ، وحمل عليه خزيمة بن نصر ، ١٢٦/٢ فلمَّا رآه عرفه ، فقال له : يا حَسَّانَ بن فائد ، أما والله لولا القرابة لعرفت أني سألتمس قتلَكَ بجهدي ، ولكن النجاء ، فَعَثَرَ بحَسَّانَ فرسه فوقَ ، فقال : تمسك لك ، أبا عبد الله ! وابتدره الناس فأحاطوا به ، فضاربهم ساعةً بسيفه ، فناداه خزيمة بن نصر ، قال : إنَّكَ آمَنَ يا أبا عبد الله ، لا تقتل نفسك ، وجاء حتَّى وقف عليه ونهَّنه الناس عنه ، ومَرَّ به إبراهيمُ ، فقال له خزيمة : هذا ابن عمِّي وقد آمنته ، فقال له إبراهيمُ : أحسنت ، فأمر خزيمة بطلب فرسه حتَّى أتى به ، فَمَحَمَلَهُ عليه ، وقال : الحق بأهلك .

قال : وأقبل إبراهيمُ نحو المختار ، وشبَّت محيط بالمختار ويزيد بن أنس ، فلمَّا رآه يزيد بن الحارث وهو على أفواه سيكك الكوفة التي تلى السبْخَةِ ، وإبراهيمُ مقبل نحو شبَّت ، أقبل نحوه ليصدَّه عن شبَّت وأصحابه ، فبعث إبراهيمُ طائفةً من أصحابه مع خزيمة بن نصر ، فقال : أغنِ عنا يزيدَ بن الحارث : وصمَّده هو في بقيَّة أصحابه نحو شبَّت بن رُبَيْعٍ .

قال أبو مخنف : فحدثني الحارث بن كعب أنَّ إبراهيمَ لما أقبل نحونا رأينا شبَّتًا وأصحابه ينكصون وراءهم رُويدًا رُويدًا ، فلمَّا دنا إبراهيمُ من شبَّت وأصحابه ، حمل عليهم ، وأمرنا يزيد بن أنس بالحيلة عليهم ،

فحملناهم عليهم ، فأنكشفوا حتى انتهوا إلى أبيات الكوفة ، وحمل خزيمة ابن نصر على يزيد بن الحارث بن رؤم فهزمه ، وازدحموا على أفواه السكك ، وقد كان يزيد بن الحارث وضع رامية على أفواه السكك فوق البيوت ، وأقبل المختار في جماعة الناس إلى يزيد بن الحارث ، فلما انتهى أصبح المختار إلى أفواه السكك رمت تلك الرامية^(١) بالنبل ، فصدّوهم عن دخول الكوفة من ذلك الوجه ، ورجع الناس من السبّحة متهزّمين إلى ابن مطيع ، وجاءه قتل راشد بن لباس ، فأسقط في يده .

قال أبو مخنف : فحدثني يحيى بن هاني ، قال : قال عمرو بن الحجاج الزبيدي لابن مطيع : أيها الرجل لا يسقط في خلكك ، ولا تكتف ببيدك ، أخرج إلى الناس فاندبهم إلى عدوك فاغزهم ، فإن الناس كثير عددٌهم ، وكلهم معك إلا هذه الطاغية التي خرجت على الناس ، والله عزّيزها ومهلكها ، وأنا أول مُتَدَبِّ ، فاندب معي طائفة ، ومع غيري طائفة . قال : فخرج ابن مطيع ، فقام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إن من أعجب المعجّبات عجزكم عن عصبة منكم قليل عددها ، خبيث دينها ، ضالة مضلّة . اخرجوا إليهم فامنعوا منهم حرّيمكم وقتلواهم عن ميسرهم ، وامنعوا منهم فيسكم ، وإلا والله ليشارككنكم في فيسكنكم من لا حق له فيه . والله لقد بلغني أن فيهم خمسمائة رجل من محرّريكم عليهم أميرٌ منهم ، وإنما ذهاب عزكم وسلطانكم وتغير دينكم حين يكثرون . ثم نزل .

قال : ومنعهم يزيد بن الحارث أن يلخطوا الكوفة . قال : ومضى المختار من السبّحة حتى ظهر على الجبّانة ، ثم ارتفع إلى البيوت ؛ بيوت مزينة وأحمر وبارق ، فنزل عند مسجدهم وبيوتهم ، وبيوتهم شاذة مفردة من بيوت أهل الكوفة ، فاستقبلوه بالماء ، فسقى أصحابه ، وأبى المختار أن يشرب . قال : فظن أصحابه أنه صائم ، وقال أحمر بن هديج من همدان

لابن كامل : أتري الأميرة صائماً ؟ فقال له : نعم ، هو صائم ، فقال له : فلو أنه كان في هذا اليوم مفطراً كان أقوى له ؛ فقال له : إنه مصوم ، وهو أعلم بما يصنع ؛ فقال له : صدقت ، أستغفر الله . وقال المختار : نعم مكان المقاتل هذا ، فقال له : لإبراهيم بن الأشتر : قد هزمهم الله وهلكهم ، وأدخل الرعب قلوبهم ، وتنزل هاهنا سيرتنا ؛ فوافقه ما دون القصر أحد يمنع ، ولا يمتنع كبير امتناع ؛ فقال المختار : ليقيم هاهنا كل شيخ ضعيف وذى علة ، وضمو ما كان لكم من ثقل وسلاح بهذا الموضع حتى تسيروا إلى عدونا . ففعلوا ، فاستخلف المختار عليهم أبا عثمان النهدي ، وقدم لإبراهيم بن الأشتر أمامه ، وعيى أصحابه على الحال التي كانوا عليها في السبقة .

قال : وبعث عبد الله بن مطيع عمرو بن الحجاج في ألفي رجل ، فخرج عليهم من سكة الثوريين ، فبعث المختار إلى إبراهيم أن اطوه ولا تقم عليه . فطواه إبراهيم ، ودعا المختار يزيد بن أنس ، فأمره أن يصمد لعمرو بن الحجاج ، ففسي نحوه ، وذهب المختار في أثر إبراهيم ، ففضوا جميعاً حتى إذا انتهى المختار إلى موضع مصلي خالد بن عبد الله وقف ، وأمر إبراهيم أن يمضي على وجهه حتى يخل الكوفة من قبيل الكناسة ، فمضي ، فخرج إليه من سكة ابن محرز ، وأقبل شر بن ذي الجصوشن في ألفين ، فسرّح المختار إليه سعيد بن منقذ الحمدي فوافقه ، وبعث إلى إبراهيم أن اطوه ، وامض ١٢٩/٢ على وجهك . فمضي حتى انتهى إلى سكة شيب ، وإذا ^(١) نوفل بن مساحق بن عبد الله بن عزيمة في نحو مئتي ألفين — أو قال : خمسة آلاف ، وهو الصحيح — وقد أمر ابن مطيع سويد بن عبد الرحمن فنادى في الناس : أن الحقوا بابن مساحق . قال : واستخلف شيب بن ربيعة على القصر ، وخرج ابن مطيع حتى وقف بالكناسة .

قال أبو مخنف ^(٢) : حدثني حصيرة بن عبد الله ، قال : إني لأنظر إلى ابن الأشتر حين أقبل في أصحابه ، حتى إذا دنا منهم قال لهم : انزلوا ، فترلوا ، فقال :

(١) ف : « فلذا » .

(٢) يصح في ف : « لول بن يحيى » .

قربوا خيولكم بعضها إلى بعض ، ثم امشوا إليهم مصليتين بالسيوف ، ولا يهولنكم أن يقال : جاءكم شبيب بن ربيعة وآل عتيبة بن النشاس وآل الأشعث وآل فلان وآل يزيد بن الحارث ... قال : فسعى بيوتات من بيوتات أهل الكوفة ، ثم قال : إن هؤلاء لو قد وجدوا لم حر السيوف قد انصفقوا عن ابن مطيع انصفاق المعزى عن الذئب . قال حصيرة : فلما نظر إليه وإلى أصحابه حين قربوا خيولهم وحين أخذ ابن الأشتر أسفل قبائمه فرغه فادخله في منطقة له حمراء من حواشي البرود ، وقد شد بها على القباء ، وقد كسر بالقباء على الدرع ، ثم قال لأصحابه : شدوا عليهم فدى لكم عى وخلى ! قال : فوالله ما لبثهم أن هزّمهم ؛ فركب بعضهم بعضاً على فم السكة وازدحموا ، وانتهى ابن الأشتر إلى ابن مساحق ، فأخذ بلجام دابته ، ورفع السيف عليه ، فقال له ابن مساحق : يا ابن الأشتر ، أشدك الله ، أتطلي بئراً هل بيني وبينك من إحنة ! فخلّى ابن الأشتر سبيله ، وقال له : اذكرها ؛ فكان بعد ذلك ابن مساحق يذكرها لابن الأشتر ، وأقبلوا يسرون حتى دخلوا الكناسة في آثار القوم حتى دخلوا السوق والمسجد ، وحصروا ابن مطيع ثلاثاً .

قال أبو مخنف : وحدثنى النضر بن صالح أن ابن مطيع مكث ثلاثاً ، يرزق أصحابه في القصر حيث حصر اللقيط ، ومعه أشرف الناس ، إلا ما كان من عمرو بن حريث ، فإنه أتى داره ولم يلزم نفسه الحصار ، ثم خرج حتى نزل البر ، وجاء المختار حتى نزل بجانب السوق ، وولّى حصار القصر لإبراهيم بن الأشتر ، ويزيد بن أنس ، وأحمر بن شبيب ، فكان ابن الأشتر ممّا إلى المسجد وباب القصر ، ويزيد بن أنس ممّا إلى بني حذيفة وسكة دار الروميين ، وأحمر بن شبيب ممّا إلى دار عمارة ودار أبي موسى . فلما اشتد الحصار على ابن مطيع وأصحابه كلّمه الأشرف ، فقام إليه شبيب فقال : أصلح الله الأمير ! انظر لنفسك ولن ملك ، فوالله ما عندهم غناء عنك ولا عن أنفسهم . قال ابن مطيع : هاتوا ، أشيروا على برأيكم ؛

قال شَبَّهَتْ : الرأى أن تأخذ لنفسك من هذا الرجل أماناً ولنا ، وتخرج ولا تُهلك نفسك ومن معك . قال ابن مطيع : والله إني لأكره أن آخذ منه أماناً والأمور مستقيمة لأمر المؤمنين بالحِجَاز كله وبأرض البصرة ؛ قال : ٢٣١/٢ فتخرج لا يشعر بك أحد حتى تنزل منزلاً بالكوفة عند من تستنصحه وتثق به ، ولا يعلم بمكانك حتى تخرج فتلق بصاحبك ؛ فقال لأسماء بن خارجة وعبد الرحمن بن غنم وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس وأشراف أهل الكوفة : ما ترون في هذا الرأى الذى أشار به على شَبَّهَتْ ؟ فقالوا : ما نرى الرأى إلا ما أشار به عليك ، قال : فرويدا حتى أمسى .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو المغلس الليثي ، أن عبد الله بن عبد الله الليثي "أشرف على أصحاب المختار من القصر من العشي يشتبههم ، ويتحى له مالك بن عمرو أبو عمران^(١) النهدي يسهم ، فيمر بحلقه ، قطع جلدة من حلقه قال فوقع ؛ قال : ثم إنه قام ويرا بعد ؛ وقال النهدي حين أصابه : خذها من مالك ، من فاعل كنا .

قال أبو مخنف : وحدثني النضر بن صالح ، عن حسان بن فائد بن بكير ، قال : لما أمسينا في القصر في اليوم الثالث ، دعانا ابن مطيع ، فذكر الله بما هو أهله ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وقال : أما بعد ، فقد علمت الذين صنعوا هذا منكم من هم ؛ وقد علمت أنما هم أراد لكم وسفهاؤكم وطغائكم وأخسائكم ، ما عدا الرجل أو الرجلين ، وأن أشرافكم وأهل الفضل منكم لم يزالوا سامعين مطيعين ناصحين ، وأنا مبلغ ذاك صاحبي ، ومعلم طاعتكم وجهادكم عدوه ، حتى كان الله الغالب على أمره ، وقد كان ٢٣٢/٢ من رأيكم وما أشرت به على ما قد علمتم ، وقد رأيت أن أخرج الساعة . فقال له شَبَّهَتْ : جزاك الله من أمير خير ! فقد والله عفت عن أموالنا ، وأكرمت أشرافنا ، ونصحت لصاحبك ، وقضيت الذى عليك ، والله ما كنا لنفارقك أبداً إلا ونحن منك في إذن ، فقال : جزاكم الله خيراً ، أخذ امرؤ حيث أحب ، ثم خرج من نحو دروب الروميين حتى أتى دار أبي موسى ، وخلق القصر ، وفتح أصحابه

الباب، فقالوا : يا بن الأشر ، آمنون نحن ؟ قال : أنتم آمنون ، فخرجوا فبايعوا المختار .

قال أبو مخنف : فحدثني موسى بن عامر العدوي ، من عدى جبهة — وهو أبو الأشعر — أن المختار جاء حتى دخل القصر ، فبات به ، وأصبح أشراف الناس في المسجد وعلى باب القصر ، وخرج المختار فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، فقال : الحمد لله الذي وعد وليه النصر ، وعدوه الخسر ، وجعله فيه إلى آخر الدهر ، وعدا مفعولا ، وقضاء مقضيا ، وقد خاب من اقترى . أيها الناس ، إنني رُفعت لنا راية ، ومُدّت لنا غاية ، فليل لنا في الراجية : أن ارفعوها ولا تَضَعوها ، وفي الغاية : أن اجبروا إليها ولا تعدوها ، فسمعنا دعوة الداعي ، ومقالة الواصي ، فحكم من ناع وناعية ، لقتل في الواصية ! وبعداً لمن طغى وأدبر ، وعصى وكذب وتولى ، ألا فادخلوا أيها الناس فبايعوا بيعة هدى ، فلا والذي جعل السماء سقفاً مكشوفاً ، والأرض فجاجاً سبلاً ، ما بايعتم بعد بيعة علي بن أبي طالب وآل علي أهدى منها .

ثم نزل فدخل ، ودخلنا عليه وأشراف الناس ، فبسط يده ، وبايعته (١) الناس فبايعوه ، وجعل (٢) يقول : تبايعوني على كتاب الله وسنة نبيه ، والطلب بدماء أهل البيت ، وجهاد المحلّين ، واللغو عن الضعفاء ، وقتال من قاتلنا ، وسلم من سلمنا ، والوفاء ببيعتنا ، لا نقيلكم ولا نستقيلكم ، فإذا قال الرجل : نعم ، بايعته . قال : فكأنني والله أنظر إلى المنذر بن حسان بن ضرار الضبي إذ أتاه حتى سلم عليه بالإمرة ، ثم بايعه وانصرف عنه ، فلمّا خرج من القصر استقبل سعيد بن منقذ الثوري في عصابة من الشيعة واقفاً عند المصطبة ، فلمّا رآوه معه ابنة حيّان بن المنذر ، قال رجل من سفهائهم : هذا والله من رموس الجبارين ، فشدّوا عليه وعلى ابنه ، فقتلوهما ، فصاح بهم سعيد بن منقذ : لا تمجّلوه ، لا تمجّلوه حتى ننظر ما رأى أميركم فيه . قال : وبلغ المختار ذلك ، فكرهه حتى رقى ذلك في وجهه ، وأقبل المختار بمنى الناس ، ويستجرّ مودّتهم ومودة الأشراف ، ويحسن السيرة جهده .

(١) ف : « وبايعوه » . (٢) ا ف : « فجعل » .

قال : وجاءه ابن كامل فقال للمختار ، أعلمتَ أن ابن مطيع في دار أبي موسى ؟ فلم يُجبه بشيء ، فأعادها عليه ثلاثَ مرّات فلم يُجبه ، ثمّ أعادها فلم يُجبه ، فظنّ ابن كامل أنّ ذلك لا يوافقه ، وكان ابن مطيع قبلُ للمختار صديقاً ، فلماً أمسى بعث إلى ابن مطيع بمائة ألف درهم ، فقال له : تجهّزْ بهذه واخرج ؛ فإنّي قد شعرتُ بمكانك ، وقد ظننتُ أنّه لم يمنعك من الخروج إلّا أنّه ليس في يدك ما يقوّيك على الخروج . وأصاب ١٣٤/٢ المختار تسعة آلاف ألف في بيت مال الكوفة ، فأعطى أصحابه الذين قاتل بهم حين حصر ابن مطيع في القصر - وهم ثلاثة آلاف وثمانمائة^(١) رجل - كلّ رجل خمسمائة درهم خمسمائة درهم ، وأعطى مئة ألف من أصحابه أتوه بعد ما أحاط بالقصر ، فأقاموا معه تلك الليلة وتلك الثلاثة الأيام حتّى دخل القصر مائتين مائتين ، واستقبل الناس بخير ، وسنّاهم العدل وحسن السيرة ، وأدنى الأشراف ، فكانوا جلّساءه وحُدّانّه ، واستعمل على شُرطته عبد الله بن كامل الشّاكريّ ، وعلى حرّمه كيسان أبا عَمْرٍة مولى عُرينة ؛ فقام ذات يوم على رأسه ، فرأى الأشراف يحذّثونه ، ورآه قد أقبل بوجهه وحديثه عليهم ، فقال لأبي عَمْرٍة بعضُ أصحابه من الموالى : أما ترى أبا إسحاق قد أقبل على العرب ما ينظر إلينا ؟ فدعاه المختار فقال له : ما يقول لك أولئك الذين رأيتهم يكلّمونك ؟ فقال له - وأمرّ إليه : شقّ عليهم أصلحك الله صرّفك وجهك عنهم إلى العرب ، فقال له : قُلْ لهم : لا يشقنّ ذلك عليكم ، فأنتم منى وأنا منكم . ثمّ سكّت طويلاً ، ثمّ قرأ : ﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾^(٢) . قال : فحدّثني أبو الأشعر موسى بن عامر قال : ما هو إلّا أن سمعها الموالى منه ، فقال بعضهم لبعض : أبشروا ، كأنكم والله به قد قتلهم .

قال أبو مخنف : حدّثني حصيرة بن عبد الله الأزديّ وفُضَيْل بن خديج الكنديّ والنضر بن صالح العبسيّ ، قالوا : أوّل رجل عقد له المختار

(١) ف : « وخمسمائة » .

(٢) سورة السجدة : ٢٣ .

٦٣٥/٢ راية عبد الله بن الحارث أخو الأشتر ، عقد له على أرمينية ، وبعث محمد ابن عمير بن عطارد على آذربيجان ، وبعث عبد الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل ، وبعث إسحاق بن مسعود على المدائن وأرض جُوحى ، وبعث قدامة بن أبي عيسى بن ربيعة النصرية ، وهو حليف لثقيف على بهقباد الأعلى ، وبعث محمد بن كعب بن قَرْظَة على بهقباد الأوسط ، وبعث حبيب بن منقذ الثوري على بهقباد الأسفل ، وبعث سعد بن حذيفة بن اليمسان على حلوان ، وكان مع سعد بن حليفة ألف فارس بحلوان . قال : ورزقه ألف درهم في كل شهر ، وأمره بقتال الأكراد ، وإقامة الطرق ، وكتب إلى عماله على الجبال يأمرهم أن يحملوا أموال كُورهم إلى سعد بن حذيفة بحلوان ، وكان عبد الله بن الزبير قد بعث محمد بن الأشعث بن قيس على الموصل ، وأمره بمكاتبة ابن مطيع وبالسَّمع له والطاعة ، غير أن ابن مطيع لا يقدر على عزله إلا بأمر ابن الزبير ، وكان قبل ذلك في إمارة عبد الله بن يزيد ، وإبراهيم بن محمد منقطعاً بإمارة الموصل ، لا يكاتب أحداً دون ابن الزبير .

فلما قدم عليه عبد الرحمن بن سعيد بن قيس من قبل المختار أميراً تنحى له عن الموصل ، وأقبل حتى نزل تكريت ، وأقام بها مع أناس من أشراف قومه وغيرهم ، وهو معتزل ينظر ما يصنع الناس ، وإلى ما يصير أمرهم ، ثم شخص إلى المختار فبايع له ^(١) ، ودخل فيما دخل فيه أهل بلده .

٦٣٦/٢ قال أبو مخنف : حدثني صلة بن زهير النهدي ، عن مسلم بن عبد الله الضبائي ، قال : لما ظهر المختار واستمكن ، ونفى ابن مطيع وبعث عماله ، أقبل يجلس للناس غلوة ^(٢) وعشيّة ، فيقضي بين الخصمين ، ثم قال : والله إن لي فيما أراول وأحاول لشغلا عن القضاء بين الناس ، قال : فأجلس للناس شُرُحاً ، وقضى بين الناس ، ثم إنه خافهم فتمارض ، وكانوا يقولون : إنه عياني ، وإنه ممن شهد على حُجْر بن عدى ، وإنه لم يبلغ عن هاني ابن عروة ما أرسله به — وقد كان على بن أبي طالب عزله عن القضاء — فلما

(١) ف : « فبايعه » .

(٢) ف : « بكرة » .

أن سمع بذلك وراهم يذمونه ويُسَنِّونَ إليه مثل هذا القول تمارض، وجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود . ثم إن عبد الله مرض، فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائي قاضياً .

قال مسلم بن عبد الله : وكان عبد الله بن همام سمع أبا عمرة يذكر الشيعة وينال من عثمان بن عفان ، فقتله بالسوط ، فلما ظهر المختار كان معتزلاً حتى استأمن له عبد الله بن شداد ، فجاء إلى المختار ذات يوم فقال :

أَلَا انْتَسَأْتُ بِالرُّودِّ عَنْكَ وَأَذْبَرْتُ مُعَالِنَةً بِالْهَجْرِ أَمْ سَرِيعٌ (١)
وَحَمَلَهَا وَاشْرَ سَعَى غَيْرِ مُؤَسِّلٍ فَأُبَيَّتَ بِهِمْ فِي الْفُؤَادِ جَمِيعٍ
فَخَفَضَ عَلَيْكَ الشَّانَ لَا يُرْذِلُكَ الْهَوَى قَلْبِي انْتَقَالَ خُطَّةً يَبْدِيعُ
وَفِي لَيْلَةِ الْمُخْتَارِ مَا يُذْهِلُ الْفَتَى وَبِلهِهِ عَنِ رُودِ الشَّبَابِ شَمُوعُ ١٣٧/٢
دَعَا يَا لَشَارَاتِ الْحُسَيْنِ فَأَقْبَلْتُ كِتَابُ مِنْ هَمْدَانٍ بَعْدَ هَزِيعٍ
وَمِنْ مَلْجِجِ جَاءَ الرَّئِيسُ ابْنُ مَالِكٍ يَقُودُ جُمُوعاً عُبِيَّتْ بِجُمُوعٍ
وَمِنْ أَسَدٍ وَاقَى يَزِيدُ لِنَضْرِهِ بِكُلِّ فَتَى حَامِي الدَّمَارِ مَنِيْعٍ
وَجَاءَ نُعَيْمٌ خَيْرُ شَيْبَانٍ كُلِّهَا لَدَى الْهَيْجَا أَحَدٌ جَمِيعٍ
وَمَا ابْنُ شَمِيطٍ إِذْ يُحَرِّضُ قَوْمَهُ هُنَاكَ يَمَخُذُولٌ وَلَا بِمُضْجِعٍ
وَلَا قَيْسَ نَهْدٍ لَا ابْنَ هَوَازِنٍ وَكُلُّ أَخَوِ الْخُبَاتَةِ وَخُشُوعٍ
وَسَارَ أَبُو النُّعْمَانِ لِلَّهِ سَعِيَهُ إِلَى ابْنِ إِبْرَاهِيمَ مُضْجِراً لِقُوعٍ
بِخَيْلٍ عَلَيْهَا يَوْمَ هَيْجَا دُرُوعُهَا وَأُخْرَى حُسُوراً غَيْرَ ذَاتِ دُرُوعٍ
فَكَرَّ الْخَيْلُ كَرَةً ثَقِفَتْهُمْ وَشَدَّ بِأَوْلَاهَا عَلَى ابْنِ مُطِيعٍ ثَقِفَتْهُمْ
فَوَلَّى بِضَرْبٍ يَشْدُخُ الْهَامَ وَقَعَهُ وَثَقِفَتْهُمْ
فَحُوصِرَ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ بِأَيِّهَا فَكَّرَ الْخَيْلُ كَرَةً ثَقِفَتْهُمْ
فَمَنْ وَزِيرُ ابْنِ الْوَصِيِّ عَلَيْهِمْ وَثَقِفَتْهُمْ

١٣٨/٢

وَأَبَّ الْهَدَى حَقًّا إِلَى مُسْتَقَرِّهِ بِخَيْرِ إِيَابِ آتِيهِ وَرُجُوعِ
إِلَى الْهَاشِمِيِّ الْمَهْتَدِيِّ الْمَهْتَدَى بِهِ فَنَحْنُ لَهُ مِنْ سَامِعٍ وَمُطِيعٍ
قَالَ : فَلَمَّا أُنْشِدَهَا الْمُخْتَارَ قَالَ الْمُخْتَارُ لِأَصْحَابِهِ : قَدْ أَنْتَيْ عَلَيْكُمْ كَمَا
تَسْمَعُونَ ، وَقَدْ أَحْسَنَ الثَّنَاءَ عَلَيْكُمْ ، فَأَحْسِنُوا لَهُ الْجَزَاءَ . ثُمَّ قَامَ الْمُخْتَارُ ،
فَدَخَلَ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : لَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُنْجِزَ إِلَيْكُمْ ؛ قَالَ : وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ شَدَّادِ الْجُشَمِيِّ : يَا بَنِي هَمَامَ : إِنَّ لَكَ عِنْدِي فَرْسًا وَمُطَرَفًا ، وَقَالَ
قَيْسُ بْنُ طَهْفَةَ النَّهْدِيُّ - وَكَانَتْ عِنْدَهُ الرِّيَابُ بِنْتُ الْأَشْعَثِ : فَإِنَّ لَكَ عِنْدِي
٦٣٩/٢ فَرْسًا وَمُطَرَفًا ، وَاسْتَحْيَا أَنْ يُعْطِيَهُ (١) صَاحِبُهُ شَيْئًا لَا يُعْطَى مِثْلَهُ ، فَقَالَ (١)
لِيزِيدِ بْنِ أَنَسٍ : فَا تَعْطِيهِ ؟ فَقَالَ يَزِيدُ : إِنْ كَانَ ثَوَابَ اللَّهِ أَرَادَ بِقَوْلِهِ فَمَا عِنْدَ
اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ ، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا اعْتَرَى بِهَذَا الْقَوْلِ أَمْوَالَنَا ، فَوَاللَّهِ مَا فِي أَمْوَالِنَا
مَا يُسَعُّهُ ، قَدْ (٢) كَانَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ عَطَائِي بَقِيَّةً فَقَوِيَتْ بِهَا إِخْوَانِي ؛ فَقَالَ
أَحْمَرُ بْنُ شُمَيْطٍ مِبَادِرًا لَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَكْلَمُوهُ : يَا بَنِي هَمَامَ ، إِنْ كُنْتُ أَرَدْتُ
بِهَذَا الْقَوْلِ وَجْهَ اللَّهِ فَاطْلُبْ ثَوَابَكَ مِنَ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتُ إِنَّمَا اعْتَرَيْتَ بِهِ رِضَا
النَّاسِ وَطَلَبَ أَمْوَالِهِمْ ، فَاكْتَدِمِ الْجَنْدَلَ ؛ فَوَاللَّهِ مَا مَنَّ قَالَ قَوْلًا لَغَيْرِ اللَّهِ وَفِي
غَيْرِ ذَاتِ اللَّهِ بِأَهْلٍ أَنْ يُنْحَكَلَ ، وَلَا يُوصَلَ ؛ فَقَالَ لَهُ : عَضَضْتَ بِأَيْرِ أَبِيكَ !
فَرَفَعَ يَزِيدُ بْنُ أَنَسٍ السُّوطَ وَقَالَ لِابْنِ هَمَامَ : تَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ يَا فَاسِقُ !
وَقَالَ لِابْنِ شُمَيْطٍ : اضْرِبْهُ بِالسَّيْفِ ، فَرَفَعَ ابْنُ شُمَيْطٍ عَلَيْهِ السَّيْفَ (٣) وَثَبَّ
وَوَثَبَ أَصْحَابُهُمَا يَقْتُلُونَ عَلَى ابْنِ هَمَامَ . وَأَخَذَ بِيَدِهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْثَرِ فَأَلْقَاهُ
وَرَاءَهُ ، وَقَالَ : أَنَا لَهُ جَارٍ ، لَيْمَ تَأْتُونَ إِلَيْهِ مَا أَرَى ! فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَوَاصِلُ الْوَلَايَةِ ،
رَاضٍ بِمَا نَحْنُ عَلَيْهِ ، حَسَنَ الثَّنَاءِ ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَكْفُتُوهُ بِحَسَنِ ثَنَائِهِ ، فَلَا تَشْتُمُوا
عَرْضَهُ ، وَلَا تَسْفِكُوا دَمَهُ . وَوَثَبَتْ مَدْحَجٌ فَحَالَتْ دُونَهُ ، وَقَالُوا :
أَجَارَهُ ابْنُ الْأَشْثَرِ ، لَا وَاللَّهِ لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ . قَالَ : وَمِمَّ لَسْتَظْهُمُ
الْمُخْتَارَ (٤) ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ، وَأَوَّأَ بِيَدِهِ إِلَيْهِمْ ، أَنْ أَجْلَسُوا ، فَجَلَسُوا ، فَقَالَ لَهُمْ :
٦٤٠/٢ إِذَا قِيلَ لَكُمْ خَيْرٌ فاقْبَلُوهُ ، وَإِنْ قُدِّرَ لَكُمْ عَلَى مَكَاافَةٍ فافْعَلُوا ، وَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا

(١ - ١) ف : « دُونَ عَطِيَّةٍ صَاحِبِهِ وَقَالَ » . (٢) ف : « وَقَدْ » .

(٣) ف : « السَّيْفِ عَلَيْهِ » .

على مكافأة فتنصلوا ، واتقوا لسانَ الشاعر . فإنَّ شرَّه حاضر . وقوله فاجر ، وصنيعه بائر ، وهو بكم غداً غادر . فقالوا^(١) : أفلا تقتله ؟ قال : إنا قد آمنناه وأجرناه . وقد أجاره أخوكم إبراهيم بن الأشتر ، فجلس مع الناس . قال : ثمَّ إنَّ إبراهيم قام فانصرف إلى منزله فأعطاه ألفاً وفساً ومطراً فرجع بها وقال : لا والله ، لا جاورت هؤلاء أبداً . وأقبلت هوازنٌ وغضبت واجتمعت في المسجد غضباً لابن همام . فبعث إليهم المختار فسألهم أن يصفحوا عما اجتمعوا له ، ففعلوا ، وقال ابن همام لابن الأشتر يمدحه :

أطفأ عتَى نَارَ كَلْبَيْنِ أَلْبَا عَلَى الْكَلَابِ ذُو الْفِعَالِ ابْنُ مَالِكٍ
فَتَى حِينَ يَلْقَى الْخَيْلَ يَفْرُقُ بَيْنَهَا بَطْنِ دِرَّكِ أَوْ بِضَرْبِ مُوْاشِكٍ
وَقَدْ غَضِبْتَ لِي مِنْ هَوَازِنِ عَصْبَةٍ طَوَالِ الدَّرَا فِيهَا عَرَاضُ الْمَبَارِكِ
إِذَا ابْنُ شَمِيطٍ أَوْ يَزِيدٌ تَعَرَّضَا لَهَا وَقَعَا فِي مُسْتَحَارِ الْمَهَالِكِ^(٢) ٦٤١/٢
وَتَبِثْتُمْ عَلَيْنَا يَا مَوَالِي طَيِّئِ مَعَ ابْنِ شَمِيطٍ شَرِّ مَاشٍ وَرَاتِكِ^(٣)
وَأَعْظَمَ دِيَارٍ عَلَى اللَّهِ فِرْزَةً وَمَا مُفْتَرٍ طَاغَرَ كَاخَرَ نَاسِكِ
فِيَا عَجَباً مِنْ أَحْمَسَ ابْنَةِ أَحْمَسٍ^(٤) تَوَثَّبُ حَوْلِي بِالْقَنَا وَالنِّيَّازِكِ^(٥)
كَأَنَّكُمْ فِي الْعِزِّ قَبِيسٌ وَخَشَعٌ وَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا لَنَامٍ عَوَارِكِ^(٦)
وأقبل عبد الله بن شداد من الغد فجلس في المسجد يقول : علينا توثبُ بنو أسد وأحمس ! والله لا نرضى بهذا أبداً . فبلغ ذلك المختار ، فبعث إليه فدعاه ، ودعا بيزيد^(٧) بن أنس ويا بن^(٨) شميطة ، فحمد الله وأثنى عليه وقال^(٨) : يا بن شداد ، إنَّ الَّذِي فَعَلْتَ نَزْعَةٌ مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ ، فُتِبَ إِلَى اللَّهِ ، قَالَ : قَدْ تَبَّثْتُ ، وَقَالَ : إِنَّ هَذَيْنِ أَخَوَاكَ ، فَأَقْبِلْ إِلَيْهِمَا ، وَأَقْبِلْ مِنْهُمَا ، وَهَبْ لِي هَذَا الْأَمْرَ ، قَالَ : فَهُوَ لَكَ . وَكَانَ ابْنُ هَمَّامٍ قَدْ قَالَ قَصِيدَةً

(١) ف : « قالوا » .

(٢) الرثك : مشية فيها اعتزاز .

(٣) ف : « تولت قتال » .

(٤) ف : « يزيده » .

(٥) ف : « موقعات المهالك » .

(٦) ف : « وما عجب » .

(٧) ف : « وما أنتم غير الإماء العوارك » .

(٨) ف : « وأين » . (أ) ف : « ثم قال » .

أخرى في أمر المختار ، فقال :

أَصَحْتُ مُلَيَّمِي بَعْدَ طَوْلِ عِتَابٍ وَتَجَرَّمُ وَنَفَادٍ غَرَبِ شَبَابٍ
 قَدْ أَزْمَعْتُ بِصَرِيحِي وَتَجَنَّبِي ^(١) وَهَوِّكَ مُذْ ذَاكَ فِي إِعْتَابٍ ^(٢)
 لَمَّا رَأَيْتُ الْقَصْرَ أَعْلَقَ بَابُهُ وَتَوَكَّلْتُ هَمْدَانُ بِالْأَسْبَابِ ^(٣)
 ٦٤٢/٢ وَرَأَيْتُ أَصْحَابَ الدَّقِيقِ كَأَنَّهُمْ ^(٤) حَوْلَ الْبُيُوتِ ثَعَالِبُ الْأَسْرَابِ
 وَرَأَيْتُ أَبْوَابَ الْأَرْقَةِ حَوْلَنَا دَرَبْتُ بِكُلِّ هِرَاوَةٍ وَذُبَابِ
 أَبْقَنْتُ أَنَّ خِيُولَ شَيْعَةٍ رَاشِدٍ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا فَيْشٌ أَيْرٍ ذُبَابِ

[ذكر الخبر عن أمر المختار مع قتلة الحسين بالكوفة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وثب المختار بمن كان بالكوفة ^(٥) من قتيلة الحسين والمشايخين على قتله ، فقتل من قتل عليه منهم ، وهرب من الكوفة بعضهم ، فلم يقتل عليه .

* ذكر الخبر عن سبب وثوبه بهم وتسمية من قتل منهم ومن هرب فلم يقتل عليه منهم :

وكان سبب ذلك فيما ذكره هشام بن محمد ، عن عوانة بن الحكم أن مروان بن الحكم لما استوصفت له الشام بالطاعة ، بعث جيشين أحدهما إلى الحجاز عليه حبيش بن دبلج القتيبي وقد ذكرنا أمره وخبر مهلكه قبل — والآخر منهما إلى العراق عليهم عبيد الله بن زياد — وقد ذكرنا ما كان من أمره وأمر الثوابين من الشيعة بعين الورد — وكان مروان جعل لعبيد الله بن زياد إذ وجهه إلى العراق ما غلب عليه ، وأمره أن ينتهب الكوفة إذا هو ظفر بأهلها ثلاثاً . ٦٤٢/٢

قال عوانة : فرأى بأرض الجزيرة فاحتبس بها وبها قيس عيلان ^(٦) على

(١) ف : « هجرى وطول عتاب » . (٢) ف : « لا تجلن فلست من أصحاب » .

(٣) ف : « وتلق همدان باليوب » . (٤) ف : « أصحاب البيوت » .

(٥) ف : « في الكوفة » . (٦) ا : « قيس بن عيلان » .

طاعة ابن الزبير ، وقد كان مروانُ أصاب قيساً يوم مَرَجَ راحط
وهم مع الضحَّاك بن قيس مخالفين على مروان ، وعلى ابنه عبد الملك من بعده ،
فلم يزل عبيد الله مشتغلاً بهم عن العراق نحواً من سنة . ثمَّ إِنَّهُ أَقْبَلَ إِلَى
الموصل ، فكتب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس عاملُ المختار على الموصل إلى
المختار : أما بعد ، فإني أخبرك أيها الأمير أَنَّ عبيد الله بن زياد قد دخل أرضَ
الموصل ، وقد وجَّه قِبَلَ خَيْلِهِ وَرِجَالِهِ ، وَأَنِّي اتَّحَزْتُ إِلَى تَكْرِيتٍ حَتَّى
يَأْتِيَنِي رَأْيُكَ وَأَمْرُكَ ، والسلام عليك .

فكتب إليه المختار : أما بعد ، فقد بلغني كتابك ، وفهمتُ كُلَّ ما ذكرتَ
فيه ، فقد أصبَتْ بانحيازك إلى تكريت ، فلا تبرحنَّ مكانك الَّذِي أَنْتَ بِهِ
حَتَّى يَأْتِيَنَّكَ أَمْرِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، والسلام عليك .

قال هشام ، عن أبي مخنف : حدثني موسى بن عامر ، أَنَّ كِتَابَ
عبد الرحمن بن سعيد لَمْ يَرُدَّ عَلَى المختار بعث إلى يزيد بن أنس فدعاه ،
فقال له : يا يزيد بن أنس ، إِنَّ الْعَالِمَ لَيْسَ كَالْجَاهِلِ ، وَإِنَّ الْحَقَّ لَيْسَ
كَالْبَاطِلِ ، وَإِنِّي أَخْبَرْتُكَ خَبْرَ مَنْ لَمْ يَكْذِبْ وَلَمْ يَكْذَبْ ، وَلَمْ يُخَالِفْ وَلَمْ يَرْتَبْ ،
وإِنَّا الْمُؤْمِنُونَ الْمِيَامِينَ ، الْغَالِبُونَ الْمَسَالِمَ ، وَإِنَّكَ صَاحِبُ الْخَيْلِ الَّتِي تَجَرَّ
جَعَابُهَا ، وَتَضْمُرُ أَذْنَابُهَا ، حَتَّى تُورِدَهَا مَنَابِتَ الزَّيْتُونِ ، غَائِرَةً عِيُونُهَا ،
لَا حَقَّةَ بَطُونُهَا . انْخُرُجْ إِلَى الْمَوْصِلِ حَتَّى تَنْزَلَ أَدَانِيهَا ^(١) ، فَإِنِّي مَدَّكَ
بِالرَّجَالِ بَعْدَ الرَّجَالِ . فقال له يزيد بن أنس : مَرَحَ مَعِيَ ثَلَاثَةُ آلَافٍ فَارِسَ ٦٤٤/٢
أَتَخْبِئُهُمْ ، وَخَلَّتْهُ وَالْفَرْجُ الَّذِي تَوَجَّهْنَا إِلَيْهِ ، فَإِنْ احْتَجَجْتُ إِلَى الرَّجَالِ
فَسَاكِبَ إِلَيْكَ ؛ قَالَ لَهُ ^(٢) الْمُخْتَارُ : فَانْخُرُجْ فَانْتَخِبْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ مَنْ أَحْبَبْتَ ^(٣) .
فخرج فانتخب ثلاثة آلاف فارس ، فجعل على رُبْعِ الْمَدِينَةِ النُّعْمَانَ بْنَ
عَوْفِ بْنِ أَبِي جَابِرِ الْأَزْدِيِّ ، وعلى رُبْعِ تَمِيمٍ وَهْمَانَ عَاصِمَ بْنَ قَيْسِ بْنِ حَبِيبٍ
الْهَمْدَانِيَّ ، وعلى مَدَنَ حِجٍّ وَأَسَدَ وَرَقَاءَ بْنَ عَازِبِ الْأَسَدِيِّ ، وعلى رُبْعِ رُبْعَةٍ
وَكُنْدَةَ سَعْرَ بْنَ أَبِي سَعْرٍ الْخَنْزِيِّ .

ثمَّ إِنَّهُ فَصَلَ مِنَ الْكُوفَةِ ، فَخَرَجَ وَخَرَجَ مَعَهُ الْمُخْتَارُ وَالنَّاسُ يَشْتَبِعُونَهُ ، فَلَمَّا
(١) ف : «بأدانيها» . (٢) ف : «وقال» . (٣) ف : «ثلاثة آلاف من أحببت» .

بلغ دير أبي موسى ودعه المختار وانصرف ، ثم قال له : إذا لقيت عدوك فلا تنظرهم ، وإذا أمكنتك الفرصة فلا تؤخرها ، وليكن خبرك في كل يوم عندي ، وإن احتجت^(١) إلى مدد فاكتب إلى مع أي مُمددك ولو لم تستمدد ، فإنه أشدّ لعَضْبِكَ ، وأعزّ لجُنْدِكَ ، وأرعب لعدوك . فقال له يزيد بن أنس : لا تمدني إلا بدعائك ، فكفى به مدداً . وقال له الناس : صحبك الله وأذاك وأبدك^(٢) . وودعه . فقال لهم يزيد : سلوا الله لي الشهادة ، وإيم الله لن لقيتهم ففاتني النصر لا تفتني الشهادة إن شاء الله . فكتب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس : أما بعد ، فخل بين يزيد وبين البلاد إن شاء الله ، والسلام عليك . فخرج يزيد بن أنس بالناس حتى بات بسوراً ، ثم غدا بهم سائراً حتى بات بهم بالملائن ، فشكا الناس إليه^(٣) ما دخلهم من شدة السير عليهم ، فأقام بها يوماً وليلة . ثم إنه اعترض بهم أرض جَوْحَى حتى خرج بهم في الراذانات ، حتى قطع بهم إلى أرض الموصل ، فنزلت بينات تلي ، وبلغ مكانه ومنزلته الذي نزل به عبيد الله بن زياد ، فسأل عن عدتهم ، فأخبرته عيونه أنه خرج معه من الكوفة ثلاثة آلاف فارس ، فقال عبيد الله : فانا أبعث إلى كل ألف ألفين . ودعا ربيعة بن المخارق الضويّ وعبد الله بن حملة الخثعمي ، فبعثهما في ثلاثة آلاف ثلاث آلاف ، وبعث ربيعة بن المخارق أولاً ، ثم مكث يوماً ، ثم بعث خلفه عبد الله بن حملة ، ثم كتب إليهما : أيكما سبق فهو أمير على صاحبه . وإن انتهيتما جميعاً فأكبركما سناً أميراً على صاحبه والجماعة . قال : فسبق ربيعة بن المخارق فنزل بيزيد بن أنس وهو بينات تلي ، فخرج إليه يزيد بن أنس وهو مريض مضطرب .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الصلت ، عن أبي سعيد الصيقل ، قال : خرج علينا يزيد بن أنس وهو مريض على حمار يمشي معه الرجال يمسكونه عن يمينه وعن شماله ، بفضذه وعضديه وجنبه ، فجعل يقف على الأربع :

(٢) ف : « وأبدك وأذاك سالماً غانماً » .

(١) ف : « وإذا أحتجت » .

(٢) ف : « فشكا إليه الناس » .

رُبْع رَج (١) ويقول : يا شرطه الله ، اصبروا تُؤَجِّرُوا ، وصابروا عدوكم
تظفروا ، وقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ، إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ، إِنَّ
هَلَكْتَ فَأَمِيرُكُمْ وِرْقَاءَ بْنِ عَازِبِ الْأَسَدِيِّ ، فَإِنْ هَلَكْتَ فَأَمِيرُكُمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
ضَمْرَةَ الْعَدْرِيِّ ، فَإِنْ هَلَكْتَ فَأَمِيرُكُمْ سَعْدُ بْنُ أَبِي سَعْدٍ الْحَنْفِيُّ . قَالَ :
وَأَنَا وَاللَّهِ فِيمَنْ يَمْشِي مَعَهُ وَتُؤَمِّنُكَ بِعَقْدِهِ وَيَدُهُ ، وَإِنِّي لَأَعْرِفُ فِي وَجْهِهِ
أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ نَزَلَ بِهِ . قَالَ : فَجَعَلَ يَزِيدُ بْنُ أَنَسٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ ضَمْرَةَ
الْعَدْرِيَّ عَلَى مِمْنتِهِ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي سَعْدٍ عَلَى مِيسَرَتِهِ ، وَجَعَلَ وِرْقَاءَ بْنَ عَازِبِ
الْأَسَدِيِّ عَلَى الْخَيْلِ ، وَنَزَلَ هُوَ فَوْضَعَ بَيْنَ الرِّجَالِ عَلَى السَّرِيرِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ :
ابْرِزُوا لَكُمْ بِالْعَرَاءِ ، وَقَدْ مَوْنَى فِي الرِّجَالِ ، ثُمَّ إِنْ شِئْتُمْ فَقَاتِلُوا عَنْ أَمِيرِكُمْ ،
وَإِنْ شِئْتُمْ فَفَرُّوا عَنْهُ . قَالَ : فَأَخْرَجْنَاهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ يَوْمَ عَرَفَةَ سَنَةَ سِتٍّ
وَسِتِينَ ، فَأَخَذْنَا نُسْمَكَ أَحْيَانًا بَظَهْرِهِ فَيَقُولُ : اصْنَعُوا كَذَا ، اصْنَعُوا كَذَا ،
وَأَفْعَلُوا كَذَا ، فَيَأْمُرُ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ لَا يَكُونُ بِأَسْرَعِ مَنْ أَنْ يَقْلِبَهُ الْوَجْهُ فَيُوضِعَ هُنَيْشَهُ
وَيَقْتَتِلَ النَّاسَ . وَذَلِكَ عِنْدَ شَفَقِ الصَّبَاحِ قَبْلَ شُرُوقِ الشَّمْسِ . قَالَ : فَحَمَلْتُ
مِيسَرَتَهُمْ عَلَى مِمْنَيْنَا ، فَاشْتَدَّ قِتَالُهُمْ ، وَتَحَمَّلَ مِيسَرَتُنَا عَلَى مِمْنَتِهِمْ
فَفَهَزَمَاهُ (٢) ، وَتَحَمَّلَ وِرْقَاءَ بْنُ عَازِبِ الْأَسَدِيِّ فِي الْخَيْلِ فَهَزَمَهُمْ ، فَلَمْ
يَرْتَفِعِ الضُّحَى حَتَّى هَزَمْنَاهُمْ ، وَحَوَّيْنَا عَسَاكِرَهُمْ .

قَالَ أَبُو غَنْفٍ : وَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَامِرِ الْعَدَوِيِّ ، قَالَ : انْتَهَيْنَا إِلَى رُبْعَةِ
ابْنِ الْخَارِقِ صَاحِبِهِمْ ، وَقَدْ انْهَزَمَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَهُوَ نَازِلٌ (٣) يَنَادِي : يَا أَوْلِيَاءَ
الْحَقِّ ، وَيَا أَهْلَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، إِلَيَّ أَنَا ابْنُ الْخَارِقِ ، قَالَ مُوسَى : فَأَمَّا
أَنَا فَكُنْتُ غَلَامًا حَدَدًا ، فَهَيْئَتُهُ وَوَقْفَتُهُ ، وَتَحَمَّلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
وِرْقَاءَ الْأَسَدِيِّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ ضَمْرَةَ الْعَدْرِيِّ ، فَقَتَلَاهُ .

قَالَ أَبُو غَنْفٍ : وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ أَبُو كَيْشَةَ الْقَيْنِيُّ ، قَالَ : ٦٤٧/٢
كُنْتُ غَلَامًا حِينَ رَاهَقْتُ مَعَ أَحَدِ عُمُوئِي فِي ذَلِكَ الْعَسْكَرِ ، فَلَمَّا نَزَلْنَا
بِعَسْكَرِ الْكُوفِيِّينَ عَبَاْنَا رُبْعَةَ ابْنَ الْخَارِقِ فَأَحْسَنَ التَّعْبَةَ ، وَجَعَلَ عَلَى مِمْنتِهِ ابْنَ

(١) : « رُبْعًا رَجًا » . (٢) : « فَهَزَمْنَاهُ » . (٣) : « بَارَكُ » .

أخيه ، وعلى ميسرته عبد ربّه السلمي ، وخرج هو في الخيل والرجال وقال : يا أهل الشام ، إنكم إنما تقاتلون العبيد الأتباع ، وقوماً قد تركوا الإسلام وخرجوا منه ، ليست لهم تقيّة ، ولا ينطقون بالعربيّة ؛ قال : فوالله إن كنت لأحسب أن ذلك كذلك حتّى قاتلناهم ؛ قال : فوالله ما هو إلّا أن اقتتل الناس إذا رجل من أهل العراق يعترض الناس بسيفه وهو يقول :

بَرِثْتُ مِنْ دِينِ الْمُحْكَمِينَ وَذَلِكَ فِينَا شَرُّ دِينٍ دِينًا
ثُمَّ إِنِّ قَاتَلْنَا وَقَاتَلَهُمْ أَشَدَّ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ ، ثُمَّ لَإِنْهُمْ هَزَمُونَا حِينَ
ارْتَفَعَ الضُّحَى فَقَتَلُوا صَاحِبَنَا ، وَحَوَّوْا عَسْكَرَنَا ، فَخَرَجْنَا مِنْهُمْ حَتَّى
تَلَقَّانَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمَلَةَ عَلَى مَسِيرَةِ سَاعَةٍ مِنْ تِلْكَ الْقَرْيَةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا بَنَات
تَلَى ، فَرَدَّنَا ، فَأَقْبَلْنَا مَعَهُ حَتَّى نَزَلَ بِبَزِيدِ بْنِ أَنَسٍ ، فَبِتْنَا مُتَحَارِسِينَ
حَتَّى أَصْبَحْنَا فَصَلَّيْنَا الْغَدَاةَ ، ثُمَّ نَخَرَجْنَا عَلَى تَعْبَةِ حَسَنَةَ ، فَجَعَلَ عَلَى
مِيمَنَةِ الزَّيْبِ بْنِ خُزَيْمَةَ^(١) ، مِنْ خُضْعَمٍ ، وَعَلَى مِيسَرَتِهِ ابْنُ أَقْبِصِرَ الْقَحَافِ مِنْ
خُضْعَمٍ ، وَتَقَدَّمَ فِي الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَضْحَى ، فَأَقْتَلْنَا قَتَالًا شَدِيدًا ،
ثُمَّ لَإِنْهُمْ هَزَمُونَا هَزِيمَةً قَبِيحَةً ، وَقَتَلُونَا قَتَالًا ذَرِيعًا ، وَحَوَّوْا عَسْكَرَنَا ، وَأَقْبَلْنَا
حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَحُدِّثْنَاهُ بِمَا لَقِينَا .

٦٤٨/٢ قال أبو مخنف : وحديثي موسى بن عامر ، قال : أقبل إلينا عبد الله بن
حملة الخثعمي ، فاستقبل فل ربعة بن المخارق الغنوي فردهم ، ثم جاء حتّى
نزل بنات تلى ، فلما أصبح غادوا وغادينا ، فتطاردت الخيلان من أول النهار ،
ثم انصرفوا وانصرفنا حتّى إذا صلّينا الظهر نخرجنا فاقتلنا ، ثم هزمناهم .
قال : ونزل عبد الله بن حملة فأخذ ينادى أصحابه : الكثرة بعد الفرّة ، يا أهل
السمع والطاعة ، فحمل عليه عبد الله بن قراد الخثعمي فقتله ، وحوينا
عسكرهم وما فيه ، وأتى يزيد بن أنس بثلاثمائة أسير وهو في السوق ، فأخذ
يؤيئ بيده أن اضربوا أعناقهم ، فقتلوا من عند آخرهم .

وقال يزيد بن أنس : إن هلك فأميركم ورقاء بن عازب الأسدي ، فإ
أمسى حتّى مات ، فصلّى عليه ورقاء بن عازب ودقنّه ، فلما رأى ذلك
أصحابه أسقط في أيديهم ، وكسّر موته قلوب أصحابه ، وأخذوا في دفنه ،

(١) كذا في ١ ، وفي ط من غير نقت .

فقال لهم ورقاء : يا قوم ، ماذا ترون ؟ إنَّه قد بلغنى أنَّ عبيد الله بن زياد قد أقبل إلينا في ثمانين ألفاً من أهل الشام ، فأخذوا يتسلَّلون ويرجعون . ثم إنَّ ورقاء دعا رؤوس الأرباع وفُرسان أصحابه فقال لهم : يا هؤلاء ، ماذا ترون فيما أخبرتكم ؟ إنَّما أنا رجل منكم ، وليست بأفضلكم رأياً ، فأشيروا علىَّ ، فإنَّ ابن زياد قد جاءكم في جُنْد أهل الشام الأعظم ، وبجُلَّتْهم وفُرسانهم وأشرافهم ، ولا أرى لنا ولكم بهم طاقةً على هذه الحال ، وقد هلك يزيدُ بن أنس أميرنا ، وتفرقت عنَّا طائفةٌ مِنَّا ، فلو انصرفنا اليومَ من ٦٤٩/٢ تلقاء أنفسنا قبل أن تلقاهم ، وقيلَ أن تبُلِّغهم ، فيعلِّموا أنَّنا إنَّما ردُّنا عنهم هلاكُ صاحبنا ، فلا يزالوا لنا هائبين لقتلنا منهم أميرهم ! ولأنَّنا إنَّما نعتلُّ لانصرافنا بموت صاحبنا . وإنَّنا إن لقيناهم اليومَ كنَّا مخاطرين ، فإن هُزِمنا اليومَ لم تنفعنا هزيمتنا لإيَّاهم من قبل اليوم . قالوا : فإنَّك نعماً رأيت ، انصرفَ رحمك الله . فانصرف ، فبلغ مُنصرِفُهُم ذلك المختارَ وأهل الكوفة ، فأرَّجف الناسُ ، ولم يعلموا كيف كان الأمرُ أنَّ يزيدَ بن أنس هلك ، وأنَّ الناسَ هُزِموا ، فبعث إلى المختار عامله على المدائن عيناً له من أنباط السواد فأخبره الخبر ، فدعا المختارُ إبراهيمَ بن الأشتر فعقَّده له على سبعة آلاف رجل ، ثم قال له : سرَّ حتى إذا أنت لقيتَ جيشَ ابن أنس فارددهم معك ، ثمَّ سرَّ حتى تلقىَ علوك فتناجزهم . فخرج إبراهيم فوضَّع عسكره بحمام أعين .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو زهير النضر بن صالح ، قال : لمَّا مات يزيد أنس التقيَ أشرافُ الناس بالكوفة فأرَّجفوا بالمختار وقالوا : قتلَ يزيد بن أنس ، ولم يصدقوا أنَّه مات ، وأخذوا يقولون : والله لقد تأمَّر علينا هذا الرجلَ بغير رضا مِنَّا ، ولقد أدنى موالينا ، فحملتهم على الدواب ، وأعطاهم وأطعمهم فيثنا ، ولقد عصتنا عبيدنا ، فحربَ بلك أيتامنا وأراملنا . فاتَّبعوا منزلَ شبَّث بن ربيِّ وقالوا : نجتمع في منزلِ شيخنا - وكان شُبَّث جاهلياً إسلامياً - فاجتمعوا فاتَّبعوا منزلَه ، فصلَّى بأصحابه ، ثمَّ تلاكروا هذا النحو من الحديث ٦٥٠/٢ قال : ولم يكن فيما أحدث المختارُ عليهم شيء هو أعظمُ من أن يجعل للموالى

الفتى نصيباً - فقال لهم شَبَّتْ: دعوني حتى ألقاه ؛ فذهب فلقيه ، فلم يدع شيئاً مما أنكره أصحابه إلا وقد ذاكروه إياه ، فأخذ لا يذكر خصلة إلا قال له المختار : أرضيهم في هذه الخصلة ، وآتي كل شيء أحبوا ؛ قال : فذكر الممالك ؛ قال : فأنا أردت عليهم عيدهم ، فذكر له الموالى ، فقال : عدت إلى موالينا ، وهم في أفاء الله علينا وهذه البلاد جميعاً فأعتقنا رقابهم ، نأمل الأجر في ذلك والثواب والشكر ، فلم ترخص لهم بذلك حتى جعلتهم شركاءنا في فيتنا ؛ فقال لهم المختار : إن أنا تركت لكم مواليكم ، وجعلت فيبتكم فيكم ، أتقاتلون معي بنى أمية وابن الزبير ، وتعطون على الوفاء بذلك عهد الله وميثاقه ، وما أطمئن إليه من الأيمان ؟ فقال شَبَّتْ : ما أدري حتى أخرج إلى أصحابي فإذا كرمهم ذلك ، فخرج فلم يرجع إلى المختار . قال : وأجمع رأي أشراف أهل الكوفة على قتال المختار .

قال أبو مخنف : حدثني قدامة بن حوشب ، قال : جاء شَبَّتْ ابن ربيعة وشمر بن ذى الجوشن ومحمد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس حتى دخلوا على كعب بن أبي كعب الخثعمي ، فتكلم شَبَّتْ ، فحَمِدَ الله وأثنى عليه ، ثم أخبره باجتماع رأيهم على قتال المختار ، وسأله أن يجيبهم إلى ذلك ، وقال فيما يعيب به المختار : إنه تأمر علينا بغير رضا منا ، وزعم أن ابن الحنفية بعث إلينا ، وقد علمنا أن ابن الحنفية لم يفعل ، وأطعم موالينا فيتنا . وأخذ عبيدنا ، فحرب بهم يتامانا وأراملنا ، وأظهر هو وسببته البراءة من أسلافنا الصالحين . قال : فرحب بهم كعب بن أبي كعب . وأجابهم إلى ما دَعَوَهُ إليه .

قال أبو مخنف : حدثني أبي يحيى بن سعيد أن أشراف أهل الكوفة قد كانوا دخلوا على عبد الرحمن بن غنم ، فدعوه إلى أن يجيبهم إلى قتال المختار ، فقال لهم : يا هؤلاء ، إنكم إن أبيتم إلا أن تخرجوا لم أخذ لكم ، وإن أنتم أطعتموني لم تخرجوا . فقالوا : لِمَ ؟ قال : لأني أخاف أن تنفروا وتختلفوا وتتخاذلوا ؛ ومع الرجل والله شجعاً وكم وفرسانكم من أنفسكم ؛ أليس

معه فلان وفلان ! ثمّ معه عبيدكم ومواليكم ، وكلمة هؤلاء واحدة . وعبيدكم ومواليكم أشدّ حنقاً عليكم من عدوكم ، فهو مقاتلكم بشجاعة العرب ، وعداوة العجم ، وإن انتظروهم قليلاً كفّيتموه بقلوم أهل الشام ، أو ينجى أهل البصرة ، فتكونوا قد كفّيتموه بغيركم ، ولم تجعلوا بأسمكم بينكم ؛ قالوا : نَشْشِدُكَ الله أن نخالفنا ، وأن تُفسد علينا رأينا وما قد اجتمعت عليه جماعتنا . قال : فأنا رجل منكم ، فإذا شئتم فآخروا . فسار بعضهم إلى بعض وقالوا : انتظروا حتّى يذهب عنه إبراهيم بن الأشتر ؛ قال : فأهلوا حتّى إذا بلغ ابن الأشتر سبأط ، وثبوا بالختار . قال : فخرج عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس الهمدانيّ في همدان في جبال السبيّ ، وخرج زحر بن قيس الجعفيّ وإسحاق بن محمد بن الأشعث في جبال كندة .

قال هشام : فحدثني سليمان بن محمد الحضرميّ ، قال : خرج إليهم جبير الحضرميّ فقال لهما : أنخرجنا عن جبالتنا ، فإنّا نكره أن نُعرى ١٥٢/٢ بشر ؛ فقال له إسحاق بن محمد : وجبالتكم هي ؟ قال : نعم ، فأنصرفوا عنه ؛ وخرج كعب بن أبي كعب الخثعميّ في جبال بيشر ، وسار بشير بن جرير بن عبد الله إليهم في بجيلية ، وخرج عبد الرحمن بن مخنف في جبال مخنف ، وسار إسحاق بن محمد وزحر بن قيس إلى عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس بجبال السبيّ ، وسارت بجيلية وختعم إلى عبد الرحمن ابن مخنف وهو بالأزد . وبلغ الذين في جبال السبيّ أن المختار قد عبأ لهم خيلاً ليسير إليهم . فبعثوا الرسل يتلو بعضها بعضاً إلى الأزد وبجيلية وختعم ، يسألونهم بالله والرحم لما عجلوا إليهم . فساروا إليهم واجتمعوا جميعاً في جبال السبيّ ، ولما أن بلغ ذلك المختار مرّة اجتماعهم في مكان واحد ، وخرج شمر بن ذى الجوشن حتّى نزل بجبال بني سكول في قيس ، ونزل شبيب بن ربيعيّ وحسان بن فائد العبسيّ وربيعه بن ثروان الضبيّ في مُصَرّ بالكُناسة ، ونزل حجار بن أبهر ويزيد بن الحارث بن رؤيم في ربيعة فبا بين التمارين والسببخة ، ونزل عمرو بن الحمّاج الزبيديّ في جبال مُراد بمن تبعه من مدحج ، فبعث إليه أهل اليمن : أن اتنا . فأبى أن يأتيهم

وقال لهم : جدّوا ، فكأنّى قد أتيتكم . قال : وبعث المختار رسولا من يومه يقال له عمرو بن تَوْبَةَ بالرّمكص إلى إبراهيم بن الأشتر وهو بساباط ألا تضع كتابي من يدك حتّى تُقبِلَ بجميع من مَعَكَ إلى . قال : وبعث إليهم المختار في ذلك اليوم : أنبروني ما تريدون ؟ فإني صانع كلّ ما أحببت ، فقالوا : فإنّا نريد أن تعزّز لنا ، فإنّك زعمت أنّ ابنَ الحنفية بعثك ولم يبعثك . فأرسل إليهم المختار أن ابعثوا إليه من قبلكم وقدّا ، وأبعثُ إليه من قبلي وقدّا ، ثمّ انظروا في ذلك حتّى تستبينوه ، وهو يريد أن يرثيهم بهذه المقالة ليقدّم عليه إبراهيم بن الأشتر ، وقد أمر أصحابه فكفّوا أيديهم ، وقد أخذ أهل الكوفة عليهم بأفواه السكك ، فليس شيء يصل إلى المختار ولا إلى أصحابه من الماء إلّا القليل الوثع^(١) ، بحيثهم إذا غفلوا عنه . قال : وخرج عبدُ الله بن مسبيع في الميدان ، فقاتلته شاكرا قتالا شديداً ، فجاءه عُقبة بن طارق الجشمي فقاتل معه ساعة حتّى ردّ عاديتهم عنه ، ثمّ أقبلّا على حاميتهما سيران حتّى نزل عُقبة بن طارق مع قيس في جبانة بني سكلول ، وجاء عبد الله بن مسبيع حتّى نزل مع أهل اليمن في جبانة السبيع .

قال أبو مخنف : حدثني يونس بن أبي إسحاق ، أنّ شمر بن ذي الجوشن أتى أهل اليمن فقال لهم : إن اجتمعتم في مكان نجعل فيه مجنبتين ونقاتل من وجه واحد فأنا صاحبكم ، وإلا فلا ، والله لا أقاتل في مثل هذا المكان في سيكك ضيقة ، ونقاتل من غير وجه . فانصرف إلى جماعة قومه في جبانة بني سكلول . قال : ولمّا خرج رسولُ المختار إلى ابن الأشتر بلغه من يومه عشبة ، فنادى في الناس : أن ارجعوا إلى الكوفة ، فسار بقيّة عشبته تلك ، ثمّ نزل حين أمسى ، فتعشى أصحابه ، وأراحوا اللواب شيئا كلا شيء ، ثمّ نادى في الناس ، فسار ليلته كلّها ، ثمّ صلّى الغداة بسورا ، ثمّ سار من يومه فصلّى العصر على باب الجسر من الغد ، ثمّ إنّّه جاء حتى بات ليلته في المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة والجسّد ، حتّى إذا كان صبيحة اليوم الثالث من مُخَرَجِهِمْ على المختار ، خرج المختار إلى

(١) الوثع : القليل من كل شيء .

المنبر فصعده .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو جناب الكلبي أن شبيب بن ربيعة بعث إليه ابنه عبد المؤمن فقال : إننا نحن عشيرتك ، وكف يمينك ، لا والله لا نقاتلك ، ففق بذلك متاً ، وكان رأيهُ قتاله ، ولكنه كاده . ولما أن اجتمع أهل اليمس بجبانة السبيع حضرت الصلاة ، فكبره كل رأس من رؤوس أهل اليمن أن يتقدمه صاحبه ، فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف : هذا أول الاختلاف ، قدموا الرضا فيكم ، فإن في عشيرتكم سيداً قرأه أهل مصر ، فليصل بكم رفاعه بن شداد الفتاني من بحيلة ، ففعلوا ، فلم يزل يصلّي بهم حتى كانت الوقعة .

قال أبو مخنف : وحدثني وازع بن السري أن أنس بن عمرو الأزدي انطلق فدخل في أهل اليمن ، ومعههم وهم يقولون : إن سار المختار إلى إخواننا من مضر سرنا إليهم ، وإن سار إلينا ساروا إلينا ، فسمِعها منهم رجل ، وأقبل جواداً حتى صعد إلى المختار على المنبر ، فأخبره بمقاتلتهم ، فقال : أما ١٥٥/٢ هم فخلّسوا لو مَرْتُ إلى مضر أن يسروا إليهم ، وأما أهل اليمس فاشهد . لأن مَرْتُ إليهم لا تسير إليهم مضر ، فكان بعد ذلك يدعو ذلك الرجل ويكرمه . ثم إن المختار نزل فعبأ أصحابه في السوق - والسوق إذ ذاك ليس فيها هذا البناء - فقال لإبراهيم بن الأشتر : إلى أي الفريقين أحب إليك أن تسير ؟ فقال : إلى أي الفريقين أحببت ، فنظر المختار - وكان ذا رأي ، فكره أن يسير إلى قومه فلا يبالغ في قتالهم - فقال : سرّ إلى مضر بالكُناسة وعليهم شبيب بن ربيعة ومحمد بن عير بن عطارد ، وأنا أسير إلى أهل اليمس .

قال : ولم يزل المختار يُعرف بشدة النفس ، وقلة البقيّة على أهل اليمن وغيرهم إذا ظفر ، فسار إبراهيم بن الأشتر إلى الكُناسة ، وصار المختار إلى جبانة السبيع ، فوقف المختار عند دار عُمَر بن سعد بن أبي وقاص ، وصرح بين أيديه أحمر بن شميطة البجلي ثم الأحمسي ، وصرح عبد الله بن كامل الشاكري ، وقال لابن شميطة : الزم هذه السكة حتى^(١) تخرج إلى أهل

جَبَّانَةُ السَّبِيْعِ مِنْ بَيْنِ دُورِ قَوْمِكَ . وَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَامِلٍ : الزَّيْمُ هَذِهِ
السَّكَّةُ حَتَّى تَخْرُجَ عَلَى جَبَّانَةِ السَّبِيْعِ مِنْ دَارِ آلِ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ ،
وَدَعَاَهَا فَأَمْسَرَ إِلَيْهَا أَنَّ شَيْئًا قَدْ بَعَثْتُ تُخْبِرُنِي أَنَّهُمْ قَدْ أَتَوْا الْقَوْمَ مِنْ
وَرَائِهِمْ ، فَمَضَى (١) فَسَلَكَ الطَّرِيقَيْنِ اللَّذَيْنِ (٢) أَمْرُهُمَا بِهِمَا (٣) ، وَبَلَغَ أَهْلَ الْيَمَنِ
٦٥١/٢ مَسِيرَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْهِمْ ، فَاقْتَسَمَا تَبَيَّنَكَ السَّكَّتَيْنِ ، فَأَمَّا السَّكَّةُ الَّتِي فِي
دَهْرٍ مَسْجِدٍ أَحْمَسَ فَإِنَّهُ وَقَفَ فِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ قَيْسِ الْهَمْدَانِيِّ
وَأِسْحَاقُ بْنُ الْأَشْعَثِ وَزَحْرُ بْنُ قَيْسٍ ، وَأَمَّا السَّكَّةُ الَّتِي تَلَى الْغُرَاتَ فَإِنَّهُ
وَقَفَ فِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خُنْفٍ ، وَبِشْرِ بْنِ جَرِيرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَعْبُ بْنُ
أَبِي كَعْبٍ . ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اقْتَلَوْا كَأَشَدَّ قِتَالٍ اقْتَتَلَ قَوْمٌ . ثُمَّ إِنَّ أَصْحَابَ (٤)
أَحْمَرَ بْنَ شُمَيْطٍ انْكَشَفُوا وَأَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَامِلٍ أَيْضًا ، فَلَمْ يُرْعَ الْخِتَارُ
إِلَّا وَقَدْ جَاءَهُ الْفَسَلُ قَدْ أَقْبَلَ ، فَقَالَ : مَا وَرَاءَكُمْ ؟ قَالُوا : هُزِمْنَا ، قَالَ : فَمَا فَعَلَ
أَحْمَرَ بْنُ شُمَيْطٍ ؟ قَالُوا : تَرَكْنَاهُ قَدْ نَزَلَ عِنْدَ مَسْجِدِ الْقَصَاصِ — يَعْنُونَ
مَسْجِدَ أَبِي دَاوُدَ فِي وَادِعَةٍ ، وَكَانَ يَعْتَادُهُ رِجَالُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ يَقْصُونَ
فِيهِ ، وَقَدْ نَزَلَ مَعَهُ أَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ — وَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ : مَا نَدْرِي
مَا فَعَلَ ابْنُ كَامِلٍ ! فَصَاحَ بِهِمْ : أَنْ انْصَرِفُوا . ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِمْ حَتَّى انْتَهَى
إِلَى دَارِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجُدَلِيِّ ، وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُرَادٍ الْخُثَعَمِيُّ — وَكَانَ عَلَى
أَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ — فَقَالَ : سِرُّ فِي أَصْحَابِكَ إِلَى ابْنِ كَامِلٍ ، فَإِنَّ
يَكْ هَلَكَ فَأَنْتَ مَكَانُهُ ، فَقَاتَلَ الْقَوْمَ بِأَصْحَابِكَ وَأَصْحَابِهِ ، وَإِنْ تَجَدَّه حَيًّا
صَالِحًا فَسَرِّ فِي مِائَةِ مِنْ أَصْحَابِكَ كُلَّهُمْ فَارْصُ ، وَادْفَعْ إِلَيْهِ بَقِيَّةَ أَصْحَابِكَ ،
وَمَرَّ (٥) بِالْجُدَّةِ مَعَهُ وَالْمَنَاصِحَةُ لَهُ ، فَلِئْلَهِمْ لِئِنَّمَا يَنَاصِحُونَنِي ، وَمَنْ نَاصِحَنِي
فَلْيَبْشِرْ ، ثُمَّ امْضِ فِي الْمِائَةِ حَتَّى تَأْتِيَ أَهْلَ جَبَّانَةِ السَّبِيْعِ مِمَّا يَلِي حِمَامَ قَطَنَ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ . فَضَى فَوْجُهُ ابْنُ كَامِلٍ وَاقْعًا عِنْدَ حِمَامَ عَمْرُو بْنِ حُرَيْثٍ

(١ - ١) ف : « وَسَلَكَ الطَّرِيقَ الَّذِي » .

(٢) ف : « وَبِهِ » .

(٣) ف : « وَإِنَّ أَصْحَابَ أَحْمَرَ » .

(٤) ف : « وَأَمْرُهُ » .

معه أناس^(١) من أصحابه قد صبروا ، وهو يقاتل القوم ، فلدغ إليه ثلثمائة ٦٥٧/٢ من أصحابه ثم مضى حتى نزل إلى جبالَةِ السَّبْع .

ثم أخذ في تلك السكك حتى انتهى إلى مسجد عبد القيس ، فوقف عنده ، وقال لأصحابه : ما ترون؟^(٢) قالوا : أمرنا لأمرِكَ تَسَبُّع^(٣) وكل من كان معه من حاشد من قومه وهم مائة ، فقال لهم : والله إنِّي لأحبُّ أن يَظْهَرَ المختار ، والله إنِّي لكارهٌ أن يَهْلِكَ أشرافُ عشيرتي اليوم ، والله لأن أموت أحبُّ إلى من أن يَحِلَّ بهم الملاك على يدي ، ولكن قِفوا قليلا فإنِّي قد سمعتُ شيئا يزعمون أنَّهم سيأتونهم^(٤) من ورائهم ، ففعل شيئا ما تكون هي تفعل ذلك ، ونُعَافِي نحن منه . قال له أصحابه : فرأيكَ . فثبت كما هو عند مسجد عبد القيس ، وبعث المختارُ مالك بن عمرو النهدي في مائتي رجل - وكان من أشد الناس بأسا - وبعث عبد الله بن شريك النهدي في مائتي فارس إلى أحمر بن شميطة ، وثبت مكانه ، فأتوها إليه وقد علاه القوم وكشروه ، فاقتتلوا عند ذلك كأشد القتال ، ومضى ابن الأشتر حتى لقي شَبَث بن رِيحى . وأُناشِمعه من مضر كثيرًا ، وفيهم حسان بن قائد العيسى ، فقال لهم إبراهيم : وَيَحْكُمُ ! انصرفوا ، فوالله ما أحبُّ أن يصاب أحد من مضرٍ على يدي ، فلا تُهْلِكُوا أنفسكم ، فأبوا ، فقاتلوه فهزمهم ، واحتمل حسان بن قائد إلى أهله ، فمات حين أدخل إليهم ، وقد كان وهو على فراشه قبل موته أفاق إفاقة فقال : أما والله ما كنت أحبُّ أن أعيشَ من جراحتي هذه ، وما كنت أحبُّ أن تكون مني إلا بطعنة رمح ، أو بضربة بالسيف ، فلم يتكلم بعدها كلمة^(٥) حتى مات . وجاءت البشري من قبلة^(٦) إلى أحمر بن شميطة وإلى ابن مضر ، فبعث المختار البشري من قبلة^(٥) إلى أحمر بن شميطة وإلى ابن كامل ، فالتأَس^(٦) على أحوالهم كل أهل مكَّة منهم قد أغنت ما يلها . قال : فاجتمع شيبام^(٧) وقد رأسوا عليهم أبا القلوص ، وقد أجمعوا

٦٥٨/٢

(١) ف : « ناس » . (٢-٢) ف : « قالوا : أمرنا أمرَكَ ونحن نك تَب » .

(٣) ف : « أن سيأتونهم » . (٤) ف : « بكلمة » .

(٥) ف : « من قبلة البشري » . (٦) ف : « والتأس » .

(٧) ف : « فاجتمع » .

واجتمعوا بأن يأتوا أهل اليمن من ورائهم ، فقال بعضهم لبعض : أما والله لو جعلتم جِدَّكُمْ ^(١) هذا على من خالفكم من غيركم لكان أصَوَّب ، فسيروا إلى مضر أو إلى ربيعة ^(٢) فقاتلهم - وشيخهم أبو القلوص ما كت لا يتكلم - فقالوا : يا أبا القلوص ، ما رأيك ؟ فقال : قال الله جل ثناؤه : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَكُونُكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ ^(٣) قوموا ؛ فقاموا ؛ فثنى بهم قيس رعين أو ثلاثة ثم قال لهم : اجلسوا واجلسوا ، ثم مشى بهم أنفس من ذلك شيئاً ، ثم قعد بهم ، ثم قال لهم : قوموا ، ثم مشى بهم الثالثة أنفس من ذلك شيئاً ، ثم قعد بهم ، فقالوا له : يا أبا القلوص ، والله إنك عندنا لأشجع العرب ، فما يَحْمِلُكَ عَلَى النَّدَى تصنع ! قال : إنَّ الحِجْرَبَ ليس كمن لم يجرَّبَ ، إني أردت أن ترجع إليكم أفئدتكم ، وأن توطئوا على القتال أنفسكم ، وكرهت أن أفئدكم على القتال وأنتم على حالٍ دَهَشَ ؛ قالوا : أنت أبصر بما صنعت .

فلما خرجوا إلى جَبَّانة السَّبِيح استقبلهم على فم السكة الأعسر الشاكري ، فحمل عليه الجندعي وأبو الزبير بن كريب فصرعه ، ودخلا الجبَّانة ، ودخل الناسُ الجبَّانة في آثارهم ، وهم ينادون : يا لثارات الحسين ! فأجابهم أصحابُ ابن شميطة ينادون لثارات الحسين ! فسمعها يزيدُ بن عُمير بن ذى مُرَّان من هَمْدَان - فقال : يا لثارات عُمَان ! فقال لهم رفاعه بن شدَّاد : ما لنا ولِعُمَان ! لا أَقَاتِلُ مع قوم يبيعون دمَ عُمَان ، فقال له أناس من قومه : جثت بنا وأطعنك ، حتَّى إذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف قلت : انصبروا ودعوهم ! فَحَطَفَ عليهم وهو يقول :

أَنَا ابْنُ شَدَّادٍ عَلَى دِينِ عَلِيٍّ لَمَسْتُ لِعُمَانَ بِنِ أَرْوَى بِوَلِيٍّ
لَأَصْلِحَ الْيَوْمَ فِيمَنْ يَصْطَلِي بِحَرِّ نَارِ الْحَرْبِ غَيْرَ مُوتَلِيٍّ -

فقاتل حتى قُتِلَ ، وقتل يزيد بن عُمر بن ذى مُرَّان ، وقتل النعمان ابن صُهَيْبان الجُرمي ثم الراسبي - وكان ناسكاً - ورفاعةُ بن شدَّاد بن عَوْسِجَة

(١) ف : « حَكَم » . (٢) ف : « ربيعة ومضر » . (٣) سورة التوبة ١٢٣ .

الفتيان عند حمام المهبذان الذي بالسبخة - وكان ناسكاً - وقتل الفرات ابن زحر بن قيس الجعفي، وارثت زحر بن قيس، وقتل عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس، وقتل عمر بن مخنف، وقتل عبد الرحمن بن مخنف حتى ارتثت، وحملت الرجال على ألبديها وما يشعر، وقتل حوله رجال من الأزد، فقال حميد بن مسلم:

لأضرين عن أبي حكيم مفارق الأعبد والصميم

وقال سراقه بن مرداس الباري:

١٦٠/٢

يا نفس إلاً تصبري تلمي لا تتولي عن أبي حكيم^(١)
واستخرج من دور الوادعتين خمس مائة أسير، فأتي بهم المختار مكثفين، فأخذ رجل من بني نهد وهو من رؤساء أصحاب المختار يقال له: عبد الله ابن شريك، لا يخلو بعربي إلا خلى سبيله، فرفع ذلك إلى المختار درهم مولى لبني نهد، فقال له المختار: اعرضهم علي، وانظروا كل من شهد منهم قتل الحسين فأعلموني به، فأخذوا لا يمر عليه^(٢) برجل قد شهد قتل الحسين إلا قيل له: هذا ممن شهد قتله، فيقدمه فيضرب عنقه، حتى قتل منهم قبل أن يخرج مائتين وثمانية وأربعين قتيلاً، وأخذ أصحابه كلما رأوا رجلاً قد كان يؤذيهم أو يماريهم^(٣) أو يضربهم خلكوا به فقتلوه حتى قتل ناس كثير منهم وما يشعر بهم المختار، فأخبر بذلك المختار بعد، فدها بمن بقي^(٤) من الأسارى فأعتقهم، وأخذ عليهم المواثيق ألا يجامعوا عليه عدواً، ولا يبغيه ولا أصحابه^(٥) غائلة، إلا سراقه بن مرداس الباري، فإنه أمر به أن يساق معه إلى المسجد. قال: ونادى نادى المختار: إنه من أغلق بابه فهو آمن، إلا رجلاً شرك في دم آل محمد صلى الله عليه وسلم.

(٢) ف: «لا يمر عليهم رجل».

(١) ديوانه ١٠٥.

(٣) ف: «ويعارهم».

(٤) ف: «من بقي».

(٥) ف: «لأصحابه».

قال أبو مخنف: حدثني^(١) المجالد بن سعيد، عن عامر الشعبي . ، أن يزيد ابن الحارث بن يزيد بن رؤيم وحجّار بن أبيجر بعثا رسلا لهما ، فقالا لهم : كونوا من أهل اليمن قريباً ، فإن رأيتهم قد ظهروا^(٢) فأبكم سبق إلينا فليقل صرّفان ، وإن كانوا هُزِموا فليقل جُمُزان ، فلما هُزِم أهل اليمن أتتهم رسلهم ، فقال لهم أولُ من انتهى إليهم : جُمُزان ، فقام الرجلان فقالا لقومهما : انصرفوا إلى بيوتكم ، فانصرفوا ، وخرج عمرو بن الحمصّاج الزبيديّ — وكان ممّن شهد قتل الحسين — فركب راحلته ، ثمّ ذهب عليها ، فأخذ طريقَ شَرافٍ وواقصة ، فلم يرَ حتّى الساعة ولا يدري أرضٌ بخسّته ، أم سماءَ حصّيته ! وأمّا فُرات بن زحر بن قيس فإنه لما قُتل بعثت عائشة بنت خليفة بن عبد الله الحُفَيفَة — وكانت امرأةَ الحسين بن عليّ — إلى المختار تسأله أن يأذن لها أن توارى جسده ؛ ففعل ؛ فدُفنته .

وبعث المختار غلاماً له يدعى زُربياً في طلب شَمير بن ذى الجَوْشَن . قال أبو مخنف : فحدثني يونس بن أبي إسحاق ، عن مسلم بن عبد الله الضَّبَّابيّ ، قال : تبعنا زُربياً غلامُ المختار ، فليحقنا وقد خرجنا من الكوفة على خيول لنا ضمّر ، فأقبل يتمطر به^(٣) فرمسه ، فلمّا دنا منّا قال لنا شمير : اركضوا وتباعدوا عنّي لعلّ العبد يطمع فيّ ؛ قال : فركفنا ، فأمعنا ، وطمع العبد في شمير ، وأخذ شمير ما يستطرد له ، حتّى إذا انقطع من أصحابه حمل عليه شمير فدنقَ ظهره ، وأتى المختار فأخبر بذلك ، فقال : يؤمّس لزُربيّ ، أما لو يستشيرني ما أمرته أن يتخرّج لأبي السابقة .

قال أبو مخنف : حدثني أبو محمّد الهَمْدَانيّ ، عن مسلم بن عبد الله الضَّبَّابيّ ، قال : لمّا خرج شمير بن ذى الجَوْشَن وأنا معه حين هزمنا المختار ، وقتل أهل اليمن بجبّانة السَّبَّيع ، ووجه غلامه زُربياً في طلب شمير ، وكان ممّن قتل شمير إِيّاه ما كان ؛ مضى شمير حتّى ينزك سائيداً ممّا ، ثمّ مضى حتّى ينزل إلى جانب قرية يقال لها الكلثانيّة على شاطئ نهر ، إلى جانب تلّ ،

(١) ف : « فحدثني » . (٢) ف : « ظفروا » . (٣) يتمطر به : يسرع .

ثم أرسل إلى تلك القرية فأخذ منها عِلْجًا فضربه . ثم قال : النجاء بكتابي هذا إلى المصعب بن الزبير وكتب عنوانه : للأخير المصعب بن الزبير من شمر بن ذى الجوشن . قال : فمَضَى العِلْجَ حتى يدخل قرية فيها بيوت ، وفيها أبو عمرة ، وقد كان المختار بعثه في تلك الأيام إلى تلك القرية لتكون مسلحة فيما بينه وبين أهل البصرة ، فلقى ذلك العِلْجَ عِلْجًا من تلك القرية ، فأقبل يشكو إليه ما لقي من شمر ، فإنه لقاؤه معه يكلفه إذ مر به رجل من أصحاب أبي عمرة . فرأى الكتاب مع العِلْج . وعنوانه : لمصعب من شمر ، فسألوا العِلْجَ عن مكانه الذي هو به ، فأخبرهم . فإذا ليس بينهم وبينه إلا ثلاثة فراسخ . قال : فأقبلوا يسرون إليه .

قال أبو مخنف : فحدثني مسلم بن عبد الله . قال : وأنا والله مع شمر تلك الليلة^(١) . فقلنا : لو أنك ارتحلت بنا من هذا المكان فلنا نتخوف به ! فقال : أو كل هذا فرقا من الكذاب ! والله لا أتحوّل منه ثلاثة أيام ، ملأ الله قلوبكم رعباً ! قال : وكان بذلك المكان الذي كنا فيه دُبى كثير ، فولله إلى لسبين البسْطَانِ والثَّامِ ، إذ سمعتُ وقعَ حوافر الخيل ، فقلت في نفسي : هذا صوت الدَّبى ، ثم إلى سمعته أشد من ذلك ، فاتبتهُ ومسحتُ^(٢) عيني ، وقلت : لا والله ، ما هنا بالدَّبى . قال : وذهبتُ لأقوم ، فإذا أنا بهم قد أشرفوا علينا من التَّلِّ ، فكبروا ، ثم أحاطوا بأبياتنا ، وخرجنا نشدت على أرجلنا ، وتركنا خيلنا . قال : فأمر على شمر ، وإنه لمتزور ببرد محقق^(٣) — وكان أبرص — فكأن أنظر إلى بياض كشحه من فوق البرد ، فإنه ليطاعنهم بالرمح . قد أعجكوه أن يلبس سلاحه وثيابه . فضينا وتركناه . قال : فما هو إلا أن أمنت ساعة ، إذ سمعتُ : الله أكبر : قتل الله الحبيث !

قال أبو مخنف : حدثني المشرق ، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود ، قال : أنا والله صاحب الكتاب الذي رأيته مع العِلْج ، وأتيت به أبا عمرة وأنا قتلت شمرًا ، قال : قلت : هل سمعته يقول شيئًا ليلتذ ؟ قال : نعم ،

(١) ف : و ليلته . (٢) ف : و لمست . (٣) برد محقق : محكم النسخ .

خرج علينا فطاعننا برمح ماعة ، ثم ألقى رمحه ، ثم دخل بيته فأخذ سيفه ، ثم خرج علينا وهو يقول :

نَبِّهْتُمْ لَيْثَ عَرِينِ بَاسِلًا جَهْمًا مُجِيَّاهُ يَدُقُّ الكَاهِلَا
لَمْ يَرْ يَوْمًا عَنْ عَلُوِّ نَاكِلَا إِلَّا كَذَا مُقَاتِلًا أَوْ قَاتِلَا
يُبْزِرُهُمْ ضَرْبًا وَيُرْوِي الْعَامِلَا *

قال أبو مخنف ، عن يونس بن أبي إسحاق : ولما خرج المختار من جببانة ٦٦٤/٧ السبيح ، وأقبل إلى القصر ، أخذ سراقة بن مرداس يناديه بأعلى صوته :

امْنَنْ عَلَى الْيَوْمِ يَا خَيْرَ مَعَدَّةٍ وَخَيْرَ مَنْ حَلَّ بِشُخْرِ وَالْجَنْدِ (١)
* وَخَيْرَ مَنْ حَيَّا وَلَبَّى وَسَجَدَ (٢) *

فبعث به المختار إلى السجن ، فحبسه ليلة ، ثم أرسل إليه من الغد فأخرج به ، فدحا سراقة ، فأقبل إلى المختار وهو يقول :

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنَا نَزَوْنَا نَزْوَةً كَانَتْ عَلَيْنَا (٣)
خَرَجْنَا لَا نَرَى الضُّعَفَاءَ شَيْئًا وَكَانَ خُرُوجُنَا بَطْرًا وَحَيْنًا
نَرَاهُمْ فِي مَصَافِهِمْ قَلِيلًا وَهُمْ مِثْلُ اللَّبَى حِينَ التَّقِينَا
بَرَزْنَا إِذْ رَأَيْنَاهُمْ فَلَمَّا رَأَيْنَا الْقَوْمَ قَدْ بَرَزُوا إِلَيْنَا
لَقِينَا مِنْهُمْ ضَرْبًا طَالِحًا (٤) وَطَعْنَا صَائِبًا حَتَّى انْتَشِينَا
نَصِرْتَ عَلَى عَلُوِّكَ كُلَّ يَوْمٍ بِكُلِّ كَتِيئَةٍ تَنْحِي حُسَيْنًا (٥)
كَنْصَرِ مُحَمَّدٍ فِي يَوْمِ بَدْرٍ وَيَوْمِ الشَّعْبِ إِذْ لَاقَى حُنَيْنًا
فَأَسْجَحْ إِذْ مَلَكَتْ فَلَوْ مَلَكَتَا لَجَرْنَا فِي الْحُكُومَةِ وَأَعْتَدَيْنَا
تَقَبَّلْ تَوْبَةً مِنِّي فَإِنِّي سَأَشْكُرُ إِنْ جَعَلْتَ التَّقَدُّ دِينَا

(١) ديوانه ٧٤ .

(٢) ف : « لَبَّى وحيا » .

(٣) ديوانه ٧٦ ، ٧٧ .

(٤) ضربًا طالحًا ، أي شديدًا وجميعًا .

(٥) ف : « تبغى علينا » .

قال : فلما انتهى إلى المختار ، قال له : أصلحك الله أيها الأمير ! سرقة ابن مرداس يسخط يا الله الذي لا إله إلا هو لقد رأى الملائكة تُقاتل على الخيل البلق بين السماء والأرض ؛ فقال له المختار : فاصعد المنبر فأعلم ذلك المسلمين ؛ فصعد فأنخبرهم بذلك ثم نزل ، فخلا به المختار ، فقال : إنى قد علمت أنك لم تر الملائكة ، وإنما أردت ما قد عرفت ألا أقتلك ، ١٦٥/٢ فاذهب عني حيث أحببت ^(١) ، لا تُفسد على أصحابي .

قال أبو مخنف : فحدثني الحجاج بن عليّ البارق عن سرقة ابن مرداس ، قال : ما كنت في أيمان حلفت بها قط أشدّ اجتهاداً ولا مبالغة في الكلب ^(٢) متى في أيماني هذه التي حلفت لم لم بها أنى قد رأيت الملائكة معهم تُقاتل . فخلّوا سبيله . فهرب ، فلحق بعبد الرحمن بن مخنف عند المصعب بن الزبير بالبصرة ، وخرج أشراف أهل الكوفة والوجه . فلاحقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة ، وخرج سرقة ابن مرداس من الكوفة وهو يقول :

ألا أبلغ أبا إسحاق أنني رأيتُ البلق دُهما مصمتات ^(٣)
كفرتُ بوحيكم وجعلت نلراً على قتالكم حتى الممات
أرى عيني ما لم تُبصره كلانا عالم بالثرهات
إذا قالوا أقول لهم كذبتم وإن خرجوا لبست لهم أداقي

حدثني أبو السائب سلم بن جبادة ، قال : حدثنا محمد بن برّاد ^(٤) ، من ولد أبي موسى الأشعري ، عن شيخ ، قال : لما أسير سرقة البارق ، قال : وأنتم أمرتموني ! ما أسرتني إلا قوم على دواب بلق ، عليهم ثياب بيض . قال : فقال المختار : أولئك الملائكة ، فأطلقه ، فقال :

ألا أبلغ أبا إسحاق أنني رأيتُ البلق دُهما مصمتات
أرى عيني ما لم تُرأياه كلانا عالم بالثرهات

(٢) ف : « متى في الكلب » .

(١) ف : « شئت » .

(٤) ا : « براه » .

(٣) ديوانه ٧٨ .

قال أبو مخنف : حدثني عمير بن زياد أن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني قال يوم جبانة السبيع : ويحكم ! من هؤلاء الذين أتونا من ورائنا ؟ قيل له : شبكهم ، فقال : يا عجباً ! يقاتلون بقومى من لا قوم له .

قال أبو مخنف : حدثني أبو روق أن شرحبيل بن ذى بقلان من الناعطين قتل يومئذ ، وكان من بيوتات همدان ، فقال يومئذ قبل أن يقتل : يا لها قتلة . ما أضل مقتولاً ! قتال مع غير إمام ، وقاتل على غير نية ، وتعجيل فراق الأحبة ، ولو قتلناهم إذ لم نسلم منهم ، إننا لله وإننا إليه راجعون ! أما والله ما خرجت إلا مواسياً لقوى بنفسى مخافة أن يضطهدوا ، وإيم الله ما نجوت من ذلك ولا أنجوا ، ولا أغنيت عنهم ولا أغنوا . قال : ويرميه رجل من الفاشيين من همدان يقال له أحمر بن هديج بهم فيقتله .

قال : واختصم في عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني نفر ثلاثة سمر ابن أبي سمر الحنفي ، وأبو الزبير الشبامي : ورجل آخر ، فقال سمر : طعنته ، وقال أبو الزبير : لكن ضربته أنا عشر ضربات أو أكثر ، وقال لي ابنه : يا أبا الزبير ، أقتل عبد الرحمن بن سعيد سيد قومك ! فقلت : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (١) . فقال المختار : كلكم محسن . وانجلست الواقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلاً من قومه .

قال أبو مخنف : حدثني النضر بن صالح أن القتل إذ ذاك كان استبحراً في أهل اليمن ، وأن مضر أصيب منهم بالكُناسة بضعة عشر رجلاً ، ثم مضوا حتى مروا بربيعة ، فرجع حجار بن أبجر ، ويزيد بن الحارث بن رؤيم وشداد بن النذر - أخو حضين - وعكرمة بن ربيعي . فأنصرف جميع هؤلاء إلى رحالهم ، وعطف عليهم عكرمة فقاتلهم قتالاً شديداً ، ثم أنصرف عنهم وقد خرج ، فجاء حتى دخل منزله ، فقيل له : قد مرت خيل في

ناحية الحى ؛ فخرج فأراد أن يشب من حائط داره إلى دار أخرى إلى جانبه فلم يستطع حتى حمكه غلام له . وكانت وقعة جبيانة السبيع يوم الأربعاء لست ليال بقين من ذى الحجة سنة ست وستين .

قال : وخرج أشراف الناس فلحقوا بالبصرة ، وتجرّد المختار لقتلة الحسين فقال : ما من ديننا ترك قوم قتلوا الحسين يمشون أحياء في الدنيا آمنين ؛ بس ناصر آل محمد أنا إذا في الدنيا ! أنا إذا الكذاب كما سموتى . قلنى ^(١) بالله أستعين عليهم ، الحمد ^(٢) لله الذى جعلنى ميفاً ضربهم به ، ورحماً طعنهم به ، وطلب وترهم ، والقائم بحقتهم ؛ لأنه ^(٣) كان حقاً على الله أن يقتل من قتلهم ، وأن يذل من جهل حقهم ، فسموهم لى ثم اتبعوهم ^(٤) حتى تفنؤهم .

قال أبو مخنف : فحدثنى موسى بن عامر أن المختار قال لهم : اطلبوا لى قتلة الحسين ، فإنه لا يسوغ لى الطعام والشراب حتى أظهر الأرض منهم ، وأبقى المصير منهم .

قال أبو مخنف : وحدثنى مالك بن أعيان الجهشي أن عبد الله بن عباس ، وهو الذى قتل محمد بن عمار بن ياسر الذى قال الشاعر :

• قَتِيلَ أَبِي نَبَاسٍ أَصَابَ قَدَالَهُ • ^(٥)

٦٦٨/٢

هو الذى دلّ المختار على نفر ممن قتل الحسين ، منهم عبد الله بن أسيد بن النزال الجهشي من حرقة ، ومالك بن النسير البدى ، وحمل بن مالك الحاربي ؛ فبعث إليهم المختار أبا نيمران مالك بن عمرو النهدي . وكان من رؤساء أصحاب المختار — فأتاهم وهم بالقادسية ، فأخذهم فأقبل بهم حتى أدخلهم عليه عشاء ، فقال لهم المختار : يا أعداء الله وأعداء كتابه وأعداء رسوله وآل رسوله ، أين الحسين بن علي ؟ أدوا لى الحسين ، قتلتم من أمرتم بالصلاة عليه فى الصلاة ، فقالوا ^(٦) : رحمك الله ! بعثنا ونحن كارهون ، فامنّ علينا واستبقنا ، قال المختار : فهلا منتم على الحسين ابن بنت

(١) ف : • وإن • . (٢) ف : • والحمد • . (٣) ف : • إن • .

(٤) ف : • تبصم • . (٥) ف : • أصيب قتاله • . (٦) ف : • قالوا • .

نبيكم واستبقيتموه وسَقَيْتُمُوهُ ! ثم قال المختار للبدوي: أنت صاحب بُرْنُسِه ؟ فقال له عبد الله بن كامل : نعم ، هو هو ؛ فقال المختار ، اقطعوا يدي^(١) هذا ورجليسيه ، ودَعُوهُ فليضطرب حتى يموت ، ففعل ذلك به وترك ، فلم يزل يسترف الدم حتى مات ، وأمر بالآخرين فقتلوا ، فقتل عبد الله بن كامل عبد الله الجهني ، وقتل سعر بن أبي سعر حميل بن مالك المخاري .

قال أبو مخنف : وحدثنني أبو الصلت التيمي ، قال : حدثني أبو سعيد الصبيقل أن المختار دُلَّ على رجال من قَتَلَةِ الحسين ، دَلَّه^(٢) عليهم سعر الجني ، قال : فبعث المختار عبد الله بن كامل ، فخرجنا معه حتى مررنا بضيعة ، فأخذ منهم رجلا يقال له زياد بن مالك ؛ قال : ثم مضى إلى عنزة فأخذ منهم رجلا يقال له عِمْرَان بن خالد . قال : ثم يعني في رجال معه يقال لهم الدابة إلى دار في الحمرات ، فيها عبد الرحمن بن أبي خشكارة البجلي وعبد الله بن عيس الخولاني ، فنجتاهم حتى أدخلناهم عليه ، فقال لهم : يا قتلة للصالحين ، وقتلتم سيد شباب أهل الجنة ، ألا ترون الله قد أقاد منكم اليوم ! لقد جاءكم الورس ، اليوم نحس - وكانوا قد أصابوا من الورس الذي كان مع الحسين - أخرجهم إلى السوق فضربوا رقابهم . ففعل ذلك بهم ، فهؤلاء أربعة نفر .

قال أبو مخنف : وحدثنني سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : جاءنا السائب بن مالك الأشعري في خيل المختار ، فخرجت نحو عبد القيس ، وخرج عبد الله وعبد الرحمن ابنا صليح^(٣) في أثره ، وشغلوا بالاحتباس عليهما حتى ، فنجوت وأخذوهما ، ثم مضوا بهما حتى مروا على منزل رجل يقال له عبد الله بن وهب بن عمرو ابن عم أعشى همدان من بني عبد ، فأخذوه ، فانتهموا بهم إلى المختار ، فأمر بهم فقتلوا في السوق ، فهؤلاء ثلاثة . فقال حميد بن مسلم في ذلك حيث نجا منهم :

أَلَمْ تَرَ لِي عَلَى دَعَشٍ نَجَوْتُ وَلَمْ أَكُ أَتَجُو

(١) ف : « يديه » . (٢) ف : « دل » .

(٣) ابن الأثير : « صليح » .

رَجَاءُ اللَّهِ أَنْقَذَنِي وَلَمْ أَلِكْ غَيْرَهُ أَزْجُو

قال أبو مخنف : حدثني موسى بن عامر العدوي من جهينة - وقد عرف ذلك الحديث شهيم بن عبد الرحمن الجهني - قال : بعث المختار عبد الله ابن كامل إلى عثمان بن خالد بن أسير الدُهْماني من جهينة ، وإلى أبي أسماء ٦٧٠/٢ بشر بن سوط القابضي - وكانا ممن شهدا قتل الحسين ، وكانا اشركا في دم عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب وفي سلبه - فأحاط عبد الله بن كامل عند العصر بمسجد بني دُهْمان ، ثم قال : عليّ مثل خطايا بني دُهْمان منذ يوم خلقوا إلى يوم يُبعثون إن لم أوتَ عثمان بن خالد بن أسير ، إن لم أضرب أعناقكم من عند آخركم . فقلنا له : أمهلنا نطلبه ، فخرجوا مع الخيل في طلبه ، فوجدوهما جالسَيْن في الجبّات - وكانا يريدان أن يخرجوا إلى الجزيرة - فأتيا بهما عبد الله بن كامل ، فقال : الحمد لله الذي كفى المؤمنين القتال ، لو لم يجدوا هذا مع هذا عانانا إلى منزله في طلبه ، فالحمد لله الذي حيثنك حتى أمكن منك . فخرج بهما حتى إذا كان في موضع ير الجبل ضرب أعناقهما ، ثم رجع فأخبر المختار خبرهما ، فأمره أن يرجع إليهما فيحرقهما بالنار ، وقال : لا يُلغنان حتى يحرقا . فهذان رجلان ، فقال أعشى ممدان يرنى عثمان الجهني :

يَا عَيْنَ بَكَى فَتَى الْفَتَيَانِ عُثْمَانَا لَا يَبْعُدَنَّ الْفَتَى مِنْ آلِ دُهْمَانَا
وَأَذْكَرَ فَتَى مَاجِدًا حُلُومًا شِمَاتِلُهُ مَا مِثْلُهُ فَارِسٌ فِي آلِ مَمْدَانَا

قال موسى بن عامر : وبعث معاذ بن هاني بن عدي الكندي ، ابن أنخي ٦٧١/٢ حُجْر ، وبعث أبا عمرة صاحب حرّسه ، فساروا حتى أحاطوا بدار خولّي بن يزيد الأصمحي وهو صاحب رأس الحسين الذي جاء به ، فاختبأ في مخرجه ، فأمر معاذ أبا عمرة أن يطلبه في الدار ، فخرجت امرأته إليهم ، فقالوا لها : أين زوجك ؟ قالت : لا أدري أين هو - وأشارت بيدها إلى المخرج ، فدخلوا فوجدوه قد وضع على رأسه قَوْصَرَةً ، فأخرجوه ، وكان (٢) المختار يسير

(١) اسمه عبد الرحمن بن عبد الله ، وممدان بالدال الساكنة من قبائل كهلان باليمن ، وانظر

(٢) ف : « وقد كان » .

بالكوفة . ثمَّ إنَّه أقبل في أثر أصحابه وقد بعث أبو عمرة إليه رسولا ، فاستقبل المختار الرسول عند دار بلال ، ومعه ابن كامل ، فأخبره الخبر ، فأقبل ^(١) المختار نحوهم ، فاستقبل به ، فردده ^(٢) حتَّى قتله إلى جانب أهله ، ثمَّ دعا ^(٣) بنار فحرقه [بها] ^(٤) ، ثمَّ لم يبرح حتَّى عاد روادا ، ثمَّ انصرف عنه . وكانت امرأته من حضرموت يقال لها العيصوف بنت مالك بن نهار بن عقرَب ، وكانت نصبت له العداوة حين جاء برأس الحسين .

قال أبو مخنف : وحدثنى موسى بن عامر أبو الأشعر أن المختار قال ذات يوم وهو يحدث جلساءه : لأقتلن غدًّا رجلا عظيمَ القَدَمين ، غائرَ العينين ، مشرفَ الحاجبين ، يسرَّ مقتله المؤمنين والملائكة المقربين . قال : وكان المهيم بن الأسود النخعي عند المختار حين سمع هذه المقالة ، فوقع في نفسه أن اللّذي يريد عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فلما رجع إلى منزله دعا ابنة العُربان فقال : ألقِ ابنَ سعد الليلة فخبّره بكذا وكذا ، وقل له : خذ حذرَكَ ، فإنَّه لا يريد غيرَكَ . قال : فأناها فاستخلاه ، ثمَّ حدثه الحديث ، فقال له عمر بن سعد : جزى الله أباك والإخاء خيرا ! كيف يريد هذا بي بعد اللّذي أعطاني من العهود والمواثيق ! وكان المختار أوَّل ما ظهر أحسنَ شيء سيرة وتألّفا للناس ، وكان عبد الله بن جعلة بن هبيرة أكرمَ خلق الله على المختار لقربته بعل ^(٥) ، فكلَّم عمرُ بنُ سعد عبد الله بن جعلة وقال له : إني لا آمن هذا الرجل — يعني المختار — فخذُ لي منه أمانا ، ففعل ؛ قال : فأنا رأيتُ أمانه وقرأته [وهو] ^(٦) :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا أمان من المختار بن أبي عبيد لعمري بن سعد ابن أبي وقاص ، إنَّك آمن بأمان الله على نفسك ومالك وأهلك وأهل بيتك وولدك . لا تؤاخذُ بحدِّث كان منك قديما ما سمعت وأطعت ولزمت رَحْلَكَ وأهلك وميصرك ^(٧) ، فمن لقي عمرَ بنَ سعد من شرطة الله وشيعه آل محمد

(١) ف : « فريج وأقبل » . (٢) ف : « فردده » .

(٣) ف : « ودعا » . (٤) من ف .

(٥) ف : « من على » . (٦) من ف . (٧) ف : « وقصرَكَ » .

ومن غيرهم من الناس ، فلا يعرض له إلا بخير . شهد السائب بن مالك وأحمر بن شميظ وعبد الله بن شداد وعبد الله بن كامل . وجعل المختار على نفسه عهد الله وميثاقه ليتقين عمر بن سعد بما أعطاه من الأمان ، إلا أن يحدث حدثاً ، وأشهد الله على نفسه ، وكفسي بالله شهيداً . ١٧٢/٢

قال : فكان أبو جعفر محمد بن علي يقول : أما أمان المختار لعمر بن سعد : إلا أن يحدث حدثاً ، فإنه كان يريد به إذا دخل الخلاء فأحلت . قال : فلما جاءه العريان بهذا خرج من تحت ليلته حتى أتى حمامه ، ثم قال في نفسه : أنزل داري ، فرجع فعبر الروحاء ، ثم أتى داره غلوة ، وقد أتى حمامه ، فأخبر مولتي له بما كان من أمانه وبما أريد به ، فقال له مولاه : وأى حدث أعظم مما صنعت ! إنك تركت رحلك وأهلك ^(١) وأقبلت إلى ها هنا ، ارجع إلى رحلك ، لا تجعل ^(٢) للرجل عليك سبيلا . فرجع إلى منزله ، وأتى المختار بانطلاقه ، فقال : كلاً إن في عنقه سلسلة سردة ، لو جهد أن ينطلق ما استطاع . قال : وأصبح المختار فبحث إليه أبا عمرة ، وأمره أن يأتيه به ، فجاءه حتى دخل عليه فقال : أجيب الأمير ، فقام عمر : فعثر في جسيه له ، ^(٣) ويضربه أبو عمرة بسيفه ^(٤) ، فقتله ، وجاء برأسه في أسفل قبائه حتى وضعه بين يدي المختار ، فقال المختار لابنه حفص بن عمر بن سعد وهو جالس عنده : أتعرف هذا الرأس ؟ فاسترجع وقال : نعم ، ولا خير في العيش بعده ، قال له المختار : صدقت ، فإنك لا تعيش بعده ، فأمر به فقتل ، وإذا رأسه مع رأس أبيه . ثم إن المختار قال : هذا بحسين وهذا بعلي بن حسين ^(٥) ، ولا سوا ، والله لو قتلته به ثلاثة أرباع قريش ما وقوا أنملة من أنامله ؛ فقالت حميدة بنت عمر بن سعد تبكي أباهما :

لو كان غير أخي قمي غرة أو غير ذي يمن غير الأعجم
سحني بنفسي ذاك شيئاً فاعلموا عنه وما البطريق مثل الألام
أعطى ابن سعد في الصحيفة وابنه عهداً يلين له جناح الأرقم

١٧٤/٢

(١) ف : « أهلك ورحك » . (٢) ف : « لا تبيل » .
(٣-٢) ف : « وبصر به أبو عمرة فضر به » . (٤) ف : « الحسين » .

فلما قتل المختارُ عمرَ بن سعد وابنه بعث برأسيهما مع مسافر بن سعيد ابن نمران الناعطي وطلبينان بن عمارة التميمي، حتى قدِمَا بهما على محمد ابن الحنفية، وكتب إلى ابن الحنفية في ذلك بكتاب.

قال أبو مخنف: وحدثني موسى بن عامر، قال: إنما كان هيبج المختار على قتل عمرَ بن سعد أن يزيدَ بن شراحيل الأنصاري أتى محمدَ بن الحنفية، فسَلَّم عليه؛ فجري الحديثُ إلى أن تذاكروا المختارَ وخروجه وما يدعو إليه من الطلب بدماء أهل البيت، فقال محمدُ بن الحنفية: على أهون رسله يزعم أنه لنا شيعة، وقتلَ الحسين جلساؤه على الكرامىَّ يحدِّثونه! قال: فوصاها الآخر منه، فلما قدم الكوفة أتاه فسَلَّم عليه، فسأله المختار: هل لقيت المهدي؟ فقال له: نعم، فقال: ما قال لك وماذا كسرك؟ قال: فخبره الخبر. قال: فما لبث المختارُ عمرَ بن سعد وابنه أن قتلتهما، ثم بعث برأسيهما^(١) إلى ابن الحنفية مع الرسولين اللذين سمينا، وكتب معهما إلى ابن الحنفية: ٦٧٥/٢

بسم الله الرحمن الرحيم. للمهدي محمد بن علي من المختار بن أبي عبيد. سلام عليك يا أيها المهدي، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن الله بعثني نبياً على أعدائك، فهم بين قتيل وأسير، وطريد وشريد، فالحمد لله الذي قتل قاتليكم^(٢)، ونصر مؤازريكم^(٣). وقد بعثت إليك برأس عمرَ بن سعد وابنه، وقد قتلنا من شرك في دم الحسين وأهل بيته رحمة الله عليهم—كل من قدرنا عليه، ولن يُعجز الله من بقي، ولست بمُنْجَم^(٤) عنهم حتى لا يبلغني أن على أديم الأرض منهم أرمياً^(٥). فاكتب إلى أيها المهدي برأيك أتبعه وأكون عليه، والسلام عليك أيها المهدي ورحمة الله وبركاته.

ثم إن المختار بعث عبد الله بن كامل إلى حكيم بن طُقَيْل الطائي السبعي—وقد كان أصاب صلب العباس بن علي، ورسي

(١) كذا في ف و ط: ببرأسيهما. (٢) ف: قاتلكم. (٣) ف: مؤازركم. (٤) ف: بمنج. (٥) إرميا، أي أحماء، يقال: ما بالدار إرميا، أي أحماء.

حسيناً بسهمهم ، فكان يقول : تعلق سهمي بسرياله وما ضره - فأثاه عبد الله ابن كامل ، فأخذته ثم أقبل به ، وذهب أهله فاستأثروا^(١) بعدى بن حاتم ، فلكحيقهم في الطريق ، فكلّم عبد الله بن كامل فيه ، فقال : ما لي^(٢) من أمره شيء ، إننا ذلك^(٣) إلى الأمير المختار . قال : فإني آتيه ، قال : فأبى راشدًا . فضى عدى نحو المختار ، وكان المختار قد شقعه في نفر من قومه أصابهم يوم جبةانة السبيع ، لم يكونوا نطقوا بشيء من أمر الحسين ولا أهل بيته ، فقالت الشيعة لابن كامل : إننا نخاف أن يشفع الأمير عدى بن حاتم في هذا الخبيث ، وله من الذنب ما قد علمت^(٤) ، فلعلنا نقتله . قال : شأنكم به ، فلما انتهوا به إلى دار العتريين وهو مكتوف نصبوه غرضًا ، ثم قالوا له : سلّيت ابن عليّ ثيابه ، ولله لنسلبن ثيابك وأنت حيّ تنظر ! فنزعوا ثيابه ، ثم قالوا له : رميت حسينًا ، واتخذته غرضًا لنبلّك ، وقلت : تعلق سهمي بسرياله ولم يضره ، وإيم الله لرمينك كما رميته بنال ما تعلق بك منها أجزاك . قال : فرمّوه رشقًا واحدًا ، فوقعت به منهم نبال كثيرة فخر ميتًا .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الجارود^(٥) ، عن رآه قتيلا كأنه قنغد ليمًا فيه من كثرة النبل : ودخل عدى بن حاتم على المختار فأجلسه معه على مجلسه ، فأخبره عدى عما جاء له ، فقال له المختار : أتستحل يا أبا طريف أن تطلب في قتيلة الحسين ! قال : إنه مكتوب عليه أصلحك الله ! قال^(٦) : إذا ندّعه لك قال : فلم يكن بأسرع من أن دخل ابن كامل فقال له المختار : ما فعل الرجل ؟ قال : قتلته الشيعة : قال : وما أعجلكك إلى قتله قبل أن تأتيه به وهو لا يسره أنه لم يقتله - وهذا عدى قد جاء فيه ، وهو أهل أن يشفع ويؤيّد ما سره^(٧) ! قال : غلبتني والله الشيعة ، قال له عدى : كلبت يا عدو الله ، ولكن ظننت أن من هو خير منك سيشفعني فيه ، فبادرتني

(١) ف : « فاستأثروا » . (٢) ف : « مال » .

(٣) ف : « ذلك » . (٤) ف : « علمته » .

(٥) هو زياد بن زياد ، الذي تسمى باسمه فرقة الجارودية .

(٦) ف : « فقال » . (٧) ف : « يسره » .

فقتلته ، ولم يكن خطر يلغك عمّا صنعت . قال : فاستحضر^(١) إليه ابن
كامل بالشَّيْمة ، فوضع المختار لاصْبَعَهُ على فيه ، يأمر ابن كامل بالسكوت
والكفّ عن عدوّ ، فقام عدوّ راضياً عن المختار صليحاً على ابن كامل ،
يشكوه عند من لقي من قومه . وبعث المختار إلى قاتل عليّ بن الحسين عبد الله
ابن كامل ، وهو رجلٌ من عبد القيس يقال له مرّة بن مُثَقَد بن النعمان العبديّ
وكان شجاعاً ، فأناّه ابنُ كامل فأحاط بداره ، فخرج إليهم وبِيدِهِ^(٢)
الرمح ، وهو على فرس جواد ، فطعن عبید الله بن ناجية الشَّبابي ، فصرّعه
ولم يضره . قال : ويضربه ابن كامل بالسيف فيثقبه بيده اليسرى ، فأسرع^(٣)
فيها السيف ، وتطّرت به الفرس^(٤) ، فأقلت ولحق بمصعب ، وشلّت يده بعد
ذلك . قال : وبعث المختارُ أيضاً عبدَ الله الشاكريّ إلى رجل من جَسَب
يقال له زيد بن رُقَاد ، كان يقول : لقد رميتُ فتى منهم بسهم وإنّهُ لواضيع
كفّه على جبهته يتّقى النبلَ فأثبتُ كفّه في جبهته ، فما استطاع أن يزيل
كفّه عن جبهته .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو عبد الأعلى الزبيديّ أنّ ذلك الفتيّ عبد الله
ابن مسلم بن عقيل ، وأنّه قال حيث أثبت كفّه في جبهته : اللهمّ إنّهمْ
استقلّونا واستذلّونا ، اللهمّ فاقتلهم كما قتلّونا ، وأذلّهم كما استذلّونا . ثمّ
إنّه رأى الغلامَ بسهم آخرَ قتلته ، فكان يقول : جثته ميتة فنزعته
سهمي الذي قتلته به من جوفه ، فلم أزل أنضئ السهم^(٥) من جبهته
حتّى نزعته ، وبقي النصل في جبهته ميتة ما قدرت على نزعها .

٦٧٨/٢ قال : فلمّا أتى ابن كامل داره أحاط بها ، واقتحم الرجالُ عليه ، فخرج
مصلباً بسيفه^(٦) — وكان شجاعاً — فقال ابن كامل : لا تضربوه بسيف ،
ولا تطعنوه برمح ، ولكن ارموه بالنبل ، وارجموه^(٧) بالحجارة ، ففعلوا ذلك به ،
فسقط ، فقال ابن كامل : إن كان به رمق فأخْرِجوه^(٨) ؛ فأخرجوه وبه

(١) في السان : يقال : استحضر الرجل في خطبته ، إذا مضى واتّسع في كلامه .

(٢) ف : « بيده » . (٣) ف : « فيسر » .

(٤) ف : « فرسه » . (٥) نقص السهم ؛ إذا حركه .

(٦) ف : « بالسيف » . (٧) ف : « وارجموه » . (٨) ف : « فأخرجوه بالنار » .

رَمَتْ ، فدعا بنار فحرقه بها وهو حي لم تخرج رُوحه . وطلب المختار سنان ابن أنس الذي كان يدعي قَتْلَ الحسين ، فوجده قد هَرَبَ إلى البصرة ، فهدم داره . وطلب المختارُ عبدَ الله بن عَقبَةَ الغنَوِيّ فوجده قد هَرَبَ ، ولحق بالجزيرة ، فهدم داره ، وكان ذلك الغنَوِيّ قد قتل منهم غلاماً ، وقتل رجلاً آخرُ من بني أسد يقال له حَرَملة بن كاهل رجلاً من آل الحسين ، ففِيهِمَا يقول ابن أبي عَقبَةَ اللَّيْثِي :

وعِنْدَ غَنِيٍّ قَطْرَةٌ مِنْ دِمَائِنَا وَفِي أَسَدٍ أُخْرَى تُعَدُّ وَتُذَكَّرُ
وطلب رجلاً من خَشَعَمَ يقال له عبد الله بن عروة الخثعمي - كان يقول :
رَمِيتَ فِيهِمْ بِالنَّيِّ عَشْرَ سَهْمًا ضَيَّعَةً - ففاته وَلَحِقَ بِمَصْبَعٍ ، فَهَدَمَ
داره ، وطلب رجلاً من صُدَاء يقال له عَمْرُو بن صَبِيح ، وكان يقول : لقد
طَعَنْتُ بَعْضَهُمْ وَجَرَحْتُ فِيهِمْ ^(١) وما قُتِلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَأَتَيْتُ لَيْلًا وَهُوَ
عَلَى سَطْحِهِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بَعْدَ مَا هَدَأَتِ الْعَيْنُ ، وَسِيقُهُ تَحْتَ رَأْسِهِ ، فَأَخَذُوهُ ^{١٧١/٢}
أَخْذًا ، وَأَخْلَوْا سِيفَهُ ، فَقَالَ : قَبْحَكَ اللَّهُ سَيْفًا ، مَا أَقْرَبَكَ وَأَبْعَدَكَ !
فَجِيءَ بِهِ إِلَى الْمُخْتَارِ ، فَحَبَسَهُ مَعَهُ فِي الْقَصْرِ ، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحَ أَذِنَ لِأَصْحَابِهِ ،
وَقِيلَ : لِيَدْخُلَ مَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ ، وَدَخَلَ النَّاسُ ، وَجِيَءَ بِهِ مَقِيدًا ، فَقَالَ :
أَمَّا وَاللَّهِ يَا مَعْشَرَ الْكُفَرَةِ الْفَسَجَةِ أَنْ لَوْ بَيَّيْتُ سَبِيَّ لَحَلَمْتُ أَنْ يَنْصُلَ السَّيْفُ
غَيْرَ رَعِشٍ وَلَا رَعْدِيدٍ : مَا يَسُرُّنِي إِذَا ^(٢) كَانَتْ مَنِيَّتِي قَتْلًا أَنَّهُ قَتَلَنِي مِنْ
الْخَلْقِ أَحَدٌ ^(٣) غَيْرَكُمْ . لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ شَرَارُ خَلْقِ اللَّهِ ، غَيْرَ أَنِّي وَدَدْتُ
أَنْ يَبْدِيَ سَيْفًا أَضْرِبُ بِهِ فِيكُمْ سَاعَةً ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ فَلَطَمَ عَيْنَ ابْنِ كَامِلٍ
وَهُوَ إِلَى جَنْبِهِ ، فَضَحِكَ ابْنُ كَامِلٍ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ وَأَمْسَكَهَا ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّهُ
يَزْعَمُ أَنَّهُ قَدْ جَرَحَ فِي آلِ مُحَمَّدٍ وَطَعَنَ ، فَمَسَرُّنَا بِأَمْرِكَ فِيهِ ، فَقَالَ الْمُخْتَارُ :
عَلَيَّ بِالرَّمَاحِ ، فَأَتَى بِهَا ، فَقَالَ : اطْعَمُونَهُ حَتَّى يَمُوتَ ، فَطَعَمُوا بِالرَّمَاحِ
حَتَّى مَاتَ .

قال أبو مخنف : حدثني هشام بن عبد الرحمن وابنه الحكم بن هشام

(١) ف : « لقد طعنت فيهم وجرحت » . (٢) ف : « إن » .

(٣) ف : « أحد من الناس » .

أن أصحاب المختار مروا بدار بني أبي زُرعة بن مسعود ، فرمّوهم من فوقها ، فأقبلوا حتّى دخلوا الدار ، فقتلوا الهبياط بن عثمان بن أبي زُرعة الثّقفيّ وعبد الرحمن بن عثمان بن أبي زُرعة الثّقفيّ ، وأفلستهم عبد المالك بن أبي زُرعة بضربة في رأسه ، فجاء يشند حتّى دخل على المختار ، فأمر امرأته أمّ ثابت ابنة مسمرة بن جندب ، فداوت شجّته ، ثمّ دعاه ، فقال : لا ذنب لي ، لأنّكم رميتُم^(١) القوم فأغضبتموهم^(٢) . وكان محمد بن الأشعث بن قيس في قرية الأشعث إلى جنب القادسيّة ، فبعث المختار إليه حوشباً سادان الكرسيّ في مائة ، فقال : انطلق إليّ فإنّك تجلده لاهباً متصيّداً ، أو قائماً متلبّداً ، أو خائفاً متلدّداً ، أو كامناً متخفّداً ، فإن قدرت عليه فأتني برأسه . فخرج حتّى أتى قصره فأحاط به ، وخرج منه محمد بن الأشعث فلحق بمصعب ، وأقاموا على القصر وهم يرون أنّه فيه ، ثمّ دخلوا فمكّموا أنّه قد فاتهم ، فانصرفوا إلى المختار ، فبعث إلى داره فهدمها ، وبني بلبسها وطينها دار حُجّر بن عليّ الكِنديّ ، وكان زياد بن سُميّة قد هدّمها .

* * *

[ذكر الخبر عن البيعة للمختار بالبصرة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة دعّا المثنّى بن مخزّبة العبديّ إلى البيعة للمختار بالبصرة أهلها ، فحدّثني أحمد بن زهير ، عن عليّ بن محمد ، عن عبد الله بن عطية السبيّ وعامر بن الأسود ، أنّ المثنّى بن مخزّبة العبديّ كان ميّناً شهد عين الوردة مع سليمان بن صُرد ، ثمّ رجع مع من رجع ميّناً بى من التّوّابين إلى الكوفة ، والمختار محبوس ، فأقام حتّى خرج المختار من السجن ، فبايعه المثنّى سرّاً ، وقال له المختار : الحقّ بك بكفك بالبصرة فارح الناس ، وأسرّ أمرك ؛ فقدم البصرة فدعا ، فأجابه رجال من قومه وغيرهم فلمّا أخرج المختار ابن مطيع من الكوفة ومنع عمر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام من الكوفة خرج المثنّى بن مخزّبة فاتخذ مسجداً ، واجتمع^(٣) إليه

(١) ف : « أهدبتم » . (٢) ف : « وأغضبتمهم » .

(٣) ف : « فاجتمع » .

قومه ، ودعا إلى المختار ، ثم أتى مدينة الرزق فمسكر عندها ، وجمعوا الطعام في المدينة ، ونحروا الجزر ، فوجه إليهم القبايع عبياد بن حصين وهو على شرطته ، وقيس بن الهيثم في الشرط والمقاتلة ، فأخذوا في سكة الموالى حتى خرجوا إلى السبخة ، فوقفوا ، ولزم الناس دورهم ، فلم يخرج أحد ، فجعل عبياد ينظر هل يرى أحدا يسأله ! فلم ير أحدا ؛ فقال : أما ها هنا رجل من بني تميم ؟ فقال خليفة الأحرار مولى بني عدي ، عدى الرباب : هذه دار وراد مولى بني عبد شمس ؛ قال : دق الباب ، فلقه ، فخرج إليه وراد ، فشتسه عبياد وقال : ويحك ! أنا واقف ها هنا ، ليم لم تخرج إلى ! قال : لم أدر ما يوافقك ، قال : شد عليك سلاحك واركب ، ففعل ، ووقفوا ، وأقبل أصحاب المثنى فواقفهم ، فقال عبياد لوراد : قف مكانك مع قيس ، فوقف قيس بن الهيثم ووراد : ورجع عبياد فأخذ في طريق الذباحين ، والناس وقوف في السبخة ، حتى أتى الكلأ ، ولدينة الرزق أربعة أبواب : باب ميماء إلى البصرة ، وباب إلى الخلاين ، وباب إلى المسجد ، وباب إلى مهب الشمال ؛ فأتى الباب الذي يلي النهر ميماء إلى أصحاب السقط ، وهو باب صغير ، فوقف ودعا بسلم فوضعه مع حائط المدينة ، فصعد ثلاثون رجلا ، وقال لهم : الزموا السطح ، فإذا سمعتم التكبير فكبروا على السطوح ، ورجع عبياد إلى قيس بن الهيثم وقال لوراد : حرش القوم ؛ فطاردتهم وراد ، ثم التبس القتال فقتل أربعون رجلا من أصحاب المثنى ، وقتل رجل من أصحاب عبياد ، وسمع الذين على السطوح ^(١) في دار الرزق الضجة والتكبير ، ٦٨٢/٢ فكبروا ، فهرب من كان في المدينة ، وسمع المثنى وأصحابه التكبير من ورائهم ، فانهزموا ، وأمر عبياد وقيس بن الهيثم ^(٢) الناس بالكف عن اتباعهم ^(٣) وأخذوا مدينة الرزق وما كان فيها ، وأتى المثنى وأصحابه عبد القيس ورجع عبياد وقيس ومن معهم إلى القبايع فوجهما إلى عبد القيس ، فأخذ قيس بن الهيثم من ناحية الجسر ، وأتاهم عبياد من طريق المريد ، فالتقوا فأقبل زياد بن عمرو العسكي إلى القبايع وهو في المسجد جالس على المنبر ،

(١) ف : « السطح » .

(٢-٣) ف : « بالكف عن الناس ومن » .

فدخل زياد المسجد على فرسه؛ فقال : أيُّها الرجل ، لردنّ خيلك عن إخواننا أو لنقاتلنّها^(١) . فأرسل القبّاع الأحنف بن قيس وعمر بن عبد الرحمن الخزرجيّ ليُصلّحا أمر الناس ، فاتّيّا عبد القيس ، فقال الأحنف لبكر والأزد وللعامّة : ألستم على بيعة ابن الزبير ! قالوا : بلى ، ولكنّا لا نُسَلِّم لإخواننا . قال : فمروهم فليخرجوا إلى أيّ بلاد أحبّوا ، ولا يُفسدوا هذا المِصرَ على أهله ، وهم آمنون . فليخرجوا حيث شاءوا . فثنى مالك بن مُسمع وزياد بن عمرو ووجه أصحابهم إلى المثنّى ، فقالوا له . ولأصحابه : إنّنا والله ما نحن على رأيكم ، ولكنّا كرهنا أن تُصاموا^(٢) . فالحقوا بصاحبكم ، فإنّ من أجابكم إلى رأيكم قليل ، وأنتم آمنون . فقَبِل المثنّى قولهما وما أشارا به ، وانصرف . ورجع الأحنف وقال : ما غيّبت رأيي إلا يومئذٍ هذا ، إني أتيت هؤلاء القوم وخلفت بكراً والأزد ورائي ، ورجع عبّاد وقيس إلى القبّاع ، وشخص المثنّى إلى المختار بالكوفة في غفر يسير من أصحابه ، وأصيب في تلك الحرب سُويد بن رثاب الشنّيّ ، وعقبة بن عسيرة الشنّيّ ، قَتَلَهُ رجل من بني تميم وقَتَلَ التميميّ فَوَلَّغ أخو عقبة بن عسيرة في دَم التميميّ ، وقال : نأري . وأخبر المثنّى المختار حين قدّم عليه بما كان من أمر مالك بن مِسمع وزياد بن عمرو وسببهما إليه ، وذبيهما عند حتّى شخص عن البصرة . فطَمَع المختار فيهما ، فكتب إليهما : أمّا بعد ، فاسمعا وأطيعا أوتيكما^(٣) من الدنيا ما شئتما ، وأضمن لكما الجنة . فقال . مالك لزِياد : يا أبا المغيرة ، قد أسكر لنا أبو إسحاق إعطاءنا الدنيا والآخرة ! فقال زياد للمالك ما زحاً : يا أبا غسان ، أمّا أنا فلا أقاتل نسيئةً ، من أعطانا الدّراهم قاتلنا معه . وكتب المختار إلى الأحنف بن قيس :

٦٨٣/٢

من المختار إلى الأحنف ومن قِبله ، فسَلِّم أنتم ، أمّا بعد ، فويلُ أمّ ربّعة من مفسر ، فإنّ الأحنف مُورد قومه سَقَر ، حيث لا يستطيع لهم الصّدَر ، وإني^(٤) لا أملك ما خُطّ في القَدَر ، وقد بلغني أنكم تسمّونني^(٥) كذّاباً ،

٦٨٤/٢

(١) ف : وابن الأثير « لنقاتلهم » . (٢) ف : « تصابوا » .

(٣) ف : « ولكما » . (٤) ف : « وأنا » .

(٥) ف : « تسموني » .

وقد كُذِّبَ الأنبياء من قبلي ، ولست بخير من كثير منهم .
وكتب إلى الأحنف :

إذا اشتريت قرصاً من مالِكَا ثم أخذت الجوب في شِمالِكَا
فاجعل مصاعاً حتماً من بالِكَا .

حدثني أبو السائب سلم بن جبلة ، قال : حدثنا الحسن بن حماد ،
عن حبان^(١) بن علي ، عن المجالد ، عن الشعبي ، قال : دخلت البصرة
فوجدت إلى حكمة فيها الأحنف بن قيس ، فقال لي بعض القوم : من
أنت ؟ قلت : رجل من أهل الكوفة ، قال : أنتم موال لنا ، قلت : وكيف ؟
قال : قد أفتنناكم من أيدي عبيدكم من أصحاب المختار ، قلت : تدري
ما قال شيخ همدان فينا وفيكم ؟ فقال الأحنف بن قيس : وما قال ؟
قلت : قال :

أَفَرَأَيْتُمْ أَنْ قَتَلْتُمْ أَعْبَدًا وَهَزَمْتُمْ مَرَّةً آلَ عَزَلْ
وَلَمَّا فَافَرْتُمُونَا فَادْكُرُوا مَا فَعَلْنَا بِكُمْ يَوْمَ الْجَمَلِ
بَيْنَ شَيْخٍ خَاضِبٍ عُثْنُونَهُ وَفَتًى أَبْيَضَ وَضَاحَ رِفْلٍ
جَاعِنًا يَهْلِكُ فِي سَابِقَةٍ فَذَبَحْنَاهُ ضَحًى ذَبَحَ الْحَمَلِ
وَعَفَوْنَا فَتَمَيَّيْتُمْ عَفَوْنَا وَكَفَرْتُمْ نِعْمَةً اللَّهِ الْأَجَلِ
وَقَتَلْتُمْ خَشْيَتَيْنِ بِهِمْ بَدَلًا مِنْ قَوْمِكُمْ شَرٌّ بَدَلْ

فغضب الأحنف ، فقال^(٢) : يا غلام ، هات تلك الصحيفة ، فأتي^(٣) ٦٨٥/٢
بصحيفة فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم . من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس ،
أماً بعد ، فويلُ أم ربيعة ومضر^(٤) . فإن الأحنف مُوردُ قومه سقتر ،
حيث لا يقدرُونَ على الصَّدَر ، وقد بلغني أنكم تُكذِّبوني ، وإن كُذِّبْتُ

(١) ط : « حبان » تصحيف . (٢) ف : « قال » . (٣) ف : « من مضر » .

فقد كُذِّبَ رَسُلٌ مِن قَبْلِي ، وَلَسْتُ أَنَا خَيْرًا^(١) مِنْهُمْ . فَقَالَ : هَذَا مِنَّا
أَوْ مِنْكُمْ !

وقال هشام بنُ محمد عن أبي مخنف ، قال : حَدَّثَنِي مَسْبُوحُ بْنُ الْعَلَاءِ
السَّعْدِيُّ أَنَّ مَسْكِينَ بْنَ عَامِرٍ بْنَ أَتَيْفٍ بْنَ شُرَيْحٍ بْنَ عَمْرٍو بْنَ عَدَسٍ كَانَ
فِيمَنْ قَاتَلَ الْمُخْتَارَ ، فَلَمَّا هَزَمَ النَّاسَ لَحِقَ بِأَذْرَبِيحَانَ بِمُحَمَّدِ بْنِ عَمِيرِ بْنِ
عَطَارِدَ ، وَقَالَ :

عَجِبْتُ دَخَنْتُوسَ لَمَّا رَأَيْتِي
فَأَهْلُتُ بِصَوْتِهَا وَأَرْتُتُ
إِنْ تَرَيْتَنِي قَدْ بَانَ غَرْبُ شِبَابِي
فَابْنُ عَامِرٍ وَابْنُ خَمْسِينَ عَامًا
لَيْتَ سِيقِي لَهَا وَجُوبَتَهَا لِي
لَيْتَنَا قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِتْنَا
فَعَلَ قَوْمٌ تَقَاذِفَ الْخَيْرِ عَنْهُمْ
وَتَوَلَّيْتُ عَنْهُمْ وَأَصْبَحُوا
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى شُهَابِ قُرَيْشٍ
وقال المتوكلُ الليثي :

٦٨١/٢

قَتَلُوا حُسَيْنًا ثُمَّ هُمْ يَنْعَوْنَهُ
لَا تَبْعِدَنَّ بِالطَّفِّ قَتْلِي ضُبِعَتْ
مَا شُرْطَةُ الدِّجَالِ تَحْتَ لَوَائِهِ
أَبْنَى قَسَى أَوْثَقُوا دِجَالَكُمْ
لَوْ كَانَ عِلْمُ الْغَيْبِ عِنْدَ أَخِيكُمْ
وَلَكَانَ أَمْرًا بَيْنَنَا فِيمَا مَضَى

إِنَّ الزَّمَانَ بِأَهْلِهِ أَطْوَارُ
وَسَقَى مَسَاكِينَ هَامِيَهَا الْأَمْطَارُ
بِأَصْلٍ مِمَّنْ غَرَّهُ الْمُخْتَارُ
يَجْلُ الْغُبَارُ وَأَنْتُمْ أَحْرَارُ
لَتَوَطَّاتْ لَكُمْ بِهِ الْأَحْبَارُ
تَأْتِي بِهِ الْأَنْبَاءُ وَالْأَخْبَارُ

إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يُكَذِّبَ وَخَيْكُمُ طَعْنُ يَشُقُّ عَصَاكُمُ وَحِصَارُ
وَيَجِيئُكُمْ قَوْمٌ كَأَنَّ مَيُوفَهُمْ بِأَكْفَهُمْ تَحْتَ الْعَاجِاجَةِ نَارُ
لَا يَنْتَنُونَ إِذَا هُمْ لَأَقْوَمُكُمْ إِلَّا وَهَامُ كُمَاتِكُمْ أَعْشَارُ

* * *

[ذكر الخبر عن بعث المختار جيشه للمكر بابن الزبير]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة بعث المختار جيشاً إلى المدينة المكر بابن الزبير ، وهو مظهر له أنه وجههم معونة له لحرب الجيش الذي كان عبد الملك بن مروان وجهه إليه لحروبه ، فنزلوا وادى القرى .

• ذكر الخبر عن السبب الداعي كان للمختار إلى توجيه ذلك الجيش وإلى ما صار أمرهم :

قال هشام بن محمد : قال أبو مخنف : حدثني موسى بن عامر ، قال : لما أخرج المختار ابن مطيع من الكوفة لحق بالبصرة . وكره أن يقدم ابن الزبير بمكة وهو مهزوم مفلول ، فكان بالبصرة مقيماً حتى قدم عليه ١٨٧/٢ عمر بن عبد الرحمن بن هشام ، فصارا جميعاً بالبصرة . وكان سبب قدوم عمر البصرة أن المختار حين ظهر بالكوفة واستجمع له الأمر وهو عند الشيعة إنما يدعو إلى ابن الحنفية والطلب بدعاء أهل البيت ، أخذ يخادع ابن الزبير ويكتب إليه ، فكتب إليه : أما بعد ، فقد عرفت مناصحتي إياك وجهدي على أهل عداوتك ، وما كنت أعطيتني إذا أنا فعلت ذلك من نفسك فلما وفيت لك ، وقضيت الذي كان لك علي ، خست بي ، ولم تف بما عاهدتني عليه ، ورأيت متى ما قد رأيت ، فإن ترد مراجعتي أرجعك ، وإن ترد مناصحتي أنصح لك . وهو يريد بذلك كفه عنه ، حتى يستجمع له الأمر (١) ، وهو لا يطلع الشيعة على شيء من هذا الأمر ، وإذا بلغهم شيء منه أراهم أنه أبعد الناس عن ذلك . قال : فأراد ابن الزبير أن يعلم أسلم هو أم حرب ! فلما عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي

فقال له : تجهّزْ إلى الكوفة فقد وليّنا كُتُباً^(١) ، فقال : كيف وبها المختار ! قال : إنّه يزعم أنّهم مطيع . قال : فتجهّزْ بما بين الثلاثين ألف درهم إلى الأربعين ألفاً^(٢) ، ثمّ خرج مقبلاً إلى الكوفة . قال : ويحيى عين المختار من مكّة حتّى أخبره^(٣) الخبر ، فقال له : بكم تجهّز ؟ قال : بما بين الثلاثين ألفاً إلى الأربعين ألفاً . قال : فدعا المختارُ زائدة بن قدامة وقال^(٤) له : أحمل معك سبعين ألف درهم ضعيف ما أنفقَ هذا في مسيره إلينا وتلقاه في المقاوِز ، وأخرج معك مسافر^(٥) بن سعيد بن نحران الناعطي في خمسمائة فارس دارع رامح ، عليهم البيّض ، ثمّ قل له : خذ هذه النفقة فإنّها ضعيف نَقَقْتُكَ ، فإنّه قد بلغنا أنّك تجهّزْتَ وتكلّفت قدرَ ذلك ، فكترَ هنا أن تغرم ، فخذها وانصرف ، فإن فعل وإلاّ فأره الخيل وقل له : إنّ وراء هؤلاء مثلهم مائة كتيبة . قال : فأخذ زائدة المال ، وأخرج معه الخيل ، وتلقاه بالمقاوِز ، وعرض عليه المال ، وأمّره بالانصراف ، فقال له : إنّ أمير المؤمنين قد ولّاني الكوفة ولا بدّ من إيفاذه أمره . فدعا زائدة بالخيل وقد أكفنها في جانب ، فلما رآها قد أقبلت قال : هذا الآن أعدرُ لي وأجملُ بي ، هات المال ، فقال له زائدة : أمّا إنّه لم يبعث به إليك إلّا لما بينك وبينه ، فدفعه إليه فأخذه ، ثمّ مضى راجعاً نحو البصرة ، فاجتمع بها هو وابنُ مطيع في إمارة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وذلك قبل وثوب المثني بن غزبة العبدى بالبصرة .

٦٨٨/٢

قال أبو مخنف : فحدثني إسماعيل بن نعيم أنّ المختار أخير أنّ أهل الشام قد أقبلوا نحو العراق ، فعرف أنّه به يبداً ، فخشى أن يأتيه أهل الشام من قبل المغرب ، ويأتيه مصعب بن الزبير من قبيل البصرة ، فودّع ابن الزبير وداراه وكابده^(٦) ، وكان عبد الملك بن مروان قد بعث عبد الملك ابن الحارث بن الحَكَم بن أبي العاص إلى وادي القرى ، والمختار لابن الزبير مكابيد موادع ، فكتب المختار إلى ابن الزبير :

٦٨٩/٢٠

(١) ب : « وليّتها » . (٢) ف : « ألف درهم » .

(٣) ف : « أخبرته » . (٤) ف : « فقال » .

(٥) ط : « مسافر » . (٦) ف : « وكان » .

أما بعد ، فقلدبغني أن عبد الملك بن مروان قد بعث إليك جيشاً . فإن أحببت أن أمدك بمكدة أمددتك .

فكتب إليه عبد الله بن الزبير :

أما بعد ، فإن كنت على طاعتي فلست أكره أن تبعث الجيش إلى بلادى وتبايع إلى الناس قبيلك ، فإذا أتتني ببعثك صدقت مقاتلك ، وكففت جنودى عن بلادك ، وعجلت على بتسريح الجيش الذى أنت باعته ، ومُرهم فليسيروا إلى من بوادى القرى من جند ابن مروان فليقاتلوه . والسلام .

فدعا المختار شرجيل بن ورس من همدان ، فسرّحه في ثلاثة آلاف أكثرهم الموالى ، ليس فيهم من العرب إلا سبعمائة رجل ، فقال له : مر حتى تدخل المدينة ، فإذا دخلتها فاكتب إلى بلك حتى يأتيك أمرى ، وهو يريد إذا دخلوا المدينة أن يبعث عليهم أميراً من قبلك ، ويأمر ابن ورس أن يعضى إلى مكة حتى يحاصر ابن الزبير ويقاقله بمكة ، فخرج الآخر يسير قبيل المدينة ، وخشى ابن الزبير أن يكون المختار إنما يكيده ؛ فبعث من مكة إلى المدينة عباس بن سهل بن سعد فى ألفين ، وأمره أن يستقر الأعراب ، وقال له ابن الزبير : إن رأيت القوم فى طاعتي فاقتل منهم ، وإلا فكايدهم حتى تهلكهم . ففعلوا ، وأقبل عباس بن سهل حتى لقي ابن ورس بالرقيم ، وقد عبى ابن ورس أصحابه ، فجعل على ميمته سكران ابن حمير الثوري من همدان ، وعلى ميسرته عياش بن جعلة الجدلى ، وكانت خيلها كلها فى الميمته والميسرة ، فدنا فسلم عليه ، ونزل هو يمشى فى الرجال ، وجاء عباس فى أصحابه وهم منقطعون على غير تعب . فبعد ابن ورس على الماء قد عبى أصحابه تعبى القتال . فدنا منهم فسلم عليهم . ثم قال : اخل معى ها هنا ، فحذّاه به ، فقال له : رحمتك الله ! ألت فى طاعة ابن الزبير ! فقال له ابن ورس : بلى ، قال : فسر بنا إلى عدوه هذا الذى بوادى القرى ، فإن ابن الزبير حدثنى أنه إنما أشخصكم صاحبكم إليهم ، قال ابن ورس : ما أمرت بطاعتك ، إنما أمرت أن أسير حتى آتى المدينة ، فإذا نزلتها رأيت رأى . قال له عباس بن سهل : فإن كنت فى طاعة ابن الزبير فقد

أمرني أن أسيرَ بك وبأصحابك إلى عدوِّنا الذِّين^(١) بوادي القرى ، فقال له ابن ورس : ما أمرتُ بطاعتك ، وما أنا بمتَّبِعك دون أن أدخل المدينة ، ثم أكتب إلى صاحبي فيأمرني بأمره . فلما رأى عباس بن سهل لِساجِسَتَه عرف خلافته ، فكبره^(٢) أن يُعلمه أَنه قد فطن له ، فقال : فرأيتك أفضل ، اعمل بما بدا لك ، فأما أنا فلأني سائر إلى وادي القرى . ثم جاء عباس بن سهل فنزل بالماء ، وبعث إلى ابن ورس يجزائر كانت معه ، فأهداها له ، وبعث إليه بدقيق وغم مسلحة — وكان ابن ورس وأصحابه قد هلكوا جوعاً — فبعث عباس بن سهل إلى كلِّ عشرة منهم شاة^(٣) ، فذبحوها ، واشتغلوا بها ، واختلطوا على الماء ، وترك القوم تعبيتهم ، وأمن بعضهم بعضاً ، فلما رأى عباس بن سهل ما هم فيه من الشغل جتمع من أصحابه نحواً من ألف رجل من ذوى البأس والسجدة ٦٩١/٢ ثم أقبل^(٤) نحو فسطاط شرجيل بن ورس ، فلما رآهم ابن ورس مقبلين إليه نادى في أصحابه ، فلم يتواف إليه مائة رجل حتى انتهى إليه عباس بن سهل وهو يقول : يا شرطّة الله ، إلى إلى ! قاتلوا السُّحِلين ، أولياء الشيطان الرجيم . فإنكم على الحق والهدى ، قد غدرُوا وفجروا .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يوسف أن عباساً انتهى إليهم ، وهو يقول :

أنا ابن سهل فارس غير وكنل أزوع مقدام إذا الكيش نكل
وأغتنى رأس الطرماح البطل بالسيف يوم الرّوع حتى يُنخزل
قال : فوالله ما اقتتلنا إلّا شيئاً ليس بشيء حتى قُتل ابن ورس في سبعين من أهل الحفاظ ، ورفقَ عباس بن سهل راية أمان لأصحاب ابن ورس ، فأنزها إلّا نحواً من ثلثمائة رجل انصرفوا مع سلیمان بن حمير الهملاني وعياش بن جعدة الجذلي ، فلما وقعوا في يد عباس بن سهل أمر بهم فقتلوا إلّا نحواً من مائتي رجل ، كره ناس من النّاس ممّن دُفعوا إليهم قتلهم ، فخلّوا سبيلهم ، فرجعوا ، فمات أكثرهم في الطريق ، فلما

(١) ف : « الذي » . (٢) ف : « كره » .

(٣) ف : « بشاة » . (٤) ف : « وأقبل » .

بلغ المختار أمرهم ، ورجع من رجع منهم ، قام خطيباً فقال : ألا إن
التمجّار الأشرار ، قتلوا الأبرار الأخيار . ألا إنّه كان أمراً مائتياً ، وقضاء
مقضيّاً . وكتب المختار إلى ابن الحنفية مع صالح بن مسعود الخنصمي :

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعد ، فإنّي كنت بعثت إليك جنداً ليذلّوا
لك الأعداء ، وليحوزوا لك البلاد ، فساروا إليك حتّى إذا أظلموا على طيّبة ، ١٩٢/٢
لقبهم بجندُ الملحد ، فخلعوههم بالله ، وغروهم بعهد الله ، فلمّا
اطمأنّوا إليهم ، ووثقوا بذلك منهم ، وثبوا عليهم فقتلوههم ، فإن رأيت
أن أبعث إلى أهل المدينة من قبلي جيشاً كثيفاً ، وتبعث إليهم من قبلك
رسلاً ، حتّى يعلم أهل المدينة أنّي في طاعتك ، وأتابعشت الجند إليهم عن
أمرك ، فافعل ، فإنّك ستجد عظمهم بحقكم أعرف ، وبكم أهل البيت أرف
منهم بال الزبير الظلمة الملحد ، والسلام عليك .

فكتب إليه ابن الحنفية : أمّا بعد ، فإنّ كتابك لمّا بلغني قرأته ،
وفهمت تعظيمك لحقّي ، وما تنوى به من سروري . وإن أحبّ الأمور
كلّها إلىّ ما أطيع الله فيه ، فأطع الله ما استطعت فيها أعلنت وأسررت ،
واعلم أنّي لو أردت لوجدت الناس إلىّ سراعاً ، والأعوان لي كثيرأ ، ولكنّي
اعتزلهم ، وأصبر حتّى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين .

فأقبل صالح بن مسعود إلى ابن الحنفية فودّعه وسلّم عليه ، وأعطاه
الكتاب وقال له : قل للمختار فليتيّ الله ، وليكفّ عن الدّعة ، قال :
فقلت له : أصلحك الله ! أو لم تكتب بهذا إليه ! قال له ابن الحنفية :
قد أمرته بطاعة الله ، وطاعة الله تتجمّع الخير كلّهُ ، وتنهى عن الشر ١٩٢/٢
كلّهُ . فلمّا قدّم كتابه على المختار أظهر للناس أنّي قد أمرت بأمر يجمع
البرّ واليسر ، ويضرح الكفر والعُدْر .

[ذكر الخبر عن قدوم الخشبية مكة وموافاتهم الحج]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة قدمت الخشبية مكة ، ووافوا الحج وأميرهم
أبو عبد الله الجليلي .

• ذكر الخبر عن سبب قدومهم مكة :
وكان السبب في ذلك — فيما ذكر هشام ، عن أبي مخنف وعليّ بن محمد ،

عن مسـلمة ابن محارب - أن عبد الله بن الزبير حبس محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته سبعة عشر رجلا من وجوه أهل الكوفة بزعمهم ، وكرهوا البسعة لمن لم تجتمع عليه الأمة ، وهربوا إلى الحرم ، وتوعدتهم بالقتل والإحراق ، وأعطى الله عهداً إن لم يبايعوا أن يُنفذ فيهم ما توعدتهم به ، وضرب لهم في ذلك أجلاً ، فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه أن يبعث إلى المختار وإلى من بالكوفة رسولا يعلمهم حالهم وحال من معهم ، وما توعدتهم به ابن الزبير . فوجه ثلاثة نفر من أهل الكوفة حين نام الحرس على باب زمزم ، وكتب معهم إلى المختار وأهل الكوفة يعلمهم حاله وحال من معه ، وما توعدتهم به ابن الزبير من القتل والتحريق^(١) بالنار ، ويسألهم ألا يخذلوه كما خذلوا الحسين وأهل بيته . فقدموا على المختار ، فدفعوا إليه الكتاب^(٢) فنادى في الناس قرأ عليهم الكتاب وقال : هذا كتاب^(٣) مهدىكم وصريح أهل بيت نبيكم ، وقد تركوا محظوراً عليهم كما يحظر على الغنم ينتظرون القتل والتحريق بالنار في آناء الليل وتارات النهار ، ولست أبا إسحاق إن لم أنصروهم نصراً مؤزراً ، وإن لم أسرب إليهم الخيل في أثر الخيل ، كالسيل يتلوه السيل ، حتى يحل بابن الكاهلية الويل .

٦٩٤/٢

وجه أبا عبد الله الخليل في سبعين ركباً من أهل القوة، وجه ظبيان ابن عمارة^(٤) أخا بني تميم ومعه أربع مائة، وأبا المعتمر في مائة، وهاني بن قيس في مائة، وعصمير بن طارق في أربعين ، ويونس بن عمران في أربعين ، وكتب إلى محمد بن علي مع الطغسيل بن عامر ومحمد بن قيس بتوجيه الجنود إليه ، فخرج الناس بعضهم في أثر بعض ، وجاء أبو عبد الله حتى نزل ذات عرق في سبعين ركباً ، ثم لحقه عير بن طارق في أربعين ركباً ، ويونس ابن عمران في أربعين ركباً ، فتموا خمسين ومائة ، فسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام ، ومعهم الكافركويات ، وهم ينادون : يا لثارات الحسين ! حتى انتهوا إلى زمزم ، وقد أعد ابن الزبير الحطب ليحرقهم ، وكان قد

(١) ف : الإحراق . (٢) ف : فغسوا الكتاب إليه .

(٣) ف : من مهديكم . (٤) ط : صان ، وهو خطأ ، وانظر الفهرس .

بقي من الأجل يومان ، فطردوا الحرّس ، وكسروا أعوادَ زنم ، ودخلوا على ابن الحنفية ، فقالوا له : حُكِّلَ بيننا وبين علوّ الله ابن الزبير ، فقال لهم : إني لا أستحلّ القتال في حرم الله فقال ابن الزبير : أتحبسون أُنّى مُحْكَلٌ سبيلهم دون أن يبايع ويبايعوا^(١) ! فقال أبو عبد الله الجدلّي : إني ورَبِّ الرُّمْنِ والمقام ، وربّ الحِلِّ والحرام ، لتخلينّ سبيله أو لنجالذلك بأسيافنا جِلاداً يرتاب منه المُبْطِلون . فقال ابن الزبير : والله ما هؤلاء إلا أككة رأس ، والله لو أذنت لأصحابي ما مضت ساعة حتّى تُنْقَطَفَ رموسهم ؛ فقال له قيس بن مالك : أما والله إني لأرجو إن رمت ذلك أن يوصل إليك قبل أن ترى فينا ما تحب . فكفّ ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة ، ثمّ قلم أبو المعتمر في مائة ، وهانئ بن قيس في مائة ، وظبيان بن عُمارة في مائتين ، ومعه المال حتّى دخلوا المسجد ، فكبروا : يا لثارات الحسين ! فلما رآهم ابن الزبير خافهم ، فخرج محمد بن الحنفية ومَن معه إلى شِعْبٍ علىّ وهم يسبون ابن الزبير ، ويستأذنون ابن الحنفية فيه ، فأبى عليهم ، فاجتمع مع محمد ابن علىّ في الشعب أربعة آلاف رجل ، فقسم بينهم ذلك المال .

* * *

[ذكر الخبر عن حصار بني نعيم بخراسان]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة كان حصار عبد الله بن خازم من كان بخراسان من رجال بني نعيم بسبب قتل من قتل منهم ابنه محمداً . قال عليّ بن محمد : حدثنا الحسن بن رشيد الجوزجاني عن الطفيل ابن مرداس العمّي ، قال : لما تفرقت بنو نعيم بخراسان أيام ابن خازم ، أتى قصر فترتنا عدة من فرسانهم ما بين السبعين إلى الثمانين ؛ فولّوا أمرهم عثمان بن بشر بن الحنفز المزيّ ، ومعه شعبة بن ظهير النهشليّ ، وورد بن الفلق العنبريّ ، وزهير بن ذؤيب العدويّ ، وجيهان بن مشجعة الضبيّ ، والحجاج بن ناشب العدويّ ، ورقبة بن الحرّ في فرسان بني نعيم . قال : فأناهم ابن خازم ، فحصرهم وخنّدق خندقا حصينا . قال : وكانوا يخرجون إليه

فيقاتلونهُ ، ثم يرجعون إلى القصر . قال : فخرج ابن خازم يوماً على تعبئة من خندقه في ستة آلاف ، وخرج أهل القصر إليه ، فقال لهم عثمان بن بشر بن الحنفز : انصرفوا اليوم عن ابن خازم ، فلا أظن لكم به طاقة ، فقال زهير بن ذؤيب العدوي : امرأته طالق إن رجعت حتى ينقض صفوفهم - وإلى جنبهم نهر يدخله الماء في الشتاء ، ولم يكن يومئذ فيه ^(١) ماء ، فاستبطنه زهير ، فسار فيه ، فلم ^(٢) يشعر به أصحاب ابن خازم حتى حمل عليهم ، فحطم أولهم على آخرهم ، واستداروا ^(٣) وكرّ راجعاً ، وتبعوه على جنبتي النهر يصيحون به : ^(٤) لا ينزل إليه أحد ، حتى انتهى إلى الموضع الذي انحدر فيه ، فخرج فحمل عليهم ، فأفرجوا له حتى رجع ؛ قال : فقال ابن خازم لأصحابه : إذا طاعنتم زهيراً فاجعلوا في رماحكم كلاليب فأعلقوها ^(٥) في أدائه إن قدرتم عليه ، فخرج إليهم يوماً وفي ^(٦) رماحهم كلاليب ^(٧) قد هيئوها له ، فطاعنوه ، فأعلقوا ^(٨) في درعه أربعة أرماح ، فالتفت إليهم ليحمل عليهم ، فاضطربت أيديهم ، فخطوا رماحهم ، فجاء يمر أربعة أرماح حتى دخل القصر ؛ قال : فأرسل ابن خازم غزوان بن جزة العدوي إلى زهير فقال : قل له : أرايتك إن أمنتك وأعطيتك مائة ألف ، وجعلت لك باسار ^(٩) طعمة تناصحنى ؛ فقال زهير لغزوان : ويحك ! كيف أناصح قوماً قتلوا الأشعث ابن ذؤيب ! فأسقط بها غزوان عند موسى بن عبد الله بن خازم .

٩٩٧/٢

قال : فلماً طال عليهم الحصار أرسلوا إلى ابن خازم أن خلّسنا نخرج فنتفرق ، فقال : لا إلا أن تنزلوا على حكمي ؛ قالوا : فإننا ننزل على حكمك ، فقال لهم زهير : ثكلتكم أمهاتكم ! والله ليقتلنكم عن آخركم ، فإن طبعتم بالموت أنفساً ^(١) قوتوا كراماً ، اخرجوا بنا جميعاً فلماً أن تموتوا جميعاً وإماً أن ينجو بعضكم ويهلك بعضكم ، وإيم الله لن شددتم عليهم

(١) ف : « فيه يومئذ ماء » . (٢) ف : « ولم » .

(٣) ف : « واستدار » . (٤-٤) ف : « ولا يمس أحد منهم أن ينزل فيه » .

(٥) ف : « الكلاليب ثم أعلقوها » . (٦) ف : « في » .

(٧-٧) ف : « فأعلقوها في أدائه لما هيئوها له ، وطاعنوه ساعة وأعلقوها » .

(٨) ظ : « باسار » .

(٩) ف : « وابن الأثير : « نفساً » .

شدّة صادقة ليُفْرِجَنَّ لَكُمْ عن مثل طريق المَرِيد، فإن شئتم كنت أمامكم، ١٩٨/٢
وإن شئتم كنت خلفكم. قال : فأبَيَا عليه ، فقال : أما إني سأريكم ، ثم
خرج هو ورقبة بن الحرّ ومع رقبة غلام له تركي وشعبة بن طهير . قال :
فَحَسَمُوا عَلَى الْقَوْمِ حِمْلَةً مَنكَرَةً ، فَأَفْرَجُوا لَهُمْ ، فَمَضَوْا ؛ فَأَمَّا زُهَيْرُ فَرَجَ
إِلَى أَصْحَابِهِ حَتَّى دَخَلَ الْقَصْرَ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : قَدْ رَأَيْتُمْ فَأُطِيعُونِي ، وَمَضَى
رَقَبَةً وَغَلَامَهُ وَشُعْبَةً ، قَالُوا : إِنَّ فِينَا مَنْ يَضَعُفُ ^(١) عَنْ هَذَا وَيَطْمَعُ ^(٢) فِي الْحَيَاةِ ،
قَالَ ^(٣) : أْبَعِدْكُمْ اللَّهُ ! أَتَخْلَوْنَ عَنْ أَصْحَابِكُمْ ! وَاللَّهِ لَا أَكُونُ أَجْزَعَكُمْ عِنْدَ
الْمَوْتِ . قَالَ : فَفَتَحُوا الْقَصْرَ وَنَزَلُوا ، فَأَرْسَلَ قَتِيلَهُمْ ، ثُمَّ حَمَلُوا إِلَيْهِ رَجُلًا رَجُلًا ،
فَأَرَادَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ ، فَأَبَى ابْنُهُ مُوسَى ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَنْ عَفَوْتَ عَنْهُمْ لِأَتَكَيَّنَ
عَلَى سِنِي حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي ؛ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ
الْفَتَى فِيمَا تَأْمُرُنِي بِهِ ، ثُمَّ قَتَلَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا ثَلَاثَةً ؛ قَالَ : أَحَدُهُم الْحِجَّاجُ بْنُ
نَاشِبِ الْعَدَوِيِّ - وَكَانَ رَمَى ابْنَ خَازِمَ وَهُوَ مُحَاصِرُهُمْ فَكَسَّرَ ضَرْسَهُ ، فَحُلِفَ
لَنْ ظَفَرَ بِهِ لِيَقْتُلْتَهُ أَوْ لِيَقْطَعُنَّ يَدَهُ ، وَكَانَ حَدَّثَنَا ، فَكَلَّمَهُ فِيهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي
نُبَيْمٍ كَانُوا مَعْتَرِلِينَ ؛ مِنْ عَمْرٍو بْنِ حَنْظَلَةَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : ابْنُ عَمِيٍّ وَهُوَ غَلَامٌ
حَدَّثَ جَاهِلٌ ؛ هَبْنِي لِي ، قَالَ : فَوَهَبَهُ لَهُ ، وَقَالَ : النَّجَاءُ ! لَا أَرِيَنَّكَ .
قَالَ : وَجِيهَانُ بْنُ مَشْجَعَةَ الضُّبَيْيِّ الَّذِي أَلْقَى نَفْسَهُ عَلَى ابْنَةِ مُحَمَّدٍ يَوْمَ قُتَيْلٍ ،
فَقَالَ ابْنُ خَازِمَ : خَطَبُوا عَنْ هَذَا الْبَيْتِ الْبَارِجِ ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ ، وَهُوَ
الَّذِي قَالَ يَوْمَ لَحِقُوا ابْنَ خَازِمَ : انْصَرَفُوا عَنْ فَارَسٍ مُضَرٍّ . قَالَ :
وَجَاءُوا بِزُهَيْرِ بْنِ ذَوَيْبٍ فَأَرَادُوا حِمْلَهُ وَهُوَ مَقِيدٌ ، فَأَبَى وَأَقْبَلَ بِسَجْلٍ ١٩٩/٢
حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَامَ لَهُ ابْنُ خَازِمَ : كَيْفَ شُكْرُكَ إِنْ أَطْلَقْتُكَ
وَجَعَلْتُ لَكَ بِأَسَارٍ ^(٤) طَعْمَةً ؟ قَالَ : لَوْ لَمْ تَصْنَعْ بِي إِلَّا حَقْنَ دَمِي لَشُكْرْتُكَ ،
فَقَامَ ابْنُهُ مُوسَى فَقَالَ : تَقْتُلُ الضَّيْعَ وَتَتْرَكَ الذَّبِيحَ ^(٥) ! تَقْتُلُ اللَّبْوَةَ وَتَتْرَكَ اللَّيْثَ !
قَالَ : وَيَتَحَكَّ ! تَقْتُلُ مِثْلَ زُهَيْرٍ ! مَن لَقَاتَلَ عَدُوَّ الْمُسْلِمِينَ ! مَن لِنِسَاءِ
الْعَرَبِ ! قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ شَرَكْتَ فِي دَمِ أَخِي أَنْتَ لَقَتَلْتُكَ ؛ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي

(١) ف : « وقالوا إنا نضعف » . (٢) ف : « ويطمع » .

(٣) ف : « فقال » . (٤) ط : « بأسان » .

(٥) الذبيح : الذكر من الضباع ، ويطلق الضبع على الأنثى منها .

سَلِّمَ إِلَى ابْنِ خَازِمٍ ، قَالَ : أَذْكُرُكَ اللَّهَ فِي زَهْرٍ ! فَقَالَ لَهُ مُوسَى : اتَّخِذْهُ
فَحْلًا لِبَنَاتِكَ ، فَغَضِبَ ابْنُ خَازِمٍ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، فَقَالَ لَهُ زَهْرٍ : إِنَّ لِي
حَاجَةً ، قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : تَقْتُلُنِي عَلَى حِدَةٍ ، وَلَا تَخْطُ دُمِي بِدِمَاءِ
هَؤُلَاءِ اللِّثَامِ ، فَقَدْ نَهَيْتُهُمْ عَمَّا صَنَعُوا وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يَمُوتُوا كِرَامًا ، وَأَنْ يَخْرُجُوا
عَلَيْكُمْ مُصْلِتِينَ ، وَابِيعَ اللَّهُ أَنْ لَوْ فَعَلُوا لَذَعَرُوا بِبُيُوتِكَ هَذَا : وَشَغَلُوهُ بِنَفْسِهِ
عَنْ طَلَبِ الثَّارِ بِأَخِيهِ فَأَبَوْا ، وَلَوْ فَعَلُوا مَا قَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى يَقْتُلَ رَجُلًا .
فَأَمَرَ بِهِ فَتُحِى نَاحِيَةُ قَتْلِهِ .

قَالَ مَسْلَمَةُ بْنُ مَحَارِبٍ : فَكَانَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ إِذَا ذَكَرَهُمْ قَالَ :
قُبِّحَ اللَّهُ ابْنَ خَازِمٍ ! قَتَلَ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَيْمٍ بَابْنِهِ ، صَبِيٌّ وَعَدَّ أَحْمَقَ لَا يُسَاوِي
عَلَقًا ، وَلَوْ قَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلًا بِهِ لَكَانَ وَقَى .

قَالَ : وَزَعَمَتْ بَنُو عَدَى أَنَّهُمْ لَمَّا أَرَادُوا حَمْلَ زَهْرٍ بْنِ ذَوْيْبٍ أَبَى وَاعْتَمَدَ
عَلَى رُمُوحِهِ وَجَمَعَ رَجُلَيْهِ فَوَثَّبَ الْخَنْدَقَ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْخَرِيشَ بْنَ هَلَالٍ
قَتَلَهُمْ قَالَ :

٧٠٠/٢

وَقَدْ عَصَّ سِنِي كِبَشَهُمْ ثُمَّ صَمَمَا	أَعَاذِلْ إِنِّي لَمْ أَلِمْ فِي قِتَالِهِمْ
رَجَالٌ وَحَتَّى لَمْ أَجِدْ مُتَقَدِّمًا	أَعَاذِلْ مَا وَلَّيْتُ حَتَّى تَبَدَّدْتُ
مُقَارَعَةَ الْأَبْطَالِ يَرْجِعُ مَكْلَمًا	أَعَاذِلْ أَفْنَانِي السَّلَاحُ وَمَنْ يُطِلْ
دَمًا لَا زَمَالِي دُونَ أَنْ تَسْكُبَا الدَّمَ	أَعْنِي إِنْ أَنْزَفْتُمَا الدَّمَ فَاسْكُبَا
وَوَرْدٌ أُرْجَى فِي خُرَاسَانَ مَغْنَمًا	أَبْعَدُ زَهْرٍ وَأَبْنُو بَشِيرٍ تَتَابَعَا
أَكْرُ إِذَا مَا فَارَسَ السَّوَاهِدَ أَحْجَمًا	أَعَاذِلْ كَمْ مِنْ يَوْمٍ حَرِبَ شَهِدْتُهُ

يَعْنِي بِقَوْلِهِ : « أَبْعَدُ زَهْرٍ » ، زَهْرَ بْنَ ذَوْيْبٍ ، وَابْنَ بَشِيرٍ ، عِثْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ الْمُحْتَفِزِ
الْمَازَنِيِّ . وَوَرْدُ بْنُ الْفَلَقِ الْعَنْبَرِيِّ ، قَتَلُوا يَوْمَئِذٍ ، وَقَتَلَ سُلَيْمَانَ بْنَ الْمُحْتَفِزِ أَخُو
بَشِيرٍ .

* * *

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَجَّعَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ . وَكَانَ
عَلَى الْمَدِينَةِ مَعْصُوبٌ مِنَ الزُّبَيْرِ مِنْ قِبَلِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ . وَعَلَى الْبَصْرَةِ الْحَارِثُ

ابن عبد الله بن أبي ربيعة ، وعلى قضائها هشامُ بنُ هبيرة ، وكانت الكوفة بها المختار غالباً عليها ، وبخُرَّاسان عبد الله بن خازم .

[شخص إِبْرَاهِيمُ بنُ الْأَشْثَرِ لِحَرْبِ عبيد الله بن زياد]

وفي هذه السنة شَخَّصَ إِبْرَاهِيمُ بنُ الْأَشْثَرِ متوجِّهًا إلى عبيد الله ابن زياد لحربه ، وذلك لِثَمَانٍ بَقِيْنَ من ذِي الْحِجَّةِ .

قال هشام بن محمد : حدَّثني أَبُو غَنْفٍ ، قال : حدَّثني النَّضْرُ بنُ صَالِحٍ - وكان قد أدرك ذلك - قال : حدَّثني فَضَيْلُ بنُ خَدَّيجٍ - وكان قد شهد ذلك - وغيرهما . قالوا : ما هو إِلَّا أن فرغ المختار من أهل السَّيِّعِ وأهل الكُنَاسَةِ ، فأنزل إِبْرَاهِيمُ بنُ الْأَشْثَرِ إِلَّا يَوْمَيْنِ حتَّى أَشْخَصَهُ إلى الوجه الذي كان وجهه له لِقَتَالَ أهل الشام . فخرج يوم السبت ثَمَانٍ بَقِيْنَ من ذِي الْحِجَّةِ سنة ستٍّ وستين ، وأخرج المختارُ معه من وجوه أصحابه وفُرسانهم وذو البصائر منهم : مِمْسَنٌ قد شهد الحرب وجربها . وخرج معه قيس بن طَهْفَةَ الشَّهْدِيِّ على ربيع أهل المدينة . وأمر عبد الله بن حَبَّةُ الْأَمْدِيُّ على ربيع مَذْجِجٍ وأَمْدٍ ، وبعث الْأَسْوَدُ بنُ جَرَادٍ الْكِندِيُّ على رُبْعِ كَنْدَةَ ورَبِيعَةَ . وبعث حبيب بن منقذ الثَّوْرِيَّ من هَمْدَانَ على ربيع تميم وهَمْدَانَ ، وخرج معه المختار يشيِّعُه حتَّى إذا بلغ دِيرَ عبد الرحمن بن أُمِّ الْحَكَمِ ، إذا أصحاب المختار قد استقبلوه ، قد حملوا الكرسيَّ على بقلٍ أَشْهَبَ كانوا يَحْمِلُونَهُ عليه ، فوقفوا به على القنطرة ، وصاحب أمر الكرسيَّ حَوْشَبُ الْبَرْسِيِّ . وهو يقول : يا رَبِّ عَمَّرْنَا في طاعتك . وانصرنا على الأعداء ، واذكرنا ولا تَنْسَئْنَا واسرنا ، قال : وأصحابه يقولون : آمين آمين ؛ قال فَضَيْلُ : فأنا سمعتُ ابنَ نَوْفٍ الْهَمْدَانِيَّ يقول : قال المختار :

أَمَّا وَرَبُّ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا لَتَقْتُلَنَّ بَعْدَ صَفٍّ صَفًّا

• وبعد ألف قاصطين ألفًا •

قال : فلمَّا انتهى إليهم المختار وابنُ الْأَشْثَرِ ازدحموا ازدحامًا شديدًا

على القنطرة ، ومضى المختار مع إبراهيم إلى قناطر رأس الجالوت - وهي إلى جنب ديار عبد الرحمن - فإذا أصحاب الكرسي قد وقفوا على قناطر رأس الجالوت يستنصرون ، فلما صار المختار بين قنطرة ديار عبد الرحمن وقناطر رأس الجالوت وقف ، وذلك حين أراد أن ينصرف ، فقال لابن الأشتر : خذ عنى ثلاثاً : خفف الله في سرّ أمرك وعلايتيه ، وعجل السير ، وإذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم ، وإن لقيتهم ليلاً فاستطعت ألا تُصبح حتى تناجزهم ، وإن لقيتهم نهاراً فلا تنتظر بهم الليل حتى تحاكمهم إلى الله . ثم قال : هل حفظت ما أوصيتك ^(١) به ؟ قال : نعم ، قال : صحبك الله ؛ ثم انصرف . وكان موضع عسكر إبراهيم بموضع حمام أعين ، ومنه شخص بعسكره .

* * *

[ذكر أمر الكرسي الذي كان المختار يستنصر به]

قال أبو مخنف : فحدثني فضيل بن خديج قال : لما انصرف المختار مضى ^(٢) إبراهيم ومعه أصحابه حتى انتهى إلى أصحاب الكرسي وقد عكفوا حوله ^(٣) وهم رافعو أيديهم ^(٤) إلى السماء يستنصرون ، فقال إبراهيم : اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء سنة بني إسرائيل ، والدي نفسي بيده إذ عكفوا على عجلهم - فلما جاز القنطرة إبراهيم وأصحابه انصرف أصحاب الكرسي .

• ذكر الخبر عن سبب كرمي المختار الذي يستنصر به هو وأصحابه :

٧٠٣/٢ قال أبو جعفر : وكان بلده مبيته ما حدثني به عبد الله بن أحمد بن شبيب ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله ابن المبارك ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة ، قال : حدثني معبد بن خالد ، قال : حدثني طهليل بن جعدة بن هبيرة ، قال : أعلمت مرة من الورق ، فلما لي كذلك إذ خرجت يوماً فإذا زيات بجار لي ، له كرمي قد ركه وسخ شديد ، فخطر على بالي أن لو قلت للمختار في هذا ! فرجعت فأرسلت إلى

(١) ف : عنى ما وصيتك . (٢) ف : ومضى .

(٣) ف : وعليه . (٤) ف : وهم رافعون أيديهم .

الزِّيَات : أُرْسِلَ إِلَى الْكَرْمِيِّ ، فَأُرْسِلَ إِلَى بِهِ ، فَأَتَيْتِ الْخِتَارَ ، فَقُلْتُ : إِنِّي كُنْتُ أَكْتُمُكَ شَيْئًا ^(١) لَمْ أَسْتَحِلْ ذَلِكَ ، فَقَدْ بَدَأَ أَنْ أَذْكُرَهُ لَكَ ، قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قُلْتُ : كَرْمِي كَانَ جَعْلَةً بَنَ هُبَيْرَةَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ يَرَى أَنَّ فِيهِ أَثَرَةَ مَنِ عِلِمَ ، قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! فَأَنْحَرْتَ هَذَا إِلَى الْيَوْمِ ! ابْعَثْ إِلَيْهِ ، ابْعَثْ إِلَيْهِ ، قَالَ : وَقَدْ غُسِّلَ وَخَرَجَ عَوْدُ نَضَارٍ ، وَقَدْ تَشَرَّبَ الزَّيْتُ ، فَخَرَجَ يَبْهَمٌ ، فَجِئْتُ بِهِ وَقَدْ غُشِيَ ، فَأَمَرْتُ بِإِنْفِ عَشْرِ أَلْفًا ، ثُمَّ دَعَا : الصَّلَاةَ جَامِعَةً .

فَحَدَّثَنِي مُعْبِدُ بْنُ خَالِدِ الْجَدَلِيِّ قَالَ : انْطَلَقْتُ بِي وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ طَلْحَةَ ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَشَبَّثُ بْنُ رَبِيعٍ وَالنَّاسُ يَخْرُجُونَ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ الْخِتَارُ : إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَمِّ الْخَالِيَةِ أَمْرًا إِلَّا وَهُوَ كَائِنٌ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مِثْلُهُ ، وَإِنَّهُ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ التَّابُوتَ فِيهِ بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ ، وَإِنَّ هَذَا فِينَا مِثْلَ التَّابُوتِ ، اكْشَفُوا عَنْهُ ، فَكْشَفُوا عَنْهُ أَثْوَابَهُ ، وَقَامَتِ السَّبْيَةُ فَرَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ ، وَكَبَّرُوا ثَلَاثًا ، فَقَامَ شَبَّثُ بْنُ رَبِيعٍ وَقَالَ : يَا مَعْشَرَ مُضَفَّرٍ ، ٧٠٤/٢ لَا تَكْفُرُوا ، فَنَحْنُ هُوَ فَذَبِّهْهُ وَصَدِّهْهُ وَأَخْرِجْهُ ، قَالَ إِسْحَاقُ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَجُوزُ أَنَّهَا لَشَبَّتْ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ قِيلَ : هَذَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ قَدْ نَزَلَ بِأَهْلِ الشَّامِ بِاجْمُعِيَّةٍ ، فَخَرَجَ بِالْكَرْمِيِّ عَلَى بَغْلٍ وَقَدْ غُشِيَ ، يُمَسِّكُهُ عَنْ يَمِينِهِ سَبْعَةٌ وَعَنْ يَسَارِهِ سَبْعَةٌ ، فَقَتِلَ أَهْلُ الشَّامِ مَقْتَلَةً لَمْ يَقْتُلُوا مِثْلَهَا ، فَزَادَهُمْ ذَلِكَ فَتَنَةً ، فَارْتَفَعُوا فِيهِ حَتَّى تَعَاطَوْا الْكُفْرَ ، فَقُلْتُ : إِنَّ اللَّهَ ! وَتَلَمْتُ عَلَى مَا صَنَعْتَ ، فَتَكَلَّمْتُ النَّاسَ فِي ذَلِكَ ، فَغَضِبَ ، فَلَمْ أَرَهُ بَعْدُ .

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : قَالَ أَبُو صَالِحٍ : فَقَالَ فِي ذَلِكَ أَعْنَيْ سَهْمَانُ كَمَا حَدَّثَنِي غَيْرُ عَبْدِ اللَّهِ :

شَهِدْتُ عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ سَبْيَةُ
وَأَقْسَمُ مَا كَرَّمِيَكُمْ بِسَكِينَةٍ
وَأَنْ لَيْسَ كَالْتَّابُوتِ فِينَا وَإِنْ سَعَتْ
وَأَتَى بِكُمْ يَا شُرْطَةَ الشَّرِكِ عَارِفٌ
وَأَنَّ كَانَ قَدْ لُفَّتْ عَلَيْهِ اللَّفَافُ
شَبَّامٌ حَوَالِيَهُ وَنَهَدَ وَخَارَفُ ^(٢) ٧٠٥/٢

(١) ف : « ولم » .

(٢) ف : « وحارف » .

ولإني امرؤٌ أُحِبُّ آلَ مُحَمَّدٍ وَتَابَعْتُ وَحْيًا ضُمَّنَتْهُ الْمَصَاحِفُ
وَتَابَعْتُ عَبْدَ اللَّهِ لَمَّا تَتَابَعْتُ^(١) عَلَيْهِ قَرِيشٌ : شَمَطَهَا وَالْغَطَّارُفُ

وقال المتوكل الليثي :

أُبْلِغَ أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ جِئْتَهُ أَنَّنِي بِكُرْسِيِّكُمْ كَافِرٌ
تَنْزَرُو شِبَامَ حَوْلَ أَعْوَادِهِ وَتَحْمِلُ الْوَحْيَ لَهُ شَاكِرٌ
مَحْمَرَةٌ أَعْيُنُهُمْ حَوْلَهُ كَانَهُنَّ الْحَمَصُ الْحَادِرُ

فأما أبو مخنف : فإنه ذكر عن بعض شيوخه قصة هذا الكرسي غير
الذي ذكره عبد الله بن أحمد بالإسناد الذي حدثنا به ، عن طفيل بن
جعلة . والذي ذكر من ذلك ما حدثنا به ، عن هشام بن محمد ، عنه ،
قال : حدثنا هشام بن عبد الرحمن وابنه الحكم بن هشام ، أن المختار قال
لآل جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي -- وكانت أم جعدة أم هاني
بنت أبي طالب أخت علي بن أبي طالب عليه السلام لأبيه وأمه : التوني
بكرسي علي بن أبي طالب ؛ فقالوا : لا والله ما هو عندنا ، وما ندرى من
أين نجيء به ! قال : لا تكونن حتمى ، اذهبوا فأتوني به ، قال : فظن
القوم عند ذلك أنهم لا يأتون بكرسي ، فيقولون : هو هذا إلا قبيله
منهم ، فجاءوا بكرسي فقالوا : هو هذا^(٢) قبيله ، قال : فخرجت
شباب وشاكر ورعوس أصحاب المختار وقد عصَّبوه بالحرير والدِّيباج .

٧٠٦/٢

قال أبو مخنف ، عن موسى بن عامر أبي الأشعر الجهشي : إن الكرسي
لمَّا بلغ ابن الزبير أمره قال : أين بعضُ جنادِ به الأزْد عنه !

قال أبو الأشعر : لمَّا جيء بالكرسي كان أول من سَدَنَه موسى بن
أبي موسى الأشعري ، وكان يأتي المختار أول ما جاء ويحف به ، لأن أمه أم كلثوم
بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب . ثم إنَّه بعد ذلك عُتِبَ عليه فاستجيا

منه ، فدفعه إلى حَوْشِبِ الْبُرْسُمِيِّ ، فكان صاحبه حتَّى ملك المختار .
قال : وكان أحد عمومة الأعشى رجلاً يَكْتُمُ أبا أمامة يأتي مجلس أصحابه
فيقول : قد وُضِعَ لنا اليوم وحى ما سَمِعَ الناسُ بمثله ، فيه نبأ ما يكونُ
من شئ .

قال أبو مخنف : حدثنا موسى بن عامر أنه إنما كان يصنع ذلك لهم
عبد الله بن نوف ، ويقول : المختار أمرني به ، ويتبرأ المختار منه .

ثم دخلت سنة سبع وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك مقتل عبيد الله بن زياد ومن كان معه من أهل الشام .

• ذكر الخبر عن صفة مقتله .

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني أبو الصلت ، عن أبي سعيد الصيقل ، قال : مضينا مع إبراهيم بن الأشتر ونحن نريد عبيد الله بن زياد ومن معه من أهل الشام ، فخرجنا مُسرَّعين لانتثنى ، نريد أن نلقاه قبل أن يدخل أرض العراق . قال : فسبقناه إلى تحوم أرض العراق مسبقاً بعيداً ، ووصلنا في أرض الموصل ، فتمعجنا إليه ، وأسرعنا السير ، فنلقاه بخازر إلى جنب قرية يقال لها باريثا ، بينها وبين مدينة الموصل خمسة فراسخ ، وقد كان ابن الأشتر جعل على مقدمته الطفيل بن لقيط ، من وهبيل من التخم (رجلا من قومه) ، وكان شجاعاً بئيساً^(١) ، فلمّا أن دنا من ابن زياد ضمّ حميد بن حرث إليه ، وأخذ ابن الأشتر لا يسير إلّا على تعبئة ، وضمّ أصحابه كلّهم إليه بخيله ورجاله ، فأخذ يسير بهم جميعاً لا يفرقهم ، إلّا أنّه يبعث الطفيل بن لقيط في الطلائع حتّى نزل تلك القرية .

٧٠٨/٢ قال : وجاء عبيد الله بن زياد حتّى نزل قريباً منهم على شاطئ خازر . وأرسل عمير بن الحُبَاب السلمي إلى ابن الأشتر : إني معك ، وأنا أريد^(٢) الليلة لقاءك ، فأرسل إليه ابن الأشتر : أن القني إذا شئت ؛ وكانت قيس كلّها بالجزيرة ، فهم أهلُ خلاف مروان وآل مروان ، وحنّد مروان يومئذ كلبٌ وصاحبهم ابن بحدل . فأثاه عُمَيْر ليلاً فبايعه ، وأخبره أنّه على ميسرة صاحبه ؛ وواعده أن ينهزم بالنّاس ، وقال ابن الأشتر : ما رأيك ؟ أخذني علىّ وأتلوّم يومين أو ثلاثة ؟ قال عمير بن الحُبَاب : لا تفعل ، إنّنا

(١) الرجل البئيس : الشديد . (٢) ١ ، س : « وأريد » .

لله ! هل يريد القومُ إلّا هذه ! إن طاولوك وماطوك فهو خير لهم ، هم كثيرٌ أضعافكم ، وليس يطبق القليلُ الكثير في المطاولة ؛ ولكن ناجر القوم فأنّهم قد ملّثوا منكم رُعباً ، فأنّهم فأنّهم إن شاموا أصحابك وقتلوهم يوماً بعد يوم ، ومرة بعد مرة أنسوا بهم ، واجتمعوا عليهم ؛ قال إبراهيم : الآن علمتُ أنّك لى مناصح ، صدقت ، الرأى مارأيت ، أما لى إن صاحبي بهذا أوصاني ، وبهذا الرأى أمرنى . قال عمير : فلا تعدون رأيه ، فإن الشيخ قد صرّسّنه الحروب ، وقاسى منها ما لم نَقَاس ، أصبح فناهض الرجل .

ثم إن عميراً انصرف ، وأذكى ابن الأشتر حرّسه تلك الليلة الليل كلّها ، ولم يدخل عينه غمض ، حتّى إذا كان في السحر الأول عبّى أصحابه ، وكتب ٧٠٩/٢ كتابه ، وأمر أمراءه . فبعث سُفَيان بن يزيد بن المُشَقَّل الأزدي على ميمنته ، وعلى بن مالك الجُشَمي على ميسرته ، وهو أخو أبي الأحوص . وبعث عبد الرحمن بن عبد الله - وهو أخو إبراهيم بن الأشتر لأمّ - على الخليل ، وكانت خيلُه قليلةً ، فضمّها إليه ، وكانت في الميمنة والقلب ، وجعل على رجالاته الطُفَيْل بن لقيط ، وكانت رأيتُه مع مزاحم بن مالك . قال : فلمّا انفجر الفجر صلبى بهم الغداة بغلس ، ثمّ خرج بهم فصمّهم ، ووضع أمراء الأرباع في مواضعهم ، وألحق أمير الميمنة بالميمنة ، وأمير الميسرة بالميسرة ، وأمير الرجالة بالرجالة ، وضمّ الخليل إليه ، وعليها أخوه لأمّه عبد الرحمن بن عبد الله ، فكانت وسطاً من الناس ، ونزل إبراهيم يمشي ، وقال للناس : ارحقوا ، فزحف الناس معه على رصصهم رويداً رويداً حتّى أشرف على تلّ عظيم مشرف على القوم ، فجلس عليه ، وإذا أولئك لم يتحرك منهم أحد بعد ففسّح عبد الله بن زهير السلولي وهو على فرس له يتأكل تأكلًا^(١) ، فقال : قرب على فرسك حتّى تأتيني بخبر هؤلاء ، فانطلق ، فلم يلبث إلّا يسيراً حتّى جاء ، فقال : قد خرج القوم على دَهَش وفَشَل ، لقيت رجل منهم فما كان له هيجيرى إلّا يا شيعة أبي تُرّاب ، يا شيعة المختار الكذاب ! فقلت : ما بيننا وبينكم أجلٌ من الشتم ، فقال لى : يا عدو الله ، إلّا

(١) تأكل الفرس ، لى حاج وكاد يأكل بقضه بعضاً .

تدعوننا ! أنتم تقتلون مع غير إمام ، فقلت له : بل يا لثارات الحسين . ابن رسول الله ! ادفعوا إلينا عبيد الله بن زياد ؛ فإنه قَتَلَ ابنَ رسول الله وسيد شباب أهل الجنة حتى قتلته ببعض موالينا الذين قتلهم مع الحسين ، فلما لا نراه لحسين نداءً فترضى أن يكون منه قوداً ، وإذا دفعتموه إلينا فقتلناه ببعض موالينا الذين قتلهم جعلنا بيننا وبينكم كتاب الله ، أو أى صالح من المسلمين شئتم حكمكم ، فقال لى : قد جربناكم مرة أخرى فى مثل هذا - يعنى الحكمتين - فخلدتم ، فقلت له : وما هو ؟ فقال : قد جعلنا بيننا وبينكم حكمين فلم ترضوا بحكمهما ؛ فقلت له : ما جئت بحجة ، إنما كان صلحنا على أنهما إذا اجتمعا على رجل تبعنا حكمهما ، ورضينا به وبايعناه ، فلم يجتمعا على واحد ، وتفرقا ، فكلاهما لم يوفقه الله لخير ولم يسدده ، فقال : من أنت ؟ فأخبرته ؛ فقلت له : من أنت ؟ فقال : عدس - ليعلمته يزجرها (١) - فقلت له : ما أنصفتنى ، هذا أول غدرك !

قال : ودعا ابن الأشتر بفرس له فركبه ، ثم مر بأصحاب الرأيات كلها ، فكلما مر على راية وقف عليها ، ثم قال : يا أنصار الدين ، وشيعة الحق ، وشرطة الله ، هذا عبيد الله بن مرتجانة قاتل الحسين بن على ، ابن فاطمة بنت رسول الله ، حال بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يشربوا منه ، وهم ينظرون إليه ، ومنعه أن يأق ابن عمه فيصالحه ، ومنعه أن ينصرف إلى رحله وأهله ، ومنعه الذهاب فى الأرض العريضة حتى قتله وقتل أهل بيته ؛ فوالله ما عمل فرعون بسجاء بنى إسرائيل ما عمل ابن مرتجانة بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . قد جاءكم الله به ، وجاءه بكم ، فوالله إنى (٢) لأرجو ألا يكون الله جمع بينكم فى هذا الوطن وبينه إلا ليشفى صلوركم بسفك دمه على أيديكم ، فقد علم الله أنكم خرجتم غصبا لأهل بيت نبيكم . فسار فيما بين الميمنة والميسرة ، وسار فى الناس كلهم فرغبتهم فى الجهاد ، وحرصهم على القتال ، ثم رجع حتى نزل تحت رايته ، وزحف القوم إليه ، وقد جعل ابن زياد على

(١) : ليزجرها . (٢) س : « واهة إنى » .

ميمنته الحُصَيْن بن غَيْر السَّكُونِي، وعلى ميسرته عُمَيْر بن الحُبَاب السُّلَمِي،
 وشُرْحَبِيل بن ذِي الْكَلَّاع على الخليل وهو يَمْشِي في الرجال ، فلَمَّا تَدَانَى
 الصَّفَانِ حَمَلَ الْحُصَيْن بن عُمَيْر في ميمنة أهل الشام على ميسرة أهل الكوفة ،
 وعليها على بن مالك الجُشَمِي ، فثَبِتَ له هو بنفسه قَتْلًا ، ثُمَّ أَخَذَ رَايَتَهُ
 قُرَّةُ بن علي ، فَقَتَلَ أَيْضًا فِي رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاطِ قَتَلُوا وَانْهَزَمَتِ الْمَيْسِرَةُ ،
 فَأَخَذَ رَايَةَ عَلَى بن مالك الجُشَمِي عَبْدُ اللَّهِ بن ورقاء بن جُنَادَةَ السَّلُولِي
 ابن أَخِي حُبَشِي بن جُنَادَةَ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاسْتَقْبَلَ
 أَهْلَ الْمَيْسِرَةِ حِينَ انْهَزَمُوا ، فَقَالَ : إِلَى يَا شُرْطَةُ اللَّهِ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِمْ ،
 فَقَالَ : هَذَا أَمِيرُكُمْ يِقَاتِلُ ، سِيرُوا بِنَا إِلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ حَتَّى أَتَاهُ وَإِذَا هُوَ كَاشِفٌ
 عَنْ رَأْسِهِ يُنَادِي : يَا شُرْطَةُ اللَّهِ ، إِلَى أَنَا ابْنُ الْأَشْرِ ! إِنَّ خَيْرَ فَرَارٍكُمْ
 كُرَارُكُمْ ، لَيْسَ مُسَيِّئًا مِنْ أَعْتَبَ . فَتَابَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، وَأُرْسِلَ إِلَى
 صَاحِبِ الْمَيْمَنَةِ : أَحْمَلْ عَلَى مَيْسَرَتِهِمْ — وَهُوَ يَرْجُو حَبْتَهُ أَنْ يَنْهَزِمَ لَهُمْ عُمَيْرُ
 ابْنُ الْحُبَابِ كَمَا زَعَمَ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ صَاحِبُ الْمَيْمَنَةِ ، وَهُوَ سُقْيَانُ بن يَزِيدَ
 ابْنُ الْمُخَضَّلِ ، فَثَبِتَ لَهُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ وَقَاتَلَهُ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَلَمَّا رَأَى
 إِبْرَاهِيمُ ذَلِكَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : أَمُّوا هَذَا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ ، فَوَاقَهُ لَوْ قَدْ فَضَّضْنَاهُ
 لَانْجَلَّ مَنْ تَرَوْنَ مِنْهُمْ يَمْنَةً وَيَسْرَةَ انْجَلَّ طَيْرٌ ذَعَرَتْهَا فَطَارَتْ .

قال أبو مخنف : فحدثني إبراهيم بن عبد الرحمن الأنصاري ، عن ورقاء
 ابن عازب ، قال : مشينا إليهم حتى إذا دَكُونَا مِنْهُمْ اطْمَعَنَّا بِالرَّمَاكِ قَلِيلًا ،
 ثُمَّ صَرْنَا إِلَى السُّيُوفِ وَالْعَمَدِ ، فَاضْطَرَبْنَا بِهَا مَلِيًّا مِنَ النَّهَارِ ، فَوَاقَهُ مَا شَبَّهْتُ
 مَا سَمِعْتُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مِنْ وَقْعِ الْحَدِيدِ عَلَى الْحَدِيدِ إِلَّا مَيَّاجِينَ قَصَبَارِي^(١)
 دار الوليد بن عَقْبَةَ بن أَبِي مُعَيْطٍ . قَالَ : فَكَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ
 هَزَمَهُمْ ، وَمَتَحَنَّا أَكْثَافَهُمْ .

قال أبو مخنف : وحدثني الحارث بن حَصِيرَةَ ، عن أبي صادق أن
 إبراهيم بن الْأَشْرِ كَانَ يَقُولُ لِصَاحِبِ رَايَتِهِ : انْغَمَسَ بِرَايَتِكَ فِيهِمْ ، فَيَقُولُ
 لَهُ : إِنَّهُ — جُعِلَتْ فِدَاكَ — لَيْسَ لِي مُتَقَبِّدٌ ، فَيَقُولُ : بَلَى ، فَإِنَّ أَصْحَابَكَ

يقاتلون ؛ وإن هؤلاء لا يهربون إن شاء الله ؛ فإذا تقدم صاحبُ رايته برايته شدَّ إبراهيمُ بسيفه فلا يضرب به رجلاً إلا صرعه . وكرَدَ^(١) إبراهيمُ الرجال من بين يديه كأنهم الحُمْلان ، وإذا حمل برايته شدَّ أصحابُه شدَّةَ رجل واحد .

قال أبو مخنف : حدثني المشرقُ أَنَّهُ كان مع عبيد الله بن زياد يومئذٍ حديبةٌ لا تليق شيئاً مرَّت به ، وأنه لما هُزِمَ أصحابه حمل^(٢) عيسينهُ ابن أسماء أختَه هند بنت أسماء — وكانت امرأة عبيدِ الله بن زياد — فذهب بها وأخذ يرتجز ويقول :

إِن تَصْرِي حِيَالَنَا قَرُبَمَا أَرْقَيْتُ فِي الْهَيْجَا الْكَمِي الْمُعْلِمَا
قال أبو مخنف : وحدثني فضيل بن خديج أن إبراهيم لما شدَّ على ابن زياد وأصحابه انهزموا بعد قتال شديد وقتل كثير من الفريقين ، وأن عمير بن الحُباب لما رأى أصحاب إبراهيم قد هزموا أصحاب عبيد الله بعث إليه : أجيئك الآن ؟ فقال : لا تأتيني حتى تسكن فورة شُرطة الله ، فإني أخاف عليك عاديَّتهم .

وقال ابن الأَشر: قتل رجلًا وحدث منه رائحة المسك ، شرقتُ يدها وغربت رجلاه ، تحت راية منفردة ، على شاطئ نهر خازر . فالتمسوه فإذا هو عبيد الله بن زياد قتيلاً ، ضربه ففدَّهُ بنصفين ، فلهبت رجلاه في المشرق ، ويدها في المغرب . وحمل شريك بن جليدر التغلبي على الحصين بن نمير السكوني وهو يحسبه عبيد الله بن زياد ، فاعتق كل واحد منهما صاحبه ، ونادى التغلبي : اقتلوني وابن الزانية ؛ فقتل ابن نمير .

وحدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله بن المبارك ، قال : حدثني الحسن بن كثير ، قال : كان شريك بن جليدر التغلبي مع علي عليه السلام ، أصيب عينه معه ، فلما انقضت حربُ علي لحق ببيت المقدس ، فكان به ، فلما جاءه

قتلُ الحسين ، قال : أعاهدُ الله إن قدرت على كذا وكذا - يَطْلُبُ بدم الحسين - لأقتلنَّ ابنَ مرجانة أو لأموتنَّ دونه . فلماً بلغه أنَّ المختار خرج يَطْلُبُ بدم الحسين أقبل إليه . قال : فكان وجهه مع إبراهيم بن الأشتر ، وجُمِعَ على خيل ربيعة ، فقال لأصحابه : إنني عاهدتُ الله على كذا وكذا ، فبايعه ثلثائة على الموت ، فلماً التقوا حَمَلَ فجعل يَهْتِكُهَا صفاً صفاً مع أصحابه حتَّى وصلوا إليه ، وثار الرَّهَجُ فلا يُسْمَعُ إلا وقع الحديد والسيوف ، فافترجت عن الناس وهما قتيلان ليس بينهما أحدٌ ، التَّغَلَّبَ وعبيدُ الله ابن زياد ، قال : وهو الَّذِي يقول :

كلُّ عيش قد أراه قَلِيْراً^(١) غير ركنِ الرمح في ظلِّ القَرْصِ^(٢)

قال هشام : قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج ، قال : قتل^(٣) شرحبيل بن ذي الكلاع ، فادَّعى قتله ثلاثة : سَعْيَان بن يزيد بن المغفل الأزدي ، وورقاء بن عازب الأسدي ، وعبيد الله بن زهير السلمي . قال : ولماً هُزِمَ أصحاب عبيد الله تبعهم أصحاب إبراهيم بن الأشتر ، فكانَ مَنْ غرق أكثر مِمَّن قتل ، وأصابوا حسكرهم فيه من كلِّ شيء ، وبلغ المختار وهو يقول لأصحابه : يأتاكم الفتح أحدَ اليومين إن شاء الله من قبيل إبراهيم ابن الأشتر وأصحابه ، قد هزموا أصحاب عبيد الله بن مرجانة . قال : فخرج المختار من الكوفة ، واستخلف عليها السائب بن مالك الأشعري ، وخرج بالناس ، ونزل ساباط .

قال أبو مخنف : حدثني المشرق ، عن الشعبي ، قال : كنت أنا وأبي مِمَّن خرج معه ، قال : فلماً جَزُنَا ساباط قال للناس : أبشروا فإنَّ شَرْطَةَ الله قد حسوهم بالسيوف يوماً إلى اللَّيْلِ بنصبيين أو قريباً من نصبيين ودُوَيْنَ منازلهم ، إلاَّ أَنْ جَلَّهم محصور بنصبيين . قال : ودخلنا المدائن ، واجتمعنا إليه ، فصعد المنبر ، فوالله إنَّه ليخطبنا ويأمرنا بالجدِّ وحسن

(١) ف : « باطلا » . (٢) ف : « غير ركن الرمح » .

(٣) س : « قتل » .

الرأى والاجتهاد والثبات على الطاعة ، والطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام ،
 إذ جاءته البشرى تشترى بضعها بعضاً بقتل عبيد الله بن زياد وهزيمة
 أصحابه ، وأخذ عسكره ، وقتل أشراف أهل الشام ، فقال المختار : يا شرطه
 الله ، ألم أبشركم بهذا قيل أن يكون ! قالوا : بلى والله لقد قلت ذلك ؛ قال :
 فيقول لى رجل من بعض جيراننا من الهمدانيين : أتؤمن الآن يا شعبي ؟
 قال : قلت بأى شيء تؤمن ؟ أؤمن بأن المختار يعلم الغيب ! لا أؤمن بذلك
 أبداً . قال : لو لم يقل لنا : إنهم قد هزموا ! فقلت له : إنما زعم لنا
 أنهم هزموا بتحصين من أرض الجزيرة ، وإنما هو بخازر من أرض الموصل ،
 فقال : والله لا تؤمن يا شعبي حتى ترى العذاب الأليم ؛ فقلت له : من
 هذا الهمداني الذي يقول لك هذا ؟ فقال : رجل لعمري كان شجاعاً — قتل
 مع المختار بعد ذلك يوم حروراء — يقال له : سلمان بن حمير من الثوريين
 من همدان ؛ قال : وانصرف المختار إلى الكوفة . وصحى ابن الأشتر من
 عسكره إلى الموصل ، وبعث عماله عليها ، فبعث أخاه عبد الرحمن بن
 عبد الله على نصيبين ، وغلب على سنجار ودارا ، وما والاها من أرض الجزيرة ،
 وخرج أهل الكوفة الذين كان المختار قاتلهم فهزمهم ، فلكحوا بمصعب بن
 الزبير بالبصرة . وكان فيمن قلم على مصعب شبث بن ربعي ، فقال سراقه
 ابن مirdاس البارق يمدح إبراهيم بن الأشتر وأصحابه في قتل عبيد الله
 ابن زياد :

أَتَاكُمْ غُلَامٌ مِنْ عَرَائِينِ مَنْجِجٍ جَرَى عَلَى الْأَعْدَاءِ غَيْرُ نَكُولٍ^(١)
 فَيَا بْنَ زِيَادٍ بُوًى بِأَعْظَمِ مَالِكٍ وَذُقْ حَدَّ مَاضِي الشُّفَرَتَيْنِ صَقِيلِ
 ضَرَبْنَاكَ بِالْعُضْبِ الْحُسَامِ بِحِلَّةٍ إِذَا مَا أَبَانَا قَاتِلًا بِقَتِيلِ
 جَزَى اللَّهُ خَيْرًا شَرْطَةَ اللَّهِ إِنَّهُمْ شَفَوْا مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ أَمْسٍ غَلِيلِ^(٢)

* * *

(١) ديوانه ٨١ . (٢) بعده في رواية الديوان :

وَأَجْلَزَ بِهِندَ أَنْ تُسَاقَ سَبِيئَةٌ لَهَا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ شَرُّ خَلِيلِ

[ذكر الخبر عن عزل القباع عن البصرة]

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير القُباعَ عن البصرة ، وبعث ٧١٧/٢
 عليها أخاه مصعب بن الزبير ؛ فحدثني عمر بن شُبَّة ، قال : حدثني عليّ
 ابن محمد ، قال : حدثنا الشَّعْبِيُّ ، قال : حدثني وafd بن أبي ياسر ، قال :
 كان عمرو بن سرح مولى الزبير يأتينا فيحدثنا ، قال : كنتُ واقفاً في الرِّهطِ
 الذين قَدِمَ مواعٍ للمصعب بن الزبير من مكَّةَ إلى البَصْرَةِ ؛ قال : فقدم متلثماً
 حتَّى أنَاخَ على باب المسجد ، ثم دخل قصيد المنبر ، فقال الناسُ :
 أمير أمير . قال : وجاء الخوارج بين عبد الله بن أبي ربيعة - وهو أميرها
 قبله - فسفر للمصعب فرفوه ، وقالوا : مصعب بن الزبير ! فقال : للحوث :
 اظهر اظهراً ، فصعد حتَّى جلس تحته من لتير درجة ؛ قال : ثم قام
 المصعب فحمد الله وأثنى عليه . قال : فوالله ما أكرَّ الكلام ، ثم قال :
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿ طَسَمَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * تَنَزَّلُ عَلَيْكَ
 مِنْ نَبَأٍ مُوسَى ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ - وأشار بيده نحو الشام -
 ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً
 وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ - وأشار بيده نحو الحجاز - ﴿ وَنُرِىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ
 وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (١) - وأشار بيده نحو الشام .
 حدثني عمر بن شُبَّة ، قال : حدثني عليّ بن محمد . عن عوانة ، قال :
 لما قدم مصعب البَصْرَةَ خطبهم فقال : يا أهل البصرة . بلغني أنكم
 تلقبون أمراءكم ، وقد سميتُ نفسي الجزَّار .

* * *

[ذكر خبر قتل مصعب المختار بن أبي عبيد]

وفي هذه السنة سار مصعب بن الزبير إلى المختار فقتله .
 * ذكر الخبر عن سبب مسير مصعب إليه والخبر عن مقتل المختار :

(١) سورة القصص : ١-٦ .

قال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، حدثني حبيب بن بديل ، قال :
 لما قلم شُبَّث على مُصْعَب بن الزَّيْير البصرة وتحتة بِقَعْلَة له قد قطع
 ذَنَبُهَا ، وقَطَعَ طرف أذُنْهَا وشقَّ قَبَاءَهُ ، وهو ينادى : يا غوثاه يا غوثاه !
 فَأَتَى مُصْعَب ، فقيل له : إنَّ الباب رجلا ينادى : يا غوثاه يا غوثاه ! مشقوق
 القَبَاءَ ، مِنْ صَفْتِهِ كَذَا وكَذَا ، فقال لهم : نعم ، هَذَا شُبَّثُ بن رِبْعَى
 لم يكن ليفعل هذا غيره ، فأَدْخِلُوهُ ، فأَدْخَلُوهُ عليه ، وجاءه أشراف الناس من
 أهل الكوفة فدخلوا عليه ، فأخبروه بما اجتمعوا له ، وبما أصيبوا به ووثب
 عبيدهم ومواليهم عليهم ، وشكَّروا إليه ، وسألوه النَّصْرَ لهم ، والمسيرَ إلى
 المختار معهم . وقدِمَ عليهم محمد بن الأشعث بن قيس - ولم يكن شهيد
 وقعة الكوفة ، كان في قَصْرِ له مِمَّا يلى القَادِسِيَّةَ بطَيْرِزَكَاذَ - فلَمَّا بلغه
 هزيمةُ الناس تَهِيئاً للشَّخْصِ ، وسأل عنه المختار ، فأخبر بمكانه ، فسرَّحَ إليه
 عبد الله بن قراد الخثعمي في مائة ، فلَمَّا ساروا إليه ، وبلغه أن قد دنوا منه ،
 خرج في البرِّيَّة نحو المصعب حتَّى لحق به ، فلَمَّا قلم على المصعب استحثَّه
 بالخروج ، وأدناه مصعب وأكرمه لشرَّفه . قال : وبعث المختار إلى دار
 محمد بن الأشعث فَهَبَهمَا .

٧١٩/٢ قال أبو مخنف : فحدثني أبو يوسف بن يزيد أن المصعب لما أراد
 المسيرَ إلى الكوفة حين أَكْثَرَ النَّاسُ عليه ، قال لمحمد بن الأشعث : إني لا أسير
 حتَّى يَأْتِيَنِي المهلب بن أبي صفرة . فكتب المصعب إلى المهلب - وهو عامله
 على فارس : أن أَقْبِلْ إلينا لتشهدَ أمرنا ، فإننا نريد المسيرَ إلى الكوفة . فأبطأ
 عليه المهلب وأصحابه ، واعتلَّ بشيء من الخراج ، لكرهه الخروج ، فأمر
 مصعب محمد بن الأشعث في بعض ما يستحثه أن يَأْتِيَ المهلب فيقبلَ به ،
 وأعلمته أنه لا يشخص دون أن يَأْتِيَ المهلب ، فذهب محمد بن الأشعث
 بكتاب المصعب إلى المهلب ، فلما قرأه قال له : مثلك يا محمد يَأْتِي (١) بِرَيْدًا !
 أما وَجَدَ المصعبُ بِرَيْدًا غيرَكَ ! قال محمد : إني وأقَّة ما أنا بِيريد أحد ، غير
 أن نساءنا وأبنائنا وحرَمَتنا غلبتنا عليهم عبداننا وموالينا . فخرج المهلب ،

وأقبل بجموع كثيرة وأموال عظيمة معه في جموع وهينة ليس بها أحد من أهل البصرة . ولما دخل المهلب البصرة أتى باب المصعب ليلخل عليه وقد أذن للناس ، فحجبه الحاجب وهو لا يعرفه ، فرفع المهلب يده فكسر أنفه ، فدخل إلى المصعب وأنفه يسيل دمًا ، فقال له : مالك ؟ فقال : ضربتني رجل ما أعرفه ، ودخل المهلب فلما رآه الحاجب قال : هو ذا ، قال له المصعب : عدُّ إلى مكانك ، وأمر المصعب الناس بالمسكر عند الجسر الأكبر ، ودعا عبد الرحمن بن مخنف فقال له : ائت الكوفة فأخرج إلى جميع من قدرت عليه أن تُخْرِجه ، وادعهم إلى بيعتي سرًّا ، وخذل أصحاب المختار ، فانسَلَّ من عنده حتى جلس في بيته مستترًا^(١) لا يظهر ، وخرج المصعب فقدم أمامه عبيد بن الحصين الحبطي من بني تميم على مقدمته ، وبعث عمر بن عبيد الله بن معمر على ميمته ، وبعث المهلب بن أبي صفرة على ميسرته ، وجعل مالك بن مسمع على خمس بكر بن وائل ، ومالك بن المنذر على خمس عبد القيس ، والأحنف بن قيس على خمس تميم وزباد بن عمرو الأزدي على خمس الأزد ، وقيس بن الهيثم على خمس أهل العالية ، وبلغ ذلك المختار ، فقام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل الكوفة ، يا أهل الدين ، وأعوان الحق ، وأنصار الضعيف ، وشيعة الرسول ، وآل الرسول ، إن فرأركم الذين يتخو عليكم أتوا أشباههم من الفاسقين فاستغفروهم عليكم ليصيح^(٢) الحق ، ويتعش الباطل ، ويقتل أولياء الله ، والله لو تهلكون ما عبيد الله في الأرض إلَّا بالفرى على الله واللعن لأهل بيت نبيه . اتدلبوا مع أحمر بن شُمَيْط فلأنكم لو قد لقيتموهم لقد قتلتموهم إن شاء الله قتل عاد وإرم .

فخرج أحمر بن شُمَيْط ، فسكر بحمام أعين ، ودعا المختار رموس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر ، فبعثهم مع أحمر بن شُمَيْط ، كما كانوا مع ابن الأشتر ، فلأنهم إنما فارقوا ابن الأشتر لأنهم رأوه كالتهانين بأمر المختار ، فانصرفوا عنه ، وبعثهم المختار مع ابن شُمَيْط ، وبعث معه جيشًا كثيرًا ،

(١) : ١ . مستترًا . (٢) : يصيح الحق ، لى يلعب .

فخرج ابن شميطة ، فبعث على مقدمته ابن كامل الشاكري : وسار أحمر بن شميطة حتى ورد المدآر ، وجاء المصعب حتى عسكر منه قريباً .

ثم إن كل واحد منهما عبي جند ، ثم تراحقا . فجعل أحمر بن شميطة على ميمته عبد الله بن كامل الشاكري . وعلى ميسرته عبد الله ابن وهب بن نضلة الجشمي ، وعلى الخليل رزين عبد السلولى . وعلى الرجالة كثير بن إسماعيل الكندي . وكان يوم خازر مع ابن الأشتر - وجعل كيسان أبا عمرة - وكان مولى لعريضة - على المولى ، فجاء عبد الله بن وهب بن أنس الجشمي إلى ابن شميطة وقد جعله على ميسرته ، فقال له : إن المولى والعبيد آل خور عند المصدوقة ، وإن معهم رجالا كثيرا على الخليل . وأنت تمشي ، فمروهم فليزولوا معك ، فإن لم بك أسوة ، فلن أنخوف إن طوردوا ساعة ، وطوبعنوا وضوروا أن يطيروا على متونها ويسلموك ، وإنك إن أرجلتهم لم يجدوا من الصبر بدءاً ، وإنما كان هذا منه غشاً للمولى والعبيد ، لما كانوا لقوا منهم بالكوفة ، فأحب إن كانت عليهم الدبرة أن يكونوا رجالا لا ينجو منهم أحد ، ولم يتهمه ابن شميطة ، وظن أنه إنما أراد بذلك نصحه ليصبروا ويقاتلوا ، فقال : يا معشر المولى ، انزلوا معي فقاتلوا ، فنزلوا معه ، ثم مشوا بين يديه وبين يدي رايته ، وجاء مصعب بن الزبير وقد جعل عبياد ابن الحصين على الخليل ، فجاء عباد حتى دنا من ابن شميطة وأصحابه فقال :

٧٢٢ / ٢

إننا^(١) ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وإلى بيعة أمير المؤمنين عبد الله ابن الزبير ، وقال الآخرون : إننا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وإلى بيعة الأمير المختار ، وإلى أن نجعل هذا الأمر شورى في آل الرسول^(٢) ، فمن زعم من الناس أن أحدا ينبغي له أن يتولى عليهم برئنا منه وجاهدناه . فانصرف عباد إلى المصعب فأخبره ، فقال له : ارجع فاحمل عليهم ، فرجع فحمل على ابن شميطة وأصحابه فلم يزل منهم أحدا . ثم انصرف إلى موقفه وحمل المهلب على ابن كامل ، فجاء أصحابه بعضهم في بغض ، فزال ابن كامل ، ثم انصرف عنه المهلب ، فقام مكانه ، فوقفوا ساعة

ثم قال المهلب لأصحابه: كبروا كربةً صادقةً، فإن القوم قد أطمعوكم، وذلك بجوارحتهم التي جالوا، فحمل عليهم حملةً منكبةً فولّوا، وصبر ابن كامل في رجال من همدان، فأخذ المهلب يسمع شعار القوم: أنا الغلام الشاكري، أنا الغلام الشباي، أنا الغلام الثوري، فأكان إلا ساعةً حتى هزموا، وحمل عمر بن عبيد الله بن معمر على عبد الله ابن أنس، فقاتل ساعةً ثم انصرف، وحمل الناس جميعاً على ابن شميطة، فقاتل حتى قُتل، وتنادوا: يا معشر بجيلة وخشعتم، الصبر الصبر! فناداهم المهلب: الفرار الفرار! اليوم أنجي لكم، علكم تقتلون أنفسكم مع هذه العبدان، أضل الله معيبتكم. ثم نظر إلى أصحابه فقال: والله ٧٢٣/٢ ما أرى استحرار القتل اليوم إلا في قومي. ومالت الخيل على رجالة ابن شميطة، فافترقت فانهزمت وأخذت الصحراء، فبعث المصعب جباد بن الحصين على الخيل، فقال: أيما أسير أخذته فاضرب عنقه. وسرح محمد بن الأشعث في خيل عظيمة من خيل أهل الكوفة ممن كان المختار طردهم، فقال: دُونَكُمْ ثَارَكُمْ! فكانوا حيث انهزموا أشد عليهم من أهل البصرة، لا يتركون منهزماً إلا قتلوه، ولا يأخذون أسيراً فيعفون عنه. قال: فلم يتنج من ذلك الجيش إلا طائفة من أصحاب الخيل، وأما رجالتهم فأبيلوا إلا قليلاً.

قال أبو مخنف: حدثني ابن عباس السنتوف، عن معاوية بن قرة المزني، قال: انتهيت إلى رجل منهم، فأدخلت سنان الرمح في عينه، فأخذت أخضخص^(١) عينه بستان رُمحي، فقلت له: وفعلت به هذا؟ قال: نعم؛ لأنهم كانوا أحل عندنا ماءً من التزك والدبلم، وكان معاوية بن قرة قاضياً لأهل البصرة، ففي ذلك يقول الأعشى^(٢):

ألا هل أتاك والأنباء تنمى بما لاقت بجيلة بالمدار
أتيح لهم بها ضرب طلح وطفن صائب وجه النهار
كان سحابة صغت عليهم فعمتهم هنالك بالدمار

(١) : «أخضخص». (٢) هو أعشى همدان، واسمه عبد الرحمن بن عبد الله.

فَبَشَّرَ شَيْعَةَ الْخُسَارِ إِمَّا مَرَرْتُ عَلَى الْكُوفَةِ بِالصَّغَارِ
أَقْرَّ الْعَيْنَ صَرَاعِمٌ وَقُلْ لَهُمْ جَمٌّ يَقْتُلُ بِالْمَصْحَارِ
وَمَا إِنْ مَرَرْتُ إِعْلَاكَ قَوِي وَإِنْ كَانُوا وَجَلَّكَ فِي خِيَارِ
وَلَكِنِّي سُرَرْتُ بِمَا يُبْلَايُ لَيْسَ إِسْحَاقَ مِنْ خِزْيٍ وَغَارِ ٧٢٤/٢

وَقِيلَ لِلصَّبِّ حَتَّى قَطَعَ مِنْ ثَلَاثَةِ وَاسْطِ الْقَتَصِبِ ، وَلَمْ تَكُ وَلَمْ يَسْطِ
هَلْ يَتَبَّحُ حَيْثُ يَدُ ، فَأُخِذَ فِي كَسَكِرٍ ، ثُمَّ حَمَلُ الْوَجَلِ وَالْقَتَلِ
وَضَمَامِ النَّاسِ فِي السَّفَرِ ، فَاتَّخَذُوا فِي نَهْرِ يَمَلُّ لَهُ : نَهْرُ خَرَشَلَدٍ ، ثُمَّ
خَرَجُوا مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ إِلَى نَهْرِ يَمَلُّ لَهُ قُوسَانٌ ، ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ
إِلَى الْقُرَاتِ .

قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ : وَحَدَّثَنِي قُصَيْلُ بْنُ خَالِدٍ بَيْعَ الْكُفَى ، أَنَّ الْعَلَّ
الْبَصْرَةَ كَانُوا يَخْرُجُونَ فَيَجْرُونَ مِنْهُمْ وَيَقُولُونَ :

عَوَدْنَا الْمَصْبُ جَرَّ الْقَلْبِ وَالزُّنْبُرِيَّاتِ الطُّوَالِ الْقُصِ

قَالَ : فَلَمَّا بَلَغَ مَنْ مَعَ الْخُطَارِ مِنْ تِلْكَ الْأَعْجَمِ مَا لَقِيَ لِإِخْوَانِهِمْ مَعَ ابْنِ
شُمَيْطَ قَالُوا بِالْفَارِصِيَّةِ : «إِبْنُ بَكَارٍ دُرُوعٌ كُفْتُ» ، يَقُولُونَ : هَذِهِ الْمَرَّةُ
كَلْبُ .

قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ : وَحَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّقَفِيُّ ، عَنْ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ الثَّقَفِيِّ ، قَالَ : وَلَقِيَ إِبْنُ الْجَالِسِ عِنْدَ الْخُتَارِ
حِينَ أَتَاهُ مَرْجِعُ الْقَوْمِ وَمَا لَقُوا ، قَالَ : فَأَصْبَغَنِي إِلَى ، فَقَالَ : قَتَلْتُ وَاللَّهِ
الْعَبِيدَ قَتَلَةً مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهَا قَطُّ . ثُمَّ قَالَ : وَقَتَلْتُ ابْنَ شُمَيْطَ وَابْنَ
كَامِلَ وَفُلَانَ وَفُلَانًا ، فَسَمَى رِجَالًا مِنَ الْعَرَبِ أَصَابُوا ، كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ فِي
الْحَرْبِ خَيْرًا مِنْ فَيْثَامٍ ^(١) مِنَ النَّاسِ . قَالَ : فَقَتَلْتُ لَهُ : فَهَذِهِ وَاللَّهِ مَصِيْبَةٌ .
فَقَالَ لِي : مَا مِنْ الْمَوْتِ بَدٌّ ، وَمَا مِنْ مَيِّتَةٍ أَمْوَتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِثْلِ مَيِّتَةِ ابْنِ

شُمَيْطٌ ، جِئْنَا مَصَارِعُ الْكِرَامِ ! قَالَ : فَعَلِمْتُ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ حَدَّثَ ٧٢٥/٢
نَفْسَهُ إِنْ لَمْ يُصِيبْ حَاجَتَهُ أَنْ يُقَاتِلَ حَتَّى يَمُوتَ .

وَلَا بَلَّغَ الْمُخْتَارُ أَنَّهُمْ قَدْ أَقْبَلُوا إِلَيْهِ فِي الْبَحْرِ ، وَعَلَى الظُّهْرِ ، سَارَ حَتَّى
نَزَلَ بِهِمُ السَّيْلَحِينَ ، وَنَظَرَ إِلَى مُجْتَمَعِ الْأَنْهَارِ نَهْرِ الْحَيْرَةِ وَنَهْرِ السَّيْلَحِينَ
وَنَهْرِ الْقَادِيسِيَّةِ ، وَنَهْرِ يَوْصَفَ^(١) ، فَسَكَّرَ^(٢) الْفُرَاتَ عَلَى مُجْتَمَعِ الْأَنْهَارِ ،
فَلَذِبَ مَاءُ الْفُرَاتِ كُلَّهُ فِي هَذِهِ الْأَنْهَارِ ، وَبَقِيَتْ سَفْنُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فِي
الطَّلِينِ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ خَرَجُوا مِنَ السَّفْنِ يَمْتَشُونَ ، وَأَقْبَلَتْ خِيَلُهُمْ تَرَكُضُ
حَتَّى أَتَوْا ذَلِكَ السُّكَّرَ ، فَكَسَرُوهُ وَصَمَدُوا صَمَدَ الْكُوفَةِ ، فَلَمَّا رَأَى
ذَلِكَ الْمُخْتَارُ أَقْبَلَ لِلْيَهْمِ حَتَّى نَزَلَ حَرُورَاءَ ، وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْكُوفَةِ ،
وَقَدْ كَانَ حَصْنُ قَصْرِهِ وَالْمَسْجِدَ ، وَأَدْخَلَ فِي قَصْرِهِ عُدَّةَ الْحِصَارِ ، وَجَاءَ
الْمَصْعَبُ يَسِيرَ إِلَيْهِ وَهُوَ بِحَرُورَاءَ وَقَدْ اسْتَعْمَلَ عَلَى الْكُوفَةِ عَبْدَ اللَّهِ
ابْنَ شَدَّادَ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ الْمُخْتَارُ وَقَدْ جَعَلَ عَلَى مِمْتِنَتِهِ سَلِيمَ بْنَ يَزِيدَ
الْكِنْدِيِّ ، وَجَعَلَ عَلَى مِيسْرَتِهِ سَعِيدَ بْنَ مُنْقِذِ الْهَمْدَانِيِّ ثُمَّ الثَّوْرِيَّ ،
وَكَانَ عَلَى شَرْطِيهِ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُرَادِ الْخَشَعَمِيِّ ، وَبَعَثَ عَلَى الْخَيْلِ
عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ التَّنْهَدِيِّ ، وَعَلَى الرِّجَالِ مَالِكَ بْنَ عَمْرٍو^(٣) التَّنْهَدِيُّ^(٤) ،
وَجَعَلَ مُصْعَبٌ عَلَى مِمْتِنَتِهِ الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ ، وَعَلَى مِيسْرَتِهِ عُمَرَ بْنَ
عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ التَّنِيمِيِّ ، وَعَلَى الْخَيْلِ عُبَادَ بْنَ الْحُصَيْنِ الْحَبِطِيُّ ،
وَعَلَى الرِّجَالِ مِقَاتِيلَ بْنَ مِسْمَعٍ الْبَكْرِيِّ ، وَزُلَّ هُوَ يَمْنَى مُتَنَكِّبًا
قَوَّامًا لَهُ .

قَالَ : وَجَعَلَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ مُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَثِ ، فَجَاءَ مُحَمَّدٌ حَتَّى ٧٢٦/٢
نَزَلَ بَيْنَ الْمَصْعَبِ وَالْمُخْتَارِ مَقَرَّبًا مِيَامِنًا . قَالَ : فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْمُخْتَارُ بَعَثَ
إِلَى كُلِّ جُمْحٍ مِنْ أُنْحَاسِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَبَعَثَ إِلَى بَكْرِ
ابْنِ وَائِلٍ سَعِيدَ بْنَ مُنْقِذِ صَاحِبِ مِيسْرَتِهِ ، وَعَلَيْهِمْ مَالِكُ بْنُ مِسْمَعٍ
الْبَكْرِيُّ ، وَبَعَثَ إِلَى عَبْدِ الْقَيْسِ وَعَلَيْهِمْ مَالِكُ بْنُ الْمُنْتَرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

(٢) سَكَرَ النَّهْرُ : أَيْ سَدَّ قَاهُ .

(١) ط : « يَوْصَفَ » ، وَصَوَّبَهُ مِنْ أ .

(٤) س : « الْبَرْزِيُّ » .

(٣) ف وَابْنُ الْأَثِيرِ : « مَالِكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » .

شُرَيْحَ الشَّيْبَانِي ، وكان على بَيْتِ ماله ، وبعث إلى أهل العالية وعليهم قيسُ
ابنُ الهيثمِ السُّكَّيْ عبدَ الله بنِ جَعْلَةَ القرشي ، ثم الخزومي ، وبعث إلى
الأزد وعليهم زيادُ بنُ عمرو العَتَكِيُّ مسافرَ بنِ سعيد بنِ نَمِرَانَ الناعطي ،
وبعث إلى بني تميم وعليهم الأحنفُ بنُ قيسِ مُكَلِّمَ بنِ يزيد الكِنْدِي ،
وكان صاحب ميمنته ، وبعث إلى محمد بنِ الأشعث السائب بن مالك
الأشعري ، ووقف في بقيَّة أصحابه ، وتزاحف الناسُ ودكا بعضهم من بعض ،
ويَحْمِلُ سعيدُ بنُ مَنقذ وعبدُ الرحمن بنُ شُرَيْح على بكر بن وائل ، وعبد القيس ،
وهم في الميسرة وعليهم عمرُ بنُ عُبَيْدِ الله بنِ مَعْمَرٍ ، فقاتلهم ربيعةُ
قتالاً شديداً ، وصبروا لهم ، وأخذ سعيدُ بنُ مَنقذ وعبدُ الرحمن بنُ
شُرَيْح لا يَقْلَعَان ، إذا حمل واحدٌ فانصرف حمل الآخر ، وربما حَمَلَا
جميعاً ، قال : فَبَعَثَ الْمُصَنَّبُ إِلَى الْمُهَلَّبِ : ما تنتظر أن تحمِلَ على
مَنْ يِلْزَاكَ ! ألا ترى ما يَلْقَى هَذَانِ الْخُمْسَانُ مِنْذُ الْيَوْمِ ! احْمِلْ بِأَصْحَابِكَ ،
فقال : إِي لِمَسْرِي مَا كُنْتُ لِأَجْزُرُ الْأَزْدَ وَتَمِيمًا خَشِيَةَ أَهْلِ الْكُوفَةِ حَتَّى
أَرَى فُرْصَتِي . قال : وبعث المختارُ إلى عبدِ الله بنِ جَعْلَةَ أن احْمِلْ
على مَنْ يِلْزَاكَ ، فَحَمِلَ عَلَى أَهْلِ الْعَالِيَةِ فَكَشَفَهُمْ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى
الْمُصَنَّبِ ، فَجَسَّأَ الْمُصَنَّبُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ فَرَاوًا - فَرَمَى بِأَسْهُمِهِ .
وَنَزَلَ لِلنَّاسِ عِنْدَهُ فَفَاتَكُوا سَاعَةً ، ثُمَّ تَحَاجَزُوا . قال : وَبَعَثَ الْمُصَنَّبُ
إِلَى الْمُهَلَّبِ وَهُوَ فِي خُمْسَيْنِ جَامِعَيْنِ كَثِيرِي الْعَدَدِ وَالْقُرْمَانِ : لَا أَبَا لَكَ !
مَا تَنْتَظِرُ أَنْ تَحْمِلَ عَلَى الْقَوْمِ ! فَسَكَتَ غَيْرَ بَعِيدٍ ، ثُمَّ إِنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ :
قَدْ قَاتَلَ النَّاسُ مِنْذُ الْيَوْمِ وَأَنْتُمْ وَقُوفٌ ، وَقَدْ أَحْسَنُوا ، وَقَدْ بَقِيَ مَا عَلَيْكُمْ ،
احْمِلُوا وَاسْتَعِينُوا بِأَقْدَامِكُمْ وَاصْبِرُوا ، فَحَمِلَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ حَمَلَةٌ مُنْكَرَةٌ ،
فَحَطَمُوا أَصْحَابَ الْمُخْتَارِ حَطْمَةً مُنْكَرَةً ، فَكَشَفُوهُمْ . وقال عبدُ الله
ابنُ عَمْرٍو النَّهْدِيُّ - وكان من أصحابِ صِفْيَيْنَ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَلَى مَا كُنْتُ
عَلَيْهِ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ بِصِفْيَيْنَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ فِعْلِ هَؤُلَاءِ لِأَصْحَابِهِ
حِينَ انْهَزَمُوا ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ أَنْفُسِ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَصْحَابَ الْمُصَنَّبِ -
ثُمَّ جَالَدَ بِسَيْفِهِ حَتَّى قُتِلَ ، وَأَتَى مَالِكُ بْنُ عَمْرٍو أَبُو نِمْرَانَ النَّهْدِيُّ وَهُوَ

على الرجالة بقصره فركبة، وانقصف أصحاب المختار انقصافة شديدة كأنهم أجسة فيها حريق، فقال مالك حين ركب: ما أصنع بالرؤكب! والله لأن أقتلها هنا أحب إلى من أن أقتل في بيتي؛ أين أهل البصائر؟ أين أهل الصبر؟ فتاب إليه نحو من خمسين رجلا، وذلك عند المساء، فكرر على أصحاب محمد بن الأشعث، فقتل محمد بن الأشعث إلى جانبه هو وعامة أصحابه، فبعض الناس يقول: هو قتل محمد بن الأشعث، ووجد أبو نمران قتيلاً إلى جانبه - وكندة تزعم أن عبد الملك بن أشاء الكندي هو الذي قتلته - فلماً مر المختار في أصحابه على محمد بن الأشعث قتيلاً قال: يا معشر الأنصار، كروا على الثعالب الرواغة، فحملوا عليهم، فقتل، فقتلهم تزعم أن عبد الله بن قراد هو الذي قتلته.

٧٢٨/٢

قال أبو ميخنف: وسمعت عوف بن عمرو الجشمي يزعم أن مولى لهم قتلته، فادعى قتله أربعة نفر، كلهم يزعم أنه قتله، وانكشف أصحاب سعيد بن منقذ، فقاتل في عصابة من قومه نحو من سبعين رجلاً فقتلوا، وقاتل سليم بن يزيد الكندي في تسعين رجلاً من قومه، وغيرهم ضارب حتى قتل، وقاتل المختار على قسم سكة شبت، ونزل وهو يريد ألا يبرح، فقاتل عامة ليلته حتى انصرف عنه القوم، وقتل^(١) معه ليلتئذ رجال من أصحابه من أهل الحفاظ، منهم عاصم بن عبد الله الأزدي، وعياش بن خازم الهمداني، ثم الثوري، وأحمر بن هديج الهمداني ثم القاشي.

قال أبو ميخنف: حدثنا أبو الزبير أن همدان تنادوا ليلتئذ: يا معشر همدان، سيفوهم فقاتلوهم أشد القتال؛ فلماً أنفروا عن المختار قال له أصحابه: أيها الأمير، قد ذهب القوم فانصرف إلى منزلك إلى القصر، فقال المختار: أما والله ما نزلت وأنا أريد أن آتي القصر، فأما إذ انصرفوا فاركبوا بنا على اسم الله؛ فجاء حتى دخل القصر فقال الأعشى^(٢) في قتل محمد بن الأشعث:

تَأْوَبَ عَيْنَكَ عَوَارُهَا وَعَادَ لِنَفْسِكَ تَذَكُّرُهَا

٧٢٩/٢

وأحدي ليليك واجتتها
 وما ذاق من العين طعم الرقا
 وقام نعاة أبي قاسم
 فحق العيون على ابن الأشج
 وألا تزال تبكي له
 عليك محمد لما نوز
 وما يدكرنك إلا بكوا
 وعارية من ليل الشنا
 ولا ينبح الكلب فيها القو
 ولا ينفع الثوب فيها الفتى
 فانت محمد في مثلها
 تظل حفاك موضوعة
 وما في حفاك مستنطف
 فيا واهب الوصفاء الصبا
 ويا واهب الجرد مثل القدا
 ويا واهب البكرات الهجا
 وكتب كليلة إذ ترثمي
 وكتب جليدا وذا ميرة
 وكتب إذا بلدة أضفقت
 بعثت عليها ذواكي العيو
 بإذن من الله والخيلى قد
 وقد تطعم الخيل منك الوجي

أرفت ولوم سمارها
 حتى تبلج إسفارها
 فأسبل بالدمع تحداها
 ألا يفتر تقطارها
 وتبتل بالدمع أشفارها
 تبكي البلاد وأشجارها
 إذا فمة خانها جارها
 لا يتمح أينسارها
 إلا الهدير وتختارها
 ولا رية الخدر تحداها
 مهن الجزائر نهارها
 تسيل من الشمع أضبارها
 إذا الشول روح أخبارها
 إن شيرت تم إخبارها
 قد يعجب الصف شوارها
 عودا تجاوب أبقارها
 فيقذف في البحر تيارها
 إذا يبتغي منك إمرارها
 وأذن بالحرب جبارها
 حتى تواصل أخبارها
 أعد لذلك مضمارها
 فحتى تنبذ أمهارها

وقد تَطَمَّ البازلُ العيسَجُ رُ أَنَّكَ بِالْحَيْتِ حَسَارُهَا
فيا أَسْقَى يَوْمَ لَاقِيَتَهُمُ وَخَانَتْ رِجَالَكَ قُرَّارُهَا
وَأَقْبَلَتِ الْخَيْلُ مَهْزُومَةً عِشَارًا تُضْرِبُ أَذْيَارُهَا
بَشْطَ حَرُورَاءَ وَاسْتَجَمَعَتْ عَلَيْكَ الْمَوَالِي وَسَحَارُهَا
فَأَخْطَرَتْ نَفْسَكَ مِنْ تَوْنِهِمْ قَحَازِ الرِّزِيْشَةِ أَخْطَارُهَا
فَلَا تَبْعَلَنَّ أَبَا قَاسِمٍ فَقَدْ يَبْلُغُ النَّفْسَ مِقْدَارُهَا
وَأَنْتَى الْحَوَادِثُ سَادَاتِنَا وَرُ اللَّيَالِي وَتَكَرَّرُهَا

٧٣١/٢

قال هشام : قال أبي : كان السائب أتى مع مُصْعِبِ بْنِ الزَّيْرِ ، قَتَلَهُ
وَرَفَاءُ النَّخَعِيِّ مِنْ وَهْبِيلَ ، قَالَ وَرَفَاءُ :

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي عَيْنِدَا بَأْنْتِي عُلُوْتُ أَخَاهُ بِالْحُسَامِ الْمُهَنْدِ
فَإِنْ كُنْتُ تَبْغِي الْعِلْمَ عَنْهُ فَإِنَّهُ صَرِيحٌ لَدَى اللَّيْبَرِينَ بِغَيْرِ مُوسِدِ
وَعَمْدَا عُلُوْتُ الرَّأْسِ مِنْهُ بِضَارِمٍ فَأَكَلْتُهُ سُفْيَانُ بَعْدَ مُحَمَّدِ

قال هشام عن أبي مخنف ، قال : حدثني حصيرة بن عبد الله ،
أن هندا بنت المتكلمة الناعطية كان يجتمع إليها كل غال من الشيعة
فيتحدث في بيتهما وفي بيت لبلى بنت قمامة المزنية ، وكان أخوها رافعة
ابن قمامة من شيعة علي ، وكان مقتصدًا ، فكانت لا تحبه ، فكان
أبو عبد الله الجدلي ويزيد بن سراحيل قد أخبرا ابن الحنفية خبر هاتين
المرأتين وغلواهما وخبر أبي الأحراس المرادي والبطيني وأبي الحارث الكندي .

قال هشام عن أبي مخنف ، قال : حدثني يحيى بن أبي عيسى ،
قال : فكان ابن الحنفية قد كتب مع يزيد بن سراحيل إلى الشيعة بالكوفة
يُحَذِّرُهُمْ هَؤُلَاءَ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِمْ :

٧٣٢/٢

من محمد بن علي إلى من بالكوفة من شيعتنا . أما بعد ، فاعرجوا
إلى المجالس والمساجد فاذكروا الله علانية وسراً ولا تتخلوا من دُونِ الْمُؤْمِنِينَ

بِطَانَتُهُ ، فَإِنْ خَشِيتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوا عَلَى دِينِكُمُ الْكَذَّابِينَ ،
وَأَكْثَرُوا الصَّلَاةَ وَالصَّيَامَ وَالِدَّعَاءَ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ يَمْلِكُ
لأَحَدٍ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَكُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ،
وَلَا تَنْزِرُ وَالزَّيْرَةَ وَزَرَ أُخْرَى ، وَاللَّهُ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، فاعْمَلُوا
صَالِحًا ، وَقَدْ مَوَّاهُ لَأَنْفُسِكُمْ حَسَنًا ، وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْغَافِلِينَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ .

قال أبو مخنف : فحدثني حصيرة بن عبد الله ، أن عبد الله بن
نوف خرج من بيت هند بنت المتكلمة حين خرج الناس إلى حروراء
وهو يقول : يوم الأربعاء ، ترفعت السماء ، ونزل القضاء ، بهزيمة الأعداء ،
فأخرجوا على اسم الله إلى حروراء . فخرج ، فلما التقى الناس للقتال ضرب
على وجهه ضربة ، ووقع الناس منهزمين ، ولقيه عبد الله بن شريك
التهدلي ، وقد سمع مقاتلته ، فقال له : ألم تزعم لنا يا بن نوف أننا سنهزمهم !
قال : أو ما قرأت في كتاب الله : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَصْدَهُ أَمِ
الْكِتَابِ ﴾ ! قال : فلما أصبح المصعب أقبل يسير بمن معه من
أهل البصرة ومن خرج إليه من أهل الكوفة ، فأخذ بهم نحو السبخة ،
فر بالهلب ، فقال له الهلب : يا له فتحاً ما أناه ! لو لم يكن محمد بن
الأشعث قتيلاً قال : صلبت ، فرحم الله محمدًا . ثم سار غير بعيد ، ثم قال :
يا مهلب ، قال : لبيك أيها الأمير ، قال : هل علمت أن عبداً لله بن
علي بن أبي طالب قد قُتِل ! قال : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ، قال :
المصعب : أما إنَّه كان ممن أحب أن يرى هذا الفتح ، ثم لا نجعل
أنفسنا أحق بشيء مما نحن فيه منه ، أتدري ^(١) من قتله ؟ قال : لا ، قال :
إنما قتله من يزعم أنه لأبيه شيعة ، أما إنهم قد قتلوه وهم يعرفونه .
قال : ثم مضى حتى نزل السبخة فقطع عنهم الماء والمادة ، وبعث
عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فنزل الكناسة ، وبعث عبد الرحمن
ابن مخنف بن سليم إلى جبانة السبيع ، وقد كان قال لعبد الرحمن بن مخنف :
ما كنت صنعت فيها كنت وكلت بك به ؟ قال : أصححك الله ! ونجذت

٧٢٣/٢

الناس صِنْفَيْن ؛ أَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ فَيْكْ هَوَى فُخِرْجَ إِلَيْكَ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ يَرَى رَأَى الْمُخْتَارَ ، فَلَمْ يَكُنْ لِيَدَّعِهِ ، وَلَا لِيُؤْثِرَ أَحَدًا عَلَيْهِ ، فَلَمْ أَبْرَحْ يَسْتَقِي حَتَّى قَدِمْتُ ؛ قَالَ : صَلَقْتُ ؛ وَبَعَثَ عَبَادَ بْنِ الْحُصَيْنِ إِلَى جَبَانَةِ كِنْدَةَ ، فَكُلَّ هَؤُلَاءِ كَانَ يَقَطِّعُ عَنِ الْمُخْتَارِ وَأَصْحَابِهِ الْمَاءَ وَالْمَادَّةَ ، وَهُمْ فِي قَصْرِ الْمُخْتَارِ ، وَبَعَثَ زَحْرَ بْنَ قَيْسٍ إِلَى جَبَانَةِ مُرَادَ ، وَبَعَثَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ الْحَرِّ إِلَى جَبَانَةِ الصَّائِدِيَيْنِ .

٧٣٤/٢

قَالَ أَبُو مَخْضَفٍ : وَحَدَّثَنِي قُضَيْلُ بْنُ خَدَّاجٍ ، قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ عُبَيْدَ اللَّهِ ابْنَ الْحَرِّ ؛ وَإِنَّهُ لِيَطَارِدُ أَصْحَابَ خَيْلِ الْمُخْتَارِ ، يَمَاتِلُهُمْ فِي جَبَانَةِ الصَّائِدِيَيْنِ وَلَرَبَّمَا رَأَيْتُ خَيْلَهُمْ تَطَرَّدُ خَيْلَهُ ، وَإِنَّهُ لَوَرَاءَ خَيْلِهِ يَحْمِيهِمْ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى دَارِ عِكْرِمَةَ ، ثُمَّ يَكُفُّ رَاجِعًا هُوَ وَخَيْلُهُ ، فَيَطْرُدُهُمْ حَتَّى يُلْحَقَهُمْ بِجَبَانَةِ الصَّائِدِيَيْنِ ، وَلَرَبَّمَا رَأَيْتُ خَيْلَ عُبَيْدِ اللَّهِ قَدْ أَخَذَتْ السَّقَاءَ وَالسَّقَائِينَ فَيَضْرِبُونَ ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَأْتُونَهُمْ بِالْمَاءِ أَنَّهُمْ كَانُوا يُعْطُونَهُمْ بِالرَّأْوِيَةِ الدِّينَارِ وَالِدِّينَارَيْنِ لَمَّا أَصَابَهُمْ مِنَ الْجَهْدِ . وَكَانَ الْمُخْتَارُ رُبَّمَا خَرَجَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَقَاتَلُوا قِتَالًا ضَعِيفًا ، وَلَا نَكَايَةَ لَهُمْ ، وَكَانَتْ لَا تَخْرُجُ لَهُ خَيْلٌ إِلَّا رُمِيَتْ بِالْحِجَارَةِ مِنْ فَوْقِ الْبُيُوتِ ، وَيُصَبُّ عَلَيْهِمُ الْمَاءُ الْقَدِيرُ . وَاجْتَرَأَ عَلَيْهِمُ النَّاسُ ، فَكَانَتْ مَعَايِشُهُمْ أَفْضَلُهَا مِنْ نِسَائِهِمْ ، فَكَانَتْ الْمَرْأَةُ تَخْرُجُ مِنْ مَنْزِلِهَا مَعَهَا الطَّعَامُ وَاللَّطْفُ وَالْمَاءُ ، قَدْ اتَّخَفَتْ عَلَيْهِ ، فَتَخْرُجُ كَأَنَّمَا تَرِيدُ الْمَسْجِدَ الْأَعْظَمَ لِلصَّلَاةِ ، وَكَأَنَّمَا تَأْتِي أَهْلَهَا وَتَزُورُ ذَاتَ قَرَابَةٍ لَهَا ، فَإِذَا دَخَلَتْ مِنَ الْقَصْرِ فَتُخَالِفُهَا ، فَتَدْخُلُ عَلَى زَوْجِهَا وَحَسْبِهَا بِطْعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَلَطْفِهِ . وَإِنْ ذَلِكَ بَلَغَ الْمَصْعَبَ وَأَصْحَابَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْمُهَلَّبُ - وَكَانَ مَجْرَبًا : اجْعَلْ عَلَيْهِمْ دُرُوبًا حَتَّى تَمْنَحَ مِنْ يَأْتِيهِمْ مِنْ أَهْلِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ ، وَتَدَّعِهِمْ فِي حِصْنِهِمْ حَتَّى يَمُوتُوا فِيهِ . وَكَانَ الْقَوْمُ إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْعَطَشُ فِي قَصْرِهِمْ اسْتَقْفَرُوا مِنْ مَاءِ الْبُئْرِ . ثُمَّ أَمَرَ لَهُمُ الْمُخْتَارُ بِمَسْكِ فُصْبٍ فِيهِ لِيُغَيَّرَ طَعْمُهُ فَيَشْرَبُوا مِنْهُ ، فَكَانَ ذَلِكَ أَيْضًا مِمَّا يَرُوي أَكْثَرُهُمْ . ثُمَّ إِنَّ مَصْعَبًا أَمَرَ أَصْحَابَهُ فَاقْتَرَبُوا مِنَ الْقَصْرِ ، فَجَاءَ عَبَادُ بْنُ الْحُصَيْنِ الْحَبِطِيُّ حَتَّى نَزَلَ عِنْدَ مَسْجِدِ جُهَيْشَةَ ، وَكَانَ رُبَّمَا تَقْدِمُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى مَسْجِدِ

بنى غزوم ، وحتى يرى أصحابه من أشرف عليهم من أصحاب المختار من القصر ، وكان لا يلقى امرأة قريباً من القصر إلا قال لها : من أنت ؟ ومن أين جئت ؟ وما تريدان ؟ فأخذ في يوم ثلاث نسوة للشبابيين وشاكر أتين أزواجهن في القصر ، فبعث بهن إلى مصعب ، وإن الطعام لهن ، فردهن مصعب ولم يعرض لهن ، وبعث زحر بن قيس ، فنزل عند الحدادين حيث تكثر الدواب ، وبعث عبيد الله بن الحر فكان موقفه عند دار بلال ، وبعث محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فكان موقفه عند دار أبيه ، وبعث حوشب بن يزيد فوقف عند زقاق البصريين عند قم سكة بنى جديمة بن مالك من بنى أسد بن خزيمة ، وجاء المهلب يسير حتى نزل جهار سوج نخيس ، وجاء عبد الرحمن بن غنم من قبل دار السقاية ، وابتدر السوق أناس من شباب أهل الكوفة وأهل البصرة ، أعمار ليس لهم علم بالحرب ، فأخذوا يصيحون - وليس لهم أمير : يابن دومة ، يابن دومة ! فأشرف عليهم المختار فقال : أما والله لو أن الذي يميئتي بدومة كان من القريتين عظيماً ما عيئني بها . وبصر بهم وبفرقهم وبيتهم وانتشارهم ، فطمع فيهم ، فقال لطائفة من أصحابه : اخرجوا معي ، فخرج معهم نحو من مائتي رجل ، فكر عليهم ، فشد نحواً من مائة ، وهزمهم ، فركب بعضهم بعضاً ، وأخذوا على دار فرات بن حيان العجلى . ثم إن رجلاً من بنى ضبة من أهل البصرة يقال له يحيى بن ضفصم ، كانت رجلاه تكادان تحيطان الأرض إذا ركب من طوله ، وكان أثقل شيء للرجال وأهيبته عندهم إذا رأوه ، فأخذ يحمل على أصحاب المختار فلا يثبت له رجل صمد صمد ، وبصر به المختار ، فحمل عليه فضربه ضربة على جبهته فأطار جبهته وقحف رأسه ، وخر ميتاً . ثم إن تلك الأمراء وتلك الرموس أقبلوا من كل جانب ، فلم تكن لأصحابه بهم طاقة ، فدخلوا القصر ، فكانوا فيه ، فاشتد عليهم الحصار فقال لهم المختار : ويحكم ! إن الحصار لا يزيدكم إلا ضعفاً ، انزلوا بنا فلتقاتل حتى نقتل كراماً إن نحن قتلنا ، والله ما أنا بأيسر إن صلتهموم

أَن يَتَصَرَّكُمُ اللَّهُ ، فَضَعَّفُوا وَصَجِزُوا ، فَقَالَ لَهُمُ الْمُخْتَارُ : أَمَّا أَنَا فَوَاقَهُ لَا أُعْطِي
يَسِيدِي وَلَا أَحْكَمُهُمْ فِي نَفْسِي . وَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بَنُ جَعْلَةَ بَنُ هُبَيْرَةَ
ابْنَ أَبِي وَهَبٍ مَا يَرِيدُ الْمُخْتَارُ تَدَلَّى مِنَ الْقَصْرِ بِجَحْلٍ ، فَلَحِقَ بِأَنَاسٍ
مِنْ إِخْوَانِهِ ، فَاخْتَبَأَ عِنْدَهُمْ . ثُمَّ إِنَّ الْمُخْتَارَ أَرْسَعَ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْقَوْمِ حِينَ
رَأَى مِنْ أَصْحَابِهِ الضَّعْفَ ، وَرَأَى مَا بِأَصْحَابِهِ مِنَ الْقَتْلِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى امْرَأَتِهِ
أُمِّ ثَابِتٍ بِنْتِ سَمُرَةَ بِنِ جُنْدُبِ الْفَزَارِيِّ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ بِطَبِيبٍ كَثِيرٍ ،
فَاغْتَسَلَ وَتَحَنَّنَ ، ثُمَّ وَضَعَ ذَلِكَ الطَّبِيبُ عَلَى رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ فِي تِسْعَةِ
عَشَرَ رَجُلًا ، فِيهِمْ السَّائِبُ بْنُ مَالِكِ الْأَشْعَرِيُّ - وَكَانَ خَلِيفَتَهُ عَلَى الْكُوفَةِ إِذَا
خَرَجَ إِلَى الْمَدَائِنِ - وَكَانَتْ تَحْتَهُ عَمْرَةُ بِنْتُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، فَوَلَدَتْ
لَهُ غُلَامًا ، فَسَمَّاهُ مُحَمَّدًا ، فَكَانَ مَعَ أَبِيهِ فِي الْقَصْرِ ، فَلَمَّا قُتِلَ أَبُوهُ وَأُخِذَ
مَنْ فِي الْقَصْرِ وَجِدَ صَبِيغًا فَتَرَكَ ، وَلَمَّا خَرَجَ الْمُخْتَارُ مِنَ الْقَصْرِ قَالَ
لِلسَّائِبِ : مَاذَا تَرَى ؟ قَالَ : الرَّأْيُ لَكَ ، فَاذَا تَرَى ؟ قَالَ : أَنَا أَرَى أُمَّ اللَّهِ
يَرَى ! قَالَ : اللَّهُ يَرَى ، قَالَ : وَيَنْحُكَ ! أَحَقُّ أَنْتَ ! إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ
مِنَ الْعَرَبِ رَأَيْتُ ابْنَ الزَّبِيرِ انْتَرَى عَلَى الْحِجَازِ ، وَرَأَيْتُ نَجْدَةَ انْتَرَى
عَلَى الْيَمَامَةِ ، وَبُرُوقَانَ عَلَى الشَّامِ ، فَلَمْ أَكُنْ دُونَ أَحَدٍ مِنْ رِجَالِ الْعَرَبِ ،
فَأَخَذْتُ هَذِهِ الْبِلَادَ ، فَكُنْتُ كَأَحَدِهِمْ ، إِلَّا أَنِّي قَدْ طَلَبْتُ بَنَاءَ أَهْلِ بَيْتِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَامَتْ عَنْهُ الْعَرَبُ ، فَقَتَلْتُ مَنْ شَرَكْتُ فِي دِمَائِهِمْ ،
وَبَالَغْتُ فِي ذَلِكَ إِلَى يَوْمِي هَذَا ، فَقَاتِلْ عَلَى حَسْبِكَ إِنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ نِيَّةٌ ،
قَالَ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴾ ، وَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ أَنْ أَقَاتِلَ عَلَى حَسْبِي !
قَالَ الْمُخْتَارُ عِنْدَ ذَلِكَ بِتَمَثُّلٍ بِقَوْلِ غَيْلَانَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ مُعْتَبٍ الثَّقَفِيِّ :
وَلَوْ يَرَانِي أَبُو غَيْلَانَ إِذْ حَسَرْتُ عَنِّي الْهَمُومُ بِأَمْرِ مَا لَهُ طَبِيقُ
لَقَالَ رُغْبًا وَرُغْبًا يُجْتَمَعَانِ مَعًا غُنْمُ الْحَيَاةِ وَقَوْلُ النَّفْسِ وَالشَّقِيقُ
إِمَّا تُسَيِّفُ عَلَى مَجْدٍ وَمَكْرَمَةٍ أَوْ لِإِسْوَةِ لَكَ فِيمَنْ تَهْلِكُ الْوَرَقُ
فَخَرَجَ فِي سَعَةِ عَشَرَ رَجُلًا فَقَالَ لَهُمُ : أَتَوْتَنُونِي وَأَخْرَجُ إِلَيْكُمْ ؟ فَقَالُوا :
لَا ، إِلَّا عَلَى الْحُكْمِ ، فَقَالَ : لَا أَحْكَمُكُمْ فِي نَفْسِي أَبَدًا ، فَضَارِبٌ بِسَيْفِهِ
حَتَّى قُتِلَ ، وَقَدْ كَانَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ حِينَ أَبَوَا أَنْ يُتَابِعُوهُ عَلَى الْخُرُوجِ مَعَهُ :

إذا أنا خرجت إليهم فقتلت لم تزدادوا إلا ضعفًا وذلاً ، فإن نزلتم على حكمهم وثب أعداؤكم الذين قد وترتموهم ، فقال كل رجل منهم لبعضكم : هذا عنده ثأري فيقتل ، وبعضكم ينتظر إلى مصارع بعض فيقولون : يا ليتنا أطعنا المختار وعملنا برأيه ! ولو أنكم خرجتم معي كنتم إن أخطأتم الظفر من كراما ، وإن هرب منكم هارب فدخل في عشيرته اشتملت عليه عشيرته ؛ أنتم غدا هذه الساعة أذل من على ظهر الأرض ، فكان كما قال .

قال : وزعم الناس أن المختار قُتل عند موضع الزبائين اليوم ، قتله رجلا من بني حنيفة أخوان يدعى أحدهما طرفة والآخر طرافا ، ابنا عبد الله بن دجاجة من بني حنيفة . ولما كان من الغد من قتل المختار قال بجير بن عبد الله المسلمي : يا قوم ، قد كان صاحبكم أمس أشار عليكم بالرأى لو أطمعتموه . يا قوم ، إنكم إن نزلتم على حكم القوم ذبحتم كما تدبح الضم ، اخرجوا بأسيا فكم فقاتلوا حتى عموا كراما . فعصوه وقالوا : لقد أمرنا بهذا من كان أطوع غننا وأنصح لنا منك ، فعصيناه ، أفنحن (١) نطيعك ! فأمكن القوم من أنفسهم ، ونزلوا على الحكم . فبعث إليهم مصعب (٢) عباد بن الحصين الحبطي فكان هو يخرجهم مكشفين ، وأوصى عبد الله بن شداد الجشمي إلى عباد بن الحصين ، وطلب عبد الله ابن قراد عصا أو حديدة أو شيئا يقاتل به فلم يجده ، وذلك أن الندامة أركنته بعد ما دخلوا عليه ، فأخذوا سيفه ، وأخرجوه مكتوفاً ، فر به عبد الرحمن وهو يقول :

٧٢٩/٢

ما كنت أخشى أن أرى أسيرا إن الذين خالفوا الأميرا
قد رُعِموا وتبرؤا تنبيرا .

فقال عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث : على بلا ، قد موه إلى أضرب عتقه ، فقال له : أما إني على دين جدك الذي آمنتم ثم كفر ، إن لم أكن ضربت أباك بسيفي حتى فاظ . فنزل ثم قال : أدنوه مني ، فأدنوه منه ،

فقتله ، فغضب عباد ، فقال : قتلته ولم تؤمر بقتله !
 ومروا بعبد الله بن شداد الجشني وكان شريفاً ، فطلب عبد الرحمن إلى
 عباد أن يسحبسه حتى يكلم فيه الأمير ، فأبى مصعباً ، فقال : إني أحب
 أن تنفخ إلى عبد الله بن شداد فأقتله ، فإنه من الثار ، فأمر له به ،
 فلما جاءه أخذه فضرب عنقه ، فكان عباد يقول : أما والله لو علمت أنك
 إنما تريد قتله لدفعته إلى غيرك فقتله ، ولكني حببتُ أنك تكلمه فيه
 فتخلتُ سبيله . وأبى يابن عبد الله بن شداد ، وإذا اسمه شداد ، وهو رجل
 محتلم ، وقد اطلت بنورة ، فقال : اكشفوا عنه هل أدرك ! فقالوا : لا ،
 إنما هو غلام ، فخلوا سبيله ، وكان الأسود بن سعيد قد طلب إلى مصعب
 أن يعرض على أخيه الأمان ، فإن نزل تركه له ، فأتاه فعرض عليه الأمان ،
 فأبى أن ينزل ، وقال : أموت مع أصحابي أحب إلي من حياة معكم ، ٧٤٠/٢
 وكان يقال له قيس ، فأخرج فقتل فيمن قتل ، وقال بجير بن
 عبد الله المسلي : ويقال : كان مولى لم حين أتى به مصعب ومعه منهم ناس
 كثير . فقال له المسلي : الحمد لله الذي ابتلانا بالإسار ، وابتلاك بأن تغفو
 عنا ، وهما مسترلان إحداهما رضا الله ، والأخرى سخطه ، من عفا عفا الله عنه ،
 وزاده عزاً ، ومن عاقب لم يأمن القصاص . يابن الزبير ، نحن أهل
 قبيلتكم ، وعلى ملتكم ، ولنا تركاً ولا ديلماً ، فإن خالفنا إخواننا
 من أهل مِصرنا فلما أن نكون أصبنا وأنططوا ، ولما أن نكون أخطأنا وأصابوا
 فاقتلتنا كما اقتتل أهل الشام بينهم ، فقد اختلفوا واقتتلوا (١) ثم اجتمعوا ،
 وكما اقتتل أهل البصرة بينهم فقد اختلفوا واقتتلوا ثم اصططحوا واجتمعوا ،
 وقد ملكتم فأسجحوا ، وقلقد رتم فاعفوا . فما زال بهذا القول ونحوه حتى
 رقى لهم الناس ، ورقى لهم مصعب ، وأراد أن يخلي سبيلهم ، فقام
 عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال : تخطي (٢) سبيلهم ! اخترنا يابن
 الزبير أو اخترهم . وثب محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني

(١) ف : « فقد اختلفوا واقتتلوا » .

(٢) ف : « ائخذ » .

فقال : قُتِلَ أبِي وَخَمْسَةَ مَنَ هَمْدَانِ وَأَشْرَافِ الْعَشِيرَةِ وَأَهْلِ الْمَصْرِ ^(١) ثُمَّ
تَخَلَّى سَبِيلَهُمْ ، وَدَمَارُنَا تَرَفَّرَ فِي أَجْوَاهُمْ ! اخْتَرْنَا أَوْ اخْتَرَهُمْ . وَوَكَّبَ
كُلَّ قَوْمٍ وَأَهْلَ بَيْتٍ كَانَ أَصِيبَ مِنْهُمْ رَجُلٌ فَقَالُوا نَحْوًا مِنْ هَذَا الْقَوْلِ .
فَلَمَّا رَأَى الْمُصْعَبُ بْنُ الزَّيْبِرِ ذَلِكَ أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ ، فَتَادَوْهُ بِأَجْمَعِهِمْ : يَا بَنَ
الزَّيْبِرِ ، لَا تَقْتُلُنَا ، اجْعَلْنَا مَقْدَمَتَكَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ غَدًا ، فَوَاللَّهِ مَا بَلَكَ وَلَا
بِأَصْحَابِكَ عَنَّا غَدًا غَيْثِي ، إِذَا الْقِيَمَ عَدُوَّكُمْ فَإِنْ قَتَلْنَا لَمْ نَقْتُلْ حَتَّى تَرْفُقَهُمْ لَكُمْ ^(٢) ،
وَلَا نَظْمِرُنَا بِهِمْ كَانَ ذَلِكَ لَكَ وَلِنَ مَعَكَ . فَأَبَى عَلَيْهِمْ وَتَبِعَ رِضَا الْعَامَةِ ،
فَقَالَ يَحْيَى الْمُسْلِيُّ : إِنْ حَاجَتِي إِلَيْكَ أَلَا أَقْتُلُ مَعَ هَؤُلَاءِ [الْقَوْمِ] ^(٣) إِنْ أَمَرْتَهُمْ
أَنْ يَخْرُجُوا بِأَسْيَافِهِمْ فَيَقَاتِلُوا حَتَّى يَمُوتُوا كِرَامًا فَعَصَوْنِي ، فَقُدِّمَ فَقُتِلَ .
قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ : وَحَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو رَوْحٍ أَنَّ مَسَافِرَ بْنَ
سَعِيدِ بْنِ نِسْرَانَ قَالَ لِمُصْعَبِ بْنِ الزَّيْبِرِ : يَا بَنَ الزَّيْبِرِ ، مَا تَقُولُ لِلَّهِ إِذَا قَلَمْتَ
عَلَيْهِ وَقَدْ قَتَلْتَ أُمَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ صَبِيرًا ! حَكِيمُوكَ فِي دِمَائِهِمْ ، فَكَانَ الْحَقُّ
فِي دِمَائِهِمْ أَلَّا تَقْتُلَ نَفْسًا ^(٤) ، مُسْلِمَةً يَغِيرُ نَفْسَ مُسْلِمَةٍ ، فَإِنْ كُنَّا قَتَلْنَا
عِدَّةً زَجَالَ مِنْكُمْ فَاقْتُلُوا عِدَّةً مِّنْ قَتَلْنَا مِنْكُمْ ، وَخَلُّوا سَبِيلَ بَقِيَّتِنَا ، وَفِينَا ^(٥) الْآنَ
رِجَالٌ كَثِيرٌ لَمْ يَشْهَدُوا مَوْطِنًا مِنْ حَرْبِنَا وَحَرْبِكُمْ يَوْمًا وَاحِدًا ، كَانُوا فِي الْجِبَالِ
وَالسَّوَادِ يَسْجُونَ الْخَرَجَ ، وَيُؤْمِنُونَ السَّبِيلَ . فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُ ، فَقَالَ : قَبِّحَ
اللَّهُ قَوْمًا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا لِيَلَا عَلَى حَرَسِ مَكَّةَ مِنْ هَذِهِ السَّكَلِ فَنَطْرُدَهُمْ ،
ثُمَّ نَبْلَحِقَ بَعَثَانَا ، فَعَصَوْنِي حَتَّى حَمَلَكُونِي عَلَى أَنْ أُعْطِيتَ الَّتِي هِيَ أَنْقَصُ
وَأَدْنَى وَأَوْضَعُ ، وَأَبْنَوْا أَنْ يَمُوتُوا إِلَّا مَيِّتَةَ الْعَبِيدِ ، فَأَنَا أَسْأَلُكَ أَلَّا تَسْخِطَ دِي
بِدِمَائِهِمْ . فَقُدِّمَ فَقُتِلَ نَاحِيَةً ^(٦) .

ثُمَّ إِنَّ الْمُصْعَبَ أَمَرَ بِكَيْفِ الْخِتَارِ فَقَطَّعَتْ ثُمَّ سُمِّرَتْ بِمِصْهَارٍ
حَدِيدٍ إِلَى جَنْبِ ^(٧) الْمَسْجِدِ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قَدِمَ الْحِجَاجُ بِنَ
يُوسُفَ ، فَظَنَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : كَيْفَ الْخِتَارِ ،
فَأَمَرَ بِنَزْعِهَا . وَبَعَثَ الْمُصْعَبَ عُمَالَهُ عَلَى الْجِبَالِ وَالسَّوَادِ ،

٧٤١/٢

٧٤٢/٢

(١) ف : و للمصر .

(٢) ف : و لك .

(٣) ف : و ألا تقتل نفس مسلمة .

(٤) من ف .

(٥) ف : و ناحية قتل .

(٦) ف : و ناحية قتل .

(٧) ف : و جانب .

ثم إنه ^(١) كتب إلى ابن الأشتر ^(٢) يدعو إلى طاعته ، ويقول له : إن أنت
أجبتني وخطعت في طاعتي فلك الشلم وأحييت الحيل ، وما غلبت عليه من
أرض المغرب ما دام آل الزبير سلطان . وكتب ^(٣) عبد الملك بن مروان من
الشلم إليه يدعو إلى طاعته ، ويقول : إن أنت أجبتني وخطعت في طاعتي
فلك العراق . فدعا إبراهيم أصحابه فقال : ما ترون ؟ فقال بعضهم :
تدخل في طاعة عبيد الملك ، وتقتل بعضهم : تدخل مع ابن الزبير في طاعته ،
فقال ابن الأشتر : فلك لو لم أكن أنسيت عبيد الله بن زياد ولا رؤساء أهل
التكلم تبع عبيد الملك مع أي لا أحب أن أخطر على أهل مصر مصرًا ،
ولا على عشيق عشيق . فكتب إلى مصعب ، فكتب إليه مصعب أن أقبل ،
فقبل إليه بالطلحة .

فلك أبو مختف : حدثني أمير جنتب الكلبي أن كتاب مصعب
قدم على ابن الأشتر فيه :

أما بعد ، فإن الله قد قتل الخطو الكذاب وشيعته الذين دانوا بالكفر ،
وكادوا بالسحر ^(٤) ، وإذا فعلوك إلى كتاب الله سنة نبيه ، وإلى بيعة
أمير المؤمنين ، فإن أجبت إلى ذلك فقبل إلى ، فإن لك أرض الجزيرة
وأرض المغرب ^(٥) كلها ما بقيت وبقي سلطان آل الزبير ، لك بفلك عهد الله
وميثاقه وأشد ما أخذ الله على النبيين من عهد أو عقد ، والسلام .

وكتب إليه عبد الملك بن مروان :

أما بعد ، فإن آل الزبير اتزروا على أئمة الهدى ، وقاصروا الأمر أئمة ،
والحدوا في بيت الله الحرام ^(٦) والله ممكن منهم ، وجاعل دائرة السوء
عليهم ، وإلى أدعوك إلى الله وإلى سنة نبيه ، فإن قبلت وأجبت فلك سلطان
العراق ما بقيت وبقيت ، على بالوفاء بذلك عهد الله وميثاقه .

قال : فدعا أصحابه فأقرأهم الكتاب ، واستشارهم في الرأي ، فقالوا :

(١) ف : « والله » . (٢) ف : « لإبراهيم بن الأشتر » .

(٣) ف : « وكتب إليه » . (٤) ف : « وكانوا علماء بالسحر » .

(٥) ا ، س : « العرب » . (٦) ف : « واتخذوا الحرم حلا » .

(٧) ف : « فإن » .

يقول عبد الملك ، وقائل يقول : ابن الزبير ؛ فقال لهم : ورأى اتباع أهل الشام ، ولكن كيف لي بذلك ، وليس قبيلة تسكن الشام إلا وقد وترتها ، ولست بتارك عشيرتي وأهل مصري^(١) ! فأقبل إلى مصعب ، فلما بلغ مصعباً إقباله^(٢) بعث المهلب إلى عمله ، وهي^(٣) السنة التي نزل فيها المهلب على القُرَرات .

قال أبو مخنف : حدثني أبو علقمة الخثعمي أن المصعب بعث إلى أم ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار وإلى عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري - وهي امرأة المختار - فقال لهما : ما تقولان في المختار ؟ فقالت أم ثابت : ما عسنا أن نقول ! ما نقول فيه إلا ما تقولون فيه أنتم ، فقالوا لها اذهبي ، وأما عمرة فقالت : رحمة الله عليه ، إنه كان عبداً من عباد الله الصالحين ، فرفعها مصعب إلى السجن ، وكتب فيها إلى عبد الله بن الزبير إنها تزعم أنه نبي ، فكتب إليه أن أخرجها فاقتلها . فأخرجها بين الحيرة والكوفة بعد العتمة ، فضربها مطراً ثلاث ضربات بالسيف - ومطر تابع لآل قسطل من بني تميم الله بن ثعلبة ، كان يكون مع الشرط - فقالت : يا أبتاه ، يا أهلاه ، يا عشيرتاه ! فسمع بها بعض الأنصار ، وهو أبان بن النعمان بن بشير ، فأناه فلطمه وقال له : يا بن الزانية ، قطعت نفسك قطع الله يمينك ! فلكزمه حتى رفعه إلى مصعب ، فقال : إن أمي مسلمة ، وادعى شهادة بني قسطل ، فلم يشهد له أحد ، فقال مصعب : خلوا سبيل الفتى فإنه رأى أمراً فظيماً ، فقال عمر بن أبي ربيعة القُريشي في قتل مصعب عمرة بنت النعمان بن بشير :

إِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ عِنْدِي قَتَلَ بَيْضَاءَ حُرَّةٍ عُطْبُولِ^(٣)
قُتِلَتْ هَكَذَا عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ إِنَّ اللَّهَ كَرِهَنَا مِنْ قَتْلِ
كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْمُحْصَنَاتِ جُرُّ الدُّيُولِ

قال أبو مخنف : حدثني محمد بن يوسف ، أن مصعباً لقي عبد الله بن

(١) ف : « ولا أهل مصري » . (٢) يلحقا في ف : « إليه » . (٣) ملحق ديوانه ٤٩٨ .

عمر فسلم عليه ، وقال له : أنا ابنُ أخيك مصعب ، فقال له ابنُ عمر :
نعم ، أنت القاتلُ سبعةَ آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة ! عيشُ
ما استطعت ! فقال مصعب : إنهم كانوا كفرة مسخرة ؛ فقال ابنُ عمر :
والله لو قتلت عدتهم غنمًا من ثراثِ أبيك لكان ذلك سرقةً ،
فقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في ذلك :

أبى ركبٌ بالأمر ذى النبأ العجبُ	بقتل أبنه النعمان ذى الدين والحسبُ
بقتل فتاة ذاتِ دلٍّ ستيرةٍ	مُهذبة الأخلاقِ والخيمِ والنسبِ
مطهرة من نسل قوم أكارمِ	من المؤثرين الخير في سالفِ الحسبِ
خليلُ النبي المصطفى وضيرةُ	وصاحبه في الحربِ والتكبرِ والكربِ
أتانى بأنَّ الملحدين توافقوا	على قتلها لاجنبوا القتلَ والسلبِ
فلا هنأت آلَ الزبير معيشةُ	وذاقوا لباَسِ الدلِّ والخوفِ والحربِ
كأنهم إذ أبرزوها وقطعت	بأسيا فيهم فازوا بِمملكة العربِ ٧٤٦/٢
ألم تعجبِ الأمومُ من قتلِ حرةٍ	من المُحصنات اللين محمودة الأدبِ !
من الغافلاتِ المؤمناتِ ، بريئة	من الذمِّ والبهتانِ والشكِّ والكذبِ
علينا كتابُ القتلِ والبأسِ واجبُ	وهنَّ العفافِ في الجبالِ وفي الحُجبِ
على دينِ أجدادِ لها وأبوةٍ	كرامِ مَضَتْ لم تُخزِ أهلاً ولم تُربِ
من الخفياتِ لا خروجُ بليَّةٍ	مُلاحمة تَبْخِي على جارِها الجُنبِ
ولا الجارِ ذى القربى ولم تذرِ ما للخنا	ولم تزدِلف يوماً يسوء ولم تحبِ
عَجِبْتُ لها إذ كُفِنَتْ وَهِيَ حَيَّةٌ	ألا إن هذا الخطبَ من أعجبِ العجبِ

حدثت عن علي بن حرب الموصلي ، قال : حدثني إبراهيم بن
سليمان الحنفي ، ابن أخى أبي الأحوص ، قال : حدثنا محمد بن أبان ، عن
علقمة بن مرثد ، عن سويد بن غفلة ، قال : بينا أنا أسيرُ بظَهْر
التجف إذ لحقني رجل فبطعني بِمِخْصَرَةٍ مِن خَلْقي ، فالتفتُ إليه ، فقال :
٧٤٧/٢

ما قولك في الشيخ ؟ قلت : أتدري الشيخ ؟ قال : على بين أبي طالب ، قلت : إني أشهد أني أحبه بسنن وبصري وطي ولساني ، قال : وأنا أشهدك أني أبغضه بسنن وبصري وطي ولساني . فسرنا حتى دخلنا الكوفة ، فافترقنا ، فكنت بعد ذلك سجيناً . أو قال : ومطلقاً . قلت : ثم إني لفي المسجد الأعظم إذ دخل رجل ثم يصيح وجوه الناس ، فلم يرك ينظر فلم يركل حتى أخرجت من تحتي فقال : فيلس إليهم ، فحركت فيلست بهم ، قالوا : من أين أتيت ؟ قال : من عند آل بيت فيكم ، قالوا : فإذا جئتكم به ؟ قال : ليس هذا موضع ذلك ، فوطعهم من القيد موطداً ، فمداً وفكوك ، فإذا قد أخرج كلباً معه في أسفه طابع من رصاص ، فغصه إلى غلام ، قال له : يا غلام ، اقرأه . وكان ألياً لا يكب . فقال الغلام : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب المختار بن أبي عبيد كبه له وصي آل محمد ، أما بعد فكلوا وكلوا .

فاستخرج القوم البكاء ، قال : يا غلام ، ارفع كتابك حتى يُمَيِّقَ القوم ، قلت : معاشر ممدان ، أنا أشهد بالله لقد أدركني هذا بظهور التجف ، فقصصت عليهم قصته ، قالوا : أبئت والله إلا تنشطنا عن آل محمد ، وتزينا لنموت شقائق المصاحف . قال : قلت : معاشر ممدان ، لا أحد نكم إلا ما سمعته أذناي ، ووعاه قلبي من علي بن أبي طالب عليه السلام ، سمعته يقول : لا تسموا حنان شقائق المصاحف ، فوالله ما شققها إلا عن ملائنا أصحاب محمد ، ولو وليتها لعملت فيها مثل الذي عمل ، قالوا : والله أنت ^(١) سمعت هذا من علي ؟ قلت : والله لأنا سمعته منه ^(٢) ، قال : افترقوا عنه ، فعند ذلك مال إلى العبد ، واستعان بهم ، وصنع ما صنع .

٧٤٨/٧

قال أبو الجعفر : واقص الوالدي من خبر المختار بن أبي عبيد بعض ما ذكرنا ، فخالف فيه من ذكرنا خبره ، فزعم أن المختار إنما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قتلهم مصعب البصرة ، وأن مصعباً لما

سار إليه فبلغه مسيرُهُ إليه بعث إليه أحمَرُ بنُ شُبيطَ البَجَلِيّ، وأمرَهُ أن يواقعَهُ بالمسَدَارِ ، وقال : إنَّ الفتحَ بالمسَدَارِ ، قال : وإنما قال ذلك المختار لأنه قيل : إن رجلاً من ثَقِيفٍ يُفْتَنَحُ عليه بالمسَدَارِ فتحٌ عظيمٌ ، فظنَّ أنه هو ، وإنما كان ذلك للحجاجِ بنِ يوسفَ في قتاله عبدَ الرَّحْمَنِ بنَ الأشعثِ . وأمر مصعبُ صاحبُ مقدّمته عبيدَ الحَبِطَى أن يسيرَ إلى جَمْعِ المُخْتَارِ فتقدّم وتقدّم معه عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عَلِيٍّ بنُ أَبِي طَالِبٍ ، ونزل مصعبُ ، نهرَ البَصْرِيِّينَ على شطِّ الفُراتِ ، وَحَفَرُ هُنَالِكَ نَهراً فسمّى نهرَ البَصْرِيِّينَ من أجلِ ذلك . قال : وخرج المختارُ في عشرين ألفاً حتى وقف بإزائهم وزحف مصعبُ ومنَ معه ، فوافقوه مع الليل على تعبٍ ، فأرسل إلى أصحابه حين أُمسى : لا يَبْرَحَنَّ أَحَدٌ منكم موقِفَهُ حتى يسمعَ منادياً ينادي : يا محمدُ ، فإذا سمعتموه فاحملوه . فقال رجلٌ من القومِ من أصحابِ المختارِ : هذا والله كذابٌ على الله ، وإن حازَ ولَسَّ معه إلى المصعبِ ، فأمهّل المُختارُ حتى إذا طلع القمرُ أمرَ منادياً ، فنادى : يا محمدُ ، ثم حَمَلُوا على مُصْعَبٍ وأصحابِهِ فهِزَمُوهم ، فأدْخَلُوهُ عسكرَهُ ، فلم يَزَالُوا يقاتلونهم حتى أصبحوا وأصبح المختارُ وليس عنده أحدٌ ، وإذا أصحابُهُ قد وَغَلُوا في أصحابِ مصعبِ ، فانصرف المختارُ منهزماً حتى دخل قصرَ الكوفةِ ، فجاء أصحابُ المُختارِ حين أصبحوا ، فَوَقَفُوا مَكِيّاً ، فلم يروا المختارَ ، فقالوا : قد قُتِلَ ، فَهَرَبَ منهم مَنْ أطلقَ الهَرَبَ ، واختَفَرُوا في دُورِ الكوفةِ ، وتوجّهَ منهم نحوَ القصرِ ثمانية آلاف لم يَسْجِلُوا مَنْ يقاتلُ بهم ، ووجدوا المختارَ في القصرِ ، فدخلوا معه ، وكان أصحابُ المختارِ ، قتلوا في تلك الليلة من أصحابِ مصعبٍ ١١ بشراً كثيراً ، فبهم محمد بنُ الأشعثِ ، وأقبلَ مُصْعَبٌ حين أصبح حتى أحاط بالقصرِ ، فأقام مصعبُ بِحَاصِرِهِ أربعةَ أشهرٍ يَخْرُجُ إليهم في كلِّ يومٍ فيقاتلهم في سوقِ الكوفةِ من وجهٍ واحدٍ ، ولا يُقدِّرُ عليه حتى قُتِلَ المختارُ ، فلما قُتِلَ المختارُ بعثَ مِنْ فِي القصرِ يطلبُ الأمانَ ، فأبى مصعبُ حتى نزلوا على حُكْمِهِ ، فلما نزلوا على حُكْمِهِ قَتَلَ من العربِ سبعمائةً أو نحو ذلك ، وسائرهم

٧٤٩/٢

من العَجَم ، قال : فلما خرجوا أراد مُصْعَبُ أَنْ يَقْتُلَ العَجَمَ وَيَتْرَكَ العَرَبَ ، فكَتَلَهُ مِنْ مَعَهُ ، فَقَالُوا : أَيُّ دِينٍ هَذَا ؟ وكيف ترجو النصرَ وَأَنْتَ تَقْتُلُ المَصْجَمَ وَيَتْرَكَ العَرَبَ وَيَدِينُهُمْ وَاحِدًا ؟ فَقَدْ مَهَمَ فَضْرَبَ أَعْنَاقَهُمْ .

قال أبو جعفر : وحدهني عمرُ بنُ شُبَيْةَ ، قال : حدثنا عليُّ بنُ محمدٍ ، قال : لما قُتِلَ المختارُ شاورُ مصعبُ أصحابه في المحصورين الذين نزلوا على حكمه ، فقال عبدُ الرحمن بنُ محمد بنِ الأشعث ومحمد بنُ عبد الرحمن ابنُ سعيد بنِ قيس وأشباهُهم ممن وتروهم المختارُ : اقتلهم ، وضجَّتْ ضَجَّةً ، وقالوا : دِمُّ مُنْذِرِ بنِ حسانٍ ؛ فقال عبيد الله بنُ الحرِّ : أيُّها الأمير ، ادفعْ كلَّ رجلٍ في يديك إلى عشيرته ممن عليهم بهم ، فإنهم إن كانوا قَتَلُونَا فقد قَتَلُونَاهُمْ ، ولا غنى بنا عنهم في ثغورنا ، وادفعْ عبيدنا الذين في يديك إلى مواليتهم فإنهم لأيتامنا وأراملنا وضعفائنا ، يردونهم إلى أعمالهم ، واقتل هؤلاء الموالى ، فإنهم قد بدوا كفرهم ، وعظمُ^(١) كبرهم ، وقلَّ شكرهم . فنصَحَ مَصْعَبُ وقال للأحنف : ما ترى يا أبا سحر ؟ قال : قد أراذني زيادٌ فمَصَّيْتَهُ - يَغْرِضُ بهم - فأمرَ مصعبُ بالقوم جميعاً فقتلوا ، وكانوا مئة آلاف ، فقال عُقْبَةُ الأَسَدِيُّ :

٧٥٠/٢

قَتَلْتُمْ سِنَةَ الْآلَافِ صَبْرًا . مع العهد الموثق . مكتفينَا
جعلتم دِمَّةَ الحَبْطِيِّ جَسْرًا . ذُلُولًا ظَهَرُهُ لِلوَاطِئِينَ
وما كانوا غَدَاةً دُعُوا فَعُرُوا^(٢) . بَعْدَهُمْ بِأَوَّلِ حَائِنِينَ
وكنْتُ أَمْرَتَهُمْ لو طَاوَعُونِي بِضَرْبٍ فِي الْأَرْقَةِ مُضْلِتِينَ
وقُتِلَ المختارُ - فيما قبل - وهو ابنُ سبع وستين سنة ، لأربع عشرة خَلَّتْ من شهر رمضان في سنة سبع وستين .

فلما فرغَ مصعبُ^(٣) من أمر المختار وأصحابه ، وصار إليه إبراهيم ابنُ الأشتر وجهُ المهلب بنِ أبي صفرة على الموصل والجزيرة وآذربيجان وأرمينية وأقام بالكوفة .

(١) ف : « ظهر » . (٢) ف : « فغروا » . (٣) ف : « المصعب » .

[خبر عزل عبد الله بن الزبير أخاه المصعب]

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير عن البصرة ، وبسّط بابه حمزة بن عبد الله إليها ، فاختلف في سبب عزله إياه عنها ، وكيف كان الأمر في ذلك .

٧٥١/٢

فقال بعضهم في ذلك ما حدثني به عمر ، قال : حدثني علي بن محمد قال : لم يزل المصعب على البصرة حتى سار منها إلى المختار ، واستخلف على البصرة عبيد الله بن معمر ، فقتل المختار ، ثم وفد إلى عبد الله بن الزبير فعزله وجسه عنده ، واعتذر إليه من عزله ، وقال : والله إني لأعلم أنك أحرى وأكفى من حمزة ، ولكن رأيت فيه رأى عثمان في عبد الله بن عامر حين عزل أبا موسى الأشعري وولاه .

وحدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : قدم حمزة بالبصرة والياً ، وكان جواداً سخياً خلطاً ، يهود أحياناً حتى لا يدع شيئاً يملكه ، ويمنع أحياناً ما لا يمنع مثله ، فظهرت منه بالبصرة خفة ضعف ، فيقال : إنه ركب يوماً إلى فيض البصرة ، فلما رآه قال : إن هذا الغدير إن رفقوا به ليكفيهم صيفهم ، فلما كان بعد ذلك ركب إليه فوافقه جازراً ، فقال : قد رأيت هذا ذات يوم ، وظننت أن لن يكفيهم ، فقال له الأحنف : إن هذا ماء يأتينا ثم يبيض عنا . وشخص إلى الأهواز ، فلما رأى جبلها قال : هذا قعيقعان — لموضع بمكة — فسمي الجبل قعيقعان ، وبعث إلى مرء أنشاه فاستحبه بالحراج ، فأبطل به ، فقام إليه بسيفه فضربه فقتله ، فقال الأحنف : ما أحد سيف الأمير !

حدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : لما خلط حمزة بالبصرة وظهر منه ما ظهر ، وهمَّ بعبد العزيز بن بشر أن يضربه ، كتب الأحنف إلى ابن الزبير بذلك ، وصّاه أن يعيد مصعباً . قال : وحمزة الذي عقد لعبد الله بن عمير اللقي على قتال التجديّة بالبسحرين .

٧٥٢/٢

حدثني عمر، قال : حدثنا علي بن محمد، قال : لما عزل ابن الزبير حمزة احتسب مالا كثيرا من مال البصرة، فعرض له مالك بن مسعم، فقال : لا نملكك تخرج بأعطياتنا . فضمن له عبيد الله بن عبيد بن مسعر العطاء، فكف، وشخص حمزة بالمال، فترك أباه وأتى المدينة، فأودع ذلك المال رجلا، فذهبوا به إلا يهوديا كان أودعه فوقى له، وعلم ابن الزبير بما صنع، فقال : أبعد الله ! أردت أن أباهي به بنى مروان فنكص .

وأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن أبي غنف في أمر مصعب وعزل أخيه إياه عن البصرة وردّه إياه إليها غير هذه القصة، والذي ذكر من ذلك عنه في سياق خبر حدثت به عنه^(١)، عن أبي المخارق الراسبي، أن مصعبا لما ظهر على الكوفة أقام بها سنة معزولا عن البصرة، عزله عنها عبد الله، وبعث ابنه حمزة، فمكث بملك سنة، ثم إنه وقد على أخيه عبد الله بمكة، فردّه على البصرة .

وقيل : إن مصعبا لما فرغ من أمر المختار انصرف إلى البصرة وولى الكوفة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة . قال : وقال محمد بن عمر : لما قتل مصعب المختار ملك الكوفة والبصرة .

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير . وكان عامله على الكوفة مصعب، وقد ذكرت اختلاف أهل السير في العامل على البصرة . وكان على قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة، وبالشام عبد الملك بن مروان وكان على خراسان عبد الله بن خازم السلمي .

٧٠٣/٧

ثم دخلت سنة ثمان وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلة

فمن ذلك ما كان من ودّ عبد الله أخاه مصعباً إلى العراق أميراً ، وقد ذكرنا السبب في ودّ عبد الله أخاه مصعباً إلى العراق أميراً بعد عوفه إياه ، ولما رده عليها أميراً بحث مصعبُ الحارث بن أبي ربيعة على الكوفة أميراً ، وذلك أنه بدأ بالبصرة مترجماً إلى العراق أميراً بعد العزل ، فصار إليها .

• • •

[ذكر الخبر عن رجوع الأزارقة من فارس إلى العراق]

وفي هذه السنة كان مرجع الأزارقة من فارس إلى العراق حتى صاروا إلى قرب الكوفة ، ودخلوا المدائن .

• ذكر الخبر عن أمرهم وسيرهم وترجعهم إلى العراق :

ذكر هشام ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني أبو المغارق الراسبي ، أن مصعباً وجه عمر بن عبيد الله بن معمر على فارس أميراً ، وكانت الأزارقة لحقت بفارس وكرمان وفواحي أصبهان بعد ما أوقع بهم المهلب بالأهواز ، فلما شخص المهلب عن ذلك الوجه ووجه إلى الموصل وفواحيها عاملاً عليها ، وعمر بن عبيد الله بن معمر على فارس ، انحطت الأزارقة مع الزبير بن الماحوز على عُمَرَ بن عبيد الله بفارس ، فلقبهم بسابور ، فقاتلهم قتلاً شديداً ، ثم إنه ظنهم ظمراً بئياً ، غير أنه لم يكن بينهم كثير ^(١) قتل ، وذهبوا ^(٢) كأنهم على حامية ، وقد تركوا على ذلك المعركة .

قال أبو مخنف : فحدثني شيخ الحنّ بالبصرة ، قال : إني لأسمع قراءة كتاب عمر بن عبيد الله ^(٣) :

(١) ف : « كبير » . (٢) ف : « تركوا » .

(٣) بعلاني ف : « ابن مسر » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أما بعد ، فإنني أخبرُ الأميرَ أصلحَهِ اللهُ أني
لَقِيتُ الْأَزَاقَةَ الَّتِي مَرَقَتْ مِنَ الدِّينِ وَاتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهَا بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ،
فَقَاتَلْتُهُمْ بِالْمُسْلِمِينَ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ أَشَدَّ الْقِتَالِ . ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَارَهُمْ ، وَمَنْحَنَا أَكْثَافَهُمْ ، فَقَتَلَ اللَّهُ مِنْهُمْ مِائَةَ خَابٍ وَخَمْسَ ، وَكُلَّ إِلَى
خُسْرَانٍ . فَكُتِبْتُ إِلَى الْأَمِيرِ كِتَابِي هَذَا وَأَنَا عَلَى ظَهَرٍ فَرَسِي فِي طَلَبِ
الْقَوْمِ ، أَرْجُو أَنْ يَجِدَهُمْ ^(١) اللَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ .

ثُمَّ إِنَّهُ تَبِعَهُمْ وَمَضَوْا مِنْ فُورِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى نَزَلُوا لِاصْطِخْرَ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ
حَتَّى لَقِيَهُمْ عَلَى قَبْطَرَةِ طَمَسْتَانَ ^(٢) ، فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَقُتِلَ ابْنُهُ .
ثُمَّ إِنَّهُ ظَفَرِيَهُمْ ، فَفَطَعُوا قَنْطَرَةَ طَمَسْتَانَ ، وَارْتَفَعُوا إِلَى نَحْوِ مِائَةِ أَصْبِهَا
وَكِرْمَانٍ ، فَأَقَامُوا بِهَا حَتَّى اجْتَبَرُوا وَقَوُوا ، وَاسْتَعْدَّوْا وَكْشَرُوا ، ثُمَّ أَقْبَلُوا
حَتَّى مَرَوْا بِفَارِسَ وَبِهَا عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ ، فَفَطَعُوا أَرْضَهُ مِنْ
غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي كَانَ فِيهِ أَنْخَلُوا عَلَى سَابُورٍ ، ثُمَّ خَرَجُوا عَلَى أَرْجَانٍ ، فَلَمَّا
رَأَى عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ أَنَّ قَدْ قَطَعَتِ الْخَوَارِجُ أَرْضَهُ مُتَوَجِّهَةً إِلَى الْبَصْرَةِ خَشِيَ
أَلَّا يَحْتَمِلَهَا لَهُ مُصْعَبُ بْنُ الزَّيْبَرِ ، فَشَمَّرَ فِي آثَارِهِمْ مُسْرِعًا حَتَّى أَتَى
أَرْجَانَ ، فَوَجَدَهُمْ حِينَ خَرَجُوا مِنْهَا مُتَوَجِّهِينَ قِبَلَ الْأَهْوَازِ ، وَبَلَغَ مُصْعَبُ ^(٣)
إِقْبَالَهُمْ ، فَخَرَجَ فَعَسَكَرَ بِالنَّاسِ بِالْجِسْرِ الْأَكْبَرِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي
مَا الَّذِي أَغْنَى عَنِّي أَنْ وَضَعْتُ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بِفَارِسَ ، وَجَعَلْتُ مَعَهُ
جُنْدًا أَجْرِي عَلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، وَأَوْقَيْهِمْ أَعْطِيَاتِهِمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ ،
وَأَمَرُهُمْ مِنَ الْمَعَاوِينِ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِمِثْلِ الْأَعْطِيَاتِ ، تَقَطِّحُ أَرْضَهُ الْخَوَارِجُ
إِلَى ! وَقَدْ قَطَعْتُ عَلَيْهِ فَاغْدَدْتُ بِالرِّجَالِ وَقَوَيْتُهُمْ ، وَاللَّهِ لَوْ قَاتَلْتَهُمْ ثُمَّ فَرَكَانَ
أَعَذَّرَ لَهْ عِنْدِي ، وَإِنْ كَانَ الْفَارَ غَيْرَ مَقْبُولٍ الْعِذْرَ ، وَلَا كَرِيمٍ الْفَعْلَ .

وَأَقْبَلَتِ الْخَوَارِجُ وَعَلَيْهِمُ الزَّيْبَرُ بْنُ الْمَاحُوزِ حَتَّى نَزَلُوا الْأَهْوَازَ ، فَأَتَتْهُمْ عِيُونُهُمْ
أَنْ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي أَثَرِهِمْ ، وَأَنْ مُصْعَبُ بْنُ الزَّيْبَرِ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْبَصْرَةِ
إِلَيْهِمْ ، فَقَامَ فِيهِمُ الزَّيْبَرُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ

(١) س : « ويخزيهم » . (٢) س : « طمسيان » ، ف : « طميسان » ، وفي ابن
غير قط . (٣) ف : « وبلغ ذلك مصعبا » .

مِنْ سِوَةِ الرَّأْيِ وَالْحَيَرَةِ^(١) وَقَوَّعَكُمْ فَيَا بَيْنَ هَاتَيْنِ الشَّوْكَتَيْنِ ، انْهَضُوا
 بِنَا إِلَى عَدُوِّنَا نَلْقَهُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ . فَسَارَ بِهِمْ حَتَّى قَطَعَ بِهِمْ أَرْضَ
 جَوْحَى ، ثُمَّ أَخَذَ عَلَى النَّهْرِ وَأَنَات ، ثُمَّ لَزِمَ شَاطِئَ دَجَلَةَ حَتَّى خَرَجَ عَلَى
 الْمَدَائِنِ وَبِهَا كَرْدَمُ بْنُ مُرْتَدٍ بْنِ نَجْبَةَ الْقَرَارِيِّ ، فَشَنَّتُوا الْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ
 الْمَدَائِنِ ، يُقْتَلُونَ الْوِلْدَانَ وَالنِّسَاءَ وَالرِّجَالَ ، وَيَقْرُونَ الْحَبَالَى ، وَهَرَبَ
 كَرْدَمُ ، فَأَقْبَلُوا إِلَى سَابِاطٍ فَوَضَعُوا أَسْيَافَهُمْ فِي النَّاسِ ، فَقَتَلُوا أُمَّ وَلَدَ لَرِيْعَةَ
 ابْنِ مَاجِدٍ^(٢) ، وَقَتَلُوا بُنَاةَ ابْنَةِ أَبِي يَزِيدَ بْنِ عَاصِمِ الْأَزْدِيِّ ، وَكَانَتْ قَدْ
 قَرَأَتْ الْقُرْآنَ ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ ، فَلَمَّا غَشَوْهَا^(٣) بِالسَّيْفِ قَالَتْ :
 وَيْحَكُمْ ! هَلْ سَمِعْتُمْ أَنَّ الرِّجَالَ كَانُوا يُقْتَلُونَ النِّسَاءَ وَيَحْكُمُ اقْتُلُونِ مَنْ
 لَا يَسِطُ إِلَيْكُمْ يَدًا ، وَلَا يَرِيدُ بِكُمْ ضَرًّا ، وَلَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا ! انْقُتِلُونِ
 مَنْ يُشْنَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ! فَقَالَ بَعْضُهُمْ : اقْتُلُوهَا ،
 وَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : لَوْ أَنَّكُمْ تَرَكْتُمُوهَا ! فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَعْجَبُكَ جَمَالُهَا
 يَا عَدُوَّ اللَّهِ ! قَدْ كَفَرْتَ وَافْتَنَنْتَ ، فَانصَرَفَ الْآخَرُ عَنْهُمْ وَرَكَعَهُمْ ، فَظَنُّنَا
 أَنَّهُ فَارَقَهُمْ ، وَحَمَلُوا عَلَيْهَا فَقَتَلُوهَا ، فَقَالَتْ رَيْطَةُ بِنْتُ يَزِيدَ : سُبْحَانَ
 اللَّهِ ! أَتُرَوْنَ اللَّهَ يَرْضَى بِمَا تَصْنَعُونَ ! تَقْتُلُونَ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ وَمَنْ لَمْ
 يَلْذُنْ بِإِلَيْكُمْ ذَنْبًا ! ثُمَّ انصرفت وحملوا عليها وبين يديها الرِّوَاعُ بِنْتُ
 إِيَّاسَ بْنِ شُرَيْحِ الْهَمْدَانِيِّ ، وَهِيَ ابْنَةُ أَخِيهَا لِأُمِّهَا ، فَحَمَلُوا عَلَيْهَا فَضَرَبُوهَا
 عَلَى رَأْسِهَا بِالسَّيْفِ ، وَيَضِيبُ ذُبَابُ السَّيْفِ رَأْسَ الرِّوَاعِ فَسَقَطَتْ جَمِيعًا
 إِلَى الْأَرْضِ ، وَقَاتَلَهُمْ إِيَّاسُ بْنُ شُرَيْحٍ سَاعَةً ، ثُمَّ صُرِعَ فَوَقَعَ بَيْنَ
 الْقَتْلَى ، فَغَزَّعُوا عَنْهُ وَهَمَّ يَرْوَنَ أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوهُ ، وَصُرِعَ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَكْرِ
 ابْنِ وَائِلٍ يُقَالُ لَهُ : رَزِينُ بْنُ الْمُتَوَكَّلِ .

فَلَمَّا انصَرَفُوا عَنْهُمْ لَمْ يَمُتْ غَيْرُ بُنَاةِ بِنْتِ أَبِي يَزِيدَ ، وَأُمُّ وَلَدِ رِيْعَةَ
 ابْنِ نَاجِدٍ ، وَأَفَاقِي سَائِرُهُمْ ، فَهَمَّتْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنَ الْمَاءِ ، وَعَصَبُوا جِرَاحَاتِهِمْ
 ثُمَّ اسْتَأْجَرُوا دَوَابَّ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا نَحْوَ الْكُوفَةِ .

قَالَ أَبُو مِخْنَشَفٍ : فَحَدَّثَتْنِي الرِّوَاعُ ابْنَةُ إِيَّاسَ ، قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ

(١) س : «والحين» . (٢) ف : «وناجد» ، س : «ناجزة» . (٣) ف : «أن غشوها» .

رجلاً قط كان أجبن من رجل كان معنا وكانت معه ابنته ، فلما غشينا
ألقاها إلينا وهرب عنها وعا^(١) ولا رأينا رجلاً قط كان أكرم من رجل كان
معنا ، ما نعرفه ولا يعرفنا ، لما غشينا قاتل دوننا حتى صرع بيننا ، وهو
دزبن بن المتوكل السكري . وكان بعد ذلك يزورنا ويواصلنا . ثم إنه
ظلك في إمارة الحجّاج ، فكانت ورثته الأعراب ، وكان من العباد
الصلالين ..

قال هشام بن محمد — وذكره عن أبي مخنف — قال : حدثني أبي ،
عن عمه أن مصعب بن الزبير كان يبعث أبا بكر بن مخنف على إستان
الملك ، فلما قدم الخوارج^(٢) إلى بيعة القمامة ، ثم أقره بعد ذلك على عمله
السنة الثانية ، فلما قدمت الخوارج^(٣) الثلاثين مرّوا إلى عصابة منهم ، عليها
صالح بن مخلوق ، فلقية^(٤) بالكروخ فقتله مائة ، ثم قتلوا فنزل
أبو بكر وترك الخوارج ، قتل أبو بكر وسائر ماله وحيد الرحمن بن
أبي جهم ، ورجل من قومه ، وفتنهم مقر أصطيه ، قتال سراقه بن
ميرداس البارق في بطن من الأزد :

ألا يا قومي للهوم الطوارق^(١) ولعلّت الجاني بلحى الصفاني^(٢)
ومقتل غطريف كريم نجارة^(٣) من المؤمنين الدائمين الأصادق^(٤)
أناني دوين الخيف قتل ابن مخنف^(٥) وقد غورت أوى النجوم الخوافي^(٦)
فقلت : تلقاك الإله برحمة^(٧) وصلى عليك الله رب المشارق^(٨)
لحا الله قوماً عرّدوا عنك بكرة^(٩) ولم يصبروا لإلماعات البوارق^(١٠)
بولوا فأجلوا بالضحى عن زعيمنا^(١١) وسبّلنا في المازق المتضايق^(١٢)
فأنت متى ما جئتنا في بيوتنا^(١٣) سمعت عويلاً من عوان وعاتي

٧٥٨/٧

(١) ف : وعانها . (٢) ف : ولفهم .

(٣) ديوانه ٥٢ - ٥٦ ، مع اختلاف في الرواية .

(٤) ١ : للمؤمنين البليين .

يُبَكِّينَ محمودَ الضَّرِيبةَ ماجداً صَبُوراً لَدَى الهَيْجَاءِ عِنْدَ الحَقَائِقِ

لَقَدْ أَصْبَحَتْ نَفْسِي لَذَلِكَ حَزِينَةً وَشَابَتْ لِمَا حُمِلْتُ مِنْهُ مَفَارِقِي

قال أبو مخنف : فحدثني حذرة بن عبد الله الأزدي ، والنضر ابن صالح العنسي ، وفضيل بن خديج ، كلهم أخبرني^(١) أن الحارث بن أبي ربيعة [الملقب بالقُبَاع]^(٢) أتاه أهل الكوفة ، فصاحوا إليه وقالوا له : اخرج فإن هذا عدو لنا قد أظلم علينا^(٣) ليست له بقية ، فخرج وهو يكذب كذا^(٤) حتى نزل النخيلة ، فأقام بها أياماً ، فوثب إليه إبراهيم بن الأشتر ، فحمده الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنه سار إلينا عدو ليست له بقية^(٥) ، يقتل الرجل والمرأة والمولود ، ويخيف السبيل ، ويخرب البلاد ، فانهض بنا إليه ، فأمر بالرحيل . فخرج فنزل^(٦) دبر عبد الرحمن ، فأقام فيه حتى دخل إليه شبث بن ربعي ، فكلّمه يتحوى ممّا كلّمه به ابن الأشتر ، فارتحل ولم يكذب ، فلما رأى الناس بطء سيره رجّزوا به فقالوا :

سَارَ بِنَا الْقُبَاعُ سَيْرًا نَكْرًا يَسِيرُ يَوْمًا وَيُعِيمُ شَهْرًا

فأشخصوه من ذلك المكان ، فكلّمنا نزل بهم منزلاً أقام بهم حتى يضيح الناس به من ذلك ، ويصيحوا به حول قسطنطية ، فلم يبلغ الصّراة إلا في بضعة عشر يوماً ، فأق الصّراة وقد انتهت إليها طلائع العدو وأوائل الخيول ، فلما ألتهم العين بأنّه قد أتاهم جماعة أهل الميصر قطعوا الجسر بينهم وبين الناس ، وأخذ الناس يرتجزون :

إِنَّ الْقُبَاعَ سَارَ سَيْرًا مَلَمًا بَيْنَ دَبِيرِي وَكِبَاهَا خَمَسًا

قال أبو مخنف : وحدثني يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، أن رجلاً من السبيح كان به لسم ، وكان بقرية يقال لها جَوْبَر^(٧) عند الحرّارة ،

٧٦٠/٢

(٢) من ف .

(١) ف : « وأخبروا جميعاً » .

(٣) س : « وأقبل إلينا » ، ف : « أظلمنا » .

(٥) ط : « بقية » . (٦) ف : « حتى نزل » . (٧) س : « جوبن » .

وكان يُدعى سِمَاكَ بنَ يزيد ، فأنت الخوارجُ قريتهُ فأخذوه وأخذوا ابنته ، فقدّموا ابنته فقتلوها، وزعم لي أبو الربيع السلولي أن اسم ابنته أم يزيد ، وأنها كانت تقول لهم : يا أهل الإسلام، إن أبي مُصاب فلا تقتلوه ، وأما أنا فإنما أنا جارية ، والله ما أتيتُ فاحشةً قط ، ولا آذيتُ جارةً لي قط ، ولا تطلعتُ ولا تشرقتُ قط . فقدّموها ليقتلوه ، فأخذتُ تُنادي : ما ذنبي ما ذنبي اثم سقطت مغشياً عليها أوميّة ، ثم قطعوها ، بأسيا فهم . قال أبو الربيع : حدثتني بهذا الحديث ظيّر لها نصرانية من أهل الخوارج كانت معها حين قُتلَت .

قال أبو مخنف : حدثني يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، أن الأزارقة جاءت بِسِمَاكِ بن يزيد معهم حتى أشرّفوا على الصّرة . قال : فاستقبل عسكرنا ، فرأى جماعة الناس وكثرتهم ، فأخذ ينادينا ويرفع صوته : اعبروا إليهم فإنهم قتل خبيث ، فضربوا عند ذلك عنقه وصلبوه ونحن ننظر إليه . قال : فلما كان الليلُ عبرتُ إليه وأنا رجل من الحبي . فأنزلناه فدفعناه .

قال أبو مخنف : حدثني أبي أن إبراهيم بن الأشتر قال للحارث بن أبي ربيعة : اندب معي الناس حتى أعبر إلى هؤلاء الأكلب ، فأجبتك برؤسهم التسعة ؛ فقال شبّث بن ربعي وأسماء بن خارجة ويزيد ابن الحارث ومحمد بن الحارث ومحمد بن عُمير : أصْلَحَ اللهُ الأمير ! دعهم فليذهبوا ، لا تبذأهم ؛ قال : وكأنهم حسدوا لإبراهيم ابن الأشتر .

٧٦١/٢

قال أبو مخنف : حدثني حصيرة بن عبد الله وأبو زهير العبسي أن الأزارقة لما انتهوا إلى جسر الصّرة فرأوا أن جماعة أهل المِصر قد خرجوا إليهم، قطعوا الجسر، واغتنم ذلك الحارث ، ففتحس . ثم إنّه جلس للناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن أول القتال الرميّ بالنبل ، ثم لإشراع الرماح ، ثم الطعن بها شزراً ؛ ثم السّلة آخر ذلك كلّ .

قال : فقام إليه رجل فقال ، قد أحسن الأمير أصلحه الله الصفة ، ولكن حثام نصنع هذا وهذا البحر بيننا وبين عدونا ! مر بهذا الجسر فليعد^(١) كما كان ، ثم اعبر بنا إليهم ، فإن الله سيريك فيهم ما تحبته ، فأمر بالجسر فأعيد ، ثم عبر الناس إليهم فطاروا حتى انتهوا إلى المدائن ، وجاء المسلمون حتى انتهوا إلى المدائن ، وجاءت خيل لهم فطاردت خيلاً للمسلمين طرداً ضعيفاً عند الجسر . ثم إنهم خرجوا منها فأتبهم^(٢) الحارث بن أبي ربيعة عبد الرحمن بن مخنف في ستة آلاف ليخرجهم من أرض الكوفة ، فلذا وقعوا في أرض البصرة خلاًهم^(٣) فأتبهم حتى إذا خربوا من أرض الكوفة وقعوا إلى أصبهان انصرف^(٤) عنهم ولم يقاتلهم ، ولم يكن بينه وبينهم قتال ، ومضوا حتى نزلوا بعتاب بن ورقاء يحيى ، فأقاموا عليه وحاصروه ، فخرج إليهم فقاتلهم فلم يقطعهم ، وشدوا على أصحابه حتى دخلوا المدينة ، وكانت أصبهان يومئذ طعمة لإسماعيل بن طلحة من^(٥) مصعب بن الزبير ، فبعث عليها عتابة ، فصبر لهم عتابة ، وأخذ يخرج إليهم في كل يوم^(٦) فيقاتلهم على باب المدينة ، ويرميون من البور بالنبل والنشاب والحجارة ، وكان مع عتابة رجل من حصار موت يقال له أبو هريرة بن شريح ، فكان يخرج مع عتابة ، وكان شجاعاً ، فكان يحمل عليهم ويقول :

كيف ترون يا كلاب النار شد أبي هريرة الهراير
بهركم بالليل والنهار يابن أبي الماحوز والأشرار
كيف ترى جئ على المضار !

فلما طاك ذلك على الخوارج من قوله كمن له رجل من الخوارج يظنون أنه عبدة بن هلال ، فخرج ذات يوم فصنع كما كان يصنع ، ويقول كما كان يقول ، إذ حمل عليه عبدة بن هلال فضربه بالسيف ضربة على جيل غائقة فصرعه ، وحمل أصحابه عليه فاحتلوه فأدخلوه

(١) ف : « فليعد » . (٢) ف : « وأتبهم » . (٣) ف : « جلاهم » .

(٤) ف : « فانصرف » . (٥) ط : « بين » ، وانظر القهس . (٦) ط : « أيام » .

وداؤوه ، وأخذت الأزارقة بعد ذلك تُناديهم يقولون ^(١) : يا أعداء الله ، ما فعلكم أبو هريرة الحراري ^(٢) ؟ فينادونهم : يا أعداء الله ، والله ما عليه من بأس ، ولم يكسب أبو هريرة أن يبرئ ، ثم خرج عليهم بعداً ، فأخذوا يقولون : يا عدو الله ، أما والله لقد ربحونا أن نكون قد أوزناك أمك ، فقال لهم : يا فساق ، ما ذكركم أي ! فأخذوا يقولون : إنه ليغضب لأمنه ، وهو أميها عاجلاً . فقال له أصحابه : ويحك ! إنما يمشون النار ، فقطعن فقال : يا أعداء الله ، ما أعفكم بأمكم حين تتفون منها ! إنما تلك أمكم ، وإليها مصيركم . ثم لأن الخروج أقامت عليهم شهراً حتى هلك كراعهم ، وفقدت أطمعهم ، واشتد عليهم الحصار ، وأصلبهم الجهد الشديد ، فدعاهم عتاب بن وراق فحسد الله وأثى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فإنه قد أصابكم من الجهد ما قد ترون ، فوالله إن بقي إلا أن يموت أحدكم على فراشه فيجىء أخوه فيدفنه إن استطاع ، وإلحري أن يصف من ذلك ، ثم يموت هو فلا يجد من يدفنه ، ولا يصلئ عليه ، فاتقوا الله ، فوالله ما أتم بالليل الذين تهون شوكتهم على عدوهم ، وإن فيكم لمرسان أهل المصير ، وإنكم لصالحاء . من أنتم منه ! اخرجوا بنا إلى هؤلاء القوم وبكم حياة وقوة قبل ألا يستطيع رجل منكم أن يمشى إلى عدوه من الجهد ، وقيل ألا يستطيع رجل أن يمنع من امرأة لو جاءته ، فقاتل رجل من نفسه وصبر وصدق ، فوالله إنى لأرجو إن صدقتموه أن يظفركم الله بهم ، وأن يظهركم عليهم . فناداه الناس من كل جانب : وقفت وأصبت ، اخرج بنا إليهم ، فجمع إليه الناس من الليل ، فأمر لهم بعشاء كثير ، فسقى الناس عتله ، ثم إنه خرج بهم حين أصبح على راياتهم ، فصبهم في عسكرهم ^(٣) وهم آمنون من أن يؤتوا في عسكرهم ، فشددوا عليهم في جانيه ، فصار يوم فأخذوا عن وجه العسكر حتى انتهوا إلى الزبير بن الماحوز ، فنزل في عصابة من أصحابه فقاتل حتى قتل ، وانحازت الأزارقة إلى قطري ، فبايعوه ،

٧٦١/٢

(١) ف : « ويقولون » . (٢) ف : « الحراري » .

(٣) ف : « يوم في عسكرهم » .

وجاء عتّاب حتى دخل مدينته ، وقد أصاب من عسكرهم ماشاء ، وجاء قطري في أثره كأنه يريد أن يقتله ، فجاء حتى نزل في عسكر الزبير بن المأثور ، فترجم الخوارج أن عينا قطري جله فقال : سمعت عتّابا يقول : إن هؤلاء القوم إذا ركبوا بينات شحجج ، وقدوا بتلات صهال ، ففعلوا اليوم أرضا وهذا أنجي ، غيل الحري أن يقولوا ، علمنا بلغ ذلك قطرينا فخرج فذهب وتخلّاهم ..

قال أبو مخنف : قال أبو زهير العيصي وكان معهم : خرجنا إلى قطري من الغد مثلة مصالحي بالسيف ، قال : فارتحلوا والله فلكان آخر العهد بهم . قال : ثم ذهب قطري حتى أتى ناحية كركمان فلقم بها حتى اجتمعت إليه جموع كثيرة ، وأكل الأرض واجبي اللال ، وقوى ، ثم أقبل حتى أخذ في أرض أصهان . ثم لأنه خرج من شعب فالتفت إلى اليتامى ، فلقم بأرض الأموار والحلث بن أبي ربيعة عمل المصعب بن الزبير على البصرة ، فكتب إلى مصعب يخبره أن الخوارج قد تحدّثت إلى الأموار ، وأنه ليس لهم إلا الهلب ، فبعث إلى الهلب وهو على الموميل والحريّة . فأمره بقتال الخوارج والسير إليهم ، وبعث إلى عمه إبراهيم بن الأشتر ، وجاء الهلب حتى قدم البصرة ، وانتخب الناس ، وصار بمن أحب ، ثم توجه نحو الخوارج ، وأقبلوا إليه حتى التقوا بسولات ، فاقبلوا بها ثمانية أشهر أشد قتال رآه الناس ، لا يتفع بعضهم لبعض من الطعن والضرب ما يفضد بعضهم عن بعض .

• • •

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة كان التخطّ الشديد بالشام حتى لم يقدروا من شدته على الخروج .

وفيها عسكر عبد الملك بن مروان ببطنان حبيب من أرض قنسرين ، فمطروا بها ، فكشّر الرجل فسموها ببطنان الطين ، وشتا بها عبد الملك ، ثم أنصرف منها إلى دمشق . وفيها قتل عبيد الله بن الحر .

[ذكر الخبر عن مقتل عبد الله بن الحر]

• ذكر الخبر عن مقتله والسبب الذي جرّ ذلك عليه :

رَوَى أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَاهِدٍ ، أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَرِّ كَانَ رَجُلًا مِنْ خِيَارِ قَوْمِهِ صَلَاحًا وَفَضْلًا ، وَصَلَاةً وَاجْتِهَادًا ، فَلَمَّا قُتِلَ عُمَانُ وَهَاجَ الْهَيْجُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ ، قَالَ : أَمَا إِنْ اللَّهَ لَيَعْلَمُ أَنِّي أَحَبُّ عُمَانٍ ، وَلَأَنْصُرُنَّهُ مَيِّتًا . فَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ ، فَكَانَ مَعَ مَعَاوِيَةَ ، وَخَرَجَ مَالِكُ بْنُ مُسَمِّعٍ إِلَى مَعَاوِيَةَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ الرَّأْيِ فِي الْعُمَانِيَّةِ ، فَأَقَامَ عُبَيْدُ اللَّهِ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ ، وَشَهِدَ مَعَهُ صَفَتَيْنِ ، وَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامِ ، فَلَمَّا قُتِلَ عَلَى قَدِيمِ الْكُوفَةِ فَأَتَى إِخْوَانَهُ وَمَنْ قَدْ خَفَ فِي الْفِتْنَةِ ، فَقَالَ لَهُمْ : يَا هَؤُلَاءِ ، مَا أَرَى أَحَدًا يَنْفَعُهُ اعْتِرَاضُهُ ، كُنَّا بِالشَّامِ ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِ مَعَاوِيَةَ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : وَكَانَ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، فَقَالَ : يَا هَؤُلَاءِ ، إِنْ تُمْكِنَتِ الْأَشْيَاءُ فَاطْعَمُوا عِلْمَكُمْ ، وَامْلِكُوا^(١) أَمْرَكُمْ ، قَالُوا : سَنَلْتَقِي ، فَكَانُوا يَلْتَقُونَ عَلَى ذَلِكَ .

٧٦٦/٢

فَلَمَّا مَاتَ مَعَاوِيَةَ هَاجَ ذَلِكَ الْهَيْجُ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : مَا أَرَى قَرِيبًا تَنْصِفُ ، أَيْنَ أَبْنَاءُ الْحَرَّائِرِ أَفَاتَاهُ خَلِيعُ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، فَكَانَ مَعَهُ سَبْعُمِائَةِ فَارِسٍ ، فَقَالُوا : مَرُّنَا بِأَمْرِكَ ، فَلَمَّا هَرَبَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ وَمَاتَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَرِّ لِفَتَيَانِهِ : قَدْ بَيَّنَّ الصَّبْحُ لِي دِي عَيْنَيْنِ ، فَإِذَا شِئْنَا ! فَخَرَجَ إِلَى الْمَدَائِنِ فَلَمْ يَدْعُ مَالًا قَدِيمًا مِنَ الْجَبِيلِ لِلْإِسْطَاطَانِ إِلَّا أَخَذَهُ ، فَأَخَذَ مِنْهُ عَطَاءً وَأَعْطَاهُ أَصْحَابِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ لَكُمْ شُرَكَاءُ بِالْكُوفَةِ فِي هَذَا الْمَالِ قَدْ اسْتَوْجَبْتُمْ ، وَلَكِنْ تَعَجَّلُوا عَطَاءَ قَابِلٍ سَلَفًا ، ثُمَّ كَتَبَ لِمُصَاحِبِ الْمَالِ بَرَاءَةً بِمَا قَبِضَ مِنَ الْمَالِ ، ثُمَّ جَعَلَ يَتَقَصَّى الْكُتُورَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ . قَالَ : قُلْتُ : فَهَلْ كَانَ يَتَنَاوَلُ أَمْوَالَ النَّاسِ وَالتَّجَارَ ؟ قَالَ لِي : إِنَّكَ لَغَيْرُ عَالِمٍ بِأَبَى الْأَشْرَسِ^(٢) ، وَاللَّهِ مَا كَانَ فِي الْأَرْضِ

عَرَبِيٌّ أَغْيَرَ عَنْ حُرَّةٍ وَلَا أَكْفٌ عَنْ قَبِيحٍ وَعَنْ شَرَابٍ مِنْهُ ، وَلَكِنْ
 إِنَّمَا وَضَعَهُ عِنْدَ النَّاسِ شِعْرُهُ ، وَهُوَ مِنْ أَشْعَرِ الْقَتِيَانِ ^(١) . فَلَمْ يَتْرَكْ عَلَى ذَلِكَ
 مِنَ الْأَمْرِ حَتَّى ظَهَرَ الْمُخْتَارُ ، وَبِكَفِّهِ ^(٢) مَا يَصْنَعُ بِالسَّوَادِ ، فَأَمَرَ ^(٣)
 بِأَمْرَاتِهِ أُمَّ سَلَكَمَةَ الْجُعْفِيَّةَ فَحُبِّسَتْ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَقْتُلَنَّهْ أَوْ لَا أَقْتُلَنَّ
 أَصْحَابَهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ حَبِيدُ اللَّهِ بْنِ الْحَرِّ أَقْبَلَ فِي فِتْيَانِهِ حَتَّى دَخَلَ
 الْكَوْفَةَ لَيْلًا ، فَكَتَسَرَ بَابَ السِّجْنِ ، وَأَخْرَجَ أَمْرَاتَهُ وَكُلَّ امْرَأَةٍ وَرَجُلٍ
 كَانَ فِيهِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمُخْتَارَ مَنْ يَقَاتِلُهُ ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمَيْسَرِ ،
 فَقَالَ حِينَ أَخْرَجَ أَمْرَاتَهُ مِنَ السِّجْنِ :

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أُمُّ تَوْبَةَ أَنَّنِي أَنَا الْقَارِئُ الْحَايِ حَقَائِقَ مُلْجِحٍ
 وَأَنْنِي صَبَحْتُ السَّجْنَ فِي سُورَةِ الْفُضَى بِكُلِّ فَتَى حَايِ اللَّعَامِ مُلْجِحٍ
 فَمَا لَنْ بَرَحَنَّ السِّجْنَ حَتَّى يَبْدَأَ لَنَا جَبِينَ كَفَرَنِ الشَّمْسِ غَيْرُ مُشْجِحٍ
 وَخَدُّ أَسِيلٍ عَنْ فَتَاةٍ نَحِيَّةٍ إِلَيْنَا سَقَاهَا كُلِّ دَانٍ مُشْجِحٍ
 فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ أَزُورَكَ آمِنًا كَمَا دَتَنَا مِنْ قَبْلِ حَرْبِي وَمُخْرَجِي
 وَمَا أَنْتِ إِلَّا هَمَّةُ النَّفْسِ وَالْهَوَى عَلَيَّكَ السَّلَامُ مِنْ خَلِيطِ مُسَحِّجٍ
 وَمَا زِلْتُ مَعْجُوسًا لِحَبْسِكَ وَاجِمًا وَإِنِّي بِمَا تَلْقَيْنِ مِنْ بَغْلِيهِ شَجِحٍ
 فَبِاللَّهِ هَلْ أَبْصَرْتُ مِثْلِي فَارِسًا وَقَدْ وَلَجُوا فِي السِّجْنِ مِنْ كُلِّ مَوْلِجٍ
 وَمِثْلِي يُحَايِ دُونَ مِثْلِكَ إِنَّنِي أَشَدُّ إِذَا مَا غَمَرَهُ لَمْ تَفْرَجِ
 أَنْصَارِيهِمْ بِالسَّيْفِ عَنْكَ لِتَرْجِي إِلَى الْأَمْنِ وَالْعَيْشِ الرَّفِيعِ الْمُخْرَجِ
 إِذَا مَا أَحَاطُوا بِِي كَرَرْتُ عَلَيْهِمْ كَكَرَّ أَبِي ثُبُلَيْنِ فِي الْخَيْسِ مُخْرَجِ
 دَعَوْتُ إِلَى الشَّاكِرِيِّ ابْنَ كَامِلٍ فَوَلَّى حَيْثَا رَكَضُهُ لَمْ يُرْجِ
 وَإِنْ هَتَفُوا بِاسْمِي عَطَفْتُ عَلَيْهِمْ خِيُولَ كِرَامِ الضَّرْبِ أَكْثَرَهَا الْوَجِي
 فَلَا غَرَوْ لِيَ قَوْلَ سَلَمَى ظَعِينَتِي : أَمَا أَنْتِ يَا بِنَ الْحَرِّ بِالْمُنْحَرَجِ !

٧٦٨/٢

(١) ف : « القليل » . (٢) ف : « فبلغ المختار » . (٣) س : « أمر » .

دَعِ الْقَوْمَ لَا تَقْتُلُهُمْ وَانْجُ سَالماً وَشَرَّ هَذَاكَ اللَّهُ بِالْخَيْلِ فَانْجُرْ
وإني لأرجو يابنة الخير أن أرى على خير أحوال المومل فارتجى
ألا حبداً قولي لأحمر طييع ولابن خبيب قد دنا الصبح فادلج

٧٦٩/٢

وقول لهذا مير وقولي لذا ارتحل وقول لذا من بعد ذلك أسرج
وجعل يعث بعمال المختار وأصحابه ، ووثبت همدان مع المختار
فأحرقوا داره ، وانتهبوا ضيعته بالجبة والبداة ، فلما بلغه ذلك سار إلى ماله إلى
ضباع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، فأنهبها وأنهب ما كان لهمدان
بها ، ثم أقبل إلى السواد فلم يدع مالا لهمدان إلا أخذته ، ففى ذلك
يقول :

وما ترك الكذاب من جل مالنا ولا الزرق من همدان غير شريد
أق الحق أن تنهب ضياعي شاكراً وتأمين عندي ضيعة ابن سعيد !
ألم تعلمي يا أم توبة أنني على حلتان الدهر غير بليد
أشد حيازيمي لكل كريهة وإني على ما ناب جد جليد
فلن لم أصبح شاكراً بكتيبة فعالجت بالكئين غل حديد
هم هدموا دارى وقادوا حليتي إلى سجنهم والمسلمون مشهودى
وهم أصعلوها أن تشد خمارها فيأعجباً هل الزمان مقيدى !

٧٧٠/٢

فما أنا بابن الحر إن لم أرعهم بخيل تعادى بالكماة أسود
وما جبت خيلي ولكن حملتها على جحفلي ذى عدة وعليدي
وهي طويلة . قال : وكان يأتي المملات فيمر بعمال جوحى فيأخذ
ما معهم من الأموال ، ثم يميل إلى الجبل ، فلم يزل على ذلك حتى قتل
المختار ، فلما قتل المختار قال الناس لمصعب فى ولايته الثانية : إن ابن الحر شاق
ابن زياد والمختار ، ولا تأمسه أن يثب بالسواد كما كان يفعل ، فحبسه مصعب
فقال ابن الحر :

من مُبْلَغُ الْفِتْيَانِ أَنَّ أَحْسَامَهُمْ أَتَى دُونَهُ بَابٌ شَلِيدٌ وَحَاجِبَةٌ
 بِمَنْزِلَةٍ مَا كَانَ يَرْضَى بِمِثْلِهَا إِذَا قَامَ عَنْتَهُ كَبُولٌ تَجَاوِبَةٌ
 عَلَى السَّاقِ فَوْقَ الْكَعْبِ أَسْوَدُ صَامَتْ شَلِيدٌ يُدَانِي خَطْوَهُ وَيُقَارِبُهُ
 وَمَا كَانَ ذَا مِنْ عَظَمِ جُرْمٍ جَنِيَتْهُ وَلَكِنْ سَعَى السَّاعَى بِمَا هُوَ كَاذِبَةٌ
 وَقَدْ كَانَ فِي الْأَرْضِ الْعَرِيشَةِ مَسْلُكٌ وَأَيُّ امْرِئٍ ضَاقَتْ عَلَيْهِ مَذَاهِبُهُ ١
 وَفِي الدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ لِلْمَرْءِ عِبْرَةٌ وَفِيَا مَضَى إِنْ نَابَ يَوْمًا نَوَابِئُهُ
 فَكَلَّمُ عُبَيْدُ اللَّهِ قَوْمًا مِنْ مَكْدَحٍ أَنْ يَأْتُوا مُصْعَبًا فِي أَمْرِهِ ، وَأُرْسِلَ إِلَى
 وَجُوهِهِمْ ، فَقَالَ : اتَّبَعُوا مُصْعَبًا فَكَلَّمُوهُ فِي أَمْرِي ذَاتِهِ ، فَإِنَّهُ حَسْبِي عَلَى
 غَيْرِ جُرْمٍ ، سَعَى بِي قَوْمٌ كَذِبَةٌ وَخَوْفُهُ مَا لَمْ أَكُنْ لِأَفْعَلِهِ ، وَهَذَا لَمْ يَكُنْ
 مِنْ شَأْنِي . وَأُرْسِلَ إِلَى فِتْيَانٍ مِنْ مَكْدَحٍ وَقَالَ : الْبَسُوا السَّلَاحَ ، وَخُذُوا
 عِدَّةَ الْقِتَالِ ، فَقَدْ أُرْسِلْتُ قَوْمًا إِلَى مُصْعَبٍ يَكَلِّمُونَهُ فِي أَمْرِي ، فَأَقْبِمُوا بِالْبَابِ ،
 فَإِنْ خَرَجَ الْقَوْمُ فَقَدْ شَفَعْتَهُمْ فَلَا تَعْرِضُوا لِأَحَدٍ ، وَلَيْسَ كُنْ سَلَاحُكُمْ مَكْتَرًا
 بِالثِّيَابِ ، فَمَجَاءَ قَوْمٌ (١) مِنْ مَكْدَحٍ فَخَطُّوا عَلَى مُصْعَبٍ فَكَلَّمُوهُ ، فَشَفَعْتَهُمْ ،
 فَأُطْلِقَتْهُمْ . وَكَانَ ابْنُ الْحَرِّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنْ خَرَجُوا وَلَمْ يَشْفَعْهُمْ فَكَابِرُوا
 السِّجْنَ فَإِنِّي أَهْبَيْتُكُمْ مِنْ دَاخِلٍ ، فَلَمَّا خَرَجَ ابْنُ الْحَرِّ قَالَ لَهُمْ : أَظْهَرُوا
 السَّلَاحَ ، فَأُظْهِرُوهُ ، وَمَضَى لَمْ يَعْزِضْ لَهُ أَحَدٌ ، فَأَتَى مَنْزِلَهُ ، وَنَدِمَ مُصْعَبُ
 عَلَى إِخْرَاجِهِ ، فَأُظْهِرَ ابْنُ الْحَرِّ الْخِلَافَ ، وَأَقَامَهُ النَّاسُ يَهْتَنُونَهُ ، فَقَالَ :
 هَذَا الْأَمْرُ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِمِثْلِ خُلَفَائِكُمُ الْمَاضِينَ ، وَمَا نَسَرَى لَهُمْ فِينَا نَدَاً
 وَلَا شَبِيهًا فَلَقْنِي إِلَيْهِ أَرْمَتْنَا ، وَنَحْنُ نَصِيحَتُنَا ، فَإِنْ كَانَ إِنَّمَا هُوَ مَنْ
 عَزَّ بَزًّا ، فَعَلَامَ : نَعْقِدُ لَهُمْ فِي أَعْنَاقِنَا بَسِيعَةً ، وَلَيْسُوا بِأَشْجَعٍ مِنَّا لِقَاءً ،
 وَلَا أَعْظَمَ مِنَّا غَنَاءً (٢) ١ وَقَدْ عَهَدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 إِلَّا طَاعَةَ مَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ ، وَمَا رَأَيْنَا بَعْدَ الْأَرْبَعَةِ الْمَاضِينَ إِمَامًا
 صَالِحًا ، وَلَا وَزِيرًا تَقِيًّا ، كُلُّهُمْ عَاصِرٌ غَالِفٌ ، قَوِيٌّ الدُّنْيَا ، ضَعِيفٌ

٧٧١/٢

٧٧٢/٢

(١) ف : و فجاوا .

(٢) كلما في ١ ، وفي ط و غني .

الآخرة ، فعلام تُستَحَلَّ حرمتنا ، ونحن أصحاب النُخيلة والقادسية وحكولاء
وفيهما وند ! نلتقي الأُسنة بنُحورنا والسيوف بِعجاها ، ثم لا يعرف لناحقنا
وقضنا ، فقاتلوا عن حريمكم ، فأى الأمر ما كان فلَكُمْ فيه الفضل ، وإنى قد
قلت ظهر المِجَنِّ ، وأظهرتْ لهم العداوة ، ولا قُوَّةَ إلَّا بالله . وحاربهم فأغار
فأرسل إليه مصعبُ سيف بن هاني المُرادي ، فقال له : إن مصعباً يُعطيك
خراج بادوريا على أن تُبايع وتدخل في طاعته ، قال : أوكيس لي خراج
بادوريا وغيرها ! لست قابلاً شيئاً ، ولا آمنُهم على شيء ، ولكني أراك
يا فتي — وسيفٌ يومئذ حدثٌ — حَكَدْتُ ، فهل لك أن تتبَعني وأمواك !
فأبى عليه ، فقال ابنُ الحرِّ حين خرج من الحبس :

لا كُفَّةَ أُمِّي ولا بَصْرَةَ أَبِي ولا أَنَا يَتْنِينِي عن الرحلة الكَسَلِ
— قال أبو الحسن : يروى هذا البيتُ لسُحَيْمِ بْنِ وَثِيلِ الرِّيَّاحِي —

فلا تحسبنِي ابنُ الزُّبَيْرِ كَنَاعِيس إذا حَلَّ أَغْفَى أو يقال لَهُ أَرْتَحِلْ
فلأن لم أَرُزْكَ الخَيْلَ تَرْدِي عَوَاسِأ بفُرْسَانِهَا لا أَدْعُ بِالْحَازِمِ البَطْلُ
وإن لم تَرِ الغاراتِ مِنْ كُلِّ جانبٍ عليك فَتَنَدُمْ عاجلاً أَيُّهَا الرَّجُلُ
فلا وضعتُ عندِي حصانٌ قَنَاعِهَا ولا عِشْتُ إلَّا بالأَمَانِ والعِلَلِ

٧٧٢/٢

وهي طويلة .

فبعث إليه مُصْعَبُ الأبردَ بنُ قرة الرياحي في نفر ، فقاتله فهزَمَهُ
ابنُ الحرِّ ، وضربَه ضربةً على وجهه ، فبعث إليه مصعبُ حُرَيْثَ
ابنِ زَيْدٍ — أو يزيد — فبارَزَهُ ، فقتله عبيدُ الله بنُ الحرِّ ، فبعث إليه
مصعبُ الحِجَّاجِ بنِ جارية^(١) الخثعمي ومُسلِمُ بنِ عمرو ، فلقياه بنهر
صرصر ، فقاتلهم فهزَمَهم ، فأرسل إليه مصعبُ قوماً يدعونه إلى أن يؤمنه
ويصله ، ويوليته أى بلد شاء ، فلكم يقبل ، وأتى نَرَمِي ففرَّ دَهَقَانُهَا
ظليزجشنَس بِمالِ الفلْكِوَجَةِ ، فتبعه ابنُ الحرِّ حتى مرَّ بعَيْنِ التَّمَرِ وعليها
يسطام بنُ مَصْقَلَةَ بنِ هُبَيْرَةَ الشَّيبَانِي ، فتعوذُ بهم الدَّهْقَانُ ، فخرجوا إليه
فقاتلوه — وكانت خيلُ يسطام خَمْسِينَ ومائة فارس — فقال يونس بن

(١) ط : « حارثة » وانظر الفهرس .

هاتلن الهَمْدَانِيَّ من خَبِثَانٍ، ودعاه ابنُ الحرِّ إلى المَبَارَزةِ : شرُّ دهرٍ
 آخره، ما كنتُ أَحْسَبُني أَعِيشَ حَتَّى يَدْعُوَنِي إنسانٌ إلى المَبَارَزةِ ! فبَارَزَهُ
 فَضَرَبَهُ ابنُ الحرِّ ضَرْبَةً أَثْنَخَتْهُ ، ثُمَّ اعْتَقَتْهُ فَخَرَّ جَمِيعاً عن فَوْسِمَهِمَا ،
 وَأَخَذَ ابنُ الحرِّ عِمَامَةَ يُونُسَ وَكَتَفَهُ بِهَا ثُمَّ رَكِبَ ، ووَافَاهُمُ الحِجَّاجُ بنَ حَوَاتِةِ
 الخَثَمِثِيِّ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ الحِجَّاجُ فَاسْرَهُ أَيْضاً عُبَيْدُ اللَّهِ ^(١) ، وَبَارَزَ
 بِسِطَامَ بنَ مِصْقَلَةَ المِجَشَّرَ ، فَاضْطَرَبَا حَتَّى كَرِهَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ،
 وَعَلَاهُ بِسِطَامُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ابنُ الحرِّ حَمَلَ عَلَى بِسِطَامَ وَاعْتَقَهُ بِسِطَامُ ،
 فَسَقَطَا إِلَى الْأَرْضِ ، وَسَقَطَ ابنُ الحرِّ عَلَى صَدْرِ بِسِطَامَ فَاسْرَهُ ، وَأَسْرَ يَوْمَئِذٍ
 نَاساً كَثِيراً ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ : أَنَا صَاحِبُكَ يَوْمَ كُنَّا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ : أَنَا
 نَازِلُ فَيْكُم ، وَيَسْتَكِلُّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا بِمَا يَرَى أَنَّهُ يَنْفَعُهُ ، فَيُخَلِّي سَبِيلَهُ ،
 وَبَعَثَ فُؤَادِسَ من أَصْحَابِهِ عَلَيْهِمُ دَلْهَمَ المُرَادِيِّ يَطْلُبُونَ الدَّهْمَانَ ،
 فَأَصَابُوهُ ، فَأَخَذُوا الْمَالَ قَبْلَ الْقِتَالِ ، فَقَالَ ابنُ الحرِّ :

لَوْ أَنَّ لِي وَثْلَ جَرِيرِ أَرْيَمَةَ صَبَحْتُ بَيْتَ الْمَالِ حَتَّى أَجْمَعَهُ
 وَلَمْ يُهْلِكْ مُصْعَبٌ مِنْ مَعَهُ نَعَمْ الْفَتَى ذَلِكُمْ ابْنُ مَشْجَعَةٍ

ثُمَّ إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ أَتَى تَسْكَرِيَتَ ، فَهَرَبَ عَامِلُ الْمُهَلَّبِ عَنْ تَسْكَرِيَتَ ،
 فَأَقَامَ عُبَيْدُ اللَّهِ يَجْجِي الْحَرَّاجَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ مُصْعَبُ الْأَيْرِدِ بنَ قُرَّةِ الرِّيَاحِيِّ
 وَالْجَوْنِ بنَ كَعْبِ الهَمْدَانِيِّ فِي أَلْفَ ، وَأَمَدَهُمَا الْمُهَلَّبُ بِيَزِيدَ بنِ
 الْمُغْتَلِّ فِي خَمْسِمِائَةٍ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ يَجْعَتِي لِعُبَيْدِ اللَّهِ : قَدْ أَتَاكَ عَدَدٌ كَثِيرٌ ،
 فَلَا تَقَاتِلْهُمْ ، فَقَالَ :

يَعْرِفُونِي بِالْقَتْلِ قَوِيٍّ وَإِنَّمَا أَمُوتُ إِذَا جَاءَ الْكِتَابُ الْمُؤْجَلُ
 لَعَلَّ الْقَنَا تُدْثِي بِأَطْرَافِهَا الْغَنَى فَنَحْيَا كِرَاماً أَوْ نَكُرُّ فَنَقْتُلُ

فَقَالَ لِلْمِجَشَّرِ وَدَفَعَ إِلَيْهِ رَايَتَهُ ، وَقَدَّمَ مَعَهُ دَلْهَمَ المُرَادِيِّ ، فَقَاتَلَهُمْ
 يَوْمَئِذٍ وَهُوَ ثَلَاثُمِائَةٍ ، فَخَرَجَ جَرِيرُ بنُ كَرِيبَ ، وَقُتِلَ عَسَرُو بنُ
 جُنْدَبِ الْأَزْدِيِّ وَفُرسَانُ كَثِيرٌ مِنْ فُرسَانِهِ ، وَتَحَاجَزُوا عِنْدَ الْمَاءِ ،

وخرج عبيدُ الله من تكريتَ فقال لأصحابه: إني سائرُ بكم إلى عبد الملك ابن مروان ، فتهيئُوا ، وقال : إني أخافُ (١) أن أفارقَ الحياةَ ولم أذعُرْ مُصعبًا وأصحابه ، فارجعوا بنا إلى الكوفة . قال : فسار إلى كسكرَ فنتَقى عاملها ، وأخذ بيت ما لهما ، ثم أتى الكوفةَ فنزل لحام جرير ، فبعث إليه مُصعبُ عمر بن عبيد الله بن معمر ، فقَاتَلَهُ ، فخرج إلى دبر الأعور ، فبعث إليه مُصعبُ حجار بن أيجر ، فانهزم حجار ، فقتلته مُصعبُ وردة ، وضمَّ إليه الجون بن كعب الهمداني وعمر بن عبيد الله بن معمر ، فقاتلوه بأجمعهم ، وكثرت الجراحات في أصحاب ابن الحرِّ وعُقِرَتْ خِيولهم ، وجرح المَجْشَر ، وكان معه لواءُ ابن الحرِّ ، فدفعه إلى أحمر طيبي ، فانهزم حجار بن أيجر ثم كرَّ ، فاقتتلوا قتالًا شديدًا حتى أمسوا ، فقال ابن الحرِّ :

لو أنَّ لي مثلَ الفتي المُجْشَرِ ثلاثةَ بَيَّتُهُم لَا أَمْرِي
ساعتى لَيْلَةَ دَبْرِ الْأَعْوَرِ بالطن والضربِ وعندَ المَعْبَرِ
لَطَاحَ فِيهَا عُمَرُ بْنُ مَعْمَرِ •

وخرج ابنُ الحرِّ من الكوفة ، فكتب مُصعبُ إلى يزيد بن الحارث بن رُويم الشيباني - وهو بالمَدائن - يأمره بقتال ابن الحرِّ ، فقدم ابنه حَوْشِبًا فلقِيَهُ بباجِشَرى ، فهزَمَهُ عبيدُ الله وقتلَ فيهم ، وأقبل ابنُ الحرِّ فدخل المَدائن ، فتحصنوا ، فخرج عبيدُ الله فوجهَ إليه الجون بن كعب الهمداني وبشر بن عبد الله الأُمَلي ، فنزل الجون حَوْلَايَا ، وقسمَ يشر إلى تَامِرًا فلقِيَا ابنَ الحرِّ ، فقتله ابنُ الحرِّ ، وهزم أصحابه ، ثم لقي الجون بن كعب بِحَوْلَايَا ، فخرج إليه عبدُ الرحمن بن عبد الله ، فحمل عليه ابنُ الحرِّ فطعنَه فقتله وهزم أصحابه ، وتبعهم ، فخرج إليه بشير بن عبد الرحمن بن بشير المَجْلِي ، فالتقوا بسورًا فاقتتلوا قتالًا شديدًا ، فانحاز بشير عنه ، فرجع إلى عمله ، وقال : قد هزمتُ ابنَ الحرِّ ،

٧٧٦/٧

فبلغ قوله مُصْعَبًا ، فقال : هذا من الذين يُحِبُّون أن يُحَمَّدُوا بما لم يفعلوا . وأقام عبيد الله في السَّوَادَ^(١) يُغَيِّرُ وَيُجَبِّئُ الخراج ، فقال ابنُ الحرِّ في ذلك :

سَلُّوا ابْنَ رُوَيْمٍ عَنْ جِلَادِي وَمَوْقِي بِلِيَوَانٍ كَسَرَى لَا أُولِيهِمْ ظَهْرِي
أَكْرُ عَلَيْهِمْ مُغْلِيًا وَتَرَاهُمْ كِمِغْزَى تَحْنَى خَشْيَةِ الذَّنْبِ بِالصَّخْرِ
وَبَيْتُهُمْ فِي حِصْنِ كِسْرَى بْنِ هُرْمَزٍ بِمِشْحُوذَةٍ بَيْضٍ وَخَطِيئَةٍ سُمُرٍ
فَأَجْزَيْتُهُمْ طَعْمًا وَضَرْبًا تَرَاهُمْ يَلُودُونَ مِنَّا مَوْهِنًا بِلُرَا الْقَصْرِ^(٢)
يَلُودُونَ مِنِّي رَهْبَةً وَمَخَافَةً لَوَإِذَا كَمَا لَإِذَا الْحَمَائِمُ مِنْ صَفَرٍ

٧٧٧/٢

ثم إنَّ عبيد الله بن الحرِّ - فيما ذكر - لحق بعبد الملك بن مروان ، فلمَّا صار إليه وجهه في عشرة نفر نحو الكوفة ، وأمره بالمسير نحوها حتَّى تلتحقه الجندُ ، فسار بهم ، فلمَّا بلغ الأنبار وجهه إلى الكوفة من يُخْبِر أصحابه بقدومه ، وسألهم أن يخرجوا إليه ، فبلغ ذلك القيسية ، فأتوا الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة عامل ابن الزبير على الكوفة ، فسألوه أن يبعث معهم جيشًا ، فوجه معهم ، فلمَّا لقوا عبيد الله قاتلهم ساعة ، ثم غرقت فرسه ، وركب معبرًا فوثب عليه رجلٌ من الأنباط فأخذ بعصده وضربه بالاقون بالمرادى ، وصاحوا : إنَّ هذا طلبة أمير المؤمنين ، فاعتنقنا ففرقا ، ثم استخرجوه فجزوا رأسه ، فبعضوا به إلى الكوفة ثم إلى البصرة .

قال أبو جعفر : وقد قيل في مقتله غير ذلك من القول ؛ قيل : كان سببُ مقتل عبيد الله بن الحرِّ أنَّه كان يغتنى بالكوفة مُصْعَبًا ، فراه يُقدِّم عليه أهل البصرة ، فكتب إلى عبد الله بن الزبير - فيما ذكر - قصيدة يعاتب بها مُصْعَبًا ويخوفه مسيره إلى عبد الملك بن مروان ، يقول فيها :

(١) ف : « بالسَّوَادِ » .

(٢) ف : « يَلُودُونَ مِنَّا يَوْثًا » .

أُبْلِغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً
أَنَّى الْحَقُّ أَنَّ أَجَنَى وَيَجْعَلُ مُصْعَبٌ
فَكَيْفَ وَقَدْ أَبْلَيْتُكُمْ حَقَّ بَيْنِي
وَأَبْلَيْتُكُمْ مَالاً يُضَيِّعُ مِثْلُهُ
فَلَمَّا اسْتَنَارَ الْمَلِكُ وَانْقَادَتِ الْعِدَا
جَفَا مُصْعَبٌ عَنِّي وَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ
لَقَدْ رَأَيْتَنِي مِنْ مُصْعَبٍ أَنَّ مُصْعَبًا
وَمَا أَنَا إِلَّا حَلَّائِمُونِي بِوَارِدٍ
وَمَا لِأَمْرِي إِلَّا الَّذِي اللَّهُ سَائِقُ
إِذَا قُمْتُ عِنْدَ الْبَابِ أَذْخِلَ مُسْلِمٌ

وهي طويلة .

وقال لمُصْعَبٍ وهو في حَبْسِهِ ، وَكَانَ قَدْ حُبِسَ مَعَهُ عَطِيَّةٌ بِنُ عَمْرُو
الْبَكْرِيِّ ، فَخَرَجَ عَطِيَّةٌ ، فَقَالَ عُيَيْدُ اللَّهِ :

أَقُولُ لَهُ صَبْرًا عَطِيَّةٌ فَإِنَّمَا
أَرَى الدَّهْرَ لِي يَوْمِينَ يَوْمًا مَطَرَدًا
أَتَقَطُّنُ فِي دِينِي غَدَاةً أَتَيْتُكُمْ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَلِكَ قَدْ شَيْنَ وَجْهَهُ
هُوَ السَّجَنُ حَتَّى يَجْمَلَ اللَّهُ مَخْرَجًا
شَرِيدًا وَيَوْمًا فِي الْمُلُوكِ مُتَوَجًّا
وَاللَّذِينَ تُذْنِي الْبَاهِلُ وَحَشَرَجًا !
وَبَيْعُ بِلَادِ اللَّهِ قَدْ صَارَ عَوَسَجًا !

وهي طويلة .

وقال أَيْضًا يُعَاتِبُ مُصْعَبًا فِي ذَلِكَ ، وَيَذْكُرُ لَهُ تَقْرِيبَهُ سُؤْدِ
ابْنِ مَسْجُوفٍ ، وَكَانَ سُؤْدِ خَفِيفَ اللَّحْمَةِ :

بَيَّأَ بِلَاءَ أَمٍّ بِأَيَّةٍ نَعْمَةٍ تَقَدَّمَ قَبْلِي مُسْلِمٌ وَالْمُهْلَبُ

وَيُدْعَى ابْنُ مَنْجُوفٍ إِمَامِي كَأَنَّهُ
وَشَيْخٌ تَحِيَّ كَالثَّغَامَةِ رَأْسُهُ
جَعَلْتُ قُصُورَ الْأَزْدِ مَا بَيْنَ مَنِيحٍ
إِلَى الْغَافِ مِنْ وَادِي عُمَانَ تَصُوبُ
بِلَادُ نَقَى عَنْهَا الْعَدُوُّ سَيْوفُنَا
وَصُفْرَةُ عَنْهَا نَازِحُ الدَّارِ أَجْنَبُ
وَقَالَ قَصِيدَةً يَهْجُو فِيهَا قَيْسَ عَيْلَانَ ، يَقُولُ فِيهَا :

أَنَا ابْنُ بَنِي قَيْسٍ فَإِنْ كُنْتَ سَائِلًا
بِقَيْسٍ تَجِدُهُمْ ذُرْوَةً فِي الْقِبَابِلِ
أَلَمْ تَرَ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ بَرَقَتْ
لِحَاها وَبَاعَتْ نَبْلَهَا بِالْمَغَازِلِ !
وَمَا زِلْتُ أَرْجُو الْأَزْدَ حَتَّى رَأَيْتُهَا
تُقَصِّرُ عَنْ بُنْيَانِهَا الْمُتَطَاوِلِ
فَكُتِبَ زُفَرَيْنُ الْحَارِثِ إِلَى مُصْعَبٍ :
قَدْ كَفَيْتَكَ قِتَالَ ابْنِ الزَّرْقَاءِ
وَإِبْنِ الْحَرِّ يَهْجُو قَيْسًا . ثُمَّ لَنْ
نَقْرَأَ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ أَخْطَلُوا ابْنَ الْحَرِّ
فَأَسْرَوْهُ ، فَقَالَ : إِنْ لَمْ أَقْلُ :

أَلَمْ تَرَ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ أَقْبَلْتُ
إِلَيْنَا وَسَارَتْ بِالْقَنَا وَالْقَنَابِلِ
فَقَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَقَالُ لَهُ عَيْشَاشُ
فَقَالَ زُفَرَيْنُ الْحَارِثِ :

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ أَوْلَادَ عَلَّةٍ
وَأَغْرَقِي فِينَا نَزْعَةً كُلُّ قَاتِلٍ
تَكَلَّمَ عَنَّا مُشِينًا بِسُيُوفِنَا
إِلَى الْمَوْتِ وَاسْتِنَشَاطَ حَبْلَ الْعَرَائِلِ
فَلَوْ يَسْأَلُ ابْنُ الْحَرِّ أَخْبَرَ أَنَّهَا
يَمَانِيَّةٌ لَا تُشْتَرَى بِالْمَغَازِلِ
وَأَخْبَرَ أَنَا ذَاتُ عِلْمٍ مُبِيفُنَا
بِأَعْنَاقٍ مَا بَيْنَ الطَّلَى وَالْكُوَاهِلِ
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَمَّامٍ :

٧٨١ / ٧

تَرَنْمَتْ يَا بَنَ الْحَرِّ وَحَدَكَ خَالِيًا
بِقَوْلِ أَمْرِي نَشْوَانُ أَوْ قَوْلِ سَاقِطِ
أَنْدَكُرُ قَوْمًا أَوْجَعَتْكَ رِمَاحُهُمْ
وَذَبُّوا عَنِ الْأَحْسَابِ عِنْدَ الْمَاقِطِ
وَقَبِكِي لِمَا لَأَقَتَ رِبِيعَةٌ مِنْهُمْ
وَمَا أَنْتَ فِي أَحْسَابِ بَكْرِ بِوَاسِطِ !
فَهَلَّا بِجُمُعَتِي طَلَبْتَ دُحُولَهَا
وَرَهْطَكَ دُبًّا فِي السَّنَنِ الْقَوَارِطِ !
تَرَكْنَاهُمْ يَوْمَ الثَّرَى أَذَلَّةً
يَلْجُونَ مِنْ أَسْيَانِنَا بِالْعَرَافِطِ

وخالطكم يوم النخيل بجمعه عميرُ فما استبشرتُم بالمخالطِ
ويوم شراحيلِ جَدَعْنَا أنوفَكُم وليس علينا يومَ ذاكَ بقاسطِ
ضربنا بحدِّ السيفِ مفرقَ رأيه وكان حديثاً عهدُهُ بالمواشطِ
فإن رَغِمَتْ من ذاكَ أنفٌ ملحجٍ فرغماً وسخطاً للأَنُوفِ السَّوَاحِطِ

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذه السَّنةَ وافتَ عَرَقاتُ أربعةِ أُلويةَ ، قال
محمد بنُ عمر : حدثني شُرَحْبِيلُ بنُ أَبِي عَوْنٍ ، عن أبيه ، قال : وقتَ في
سنة ثمان وستين بَعَرَقاتُ أربعةِ أُلويةَ : ابنُ الحنفِيَّةِ في أصحابه في لواء
قام عند جبلِ المُشاةِ ، وابنُ الزَّيْبِرِ في لواءٍ ، فقام مقامَ الإمامِ اليومَ ، ثمَّ
تقدَّم ابنُ الحنفِيَّةِ بأصحابه حتَّى وقفوا حذاءَ ابنِ الزَّيْبِرِ ، ونجدةُ الحروريِّ
خلفَهما ، ولواءُ بني أميةَ عن يسارهما ، فكان أولُ لواءٍ انقَضَ لواءُ محمد
ابنِ الحنفِيَّةِ ، ثمَّ تبعه نَجْدَةُ ، ثمَّ لواءُ بني أميةَ ، ثمَّ لواءُ ابنِ الزَّيْبِرِ ،
واتَّبعه الناسُ .

٧٨٢/٢

قال محمد : حدثني ابنُ نافعٍ ، عن أبيه ، قال : كان ابنُ عمرَ لم
يدفع تلكَ العشيَّةَ إلَّا بدَفْعَةِ ابنِ الزَّيْبِرِ ، فلمَّا أبطل ابنُ الزَّيْبِرِ وقد مضى
ابنُ الحنفِيَّةِ ونَجْدَةُ وبنو أميةَ قال ابنُ عمر : ينتظر ابنُ الزَّيْبِرِ أمرَ الجاهليةِ —
ثمَّ دَفَعَ ، فدَفَعَ ابنُ الزَّيْبِرِ على أثرِهِ .

قال محمد : حدثني هشامُ بنُ عُمارةَ ، عن سعيدِ بنِ محمدَ بنِ
جُبَيْرٍ ، عن أبيه ، قال : خضتُ القننةَ ، فشيتُ إليهم جميعاً ، فجئتُ
محمدَ بنَ عليٍّ في الشَّعبِ ، فقلتُ : يا أبا القاسمِ ، اتَّقِ اللهَ فإنَّنا في مَشْعَرِ
حَرَامٍ ، وبلدِ حَرَامٍ ، والناسُ وفدُ الله إلى هذا البيتِ ، فلا تُفْسِدَ عليهم
حَجَّهم ؛ فقال : واللهِ ما أريدُ ذلكَ ، وما أحولُ بينَ أحدٍ وبينَ هذا
البيتِ ، ولا يُؤتَى أحدٌ من الحاجِّ من قبلي ، ولكني رجلٌ أدفعُ عن نفسي
من ابنِ الزَّيْبِرِ ؛ وما يرومُ منِّي ، وما أطلبُ هذا الأمرُ إلَّا ألاَّ يختلفَ
عليَّ فيه اثنانُ ! ولكن ائتِ ابنَ الزَّيْبِرِ فكلِّمهُ ، وعليكَ بنَجْدَةَ ، قال

محمد: فجثتُ ابنَ الزبير فكلَّمته بنحو ما كلَّمْتُ به ابنَ الحنفية ، فقال :
 أنا رجل قد اجتمع على الناسُ ويأمنوني ، وهؤلاءُ أهلُ خلاف ، قلت :
 أرى خيراً^(١) لك الكفَّ ؛ قال^(٢) : أفعل ، ثم جثتُ نَجْدةَ الحروري
 فأجدهُ في أصحابه ، وأجدُ عكرمةَ غلامِ ابنِ عباسٍ عنده ، قلتُ له :
 استأذن لي على صاحبك ؛ قال : فدخل ، فلم يَنْشَبْ أن أذن لي ، فلخطتُ
 فعظمتُ عليه ، وكلَّمته كما كلَّمْتُ الرجلين ، فقال : أمّا أن ابتلي أحدًا
 بقتال فلا ، ولكن من بدأ بقتال قاتلته ، قلتُ : فإني رأيتُ الرجلين
 لا يريدان قتالك ، ثم جثتُ شيعةَ بني أمية فكلَّمتهم بنحو ما كلَّمْتُ
 به القوم ، فقالوا : نحن على ألا نقاتلَ أحدًا إلا أن يقاتلنا ، فلم أرَ
 في تلك الألوية قوماً أسكن^(٣) ولا أسلمَ دفعةً من ابنِ الحنفية .

قال أبو جعفر : وكان العاملُ لابنِ الزبير في هذه السنة على المدينة جابرُ
 ابنُ الأسود بن عوف الزهري ، وعلى البصرة والكوفة أخوه مُصعب ، وعلى
 قضاء البصرة هشامُ بنُ هبيرة ، وعلى قضاء الكوفة عبدُ الله بنُ عتبة بن
 مسعود ، وعلى خراسانَ عبدُ الله بنُ خازم السلمي ، وبالشامَ عبدُ الملك
 ابنُ مروان .

(١) ف : الكف غيرك ، قال . . . (٢) ١ : ولكن . . .

ثم دخلت سنة تسع وستين

[ذكر خبر قتل عبد الملك سعيد بن عمرو]

ففيها كان خروجُ عبد الملك بن مروان - فيما زعم الواقدي - إلى عين وردة ، واستخلف عمرو بن سعيد بن العاص على دمشق فتحصن بها ، فبكنغ ذلك عبد الملك ، فرجع إلى دمشق ، فحاصره - قال : ويقال : خرج معه - فلما كان ببُطنان حبيب ، رجع إلى دمشق فتحصن فيها ، ورجع عبد الملك إلى دمشق .

وأما عوانة بن الحَكَم فإنه قال فيها ذكر هشام بن محمد عنه : - إن عبد الملك بن مروان لما رجع من بُطنان حبيب إلى دمشق مكث بدمشق ما شاء الله ، ثم سار يريد قريسياء ، وفيها زُفر بن الحارث الكلبي ومعه عمرو بن سعيد ، حتى إذا كان ببُطنان حبيب فتك عمرو بن سعيد ، فرجع ليلاً ومعه حميد بن حريث بن بحدل الكلبي وزهير بن الأبرد الكلبي ، حتى أتى دمشق وعليها عبد الرحمن ابن أم الحَكَم الثقفي قد استخلفه عبد الملك ، فلما بلغه رجوع عمرو ابن سعيد هرب وترك عمله ، ودخلها عمرو فتغلب عليها وعلى خزائنها .

٧٨٤/٢

وقال غيرهما : كانت هذه القصة في سنة سبعين . وقال : كان (١) مسير عبد الملك من دمشق نحو العراق يريد مصعب بن الزبير ، فقال له عمرو بن سعيد بن العاص : إنك تخرج إلى العراق ، وقد كان أبوك وعدتي هذا الأمر من بعده ، وعلى ذلك جاهدت معه ، وقد كان من بلائي معه ما لم يخف عليك ، فاجعل لي هذا الأمر من بعدك ، فلم يجبه عبد الملك إلى شيء ، فانصرف عنه عمرو راجعاً إلى دمشق ، فرجع عبد الملك في أثره حتى انتهى إلى دمشق .

(١) : « وكان » .

رجع الحديث إلى حديث هشام ، عن عوانة ، قال : ولما غلب عمرو على دِمَشْق طلب عبدُ الرحمن بنَ أمِّ الحَكَم فلم يُصِبه ، فأمر ببلاده فهُدِمَت واجتمع الناسُ ، وصعدَ المنبرَ فحمدَ اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنَّه لم يقم أحد من قريش قبل على هذا المنبر إلا زعم أن له جنةً وفاراً ، يُدخلُ الجنةَ من أطاعه ، والنارَ من عصاه ، وإلى أخيركم أن الجنة والنارَ بيدَ الله ، وأنه ليس إلى من ذلك شيء ، غير أن لكم على حَسَنِ المؤاساة والعطية . ونزل .

وأصبح عبدُ الملك ، ففقد عمرو سعيد ، فسأل عنه ، فأخبر خبره ، فرجع عبدُ الملك إلى دِمَشْق ، فإذا عمرو قد جُلِّدَ دِمَشْقُ المُسَوِّحُ فقاتلته بها أياماً ، وكان عمرو بنُ سعيد إذا أخرج حميد بنَ حُرَيْث الكَلْبِيُّ على الخَيْلِ أخرج إليه عبدُ الملك سَفِيانَ بنَ الأبردِ الكَلْبِيَّ ، وإذا أخرج عمرو بنُ سعيدَ زهيرَ بنَ الأبردِ الكَلْبِيَّ أخرج إليه عبدُ الملكَ حَسَّانَ بنَ مالك بنَ بَحْدَلِ الكَلْبِيَّ .

قال هشام حدثني عوانة ، أن الخيلين تواقفتا ذاتَ يوم ، وكان مع عمرو بنُ سعيد رجلٌ من كَلْبٍ يقال له رَجَاء بنُ سراج ، فقال رجاء : يا عبدُ الرحمن بنَ سليم ، ابرز - وكان عبدُ الرحمن مع عبدِ الملك - فقال عبدُ الرحمن : قد أنصف القنارةَ من راماتها ، وبرز له ، فاطمعتا وانقطع ركابُ عبدِ الرحمن ، فتجأ منه ابنُ سراج ، فقال عبدُ الرحمن : والله لولا انقطاع الركاب لرميت بما في بطنك من تبن ، وما اصطلع عمرو وعبدُ الملك أبداً ، فلما طال قتالُهُم جاء نساءُ كَلْبٍ وصبيانُهُم فبكيتن وقُلْنَ لسُفْيَانِ بنِ الأبردِ ولابنِ بَحْدَلِ الكَلْبِيَّ : عَلام تَقْتُلُون أنفسكم لسلطانِ قُرَيْشٍ ! فحلف كل واحدٍ منهما ألا يرجع حتى يرجع صاحبه ، فلما أجمَعوا على الرجوع نظروا فوجدوا سَفِيانَ أكبرَ من حُرَيْث ، فطلبوا إلى حُرَيْث ، فرجع . ثم إنَّ عبدَ الملك وعمرًا اصطلحا ، وكتبَا بينهما كتاباً ، وأمنه عبدُ الملكَ وذلك عشيةَ الخميس .

قال هشام : فحدثني عوانة أن عمرو بنَ سعيد خرج في الخَيْلِ

مقتلاً قوساً سوداء ، فأقبل حتى أوطأ فرسه أطناب سرادق عبد الملك ، فانقطعت الأطناب وسقط السرادق ، ونزل عمرو فجلس وعبد الملك مغضب ، فقال لعمرو : يا أبا أمية ، كأنك تشبه بتقلدك هذه القوس بهذا الحي من قيس ! قال : لا ، ولكني أتشبه بمن هو خير منهم ، العاص بن أمية . ثم قام مغضباً والخييلُ معه حتى دخل دمشق ، ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس ، فبعث إلى عمرو أن أعط الناس أرواقهم ، فأرسل إليه عمرو : إن هذا لك ليس ببلد فاشخص عنه . فلما كان يوم الاثنين وذلك بعد دخول عبد الملك دمشق بأربع بعث إلى عمرو أن اتني - وهو عند امرأته الكلبيّة ، وقد كان عبد الملك دعا كُريب بن أبرهة بن الصبيّاح الحميريّ فاستشاره في أمر عمرو بن سعيد ، فقال له : في هذا هلك حمير ، لا أرى لك^(١) ذلك ، لا ناقي في ذاك ولا جملي - فلما أتى رسول عبد الملك عمراً يلحوه صادف الرسول عبد الله بن يزيد بن معاوية عند عمرو ، فقال عبد الله لعمرو بن سعيد : يا أبا أمية ، والله لأنت أحب إليّ من مسني وبصري ، وقد أرى هذا الرجل قد بعث إليك أن تأتيه ، وأنا أرى لك ألا تفعل ، فقال له عمرو : ولم ؟ قال : لأن تبع ابن امرأة كعب الأجار قال : إن عظيماً من عظماء ولد لإسماعيل يرجع فيغلق أبواب دمشق ، ثم يخرج منها ، فلا يلبث أن يقتل ، فقال له عمرو : والله لو كنت نائماً ما تخوفت أن ينهني ابن الزرقاء ، ولا كان لي جري على ذلك مني ، مع أن عثمان بن عفان أتاني البارحة في المنام فألبسني قميصه - وكان عبد الله بن يزيد زوج أم موسى بنت عمرو بن سعيد - فقال عمرو للرسول : أبلغه السلام ، وقل له : أنا راتح إليك العشيّة إن شاء الله . فلما كان العشي لبس عمرو درعاً حصينة بين قباء قوهي^(٢) وقميص قوهي ، وتقلد سيفه وعنده امرأته الكلبيّة ، وحميد بن حريث بن سحند الكلبي ، فلما نهض متوجّهاً ، عثر بالباط ، فقال له حميد : أما والله لن^(٣) أطلعني لم تأته ، وقالت له امرأته تلك المسألة ، فلم يلتفت إلى قولهم ، ومضى في مائة رجل من مواليه ، وقد بعث عبد الملك إلى بني مروان فاجتمعوا عنده ، فلما بلغ عبد الملك

٧٨٧/٢

(١) ف : « لا أرى لك ذلك » . (٢) قوهي : نية إلى قوهستان .

(٣) ف : « لو » .

أنه بالبواب أمر أن يُحبَس مَنْ كان معه ، وأذن له فدخل ، ولم تزل أصحابه يُحبسون عند كل باب حتى دخل عمرو قاعة الدار ، وما معه إلا وصيف له ، فرمى عمرو ببصره نحو عبد الملك ، فإذا حوله بنو مروان ، وفيهم حسَّان ابن مالك بن يحدل الكلبي وقبيصة بن ذؤيب الخزاعي ، فلما رأى جماعتهم أحسَّ بالشر ، فالتفت إلى وصيفه فقال : انطلق وبُحُكْ إلى يحيى بن سعيد ، فقل له يأتي . فقال له الوصيف ولم يفهم ما قال له : لبَّيك ! فقال له : اغرب عني في حرق الله وناره . وقال عبد الملك لحسان وقبيصة : إذا شئنا فقومنا فالتفتيا وعمرا في الدار ، فقال عبد الملك لهما كالمازح ليظمن عمرو بن سعيد : أيكما أطول ؟ فقال حسَّان : قبيصة يا أمير المؤمنين أطول مني بالإمرة ، وكان قبيصة على الخاتم . ثم التفت عمرو إلى وصيفه فقال : انطلق إلى يحيى فمره أن يأتي ، فقال له : لبَّيك ، ولم يفهم عنه ، فقال له عمرو : اغرب عني ، فلما خرج حسَّان وقبيصة أمرا بالأبواب ففلق ، ودخل عمرو فرحب به عبد الملك ، وقال : ها هنا يا أبا أمية ، يرحمك الله ! فأجلسه معه على السرير ، وجعل يحدثه^(١) طويلا ، ثم قال : يا غلام ، خذ السيف عنه ، فقال عمرو : فقال له يا أمير المؤمنين ! فقال عبد الملك : أو تطمع أن تجلس معي متقلدا سيفك ! فأخذ السيف عنه ، ثم تحدثا ما شاء الله ، ثم قال له عبد الملك : يا أبا أمية ، قال : لبَّيك يا أمير المؤمنين ، فقال : إنك حيث خلعتني آليتُ يمين إن أنا ملأتُ حبي منك وأنا مالك لك أن أجمعك في جامعة ، فقال له بنو مروان : ثم تطلقه يا أمير المؤمنين ؟ قال : ثم أطلقه ، وما عسيت أن أصنع بأبي أمية ! فقال بنو مروان : أير قسَم أمير المؤمنين ، فقال عمرو : قد أبر الله قسمك يا أمير المؤمنين ، فأخرج من تحت فراشه جامعة فطرحها إليه ، ثم قال : يا غلام ، قم فاجمعه فيها ، فقام الغلام فجمعه فيها ، فقال عمرو : أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تُخرجني فيها على رموس الناس ! فقال عبد الملك : أمكرا أبا أمية عند الموت ! لاها الله إذا ! ما كنا

لنُخْرِجَكَ فِي جَامِعَةٍ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ ، وَلَمَّا نَفَخَهَا مِنْكَ إِلَّا صُعْدًا .
ثُمَّ اجْتَبَاهُ اجْتِبَاةً أَصَابَ فَمَهُ السَّرِيرُ فَكَسَرَ ثَنِيَّتَهُ ^(١) ، فَقَالَ عَمْرُو :
أَذْكُرَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْعُوكَ إِلَى كَسْرِ عِظَمٍ مَتَى أَنْ تَرْكَبَ ^(٢) مَا هُوَ
أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمَ أَنَّكَ تُبْقَى عَلَى إِنْ
أَبْقَيْتَ عَلَيْكَ وَتَصْلَحَ قَرِيضٌ لِأُطْلُقْتُكَ ، وَلَكِنْ مَا اجْتَمَعَ رَجُلَانِ قَطُّ فِي
بَلَدَةٍ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْخَرَجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ . فَلَمَّا رَأَى عَمْرُو أَنْ
ثَنِيَّتَهُ قَدْ انْدَقَّتْ ^(٣) وَعَرَفَ الَّذِي يَرِيدُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، قَالَ : أَغْدَرًا يَا بَنَ الزَّرْقَاءِ !

٧٨٩/٢

وَقِيلَ : إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ لَمَّا جَكَدَبَ عَمْرًا فَسَقَطَتْ ثَنِيَّتُهُ بَجَلٍ عَمْرُو
يَمْسُهَا ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَهُ : أَرَى ثَنِيَّتَكَ قَدْ وَقَعَتْ ^(١) مِنْكَ مَوْقِعًا
لَا تَطْيِبُ نَفْسُكَ بَعْدَهَا . فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ عُنُقُهُ .

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ عَوَانَةَ . وَأَذِنَ الْمُؤَذِّنُ الْعَصْرَ ، فَخَرَجَ
عَبْدُ الْمَلِكِ يَصْلِيَّ بِالنَّاسِ ، وَأَمَرَ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ أَنْ يَقْتُلَهُ ، فَقَامَ
إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بِالسَّيْفِ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : أَذْكُرَكَ اللَّهَ وَالرَّحِمَ أَنْ تَلِيَ
أَنْتَ قَتْلِي ، وَلِيَتَوَلَّ ذَلِكَ مَنْ هُوَ أَبْعَدُ رَجِيمًا مِنْكَ ! فَأَتَى عَبْدَ الْعَزِيزِ
السَّيْفَ وَجَلَسَ ، وَصَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ صَلَاةَ خُفْيَةٍ ، وَدَخَلَ ، وَغَلَقَتْ الْأَبْوَابُ وَرَأَى
النَّاسُ عَبْدَ الْمَلِكِ حَيْثُ خَرَجَ وَلَيْسَ عَمْرُو مَعَهُ ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِيُحْيِيَ بْنِ سَعِيدٍ
فَأَقْبَلَ فِي النَّاسِ حَتَّى حَكَّ بَابَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمَعَهُ أَلْفُ عِيدٍ لِعَمْرُو ، وَأَنَاسَ
بَعْدَ مَنْ أَصْحَابِهِ كَثِيرٌ ، فَجَعَلَ مِنْ كَانَ مَعَهُ يَصْيحُونَ : أَسْمَعْنَا صَوْتَكَ
يَا أَبَا أُمَيَّةَ ! وَأَقْبَلَ مَعَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ حَمِيدُ بْنُ حَرْثٍ وَزُهَيْرُ بْنُ الْأُبَرْدِ
فَكَسَرُوا بَابَ الْقَصُورَةِ ، وَضَرَبُوا النَّاسَ بِالسَّيْفِ ، وَضَرَبَ عَبْدُ لَعْمَرُو بْنِ
سَعِيدٍ يُقَالُ لَهُ مَصْفُكَةُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ضَرْبَةً عَلَى رَأْسِهِ ، وَاحْتَمَلَهُ إِبْرَاهِيمُ
ابْنُ عَرَبِيٍّ صَاحِبُ الدِّيْوَانِ فَأَدْخَلَهُ بَيْتَ الْقَرَاظِيسِ ، وَدَخَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ حِينَ
صَلَّى فَوَجَدَ عَمْرًا حَيًّا ، فَقَالَ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ : مَا مَنَعَكَ مِنْ أَنْ تَقْتُلَهُ ! قَالَ :

٧٩٠/٢

(١) ف : « ثَنِيَّتِهِ » .

(٢) يَضَعُ فِي ف : « مَتَى » .

(٣) ف : « أَنْ ثَنِيَّتُهُ انْدَقَّتْ » .

(٤) ف : « أَرَى أَنْ ثَنِيَّتَكَ انْدَقَّتْ » .

مَسْتَعْنَى أَنَّهُ نَاشِدُنِي اللَّهَ وَالرَّحِيمَ فَرَقَمْتُ لَهُ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَخَذَنِي
اللَّهُ أَمْسَكَ الْبَوَالِغَ عَلَى عَقَبَيْهَا ، فَإِنَّكَ لَمْ تُشَبِّهْ غَيْرَهَا - وَأَمَّ عَبْدُ الْمَلِكِ عَائِشَةَ
بِنْتُ مَعَاوِيَةَ بِنْتِ الْغَفِيرَةِ بِنَ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَكَانَتْ أُمُّ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَيْلَى ،
وَذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ الرُّقَيَّاتِ :

ذَلِكَ ابْنُ لَيْلَى عَبْدُ الْعَزِيزِ بَيَا يَلِينُونَ تَغْلُو جَفَانَهُ رُدْمًا^(١)

ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ قَالَ : يَا غَلَامَ ، ائْتِنِي بِالْحَرَبَةِ . فَأَتَاهُ بِالْحَرَبَةِ فَهَزَّهَا ،
ثُمَّ طَعَنَهُ بِهَا فَلَمْ تَجْزُ ، ثُمَّ تَنَسَّى فَلَمْ تَجْزُ ، فَضْرِبَ يَدَهُ إِلَى عَصَدِ عَمْرُو ،
فَوَجَدَ مَسَّ الدَّرْعِ ، فَضْطَكَ ، ثُمَّ قَالَ : وَدَارِعٌ أَيْضًا يَا أَبَا أُمَيَّةَ ! إِنْ
كَنتَ لَعَدًا ! يَا غَلَامَ ، ائْتِنِي بِالصَّصَامَةِ ، فَأَتَاهُ بِسَيْفِهِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِعَمْرُو
فَصُرِّعَ ، وَجَلَسَ عَلَى صُلْبِهِ فَلَدَّبَهُ وَهُوَ يَقُولُ :

يَا عَمْرُو إِنْ لَا تَدَعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أَضْرِبُكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةَ اسْقُونِي^(٢)

وَانْتَفَضَ عَبْدُ الْمَلِكِ رِعْدَةً - وَكَانَتْ الرِّجْلُ زَعَمُوا يُصِيبُهُ إِذَا قَتَلَ
ذَا قَرَابَةً لَهُ - فَحُمِلَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَنْ صُلْبِهِ فَوُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ ، فَقَالَ :
مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا قَطُّ ، قَتَلْتَهُ صَاحِبُ دُنْيَا وَلَا طَالِبُ آخِرَةٍ . وَدَخَلَ بِحِجَى
ابْنُ سَعِيدٍ وَمِنْ مَعَهُ عَلَى بَنِي مَرْوَانَ الدَّارَ فَجَرَحَوْهُمْ وَمِنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ
مَوَالِيهِمْ ، فَقَاتَلُوا بِحِجَى وَأَصْحَابَهُ ، وَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُمِّ الْحَكَمِ
النَّقَّاسِيَّ فَدَفَعَ إِلَيْهِ الرَّأْسَ ، فَأَلْقَاهُ إِلَى النَّاسِ ، وَقَامَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ
فَأَخَذَ الْمَالَ فِي الْبَدْوِ ، فَجَعَلَ يُلْقِيهَا إِلَى النَّاسِ ، فَلَمَّا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى
الْأَمْوَالِ وَرَأَوْا الرَّأْسَ انْتَهَبُوا الْأَمْوَالَ وَتَفَرَّقُوا . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ
ابْنَ مَرْوَانَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ أَمَرَ غَلَامَةً أَبَا الزُّعَيْرِ عَةً بِقَتْلِ عَمْرُو ،
فَقَتَلَهُ وَأَلْقَى رَأْسَهُ إِلَى النَّاسِ إِلَى أَصْحَابِهِ .

قَالَ هِشَامُ : قَالَ عَوَانَةُ : فَحَدَّثْتُ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ أَمَرَ بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ
الَّتِي طُرِحَتْ إِلَى النَّاسِ فَجُمِعَتْ حَتَّى عَادَتْ كُلُّهَا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ ، وَرُمِيَ
بِحِجَى بْنِ سَعِيدٍ يَوْمَئِذٍ فِي رَأْسِهِ بِصَخْرَةٍ ، وَأَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِسَرِيرِهِ فَأُبْرِزَ إِلَى

(١) ديوانه ١٥٢ . وفيه : ملاه . وبالبين : اسم لموضع القتل .

(٢) لدى الإصباح ، من المفضلية ٣١ .

المسجد ، وخرج فجلس عليه ، وفقد الوليد بن عبد الملك فجعل يقول :
 وَيَحْكُمُ ! أين الوليد؟ وأبيهم* لئن كانوا قتلوه لقد أدرَكوا نأْرهم ، فأتاه
 إبراهيم بنُ عُرْبَى الكِنَانِي فقال : هذا الوليد عندي ، قد أصابته جراحة ،
 وليس عليه بأس ، فأتى عبدُ الملك يحيى بن سعيد ، فأمر به أن يقتل ،
 فقام إليه عبدُ العزيز ، فقال : جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين ! أتراك
 قاتلاً بيني أميةً في يوم واحد ! فأمر يحيى فحبس ، ثم أتى بعنسة بن
 سعيد ، فأمر به أن يقتل ، فقام إليه عبد العزيز فقال : أذكرك الله يا أمير المؤمنين
 في استئصال بني أمية وهلاكها ! فأمر بعنسة فحبس ، ثم أتى بعنسة بن سعيد
 فأمر به أن يقتل ، فقام إليه عبد العزيز بن مروان ، فقال : اذكرك الله
 يا أمير المؤمنين في استئصال بني أمية وهلاكها ! فأمر بعنسة فحبس ، ثم
 أتى بهامر بن الأسود الكلبي فضرب رأسه عبدُ الملك بقصيب خيزران كان
 معه ، ثم قال : أتقاتلني مع عمرو وتكون معه علي ! قال : نعم ، لأن
 عمراً أكرمتني وأهنتني ، وأذناني وأقصيتني ، وقرْبِي وأبعدتني ، وأحسن إلي
 وأسأت إلي ، فكنتُ معه عليك . فأمر به عبدُ الملك أن يقتل ، فقام
 عبدُ العزيز فقال : أذكرك الله يا أمير المؤمنين في خالي ! فوهبه له . وأمر
 ببني سعيد فحبسوا ، ومكث يحيى في الحبس شهراً أو أكثر . ثم إن عبد الملك
 صنع المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم امتلأ الناس في قتله ، فقام
 بعضُ خطباء الناس فقال : يا أمير المؤمنين ، هل تلد الحية إلا حية ! نرى
 والله أن تقتله فإنه منافق عدو . ثم قام عبدُ الله بن مسعدة الفزاري ،
 فقال : يا أمير المؤمنين ، إن يحيى ابنُ عمك ، وقرابته ما قد علمت ،
 وقد صنعوا ما صنعوا ، وصنعت بهم ما قد صنعت ، ولست لهم بأمين ،
 ولا أرى لك قتلهم ، ولكن سيرهم إلى عدوك ، فإن هم قتلوا كنت قد
 كُفيت أمرهم بيد غيرك ، وإن هم سلكوا ورجعوا رأيت فيهم رأيك .
 فأخذ برأيه ، وأخرج آل سعيد فالحقهم بمصعب بن الزبير ، فلما
 قدموا عليه دخل يحيى بن سعيد ، فقال له ابن الزبير : انقلت
 وانحص الذئب ، فقال : والله إن الذئب لبهله . ثم إن
 عبد الملك بعث إلى امرأة عمرو الكلبيَّة : ابعتي لي بالصالح الذي كنت كتبت

لعمر ، فقالت لرسوله : ارجع إليه فأعلمه أني قد لففت ذلك الصلح معه في أكفانه ليُخاصمك به عند ربّه ، وكان عمرو بن سعيد وعبدُ الملك يلتقيان في النسب إلى أميّة ، وكانت أمّ عمرو أمّ البنين ابنةُ الحَكَم ابنِ أبي العاص عمّة عبد الملك .

قال هشام : فحدثنا عوانة أنّ الذي كان بين عبد الملك وعمرو كان شراً قديماً ، وكان ابناً سعيد أمههما أمّ البنين ، وكان عبدُ الملك ومعاوية ابني مروان ، فكانوا وهم غلمان لا يزالون يأتون أمّ مروان بن الحَكَم الكنانيّة يتحدّثون عندها ، فكان ينطلق مع عبد الملك ومعاوية غلام لهم أسود ، وكانت أمّ مروان إذا أتوها هيأت لهم طعاماً ، ثم تأتيهم به فتضع بين يدي كلّ رجل صحفة على حدة ، وكانت لا تزال تؤرّش بين معاوية ابن مروان ومحمد بن سعيد ، وبين عبد الملك وعمرو بن سعيد ، فيقتلون ويتصارمون الحين ، لا يكلم بعضهم بعضاً ، وكانت تقول : إن لم يكن عند هذين عقل فعند هذين ، فكان ذلك دأبها كلّما أتوها حتّى أثبت الشّحناء في صدورهم .

وذكر أنّ عبد الله بن يزيد القسريّ أبا خالد كان مع يحيى ابن سعيد حيث دخل المسجد فكسر باب المقصورة ، فقاتل بني مروان ، فلما قتل عمرو وأخرج رأسه إلى الناس ركب عبدُ الله وأخوه خالد فلكحقا بالعراق ، فأقام مع ولد سعيد وهم مع مُصعب حتّى اجتمعت الجماعة على عبد الملك ، وقد كانت غيبت عيد الله بن يزيد فقيمت يوم المَرَج ، وكان مع ابن الزبير يُقاتل بني أميّة ، ولأنه دخل على عبد الملك بعد الجماعة ، فقال : كيف أنتم آل يزيد ؟ فقال عبد الله : حرباء حرباء ، فقال عبد الملك : ذلك بما قدّمت أيديكم ، وما الله بظلام للعبيد .

قال هشام عن عوانة : إنّ ولّد عمرو بن سعيد دخلوا على عبد الملك بعد الجماعة وهم أربعة : أميّة ، وسعيد ، وإسماعيل ، ومحمد ، فلما نظر إليهم عبدُ الملك قال لهم : إنكم أهل بيت لم تزالوا تروّون لكم على جميع قوميكم فضلاً لم يجعله الله لكم ، وإنّ الذي كان بيني وبين أبيكم لم

يكن حديثاً ، بل كان قديماً في أقضس أوليكم على أولينا في الجاهلية .
 فأقطع بأمية بن عمرو - وكان أكبرهم - فلم يقلد أن يتكلم ، وكان أنبلهم
 وأعقلهم ، فقام سعيد بن عمرو وكان الأوسط فقال : يا أمير المؤمنين ،
 ما تسعى علينا أمراً كان في الجاهلية ، وقد جاء الله بالإسلام فهلهم ذلك ،
 فوعدها جنة ، وحذرها ناراً ! وأما الذي كان بينك وبين عمرو فإن عمراً
 ابن عمك ، وأنت أعلم بما صنعت ، وقد وصل عمرو إلى الله ، وكفى بالله
 حسيباً ، ولعمري لئن أخلت بنا بما كان بينك وبينه لبطن الأرض خير لنا من
 ظهرها . فرق لهم عبد الملك رقعة شديدة ، وقال : إن أباكم خيرني بين أن يقتلني
 أو أقتله ، فاخترت قتله على قتل ، وأما أنتم فما أرضي فيكم ، وأوصلني
 لقرابتكم ، وأرعاني لحقكم ! فأحسن جائزتهم ، ووصلهم وقربهم .

وذكر أن خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك ذات يوم : عجب
 منك ومن عمرو بن سعيد ، كيف أصبت غيرة فقتلته ! فقال عبد الملك :

دَانَيْتُهُ مِنِّي لَيْسَكْنَ رُوْعُهُ فَأَصُولَ صَوْلَةَ حَازِمٍ مُسْتَمَكِنٍ
 غَضْباً وَمَحِيَّةً لِلْبَيْتِ إِنَّهُ لَيْسَ الْمُسِيءُ سَبِيلَهُ كَالْمُحْسِنِ

قال عروة : لقي رجل سعيد بن عمرو بن سعيد بمكة ، فقال له : ورب
 هذه البنية ، ما كان في القوم مثل أهلك ، ولكنه نازع القوم ما في أيديهم
 فعطِب .

٧٩٦/٢

وكان الواقدي يقول : إنما كان في سنة تسع وستين بين عبد الملك
 ابن مروان وصعرو بن سعيد الحصار ، وذلك أن عمرو بن سعيد تحصن
 بدمشق فرجع عبد الملك إليه من بطنان حبيب ، فحاصره فيها ، وأما
 قتله إياه فإنه كان في سنة سبعين .

* * *

وفي هذه السنة ^(١) حَكَّم محكم من الخوارج بالخيف من منى فقتل
 عند الجمرة ، ذكر محمد بن عمر أن يحيى بن سعيد بن دينار حدثه عن

(١) قبلها في ١ : « قال أبو جعفر » .

أبيه، قال: رأيتُه عند الجحرة سَلَّ سيفه، وكانوا جماعةً فأمسك اللهُ يأيديهم،
وبَدَّر هو من بينهم، فحكم، قال الناسُ عليه فَمَتَّلوه .
ولَقِمَ الحجَّ للناس في هذه السنة عبدُ الله بنُ الزبير .

وكان عامله فيها على المصرين : الكوفة والبصرة^(١) أخوه مصعب بن
الزبير^(٢) . وكان على قضاء الكوفة شُرَيْح^(٣) وعلى قضاء البصرة هشام بنُ
هبييرة ، وعلى خراسان عبدُ الله بنُ خازم .

(١) ب ، ف : « البصرة والكوفة » .
(٢-٢) ب ، : « وعلى الكوفة شريح يتول قضاها » .

ثم دخلت سنة سبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

في هذه السنة ثارت الروم ، واستجاشوا على من بالشام من ذلك
من المسلمين ؛ فصالح عبد الملك ملك الروم ، على أن يؤدي إليه في كل
جمعة ألف دينار خوفاً منه على المسلمين .

وفيه شخص - فيما ذكر^(١) محمد بن عمر - مصعب بن الزبير إلى مكة
فقلدها بأموال عظيمة ، فقسمها في قومه وغيرهم ، وقدم بدواب كثيرة وظهور
وأثقال ، فأرسل إلى عبد الله بن صفوان وجبشير بن شيبه ، وعبد الله بن مطيع
مالاً كثيراً ، ونحر بدناً كثيرة .

٧٩٧/٢

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير .
وكان عماله على الأمصار في هذه السنة عماله في السنة التي قبلها على
المعاون والقضاء .

(١) ب ، ف : « زم » .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك مسيرُ عبد الملك بن مروان فيها إلى العراق لحرب مُصعب بن الزبير ، وكان عبد الملك - فيما قيل - لا يزال يقرب من مُصعب ، حتى يبلغ بطنان حبيب ، ويخرج مصعب إلى بكجُميرا ، ثم تهجم الشتاء فيرجع كل واحد منهما إلى موضعه ، ثم يعردان ؛ فقال عدى بن زيد بن عدى بن الرقاع العاملي :

لعمري لقد أصحرتُ خيلنا	بأكناف دجلة للمُصعب ^(١)
إذا ما مُناقتُ أهل العِرا	في عُتْب ثُمّت لم يُعتب ^(٢)
دَلَفْنَا إِلَيْهِ بَنِي تُدْرٍ	قليل التَّفَقُّدِ للغيّب ^(٣)
يهزُون كلَّ طَوِيل القَنَا	وَمُلْتُمِ النَّصْلِ وَالثُّغْلَبِ ^(٤)
كَأَنَّ وَعَاهُمْ إِذَا مَاغَلَوْا	ضَجِيجُ قَطَا بِلَدٍ مُنْصَبِ
فقدَمْنَا وَاضِحٌ وَجْهُهُ	كَرِيمِ الضَّرَائِبِ وَالْمُنْصَبِ
أَعْيَنَ بِنَا وَنُصِرْنَا بِهِ	وَمَنْ يَنْصُرُ اللَّهَ لَمْ يُغْلَبِ ^(٥)

٧٩٨/٢

- (١) الأغانى ٩ : ٣٠٥ ، ٣٠٦ .
 (٢) ذو تدرأ . ملاقي ذو عز و شمة . وفي المسعودي : « لى مؤلف » .
 (٣) (٥) الأبيات برواية الأغانى :
 (٤) الثعلب هنا : رأس الريح .

لعمري لقد أصحرتُ خيلنا	بأكناف دجلة للمُصعبِ
يهزُون كلَّ طَوِيل القَنَا	وَمُلْتُمِ النَّصْلِ وَمَعْتَدِلِ الثُّغْلَبِ
فداؤُك أُمِّي وَأَبْنَاؤُهَا	وإن شئت زدت عليها أبى
وما قُلتُها رَهْبَةً إِنَّمَا	يحلُّ العِقَابُ عَلَى الْمَذْنِبِ
إِذَا شِئْتُ نَازَلْتُ مُسْتَقْتَلَا	أَزَاحِمِ كَالْجَمَلِ الْأَجْرَبِ
فمن يلكُ مِنَّا بَيْت آمناً	ومن يلكُ من غيرنا يهربُ

فحدثني عمرو بن شبة ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : أقبل عبد الملك من الشام يريد مُصعباً — وذلك قبل هذه السنة ، في سنة سبعين — ومعه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال خالد لعبد الملك : إن وجهتني إلى البصرة وأتبعنتني خيلاً يسيرة رجوت أن أغلب لك عليها . فوجهه عبد الملك ، فقد مها مستخفياً في مواليه وخاصته ، حتى نزل على عمرو بن أسمع الباهلي .

قال عمر : قال أبو الحسن : قال مسلمة بن محارب : أجار عمرو بن أسمع خالداً ، وأرسل إلى عبّاد بن الحصين وهو على شرطة ابن معمر — وكان مُصعب إذا شخص عن البصرة استخلف عليها عبيد الله بن عبيد الله بن معمر — ورجا عمرو بن أسمع أن يبايعه عبّاد بن الحصين — بأنّي قد أجزتُ خالداً فأجبت أن تعلم ذلك لتكون لي ظهيراً . فوافاه رسولُه حين نزل عن فرسه ، فقال له عبّاد : قل له : والله لا أضع لبدّ فرسي حتى أتيتك في الخيل . فقال عمرو لخالد : إني لا أغرك ، هذا عبّاد يأتينا الساعة ، ولا والله ما أقدر على منعك ؛ ولكن عليك بما لك بن مسنم .

قال أبو زيد : قال أبو الحسن : ويقال إنّه نزل على علي بن أسمع ، فبلغ ذلك عبّاداً^(١) فأرسل إليه عبّاد : إني سائر إليك . ٧٩٩/٢

حدثني عمر [بن شبة]^(٢) ، قال : حدثني علي بن محمد ، عن مسلمة وعوانة^(٣) أن خالداً خرج من عند ابن أسمع يركض ، عليه قميص قوحي رقيق ، قد حسره عن فخذيه ، وأخرج رجله من الركابين ؛ حتى أتى مالئكا ، فقال : إني قد اضطرتُّ إليك ، فأجرتني ، قال : نعم ، وخرج هو وابنه ، وأرسل إلى بكر بن وائل والأزد ؛ فكانت أول راية أئته راية بني يشكر . وأقبل عبّاد في الخيل ، فتواقفوا ، ولم يكن بينهم ، فلما كان من الغد غلوا إلى حفرة نافع بن الحارث التي نُسبت بعدُ إلى خالد ، ومع خالد رجال من بني تميم قد أتوه ؛ منهم صعبعة بن معاوية ، وعبد العزيز بن

(٢) من ب ، ف .

(١) ب ، ف : « قال » .

(٣) ب ، ف : « عن عوانة » .

بشر، ومرة بن محمّكان ، في عدد منهم ؛ وكان أصحاب خالد جُفْرِيَّة ينسبون إلى الجُفْرَةِ ، وأصحاب ابن معمر زُبَيْرِيَّة ؛ فكان من الجُفْرَةِ عبيد الله بن أبي بكرٍ وحُمران والمغيرة بن المهلب، ومن الزبيريّة قيس بن الهيثم السُلَمِيّ ؛ وكان يستأجر الرجال يقاتلون معه ، فقاضاه رجل أجره فقال : غداً أعطيكمها ، فقال غَطَفَان بن أنيف ، أحد بني كعب بن عمرو :

لبئس ما حكمت يا جلالُ النَّدَى دَيْنٌ والطَّعَانُ عاجِلُ
• وَأَنْتَ بِالْبَابِ سَنِيرٌ آجِلُ •

وكان قيس يعلّق^(١) في عنق فرسه جلالُ ، وكان على خيل بني حنظلة عمرو بن وبرة القحفيّ^(٢) ؛ وكان له عبيد يؤاجرهم بثلاثين ثلاثين كل يوم ، فيعطيه عشرة عشرة ، قليل له :

لبئس ما حكمت يا بنَ وبرة تُعْطَى ثَلَاثِينَ وَتُطْفَى عَشْرَةٌ
ووجه المصعب زحر بن قيس الجمعيّ مكدّاً لابن مَعْمَر في ألف ، ووجه عبد الملك عبيد الله بن زياد بن ظَبْيَان مكدّاً لخالد ، فكره أن يدخل البصرة ، وأرسل مطر بن التوم فرجع إليه فأخبره بفرق الناس ، فلكحى بعبد الملك .

قال أبو زيد : قال أبو الحسن : فحدثني شيخ من بني عرين ، عن السكن بن قتادة ، قال : أقتلوا أربعة عشر يوماً ، وأصبحت عين مالك ، فضجر من الحرب ، ومشت السفراء ، بينهم يوصف بن عبد الله بن عثمان بن أبي العاص ، فصالحه ، على أن يخرج خالداً وهو آمن ، فأخرج خالداً من البصرة ، وخاف ألا يعجز المصعب أمان عبيد الله ، فلكحى مالك بثأج ، فقال الفَرَزْدَق يذكر مالكاً ولحقق التميمية به وبخالد :

عَجِثُ لَأَقْوَامٍ تَمِيمٌ أَبَوْهُمْ وَهُمْ فِي بَنِي مَعْدٍ عِظَامُ الْمَبَارِكِ^(٣)

(١) كذا في أ ، س ، وقف : • يعلم • .

(٢) ب : • الجعفي • ، س : • العجفي • . (٣) ديوانه ٦٠٠ .

٨٠١/٢

وكانوا أعزَّ الناس قبل مَسِيرِهِمْ إلى الأَزْدِ مُضْفَرًا لِحَاها ومَالِكٍ
فما ظَنُّكُمْ بِابْنِ الْحَوَارِيِّ مُضْعَبٍ إِذَا افْتَرَّ عَنْ أَنْبَاءِهِ غَيْرَ ضَاحِكٍ
ونحنُ نَفَيْنَا مَالَكًا عَنْ بِلَادِهِ ونحنُ فَقَأْنَا عَيْنَهُ بِالنِّيَّازِكِ

قال أبو زيد : « قال أبو الحسن : حدثني مسلمة ^(١) أن المصعب لما
انصرف عبدُ الملك إلى دمشق لم يكن ^(٢) له همة إلا البصرة ، وطمع أن
يُدرك بها خالدًا ، فوجده قد خرج ، وأمن ابنُ معمر النَّاسَ ، فأقام
أكثرهم ، وخاف بعضهم مُضْعَبًا فشحص ، فغضب مُضْعَبُ على ابن
معمر ، وحلف ألا يوليه ، وأرسل إلى الجُفَرِيَّةِ فسبهم وأنتهم .

قال أبو زيد : فزعم المدائني وغيره من رِوَاة أهل البصرة أنه أرسل إليهم
فأتى بهم ، فأقبل على عبید الله بن أبي بكره ، فقال : يا ابنَ مسروح ، إننا
أنت ابنُ كَلْبَةٍ تعاوَرُها الكلاب ، فجاءت بأحمر وأمسود وأصفر من كل
كَلْبٍ بما يشبهه ، وإنما كان أبوك عبدًا نزل إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من حصن الطائف ، ثم أقسمت البيعة تدعون أن أبا سفيان
زنى بأمكم ، أما والله لئن بقيت لألحقنكم بنسبكم . ثم دعا بحُمران
فقال : يا ابن اليهودية ، إننا أنت علج نبطي سبيت من عين التمر .

ثم قال للحكم بن المنذر بن الجارود : يا ابن الخبيث ، أتندري من أنت
ومن الجارود ! إنما كان الجارود علجًا يجزيرة ابن كاوان فارسيًا ، فقطع إلى

٨٠٢/٢

ساحل البحر ، فانتفى إلى عبد القيس ، ولا والله ما أعرف حيًا أكثر اشتغالًا
على سوءة منهم . ثم أنكح أخته المكنعير الفارسي فلم يصب شرفًا قط
أعظم منه ، فهؤلاء ولدها يا بن قباد . ثم أتى بعبد الله بن فضالة الزهراني
فقال : ألسنت من أهل هجر ، ثم من أهل سماهيج ! أما والله لأرُدَّ تلك
إلى نسبك . ثم أتى بعلی بن أصمغ ، فقال : أعبد لي تيممة وعزى من
ياهلة ! ثم أتى بعبد العزيز بن بشر بن حنَّاط فقال : يا بن المشتور ، ألم
يسرق عملك عزًّا في عهد عمر ، فأمر به فسيَّر ليقطعه ! أما والله ما أعنت إلا

(١-١) ب ، ف : « عمر بن شبة عن أبي الحسن المدائني عن مسلمة » .

(٢) ب ، ف : « لم تكن » .

من يَنْكحَ أختَكَ - وكانت أخته تحت مقاتل بن مِسْمَعٍ - ثم أتى بأبي حَاضِرِ
 الأسدَى فقال : يا بنِ الإِصْطَحْرِيةَ ، ما أنتَ والأشرافُ ! ولما أنتَ من
 أهلِ قَطْرٍ دَعِيٍّ في بنى أَسَدٍ ، ليس لك فيهم قريب ولا نَسِيب . ثم أتى
 يزيد بن عمرو . فقال : يا بنِ الكَرَمانيِّ ، إنَّما أنتَ عِلْجٌ من أهلِ كَرَمَانَ
 قطعتَ إلى فارسَ فصرتَ مَلَحاً ، ما لك وللحَرْبِ ! لأنَّكَ يَجْرُ
 القُلُسُ (١) أَحَدُ . ثم أتى بَعْدَ أَقْبَنَ عَمَانَ بنِ أَبِي العاصِ فقال : أَعْلَى
 تُكشِّرُ وأنتَ عِلْجٌ من أهلِ هَجَرَ ، لحقَ أبوك بالطائِفِ وهم يَضْمُونُ من
 تَأَشَّبَ إليهم يَتَعَزَّوْنَ به ! أما والله لأردَّكَ إلى أصلِكَ . ثم أتى بِشَيْخِ بنِ
 الثُّعْمَانِ فقال : يا بنِ الخَبِيثِ ، إنَّما أنتَ عِلْجٌ من أهلِ زَنْدَوْرَدَ ، هَرَبْتَ
 أَمْلَكَ وَقُتِلَ أبوك ، فَتَزَوَّجَ أخته رجُلٌ من بنى يَشْكُرَ ، فجاءت بغلامين ،
 فَأَلْحَقْنَاكَ بِنَسَبِهِمَا ، ثم ضربهم مائةً مائةً ، وحلَّقَ رِعوسَهُم ولِحاهِمَ ، وهلم
 دُورَهُم ، وصَهَرَهُم في الشَّمْسِ ثلاثاً ، وحملَهُم على طلاقِ نَسائِهِم ، وجَمَرَ
 أولادَهُم في البُحُوثِ ، وطافَ بهم في أَقْطَارِ البَصْرةِ ، وأحْفَلَهُم أَلَّا يَنْكحُوا
 الحَرَّائِرَ . وبعثَ مُصْعَبُ خَدَّاشَ بنَ يَزِيدَ (٢) الأسدَى في طلبِ من
 هَرَبَ من أصحابِ خالدٍ ، فأدركَ مِرَّةَ بنَ مُحْكَنَ فَأَخَذَهُ ، فقال
 مِرَّةُ :

٨٠٣/٢

بنى أَسَدٍ إِنْ تَقْتُلُونِي تُحَارِبُونَا نَمِيَا إِذَا الحَرْبُ العَوَانُ اشْمَعَلَتِ
 بنى أَسَدٍ هَلْ فيكُمْ من هَوَاةٍ فَتَعْمُقُونَ إِنْ كَانَتْ بَنَى النُّعْلُ زَلَّتِ
 فَلَا تُحْسِبِ الأَعْدَاءُ إِذْ غَبَتْ عَنْهُمْ وَأَوْرِيْتُ مَعْنَا أَنْ حَرَبِي كُلَّتِ
 تَمَثَّى خَدَّاشُ فِي الأَسِيكَةِ آمِنَا وَقَدْ نَهَلْتُ مِنْهُ الرِّمَاحُ وَعَلَّتِ

فقرَّبَه خَدَّاشُ فقتله - وكان خَدَّاشُ على شَرْطَةِ مُصْعَبِ يَوْمَئِذٍ -
 وأمرَ مُصْعَبُ سَنَانَ بنَ ذَهَلٍ أَحَدَ بَنَى عَمْرِو بنِ مَرْثَدَ بِلَادِ مالِكِ بنِ

(١) القُلُسُ : حبل غليظ من جبال السفن .

(٢) ب ، ف ، و مرثد .

مسمَحَ فهدمها ، وأخذ مُصعب ما كان في دار مالك ، فكان فيها أخذ
 جارية ولدت له عمر بن مُصعب . قال : وأقام مُصعب بالبصرة حتى ^(١)
 شخص إلى الكوفة ، ثم لم ^(٢) يزل بالكوفة حتى خرج ^(٣) لحرب عبد الملك ،
 ونزل عبد الملك مسكن ، وكتب عبد الملك إلى المروانية من أهل العراق ،
 فأجابته كلهم وشرطوا عليه ولاية أصبهان ، فأنعم بها لهم كلهم ، منهم حجار
 ابن أبيجر ، والقضبان بن القبيص ، وعتاب بن وفاء ، وقطن بن عبد الله
 الحارثي ، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، وزحر بن قيس ، ومحمد
 ابن حُصير ، وعلى مقدته محمد بن مروان ، وعلى ميمته عبد الله بن يزيد بن
 معاوية ، وعلى ميسرته خالد بن يزيد ، وصار إليه مصعب وقد خذله أهل الكوفة .
 قال عروة بن المغيرة بن شعبة : فخرج يسير متكئا على معرفة
 حاجته ، ثم تصفح ^(٤) الناس عينا وشمالا فوقع عينه على ، فقال : يا عروة ،
 لي ، فخنوت منه ، فقال : أنصرتني عن الحسين بن علي ، كيف صنع
 بإيائه التزول على حكم ابن زياد وعزيمه على الحرب ؟ فقال :

إِنَّ الْيَأْنِي بِالطُّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ نَاسُوا فَسُتُوا لِلْكَرَامِ النَّاسِيَا ^(٥)

قال : فعلت أنه لا يرجم حتى يقتل ، وكان عبد الملك — لما ذكر
 محمد بن عمر عن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي قرّة ، عن إسحاق
 ابن عبد الله بن أبي قرّة ، عن رجاء بن حيوة — قال : لما قتل عمرو بن
 سعيد وضع السيف فقتل من خالفه ، فلما أجمع بالسير إلى مصعب وقد
 صفت له الشام وأهلها خطب الناس وأمرهم بالتهيق إلى مصعب ، فاختلف
 عليه رؤساء أهل الشام من غير خلاف لما يريد ، ولكنهم أحبوا أن يقيم ويقدم
 الجيوش ، فإن ظفروا فذاك ، وإن لم يظفروا أمدهم بالجيوش خشية على
 الناس إن أصيب في لقاءه مصعبا لم يكن وراءه ملك ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ،
 لو أقمت مكانك وبعت على هؤلاء الجيوش رجلا من أهل بيتك ، ثم

(١) ب ، ف : « ثم » .

(٢) ب ، ف : « ولم » .

(٣) ب ، ف : « شخص » .

(٤) ب ، ف : « يصفح » .

(٥) (السان (أسي) من غير نسبة ، وروايته : « الناسيا » .

سرحته إلى مصعب ! فقال عبدُ الملك : إنّه لا يقوم بهذا الأمر إلا قرشي له رأى ، ولعلّي أبعث من له شجاعة ولا رأى له ، وإني أجد في نفسي أفي بصيرٌ بالحرب ، شجاعٌ بالسيف إن أُلحِثُ إلى ذلك ، ومصعب في بيت شجاعة ، أبوه أشجع قريش ، وهو شجاع ولا علم له بالحرب ، يُحبّ الخفض ، ومعه من يُخالفه ، ومعى من يتصح لى . فسار عبد الملك حتى نزل مَسْكِينَ ، وسار مصعب إلى باجُمَيْرَا ، وكتب عبدُ الملك إلى شيعته من أهل العراق ، فأقبل إبراهيمُ بنُ الأشتر بكتّاب عبد الملك مختوماً لم يقرأه ، فدفعه إلى مصعب ، فقال : ما فيه ؟ فقال : ما قرأته ، فقرأه مصعب فإذا هو يدعو إلى نفسه ، ويجعل له ولاية العراق ، فقال لمصعب : إنّه والله ما كان من أحد آيس^(١) منه منى ، ولقد كتب إلى أصحابك كلهم بمثل الذى كتب إلى ، فاطعنى فيهم فاضرب أعناقهم . قال : إذا لا تتأصحنّا عشائُرهم . قال : فأقرهم حليداً وأبعث بهم إلى أبيض كسرى فاحبسهم^(٢) هناك ، ووكّل بهم من إن غلبت ضرب أعناقهم ، وإن غلبت متت بهم على عشائِرهم . فقال : يا أبا النعمان ، إني لست شغل عن ذلك ، يرحم الله أبا بَحر ، إن كان ليحدّثنى غدر أهل العراق ، كأنّه كان يتنظر إلى ما نحن فيه !

٨٠٦/٢

حدثني عمر ، قال : حدثنا محمد بنُ سَلَامٍ ، عن عبد القاهر بن السرى ، قال : همّ أهلُ العراق بالفدّر بمُصعب ، فقال قيسُ بنُ الهيثم : ويحكم ! لا تدخلوا أهل الشام عليكم ، فوالله لئن تطعموا بعيشكم ليُصَفين عليكم منازلكم ، والله لقد رأيتُ سيّدَ أهل الشام على باب الخليفة يفرح إن أرسكه في حاجة ، ولقد رأيتنا في الصوائف وأحدنا على ألف بعير ، وإن الرجل من وجوههم ليتغزو على فرسه وزاده خكفته .

قال : ولما تدأنى العسكران بدّير الجاثليق من مَسْكِينَ ، تقدّم إبراهيمُ بنُ الأشتر فحمّل على محمد بن مروان فأزاله عن موضعه ، فوجّه عبدُ الملك بن مروان عبدَ الله بن يزيد بن معاوية ، ففرب من محمد بن

مروان . والتقى القومُ فقتلَ مُسلم بن عمرو الباهليّ ، وقتلَ يَحْيَى ابن مبشر ، أحد بني ثعلبة بن يَرْبُوع ، وقتلَ إبراهيم بن الأشتر ، فهرب عتّاب ابنُ وَرْقَاء - وكان على الخليل مع مصعب - فقال مصعب لقطن بن عبد الله الحارثي : أبا عثمان ، قدّم خيلك ، قال : ما أرى ذلك ، قال : ولم ؟ قال : أكره أن تُقتلَ مذحجٌ في غير شيء ، فقال لحجّار بن أبجر : أبا أسيد ، قدّم رايبتك ؛ قال : إلى هذه العذرة ! قال : ما تتأخّر إليه والله أنتن والأُم ، فقال لمحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس مثل ذلك ، فقال : ما أرى أحداً فعَلَ ذلك فأفعله ، فقال مصعب : يا إبراهيم ولا إبراهيم لي اليوم !

حدثني أبو زيد ، قال : حدثني محمد بن سلام ، قال : أخبر ابن خازم بمسير مصعب إلى عبد الملك ، فقال : أمعه عمر بن عبيد الله بن معمر ؟ قيل : لا ، استعمله على فارس ، قال : أفعله المهلب بن أبي صفرة ؟ قيل : لا ، استعمله على الموصل ، قال : أفعله عباد بن الحصين ؟ قيل : لا ، استخلفه على البصرة ، فقال : وأنا بخراسان !

خُلِينِي فَجَرَّيْنِي جَعَارٍ وَأَبْشَرِي بِلَحْمِ أَمْرِي لَمْ يَشْهَدْ الْيَوْمَ نَاصِرَةٌ فقال مصعب لابنه عيسى بن مصعب : يا بني ، اركب أنت ومن معك إلى عمك بمكة فأنخره ما صنع أهل العراق ، ودعني فإني مقتول . فقال ابنه : والله لا أخبر قريشاً عنك أبداً ، ولكن إن أردت ذلك فالحق بالبصرة فهم على الجماعة ، أو الحق بأمير المؤمنين . قال مصعب : والله لا تتحدث قريش أتى فررت بما صنعت ربيعة من خذلانها حتى أدخل الحرم مُنْهَرِماً ، ولكن ^(١) أقاتل ، فإن ^(٢) قُتِلْتُ فلم يبق لي ما السيف بعار ، وما الفرار لي بعادة ولا خلُق ، ولكن إن أردت أن ترجع فارجع فقاتل . فرجع فقاتل حتى قتل .

قال علي بن محمد عن يحيى بن سعيد بن أبي المهاجر ، عن أبيه

إن عبد الملك أرسل إلى مصعب مع أخيه محمد بن مروان : إن ابن عمك يعطيك الأمان ، فقال مصعب : إن مثلي لا يتصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالباً أو مغلوباً .

وقال الهيثم بن عدي : حدثنا عبد الله بن عبيد الله بن عبيد الله ، عن أبيه ، قال : إننا لو قُوف مع عبد الملك بن مروان وهو يُحارب مصعباً لاذّ دنا زياد بن عمرو ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن إسماعيل بن طلحة كان لي جاراً صدق ، فكُلما أرادني مُصعب بسوءه إلا دَفَعَهُ عَنِّي ، فإن رأيت أن تؤمّنهُ على جرمه ! قال : هو آمن ، فضي زياد - وكان ضَخماً على ضَخْم - حتّى صار بين الصّغين ، فصاح : أين أبو البختريّ إسماعيلُ بنُ طلحة ؟ فخرج إليه ، فقال : إني أريد أن أذكرَ لك شيئاً ، فدنا حتّى اختلفت أعناقُ دوابّهما - وكان الناسُ ينتطقون بالحواشي الحشوة - فوضَعَ زياد يده في منطقة إسماعيل ، ثم اقتلعه عن سرّجه - وكان نحيفاً - فقال : أنشدك الله يا أبا المغيرة ، إن هذا ليس بالوفاء لمصعب ، فقال : هذا أحبّ إليّ من أن أراك غداً مقتولاً .

ولمّا أبى مصعب قبول الأمان نادى عمه بن مروان عيسى بن مصعب وقال له : يا بن أخي ، لا تقتل نفسك ، لك الأمان ، فقال له مصعب : قد آمستك عمك فامض إليه ، قال : لا تتحدّث نساء قريش أني أسلمتكم للقتل ، قال : فتقدّم بين يديّ أحسبك ، فقاتل بين يديه حتّى قتل ، وأُثخن مصعب بالرّمى ، ونظر إليه زائلة بن قدامة فشكّه عليه قطعته ، وقال : يا لثارات المختار ! فصرعه ، ونزل إليه عبّيد الله ابن زياد بن ظبيان ، فاحتزّ رأسه ، وقال : إنّه قَتَلَ أخى النابى بن زياد . فأثبى به عبد الملك بن مروان فأثابه ألف دينار ، فأبى أن يأخذها ، وقال : إني لم أقتله على طاعتك ، إنما قتلته على وترِ صنعه لي ، ولا آخذُ في حملِ رأس مالا . فتركه عند عبد الملك .

وكان الوثر الذي ذكره عبّيد الله بن زياد بن ظبيان أنّه قتل عليه مصعباً أن مصعباً كان ولى في بعض ولايته شرطه مطرف بن سبدان الباهليّ ثمّ أحلني جأوة .

فحدثني عمر بن نُشْبَةَ ، قال : حدثني أبو الحسن المدائني ومُخَلَّدُ بْنُ
يَحْيَى بْنُ حَاضِرٍ ، أَنَّ مَطْرَفًا أَتَى بِالنَّائِي بْنِ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانَ وَرَجُلًا مِنْ بَنِي
نُسَيْرٍ قَدْ قَطَعَا الطَّرِيقَ ، فَقَتَلَ النَّائِيَّ ، وَضَرَبَ النُّمَيْرِيَّ بِالسَّيَاطِ فَفَرَّكَهُ ،
فَجَمَعَ لَهُ عَيْدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانَ جَمْعًا بَعْدَ أَنْ عَزَلَهُ مُصْعَبٌ عَنْ
الْبَصْرَةِ وَوَلَّاهُ الْأَهْوَازَ ، فَخَرَجَ يَرِيدُهُ ، فَالتَقِيََا فِتْوَاقًا وَبَيْنَهُمَا نَهْرٌ ، فَعَبَّرَ مَطْرَفٌ
إِلَيْهِ النَّهْرَ ، وَعَاجَلَهُ ابْنُ ظَبْيَانَ فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ ، فَبَعَثَ مُصْعَبٌ مُكَرَّمًا بِنِ
مَطْرَفٍ فِي طَلَسِّ بْنِ ظَبْيَانَ ، فَسَارَ حَتَّى بَلَغَ عَسْكَرَ مُكَرَّمٍ ، فَتَنَسَّبَ
إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَلَقَ ابْنَ ظَبْيَانَ . وَلَحِقَ ابْنُ ظَبْيَانَ بِعَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا قُتِلَ أَخُوهُ ،
فَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ الْيَشْكُرِيُّ بَعْدَ قَتْلِ مُصْعَبٍ يَذْكُرُ ذَلِكَ :

ولما رأينا الأمرَ نَكْصًا صُدُورُهُ وهمُ الهَوَادِي أَنْ تَكُنَّ تَوَالِيَا^(١)
صَبَرْنَا لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يُقِيمَهُ ولم نَرَضْ إِلَّا مِنْ أُمِيَّةٍ وَآلِيَا
وَنَحْنُ قَتَلْنَا مُصْعَبًا وَابْنَ مُصْعَبٍ أَخَا أَسَدٍ وَالنَّخَعِيَّ الْبَايِنَا
وَمَرَّتْ عُقَابُ الْمَوْتِ مِنَّا بِمَسْلَمٍ فَأَهْوَتْ لَهُ نَابًا فَأَصْبَحَ ثَاوِيَا
سَقَيْنَا ابْنَ سِيدَانٍ بِكَأْسِ رَوِيَّةٍ كَفَفْتَنَا ، وَخَيْرُ الْأَمْرِ مَا كَانَ كَافِيَا
حدثني أبو زيد ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : مرَّ ابْنُ
ظَبْيَانَ بِابْنَةِ مَطْرَفٍ بِالْبَصْرَةِ ، فَقِيلَ لَهَا : هَذَا قَاتِلُ أَبِيكَ ، فَقَالَتْ :
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبِي ، فَقَالَ ابْنُ ظَبْيَانَ :

فَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَأَقَى حِمَامُهُ أَبُولُكُ وَلَكِنْ فِي سَبِيلِ الدَّرَاهِمِ
فَلَمَّا قُتِلَ مُصْعَبٌ دَعَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُرْوَانَ أَهْلَ الْعِرَاقِ إِلَى الْبَيْعَةِ ،
فَبَايَعُوهُ ، وَكَانَ مُصْعَبٌ قُتِلَ عَلَى نَهْرِ يُقَالُ لَهُ الدُّجَيْلُ حِنْدَ دَيْرِ الْجَائِثَلِيْقِ
فَلَمَّا قُتِلَ أَمَرَ بِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ وَبَابَتُهُ عَيْسَى فِدْفِنَا .

ذَكَرَ الْوَاقِلِيُّ عَنْ عُمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ عُرْوَةَ

قال : قال عبدُ الملك حين قُتِلَ مُصْعَبُ : وارُوهُ فقد والله كانت الحرمة بيننا وبينه قديمةً ، ولكن هذا الملكُ عقيم .

قال أبو زيد : وحدثنى أبو نعيم ، قال : حدثني عبدُ الله بنُ الزبير أبو أبي أحمد ، عن عبد الله بن شريك العامري ، قال : إني لواقفٌ إلى جنب مصعب بن الزبير فأخرجتُ له كتاباً من قبائي ، فقلتُ له : هذا كتابُ عبد الملك ، فقال : ما شئتَ ، قال : ثم جاء رجلٌ من أهل الشام فدخل عسكره ، فأخرجَ جارية فصاحت : واذْلاهُ ! فنظر إليها مُصْعَبُ ، ثم أعرَضَ عنها .

قال : وأتى عبدُ الملك برأس مُصعب ، فنظر إليه فقال : متى تَخْلُو قريشٌ مثلك ! وكانا يتحدَّثان إلى حُبِّي ، وهما بالمدينة ، فقيلَ لها : قُتِلَ مصعب ، فقالت : تَعِسَ قاتِلُهُ ! قيل : قتله عبدُ الملك بنُ مروان ، قالت : بأبي القاتلُ والمقتول !

قال : وحجَّ عبدُ الملك بعدَ ذلك ، فلعلَّتْ عليه حُبِّي ، فقالت : أقتلتَ أخاك مُصعباً ؟ فقال :

من يذوقِ الحربَ يَجِدْ طَعْمَهَا مراً وتَشْرِكُهُ بجمعاء^(١) وقال ابن قيس الرُّقِيَّات :

لقد أوزَتْ الحِصْرَيْنِ خِزياً وذلةً قَتِيلُ بَلْبَرِ الجائِلِيْقِ مُقِيمٌ^(٢)
فما نصحتُ لله بكرُ بنِ وائلٍ ولا صبرتُ عندَ اللقاءِ نَمِيمٌ
ولو كان بكرُياً تَعَطَّفَ حَوْلَهُ كَتَّابٌ يَغْلِي حَمِيْها وَيَتَوَمُّ
ولكنَّهُ ضاعَ اللِّمَامُ وَلَمْ يَكُنْ بها مُضَرِيٌّ يَوْمَ ذاكَ كَرِيمٍ
جَزَى اللهُ كُوفِيًّا هُناكَ مَلامَةً وَبَصْرِيَّهْمُ إِنَّ العَلِمَ مُلِمٌ
وإنْ بَنى العَلاتِ أَعْلَوْا ظُهورنا وَنَحْنُ صَرِيحٌ بَيْنَهُمْ وَصِيمٌ

(١) لأبي قيس بن الأُسَلْت ، من المفضلية ٧٥ . والجمعاء : المحبس في المكان المكنن أو الضيق .
(٢) ديوانه ١٩٦ ، ويصنفه في رواية الديوان :

تولى قتال المارقين بنفسيهم وقد أسلماه مُنْقَذٌ وَحِيمٌ

فَإِنْ نَفَرْنَا لَا يَبْقُوا وَلَا يَكُ بُعْدُنَا لِيَذِيَ حُرْمَةٍ فِي الْمُسْلِمِينَ حَرِيمٌ^(١)

قال أبو جعفر : وقد قيل : إنَّ ما ذكرتُ من مقتل مصعب والحرب التي جرت بينه وبين عبد الملك كانت في سنة اثنتين وستين ، وأنَّ أمر خالد ابن عبد الله بن خالد بن أسيد ومصيره إلى البصرة من قبيل عبد الملك كان في سنة إحدى وسبعين ، وقُتِل مصعب في جمادى الآخرة .

[ذكر الخبر عن دخول عبد الملك بن مروان الكوفة]

وفي هذه السنة دخل عبد الملك بن مروان الكوفة وفرق أعمال العراق والمصريين الكوفة والبصرة على عماله في قول الواقدي ، وأما أبو الحسن فإنه ذكر أنَّ ذلك في سنة اثنتين وسبعين .

وحدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : قُتِل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى أو الآخرة سنة اثنتين وسبعين . ولما أتى عبد الملك الكوفة — فيها ذكر — نزل النخيلة ، ثم دها الناس إلى البيعة ، فجاءت قضاة ، فرأى قلة ، فقال : يا معشر قضاة ، كيف سلكتم من مضرت مع قلتكم ؟ فقال : عبد الله بن يحيى التهدي : نحن أعز منهم وأمنح ، قال : يمين ؟ قال : بيمين معك منا يا أمير المؤمنين . ثم جاءت مدحج وهمدان فقال : ما أرى لأحد مع هؤلاء بالكوفة شيئاً . ثم جاءت جعفي ، فلما نظر إليهم عبد الملك قال : يا معشر جعفي ، اشتلستم على ابن أختكم ، ووارثتموه ؟ يعني يحيى بن سعيد بن العاص — قالوا : نعم ، قال : فهاتوه ، قالوا : وهو آمن ؟ قال : وتشتطلون أيضاً ! فقال رجل منهم : إنا والله ما تشتطل بجهلنا بعمك ، ولكننا نتسحب عليه تسحب الولد على والده ، فقال : أما والله لنعم الحى أنتم ؛ إن كنتم لفرماناً في الجاهلية والإسلام ، هو آمين ، فجاءوا به وكان يكنى أبا أيوب ، فلما نظر إليه عبد الملك قال أيا قبيح ، بأى وجه تنظر إلى ربك وقد

٨١٤/٢

خَلَعْتَنِي ! قَالَ : بِالْوَجْهِ الَّذِي خَلَقَهُ ، فَبَايَعَ ثُمَّ وَلِيَ فَنَظَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ فِي قَهْقَاهُ فَقَالَ : اللَّهُ دَرَّه ! أَيُّ ابْنِ زَوْمَكَةٍ هُوَ ! يَبْنِي غَرَبِيَّةً .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ : حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ مَعْنٍ وَغَيْرُهُ أَنَّ مَعْبُدَ بْنَ خَالِدٍ الْجَدَلِيَّ قَالَ : ثُمَّ تَقَدَّمْنَا إِلَيْهِ مَعَشَرَ عَدُوَّانَ ، قَالَ : فَقَدَّمْنَا رَجُلًا وَسَمِيًّا جَمِيلًا ، وَتَأَخَّرْتُ — وَكَانَ مَعْبُدٌ دَمِيًّا — فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَنْ ؟ فَقَالَ الْكَاتِبُ : عَدُوَّانَ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ :

عَلَيْرَ الْحَيِّ مِنْ عَدُوَّانَ كَانَوا حَيَّةَ الْأَرْضِ
بَنِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَلَمَ يَرْعَوُا عَلَى بَعْضِ
وَمِنْهُمْ كَانَتْ السَّادَاتُ وَالْمُؤَقِّنُونَ بِالْقَرْصِ
ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْجَمِيلِ فَقَالَ : لِيهِ ! فَقَالَ : لَا أَدْرِي ، فَقُلْتُ مِنْ خَلْقِهِ :
وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي
وَمِنْهُمْ مَنْ يَجِيزُ الْحَجَّ بِالسَّنَةِ وَالْقَرْصِ^(١)
وَهُمْ مُذْ وَلِدُوا شَبَّوْا بِسِرِّ النِّسْبِ الْمُحْضِ

قَالَ : فَتَرَكْنِي عَبْدُ الْمَلِكِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْجَمِيلِ فَقَالَ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي ، فَقُلْتُ مِنْ خَلْقِهِ : ذُو الْإِصْبَعِ ، قَالَ : فَأَقْبَلَ عَلَى الْجَمِيلِ فَقَالَ : وَلَيْسَ مَتَى ذَا الْإِصْبَعِ ؟ فَقَالَ : لَا أَدْرِي ، فَقُلْتُ مِنْ خَلْقِهِ : لِأَنَّ حَيَّةَ عَصَتْ إِبْصِعَهُ فَقَطَعَتْهَا ، فَأَقْبَلَ عَلَى الْجَمِيلِ فَقَالَ : مَا كَانَ اسْمُهُ ؟ فَقَالَ : لَا أَدْرِي ، فَقُلْتُ مِنْ خَلْقِهِ : حُرْثَانُ بْنُ الْحَارِثِ ، فَأَقْبَلَ عَلَى الْجَمِيلِ ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتُمْ كَانِ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي ، فَقُلْتُ مِنْ خَلْقِهِ : مِنْ بَنِي نَاجٍ ، فَقَالَ :

أَبَعَدَ بَنِي نَاجٍ وَسَعِيكَ بَيْنَهُمْ^(٢) فَلَا تَقْبَلْ عَيْنَيْكَ مَا كَانَ هَالِكًا

(١) قَالَ أَبُو الْقَرَجِ : « قَوْلُهُ : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَجِيزُ لِلنَّاسِ » فَإِنَّ إِبْجَازَ الْحَجِّ كَانَتْ لِنِزَامَةٍ ، فَأَغْلَطَهَا طَلُوعَانُ ، فَصَارَتْ لِرَجُلٍ فَهِيَ يُقَالُ لَهُ سِيَارَةٌ » . الْأَغَانِي ٣ : ٨٩ (٢) رَوَاةُ الْأَغَانِي :

* وَأَمَّا بَنُو نَاجٍ فَكَلَّا تَذَكَّرْتَهُمْ *

إذا قُلْتُ مَرْوُفًا لِأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ يَقُولُ وَهَيْبٌ : لَا أَصَالِحُ ذَلِكَ
فَأُضْحِجِي كَقَطْرِ الْعَبْرِ جُبَّ سَنَامُهُ تُطِيفُ بِهِ الْيَوْلَانُ أَحَدُ بَارَكَا
ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْجَمِيلِ ، فَقَالَ : كَمْ عَطَاؤُكَ ؟ قَالَ : سَبْعُمِائَةٍ ، فَقَالَ لِي :
فِي كَسَمٍ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : فِي ثَلَاثِمِائَةٍ ؛ فَأَقْبَلَ عَلَى الْكَاتِبَيْنِ ، فَقَالَ : حُطًّا
مِنْ عَطَاءِ هَذَا أَرْبَعُمِائَةٍ ، وَزَيْدَاهَا فِي عَطَاءِ هَذَا ، فَرَجَعْتُ وَأَنَا فِي سَبْعِمِائَةٍ ،
وَهُوَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ . ثُمَّ جَاءَتْ كِنْدَةَ فَنَظَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْأَشْعَثِ ،
فَأَوْصَى بِهِ بِشَرِّ أَخَاهُ ، وَقَالَ : اجْعَلْهُ فِي صَحَابَتِكَ . وَأَقْبَلَ دَاوُدُ بْنُ
قَحْطَمٍ فِي مَائَتَيْنِ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، عَلَيْهِمُ الْأَقْبِيَّةُ الدَّادِيَّةُ ، وَبِهِ
سُنْمِيَّتٌ ، فَجَلَسَ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى مَرْبَرِهِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ ، ثُمَّ
نَهَضَ وَنَهَضُوا مَعَهُ ، فَأَتَبَعَهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ بِصَرِهِ ، فَقَالَ : هَؤُلَاءِ الْفُسَّاقُ ، وَاللَّهِ
لَوْلَا أَنْ صَاحِبَهُمْ جَاعَنِي مَا أَعْطَيْتِي أَحَدًا مِنْهُمْ طَاعَةً ^(١) .

ثُمَّ لَإِنَّهُ وَلَيْتَى - فَمَا قِيلَ - قَطَطَنَّ بِنَ عَبْدِ اللَّهِ الْخَارِثِيَّ الْكُوفَةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا
ثُمَّ عَزَلَهُ ، وَلَوَّى بِشَرِّ بَنِ مَرْوَانَ وَصَعِدَ مِنْبَرَ الْكُوفَةِ فَخَطَبَ فَقَالَ :

إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزَّيْرِ لَوْ كَانَ خَلِيفَةً كَمَا يَزْعُمُ نَخْرَجُ قَامِي بِنَفْسِهِ ، وَلَمْ
يَغْرُزْ ذَنْبَهُ فِي الْحَرَمِ . ثُمَّ قَالَ : إِنِّي قَدْ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ بِشَرَ بَنِ مَرْوَانَ ،
وَأَمَرْتُهُ بِالْإِحْفَانِ إِلَى أَهْلِ الطَّاعَةِ ، وَالشَّدَةِ عَلَى أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ ، فَاسْمَعُوا لَهُ
وَأَطِيعُوا .

وَاسْتَعْمَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عُسَيْرٍ عَلَى هَمْدَانَ ، وَبَزِيدَ بْنَ رُقَيْمٍ عَلَى
الرَّيِّ ، وَفَرَّقَ الْعُمَالَ ، وَلَمْ يَفِ لَأَحَدٍ شَرْطَ ^(٢) عَلَيْهِ وَلَايَةِ أَصْبَهَانَ ، ثُمَّ
قَالَ : عَلَى هَؤُلَاءِ الْفُسَّاقِ الَّذِينَ أَنْخَلَكُوا الشَّامَ ، وَأَفْسَدُوا الْعِرَاقَ ، قَبِيلٌ :
قَدْ أَجَارَهُمْ رُشَاءُ عَشَائِرِهِمْ ، فَقَالَ : وَهَلْ يَجِيرُ عَلَى أَحَدٍ ! وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
يَزِيدَ بْنَ أَسَدٍ لَجَأً إِلَى عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَلَجَأَ إِلَيْهِ أَيْضًا
يُحْيَى بْنُ مَعِيُوفٍ الْهَمْدَانِيُّ ، وَلَجَأَ الْهَذَلِيُّ بْنُ زُفَرٍ بْنُ الْخَارِثِ وَعَمْرُو بْنُ زَيْدٍ ^(٣)
الْحَكَمِيُّ إِلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، فَأَمَتَهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَظَهَرُوا .

(١) انظر الألفاظ ، ٣ : ٩١ ، ٩٢ . (٢) ب ، ف : « يشترط » .

(٣) س ، ابن الأثير : « يزيد » .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة تنازع الرئاسة بالبصرة عبيد الله بن أبي بكره وحمران بن أبان ، فحدثني عمر بن شبة قال : حدثني علي بن محمد قال : لما قُتِلَ الْمُصْعَبُ وثب حمران بن أبان وعبيد الله بن أبي بكره فتنازعا في ولاية البصرة ، فقال ابن أبي بكره : أنا أعظم غناء منك ، أنا كنت أنفق على أصحاب خالد يوم الجفرة . فقيل لحمران : إنك لا تقوى على ابن أبي بكره ، فاستعین بعبد الله بن الأهم ، فإنه إن أعانك لم يقو عليك ابن أبي بكره ، ففعل ، وغلب حمران على البصرة وابن الأهم على شرطها .

وكان لحمران منزلة عند بني أمية ؛ حدثني أبو زيد قال : حدثني أبو عاصم التميمي قال : لخصرتي رجل قال : قدِمَ شيخ أعرابي فرأى حمران فقال : من هذا ؟ فقالوا : حمران ؛ فقال : لقد رأيتُ هذا وقد مال رداؤه عن عاتقه فكأبطوه مروان وسعيد بن الحماص أتيهما يسويه . قال أبو زيد : قال أبو عاصم : فحدثتُ بذلك رجلاً من وكلاء عبد الله بن عامر ، فقال : حدثني أبي أن حمراناً مَدَّ رجله فابتدر معاوية وعبد الله بن عامر أتيهما بيغزها .

[ذكر خبر ولاية خالد بن عبد الله على البصرة]

وفي هذه السنة بعث عبد الملك خالد بن عبد الله على البصرة والياً ، حدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : مكث حمران على البصرة يسيراً ، وخرج ابن أبي بكره حتى قدِمَ على عبد الملك الكوفة بعد مقتل مُصْعَبٍ ، فولّى عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة وأعمالها ، فوجه خالد عبيد الله بن أبي بكره خليفته على البصرة ، فلما قدِمَ على حمران ، قال : أقَدَ جئت لاجت ! فكان ابن أبي بكره على البصرة حتى قدِمَ خالد .

وفي هذه السنة رجّع عبد الملك - فيما زعم الواقدي - إلى الشام .

قال : وفيها نَزَعَ ابنُ الزبير جابرَ بنَ الأسود بنِ حوف عن المدينة ، واستعمل عليها طلحة بن عبد الله بن حوف . قال : وهو آخر وال لابن الزبير على المدينة ، حتى قلم عليها طارقُ بنُ عمرو مولى عثمان ، فتهرب طلحة ، وأقام طارقُ بالمدينة حتى كتب إليه عبد الملك . وحجَّ بالناس في هذه السنة عبدُ الله بنُ الزبير في قول الواقدي .

[خطبة عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب]

وذكر أبو زيد عن أبي غسان محمد بن يحيى ، قال : حدثني مصعب ابنُ عثمان ، قال : لما انتهى إلى عبد الله بن الزبير قتلُ مصعب قام في الناس فقال :

الحمد لله الذي له الخلق والأمر ، يبقى الملك من يشاء ، ويتزعج الملك ممن يشاء ، ويعزُّ من يشاء ، ويذلُّ من يشاء . ألا وإنه لم يذلَّ الله من كان الحقَّ معه وإن كان فرداً ، ولم يعزِّز من كان وليه الشيطان ويجزئه وإن كان^(١) معه الأنام طراً . ألا وإنه قد أتانا من العراق خبرُ حزننا وأفرحنا ، أننا قتل مصعب رحمة الله عليه ، فأما الذي أفرحنا فعلمنا أن قتلته له شهادة ، وأما الذي حزننا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة ، ثم يرصوي من بعده ذوالرأى إلى جميل الصبر وكريم العزاء ، ولئن أصبت بمصعب لقد أصبت بالزبير قبله ، وما أنا من عثمان بخلو مصيبة ، وما مصعب إلا عبدٌ من عبيد الله وعونٌ من أعوانى . ألا إن أهل العراق أهلُ الغدر والنفاق ، أسلموه وباعوه بأقل الثمن ، فإن يقتلوا الله ما نموت على مصابيحنا كما نموت بنو أبى العاص ، والله ما قتل منهم رجلاً في زحف في الجاهلية ولا الإسلام ، وما نموت إلا قعصاً^(٢) بالرماح ، وموتنا تحت ظلال السيوف . ألا إننا الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه ، ولا يسيد مملكه ، فإن تقبل لا آخذها أخذنا لأشهر البصر ، وإن تدبر لا أبك عليها بكاء الحرق المسهين ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لى ولكم .

* * *

وذكر أن عبد الملك لما قتل مصعباً ودخل الكوفة أمر بطعام كثير فصنع ، وأمر به إلى الخورنق ، وأذن إذناً عاماً ، فدخل الناس فأنفذوا مجالسهم ، فدخل عمرو بن حريث المخزومي فقال : إلى وعلى سريري ، فاجلسه معه ، ثم قال : أي الطعام أكلت أحب إليك وأشهى عندك ؟ قال : عساق^(١) حمرأ قد أجيد تمليحها ، وأحكيم نضجها ، قال : ما صنعت شيئاً ، فأين أنت من عمرو^(٢) راضع قد أجيد سبطه ، وأحكيم نضجها ، اختلجت إليك رجله ، فأتبعته يده ، غدي بشريجين من لبن ومن . ثم جاءت الموائد فأكلوا ، فقال عبد الملك بن مروان : ما ألد عيشنا لو أن شيئاً يدوم ! ولكننا كما قال الأول :

وكلٌ جليل يا أميم إلى يلى وكلٌ امرئ يوماً يصير إلى كان
فلما فرغ من الطعام طاف عبد الملك في القصر يقول لعمرو بن حريث : لِمَنْ هذا البيت ؟ ومن بنى هذا البيت ؟ وعمرو يُخيره ، فقال عبد الملك :

وكلٌ جليل يا أميم إلى يلى وكلٌ امرئ يوماً يصير إلى كان
ثم أتى مجلسه فاستلوى ، وقال :

اعمل على مهل فإنك ميتٌ واكبح لنفيسك أيها الإنسان
فكان ما قد كان لم يك إذ مضى وكان ما هو كائن قد كان

* * *

وفي هذه السنة افتتح عبد الملك - في قول الواقدي - قيسارية .

(١) العساق : الأثمن من أولاد المزدى .

(٢) في اللسان : « وفي حديث عبد الملك بن مروان : أين أنت من عمرو راضع ! عمرو

بالضم : الخروف أو الجدي إذا بلغ العود » .

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

قال أبو جعفر : فمن ذلك ما كان من أمر الخوارج وأمر المهلب بن أبي صفرة وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أمييد .

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف أن حصيرة بن عبد الله وأبا زهير العسبي حدثاه أن الأزارقة والمهلب بعدما اقتتلوا بسولاف ثمانية أشهر أشد القتال ، أتاهم أن مصعب بن الزبير قد قُتل ، فبلغ ذلك الخوارج قبل أن يبلغ المهلب وأصحابه ، فناداهم الخوارج : ألا تُخبرونا ما قولكم في مصعب ؟ قالوا : إمام هُدًى ، قالوا : فهو وليكم في الدنيا والآخرة ؟ قالوا : نعم ، قالوا : وأنتم أولياؤه أحياء وأمواتا ؟ قالوا : ونحن أولياؤه أحياء وأمواتا ، قالوا : فما قولكم في عبد الملك بن مروان ؟ قالوا : ذلك ابن اللعين ، نحن إلى الله منه براء ، هو عندنا أحلُّ دماً منكم ، قالوا : فأنتم منه براء في الدنيا والآخرة ؟ قالوا : نعم كبرائتنا منكم ، قالوا : وأنتم له أعداء أحياء وأمواتا ؟ قالوا : نعم نحن له أعداء كعداوتنا لكم ، قالوا : فإن إمامكم مصعباً قد قُتل عبد الملك بن مروان ، وفراكم ستجعلون غداً عبد الملك إمامكم ، وأنتم الآن تبتزعون منه ، وتلعنونه أباه ! قالوا : كذبتم يا أعداء الله . فلما كان

٨٢٢/٢

من الغد تبين لهم قتل مصعب ، فبايع المهلب الناس لعبد الملك بن مروان فأنتهم الخوارج فقالوا : ما تقولون في مصعب ؟ قالوا : يا أعداء الله ؛ لا نخبركم ما قولنا فيه ، وكرهوا أن يكذبوا أنفسهم عندهم ، قالوا : فقد أخبرتمونا أمس أنه وليكم في الدنيا والآخرة ، وأنكم أولياؤه أحياء وأمواتا ، فأنخبرونا ما قولكم في عبد الملك ؟ قالوا : ذلك إمامنا وخليفتنا — ولم يجلوا إذ يابعهو بداً من أن يقولوا هذا القول — قالت لهم الأزارقة : يا أعداء الله ، أنتم أمس تبتزعون منه في الدنيا والآخرة ، وتزعمون أنكم له أعداء أحياء وأمواتا ، وهو اليوم إمامكم وخليفتكم ، وقد قتل إمامكم الذي كنتم

تولونه ! فأبهما الحقّ ، وأبهما المهتدي . وأبهما الضالّ ! قالوا لهم : يا أعداء الله ، رضيينا بذلك إذ كان وليّ^(١) أمورنا ، ونرضى بهذا كما رضيينا بذلك ، قالوا : لا والله ! ولكنكم إخوان الشياطين ، وأولياء الظالمين ، وعبيد الدنيا . وبعث عبد الملك بن مروان بشر بن مروان على الكوفة ، وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة . فلما قتل خالد أثبت المهلب على خراج الأهواز ومحويتها ، وبعث عامر بن مسمع على سابور ، ومقاتيل بن مسمع على أردشير خزره ، ومسمع بن مالك بن مسمع على قسّا ودرابجيرد ، والمغيرة بن المهلب على إصطخر .

ثمّ إنه بعث إلى مقاتيل فبعثه على جيش ، وألحقه بناحية عبد العزيز فخرج يطلب الأزارقة ، فأنحطوا عليه من قبيل كرمّان حتى أتوا درّا بشجيرد ، فسار نحوهم . وبعث قطريّ مع صالح بن مخزاق تسعمائة فارس ، فأقبل ٨٢٣/٢ يسير بهم حتى استقبل عبد العزيز وهو يسير بالناس ليلا ، يجرون على غير تعبئة ، فهزم الناس ، ونزّل مقاتيل بن مسمع فقاتل حتى قُتل ، وانهزم عبد العزيز بن عبد الله ، وأخذت امرأته ابنة المنذر بن الجارود ، فأقيمت فيمن يزيد ، فبلغت مائة ألف - وكانت جميلة - ففار رجل من قومه كان من رموس الخوارج يقال له : أبو الحلبيد الشنّي ، فقال : تنحوا هكذا ، ما أرى هذه المشركة إلّا قد فتنتكم ، فضرب عنقه . ثمّ زعموا أنه لحقّ بالبصرة ، فراه آل منذر فقالوا : والله ما ندري أنحمّدك أم نلنمّلك ! فكان يقول : ما فعلته إلّا غيرة وحسبيّة . وجاء عبد العزيز حتى انتهى إلى رامهرمز ، وأتى المهلب فأخبر به ، فبعث إليه شيخا من أشياخ قومه كان أحد فرسانه ، فقال : اتته فإن كان منهزما فعزّه وأخبره أنه لم يفعل شيئا لم يقعك الناس قبّله ، وأخبره أن الجنود ثمانية عاجلا ، ثمّ بعزّه الله ويتصره . فأثاه ذلك الرجل ، فوجده نازلا في نحو من ثلاثين رجلا كتيبا حزينّا ، فسلم عليه الأزدى ، وأخبره أنه رسول المهلب ، وبلغه ما أمره به ، وعرض عليه أن يذكر له ما كانت له من حاجة . ثمّ انصرف إلى المهلب فأخبره الخبر ، فقال له المهلب : الحق الآن بخالد بالبصرة فأخبره الخبر ، ٨٢٤/٢

فقال: أنا آتية أخبره أن أخاه هُزِمَ ! والله لا آتية ، فقال المهلب^(١) : لا والله لا يأتيه غيرك ، أنت الذى عاينته ورأيت ، وأنت كنت رسولى إليه ، قال : هوذا يهديك^(٢) ، يامهلب أن ذهب إليه العام ، ثم خرج . قال المهلب : أما أنت والله فإنك لى آمن ، أما والله لو أنك مع غيرى ، ثم أرسلك على رجلِك خرجت تشد ! قال له وأقبل عليه : كأنك إنما تمن علينا بحلِمك ! فتمن والله نُكافئك بل نزيد ، أما تعلم أنا نُعمرُض أنفسنا للقتل دونك ، ونحميك من عدوك ! ولو كنا والله مع من يتجهل علينا ، وببعضنا فى حاجاته على أرجلنا ، ثم احتاج إلى قتالنا ونصرتنا جعلناه بيننا وبين عدونا ، وبقينا به أنفسنا . قال له المهلب : صدقت . ثم دعا فتى من الأزد كان معه فسرَّحه إلى خالد يخبره خبر أخيه ، فأتاه الفتى الأزدى وحوله الناس ، وعليه جبة خضراء ومُطَرَفٌ أخضر ، فسلم عليه ، فردَّ عليه ، فقال : ما جاء بك^(٣) ؟ قال : أصلحك الله ! أرسلنى إليك المهلب لأخبرك خبر ما عاينته ، قال : وما عاينت ؟ قال : رأيت عبد العزيز يرأسهم مُزْمُز مهزوماً ، قال : كذبت ، قال : لا ، والله ما كذبت ، وما قلت لك إلا الحق ، فإن كنت كاذباً فاضرب عُنَى ، وإن كنت صادقاً فأعطينى أصلحك الله جبَّتَكَ ومُطَرَفَكَ . قال : ويحك ! ما أيسر ما سألت ، ولقد رضيت مع^(٤) الخطر العظيم إن كنت كاذباً بالخطر الصغير إن كنت صادقاً . فحَبَسَهُ وأمر بالإحسان إليه حتى تبيّنت له هزيمة القوم ، فكتب إلى عبد الملك :

أما بعد ، فإنى أنصير أمير المؤمنين أكرمه الله أنى بعثت عبد العزيز بن عبد الله فى طلب الخوارج ، وأنهم لقوه بفارس ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزم عبد العزيز لما انهزم عنه الناس ، وقتل مقاتل بن ميمسح ، وقلم القتل إلى الأهواز . أحببت أن أعلم أمير المؤمنين ذلك ليأتى رأيه وأمره أنزل عنده إن شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله .

(١) ب ، ف : « وقال : فقال له المهلب » . (٢) كلنا فى ا ، ق ط ويهديك .

(٣) ب ، ف : « ما حاجتك » . (٤) ب ، ف : « من » .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

أما بعد ، فقد قَدِمَ رَسُولُكَ فِي كِتَابِكَ ، تُعَلِّمُنِي فِيهِ بِعَمَلِكَ أَخَاكَ عَلَى قِتَالِ الْخَوَارِجِ ، وَبِهَزِيمَةِ مَنْ هُزِمَ ، وَقَتْلِ مَنْ قُتِلَ ، وَسَأَلْتُ رَسُولَكَ عَنْ مَكَانِ الْمُهَلَّبِ ، فَحَدَّثَنِي أَنَّهُ عَامِلٌ لَكَ عَلَى الْأَهْوَازِ ، فَقَبَّحَ اللَّهُ رَأْيَكَ حِينَ تَبَيَّنَتْ أَخَاكَ أَعْرَابِيًّا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ عَلَى الْقِتَالِ ، وَتَدَعَى الْمُهَلَّبُ إِلَى جَنْبِكَ يَجْعِي الْخِرَاجَ ، وَهُوَ الْمَيِّمُونُ النِّقْيِيَّةُ ، الْحَسَنُ السِّيَاسَةُ ، «البصير بالحرب» ، الْمُقَامِي لَهَا^(١) ، ابْنُهَا وَابْنُ أَبْنَائِهَا ! انْظُرْ أَنْ تَنْهَضَ بِالنَّاسِ حَتَّى تَسْتَقْبِلَهُمْ بِالْأَهْوَازِ وَمِنْ وَرَاءِ الْأَهْوَازِ . وَقَدْ بَحَثْتُ إِلَى يَشْرَ أَنْ يُمَدِّكَ بِجَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَإِذَا أَنْتَ لَقَيْتَ عَدُوَّكَ فَلَا تَعْمَلُ فِيهِمْ بِرَأْيٍ حَتَّى تُحْضِرَهُ الْمُهَلَّبُ ، وَتَسْتَشِيرَهُ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

فَشَقَّ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَسَّلَ رَأْيَهُ فِي بَعْثِ أَخِيهِ^(٢) وَتَرَكَ الْمُهَلَّبَ ، وَفِي أَنَّهُ لَمْ يَرْضَ رَأْيَهُ خَالِصًا حَتَّى قَالَ : أَحْضَرَهُ الْمُهَلَّبُ وَاسْتَشَرَهُ فِيهِ . ٨٢٦/٢

وَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى يَشْرَ بْنِ مَرْوَانَ :

أما بعد ، فَإِنِّي قَدْ كَتَبْتُ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَمْرُهُ بِالنَّهْضِ إِلَى الْخَوَارِجِ ، فَسَرَّحَ إِلَيْهِ خَمْسَةَ آلَافِ رَجُلٍ ، وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ قِبَلِكَ تَرْضَاهُ ، فَإِذَا قَضَوْا غَزَاتِهِمْ تِلْكَ صَرَفْتَهُمْ إِلَى الرَّيِّ فَقَاتَلُوا عَدُوَّهُمْ ، وَكَانُوا فِي مَسَالِحِهِمْ ، وَجَبُّوا فِيهِمْ حَتَّى تَأْتِيَ أَيَّامَ عَقِبِهِمْ فَتُعْقِبِهِمْ^(٣) وَتَبْعَ آخِرِينَ مَكَانَهُمْ .

فَقَطَعَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ خَمْسَةَ آلَافٍ ، وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْأَشْعَثِ ، وَقَالَ : إِذَا قَضَيْتَ غَزَاتَكَ هَذِهِ فَانْصَرَفْ إِلَى الرَّيِّ . وَكُتِبَ لَهُ عَلَيْهَا عَهْدًا . وَخَرَجَ خَالِدٌ بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ حَتَّى قَدِمَ الْأَهْوَازَ ، وَجَاءَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ يَبْعَثُ أَهْلَ الْكُوفَةِ حَتَّى وَافَاهُمْ بِالْأَهْوَازِ ،

(١-١) ب ، ف : «المقامي للحرب» . (٢) ب ، ف : «بني أخيه» .

(٣) س : «تُعقبهم» .

وجاءت الأزارقة حتى دنتوا من مدينة الأهواز ومن مُعسكر القوم ، وقال المهلب لخالد بن عبد الله : إني أرى هاهنا سُقُناً كثيرة ، فضمَّها إليك ، فوالله ما أظنُّ القومَ إلَّا مُحَصِّريها . فابث إلا ساعةً حتى ارتفعت خيلٌ من خيلهم إليها فحرقتُها . وبعث خالد بن عبد الله على ميمته المهلب ، وعلى ميسرته داود بن قحذم من بني قيس بن ثعلبة ، ورمَّ المهلب على عبد الرحمن بن محمد ولم يُخندق ، فقال : يابن أخى ، ما يَمْنَعُكَ من الخندق ! فقال : والله لهم أهونٌ على من ضُرْطَةُ الجَمَل^(١) ، قال : فلا يَهْزُونَا عليك يابن أخى ، فإنَّهم سباعُ العرب ، لا أبرح أو^(٢) تضرب عليك خندقاً ، ففعل .

وبلغ الخوارج قول عبد الرحمن بن محمد لهم : «أهونٌ على من ضُرْطَةُ الجمل» ، فقال شاعرهم :

يا طالبَ الحقِّ لا تُسْتَهْوَ بِالْأَمَلِ فَإِنَّ مِنْ دُونِ مَا يَهْوَى مَدَى الْأَجَلِ
وَأَعْمَلْ لِرَبِّكَ وَأَسْأَلْهُ مَثْوِيَّتَهُ فَإِنَّ تَقْوَاهُ فَاعْلَمْ أَفْضَلَ الْعَمَلِ
وَغَزُ الْمَخَانِيثِ فِي الْمَاضِي مُعْلِمَةٌ^(٣) كَمَا تُصَبِّحُ غَدَاً ضُرْطَةُ الْجَمَلِ

فأقاموا نحواً من عشرين ليلةً . ثمَّ إنَّ خالداً زحف إليهم بالناس ، فأروا أمراً هالماً من عدَدِ الناس وعُدَّتِهِمْ ، فَأَخَذُوا يَنْحَازُونَ ، واجترأ عليهم الناس ، فكثرت عليهم الخيل ، وزحف إليهم فانصرفوا كأنَّهم على حامية وهم مولون لا يرون لهم طاقة بقتال جماعة الناس ، وأتبعهم خالد بن عبد الله داود بن قحذم في جيش من أهل البصرة ، وانصرف خالد إلى البصرة ، وانصرف عبد الرحمن بن محمد إلى الرِّى وأقام المهلب بالأهواز ، فكتب خالد بن عبد الله إلى عبد الملك :

أما بعد ، فإني أنخبر أمير المؤمنين أصلحه الله أني خرجتُ إلى الأزارقة الذين مرقوا من الدين ، وخرجوا من ولاية المسلمين ، فالتقينا بمدينة الأهواز

(١) الميقات ٢ : ٤٠٩ (٢) ب ، ف ، د : حتى .

(٣) ١ : «مصلحة» .

فَتَاهَضْنَا فَاقْتُلْنَا كَأَشَدَّ قَتَالَ كَانَ فِي النَّاسِ . ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ نَصْرَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَضَرَبَ اللَّهُ وُجُوهَ أَعْدَائِهِ ، فَاتَّبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَهُمْ ، وَلَا يَسْتَعِينُونَ وَلَا يَمْتَنِعُونَ ، وَأَفَاءَ اللَّهُ مَا فِي عَسْكَرِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ ٨٢٨/٢ أَتَبَتْهُمْ دَاوُدُ بْنُ قَحْطَمَ ، وَاللَّهُ إِنْ شَاءَ مَهْلِكُهُمْ وَمُسْتَأَصِلُهُمْ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ .

فَلَمَّا قَدِمَ هَذَا الْكِتَابُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى بَشْرِ ابْنِ مَرْوَانَ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَابْعَثْ مِنْ قَبْلِكَ رَجُلًا شَجَاعًا بَصِيرًا بِالْحَرْبِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ فَارِسَ ، فَلْيَسِيرُوا إِلَى فَارِسَ فِي طَلَبِ الْمَارِقَةِ ، فَإِنَّ خَالِدًا أَكْتُبُ إِلَيْكَ يَخْبِرُنِي أَنَّهُ قَدْ بَعَثَ فِي طَلِبِهِمْ دَاوُدُ بْنُ قَحْطَمَ ، فَرُّ صَاحِبِكَ الَّذِي تَبِعْتَ أَلَّا يُخَالَفَ دَاوُدُ بْنُ قَحْطَمَ إِذَا مَا اتَّقَيَا ، فَإِنَّ اخْتِلَافَ الْقَوْمِ بَيْنَهُمْ عَوْنٌ لَعَدُوِّهِمْ عَلَيْهِمْ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ .

فَبَعَثَ بَشْرُ بْنُ مَرْوَانَ عَتَّابَ بْنَ وَرْقَاءَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ فَارِسَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَخَرَجُوا حَتَّى اتَّقَوْا هُمُ وَدَاوُدُ بْنُ قَحْطَمَ بِأَرْضِ فَارِسَ ، ثُمَّ اتَّبَعُوا الْقَوْمَ يَطْلُبُونَهُمْ حَتَّى نَفَقَتْ خِيُولُ حَامَتِهِمْ ، وَأَصَابَهُمُ الْجَهْدُ وَالْجُوعُ ، وَرَجَعَ حَامَةٌ ذَيْنِكَ الْجَيْشَيْنِ مُشَاةً إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَقَالَ ابْنُ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ - مِنْ بَنِي غَزْوَمَ - فِي هَزِيمَةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَفِرَارِهِ عَنْ أَمْرَأَتِهِ :

عَبْدَ الْعَزِيزِ فَضَحَّتْ جَيْشَكَ كُلَّهُمْ وَتَرَكْتَهُمْ صَرَعَى بِكُلِّ سَبِيلٍ ^(١)
مَنْ بَيْنَ ذِي عَطَشٍ يَجُودُ بِنَفْسِهِ وَلَمَحَبٍ بَيْنَ الرُّجَالِ قَتِيلٍ ^(٢)
هَلَّا صَبِرْتَ مَعَ الشَّهِيدِ مَقَاتِلًا إِذْ رُحْتَ مَنَتَكُ الثَّوَى بِأَصِيلِ
وَتَرَكْتَ جَيْشَكَ لَا أَمِيرَ عَلَيْهِمْ فَارْجِعْ بِعَارٍ فِي الْحَيَاةِ طَوِيلِ ٨٢٩/٢
وَنَسِيتَ عِزَّكَ إِذْ تُقَادُ سَبِيَّةً تُبْكِي الْعَيْنَ بَرْنَةً وَعَوِيلِ

* * *

[خروج أبي فُدَيْك الخارِجِيّ وغلبته على البحرين]

وفي هذه السنة كان خروج أبي فُدَيْك الخارِجِيّ ، وهو من بني قَيْسِ ابنِ ثعلبة ، فغلب على البحرين ، وقتل نجدة بن عامر الحنَسيّ ، فاجتمع على خالد بن عبد الله نزول قطَريّ الأهوازيّ وأمرُ أبي فُدَيْك ، فبعث أخاه أميّة بن عبد الله على جُنْد كثيف إلى أبي فُدَيْك ، فهزمه أبو فُدَيْك ، وأخذ بجارية له فاتخذها لنفسه ، وسار أميّة على فرس له حتّى دخل البصرة في ثلاثة أيّام ، فكتب خالد إلى عبد الملك بحاله وحال الأزارقة .

* * *

[خبر توجيه عبد الملك الحجاج لقتال ابن الزبير]

وفي هذه السنة وجّه عبدُ الملك الحجاجُ بن يوسف إلى مكة لقتال عبد الله ابن الزبير ، وكان السبب في توجيهه الحجاجُ إليه دون غيره — فيما ذكر — أن عبد الملك لما أراد الرجوع إلى الشام ، قام إليه الحجاجُ بن يوسف فقال : يا أمير المؤمنين ، إني رأيتُ في منامِي أني أخذتُ عبدَ الله بن الزبير فسلّخته ، فأبعثني إليه ، وولّيتُ قتاله . فبعثه في جيش كثيف من أهل الشام ، فسار حتّى قدِم مكة ، وقد كتب إليهم عبدُ الملك بالأمان إن دخلوا في طاعته . فحدثني الحارثُ ؛ قال : حدثني محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا مُصعب بن ثابت ، عن أبي الأسود ، عن عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال : بعث عبدُ الملك بن مروان حين قُتِل مُصعب ابن الزبير الحجاجُ بن يوسف إلى ابن الزبير بمكة ، فخرج في ألفين من جُنْد أهل الشام في جمّادى من سنة اثنتين وسبعين ، فلم يَعرِض للمدينة ، وسلك طريقَ العراق ، فزَل بالطائف ، فكان يَبْعَثُ البُعُوثَ إلى عَرَقة في الخيل^(١) ، ويبعث ابن الزبير بَعَثًا فيقتلون هنالك ، فكلّ ذلك تَهَزَم خيل ابن الزبير وتَرجع خيلُ الحجاج بالطَّغَر . ثمّ كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في حصار ابن الزبير ودخول الحرم عليه ، ويخبره أن

(١) كذا في أ ، ب ، ف وفي ط : « الخيل » .

شوكته قد كسّت، وتفرّق عنه عامّة أصحابه، ويسأله أن يمدّه برجال، فجاءه كتابُ عبد الملك، وكتب عبد الملك إلى طارق بن عسّرو يأمره أن يكمّحق بمن معه من الجنّد بالحجّاج، فسار في خمسة آلاف من أصحابه حتّى لحق بالحجّاج. وكان قدومُ الحجّاج الطائف في شعبان سنة اثنتين وسبعين. فلمّا دخل ذو القعدة رحّل الحجّاج من الطائف حتّى نزل بئر ميمون وحصر ابن الزبير.

حجّ الحجّاجُ بالناس في هذه السنة، وابن الزبير محصور، وكان قدومُ طارق منكمّة للال ذى الحجّة، ولم يطفُ بالبيت، ولم يصل إليه وهو مُحرم، وكان يلبس السلاح، ولا يقرب النساء ولا الطيب إلى أن قُتل عبد الله بن الزبير. ونحر ابنُ الزبير بُدُنًا بمكّة يوم النحر، ولم يحجّ ذلك العام ولا أصحابه لأنهم لم ينفوا بعرفة.

قال محمد بنُ عمر: حدّثنى سعيد بنُ مسيلم بن بابك، عن أبيه، قال: حجّجتُ في سنة اثنتين وسبعين ففقدنا مكّة، فدخلناها من أعلاها، فنجدُ أصحابَ الحجّاج وطارق فيما بين الحَجّون إلى بئر ميمون، فطفنا بالبيت وبالصفاء والمرّة، ثمّ حجّ بالناس الحجّاج، فرأيتُه واقفاً بالهَضَبَات من عرّة على فرس، وعليه الدرع والمِغْفَر، ثمّ صدّر فرأيتُه عندك إلى بئر ميمون، ولم يطفُ بالبيت وأصحابه مسلّحون، ورأيتُ الطّعام عندهم كثيرًا، ورأيتُ العير تأتي من الشام تحمل الطّعام؛ الكمك والسيّوق والدّقيق؛ فرأيتُ أصحابه مخاصيب، ولقد ابتعنا من بعضهم كعكًا بدرهم، فكفنا إلى أن بلكنا الجُحفة وإنّا لثلاثة نفر.

قال محمد بن عمر: حدّثنى مصعب بن ثابت، عن نافع مولى بني أسد، قال: — وكان عالمًا بفتنة ابن الزبير — قال: حُصر ابنُ الزبير ليلة هلال ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين.

[أمر عبد الله بن خازم السلمي مع عبد الملك]

وفي هذه السنة كتب عبد الملك إلى عبد الله بن خازم السلمي يدعوهُ إلى بَيْعَتِهِ وَيُطْعِمُهُ خُرَّاسَانَ سَبْعَ سِنِينَ ، فَذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ أَنَّ الْمُفَضَّلَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَبُحَيٍّ بْنَ طُفَيْلٍ وَزُهَيْرَ بْنَ هُنَيْدٍ حَدَّثُوهُ - قَالَ : وَفِي خَبَرٍ بَعْضُهُمْ زِيَادَةً عَلَى خَبَرٍ بَعْضٌ - أَنَّ مُصْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ قُتِلَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ بِأَبْرَشْهَرٍ يُقَاتِلُ بِحَيْرِ بْنِ وَرْقَاءَ الصَّرَمِيِّ صُرَيْمَ بْنَ الْحَارِثِ ؛ فَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُرْوَانَ إِلَى ابْنِ خَازِمٍ ٨٢٢/٧
مَعَ سُورَةِ بَنِ أَشْثِمِ التَّمِيمِيِّ : إِنَّ لَكَ خُرَّاسَانَ سَبْعَ سِنِينَ عَلَى أَنْ تُبَايِعَ لِي .
فَقَالَ ابْنُ خَازِمٍ لِسُورَةَ : لَوْلَا أَنْ أَضْرَبَ بَيْنَ بَنِي سُلَيْمٍ وَبَنِي عَامِرٍ لَقَتَلْتُكَ وَلَكِنْ كُلُّ هَذِهِ الصَّحِيفَةُ ، فَأَكْبَلَهَا .

قال : وقال أبو بكر بن محمد بن واسع : بل قدِمَ بعهد عبد الله بن خازم سَوَادَةُ بْنُ عُيَيْدٍ اللَّهِ التَّمِيمِيِّ .

وقال بعضهم : بعث عبد الملك إلى ابن خازم سِنَانُ بْنُ مَكْمَلٍ الْغَسَوِيُّ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنَّ خُرَّاسَانَ طُعْمَةٌ لَكَ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ خَازِمٍ : إِنَّمَا بَعَثَكَ أَبُو الذُّبَّانُ (١) لِأَنَّكَ مِنْ غَنِيِّ ، وَقَدْ عَظِمَ أَتَى لَا أَقْتُلُ رَجُلًا مِنْ قَيْسٍ ، وَلَكِنْ كُلُّ كِتَابَةٍ .

قال : وَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى بَكْرِ بْنِ وَشَّاحٍ أَحَدِ بَنِي عَوْفٍ بْنِ سَعْدٍ - وَكَانَ خَلِيفَةُ ابْنِ خَازِمٍ عَلَى مَرَوْ - بِعَهْدِهِ عَلَى خُرَّاسَانَ وَوَعَدَهُ وَمَنَّاهُ ، فَخَلَعَ بَكْرُ بْنُ وَشَّاحٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ، وَدَعَا إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُرْوَانَ ، فَأَجَابَهُ أَهْلُ مَرَوْ ، وَبَلَغَ ابْنُ خَازِمٍ فَخَافَ أَنْ يَأْتِيَهُ بِكَثِيرٍ بِأَهْلِ مَرَوْ ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ أَهْلُ مَرَوْ وَأَهْلُ أَبْرَشْهَرٍ ، فَتَرَكُ بِحَيْرًا ، وَأَقْبَلَ إِلَى مَرَوْ يَرِيدُ أَنْ يَأْتِيَ ابْنَهُ بِالتَّرْمِذِ ، فَأَتْبَعَهُ بِحَيْرٍ ، فَلَحَقَهُ بِقَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا بِالْفَارَسِيَّةِ : «شَاهْمِغْد» ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَرَوْ ثَمَانِيَةَ فَرَسَخٍ .

قال : فَقَاتَلَهُ ابْنُ خَازِمٍ ، فَقَالَ مُوَلَّى ابْنِي لَيْثُ : كُنْتُ قَرِيبًا مِنْ مَعْرَكِ

القوم في منزل ، فلما طلعت الشمس نهّيج العسكران ، فجعلتُ أسمع وقع السيوف ، فلما ارتفع النهار خفيت الأصوات ، فقلتُ : هذا لارتفاع النهار ، ٨٣٢/٢ فلما صليت الظهر - أو قبل الظهر - خرجتُ ، فطلقاني رجلٌ من بني تميم ، فقلتُ : ما الخبر ؟ قال : قتلُ علو الله ابن خازم وما هو ذا ، وإذا هو محمول^(١) على بغل ، وقد شدوا في مئذنة كبيرة حبلاً وجحراً وعدلوه به على البغل .

قال : وكان الذي قتله وكيع بن عُميرة القريني وهو ابن الدؤرقيّة ، اعتور عليه بجير بن ورقاء وعمار بن عبد العزيز الجشمي وكيع ، فطعنوه فصرّ عوه ، فقع وكيع على صدره فقتله ، فقال بعض الولاة لو كيع : كيف قتل ابن خازم ؟ قال : غلبته بفضل القنا ، فلما صرع قعدت على صدره ، فحاول الليام فلم يقدر عليه ، وقلتُ : يا لثارات دؤيلة ! ودؤيلة أخ لو كيع لأمته ، قُتِل قبل ذلك في غير تلك الأيام .

قال وكيع : فتخخّم في وجهي وقال : لعنك الله ! تقتل كبش مفصر ، بأخيك ، علج لا يساوي كفّاً من نوى - أو قال : من تراب - فما رأيت أحداً أكره ريقاً منه على تلك الحال عند الموت .

قال : فذكر ابن هُبيرة يوماً هذا الحديث فقال : هذه والله البسالة . قال : وبعث بجير ساعة قُتِل ابن خازم رجلاً من بني عُلدانة إلى عبد الملك ابن مروان يخبره بقتل ابن خازم ، ولم يبعث بالرأس ، وأقبل بكير بن وشاح في أهل مرو فوافاهم حين قتل ابن خازم ، فأراد أخذ رأس ابن خازم ، فنتعه بجير ، فصر به بكير يعمود ، وأخذ الرأس وقبّله بجيراً وجسه ، وبعث بكير ٨٣٤/٢ بالرأس إلى عبد الملك ، وكتب إليه يخبره أنّه هو الذي قتله ، فلما قدّم بالرأس على عبد الملك دعا العُلداني رسول بحير وقال : ما هذا ؟ قال : لا أدري ، وما فارقتُ القوم حتّى قُتِل ، فقال رجل من بني سليم :

أَلَيْتَنَا بَنِي سَابُورَ رُدِّي عَلَى الصَّبْحِ وَيَحْكُ أَوْ أُنِيرِي
كُوا كِبْهَا زَوَاجِفُ لَا غِيَاتُ كَأَنَّ سَمَاعَهَا بِيَدِي مُبِيرِ

تَلَوُّمٌ عَلَى الْحَوَادِثِ أُمُّ زَيْدٍ
جَهَنانُ كَرَامَتِي وَصَلَدَتْ عَنِّي
فَلَوْ شَهِدَ الْقَوَارِئُ مِنْ سُلَيْمٍ
لِنَازَلِ حَوْلِهِ قَوْمٌ كِرَامٍ
فَقَدْ بَقِيَتْ كِلَابٌ نَابِحاتُ
وما في الأرض بعنك من زئيرٍ
وهل للوفي الحوادث من نكيرٍ!
إلى أجل من الدنيا قصير
غَدَاةٌ يُطَافُ بِالْأَسَدِ الْعَبِيرِ
فَقَرَّ الْوَتَرُ فِي طَلَبِ الْوَتُورِ
فَوَيْلٌ لِمَنْ يَلْبِسُ نَابِحاتُ
وما في الأرض بعنك من زئيرٍ

فَوَيْلٌ لِمَنْ يَلْبِسُ نَابِحاتُ
وما في الأرض بعنك من زئيرٍ

وكان العامل على المدينة طارقٌ مولى عثمان من قبيل عبد الملك، وعلى الكوفة
بِشْرُ بْنُ مُروان، وعلى قضائها عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَةَ بْنِ مسعود.
وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى قضائها هشام
ابن هبيرة. وعلى خراسان في قول بعضهم عبد الله بن خازم السلمي،
وفي قول بعض: بكير بن وشاح. وزعم من قال: كان على خراسان
في سنة اثنتين وسبعين عبد الله بن خازم أن عبد الله بن خازم إنما قتل
بعد ما قتل عبد الله بن الزبير، وأن عبد الملك إنما كتب إلى عبد الله بن خازم
يدعوه إلى الدخول في طاعته على أن يُطْعِمَهُ خُرَّاسانَ عَشْرَ سَنِينَ بعد ما قتل
عبد الله بن الزبير، وبعث برأسه إليه، وأن عبد الله بن خازم حلفَ لِمَا
ورد عليه رأس عبد الله بن الزبير ألا يُعْطِيَهُ طَاعَةً أَبَدًا، وأنه دعا
بطست ففُتِلَ رأس ابن الزبير، وحسَّطَه وكفَّته، وصلى عليه، وبعث به
إلى أهل عبد الله بن الزبير بالمدينة، وأطعم الرسول الكتاب، وقال: لولا أنك
رسولٌ لضربت عنقك. وقال بعضهم: قطع يديه ورجليه وضرب عنقه.

٨٣٥/٧

فصل نذكر فيه الكتاب من بدء أمر الإسلام^(١)

روى هشام وغيره أن أول من كتب من العرب حرب بن أمية بن
عبد شمس بالعريضة، وأن أول من كتب بالفارسية بيوراسب، وكان في
زمان لإدريس. وكان أول من صنف طبقات الكتاب وبيتنا منازلهم لهراسب
ابن كاوغان بن كيموس.

(١) هذا الفصل ساقط من ١.

وحكى أن أبرويز قال لكاتبه : إنما الكلام أربعة أقسام :
سؤالك الشيء ، وسؤالك عن الشيء ، وأمرك بالشيء ، وخبرك عن ٨٣٦/٢
الشيء ؛ فهذه دعائم المقالات إن التمس لها خامس لم يوجد ، وإن نقص
منها رابع لم تنم ، فإذا طلبت فأسجح ، وإذا سألت فأوضح ، وإذا أمرت
فأحسم ، وإذا أخبرت فحقق .
وقال أبو موسى الأشعري : أول من قال : أما بعدُ داود ، وهي فصل
الخطاب الذي ذكره الله عنه .
وقال الهيثم بن عدي : أول من قال : أما بعدُ قس بن ساعدة
الإيادي .

أسماء من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم
على بن أبي طالب عليه السلام وعثمان بن عفان ، كانا يكتبان الرحي ،
فإن غابا كتبه أبي بن كعب وزيد بن ثابت .
وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين
يديه في حوائجه .
وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يثوث والجللاء بن عتبة يكتبان بين
القوم في حوائجهم ، وكان عبد الله بن الأرقم ربما كتب إلى الملوك عن النبي
صلى الله عليه وسلم :

[أسماء من كان يكتب للخلفاء والولاة]

وكتب لأبي بكر عثمان ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن الأرقم
وعبد الله بن خنيس الخزاعي ، وحظلة بن الربيع .
وكتب لعمر بن الخطاب زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الأرقم ،
وعبد الله بن خنيس الخزاعي أبو طلحة الطلحات على ديوان البصرة ،
وكتب له على ديوان الكوفة أبو جسيمة بن الضحاك الأنصاري .
وقال عمر بن الخطاب لكتابه وعمله : إن القوة على العمل الآ .

تَوَجَّهُوا إِلَى الْيَوْمِ لَعْنَةً ، فَإِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ تَفَاءَلَيْتُمْ^(١) عَلَيْكُمْ الْأَعْمَالُ ،
٨٣٧/٢ فَلَا تَدْرُونَ بِأَيِّهَا تَبْلُغُونَ ، وَأَيُّهَا تَأْخُذُونَ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دُونَ اللَّهِ وَأَوَّلِينَ
فِي الْعَرَبِ فِي الْإِسْلَامِ .

وكان يَكْتُبُ لِعِمَّانَ مِرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، وكان عَبْدُ الْمَلِكِ يَكْتُبُ لَهُ
عَلَى دِيْوَانِ الْمَدِينَةِ ، وَأَبُو جَبْرِ الْأَنْصَارِيُّ عَلَى دِيْوَانِ الْكُوفَةِ ، وكان أَبُو غُظْفَانَ
ابْنُ عَوْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ دِينَارٍ مِنْ بَنِي دُمُهَانَ مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ يَكْتُبُ لَهُ ،
وكان يَكْتُبُ لَهُ أَهْبُ مَوْلَاهُ ، وَحِرَانُ^(٢) مَوْلَاهُ .

وكان يَكْتُبُ لَعْلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَعِيدُ بْنُ نُمَيْرَانَ الْمَدَنِيِّ ، ثُمَّ وَلَّى
قَضَاءَ الْكُوفَةِ لَابِنَ الزَّيْرِ . وكان يَكْتُبُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَرَوَى أَنَّ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَبْرِ كَتَبَ لَهُ . وكان عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ يَكْتُبُ لَهُ . واخْتَلَفَ
فِي اسْمِ أَبِي رَافِعٍ ، فَقِيلَ : اسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ ، وَقِيلَ : أَسْلَمُ ، وَقِيلَ : سَنَانٌ ، وَقِيلَ :
عَبْدُ الرَّحْمَنِ .

وكان يَكْتُبُ لِمَعَاوِيَةَ عَلَى الرِّسَالِ عُبَيْدُ^(٣) بْنُ أَوْسٍ الْغَسَّانِيُّ .
وكان يَكْتُبُ لَهُ عَلَى دِيْوَانِ الْخُرَاجِ سَرْجُونُ بْنُ مَنْصُورٍ الرَّوِّى . وَكَتَبَ لَهُ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ دَرَّاجٍ ، وَهُوَ مَوْلَى مَعَاوِيَةَ ، وَكَتَبَ عَلَى بَعْضِ دَوَائِنِهِ
عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ نَصْرِ بْنِ الْحِجَّاجِ بْنِ عِلَّاءِ السُّلَمِيِّ .

وكان يَكْتُبُ لِمَعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ الرِّيَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ ، وَيَكْتُبُ لَهُ عَلَى
الدِّيْوَانِ سَرْجُونُ . وَيُرْوَى أَنَّهُ كَتَبَ لَهُ أَبُو الزَّعْبَرِ زَعْرَةَ .

وَكَتَبَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مِرْوَانَ قَبِيصَةُ بْنُ ذُوَيْبِ بْنِ حَكْلَجَةَ الْخُرَاعِي ،
وَيُكْتَبُ أَبَا إِسْحَاقَ . وَكَتَبَ عَلَى دِيْوَانِ الرِّسَالِ أَبُو الزَّعْبَرِ زَعْرَةَ^(٤)
مَوْلَاهُ .

وكان يَكْتُبُ لِلْوَلِيدِ الْقَصَّاعُ بْنُ خَالِدٍ — أَوْ خَلِيدِ الْعَبْسِيُّ ، وَكَتَبَ لَهُ عَلَى
دِيْوَانِ الْخُرَاجِ سَلْيَانُ بْنُ سَعْدِ الْخُشْنِيِّ ، وَعَلَى دِيْوَانِ الْخَاتَمِ شُعَيْبُ

(١) تَلَاَجَتِ الْأَعْمَالُ : اجْتَمَعَتْ وَتَرَكَتْ .

(٢) ط : « عِرَان » ، وَانْظُرِ الْقَهْرَسَ .

(٣) ط : « عُبَيْدُ اللَّهِ » ، وَانْظُرِ الْقَهْرَسَ .

(٤) ب : « الزَّعْبَرِ زَعْرَةَ » .

المُصَلَّقِي مولاة ، وعلى ديوان الرسائل جناح مولاة ، وعلى المستغلات نُفَّح ٨٣٨/٧
ابن ذؤيب مولاة .

وكان يكتب لسليان سليمان بن نعيم الحميري .

وكان يكتب لمسلمة جميع مولاة ، وعلى ديوان الرسائل الليث بن أبي ربيعة
مولي أم الحكم بنت أبي سفيان ، وعلى ديوان الخراج سليمان بن معد
الخشني ، وعلى ديوان الخاتم نعيم بن سلامة مولي لأهل اليمن من
فلسطين ؛ وقيل : بل رجاء بن حيوة كان يتقلد الخاتم .

وكان يكتب ليزيد بن المهلب المغيرة بن أبي قرة .

وكان يكتب لعمر بن عبدالعزيز الليث بن أبي ربيعة^(١) مولي أم الحكم
بنت أبي سفيان ، ورجاء بن حيوة . وكتب له إسماعيل بن أبي حكيم مولي الزبير ،
وعلى ديوان الخراج سليمان بن سعد الخشني ، وقلد مكانه صالح بن
جبير الغساني — وقيل : الغدائي — وعدي بن الصباح بن المنى ، ذكر
المهيم بن عدي أنه كان من جلة كتّابه .

وكتب ليزيد بن عبد الملك قبل الخلافة رجل يقال له يزيد بن عبد الله ،
ثم استكتب أسامة بن زيد السليحي .

وكتب هشام سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الكلبي الأبرش ،
ويكنى أبا غناش ، وكان نصر بن سيار يتقلد ديوان خراج خراسان
لهشام . وكان من كتّابه بالرصافة شعيب بن دينار .

وكان يكتب للوليد بن يزيد بكير بن السماخ ، وعلى ديوان الرسائل سالم
مولي سعيد بن عبد الملك ، ومن كتّابه عبد الله بن أبي عمرو ، ويقال :
عبد الأعلى بن أبي عمرو ، وكتب له علي الجضرة عمرو بن عتبة . (٨٣٩/٢)

وكتب ليزيد بن الوليد الناقص عبد الله بن نعيم ، وكان عمرو
ابن الحارث مولي بني جُمَح يتولى له ديوان الخاتم ، وكان يتقلد له ديوان

(١) ط : « ابن أبي قرة » ، وانظر تصويبات ط .

الرسائل ثابتُ بنُ سليمانُ بنُ سعلانِ الخُشَنِيّ - ويقالُ الرِّبيعُ بنُ عرعة الخُشَنِيّ -
وكان يُقلِّدُ له الحِراجَ والدِّيوانَ الذي للخاتَمِ الصَّغيرِ النَّصْرُ بنُ عَمْرٍو مِن
أهلِ اليَمَنِ .

وَكَتَبَ لإِبْرَاهِيمَ بنِ الوليدِ ابنُ أبي جُمعة ، وكان يُقلِّدُ له الديوانَ
بِفِلَسْطِينَ ، وبابِغِ النَّاسِ إِبْرَاهِيمَ - أَعْنَى ابنَ الوليدِ - سَوَى أَهْلِ حِمَصَ ،
فَلِإِنِّهِمْ بَايَعُوا مِرْوَانَ بنَ مُحَمَّدٍ الجَعْدِيّ .

وَكَتَبَ لِمِرْوَانَ عبدُ الحَمِيدِ بنُ يَحْيَى مولى العلاءِ بنِ وَهْبِ العامريّ ،
وَمُصْعَبُ بنِ الرِّبيعِ الخُثَعَمِيّ ، وَزِيَادُ بنُ أَبِي الوَرْدِ . وعلى ديوانِ الرسائلِ
عِثَانُ بنُ قَيْسِ مولى خالِدِ القَسْرِيّ . وكان من كُتَّابِهِ مَخْلَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ
الحارثِ - وَيُكْنَى أَبَا هاشِمٍ - ومن كُتَّابِهِ مُصْعَبُ بنِ الرِّبيعِ الخُثَعَمِيّ ،
وَيُكْنَى أَبَا مَوْسَى . وكان عبدُ الحَمِيدِ بنُ يَحْيَى من البلاغةِ في مكانِ مَكِينِ ،
ومَا اخْتَصِرَ له من الشعرِ :

تَرَحَّلَ مَا لَيْسَ بِالْقَافِلِ وَأَعْقَبَ مَا لَيْسَ بِالزَّائِلِ
فَلَهْفَى عَلَى الْخَلْفِ النَّازِلِ وَلَهْفَى عَلَى السُّلْفِ الرَّاحِلِ
أَبْكَيْ عَلَى ذَا وَأَبْكِي لَذَا بَكَاءَ مُؤَلَّهٍ ثَاكِلِ
تُبْكِي مِنْ أَبْنِ لَهَا قَاطِعٍ وَتَبْكِي عَلَى أَبْنِ لَهَا وَاصِلِ
فَلَيْسَتْ تَفْتَرُّ عَنْ عَبْرَةٍ لَهَا فِي الضَّمِيرِ مِنْ هَامِلِ
تَقَضَّتْ غَوَايَاتُ سُكْرِ الصَّبِيِّ وَرَدَّ التَّقَى عَنَّا الْبَاطِلِ

٨٤٠/٢

وَكَتَبَ لِأَبِي الْعَبَّاسِ خَالِدُ بنُ بَرْمَكٍ ، ودفعَ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنَتَهُ رَيْطَةَ
إِلَى خَالِدِ بنِ بَرْمَكٍ حَتَّى أَرْضَعَتْهَا زَوْجَتُهُ أُمُ خَالِدِ بِنْتُ يَزِيدِ بَلْبَانَ بِنْتُ
لِخَالِدِ تُدْعَى أُمَّ يَحْيَى ، وَأَرْضَعَتْ أُمُ سَلَمَةَ زَوْجَةَ أَبِي الْعَبَّاسِ أُمَّ يَحْيَى
بِنْتُ خَالِدِ بَلْبَانَ ابْنَتَهَا رَيْطَةَ . وَقَلَّدَ دِيوانَ الرِّسَالِ صَالِحُ بنُ الْهَيْثَمِ مولى
رَيْطَةَ بِنْتُ أَبِي الْعَبَّاسِ .

وكتب لأبي جعفر المنصور عبد الملك بن حميد مولى حاتم بن
النعمان الباهلي من أهل خراسان ، وكتب له هاشم بن سعيد الجمقي
وعبد الأعلى بن أبي طلكحة من بني تميم بواسط . وروى أن سليمان بن
عجلان كان يكتب لأبي جعفر ، ومما كان يتمثل به أبو جعفر المنصور :

وما إن شفى نفساً كأمر صريمة إذا حاجة في النفس طال اعتراضها
وكتب له الربيع . وكان عمارة بن حمزة من نبلأ الرجال ، وله :

لا تشكرون دهرًا صححت به إن الفنى في صحة الجسم
هبك الإمام أكنت منتفعًا بغضار الدنيا مع السقم !
وكان يتمثل بقول عبد بنى الحسحاس :

أين أمة دمع العين مذروف لو أن ذامك قبل اليوم معروف^(١)
لا تبك عينك إن الدهر ذو غير فيه تفرق ذو ألف ومالوف
وكتب للمهدي أبو عبيد الله وأبان بن صلقه على ديوان رسائله ،
وعمد بن حميد الكاتب على ديوان جئنده ويعقوب بن داود ، وكان ٨٤١/٢
اتخذ على وزارته وأمره ، وله :

عجباً لتصرف الأمو ر مجبة وكراهية
والدهر يلعب بالرجا ل له دوائر جارية
ولابنه عبد الله بن يعقوب - وكان له عمدة ويعقوب ، كلاهما
شاعر مجيد :

وزع المشيب شراستى وغراى ومرى الجفون بمسبل سجام

(١) ديوانه ٦٢ ، ٦٣ ، بى أبيات ثلاثة روايتها هناك :

أين سمية دمع العين مذروف لو أن ذامك قبل اليوم معروف
المال مالكم والعبد عبدكم فهل عذابك عنى اليوم مصروف !
كانها يوم صدت ما تكلمنا ظي بعسفان ساجى الطرف مطروف

ولقد حَرَصْتُ بِأَنْ أُوَارِيَ شخصه عن مَقَلَّتِي فَرُمْتُ غَيْرَ مَرَامٍ
 وَصَبَغْتُ مَا صَبَغَ الزَّمَانُ فلم يَلَمْ صَبْغِي وَدَامَتْ صَبْغَةُ الْآيَامِ
 لَا تَبْعُدَنَّ شَبِيهَةً ذِيَالَةً فَارَقْتُهَا فِي سَالِفِ الْأَعْيَامِ
 مَا كَانَ مَا أَمْتَصَحَبْتُ مِنْ أَيَّامِهَا إِلَّا كِبْعُ طَوَارِقِ الْأَحْلَامِ
 وَلَا بِيَه :

طَلَّقَ الدُّنْيَا ثَلَاثًا وَأَتَّخِذَ زَوْجًا سِوَاهَا
 إِنَّهَا زَوْجَةٌ سَوَاءٌ لَا تُبَالِي مَنْ أَتَاهَا

واستوزر بعده القَيْثُضُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ ، وَكَانَ جَوَادًا .

وكتب للمهادي موسى عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ بْنُ أَبِي لَيْلَى وَمُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ .
 وسأل المهديَّ يَوْمًا أَبَا عُبَيْدٍ اللَّهِ عَنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ ، فَصَنَّفَهَا لَهُ ، فَقَالَ :
 ٨٤٢/٢ أَحْكُمُهَا قَوْلُ طَرْفَةِ بْنِ الْعَبْدِ :

أَرَى قَبْرَ نَحَامٍ بِخَيْلٍ بِمَالِهِ كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدٍ^(١)
 تَرَى جُثُوثَيْنِ مِنْ ثُرَابٍ عَلَيْهِمَا صَفَائِحُ صُمٍّ مِنْ صَفِيحٍ مَصْمَدٍ^(٢)
 أَرَى الْمَوْتَ يَغْتَامُ الْكَرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ^(٣)
 أَرَى الْعَيْشَ كَنْزًا نَاقِصًا كُلَّ لَيْلَةٍ وَمَا تَنْقُصُ الْآيَامُ وَاللَّهْرُ يَنْقَدُ
 لِعَمْرِكَ إِنْ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لِكَالطَّوْلِ الْمُرْخِي وَثْنِيَاهُ بِالْيَدِ^(٤)

وقوله :

وَقَدْ أَرَانَا كِلَانَا هَمَّ صَاحِبِهِ لَوْ أَنَّ شَيْئًا إِذَا مَا فَاتَنَا رَجَعَا
 وَكَانَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ فَفَرَّقَهُ دَهْرٌ يَكُرُّ عَلَى تَفْرِيقِ مَا جَمَعَا

(١) ديوانه ٥٢ - ٥٤ . (٢) الجذوتان ، مثنى جثوة ؛ وهي كومة التراب .

(٣) يهتم : يختار ؛ وكذلك يسطو . وعقيلة كل شيء : خيانه .

(٤) الطول : الحبل الذي يطوّل الدابة قَرَعَى بِهِ .

وقول لبيد :

أَلَا تَسْأَلَانِ المرءَ مَاذَا يُحَاوِلُ أَنْخَبُ فَيُقْفَى أَمْ ضَلَالٌ وَبَاطِلٌ^(١)
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ
أَرَى النَّاسَ لَا يَدْرُونَ مَا قَلْبُهُمْ أَمْرُهُمْ بَلَى كُلُّ ذِي رَأْيٍ إِلَى اللَّهِ وَاسِلٌ
وَقَوْلُ النَّابِغَةِ الْجَعْلِيِّ :

وَقَدْ طَالَ عَهْدِي بِالشَّبَابِ وَأَهْلِهِ وَلَا قِيَتُ رَوْعَاتِ تُشَيْبِ التَّوَاصِيَا^(٢)
فَلَمْ أَجِدِ الْإِخْوَانَ إِلَّا صَحَابَةً وَلَمْ أَجِدِ الْأَهْلِينَ إِلَّا مَثَاوِيَا
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ قَدْ رُزِئْتُ مُحَارِبًا فَمَا لَكَ مِنْهُ الْيَوْمَ شَيْءٌ وَلَا لِيَا
وَقَوْلُ هُدَيْبَةَ بْنِ خَشْرَمَ :

وَلَسْتُ بِمَفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَى وَلَا جَاذِعٍ مِنْ صَرْفِهِ التَّنْقَلِبِ^(٣)
وَلَا أَبْتَغِي الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكِي وَلَكِنْ مَتَى أَحْمَلُ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبِ^(٤) ٨٤٣/٢
وَمَا يَعْرِفُ الْأَقْوَامُ لِلدَّهْرِ حَقَّهُ وَمَا الدَّهْرُ مِمَّا يَكْرَهُونَ بِمُعْتَبِرِ
وَاللَّهْرُ فِي أَهْلِ الْفَتَى وَتِلَادِهِ نَصِيبٌ كَحَزِّ الْجَاذِرِ الْمُتَشَبِّرِ

وَقَوْلُ زِيَادَةَ بْنِ زَيْدٍ ؛ وَتَمَثَّلُ بِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ :

تَذَكَّرُ عَنْ شَحْطِ أُمَيْمَةَ فَارْعَوِي لَهَا بَعْدَ إِكْثَارٍ وَطُولٍ نَحِيبِ
وَلِإِنَّ امْرَأًا قَدْ جَرَّبَ الدَّهْرَ لَمْ يَخَفْ تَقَلُّبَ عَصْرِيهِ لَغَيْرِ لَبِيبِ
هَلِ الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى رَزِيئَةُ مَالٍ أَوْ فِرَاقُ حَبِيبِ
وَكُلُّ الذِّي يَبْقَى فَإِنَّتَ نَسِيئُهُ وَلَسْتُ لَشَيْءٍ ذَاهِبٍ بِنَسِيبِ

(١) ديوانه ٢٥٤ ، ٢٥٦ .

(٢) أبيات منها في الحماسة - بشرح المازني يرقى ٣٣٥ ، ٣٧٥ ، وأبيات منها أيضاً في

غزاة الأدب للبندقي ٢ : ١٢ ، ١٣ .

(٣) الكامل ٤ : ٨٦ ، مع اختلاف في الرواية . (٤) بعده في الكامل :

وَحَرَبْنِي مَوْلَايَ حَتَّى عَشِيَّتِهِ مَتَى مَا يَجْرُبُكَ ابْنُ عَمِّكَ تَحْرَبِ

وليس بعيداً ما يجيء كمقيل ولا ما مضى من مُفْرِح بقريب

وكقول ابن مقيل^(١) :

لَمَّا رَأَتْ بَدَلَ الشَّبَابِ بَكَتْ لَهُ وَالشَّيْبَ أَرَذَلُ هَذِهِ الْأَبْدَالِ
وَالنَّاسُ هَمُّهُمُ الْحَيَاةُ وَلَا أَرَى طَوْلَ الْحَيَاةِ يَزِيدُ غَيْرَ خَيَالِ
وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذُّخَايِرِ لَمْ تَجِدْ ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

ووزر له يحيى بن خالد . ووزر الرشيد ابنه جعفر بن يحيى بن خالد ،
فمن مكيح كلامه : الخط سمة الحكمة ، به تفصل شذورها ، وينظم
منثورها . قال ثمامة : قلت ليحضر بن يحيى : ما البيان ؟ فقال : أن يكون
الاسم محيطاً بمعناك ، مخبراً عن معتزك ، مُخرجاً من الشركة ، غير
مستعان عليه بالفكر . قال الأصمعي : سمعت يحيى بن خالد يقول :
الدنيا دُولٌ ، والمال عارية ، ولنا بمن قبلنا أسوة ، وقينا لمن بعدنا عبرة .
وفأني بتسمية باقي كتاب خلفاء بني العباس إذا انتهينا إلى الدولة العباسية
إن شاء الله تعالى .

(١) كذا في الأصول ؛ والأبيات من قصيدة للأخطل في ديوانه ١٥٩ - ١١٢ ، ومطلعا :

لَمَنْ الدِّيارُ بِجَابِلٍ فَوْعَالٍ دَرَسَتْ وَغَيْرَهَا مِثْنُونُ خَوَالٍ
ونسب المبرد في الكامل ٣ : ١٤ البيت الثالث إلى الخليل بن أحمد .

ذكر الكائن الذي كان فيها من الأمور الجليلة

[خبر مقتل عبد الله بن الزبير]

فمن ذلك مقتل عبد الله بن الزبير .

• ذكر الخبر عن صفة ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر . قال : حدثني إسحاق بن يحيى ، عن عبيد الله بن القبطية ، قال : كانت الحرب بين ابن الزبير والحجاج يبطن مكة ستة أشهر وسبع عشرة ليلة .

قال محمد بن عمر : وحدثني مصعب بن ثابت ، عن نافع مولى بني أسد — وكان عالماً بفطنة ابن الزبير — قال : حُصِرَ ابن الزبير ليلة هلال ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين وقتل لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، وكان حصر الحجاج لابن الزبير ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر : قال : حدثني إسحاق بن يحيى ، عن يوسف بن ماهك ، قال : رأيت المنجنيق يُرمى به ، فرعدت السماء وبرقت ، وعلا صوت الرعد والبرق على الحجارة ، فاشتعل عليها ، فأعظم ذلك أهل الشام ، فأمسكوا بأيديهم ، ٨٤٥/٢ فرفع الحجاج بركة قبائه فغرزها في منطقتة ، ورفع حجر المنجنيق فوضعه فيه ، ثم قال : ارموا ، ورمى معهم . قال : ثم أصبحوا ، فجاءت صاعقة تتبعها أخرى ، فقتلت من أصحابه اثنتي عشرة رجلاً ، فانكسر أهل الشام ، فقال الحجاج : يا أهل الشام ، لا تُنكروا هذا فإني ابن تيمامة ، هذه صواعق تيمامة ، هذا القتح قد حضر فأبشروا ، إن القوم يُصيبهم مثل ما أصابكم ، فصعقت من القد . فأصيب من أصحاب ابن الزبير عيدة ؛ فقال الحجاج : ألا ترون أنهم يصايرون وأنتم على الطاعة ، وهم على خلاف

الطاعة ! فلم تقولوا للزبير بن الزبير والحجاج حتى كان قبيل مقتله وقد تفرق عنه أصحابه ، وخرج عامة أهل مكة إلى الحجاج في الأمان .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني إسحاق بن عبيد الله^(١) . عن النضر بن جهم الأسدي ، قال : رأيت ابن الزبير يوم قُتل وقد تفرق عنه أصحابه وخلده من معه خذلاناً شديداً ، وجعلوا يخرجون إلى الحجاج حتى خرج إليه نحو من عشرة آلاف .

وذكر أنه كان ممن فارقوه وخرج إلى الحجاج ابنه حمزة وخبيب ، فأخذوا عنه لأنفسهما أماناً ، فلنجل على أمه أجمعاء - كما ذكر محمد بن عمر عن أبي الزناد ، عن مسروق بن سليمان الوالي ، وقال : دخل ابن الزبير على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم ، فقال : يا أمه ، خذني الناس حتى ولدي وأهلي . فلم يبق معي إلا اليسير ممن ليس عنده من الذهب أكثر من صبر ساعة ، والقوم يطعنوني ما أردت من الدنيا ، قال رأيك ؟ فقالت : أئتب والله يا بني ، أعلم بنفسك لا لكنت تعلم أنك على حتى ، وإليه تدعو قاضي له ، فقد قُتل عليه أصحابك ، ولا تسكن من بيتك يتعجب بها غلمان أمية ، وإن كنت إنما أردت الدنيا فليس العبد أنت ! أهلك نفسك ، وأهلك من قُتل معك ، وإن قلت : كنت على حتى فلماً ومن أصحابي ضعت ، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين ، وكف خلوك في الدنيا ! القتل أحسن . فدنا ابن الزبير قبيل رأسها وقال : هذا والله رأيي ، والذي قمت به داعياً إلى يوي هذا ما ركبت إلى الدنيا ، ولا أحببت الحياة فيها ، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمة ، ولكنني أحببت أن أعلم رأيك ، فزدني^(٢) ، بصيرة مع بصيرتي . فانظري يا أمه فإني مقتول من يوي هذا ، فلا يشتد حزنك ، وسكني الأمر لله ، فإن ابنك لم يتعمد إتيان^(٣) منكراً ، ولا عملاً بفاحشة ، ولم يجر في

(١) ط : عبيد ، ورواه من أ . (٢) ب : وبن ، أ ، ف : ومن .

(٣) ب ، ف : قد زدني . (٤) ب ، ف : إيتار .

حكم الله ، ولم يقدر في أمان ، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغني ظلم عن عُمالي فرضيتُ به بل أنكرته ، ولم يكن شيءٌ آثرَ عندي^(١) من ٨٤٧/٢
رضاً ربي . اللهم إني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي ، أنت أعلم بي ، ولكن أقوله تعزية لأمتي لتسلو عني . فقالت أمه : إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً إن تقدمتني ، وإن تقدمتك في نفسي ، أخرج حتى أنظر إلى ما بصير أمرك . قال : بجزاك الله يا أمه خيراً ، فلا تدعي الدعاء لي قبل وبعد . فقالت : لا أدعه أبداً ، فن قُتِلَ على باطل فقد قُتِلت على حق . ثم قالت : اللهم أرحم طول ذلك القيام في الليل الطويل ، وذلك النّحيب والظلمة في هَواجِرِ المدينة ومكة ، ويرى بآبيه وبني . اللهم قد سلمته لأمرِك فيه ، ورضيتُ بما قضيت ، فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين^(٢) .

قال مصعب بن ثَابِت : فما مكنتُ بعده إلاَّ عشراً ، ويقال : خمسة أيام .

قال محمد بنُ عمر : حدثني موسى بنُ يعقوب بن عبد الله ، عن عمه قال : دخل ابنُ الزبير على أمه وعليه الدرع والمِغْفَر ، فوقف فسلم ، ثم دنا فتناول يدها فقبلها^(٣) . فقالت : هنا وداع فلا تبعد ، قال ابنُ الزبير : جئت مودعاً ، إني لأرى هذا آخر يوم من الدنيا يمر بي ، وأعلمي^(٤) يا أمه أني إن قُتِلت فإنما أنا لحم لا يضرني ما صنع بي ، قالت : صلت يا بُنَيَّ ، أتمم على بصيرتك ، ولا تُمكن ابنَ أبي عَقِيل منك ، وادنُ مني أودعك ، فدنا منها فقبلها وعانقها ، وقالت حيث مسَّت الدرع : ما هذا ٨٤٨/٢
صنيعٌ من يريد ما تريد ! قال : ما ليستُ هذا الدرع إلا لأشدّ منك ، قالت العجوز : فإنه لا يشدّ مني ، فنزعها ثم أدرج كميته ، وشدّ أسفل قميصه ، وجبةً خبز تحت القميص فأدخل أسفلها في المنطقة ، وأمه تقول : البس ثيابك مشمراً . ثم انصرف ابنُ الزبير وهو يقول :

(١) ب ، ف : « عن آثر » . (٢) ب ، ف : « الشاكرين الصابرين » .

(٣) ف : « يمسها قبلها » . (٤) ب : « وأعلم » .

إِنِّي إِذَا أَغْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرُ إِذْ بَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرُ
فَسَمِعْتُ الْعَجُوزَ قَوْلَهُ ، قَالَتْ : تَصْبِرُ وَاللَّهِ إِن شَاءَ اللَّهُ ، أَبُوكَ أَبُو بَكْرٍ
وَالزَّيْبِرُ ، وَأَمَّاكَ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ
عَمْرِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ثَوْرُ بْنُ يُزَيْدٍ ، عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ حِمَصَ شَهِدَ
وَقَعَةَ ابْنِ الزَّيْبِرِ مَعَ أَهْلِ الشَّامِ ، قَالَ : رَأَيْتُهُ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَإِنَّمَا لِنُطْلَعُ عَلَيْهِ أَهْلُ
حِمَصَ خَمْسَمِائَةِ خَمْسَمِائَةِ مِنْ بَابٍ لَنَا نَلْخُطُهُ ، لَا يَدْخُلُهُ غَيْرُنَا ، فَيُخْرِجُ
إِلَيْنَا وَحْدَهُ فِي أَثَرِنَا ، وَنَحْنُ مِنْهَزِمُونَ مِنْهُ ، فَمَا أُنْسَى أَرْجُوزَهُ لَهُ :

إِنِّي إِذَا أَغْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرُ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ يَوْمِيَهُ الْحُرُّ
• إِذْ بَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرُ •

فَأَقُولُ : أَنْتَ وَاللَّهُ الْحُرُّ الشَّرِيفُ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَقِفُ فِي الْأَبْطَحِ مَا يَدْنُو
مِنْهُ أَحَدٌ حَتَّى ظَنَنْتَا أَنَّهُ لَا يَقْتُلُ .

٨٤٩/٢ حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ
عَمْرِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ ثَابِتٍ ، عَنْ نَافِعِ مَوْلَى بَنِي أَسَدٍ ، قَالَ :
رَأَيْتُ الْأَبْوَابَ قَدْ شُحِنَتْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ، وَأَسْلَمَ أَصْحَابُ ابْنِ
الزَّيْبِرِ الْحَارِسَ ، وَكَثُرَ الْقَوْمُ فَأَقَامُوا عَلَى كُلِّ بَابٍ رِجَالًا وَقَائِدًا وَأَهْلَ بَلَدٍ ،
فَكَانَ لِأَهْلِ حِمَصَ الْبَابِ الَّذِي يُوَاجِهُ بَابَ الْكُعْبَةِ ، وَلِأَهْلِ دِمَشْقَ بَابَ بَنِي
شَيْبَةَ ، وَلِأَهْلِ الْأَرْدُنِّ بَابَ الصَّفَا ، وَلِأَهْلِ فِلَسْطِينَ بَابَ بَنِي جُمَحَ ،
وَلِأَهْلِ قَيْسَرِيَّيْنِ بَابَ بَنِي سَهْمٍ ، وَكَانَ الْحِجَّاجُ وَطَارِقُ بْنُ عَمْرِو جَمِيعًا
فِي نَاحِيَةِ الْأَبْطَحِ إِلَى الْمُرُوقَةِ ، فَرَةً يَحْمِلُ ابْنُ الزَّيْبِرِ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ ، وَمَرَّةً
فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ ، فَلَسَكَانَهُ أَسَدٌ فِي أَجَمَةٍ مَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ الرِّجَالُ ، فَيَعْدُونِي أَثَرِ
الْقَوْمِ وَهُمْ عَلَى الْبَابِ حَتَّى يُخْرِجَهُمْ وَهُوَ يَرْتَجِزُ :

إِنِّي إِذَا أَغْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرُ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ يَوْمِيَهُ الْحُرُّ
ثُمَّ يَصِيحُ : يَا أَبَا صَفْوَانَ^(١) ، وَيَلُ أُمَةً فَتَحًا لَوْ كَانَ لَهُ رِجَالٌ !

• لو كَانَ قِرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ ^(١) •

قال ابن صفوان : إى والله وألف .

حدثني الحارث، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بنُ عمر ، قال : فحدثني ابنُ أبي الزناد وأبو بكر بنُ عبد الله بنُ مصعب ، عن أبي المنذر ^(٢) . وحدثنا نافع مولى بنى أسد ، قال : لما كان يوم الثلاثاء صبيحة سبع عشرة من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وقد أخذ الحجَّاجُ على ابن الزبير بالأبواب ، بات ابنُ الزبير يصلِّي عامة الليل ، ثم احتبى بمائل ^{٨٥٠/٢} سيفه فأغفى ، ثم انتبه بالفجر فقال : أذن يا سعد ، فأذن عند المقام ، وتوضأ ابنُ الزبير ، وركع ركعتي الفجر ، ثم تقدَّم ، وأقام المؤذن فصلِّي بأصحابه ، قرأ ﴿ ن وَالْقَلَم ﴾ حرفًا حرفًا ، ثم سلَّم ، قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

اكشفوا وجوهكم حتى أنظر، وعليهم المغافر والعمام، فكشفوا وجوههم فقال : يا آل الزبير ، لو طيسم لى نَفَسًا عن أنفسكم كنَّا أهل بيت من العرب اصطَلَمْنَا فى الله لم نصبنا زبَاءً بَنَةً . أمَّا بعد يا آل الزبير ، فلا يرْعُكم وقع السيوف ، فإني لم أحضر موطنًا قط إلا ارتشيتُ فيه من القتل ، وما أجْدُ من أدواء جراحها أشدَّ ممَّا أجْدُ من ألم وقعها . صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم ، لا أعلم امرأ كَسَرَ سيفه ، واستبقَى نفسه ، فلمَّا الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل ، غَضُّوا أبصاركم عن البارقة ، وليستغفل كل امرئ قِرْنه ، ولا يلهيكم السؤال عني ، ولا تقولن : أين عبدُ الله بنُ الزبير ؟ ألا من كان سائلًا عنى فإني فى الرَّعيل الأول .

أبى لابن سلمى أَنَّهُ غيرُ خالدٍ مُلاقى المنايا أَى صَرَفٍ تيممًا ^(٣)
فلستُ بمبتاعِ الحَيَاةِ بسببٍ ولا مُرتَكِبٍ مِنْ خَشْيَةِ الموتِ سُلَمًا ^(٤)

(١) لتريد بن زيد ، وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ٢٨ .

(٢) ط : « ابن » وصوابه من ا ، وهو أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي .

(٣) الحسين بن الحمام المرقى ، من المفضليات ١٢ . (٤) المفضليات : « ولا مبتغ » .

احملوا على بركة الله .

٨٥١/٢ ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون ، فرمى بأجرة فأصابته في وجهه فأرعش لها ، ودى وجهه ، فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه ولحيته قال :

فلسنا على الأعقاب تدمي كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدماء^(١)

وتفاووا عليه .

قالا : وصاحت مولا لنا مجنونة : وأمير المؤمنيناه ! قالوا : وقد رأته حيث هوى ، فأشارت لهم إليه ، فقتل وإن عليه ثياب خبز . وجاء الخبر إلى الحجاج ، فسجد وسار حتى وقف عليه وطارق بن عمرو ، فقال طارق : ما وكلت النساء أذكر من هذا ؛ فقال الحجاج : تمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين ! قال : نعم ، هو أعدر لنا ، ولولا هذا ما كان لنا عدلر ، لأننا مُحاصروه وهو في غير خندق ولا حصن ولا منعة منذ سبعة أشهر ينتصف منا ، بل يفضل علينا في كل ما التقينا نحن وهو ؛ فبلغ كلاهما عبد الملك ، فصب طارقا .

حدثنا عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن رجاله ، قال : كأتى أنظر إلى الزبير وقد قتل غلاماً أسود ، ضربه فرقه ، وهو يمر في حملته عليه ويقول : صبراً يا بن حام ، ففى مثل هذه المواطن تصبر الكرام !

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر ، قال : حدثني عبد الجبار بن عمار ، عن عبد الله بن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : بعث الحجاج برأس ابن الزبير ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عمار بن عمرو بن حزم إلى المدينة فنصبت بها ، ثم ذهب بها إلى عبد الملك بن مروان ، ثم دخل الحجاج

(١) الحسين بن الحارث المزي ، ديوان الحسنة - بشرح المزي ١ : ١٩٢ ، وفي ط : « لسنا » وأثبت ما في ب ، ف ، وهو يوافق ما في الحسنة .

مكة ، فبايع ^(١) من بها من قريش لعبد الملك بن مروان .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة ولّى عبد الملك طارقاً مولى عبان المدينة فولّيا خمسة أشهر .

وفي هذه السنة توفّي يشر بن مروان في قول الواقدي ، وأما غيره فإنه قال : كانت وفاته في سنة أربع وسبعين .

وفيها أيضاً وجه - فيما ذكر - عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر لقتال أبي فديك ، وأمره أن يتلب معه من أحب من أهل المصرين ، فقدم الكوفة فتلب أهلها ، فانتلب معه عشرة آلاف ، ثم قدم البصرة فتلب أهلها ، فانتلب معه عشرة آلاف ، فأخرج لهم أرزاقهم وأعطيتهم ، فأعطوها . ثم سار بهم عمر بن عبيد الله ، فتجمل أهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة ، وجعل أهل البصرة على الميسرة وعليهم ابن أخيه عمر بن موسى بن عبيد الله ، وجعل خيله في القلب ، حتى انتهوا إلى البحرين ، فصف عمر بن عبيد الله أصحابه . وقدام الرجالة في أيديهم الرماح قد ألزموها الأرض ، واستقروا بالبراذع ، فتجمل أبو فديك وأصحابه حملة رجل واحد ، فكشفوا ميسرة عمر بن عبيد الله حتى

٨٥٢/٢

ذهبوا في الأرض ، إلا المغيرة بن المهلب ومعن بن المغيرة ومجاعة بن عبد الرحمن وفرمان الناس فلأنهم مالوا إلى صف أهل الكوفة وهم ثابتون ، وارتث عمر بن موسى بن عبيد الله ، فهو في القتلى قد أنخن جراحة .

فلما رأى أهل البصرة أهل الكوفة لم ينهزموا تذكّموا ورجعوا وقاتلوا وما عليهم أمير حتى مرّوا بعمر بن موسى بن عبيد الله جريحاً فحملوه حتى أدخلوه عسكر الخوارج وفيه ثبّن كثير فأحرقوه ، ومالت عليهم الرياح . وحمل أهل الكوفة وأهل البصرة حتى استباحوا عسكرهم وقتلوا أبا فديك . وحصرهم في المشقر . فنزلوا على الحكم ، فقتل عمر بن عبيد الله منهم - فيما ذكر - نحواً من ستة آلاف ، وأسّر ثمانمائة ، وأصابوا تجارية أمية بن عبد الله حبلى من أبي فديك وانصرفت إلى البصرة .

(١) ب : وبايعه ، ا ، س : وبايع بها .

وفي هذه السنة عزّل عبدُ الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وولّاها أخاه بشر بن مروان ، فصارت ولايتها وولاية الكوفة إليه ، فشخص بشر لمّا ولى مع الكوفة البصرة إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حرّيث . وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة . فهزم الروم .

وقيل : إنّّه كان في هذه السنة وقعة عثمان بن الوليد بالروم في ناحية أرمينية وهو في أربعة آلاف والروم في ستين ألفاً ، فهزّمهم وأكثر القتل فيهم .

وأقام الحجّ في هذه السنة للناس الحجّاج بن يوسف وهو على مكة واليمن واليمامة ، وعلى الكوفة والبصرة - في قول الواقدي - بشر بن مروان ، وفي قول غيره على الكوفة بشر بن مروان . وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة هشام ابن هبيرة ، وعلى خراسان بكير بن وشاح .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

[قال أبو جعفر :] فما كان فيها من ذلك عَزَلُ عبدِ الملك طارق بن عمرو عن المدينة ، واستعماله عليها الحجاج بن يوسف . فقدِمها - فيما ذكر - فأقام بها شهراً ثم خرج معتمراً .

وفيهما كان - فيما ذكر - نَقْصُ الحجاج بن يوسف بنيان الكعبة الّذي كان ابنُ الزبير بناه ، وكان إذ بناه أدخل في الكعبة الحجر ، وجعل لها بابين ، فأعادها الحجاجُ على بنائها الأوّل في هذه السنة ، ثم انصرف إلى المدينة في صفر ، فأقام بها ثلاثة أشهر يتعبّثُ بأهل المدينة ويتعتّهم ، وبني بها مسجداً في بني سليمة ، فهو يُنسبُ إليه .

واستخفَ فيها بأصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فَخَتَمَ في أعناقهم ، فَنَدَّ كَرَّ محمد بنُ عمران بن أبي ذئب . حدثه عن رأى جابر بن عبد الله غنوماً في يده .

وعن ابن أبي ذئب ، عن إسحاق بن يزيد ، أنه رأى أنس بن مالك غنوماً ٨٠٠/٢ في عنقه ، يريد أن يذله بذلك .

قال ابن عمر : حدثني شرجيل بن أبي عون ، عن أبيه ، قال : رأيتُ الحجاجُ أرسل إلى سهل بن سعد فدعاه ، فقال : ما منعك أن تنصرَ أميرَ المؤمنين عثمان بن عفان ! قال : قد فعلتُ . قال : كذبت ، ثم أمر به فخنق في عنقه برصاص .

وفيهما استخفى عبدُ الملك أبا إدريس الخولاني - فيما ذكر الواقدي . وفي هذه السنة شخّص في قول بعضهم بشر بن مروان من الكوفة إلى البصرة والياً عليها .

[ذكر الخبر عن حرب المهلب للأزارقة]

وفي هذه السنة ولّى المهلبُ حربَ الأزارقة من قبيل عبد الملك .

• ذكر الخبر عن أمره وأمرهم فيها :

ولمّا صار يشرّ بالبصرة كتب عبدُ الملك إليه - فيما ذكر هشامٌ عن أبي مخنف ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه :

أماً بعد ، فابعت المهلب في أهل مصره^(١) إلى الأزارقة ، ولينتخب من أهل مصره وجوههم وفُرمَانهم وأولى الفضل والتجربة منهم^(٢) ، فإنّه أعرف بهم ، وخكّه ورأيه في الحرب ، فلإني أوثقُ شيء بتجربته ونصيحته للمسلمين . وابتعت من أهل الكوفة بعثاً كثيفاً ، وابتعت عليهم رجلاً معروفاً شريفاً ، حسيباً صليفاً ، يُعرف بالأس والتجندة والتجربة للحرب ، ثمّ أنهنسُ إليهم أهل الميصرين فلينبِعوهم أيّ وجهٍ ما توجّهوا حتّى يُبيدَهم الله^(٣) ويستأصلهم . والسلام عليك^(٤) . ٨٥٦/٧

فلما يشرّ المهلب فآقرأه الكتاب ، وأمره أن ينتخب من شاء ، فبعث بجعليج بن سعيد بن قبيصة بن سراق الأزدي - وهو خالُ يزيد ابنه - فأمره أن يأتى الديوان فينتخب الناس ، وشقّ على بشر أن إمرة المهلب جاءت من قيسل عبد الملك ، فلا يستطيع أن يبعث غيره ، فأغرقت صدره عليه حتّى كأنه كان له إليه ذنب . ودعا يشر بن مروان عبد الرحمن بن مخنف فبعثه على أهل الكوفة ، وأمره أن ينتخب فُرمَان الناس وجوههم وأولى الفضل منهم والتجندة .

قال أبو مخنف : فحدثني أشياخ الحمى ، عن عبد الرحمن بن مخنف قال : دعاني يشر بن مروان فقال لي : إنك قد عرفت منزلتك مني ، وأفترتك عندي ، وقد رأيتُ أن أولئك هذا الجيش للذي عرفت من جزئك وغنائك وشرفك وبأسك ، فكن عند أحسن ظني بك . انظر هذا الكلنا كذا - يقع في المهلب - فاستبدّ عليه بالأمر ، ولا تقبلن له مشورة ولا رأياً ، وتنفّضه وقصّره .

قال : فرك أن يؤصّني بالجند ، وقاتل العدو ، وانظر لأهل

(١-١) ب ، ف : • وجوههم وفُرمَانهم وأولى الفضل والتجربة منهم إلى الأزارقة وليتخب من أحب • . (٢) ب ، س : • يوم • . (٣) يدهاني ف : • ورسمه الله وبركته • .

الإسلام ، وأقبل يُغريني بأبن عمي كآني من الشبهاء أو بمن يُستصحب
ويُستجهل ، ما رأيت شيئاً مثلي في مثل هيتي ومنزلي طمّح منه في
مثل ما طمّح فيه هذا الغلام ميني ، شبّ عمرو عن الطوق .

قال : ولما رأى أني لست بالنشيط^(١) إلى جوابه قال لي : ما لك ؟ قلت : ٨٠٧/٢
أصلحك الله ! وهل يسعى إلا إفاذ أمرك في كل ما أحببت وكرهت !
قال : امض راشداً . قال : فودّعته وخرجت من عنده ، وخرج المهلب
بأهل البصرة حتى نزل رام مَهْرُمَزْ فلقى بها الخوارج ، فخلق عليه ، وأقبل
عبد الرحمن بن عُمَيْفٍ بأهل الكوفة على ريع أهل المدينة معه^(٢) يشرّبن
جرير ، وعلى ريع تميم ومُحَمَّدُ بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ،
وعلى ريع كِنْدَةَ وربيعة إسحاق بن عُمَدٍ بن الأشعث ، وعلى ريع مَذْحِجٍ
وأُسَدُ زَحْرَ بن قيس . فأقبل عبد الرحمن حتى نزل من المهلب على
ميل أو ميل ونصف . حيث تراءى المسكران بزام مَهْرُمَزْ ، فلم يلبث
الناس إلا عَشْرًا حتى أتاهم نعي يشر بن مروان ، وتوفي بالبصرة ، فافرض
ناس كثير من أهل البصرة وأهل الكوفة ، واستخلف بشر خالد بن عبد الله
ابن أسيد ، وكان خليفته على الكوفة عمرو بن حُرَيْث ، وكان الذين انصرفوا
من أهل الكوفة زَحْرَ بن قيس وإسحاق بن عُمَدٍ بن الأشعث وعُمَدُ بن
ابن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، فبعث عبد الرحمن بن عُمَيْفٍ ابنه جعفرًا
في آثارهم ، فرد إسحاق وعُمَدُ ، واثته زحْرَ بن قيس ، فحبسهما يومين ،
ثم أخذ عليهما إلا يفارقاه ، فلم يلبثا إلا يومًا^(٣) حتى انصرفا ، فأخذوا^(٤) غير
الطريق ، وطلبوا فلم يلحقا ، وأقبلوا حتى لحقا زحْرَ بن قيس بالأهواز ،
فاجتمع بها ناس كثير ممن يريد البصرة ، فبلغ ذلك خالد بن عبد الله ،
فكتب إلى الناس كتابًا^(٥) وبعث رسولاً يضرب وجوه الناس ويردّهم^(٦) ، فقدم
بكتابه مولى له ، قرأ الكتاب على الناس ، وقد جُمِعوا له :

(١) ب ، ف : « بنشيط » . (٢) ب ، ف : « وبه » .

(٣) ب ، ف : « يومين » . (٤) س : « انصرفوا فأخذوا » .

(٥-٥) ب ، ف : « وبعث رسولاً يضرب وجوه الناس ويردّهم » .

بسم الله الرحمن الرحيم ، من خالد بن عبد الله ، إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين . سلامٌ عليكم ، فإنني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو . أمّا بعد ، فإن الله كتب على عباده الجهاد ، وفرض طاعة ولاة الأمر ، فمن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ، ومن ترك الجهاد في الله كان الله عنه أغنى ، ومن عصى ولاة الأمر والقروم بالحق أسخط الله عليه ، وكان قد استحق العقوبة في بشره ، وعرض نفسه لاستفاءة ماله وإلقاء عطائه ، والتسير إلى أبعد الأرض وشرّ البلدان . أيها المسلمون ، اعلموا^(١) على من اجترأتم ومن عصيتم ! إنّه عبدُ الملك بن مروان أمير المؤمنين ، الذي ليست فيه غميمة ، ولا لأهل المعصية عنده رخصة ، سوطه على من عصى ، وعلى من خالف سيفه ، فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلا ، فإنني لم ألكم نصيحة . عباد الله ، ارجعوا إلى مكاتبكم^(٢) وطاعة خليفكم ، ولا ترجعوا عاصين خالفين فيأتيكم ما تكرهون . أقسم بالله لا أثقف عاصيا بعد كتابي هذا إلا قتلته إن شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله .

وأخذ كلما قرأ عليهم سطرًا أو سطرين قال له زحر : أوتجر ، فيقول له مولى خالد : والله إني لأسمع كلام رجل ما يريد أن يفهم ما يسمع . أشهد لا يبيع^(٣) ، بشيء مما في هذا الكتاب . فقال له : اقرأ أيها العبد الأحمر ما أمرت به ، ثم ارجع إلى أهلِكَ ، فإنك لا تدري ما في أنفسنا . ٨٠٩/٧

فلما فرغ من قراءته لم يلتفت الناس إلى ما في كتابه ، وأقبل زحر^(٤) وإسحاق بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن حتى نزلوا قرية لآل الأشعث إلى بجانب الكوفة ، وكتبوا إلى عمرو بن حرث :

أما بعد ، فإن الناس لما بلغتهم وفاة الأمير رحمة الله عليه تفرقوا فلم يبق معنا أحد ، فأقبلنا إلى الأمير وإلى مصرنا ، وأحببنا ألا تدخل الكوفة إلا بإذن الأمير وعلمه .

(١) ب ، ف : وأعلمون . (٢) ب ، ف : وأمكتبكم .

(٣) لا يبيع : لا يكثر . وفي ب ، ف : لا يبيع فتة إلا كنت رأسها .

(٤) يسمي ب ، ف : وأصحابه .

فكتب إليهم :

أما بعد ، فإنكم تركتم مكتبتكم ^(١) وأقبلتم عاصين مخالفين ، فليس لكم عندنا إذن ولا أمان .

فلما أتاهم ذلك انتظروا حتى إذا كان الليل دخلوا إلى رجالهم ، فلم يزلوا مقيمين حتى قدم الحجاج بن يوسف .

[عزل بكير بن وشاح عن خراسان وولاية أمية بن عبد الله عليها]
وفي هذه السنة عزل عبد الملك بكير بن وشاح عن خراسان وولاهها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

* ذكر الخبر عن سبب عزل بكير وولاية أمية :

وكانت ولاية بكير بن وشاح خراسان إلى حين قدم ^(٢) أمية عليها وأبى ستين في قول أبي الحسن ، وذلك أن ابن خازم قيل سنة ثلاث وسبعين وقدم أمية سنة أربع وسبعين .

وكان سبب عزل بكير عن خراسان أن بحيرا - فيما ذكره علي بن الفضل - حبسه بكير بن وشاح لما كان منه فيها ذكرت في رأس ابن خازم ٨٦٠/٧ حين قتله ، فلم يزل محبوسا عنده حتى استعمل عبد الملك أمية بن عبد الله ابن خالد بن أسيد ، فلما بلغ ذلك بكيرا أرسل إلى بحير ليصالحه ، فأبى عليه وقال : ظنن بكير أن خراسان تبقى له في الجماعة ! فشت السفراء بينهم ، فأبى بحير ، فدخل عليه ضرار بن حصين الضبي ، فقال : ألا أراك مائتاً ! يرسل إليك ابن عمك يعتذر إليك وأنت أميره ، والمشرق في يده - ولو قتلك ما حبست فيك عنز - ولا تقبل منه ! ما أنت بموفق ^(٣) . أقبل الصلح ، واخرج وأنت على أمرك . فقبل مشورته ، وصالح بكيرا ، فأرسل إليه بكير بأربعين ألفاً ، وأخذ على بحير ألا يقاتله . وكانت تميم قد اختلفت بخراسان ، فصارت مقاعس والبطون يتعصبون له ، فخاف أهل خراسان أن تعود الحرب وتفسد البلاد ، ويقهرهم عدوهم من المشركين ، فكتبوا إلى

(١) ب ، ف : : أنكتبكم . (٢) ب ، ف : : دعوم .

(٣) ب ، ف : : بموفق .

عبد الملك بن مَرْوَان : إِنَّ خُرَّاسَانَ لَا تَصْلُحُ بَعْدَ الْفِتْنَةِ إِلَّا عَلَى رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ لَا يَحْسِبُونَهُ وَلَا يَتَعَصَّبُونَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : خُرَّاسَانُ تَغْفَرُ الْمَشْرِقَ ، وَقَدْ كَانَ بِهِ مِنَ الشَّرِّ مَا كَانَ ، وَعَلَيْهِ هَذَا التَّسْمِيَةُ ، وَقَدْ تَعَصَّبَ النَّاسُ وَخَافُوا أَنْ يَصِيرُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، فَنِيَهْلِكُ الشَّعْرُ وَمَنْ فِيهِ ، وَقَدْ سَأَلُوا أَنْ أُؤْتَى أَمْرُهُمْ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ فَيَسْمَعُوا لَهُ وَيَطِيعُوا ، فَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، تَدَارِكُهُمْ بِرَجُلٍ مِنْكَ ، قَالَ : لَوْلَا انْحِيَاؤُكَ عَنْ أَبِي فُتَيْكٍ كُنْتُ ذَلِكَ الرَّجُلَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاللَّهِ مَا انْحَزْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مُقَاتِلًا ، وَخَدَلَنِي النَّاسُ ، فَرَأَيْتُ أَنْ انْحِيَاؤِي إِلَى فِتْنَةٍ أَفْضَلُ مِنْ تَعْرِيفِي عَصِيَّةٍ بَقِيَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِلْهَلَاكَةِ ، وَقَدْ عَلِمَ ذَلِكَ مَرْوَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ ، وَكَتَبَ إِلَيْكَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِمَا بَلَغَهُ مِنْ عُدُوِّي - قَالَ : وَكَانَ خَالِدُ كَتَبَ إِلَيْهِ بَعْدَهُ ، وَيُخْبِرُهُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ خَدَلُوهُ - فَقَالَ مَرْوَانُ : صَلِقْ أُمَيَّةَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَقَدْ صَبِرَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مُقَاتِلًا ، وَخَدَلَهُ النَّاسُ . لَوْلَا خُرَّاسَانُ ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يُحِبُّ أُمَيَّةَ ، وَيَقُولُ : نَتَجِدُ ، أَيْ لِدُنِّي ، فَقَالَ النَّاسُ : مَا رَأَيْنَا أَحَدًا حَوَّضَ مِنْ هَزِيمَةٍ مَا حَوَّضَ أُمَيَّةَ ، فَرَمَوْهُ مِنْ مَعْرِضٍ أَنْ فُتَيْكٌ فَاسْتَمْسَلَ عَلَى خُرَّاسَانَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ فِي مَجْلِسِ بُكَيْرِ بْنِ وَثَّاحٍ :

أَتَيْتُكَ الْيَمْسُ قَتَفْتُ فِي بُرَاهَا فَكَشَفْتُ عَنْ مَنَاكِههَا الْقُطُوعُ^(١)

كَأَنَّ مَوَاقِعَ الْأَكْوَارِ مِنْهَا حَمَامٌ كَنَائِسٍ بُقْعَ وَقُوعُ

بِأَبْيَضٍ مِنْ أُمَيَّةٍ مُضْرَجِي كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَنِيعُ^(٢)

وَبَحِيرٌ يُوَلِّدُ بِالسَّنَجِ يَسْأَلُ عَنْ مَسِيرِ أُمَيَّةَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّهُ قَدْ قَارَبَ

أَبْرِشَهْبَرَ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ عَجَمٍ أَهْلُ مَرْوَةَ يَقَالُ لَهُ رُذَيْنٌ - أَوْ زُرَيْرٌ : دَلَّنِي

(١) الْأَغْنِيُّ ١٣ : ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، وَنَسَبَ الشَّعْرَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ الْعَاصِ ، وَذَكَرَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ ، ثُمَّ الْبَاقِيَ . الْمَيْسُ : التَّوَقُّ إِلَى الْبَيْضِ بِخَالِطٍ يَبْيَضُهَا شَقْرَةٌ . وَالْبُرَى : جَمْعُ بُرَّةٍ ، وَهِيَ حَلَقَةٌ مِنْ فُفَّةٍ أَوْ صَفَرٍ أَوْ شَعْرِ تَجَلُّ فِي أَنْفِ الْبَحِيرِ . وَالْقُطُوعُ : يَضْمُ الْقَافُ : جَمْعُ قَطْعٍ ، وَهُوَ الْطَلْفَةُ تَحْتَ الرَّجْلِ عَنِ كَتِفِ الْبَحِيرِ . (٢) كَلَامٌ فِي ١ ، ٢ ، وَفِي ط : « الْأَكْوَارُ »

(٣) لِلْمُضْرَجِيِّ : السَّيْدِ الْكَرْمِ . وَالصَنِيعُ : السَّيْفُ الْأَبْيَضُ الْمَجْلُوفُ .

على طريق قريب لألقى الأمير قبل قلوبهم، ولكلنا وكلنا، وأجزل لك العطية؛ وكان عالماً بالطريق، فخرج به فصار من السَّجَّج إلى أرض سَرَخَس في ليلة، ثم مضى به إلى نيسابور فوافى أمية حين قدم أيرشهر، فلقية فأنبره عن خراسان وما يصلح أهلها وتحمسن به طاعتهم، ويخف على الولي مئونتهم، ورفع عن^(١) بكير أموالاً أصابها، وحذره غدوه.

قال: وصار معه حتى قدم مرو، وكان أمية سيداً كريماً، فلم يعرض لبكير ولا لعماله، وعرض عليه أن يوليّه شرطته، فأبى بكير، فولّاهما بحير بن ورقاء، فلام بكيراً رجالاً من قومه، فقالوا: أبيت أن تبلى، فولّى بكيراً. وقد عرفت ما بينكما! قال: كنت أمس وإلى خراسان تحمّل الحراب بين يدي، فأصير اليوم على الشرطة أحمل الحرب!

وقال أمية لبكير: اختر ما شئت من عمل خراسان، قال: طُخارستان، قال: هي لك. قال: فتجهز بكير وأفتق مالا كثيراً، فقال بحير لأمية: إن أتى بكير طُخارستان خلعك، فلم يزل يحذره حتى حذر، فأمره بالمقام جده.

وحج بالناس في هذه السنة الحجاج بن يوسف. وكان ولي قضاء المدينة عبد الله بن قيس بن مخزومة قبل شخصه إلى المدينة كذلك، ذكر ذلك عن محمد بن عمر.

وكان على المدينة ومكة الحجاج بن يوسف، وعلى الكوفة والبصرة بشر بن مروان، وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى قضاء الكوفة شريع بن الحارث، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة، ٨٦٣/٢ وقد ذكر أن عبد الملك بن مروان اعتمر في هذه السنة، ولا تعلم صحة ذلك.

ثم دخلت سنة خمس وسبعين

ذكرُ الخير عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قيسية
مصرَ عرش .

وفي هذه السنة ولّى عبدُ الملك يحيى بن الحكم بن أبي العاص المدينة .

وفي هذه السنة ولّى عبدُ الملك الحجاج بن يوسف العراقَ دون خراسان
وسجستان .

• • •

[ولاية الحجاج على الكوفة وخطبته في أهلها]

وفيها قدّم الحجاج الكوفة . فحدثني أبو زيد ، قال : حدثني محمد
ابنُ يحيى أبو غسان ، عن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عثمان
ابنِ ياسر ، قال^(١) : خرج الحجاج بن يوسف من المدينة حين أتاه كتاب
عبد الملك بن مروان بولاية العراق بعد وفاة بشر بن مروان في اثني عشر
راكباً على التجائب حتى دخل الكوفة حين انتشرَ النهارُ فجاءه^(٢) ، وقد
كان بشرٌ بعث المهلب إلى الحرورية ، فبدأ بالمسجد فدَحَلَه ، ثمَّ صعد
المنبرَ وهو متلثم بعمامة خَزَّ حمراء ، فقال : علىَّ بالناس ، فحسبوه وأصحابه
٨٦٤/٧ خارجة^(٣) ، فهَمَّوا به ، حتى إذا اجتمع إليه الناسُ قام فكشف عن
وجهه وقال :

أنا ابنُ جَلٍّ وطلَّعُ الثَّنايا متى أضعَ العِمَامَةَ تَعْرِفُونِي^(٤)

(١) الخبر وما تضمنته من غلبة الحجاج لورده الجاحظ في البيان والتبيين ٢ : ٣٠٧ - ٣١٠
هذا السند أيضاً ، والغلبة أيضاً في الكامل ١ : ٣٨٠ - ٣٨٢ ، والنفحة ٤ : ١١٩ ، وحيون الأغنياء
٢ : ٢٤٣ .

(٢) البيان : « فبُتة » . (٣) البيان : « غوارج » .

(٤) من قصيدة لسبع بن وثيل الرياشي ، رواها الأصبغ في الأسمعيات ٧٣ (ليبسك) .

أما والله إني لأحمل^(١) الشر محمله ، وأحذوه بنعله ، وأجزيه بمثله ،
وإني لأرى رموساً قد أينعت وحان قطافها ، وإني لأنظر إلى الدماء بين
العمائم واللحى .

• قد شمرت عن ساقها تشميرا^(٢) •

هذا أوان الشد فاشتد زيم قد لفها الليل يسواق حطم^(٣)
ليس براعى إبل ولا غنم ولا بجزارٍ على ظهرٍ وصم^(٤)
قد لفها الليل بعضلي^(٥) أزوع خراج من الثوى
• مهاجر ليس بأعرابي •

ليس أوان يكره الخلاء جاءت به والقلص الأعلاط

• تهوى هوى سابق الغطاء •

وإني والله يا أهل العراق ما غمر كتفماز التين^(٦) ، ولا يقعقع على الشنان
ولقد فررت عن ذكاه^(٧) ، وجريت إلى الغاية القصوى^(٨) . إن أمير المؤمنين
عبد الملك نشر كتابته ثم حسم عيدانها فوجلى أمرها عوداً ، وأصلبها ٨٦٥/٢
مكسراً ، فوجهني إليكم ، فإنكم طالما أوضعتم^(٩) في الفتنة ، وسننتم سنن
الغنى . أما والله لألحونكم لحور العود ، ولأعصبنكم عصب السلعة ،

١ (١ - ١) البيان : « لأحمل الشر محمله » .

(٢) البيان : « تشميرا » ، العقد : « قشري » .

(٣) الرجز لرويش بن ريش السبكي : كما في حواشي الكامل والسان (حلم) ؛ والأغاني
١٥ : ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، قال : « الشعر لرشد بن ريش السبكي يقول في الحلم ، وهو شريح بن غيبة .
وكان شريح قد غزا اليمن ، فقم وصي ، ثم أخذ على طريق مفازة فقل بهم دليلهم ثم هرب منهم » ، وذلك
منهم ناس كثير بالهش ، وبجل الحلم يسوق بأصحابه سوقاً عتيقاً حتى نجوا ووردوا الماء ، قال فيه
رشيد الرجز مادحاً ، فلقب الحلم بذلك الرجز » . (٤) الرزم : كل ما قطع عليه العلم .

(٥) الرجز في السان (صلب) . والصلبي : الشديد القادر على الشيء والصل .

(٦) البيان : « تنباز التين » .

(٧) فر الذاية : كشف من أستانه ليبرف بذلك عمره . ولذكاه : نهاية الشباب ونعم السن .

(٨) الغاية : قصبة تصب في الموضع الذي تكون المسابقة إليه ليأخذها السابق . وفي العقد :

« وأجريت إلى الغاية القصوى » . (٩) الإيضاح : ضرب من السير .

وَأَضْرِبْكُمْ ضَرْبَ غَرَابٍ^(١) الْإِبِلِ . إِنْى وَاللهُ لَا أَعِدُ إِلَّا وَقَيْتُ ، وَلَا أُخْلِقُ إِلَّا فَرَيْتُ . فَرِيَاىَ وَهَذِهِ الْجَمَاعَاتُ قِيْلًا وَقَالَا ، وَمَا يَقُولُ^(٢) ، [و^(٣)] فِيمَ أَنْتُمْ وَذَلِكَ ؟ وَاللهُ لَتَسْتَقِيمَنَّ عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ أَوْلَادُ عَنَّا لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي جَسَدِهِ . مَن وَجَدْتَ بَعْدَ ثَالِثَةِ مَنْ بَعَثَ الْمُهَلْبَ سَقَكْتُ دَمَهُ ، وَأَنْهَيْتُ مَالَهُ .

ثم دخل منزله ولم يزد على ذلك .

قال : ويقال : إنه لما طال سكوته تناول محمد بن عُمَيْرَ حَصَى فَأَرَادَ أَنْ يَحْمِيَهُ بِهَا ، وَقَالَ : قَاتِلَهُ اللهُ ! مَا أَعْيَاهُ وَأَدَمَهُ ! وَاللهُ إِنِّى لَأَحْسِبُ خَيْرَهُ كَرُّوَالِهِ . فلما تكلم الحجاج جعل الحصى يشتت من يده ولا يعقل به ، وأن الحجاج قال فى خطبته :

شاهدت الوجوه إِنْ الله ضَرَبَ ﴿ مَثَلًا قُرْبَى كَانَتْ أَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً بِأَثَرِهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ ، فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾^(١) ، وَأَنْتُمْ أَوْلَتْكُمْ وَأَشْبَاهُ أَوْلَتْكُمْ ، فَاسْتَوْفُوا وَاسْتَقِيمُوا . فَوَاللهُ لَا ذِيْقَنُكُمْ الْهَوَانَ حَتَّى تَدْرُوا^(٢) ، وَلَا عَصْبَتُكُمْ عَصَبَ السَّلَاسَةِ حَتَّى تَنْقَادُوا ، أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَتَقْبِلُنَّ عَلَى الْإِنْتِصَافِ ، وَلَتَنْدَ عَنْ الْإِرْجَافِ ، وَكَانَ وَكَانَ ، وَأَخْبِرْنِي فَلَانَ عَنْ فَلَانَ ، وَالْمُهَبَّرُ وَالْمُهَبَّرُ ! أَوْ لَأَهْبِرُنَّكُمْ^(٣) بِالسَّيْفِ هَبْرًا يَدْعِي النِّسَاءَ أَبَا مَسَى ، وَالْوَلَدَانِ يَتَاىَ ، وَحَتَّى تَمْشُوا السُّمُومَى ، وَتَقْلَعُوا عَنْ هَامِهَا . إِيَّاىَ وَهَذِهِ الْإِرَافَاتِ ، لَا يَرْكَبَنَّ الرَّجُلُ مِنْكُمْ إِلَّا وَحْدَهُ . أَلَا إِنَّهُ لَوْ سَاحَ لِأَهْلِ الْمَعْصِيَةِ مَعْصِيَتُهُمْ مَا جَبَى فِيَّ وَلَا قُوْلُ عَدُوٍّ ، وَلَمْ تُطْلَقِ التَّخَوُّزُ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ يُغْزَوْنَ كَرَاهًا مَا غَزَوْا طَوْعًا ، وَقَدْ بَلَغَنِي رَفَضُكُمْ الْمُهَلْبَ ، وَإِقْبَالُكُمْ عَلَى مَضْرَكِمْ عَصَاةَ مُخَالِفِينَ ، وَإِنِّى أَقْسِمُ لَكُمْ بِاللَّهِ لَا أَجِدُ أَحَدًا بَعْدَ ثَالِثَةِ إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ .

(١) الإبل إذا ودعت الماء ودخل فيها غريبة من غيرها ضربت وطردت .

(٢) البيان « ما يقولون » . (٣) من البيان .

(٤) سورة النحل: ١١٢ . (٥) ب ، ف : « تلهوا الصبيان » .

(٦) س ، ف : « ولا هبرنكم » .

ثم دعا العُرفاء فقال : ألحقوا الناس بالمهلب ، وأتوني بالبراءات بموافقاتهم ولا تغلقن أبواب الجسر ليلاً ولا نهاراً حتى تنقضي هذه المدة .

تفسير الخطبة : قوله : « أنا ابنُ جلا » ، فابنُ جلا الصبح لأنه يملو الظلمة . والثنايا : ما صغر من الجبال ونشأ . وأينع الثمر : بلغ إدراكه . وقوله : « فاشتدّ ي زيم » ، فهي اسمٌ للحرب . والحطّم : الذي يحطم كل شيء بمرّ به . والوصم : ما وثق به اللحم من الأرض . والعصلبي : الشديد . والدويّة : الأرض الفضاء التي يُسمح فيها دويُّ أخفاف الإبل . والأعلاط : الإبل التي لا أرسان عليها . أنشد أبو زيد الأصمعي :

واعرّورت العُلطُ العُرضي تركضهُ أم الفوارس بالديداء والربيعة

والشنان ، جمع شنة : القربة البالية اليابسة ، قال الشاعر :

كأنك من جمال بني أقيش يُقعقع خلف رجله يشن

وقوله : « فعجم عبدانها » ، أي عضها ، والعجم بفتح الجيم : حب ٨١٧/٢

الزيب ، قال الأعشى :

• ولمفوطها كلقيط العجم

وقوله : « أمرها عوداً » ، أي أصلها ، يقال : جبل مُحرّ ، إذا كان شديد القتل . وقوله : « لأعصبنكم عصب السلمة » ، فالعصب القطع ، والسلمة : شجرة من العضاء . وقوله : « لا أنطق إلا قرئت » ، فالخلق : التقدير ، قال الله تعالى : ﴿ مَنْ مِثْقَلَةَ ذُرِّيَّةٍ مِّنْ مَّا يَرَىٰ كَيْفَ يَكُونُ سِقْطًا ۚ قَالَ الْكُمَيْتُ ۚ أَيُّ مَقْدَرَةٍ ۚ وَغَيْرَ مَقْدَرَةٍ ۚ يَغْنَىٰ مَا يَمَّ ۚ وَمَا يَكُونُ سِقْطًا ۚ قَالَ الْكُمَيْتُ ۚ يَصِفُ قُرْبَةً ۚ ﴾ (١) ،

لم تجشم الخالقات فريتها ولم يفيض من نطاقها السرب

(١) سورة الحج ٥ ، وفي الأصول : « من نطفة » ، وهو خطأ .

وإنما وصف حواصل الطير ، يقول : ليست كهذه . وصخرة خلقت ،
أي مكشاة ، قال الشاعر :

وَيَهْوُ هَوَاءَ فَوْقَ مَوْرِكَائِهِ مِنْ الصَّخْرَةِ الْخَلْقَاءُ زُخْلُوقُ مَلْعَبٍ
ويقال : فَرَبْتُ الأديم إذا أصلحته ، وأفرَيْت ، بالالف إذا أنت
أفسدته . والسَّمْهَى : الباطل ، قال أبو عمرو والشَّيْبَانِي : وأصله ما تُسميه
العامة مُخَاطَ الشَّيْطَان ، وهو لُعَابُ الشَّمْس عند الظَّهيرة ، قال أبو النجم
المعجلى :

وَذَابَ لِلشَّمْسِ لُعَابٌ فَنَزَلَ وَقَامَ مِيزَانُ الزَّمَانِ فَاعْتَدَلَ
والزَّرَافَات : الجماعات . تمّ التفسير .

٨٦٨/٢ قال أبو جعفر : قال عمر : فحدثني محمد بن يحيى ، عن عبد الله بن
أبي عبيدة ، قال : : فلما كان اليوم الثالث مع تكبيراً في السوق ، فخرج
حتى جلس على المنبر ، فقال :

يا أهل العراق ، وأهل الشقاق والنفاق ، ومساوي الأخلاق ، إني سمعتُ
تكبيراً ليس بالتكبير الذي يراد الله به في التَّرهيب ، ولكنه التكبير الذي
يُرَاد به التَّرهيب ، وقد عرفتُ أنها عَجَاجَةٌ تحتها قَصْفٌ . يا بني اللكيمة
وصبيد العصا ، وأبناء الأيَّامى ، ألا يربح رجلٌ منكم على ظلمته ،
ويُحَسِّنَ حَقَنَ دمه ، ويُبصر موضعَ قلمه ! فأقسم بالله لأوشكُ أن أوقعَ
بكم وقعةً تكون نكالا لما قبلها ، وأديباً لما بعدها .

قوله : «تحتها قَصْفٌ» ، فهو شدة الريح . واللكماء : الورَّاء ، وهي
الحُمَّاء من الإماء . والظَّلْم : الضَّعْف والوهن من شدة السير . وقوله :
«تهوى هوى سابق الغطاط» ، فالغطاط بضم الغين : ضربٌ من الطير .
قال الأصمعي : الغطاط بفتح الغين : ضربٌ من الطير ، وأشدَّ لحسان
ابن ثابت (١) :

يُغَشَّوْنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ الْغَطَاطِ الْمُقْبِلِ (١)

يفتح الغين . قال : والغطاط بضم الغين : اختلاط الضوء بالظلمة من آخر ٨٦٩/٢ الليل ، قال الراجز :

قَامَ إِلَى أَذْمَاءَ فِي الْغَطَاطِ يَمْشِي بِمِثْلِ قَائِمِ الْقُسْطَاطِ
تمّ التفسير .

قال : فقام إليه عُمَيْرُ بْنُ ضَبَائِجٍ التَّمِيمِيُّ ثُمَّ الْخَنْظَلِيُّ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! أَنَا فِي هَذَا الْبَحْثِ ، وَأَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ حَلِيلٌ ، وَهَذَا ابْنِي ، وَهُوَ أَشَبُّ مِنِّي ؛ قَالَ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : عُمَيْرُ بْنُ ضَبَائِجٍ التَّمِيمِيُّ ، قَالَ : أَصَحَّ كَلَامُنَا بِالْأَمْسِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَلَسْتُ أَلَسْتُ غَزَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانَ ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَ : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : كَانَ حَبِيسَ أَبِي ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا ، قَالَ : أَوَلَيْسَ يَقُولُ :

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُمَانَ تَبْكِي حَلَالَةً
إِنِّي لَأَحْسَبُ فِي قَتْلِكَ صِلَاحَ الْمَصْرِينَ ، قُمْ إِلَيْهِ يَا حَرَمِي فَاضْرِبْ عُنُقَهُ ؛ فقام إليه رجلٌ فضرب عنقه ، وَأَنْهَبَ (٢) مَالَهُ .

ويقال : إِنَّ عَنبَسَةَ بْنَ سَعِيدٍ قَالَ لِلْحَجَّاجِ : أَعْرِفْ هَذَا ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : هَذَا أَحَدُ قَتْلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانَ ؛ فَقَالَ الْحَجَّاجُ : يَا عَلُوُّ اللَّهِ ، أَفَلَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَعَثْتَ بَدِيلًا ؟ ثُمَّ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ ، وَأَمَرَ مُنَادِيًا ٨٧٠/٢ فَتَادَى : أَلَا إِنَّ عُمَيْرَ بْنَ ضَبَائِجٍ أَتَى بَعْدَ ثَلَاثَةِ ؛ وَقَدْ كَانَ سَمِيعَ الْبَلَاءِ ، فَأَمَرْنَا بِقَتْلِهِ . أَلَا فَإِنَّ ذِمَّةَ اللَّهِ بِرِيَّةٌ مِمَّنْ بَاتَ اللَّيْلَةَ مِنْ جُنْدِ الْمُهَلَّبِ . فخرج الناسُ فَازْدَحَمُوا عَلَى الْجِسْرِ ، وَخَرَجَتِ الْعُرُقَاءُ إِلَى الْمُهَلَّبِ وَهُوَ بِرَأْسِهِمْ مُزٌّ فَأَخَذُوا كِتَابَهُ بِالْمُؤَافَاةِ ، فَقَالَ الْمُهَلَّبُ : قَدِمَ الْعِرَاقَ الْيَوْمَ رَجُلٌ ذَكَرَ : الْيَوْمَ قُوتِلَ الْعَلُوُّ .

قال ابن أبي عبيدة في حديثه : فعبر الجسر تلك الليلة أربعة آلاف من مدحج ؛ فقال المهلب : قدم العراق رجل ذكر .

(١) الديوان : « السواد المقبل » . (٢) أتهب ماله : جله نهبا لنهر .

قال عمر عن أبي الحسن ، قال : لَمَّا قرأ عليهم كتابَ عبد الملك قال القارئ : أَمَّا بعد ، سلامٌ عليكم فإني أحمدُ إليكم الله . فقال له : اقطع ، يا عبيد العصا ، أيسلم عليكم أميرُ المؤمنين فلا يردُّ رادُّ منكم السَّلام ! هذا أدبُ ابنِ نَهية^(١) ، أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب ، ابدأ بالكتاب ، فلمَّا بلغ إلى قوله : « أما بعد ، سلامٌ عليكم » ، لم يبقَ منهم أحدٌ إلَّا قال : وعلى أمير المؤمنين السَّلام ورحمة الله .

قال عمر : حدثني عبدُ الملك بنُ شيبان بن عبد الملك بن مِسمع ، قال : حدثني عمرو بن سعيد ، قال : لَمَّا قدم الحجاجُ الكوفة خطبهم فقال : إنكم قد أنظمتُم بعسكر المهلب ، فلا يُصيحُنَّ بعد ثالثة من جُنْدِه أحدٌ ، فلمَّا كان بعد ثالثة أتى رجلٌ يستدِي ، فقال : مَنْ بك ؟ قال : عمير بنُ ضابئِ البرُجمي ، أمرته بالخروج إلى مُعسكره فضرِبني — وكذَّب عليه . ٨٧١/٢ فأرسل الحجاجُ إلى عمير بن ضابئِ ، فأتى به شيخاً كبيراً ، فقال^(٢) له : ما خلقتك عن مُعسكرك ؟ قال : أنا شيخٌ كبيرٌ لا حراكَ بي ، فأرسلتُ ابني بدلاً فهو أجَلدُ مني جَلَدًا ، وأحدثَ مني منًا ، فسلِّ عما أقول لك ، فإن كنتُ صادقًا وإلَّا فعاقبني . قال : فقال عَنبِسة بنُ سعيد : هذا الَّذي أتى عثمان قتيلًا ؛ فاطلم وجهه ووثب عليه فكسر ضلعين من أضلعه ، فأمر به الحجاجُ فضرِبَ عنقه . قال عمرو بنُ سعيد : فوالله إني لأسير بين الكوفة والحيرة إذ سمعتُ رجلاً مُضْرباً ، فعدلتُ إليهم فقلت : ما الخبر ؟ فقالوا : قدِم علينا رجلٌ من شرِّ أحياء العرب من هذا الحي من ثمود ، أسقفُ الساقين^(٣) ، مَسْسُوحُ الجاعرين^(٤) ، أخفَشُ العينين^(٥) ، فقدِم سيّدُ الحيِّ عمير بن ضابئٍ فضرِبَ عنقه .

(١) في زيادات الكامل ١ : ٣٨٢ : « ضم أبو العباس أن ابن نَهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج » .
(٢) ب ، ف ، « قال » .
(٣) في اللسان : « السقف : أن تميل الرجل على وحشيها وحشي الرجل : جانها » .
(٤) الجاعران : حرفا الوركين المشرفان على الفخذين ، وفي اللسان : « وفي كتاب عبد الملك إلى الحجاج : فأتاك الله ، أسود الجاعرين ! قيل : هما اللذان يتندان الذنب » .
(٥) الخفش : ضعف في البصر مع ضيق في العين .

ولما قُتِلَ الحجاج عُمير بن ضبائي لقي إبراهيم بن عامر أحد بني غاضرة
من بني أسد عبد الله بن الزبير في السوق فسأله عن الخبر ، فقال ابن
الزبير :

أَقُولُ لِإِبْرَاهِيمَ لَمَّا لَقِيْتُهُ أَرَى الْأَمْرَ أَمْسَى مُنْصِبًا مُتَشَعِّبًا^(١)
تَجَهَّزْ وَأَسْرِعْ وَالْحَقُّ الْجَيْشَ لَا أَرَى سِوَى الْجَيْشِ إِلَّا فِي الْمَهَالِكِ مَذْهَبًا
تَخَيَّرْ فَلَمَّا أَنْ تَزُورُ ابْنَ ضَبَائِي عُمَيْرًا وَإِنَّمَا أَنْ تَزُورَ الْمَهْلَبَا
هَمَا خَطَطْنَا كَرِهَ نَجَاؤُكَ مِنْهُمَا^(٢) رُكُوبُكَ حَوْلًا مِنَ التَّلُجِ أَشْهَبَا^(٣) ٨٧٣/٢
فَحَالَ وَلَوْ كَانَتْ خُرَاسَانَ دُونَهُ رَأَاهَا مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبَا
فَكَانَتْ تَرَى مِنْ مُكْرِهِ الْعَلَوُ مُسْمِنًا^(٤) تَحَمَّ جَنُودَ السَّرِجِ حَتَّى تَحْبُبَا^(٥)

وكان قلدوم الحجاج الكوفة - فيما قيل - في شهر رمضان من هذه السنة ،
فوجه الحُكَمَاءُ بن أيوب الثقفي على البصرة أميرًا ، وأمره أن يشتد على
خالد بن عبد الله ، فلما بلغ خالدًا الخبرُ خرج من البصرة قبل أن يدخلها
الحكَماء ، فنزل الجُحَافاء وشيعته أهل البصرة ، فلم يبرح مُصَلَّاه حتى
قسم فيهم ألف ألف .

وحج بالناس في هذه السنة عبدُ الملك بن مروان ، حدثني بذلك أحمد ٨٧٣/٢ ،
ابنُ ثابت عمن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . ووقد
يجي بن الحُكَماء في هذه السنة على عبد الملك بن مروان ، واستخلف على
عمله بالمدينة أبان بن عثمان ، وأمر عبدُ الملك يجي بن الحُكَماء أن يقر على عمله على
ما كان عليه بالمدينة . وعلى الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف . وعلى خُرَاسَانَ

(١) الكامل ١ : ٣٨٣ مع اختلاف في الرواية .

(٢) الكامل : « هما خطنا خف » .

(٣) الحول : المهر أن عليه الحول . وقوله : « من التلج أشهب » ، يريد أن لونه أشد شُبهة من

التلج . (٤) ١ : « وكان » . (٥) ١ : « يحتم » .

أمية بن عبد الله . وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة زرارة ابن أوفى .

وفي هذه السنة خرج الحجاج من الكوفة إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة أبا يعفور عروة بن المغيرة بن شعبة ، فلم يزل عليها حتى رجع إليها بعد وقعة رُسْتَقْبَاز .

[ذكر الخبر عن ثورة الناس بالحجاج بالبصرة]

وفي هذه السنة ثار الناس بالحجاج بالبصرة .

* ذكر الخبر عن سبب وثوبهم به :

ذكر هشام ، عن أبي مخنف ، عن أبي زهير العَبْسِيّ ، قال : خرج الحجاج بن يوسف من الكوفة بعد ما قدمها ، وقتل ابن ضبائي من فوره ذلك حتى قدم البصرة ، فقام فيها بخُطْبَةٍ مِثْلَ التي قام بها في أهل الكوفة ، وتوعدهم مِثْلَ وعيده لإياهم ، فأتى برجل من بني يَشْكِرَ قَبِيل : هذا عاصم ، فقال : إنَّ بي فتناً ، وقد رآه يشرف فعدّرتني ، وهذا عطائي مَرْدُود في بيت المال ، فلم يقبل منه وقتله ، ففرغ لذلك أهل البصرة ، فخرجوا حتى تذاكروا^(١) على العارض بقنطرة رامهرمز ، فقال المهلب : جاء الناس رجلٌ ذكّر .

وخرج الحجاج حتى نزل رُسْتَقْبَازَ في أوّل شعبان سنة خمس وسبعين ، فثار الناس بالحجاج ، عليهم عبد الله بن الجارود ، قتل عبد الله بن الجارود ، وبعث بثمانية عشر رأساً^(٢) فنُصِبَتْ بِرامهرمز للناس ، فاشتدّت ظهورُ المسلمين ، وساء ذلك الخوارج ، وقد كانوا رجوا أن يكون من الناس فُرقة واختلاف ، فانصرف الحجاج إلى البصرة .

وكان سبب أمر عبد الله بن الجارود أن الحجاج لما ندب الناس إلى

(١) س : « تذاكروا » ، والمناكة : التزاسم على المكان ، وفي أ : « تذاكروا » ، وفي ط : « تذاكروا » تصحيف .
(٢) ب ، ف : « وبعث الحجاج ثمانية » .

اللساق بالمهلب بالبصرة فشخصوا سار^(١) الحجاج حتى نزل رستقباد قريباً من دَسْتَوَى في آخر شعبان معه وجوه أهل البصرة ، وكان بينه وبين المهلب ثمانية عشر فرسخاً ، فقام في الناس ، فقال : إن الزيادة التي زادكم ابن الزبير في أعطياتكم زيادة فاسق منافق ، ولست أُجيزُها . فقام إليه عبد الله بن الجارود العبدي فقال : إنها ليست بزيادة فاسق منافق ، ولكنها زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أثبتتها لنا . فكذب به وتوعده ، فخرج ابن الجارود على الحجاج وتابعه وجوه الناس ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فقتل ابن الجارود وجماعة من أصحابه ، وبعث برأسه ورموس عشرة من أصحابه إلى المهلب ، وانصرف إلى البصرة ، وكتب إلى المهلب وإلى عبد الرحمن ٨٧٥/٢ ابن مخنف : أما بعد ، إذا أتاكم كتابي هذا فهاضوا الخوارج ، والسلام .

* * *

[نفي المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز]

وفي هذه السنة نفي المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهم في هذه السنة :

ذكر هشام عن أبي مخنف ، عن أبي زهير العبي ، قال : هاض المهلب وابن مخنف الأزارقة برامهرمز بكتاب الحجاج إليهما لعشر بقين من شعبان يوم الاثنين سنة خمس وسبعين ، فأجلوهم عن رامهرمز من غير قتال شديد ، ولكنهم زحفوا إليهم حتى أزالوهم ، وخرج القوم كأنهم على حامية ، حتى نزلوا سابور أرض منها يقال لها كازرون ، ودار المهلب وعبد الرحمن بن مخنف حتى نزلوا بهم في أول رمضان ، فخلق المهلب عليه ، فذكر أهل البصرة أن المهلب قال لعبد الرحمن بن مخنف : إن رأيت أن تخلق عليك فافعل ؛ وإن أصحاب عبد الرحمن أبوا عليه وقالوا : إنما خلقنا سيوفنا . وإن الخوارج زحفوا إلى المهلب ليلاً ليبيتوه ، فوجدوه قد أخذ حذره ، فالتوا نحو عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه لم يخلق ،

فقاتلوه ، فانهزم عنه أصحابه ، فنزل مقاتل في أناس من أصحابه فقتل ، وقتلوا حوله ^(١) ، فقال شاعرهم :

لن العسكر المكلل بالصر عى فهم بين ميت وقتيل
فترأهم تنفي الرياح عليهم حاصب الرمل بعد جر الذبول

٨٧٦/٢ وأما أهل الكوفة فإنهم ذكروا أن كتاب الحجاج بن يوسف أتى المهلب وعبد الرحمن بن غنم ، أن فاهضاً الخوارج حين يأتيكما كتابي . فناهضهم يوم الأربعاء لعشر بقين من رمضان سنة خمس وسبعين واقتتلوا قتالاً شديداً لم يكن بينهم فيما مضى قتال كان أشد منه ، وذلك بعد الظهر ، قالت الخوارج بحذها على المهلب بن أبي صفرة فاضطروه إلى عسكره ، فسرّح إلى عبد الرحمن رجالا من صلحاء الناس ، فأتوه ، فقالوا : إن المهلب يقول لك : إنما عدونا واحد ، وقد ترى ما قد لقي المسلمون ، فأمد إخوانك يرحمك الله . فأخذ يمدّه بالخيول بعد الخيل ، والرجال بعد الرجال ، فلما كان بعد العصر ورأت الخوارج ما يجيء من عسكر عبد الرحمن من الخيل والرجال إلى عسكر المهلب ظنوا أنه قد خفّ أصحابه ، فجمعوا خمس كتاب أو ستاً تجاه عسكر المهلب ، وانصرفوا بحذهم وجمعهم إلى عبد الرحمن بن غنم ، فلما رأهم قد صمدوا له نزل ونزل معه القراء ، عليهم أبو الأحوص صاحب عبد الله بن مسعود ، وخزّيمة بن نصر أبو نصر ابن خزّيمة العبسي الذي قُتل مع زيد بن عليّ وصلب معه بالكوفة ، ونزل معه من خاصّة قومه أحد وسبعون رجلا ، وحملت عليهم الخوارج فقاتلهم قتالاً شديداً . ثم إن الناس انكشفوا عنه ، فبقى في عصابة من أهل الصبر ثبتوا معه ، وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمن بعثه إلى المهلب ، فنادى في الناس ليتبعوه إلى أبيه ، فلم يتبعه إلا ناس ^(٢) قليل ، فجاء حتى إذا دنا من أبيه حالت الخوارج بينه وبين أبيه ، فقاتل حتى ارتثته الخوارج ، وقاتل عبد الرحمن بن غنم ومن معه على تل مشرف حتى ذهب نحو من ثلثي الليل ، ثم قُتل في تلك العصابة ، فلما أصبحوا جاء المهلب حتى

(١) بلحاق ب ، ف : « كلهم » . (٢) ب ، ف : « أناس » .

أثاه ، فدقته وصلتي عليه ، وكتب بمُصابه إلى الحجاج ، فكتب بذلك الحجاج إلى عبد الملك بن مروان ، فمضى عبد الرحمن يمضى ، وضم أهل الكوفة ، وبعث الحجاج على عسكر عبد الرحمن بن مخنف عتّاب بن ورقاء ، وأمره إذا ضمتكما الحرب أن يسمع للمهلب ويطيع ، فساء ذلك ، فلم يجد بداً من طاعة الحجاج ولم يقدر على مراجعته ، فجاء حتى أقام في ذلك العسكر ، وقاتل الخوارج وأمره إلى المهلب ، وهو في ذلك يتقضى أموره ، ولا يكاد يستشير المهلب في شيء . فلما رأى ذلك المهلب استطاع رجلا من أهل الكوفة فيهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة ، فأغراهم بعتّاب .

قال أبو مخنف عن يوسف بن يزيد : إن عتّاباً أتى المهلب يسأله أن يرزق أصحابه ، فأجلسه المهلب معه على مجلسه ، قال : فسأله أن يرزق أصحابه سؤالاً فيه غلظة وتجهّم ، قال : فقال له المهلب : وإنك لما هنا ٨٧٨/٢ بابن اللّخطاء فبنو تميم يزعمون أنه ردّ عليه ، وأما يوسف بن يزيد وغيره فيزعمون أنه قال : والله إنها لعمّة مخولة ، ولوددت أن الله فرق بيني وبينك . قال : فجري بينهما الكلام حتى ذهب المهلب ليرفع القضب عليه ، فوثب عليه ابنه المغيرة ، فقبض على القضب وقال : أصحك الله الأمير ! شيخ من أشياخ العرب ، وشريف من أشرافهم ، إن سمعت منه بعض ما تكرهه فاحتمله له ، فإنه لذلك منك أهل ، ففعل . وقام عتّاب فرجع من عنده ، واستقبله بسطام بن مصقلة يشتمه ، ويقع فيه .

فلما رأى ذلك كتب إلى الحجاج يشكو إليه المهلب ويخبره أنه قد أغرى به سفهاء أهل المصر ، ويسأله أن يضمّه إليه ، فوافق^(١) ذلك من الحجاج حجة إليه فيما لقي أشراف الكوفة من شبيب ، فبعث إليه أن اقدم . واترك أمر ذلك الجيش إلى المهلب ، فبعث المهلب عليه حبيب بن المهلب . وقال حميد بن مسلم يرى عبد الرحمن بن مخنف :

إن يقتلوك أبا حكيم غلوةً فلقد تشدّ وتقتل الأبطالاً

سَمَحَ الْخَلِيقَةَ مَاجِدًا بِفَضَالَا
مَنْ كَانَ يَحِيلُ عَنْهُمْ الْأَثَالَا
يَوْمًا إِذَا كَانَ الْقِتَالُ نِزَالَا
حَتَّى تَلْعَجَ مِنْ دَمٍ سِرْبَالَا
بِالْمَشْرِقِيَّةِ فِي الْأَكْفِ نِصَالَا
حِينَ اسْتَبَانُوا فِي السَّمَاءِ هِلَالَا
فَهُنَاكَ نَالَتْهُ الرِّمَاحُ فَمَالَا

أَوْ يُشْكِلُونَا سِيدَا لِمُسَوِّدٍ
فَلَيْشَ قَتَلَكَ هَذَا قَوْمَكَ كُلَّهُمْ
مَنْ كَانَ يَكْشِفُ غُرْمَهُمْ وَقِتَالَهُمْ
أَقْسَمْتُ مَا نِيلَتْ مَقَاتِلُ نَفْسِهِ
٨٧٩/٢ وَتَنَاجَزَ الْأَبْطَالُ تَحْتَ لَوَائِهِ
يَوْمًا طَوِيلًا ثُمَّ اتَّخَرَ لِيْلِهِمْ
وَتَكْشَفَتْ عَنْهُ الصُّفُوفُ وَخَيْلُهُ

وقال سُرَاقَةُ بْنُ مِرْدَاسٍ الْبَارِقِيُّ :

وَكُنَّا كَوَاهِي شَنْعٍ مَعَ رَاكِبٍ (١)
فَنُوحًا لِعَيْشٍ بَعْدَ ذَلِكَ خَائِبٍ
عَوَاقِقُ مَوْتٍ أَوْ قِرَاعُ الْكِتَابِ
وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا لِبَعْضِ الْمَذَاهِبِ
وَعَجَلُ فِي الشُّبَّانِ شَيْبُ اللَّوَائِبِ
وَحَرْقُ عَلَى خَدِّ كَرِيمٍ وَحَاجِبِ
مِنْ الْأَزْدِ عَمَّى بِالسُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ
إِلَى أَهْلِهِ إِنَّ كَانَ لَيْسَ بِأَيِّبِ
وَفُرْسَانُ قَوِي قُصْرَةٍ وَأَقَارِبِ (٢)

أَعَيْنِي جُودًا بِالدُّمُوعِ السَّوَائِبِ
عَلَى الْأَزْدِ لَمَّا أَنْ أَصِيبَ سَرَاتِهِمْ
تُرَجَّى الْخُلُودَ بِعِلْمٍ وَتَعَوَّنَا
وَكُنَّا بِخَيْرٍ قَبْلَ قَتْلِ أَبِيهِ يَخْنَفِ
أَمَّا دُمُوعُ الشَّيْبِ مِنْ أَهْلِ بَصْرِهِ
وَقَاتِلَ حَتَّى مَاتَ أَكْرَمَ مِيتَةٍ
وَضَارِبَ عَنْهُ الْمَارِقِينَ عَصَابَةً
فَلَا وَلَدَتْ أَنْثَى وَلَا أَبَ غَائِبُ
٨٨٠/٢ فَيَا عَيْنُ بَكْيٍ مِخْنَفًا وَأَبْنُ مِخْنَفٍ

وقال سُرَاقَةُ أَيْضًا يَرَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْتَف :

وَأَزْدُ عُمَانَ رَهْنِ رَمْسٍ بِكَازِرٍ (٣)
بِأَبْيَضٍ صَافٍ كَالْمَقِيْقَةِ بَاتِرٍ
كَرَامُ الْمَسَاجِي مِنْ كِرَامِ الْمَعَاشِرِ

ثَوَى سَيْدُ الْأَزْدِيْنَ أَزْدَ شُنُوءَةٍ
وَضَارِبَ حَتَّى مَاتَ أَكْرَمَ مِيتَةٍ
وَصُرَّعَ حَوْلَ التَّلِّ نَحْتَ لَوَائِهِ

قضى نحبهُ يومَ اللقاء ابنُ مخنفٍ وأدبَر عنه كلُّ ألوتٍ دائرٍ
أمدٌ فلم يُمددْ فراحَ مُشتمراً إلى الله لم يذهبْ بأثوابٍ غديرٍ
وأقامَ المهلبُ بسابورَ يقاتِلُهُم نحرًا من سنة .

وفي هذه السنة تحرك صالح بنُ مُسرَح أحدُ بني امرئ القيس ،
وكان يرى رأى الصُفْريّة . وقيل : إنّه أَوَّل من خرج من الصُفْريّة .

ذكر الخبر عن تحرك صالح للخروج

وما كان منه في هذه السنة

ذكر أن صالح بن مُسرَح أحدُ بني امرئ القيس حجّ سنة خمس وسبعين

ومعه شبيب بنُ يزيدَ وسويدَ والبطينَ وأشباهُهم . ٨٨١/٢

وحجّ في هذه السنة عبدُ الملك بنُ مروان ، فهمّ شبيب بالفتك به ،
وبلغه ذرّةً من خبرهم ، فكتب إلى الحجاج بعد انصرافه يأمره بطلبهم ،
وكان صالح يأتي الكوفة فيقيم بها الشهرَ ونحوه فيلقى أصحابه ليحدّهم ،
فنبّه بصالح الكوفة لسمّاء طلبه الحجاج ، فتكبّتها .

ثم دخلت سنة ست وسبعين

ذكر الكائن من الأحداث فيها

فمن ذلك خروج صالح بن مسرح .

ذكر الخبر عن خروج صالح بن مسرح

وعن سبب خروجه

وكان سببُ خروجه - فيما ذكر هشام ، عن أبي مخنف ، عن عبد الله ابن علقمة ، عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمي - أن صالح بن مسرح التميمي كان رجلاً ناسكاً مخبئاً مصفراً الوجه ، صاحب عبادة ، وأنه كان يدارأ وأرض الموصل والجزيرة له أصحاب يُقرئهم القرآن ويفقههم ويقص عليهم ، فكان قبيصة بن عبد الرحمن حدث أصحابنا^(١) أن قصص صالح بن مسرح عنده ، وكان ممن يرى رأيهم ، فسأله أن يبعث بالكتاب إليهم ، ففعل . ٨٨٢/١

وكان قصصه : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْلِلُونَ)^(٢) . اللهم إِنَّا لَا نَعْلَمُ بِكَ ، وَلَا نَحْفِدُ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ ، لك الخلق والأمر ، ومنك النفع والضرر ، وإليك الصبر . ونشهد أن محمداً عبدك الذي اصطفيته ، ورسولك الذي اخترته وارضيته لتبلغ رسالاتك ، ونصيحة عبادك ، ونشهد أنه قد بلغ الرسالة ، ونصح للأمة ، ودعا إلى الحق ، وقام بالقسط ، ونصر الدين ، وجاهد المشركين ، حتى توفاه الله صلى الله عليه وسلم . أوصيكم بتقوى الله والزهدة في الدنيا، والرغبة في الآخرة، وكثرة ذكر الموت، وفراق الفاسقين ، وحب المؤمنين^(٣) ، فإن الزهادة في الدنيا ترغب العبد فيما

(١) ب ، ف : « يحدث أصحابه » . (٢) سورة الأنعام : ١٠٢

(٣) ب ، ف : « وحب المؤمنين وفراق الفاسقين » .

عند الله ، وتُفَرِّغُ بَدَنَهُ لَطَاعَةِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَثُرَ ذِكْرُ الْمَوْتِ يُخَفِّفُ الْعَبْدَ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَسْجُرَ إِلَيْهِ ، وَيَسْتَكِينُ لَهُ ، وَإِنْ فَرَّقَ الْقَاسِقِينَ حَقًّا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ^(١) . وَإِنْ حُبَّ الْمُؤْمِنِينَ لِلْسَّبَبِ ^(٢) الَّذِي تُنَالُ بِهِ كَرَامَةُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَحُشَّةُ، جَعَلَنَا اللَّهُ وَلِيًّاكُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ الصَّابِرِينَ . أَلَا إِنَّ مِنْ نِعْمَةِ ^(٣) اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَبْعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَعَلَّمَهُم الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَزَكَّاهُمْ وَطَهَّرَهُمْ ٨٨٢/٢ وَوَقَّفَهُمْ فِي دِينِهِمْ ، وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رِعْوَةً رَحِيمًا ، حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ وَلَّى الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ التَّتِيَّ الصَّدِيقَ عَلَى الرِّضَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَاقْتُلَى بِيَهْدِيهِ ، وَاسْتَنْ بَسُنَّتُهُ ، حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَاسْتَحْظَفَ عَمْرًا ، فَوَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَ هَذِهِ الرِّصَّةِ ، فَعَمِلَ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَأَحْيَا سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلَمْ يُحْنِقْ فِي الْحَقِّ عَلَى جِرَّتِهِ ^(٤) ، وَلَمْ يَخَفْ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَأَمٍّ ، حَتَّى لَحِقَ بِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَوَلَّى الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ عِيَّانًا ، فَاسْتَأْثَرَ بِالْقِسْمِ ، وَعَطَّلَ الْحَدُودَ ، وَجَارَ فِي الْحُكْمِ ، وَاسْتَدْرَكَ الْمُؤْمِنَ ، وَعَزَّزَ الْمَجْرِمَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ فَقَتَلُوهُ ، فَبَرِئَ اللَّهُ مِنْهُ وَرَسُولُهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ^(٥) ، وَوَلَّى أَمْرَ النَّاسِ مِنْ بَعْدِهِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَكُلَّمَا يَنْشُبُ أَنْ حَكَمَ فِي أَمْرِ اللَّهِ الرَّجُلَ ، وَشَكَّ فِي أَهْلِ الضَّلَالِ ، وَرَكَعَ وَأَدْنَى ، فَخَنَزَ مِنْ عَلَى وَأَشْيَاعِهِ ^(٦) ، فَتَبَسَّرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِلِجْهَادِ هَذِهِ الْأَحْزَابِ الْمُتَحَزِّبَةِ ، وَأَمَّةِ الضَّلَالِ الظُّلْمَةِ وَلِلْمَخْرُوجِ مِنْ دَارِ الْفِتْنَةِ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ ، وَاللَّحَاقِ بِإِخْوَانِنَا الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ بَاعُوا الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ، وَأَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمُ التَّامَّ رِضْوَانِ اللَّهِ فِي الْعَاقِبَةِ ، وَلَا تَجُزُّوا مِنَ الْقَتْلِ فِي اللَّهِ ، فَإِنَّ الْقَتْلَ أَيْسَرُ مِنَ الْمَوْتِ ، وَالْمَوْتُ نَازِلٌ بِكُمْ غَيْرَ مَا تَرْجُمُ الظُّلْمُونَ ، فَمُفَرِّقٌ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ آبَائِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ ، وَجَلَّالِكُمْ ٨٨٤/٢ وَدُنْيَاكُمْ ، وَإِنْ اشْتَدَّ لِللَّهِ كِبَرُكُمْ وَجَزَعُكُمْ . أَلَا فَيَبْعُوا اللَّهَ أَنْفُسَكُمْ

(١) : سورة الحديد ٨٨ . (٢) : ف : « السبب » .

(٣) : ب ، ف : « نعم » . (٤) : س : « جريته » ، ب ، ف : « جريته » .

(٥) : ف : « وصالح المؤمنين » .

طائعين وأموالكم تلخلوا الجنة آمنين ، وتعانقوا الحُور العِين ، جعلنا الله
ولبائكم من الشاكرين النذكرين ، الذين يَهْتَدُونَ بالحق وبه يعدُّون .

قال أبو مخنف : فحدثني عبدُ الله بنُ علقمة ، قال : بينا أصحابُ
صالح يَخْتَلِفُونَ إليه إذ قال لهم ذات يوم : ما أدري ما تنتظرون ! حتى
مضى أنتم مقيمون ! ههنا الجُور قد فشا ، وهذا المعدل قد عفا ، ولا تزداد
هذه الولاةُ على الناس إلا غُلُوءاً وعُتُوّاً ، وتباعداً عن الحق ، وجُرأةً على
الربِّ ، فاستعدوا وابعثوا إلى إخوانكم الذين يريدون من إنكار الباطل
والدعاء إلى الحق مثل الذي تريدون ، فيأتوكم فلتلقوا ونظر فيما نحن صانعون ،
وفي أي وقت إن خرجنا نحن بخارجون .

قال : فتراسل أصحابُ صالح ، وتلاقوا في ذلك ، فبيّناهم في ذلك إذ
قدّم عليهم المحلل بن وائل الشُّكْرِيُّ بكتاب من شبيب إلى صالح بن
مسرح :

أما بعد ، فقد علمت أنك كنت أردت الشخص^(١) ، وقد كنت دعوتني
إلى ذلك فاستجبتُ لك ، فإن كان ذلك اليوم من شأنك فأنت شيخُ المسلمين ،
ولن نعدل بك منّا أحداً ، وإن أردت تأخير ذلك اليوم أعلمتني ؛ فإن
الآجالُ غاديةٌ ورائحةٌ ، ولا آمن أن تخترمتني المنيةُ ولما أجاهد الظالمين .
فيا له غيبتنا ، وبالله فضلاً مبروكاً ! جمعكنا الله وإياك ممن يريد بعمله
الله^(٢) ورضوانه ، والنظر إلى وجهه ، ومراقة الصالحين في دار السلام . والسلام
عليك .

قال : فلما قدّم على صالح المحلل بن وائل بذلك الكتاب من شبيب
كتب إليه صالح :

أما بعد ، فقد كان كتابك وخبرك أبطلًا عني حتى أمّيت ذلك ، ثم إن
امراً من المسلمين نبأني بنبأ مُخرجك ومقدّمك ، فتحمّد الله على قضاء
رَبِّنا . وقد قدّم على رسولك بكتابك ، فكل ما فيه قد فهمته ، ونحن

(١) ب : ف = الخروج والشخص .

(٢) أ : = بعلقه ، ويعصاقي ب : ف : والدار الآخرة .

في جهاز واستعداد الخروج ، لم يمنعني من الخروج إلا انتظارك ، فأقبل إلينا ، ثم أخرج بنا متى ما أحببت ، فلأنك ممن لا يستغنى عن رأيه ، ولا تغفنى دونه الأمور . والسلام عليك .

فلما قدم على شبيب كتابه بعث إلى نفر من أصحابه فجمعهم إليه ، منهم أخوه مصاد بن يزيد بن نعيم ، والمحلل بن وائل اليشكري ، والمصر بن حاتم من بني تميم بن شيبان ، وإبراهيم بن حجر أبو الصغير من بني محكم ، والفضل بن عامر من بني ذهل بن شيبان ، ثم خرج حتى قدم على صالح بن مسرح بلدارك ، فلما لقبه قال : اخرج بنا رحلك الله ! فوالله ما تزداد السنة إلا دروساً ، ولا يزداد المجرمون إلا طغياناً . فبث صالح رسله في أصحابه ، وواعدهم الخروج في هلال صفر ليلة الأربعاء سنة ست وسبعين . فاجتمع بعضهم إلى بعض ، وتهيئوا ، وتيسروا للخروج في تلك الليلة ، واجتمعوا جميعاً عنده في تلك الليلة لحياده .

٨٨٦/٢

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط الأزدي ، قال : والله إنني لسمعت شبيب بالمدائن إذ حدثنا عن خرجهم ، قال : لما همنا بالخروج اجتمعنا إلى صالح بن مسرح ليلة خرج ، فكان رأيي استعراض الناس لِمَا رأيت من المنكر والعدوان والفساد في الأرض ، فمضت إليه فقلت : يا أمير المؤمنين ، كيف تترى في السيرة في هؤلاء الظلمة ؟ أقتلهم قبل الدّعاء ، أم ندعوهم قبل القتال ؟ وسأخبرك برأيي فيهم قبل أن تخبرني فيهم برأيك ، أما أنا فأرى أن تقتل كل من لا يرى رأينا قريباً كان أو بعيداً ، فلإننا خرج على قوم غاوين طاغين باغين قد تركوا أمر الله ، واستحوذ عليهم الشيطان . فقال : لا بل ندعوهم ، فلعمري لا يجيبك إلا من يرى رأيك وليقاتلنك من يزري عليك ، والدّعاء أقطع لحجتهم ، وأبلغ في الحجة عليهم . قال : فقلت له : فكيف ترى فيمن قاتلنا فظفروا به ؟ ما تقول في ذمائمهم وأموالهم ؟ فقال : إن قتلنا وغنمنا فلنا ، وإن تجاوزنا وغفونا فموضع علينا ولنا . قال : فأحسن القول وأصاب ، رحمة الله عليه وعلينا .

قال أبو مخنف : فحدثني رجل من بني محلم أن صالح بن مسرح

قال لأصحابه ليلة خرج : اتقوا الله عباد الله ، ولا تعجلوا إلى قتال أحد من الناس إلا أن يكونوا قوماً يريدونكم ، وينصبون لكم ، فإنكم إنمّا خرجتم غضباً لله حيث انتهكت محارمه ، وعصى في الأرض ، فسفكت الدماء بغير حِلِّها ، وأخيلت الأموال بغير حقها ، فلا تغيّبوا على قوم أعمالاً ثم تعملوا بها ، فإن كل ما أنتم عاملون أنتم عنه مسئولون ، وإن عظمكم رجاله ، وهذه دواب لحمد بن مروان في هذا الرستاق ، فابدعوا بها ، فشدوا عليها ، فاحملوها أراجيلكم ^(١) ، وتقووا بها على عدوكم .

فخرجوا فأخذوا تلك الليلة الدواب فحملوها رجالهم عليها ، وصارت رجالتها فرساناً ، وأقاموا بأرض دارا ثلاث عشرة ليلة ، وتحصن منهم أهل دارا وأهل نصيبين وأهل سنجان ، وخرج صالح ليلة خرج في مائة وشرين - وقيل في مائة وعشرة - قال : وبلغ خرجهم محمد بن مروان وهو يومئذ أمير الجزيرة ، فاستخف بأمرهم ، وبعث إليهم عدى بن عدى بن عُميرة من بني الحارث بن معاوية بن ثور في خمسمائة ، فقال له : أصحك الله الأميراً أتبعني إلى رأس الخوارج منذ عشرين سنة ! قد خرج معه رجال من ربيعة قد سمعوا لي ، كانوا يمازونا ، الرجل منهم خير من مائة فارس في خمسمائة رجل . قال له : فإني أزيلك خمسمائة أخرى ، فسر إليهم في ألف ، فسار من حران في ألف رجل ، فكان أول جيش سار إلى صالح وسار إليه عدى ، وكانما يساق إلى الموت ، وكان عدى رجلاً يتسلك ، فأقبل حتى إذا نزل دوغان نزل بالناس وسرح إلى صالح بن مسرح رجلاً دمه إليه من بني خالد من بني الوردية ، يقال له : زياد بن عبد الله ، فقال : إن عبداً بعثني إليك يسألك أن تخرج من هذا البلد وتأتي بلداً آخر فتقاتل أهله ، فإن عبداً للقاتك كاره ، فقال له صالح : ارجع إليه ، فقل له : إن كنت ترى رأينا ^(٢) فأرنا من ذلك ما نعرف ^(٣) ، ثم نحن مدبجون عنك من هذا البلد إلى غيره ، وإن كنت على رأى الجباة وأئمة السوء ^(٤) رأينا رأينا ، فإن شئنا

(١) ط : أراجيلكم ، وانظر ابن الأثير . (٢) بمعاقب ، ف : وفانت آمن .

(٣) ب ، ف : وما نعرفه . (٤) ب ، ف : وأئمة السوء .

بدأنا بك ، وإن شئنا رحلنا إلى غيرك . فأنصرف إليه الرسول فأبلغه ما أُرسل به ، فقال له : ارجعْ إليه فقل له : إني والله ما أنا على رأيك ، ولكني أكره قتالك وقاتل غيرك ، فقاتلْ غيري ، قال صالح لأصحابه : اركبوا ، فركبوا وحَبَسَ الرجلَ عنده حتى خرجوا ، ثم تركه ومضى بأصحابه حتى يأتيَ عدِيَّ بنَ عدِيٍّ بنَ عُمَيْرٍ في سَوْقِ دَوْحَانَ وهو قائمٌ يصلي الضحى ، فلم يشعرُ إلا والخيلُ طالعةٌ عليهم ، فلما بَصُرُوا بها تنادوا ، وجعل صالحُ شبيهاً في كَتِيبةٍ في مِئْمَنَةِ أصحابه ، وبعثَ سويد بنَ سليمَ الهنديَّ من بني شيبان في كَتِيبةٍ في مِيسَرَةِ أصحابه ، وَوَقَفَ هو في كَتِيبةٍ في القَلْبِ ، فلما دنا منهم رَأَى على غيرِ تعبئةٍ ، وبعضهم يحول في بعض ، فأمرَ شبيباً فحملَ عليهم ، ثم حملَ سويدُ عليهم فكانت هزيمتهم ولم يُقاتلوا ، وأتىَ عدِيَّ بنَ عدِيٍّ بدابته وهو يصلي فركبها ومضى على وجهه ، وجاء صالحُ ابنُ مَسْرَحٍ حتى نزلَ عسكره وحوى ما فيه ، وذهبَ فلُ عَدِيٍّ وأوائلُ أصحابه حتى دخلوا على مُحَمَّدِ بْنِ مِرْوَانَ ، فَتَقَبَّبَ ، ثم دعا خالداً بنَ جَزْءِ السُّلَمِيِّ فبعثه في ألف وخمسمائة ، ودعا الحارثَ بنَ جَعْفَرَةَ من بني ربيعة بنِ عامر بنِ صعصعة فبعثه في ألف وخمسمائة ، ودعاهما ، فقال : اخرجوا إلى هذه الحارِجة القليلة الخبيثة ، وصجلاً الخروج ، وأغذاً السير ، فأبكما سبق فهو الأمير على صاحبه ؛ فخرجوا من عنده فأغذاً السير ، وصجلاً يسألان عن صالح بنِ مَسْرَحٍ فيقال لهما : إنه توجهَ نحو أَمَدَ ، فأتبعا حتى انتهيا إليه ، وقد نزلَ على أهلِ أَمَدَ فنزلا ليلاً ، فَخَنَدَقَا وانتهيا إليه وهما متساندانِ كل واحد منهما في أصحابه على حدة ، فوجهَ صالحُ شبيباً إلى الحارثِ بنِ جَعْفَرَةَ العامريِّ في شطرِ أصحابه ، وتوجهَ هو نحو خالداً بنِ جَزْءِ السُّلَمِيِّ .

قال أبو غنم : فحدثني المُحَلَّمِيُّ ، قال : انتهوا إلينا في أول وقت العصر ، فصلّى بنا صالحُ العصر ، ثم عبأنا لهم فاقتلنا كأشدِّ قتالٍ اقتله قومٌ قط ، وجعلنا والله نرى الظفرَ يحملُ الرجلُ منّا على العشرة منهم فيهزمهم ، وعلى العشرين فكذلك ، وجعلتُ خيلهم لا تثبت لحيلنا .

فلما رأى أميراهم ذلك ترجلاً وأمرأ بجُلٍّ من معهما فترجل ، فعند ذلك جعلنا لا نقدر منهم على الذي نريد ، إذا حَمَكْنَا عليهم استقبلتنا رَجَالَتُهُم بِالرَّمَا ح ، ونَضَحْنَا رِمَاتُهُم بِالنَّبِيل ، وخیلُهُم تطاردنا في خلال ذلك ، فقاتلناهم إلى المساء ^(١) حتى حالَّ الليلُ بيننا وبينهم ، وقد أَفْشَوْا فِينَا الجِرَاحَةَ ، وَأَفْشَيْنَاهَا فِيهِمْ ، وقد قَتَلُوا مِنَّا نَحْواً من ثلاثين رجلاً ، وقَتَلْنَا منهم أَكْثَرَ من سبعين ، ووالله ما أَمْسَيْنَا حتى كَرِهْنَاهُمْ وَكَرِهُونَا ، فَوَقَفْنَا مُقَابِلَهُمْ مَا يَقْدُمُونَ عَلَيْنَا وما تَقْدُمُ عَلَيْهِمْ ، فلما أَمْسَوْا رَجَعُوا إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَرَجَعْنَا إِلَى عَسْكَرِنَا فَصَلَّيْنَا وَتَرَوَّحْنَا وَأَكَلْنَا مِنَ الْكَيْسَر .

ثمَّ إِنَّ صَالِحاً دَعَا شَيْباً وَرُوعساً أَصْحَابِيهِ فَقَالَ : يَا أَخْلَاقِي ، مَاذَا تَرَوْنَ ؟ فَقَالَ شَيْبٌ : أَرَى أَنَا قَدْ لَقِينَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَقَاتَلْنَاهُمْ ، وَقَدْ اعْتَصَمُوا بِخَيْلِهِمْ ، فَلَا أَرَى أَنْ نَقِيْمَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ صَالِحٌ : وَأَنَا أَرَى ذَلِكَ ، فَخَرَجُوا مِنْ تَحْتِ لَيْتِهِمْ سَائِرِينَ ، فَمَضَوْا حَتَّى قَطَعُوا أَرْضَ الْخَزِيرَةِ ، ثُمَّ دَخَلُوا أَرْضَ الْمَوْصِلِ فَسَارُوا فِيهَا حَتَّى قَطَعُوهَا وَمَضَوْا حَتَّى قَطَعُوا الدَّسْكَرَةَ .

فلما بلغ ذلك الْحَجَّاجَ سَرَحَ إِلَيْهِمُ الْحَارِثُ بْنُ عَمِيرَةَ بْنِ ذِي الْمَشْعَارِ الْهَمْدَانِيَّ فِي ثَلَاثَةِ آلَافِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، أَلْفٌ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ الْأُولَى ، وَالْفَتَيْنِ مِنَ الْفَرَسِ الَّذِي فَرَضَ لَهُمُ الْحَجَّاجُ . فَسَارَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ الدَّسْكَرَةِ خَرَجَ صَالِحُ بْنُ مَسْرَحٍ نَحْوَ جُكُولَاءَ وَخَانِقِينَ ، وَاتَّبَعَهُ الْحَارِثُ بْنُ عَمِيرَةَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا الْمَدْبِجُ مِنْ أَرْضِ الْمَوْصِلِ عَلَى تَخُومِ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَرْضِ جُوحَى ، وَصَالِحٌ يَوْمُئِذٍ فِي تَسْعِينَ رَجُلًا ، فَتَقَى الْحَارِثُ ابْنَ عَمِيرَةَ يَوْمُئِذٍ أَصْحَابِيهِ ، وَجَعَلَ عَلَى مِمْتِهِ أَبَا الرَّوَاحِ ^(٢) الشَّاكِرِيَّ ، وَجَعَلَ مِيسِرَتَهُ الزَّيْبَرَ بْنَ الْأَرْوَاحِ التَّمِيمِيَّ ، ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِمْ — وَذَلِكَ بَعْدَ الْعَصْرِ — وَقَدْ جَعَلَ أَصْحَابِيهِ ثَلَاثَةَ كَرَادِيْسٍ ، فَهُوَ فِي كَرْدُوسٍ ، وَشَيْبٌ فِي كَرْدُوسٍ فِي مِمْتِهِ ، وَسُوَيْدُ بْنُ سَلِيمٍ فِي كَرْدُوسٍ فِي الْمِيسِرَةِ ، فِي كُلِّ كَرْدُوسٍ مِنْهُمْ ثَلَاثُونَ رَجُلًا .

فلما شَدَّ عَلَيْهِمُ الْحَارِثُ بْنُ عَمِيرَةَ فِي جَمَاعَةِ أَصْحَابِيهِ انْكَشَفَ سُؤَيْدٌ

ابن سليم ، وثبت صالح بن مسرح قَتِيل ، وضارب شبيب حتى صرع ،
 فوقع في رجالة ، فشدّ عليهم فانكشفوا ، فجاء حتى انتهى إلى موقف صالح
 ابن مسرح فأصابه قتيلا ، فنادى : إلى يا معشر المسلمين ، فلاذُّوا به ، فقال
 لأصحابه : ليعجل كل واحد منكم ظهره إلى ظهر صاحبه ، وليطاعن
 عدوه إذا أقدم عليه حتى نخل هذا الحصن ، ورمى رأينا ، ففعلوا ذلك
 حتى دخلوا الحصن وهم سبعون رجلا بشبيب ، وأحاط بهم الحارث بن
 عميرة مُسَيِّباً ، وقال لأصحابه : احرقوا الباب ، فإذا صار جمرًا فدعوه
 فإنهم لا يتدرون على أن يخرجوا منه حتى نصبهم فتقتلهم . ففعلوا ذلك
 بالباب ، ثم انصرفوا إلى عسكرهم ، فأشرف شبيب عليهم وطاقفة من
 أصحابه ، فقال بعض أولئك القترى : يا بني الزواني ، ألم يُخزركم الله ! فقالوا :
 يا مُسَيِّب ، نعم تقاتلوننا لقتالنا إياكم إذ أعاكم الله عن الحق الذي نحن
 عليه ، فما عدركم عند الله في القترى على أمهاتنا ! فقال لهم حُكَّامُهم ^(١) :
 إنما هذا من قول شباب فينا سُفَهَاء ، والله ما يُعجبنا قولهم ولا نستحلّه .
 وقال شبيب لأصحابه : يا هؤلاء ، ما تنتظرون ! فوالله لئن صيحكم هؤلاء
 غدوةً لئن هلكاكم ، فقالوا له : مرنا بأمرك ، فقال لهم : إن القليل
 أحق للويل ، يايعزى ومن شتم ^(٢) منكم ، ثم اخرجوا ^(٣) بنا حتى نشدّ
 عليهم في عسكرهم ، فإنهم لذلك منكم آمنون ، وإذا أرجو أن ينصركم الله ^{٨٩٢/٢}
 عليهم . قالوا : فابسط يديك فلنبايعك ، فبايعوه ، ثم جاءوا ليخرجوا ، وقد
 صار بأيهم جمرًا ، فأتوا بالبيد فلبوها بالماء ، ثم ألقوها على الجمر ،
 ثم قطعوا عليها ، فلم يشمر الحارث بن عميرة ولا أهل السكرك إلا وشبيب
 وأصحابه يضرّونهم ^(٤) بالسيوف في جوف عسكرهم ^(٥) ، فضارب الحارث
 حتى صرع ، واحتملك أصحابه وانهزموا ، وخطوا لهم العسكر وماغيه ،
 ومضوا حتى نزلوا المدائن ، فكان ذلك الجيش أول جيش هزّمه شبيب ،
 وأصيب صالح بن مسرح يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى
 الأولى من سنة .

(١) ب ، ف : « عليهم » . (٢-٢) ب ، ف : « من أصحابكم واخرجوا » .

(٣) ب ، ف : « يضربونهم » . (٤) ب ، ف : « عسكرهم » .

[خبر دخول شبيب الكوفة وما كان من أمره مع الحجاج]

وفي هذه السنة دخل شبيب الكوفة معه زوجته غزالة .

• ذكر الخبر عن دخوله الكوفة وما كان من أمره وأمر الحجاج بها

والسبب الذي دعا شبيباً إلى ذلك :

وكان السبب في ذلك - فيما ذكر هشام ، عن أبي مخنف ، عن عبد الله بن علقمة ، عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمي - أن شبيباً لما قُتِل صالح بن مسريح بالمديح وبإيعه أصحاب صالح ، ارتفع إلى أرض الموصل فلقى سلامة بن سيار بن المضاء التميمي تيم شيان ، فدعاه إلى الخروج معه ، وكان يعرفه قبل ذلك إذ كانا ^(١) في الديوان والمغازي ، فاشترط عليه سلامة أن يستخيب ثلاثين فارساً ، ثم لا يغيب عنه إلا ثلاث ليالٍ عدداً . ففعل ، فانتخب ثلاثين فارساً ، فانطلق بهم نحو عسرة ، وإنما أرادهم ليشفي نفسه منهم لقتلهم أخاه فضالة ، وذلك أن فضالة كان خرج قبل ذلك في ثمانية عشر نفساً حتى نزل ماء يقال له الشجرة من أرض الجبال ، عليه أثلة عظيمة ، وعليه عسرة ، فلما رأته عسرة قال بعضهم لبعض : نقتلهم ثم نغدو بهم إلى الأمير فنعطى ونحجى ، فأجمعوا على ذلك ، فقال بنو نصر أخواله : لعمر الله لا نساعدكم على قتل ولدنا . فنهضت عسرة إليهم فقاتلوهم فقتلوهم ، وأتوا بروسهم عبد الملك بن مروان ، فلذلك أنزلهم بانيقيا ، وفرض لهم ، ولم تكن لهم فرائض قبل ذلك إلا قليلة ، فقال سلامة بن سيار ، أخو فضالة يذكر قتل أخيه بخذلان أخواله إياه :

وَمَا خِلْتُ أَخْوَالَ الْفَتَى يُسْلِمُونَهُ . لَوْ قَعَّ السِّلَاحُ قَبْلَ مَا فَعَلْتَ نَصْرُ
قال : وكان خروج أخيه فضالة قبل خروج صالح بن مسريح وشبيب .

(١) كلا في ١ ، ووط : « كان » .

فلما بايع سلامة شيباً اشترط عليه هذا الشرط ، فخرج في ثلاثين فارساً حتى انتهى إلى عترة ، فجعل يقتل المحطة منهم بعد المحطة حتى انتهى ٨٩٤/٢ إلى فريق منهم فيهم خالته ، وقد أكيبت على ابن لها وهو غلام حين احتلم ، فقالت وأخرجت ثديها إليه : أنشدك برحمتك هنا يا سلامة ! فقال : لا والله ، ما رأيت فضالة مذ أناخ بعمر الشجرة - يعني أخاه - لتؤمن عنه ، أو لأجمنعن حافتك بالرمح ، فقامت عن ابنها عند ذلك فقشكه .

قال أبو مخنف : فحدثني الفضل بن بكر من بني تميم بن شيان أن شيباً أقبل في أصحابه نحو راذان ، فلما سمعت به طائفة من بني تميم ابن شيان خرجوا هرباً منه ، ومعهم ناس من غيرهم قليل ، فأقبلوا حتى نزلوا دير خرزاد إلى جنب حولايا ، وهم نحو من ثلاثة آلاف ، وشيب في نحو من سبعين رجلاً أو يزيدون قليلاً ، فنزل بهم ، فهابوه وتحصنوا منه . ثم إن شيباً سرى في اثني عشر فارساً من أصحابه إلى أمه ، وكانت في سقح سائداً ما نازلة في مظلة من مظال الأعراب : فقال : لآتين بأمتي فلأجعلتها في عسكري فلا تفارقي أبداً حتى أموت أو تموت . وخرج رجلان من بني تميم بن شيان تخوفاً على أنفسهما فنزلا من الدير ، فلحقا جماعة من قومه وهم نزول بالجلال منهم على مسيرة ساعة من النهار ، وخرج شيب ، في أولئك الرهط في أولهم وهم اثنا عشر ، يريد أمه بالسفح ، فلذا ٨٩٥/٢ هو جماعة من بني تميم بن شيان غارين في أموالهم مقيمين ، لا يرون أن شيباً يمر بهم لمكانهم الذي هم به ، ولا يشعر بهم ، فحمل عليهم في فرسانه تلك ، فقتل منهم ثلاثين شيخاً ، فيهم حوثة بن أسد ووبر بن حاصم اللذان كانا نزلاً من الدير ، فلحقا بالجلال ، وبقى شيب إلى أمه فحملها من السفح ، فأقبل بها ، وأشرف رجل من أصحاب الدير من بكر بن وائل على أصحاب شيب ، وقد استخلف شيب أخاه على أصحابه مصاد بن يزيد ، ويقال لذلك الرجل الذي أشرف عليهم سلام بن حيان ، فقال لهم : يا قوم ، القرآن بيننا وبينكم ، ألم تسموا قول الله : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ ،

قالوا : بلى ، قال لهم : فكفتموا عنا حتى نصبح ، ثم نخرج إليكم على أمان لنا منكم ، لكيلا تعرضوا لنا بشيء نكرهه حتى تعرضوا علينا أمركم هذا ، فإن نحن قبلناه حرمت عليكم أموالنا ودمائنا ، وكنتا لكم إخواننا ، وإن نحن لم تقبله رددمونا إلى مأمنا ، ثم رأيتم رأيكم فيما بيننا وبينكم ، قالوا لهم : فهنا لكم . فلما أصبحوا خرجوا إليهم ، فعرض عليهم أصحاب شبيب قولهم ، ووصفوا لهم أمرهم ، فقبلوا ذلك كله ، وخالطوهم ، وقرؤوا إليهم ،^{٨٩٦/٢} فدخل بعضهم إلى بعض ، وجاء شبيب وقد اصطلحوا ، فأخبره أصحابه خبرهم ، فقال : أصبتم ووفقتم وأحسنتم .

ثم إن شبيباً ارتحل فخرجت معه طائفة وأقامت طائفة بجائحة ، وخرج يومئذ معه إبراهيم بن حنجر الحلبي أبو الصقير كان مع بني تميم بن شيبان نازلاً فيهم ، ومضى شبيب في أداني أرض الموصل وتخوم أرض جوحى ، ثم ارتفع نحو أذربيجان ، وأقبل سفيان بن أبي العالية الخثعمي في خيل قد كان أمر أن يدخل بها طبرستان ، فأمر بالقول ، فأقبل راجعاً في نحو من ألف فارس ، فصالح صاحب طبرستان .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الله بن خلعة عن سفيان بن أبي العالية الخثعمي أن كتاب الحجاج أتاها : أما بعد ، فسر حتى تنزل الدسكرة فيمن معك ، ثم أقم حتى يأتيك جيش الحارث بن عميرة الهمداني بن ذى المشعار ، وهو الذي قتل صالح بن مسرح وخيل المناظر ، ثم سر إلى شبيب حتى تنالجه . فلما أتاها الكتاب أقبل حتى نزل الدسكرة ، ونودي في جيش الحارث بن عميرة بالكوفة والمدائن : أن برئت الدمة من رجل من جيش الحارث بن عميرة لم يواف سفيان بن أبي العالية بالدسكرة .

قال : فخرجوا حتى أتوه ، وأتته خيل المناظر ، وكانوا خمسمائة ، عليهم سورة بن أبيجر التميمي من بني أبيان بن دارم ، فوافوه إلا نحواً من خمسين رجلاً تخلّفوا عنه ، وبعث إلى سفيان بن أبي العالية ألا تبرح المسكر حتى أتيتك . فمجل سفيان فارتحل في طلب شبيب ، فلحقه بخافقين في سفتح جبل على ميخته خازم بن سفيان الخثعمي من بني^{٨٩٧/٢}

عرو بن شهران، وعلى ميسره على بن عميرة الشيباني، وأصحح لهم شبيب، ثم ارتفع عنهم حتى كأنه يكره لقاءه، وقد أكن له أخاه مصاداً معه خمسون في هزم^(١) من الأرض.

فلما رأوه جمَعَ أصحابه ثم مضى في سفح الجبل مشرفاً فقالوا: حرب عدو الله فاتبعوه، فقال لهم على بن عميرة الشيباني: أيها الناس، لا تعجلوا عليهم حتى نضرب في الأرض ونسير بها، فإن يكونوا قد أكنوا لنا كميناً كنا قد حذرناهم، وإلا فإن طلبهم ليزفوتنا. فلم يسمع منه الناس، وأسرعوا في آثارهم. فلما رأى شبيب أنهم قد جازوا الكمين عطف عليهم.

ولما رأى الكمين أن قد جاوزوهم خرجوا إليهم، فحمل عليهم شبيب من أمامهم، وصاح بهم الكمين من ورائهم، فلم يقاتلهم أحد، وكانت المزينة، فثبت ابن أبي العالية في نحو من مائتي رجل، فقاتلهم قتالا شديداً حسناً، حتى ظن أنه انتصف من شبيب وأصحابه. فقال سويد بن مسلم لأصحابه: أمينكم أحد يعرف أمير القوم ابن أبي العالية؟ فوالله لئن عرفتُه لأجهدن نفسي في قتله، فقال شبيب: أنا من أعرف الناس به، أما ترى صاحب القوس الأغرة الذي دونته المرامية! فإنه ذلك، فإن كنت تريدُه ٨٩٨/٧ فأمهله قليلاً. ثم قال: يا قعب، اخرج في عشرين فأتهم من ورائهم، فخرج قعب في عشرين فارتفع عليهم.

فلما رأوه يريد أن يأتبهم من ورائهم جعلوا يتنقصون ويسئلون، وحمل سويد بن مسلم على سفيان بن أبي العالية فطاعته، فلم تصنع رماحهما شيئاً، ثم اضطربا يستقيهما ثم اعتنق كل منهما صاحبه، فوقعا إلى الأرض يعتركان، ثم تحاجزا وحمل عليهم شبيب فأنكشفا، وأتى سفيان غلام له يقال له غزوان، فنزل عن يردونه، وقال: اركب يا مولى، فركب سفيان، وأحاط به أصحاب شبيب، فقاتل دونه غزوان فقتل، وكانت معه رايته. وأقبل سفيان بن أبي العالية حتى انتهى إلى بابل مهزود،

(١) الهزم: ما الحلت من الأرض.

فنزل بها ، وكتب إلى الحجاج :

أماً بعد ، فلني أخير الأمير أصلحه الله أني اتبعت هذه المارقة حتى لحقتهم بخانيقين قاتلتهم ، فضرَبَ الله وجوههم ، ونصرنا عليهم ، فبينما نحن كذلك إذ أناهم قوم كانوا غيباً عنهم ، فتحملوا على الناس فهزمهم ، فنزلت في رجال من أهل الدين والصبر قاتلتهم ، حتى نحررت بين القتل ، فتحملت مرتشاً ، فأقني بي بابل مهروذ ، فهأنذا بها والجند الذين وجههم إلى الأمير وافقوا لاسورة بن أبجر فإنه لم يأتني ولم يشهد معي حتى إذا ما نزلت بابل مهروذ أتاني يقول ما لا أعرف^(١) ، ويعتذر بغير العذر . والسلام .

٨٩٩/٢ فلما قرأ الحجاج الكتاب قال : من صنع كما صنع هذا ، وأبلى كما أبلى فقد أحسن . ثم كتب إليه :

أماً بعد ، فقد أحسنت البلاء ، وقضيت الذي عليك ، فإذا خفت عنك الوجع فأقبل مأجوراً إلى أهليك . والسلام .

وكتب إلى سورة بن أبيجر :

أماً بعد فيا بن أم سورة ، ما كنت خليقاً أن تجترى على ترك عهدى وخذلان جندى ، فإذا أتاك كتابي فابعث رجلاً ممن معك صليفاً إلى الخيل التي بالمدائن ، فلينتخب منهم خمسمائة رجل ، ثم ليقلع بهم عليك ، ثم سير بهم حتى تلقى هذه المارقة : واحزم في أمرك ، وكده عدوك ، فإن أفضل أمر الحرب حسن المكيلة . والسلام .

فلما أتى سورة كتاب الحجاج بعث عدى بن عميرة إلى المدائن ، وكان بها ألف فارس ، فانتخب منهم خمسمائة ، ثم دخل على عبد الله بن أبي عصفير — وهو أمير المدائن في إمارته الأولى — فسلم عليه ، فأجازه بألف درهم ، وحمله على فارس ، وكساه أثواباً . ثم إنّه خرج من عنده ، فأقبل بأصحابه حتى قدم بهم على سورة بن أبيجر ببابل مهروذ ، فخرج في طلب شبيب ، وشبيب^(٢)

(١) ب ، ف ، : « أموه » .

(٢) ١ : « وخرج شبيب » .

يَسْجُودُ فِي جُوعَتِي وَسُورَةٍ فِي طَلْبِهِ ، فَجَاءَ شَيْبٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمَدَائِنِ ،
فَتَحَصَّنَ مِنْ أَهْلِ الْمَدَائِنِ وَتَحَرَّزُوا ، وَوَهَى أُنْبِيَا الْمَدَائِنِ الْأُولَى ، فَدَخَلَ
الْمَدَائِنِ ، فَأَصَابَ بِهَا دَوَابَّ جَنْدٍ كَثِيرَةٌ ^(١) ، فَقَتَلَ مَنْ ظَهَرَ لَهُ وَلَمْ يَسْخَطُوا الْبُيُوتَ ،
فَأَتَى قَبِيلَ لَهُ : هَذَا سُورَةُ بْنُ أَيْمَرٍ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكَ ، فَخَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ ٩٠٠/٢
حَتَّى انْتَهَى إِلَى النَّهْرَوَانِ ، فَتَزَلُّوا بِهِ وَتَوَضَّعُوا وَصَلُّوا ، ثُمَّ أَتَوْا مِصَارِعَ إِخْوَانِهِمْ
الَّذِينَ قَتَلْتَهُمْ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَاسْتَغْفَرُوا لِإِخْوَانِهِمْ ،
وَتَبَرَّعُوا مِنْ عَلَى وَأَصْحَابِهِ ، وَبَكَوْا فَأَطَالُوا الْبَكَاءَ ، ثُمَّ خَرَجُوا فَقَطَعُوا جِسْرَ
النَّهْرَوَانِ ، فَتَزَلُّوا مِنْ جَانِبِهِ الشَّرْقِيِّ ، وَجَاءَ سُورَةُ حَتَّى نَزَلَ بِقَطْرَانًا ، وَجَاءَتْهُ
عُيُونُهُ فَأَخْبَرَتْهُ بِمَنْزِلِ شَيْبٍ بِالنَّهْرَوَانِ ، فَلَمَّا رَمَوْا أَصْحَابَهُ فَقَالَ : إِنَّهُمْ
قَلَمَا يُلْقُونَ مُصْحِرِينَ أَوْ عَلَى ظَهَرٍ إِلَّا انْتَصَفُوا مِنْكُمْ ، وَظَهَرُوا عَلَيْكُمْ ،
وَقَدْ حَدَّثْتُ أَنَّكُمْ لَا يَزِيدُونَ عَلَى مِائَةِ رَجُلٍ إِلَّا قَلِيلًا ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُنْتَخِبَكُمْ
فَأَسِيرَ فِي ثَلَاثَةِ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِنْ أَقْوِيَانِكُمْ وَشُجْعَانِكُمْ فَأَتَيْتُهُمُ الْآنَ إِذْ هُمْ
آمَنُونَ لِبَيَاتِكُمْ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَصْرَعَهُمُ اللَّهُ مِصَارِعَ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ
صَرَعُوا مِنْهُمْ بِالنَّهْرَوَانِ مِنْ قَبْلُ . فَقَالُوا : اصْنَعْ مَا أَحْبَبْتَ . فَاسْتَعْمَلَ عَلَى
عَسْكَرِهِ حَازِمَ بْنَ قُلْدَامَةَ الْحُثَمِيِّ ، وَانْتَخَبَ مِنْ أَصْحَابِهِ ثَلَاثَةَ رَجُلٍ مِنْ
أَهْلِ الْقُوَّةِ وَالْجَسَدِ وَالشَّجَاعَةِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِمْ نَحْوَ النَّهْرَوَانِ ، وَبَاتَ شَيْبٌ
وَقَدْ أَذَكَّى الْحَرَمَ ، فَلَمَّا دَفَا أَصْحَابُ سُورَةَ مِنْهُمْ تَنَذَرُوا بِهِمْ ، فَاسْتَوُوا
عَلَى خَيْلِهِمْ وَتَعَبَّرُوا تَعَبَّتِهِمْ .

٩٠١/٢ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ سُورَةُ وَأَصْحَابُهُ أَصَابَهُمْ قَدْ حَكَّرُوا وَاسْتَعْدَوْا ،
فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةُ وَأَصْحَابُهُ فَشَبُّوا لَهُمْ ، وَضَارَبُوهُمْ حَتَّى صَدَّ عَنْهُمْ سُورَةُ
وَأَصْحَابُهُ ، ثُمَّ صَاحَ شَيْبٌ بِأَصْحَابِهِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّى تَرَكَوا لَهُ الْعُرْصَةَ ،
وَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ مَعَهُ ، وَجَعَلَ شَيْبٌ يَضْرِبُ وَيَقُولُ :

مَنْ يَنْكِ الْغَيْرَ يَنْكِ نَيْكًا جَنْدَلَتَانِ اضْطَكَّنَا اضْطَكَّنَا أَصْطَكَّا
فَرَجَعَ سُورَةُ إِلَى عَسْكَرِهِ وَقَدْ هُزِمَ الْقُرْصَانُ وَأَهْلُ الْقُوَّةِ ، فَتَحَمَّلَ بِهِمْ
حَتَّى أَقْبَلَ بِهِمْ نَحْوَ الْمَدَائِنِ ، فَلَمَّحَ إِلَيْهِمْ وَقَدْ تَحَمَّلَ وَتَعَدَّى الطَّرِيقَ الَّذِي

فيه شبيب ، واتبه شبيب وهو يرجو أن يكلفه فيصيب عسكره ، ويصيب بهزيمة أهل العسكر ، فأغذَّ السير في طلبهم ، فانتَهَوْا إلى المدائن فندَّخلوها ، وجاء شبيب حتَّى انتهى إلى بيوت المدائن ، فدفع إليهم وقد دخل الناس ، وخرج ابنُ أبي عَصِيْفٍ في أهل المدائن فرماهم الناس بالنَّبل ، ورُمُوا من فوق البيوت بالحجارة ، فارتفع شبيب بأصحابه عن المدائن ، فرَّ على كلِّواذٍ فأصاب بها دواب كثيرة للحجَّاج فأخذَها ، ثمَّ خرج يسيرُ في أرض جَوْحَى ، ثمَّ مضى نحو تكريت ، فبينما ذلك الجُنْد في المدائن إذ أُرْجِفَ الناسُ بينهم ، فقالوا : هذا شبيب قد دكَّنَا ، وهو يريد أن يبيِّت أهل المدائن اللَّيلة ، فارتحلَّ عامةُ الجُنْد . فلكَحِقُوا بالكوفة .

قال أبو مخنف : وحدَّثني عبدُ الله بنُ علفمة الخشعمي ، قال : والله ٩٠٧/٢ لقد هربوا من المدائن وقالوا : نُبيِّتُ اللَّيلة ، وإنَّ شبيباً لَسَيَكْبِرِيَّت ، قال : ولمَّا قدَّم الفلَّ على الحجَّاج سرَّح الجزل بن سعيد بن شَرَحْبِيل بن صَمْرُو الكنتلي .

قال أبو مخنف : حدَّثنا النَّضر بنُ صالح العبَّسيّ وفَضِيل بنُ خديج الكنتليّ أنَّ الحجَّاج لمَّا أتاه الفلَّ قال : قبح الله سوْرَةَ! ضَيَّعَ العسكر والجُنْد ، وخرج يبيِّت الخوارج ، أمَّا والله لأُموئنه ، وكان بعدُ قد (١) حبَّسه ثمَّ عَفَا عنه .

قال أبو مخنف : وحدَّثني فضيل بن خديج أنَّ الحجَّاج دعا الجزل - وهو عثمان بن سعيد - فقال له : تيسر للخروج إلى هذه المارقة ، فإذا لتيتهم فلا تعجلْ عجلةَ الخريق ، ولا تُحجِّم إحمَّامَ الوالي الفريق ، هل فهمت ؟ قال : أنت يا أبا بني عمرو بن معاوية ! فقال : نعم أصلح الله الأمير قد فهمت ؛ قال له : فانخرج فمسكر يدبِّر عبد الرحمن حتَّى يخرج إليك الناس ، فقال : أصلح الله الأمير ! لا تبعنَّ معي أحداً من أهل هذا الجُنْد المفلول المهزوم ، فإنَّ الرغب قد دخل قلوبهم ، وقد خشيتُ ألاَّ يفعلك والمسلمين منهم أحد ؛ قال له : فإنَّ ذلك لك ، ولا أراك إلاَّ قد أحسنتُ الرَّأْيَ ووَقَّعتُ . ثمَّ دعا أصحاب الدَّواوين فقال : اضربوا على

الناس البعث ، فأخرجوا أربعة آلاف من الناس ، من كل ربيع ألف رجل ، وعجلوا ذلك ، فجمعت العرفاء ، وجلس أصحاب الدواوين ، وضربوا البعث فأخرجوا أربعة آلاف ، فأمرهم بالعسكر فمَسَكُوا ، ثم نوى ٩٠٣/٢ فيهم بالرحيل ، ثم ارتحلوا ونادى منادى الحمجج : أن برئت اللذمة من رجل أصبته من هذا البعث متخلفاً ، قال : فمضى الجزل بن سعيد ، وقد قدم بين يديه عياض بن أبي لينة الكندي على مقدمته ، فخرج حتى أتى المدائن ، فأقام بها ثلاثاً ، وبعث إليه ابن أبي عصيفير بفرس وبرذون وبغلين وألئى درهم ، ووضع للناس من الجزر والعلف ما كفاهم ثلاثة أيام حتى ارتحلوا ، فأصاب الناس ما شاءوا من تلك الجزر والعلف الذي وضع لهم ابن أبي عصيفير . ثم إن الجزل بن سعيد خرج بالناس في أثر شبيب ، فملكبه في أرض جوحى ، فجعل شبيب يريه الهبة ، فيخرج من رُستاق إلى رُستاق ، ومن طسوج إلى طسوج ، ولا يقيم له إرادة أن يفرق الجزل أصحابه ، ويتعجل إليه فيلقاه في يسير من الناس على غير تعب ، فجعل الجزل لا يسير إلا على تعب ، ولا ينزل إلا خندق على نفسه خندقاً ، فلما طال ذلك على شبيب أمر أصحابه ذات ليلة فسروا .

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط أن شبيباً دعانا ونحن بدير يبرما ستون ومائة رجل ، فجعل على كل أربعين من أصحابه رجلاً ، وهو في أربعين ، وجعل أخاه مصاداً في أربعين ، وبعث سويد بن سلم في أربعين ، وبعث المحلل بن وائل في أربعين ، وقد أتته عيوته فأخبرته أن الجزل بن ٩٠٤/٢ سعيد قد نزل دير يزدجرد ، قال : فدعانا عند ذلك فعبأنا هذه التعبئة ، وأمرنا فعلقنا على دوابنا ، وقال لنا : تيسروا فإذا قضيت دوابكم فاركبوا ، وليسر كل امرئ منكم مع أميره الذي أمرناه عليه ، ولينظر كل امرئ منكم ما يأمره أميره فليتبعه . ودعا أمارنا فقال لهم : إني أريد أن أبيت هذا العسكر الليلة ، ثم قال لأخيه مصاد : إيتهم فارفع من فوقهم حتى تأتيهم من ورائهم من قبيل حلوان ، وسأتيهم أنا من أمامي من قبيل الكوفة ، وأتيم أنت يا سويد من قبيل المشرق ، وأتيم أنت يا محلل من قبيل المغرب ، وليسكج

كل امرئ منكم على الجانب الذى يتحمل عليه ، ولا تقلعوا عنهم ،
تحمّلون وتكرّون عليهم ، وتصبحون بهم حتى يأتيكم أمرى . فلم نزل على
تلك التعبئة ، وكنت أنا فى الأربعين الذين كانوا معه ، حتى إذا قضيت
دوابنا - وذلك أول الليل أول ما هدأت العيون - خرجنا حتى انتهينا إلى دَيْرِ
الحرارة ، فإذا للقوم مسلحة ، عليهم عياض بن أبي لينة ، فما هو إلا
أن انتهينا إليهم ، فحمّل عليهم مصاد أخو شبيب فى أربعين رجلا ،
وكان أمام شبيب ، وقد كان أراد أن يسبق شيبيا حتى يرتفع عليهم ويأتيهم
من ورائهم كما أمره ، فلما لقي هؤلاء قاتلهم فصبوا ساعة ، وقتلوه . ثم
إننا دفعنا إليهم جميعا ، فحمّلنا عليهم فهزمتهم ، وأخذوا الطريق
الأعظم ، وليس بينهم وبين عسكرهم يدَيْرِ يزْدَجِرْد إلا قريب من ميل .
٩٠٠/٢ فقال لنا شبيب : اركبوا معاصر المسلمين أكافهم حتى تدخلوا معهم عسكرهم
إن استطعتم ، فاتّبعناهم والله ملطّين^(١) بهم ، ملحقين عليهم ، ما نرفه عنهم
وهم منهزمون ، ما لهم همة إلا عسكرهم ، فانتهاوا إلى عسكرهم ، ومنعهم أصحابهم
أن يدخلوا عليهم ، ورشقوا بالنبل ، وكانت عيون لهم قد أمتهم فأخبرتهم
بمكاننا ، وكان الجزل قد خندق عليه ، وتحرّز ووضع هذه المسلحة الذين
لقيناهم بدَيْرِ الحرارة ، ووضع مسلحة أخرى ممّا إلى حلوان على الطريق ،
فلما أن دفعنا إلى هذه المسلحة التى كانت بدَيْرِ الحرارة فالحقناهم بعسكر
جماعتهم ورجعت المسالح الأخرى حتى اجتمعت ، منعها أهل العسكر دخول
العسكر وقالوا لهم : قاتلوا ، وانضحوا عنكم بالنبل .

قال أبو مخنف : وحدثنى جرير بن الحسين الكنتلى ، قال : كان على
المسلّحتين الأخرين عاصم بن حجر على التى تلى حلوان ، وواصل
ابن الحارث السكوتى على الأخرى . فلما أن اجتمعت المسالح جعل شبيب
يتحمّل عليها حتى اضطرها إلى الخندق ، ورشقهم أهل العسكر بالنبل
حتى ردّوهم عنهم . فلما رأى شبيب أنه لا يصل إليهم قال لأصحابه :
سيروا ودّعوهم ، ففضى على الطريق نحو حلوان حتى إذا كان قريبا

(١) ملطّين ، بمعنى ملحقين .

من موضع قِيَاب حُسين بن زُفَر من بني بَدْر بن فزارة - وإنما كانت قباب حُسين بن زُفَر بعد ذلك - قال : لأصحابه : انزلوا فاقضوا وأصلحوا ٩٠٧/٢ نيلكم وتروحو وصلوا ركعتين ، ثم اركبوا ، فزلوا ففعلوا ذلك . ثم إنّه أقبل بهم راجعاً إلى عسكر أهل الكوفة أيضاً ، وقال : سيروا على تعبيتكم التي عبأتكم عليها بدير بيرما أول الليل ، ثم أطيقوا بعسكرهم كما أمرتكم ، فأقبلوا . قال : فأقبلنا معه وقد أدخل أهل العسكر مسالِحهم إليهم ، وقد آمنوا فما شعروا حتى سمعوا وقع حوافر خيولنا قريباً منهم ، فانتبهنا إليهم قبيل الصبح فأحطنا بعسكرهم ، ثم صبتنا^(١) بهم من كل جانب ، فإذا هم يقاتلوننا من كل جانب ، ويرموننا بالنبل . ثم إنّا شبيهاً بعث إلى أخيه مصاب وهو يقاتلهم من نحو الكوفة أن أقبل إلينا ونحلّ لهم سبيل الطريق إلى الكوفة ، فأقبل إليه ، وترك ذلك الوجه ، وجعلنا نقاتلهم من تلك الوجه الثلاثة ، حتى أصبحنا ، فأصبحنا ولم نستفل منهم شيئاً ، فسرنا وتركناهم ، فجعلوا يصيحون بنا : أين يا كلاب النار ! أين آيتها العصابة المارقة ! أصبحوا نخرج إليكم ، فارتفعنا عنهم نحواً من ميل ونصف ، ثم نزلنا فصلتنا الغداة ، ثم أخذنا الطريق على براز الرُؤد ، ثم مضينا إلى جرجرايا وما يليها ، فأقبلوا في طلبنا .

قال أبو مخنف : فحدثني مولى لنا يدعى غاضرة أو قيصر ، قال : كنت مع الناس تاجراً وهم في طلب الحرورية ، وعلينا الجزل بن سعيد ، فجعل ٩٠٧/٢ يتهمهم فلا يسير إلا على تعبئة ، ولا يتزل إلا على خندق ، وكان شبيب يدعه ويضرب في أرض جوحى وغيرها يكسر الخراج ، وطال ذلك على الحججاج ، فكتب إليه كتاباً ، قرئ على الناس :

أما بعد ، فإني بعثتك في فرسان أهل مصر ووجوه الناس ، وأمرتك بإتباع هذه المارقة الضالة المضلة حتى تلقاها ، فلا تغلغ عنها حتى تقتلها وتغنيتها ، فوجدت التعريس في القرى والتخيم في الخنادق أهون عليك من المضى لما أمرتك به من مناهضتهم ومناجرتهم . والسلام .

قرئ الكتاب علينا ونحن بقطرنا ودبر أبي مرثم ، فشق ذلك على

الجزل ، وأمر الناس بالسَّير ، فخرجوا في طلب الخوارج جادّين ، وأرجفنا بأميرنا وقتلنا : يُعزّل .

قال أبو مخنف : فحدثني إسماعيل بن نعيم الهمداني ثم البرمسي أن الحجاج بعث سعيد بن المجالد على ذلك الجيش ، وعهد إليه إن لقيت المارقة فازحف إليهم ولا تناظرهم ولا تطاولهم وواقفهم واستعين بالله عليهم ، ولا تصنع صنيع الجزل ، واطلبهم طلب السبع ، وحيد عنهم ١٠٨/٢ حيدان الضبع . وأقبل الجزل في طلب شبيب حتى انتهوا إلى النهروان فأذركوه فلزم عسكره ، وخلق عليه . وجاء إليه سعيد بن المجالد حتى دخل عسكر أهل الكوفة أميرا ، فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا أهل الكوفة ، إنكم قد عجزتم ووهنتم وأغضبتكم عليكم أميركم . أنتم في طلب هذه الأعاريب العجف منذ شهرين ، وهم قد خرجوا بلادكم ، وكسروا خراجكم ، وأنتم حاذرون في جوف هذه الخنادق لا تزالونها إلا أن يبلغكم أنهم قد ارتحلوا عنكم ، فزلوا بلدا سوى بلادكم ، فانخرجوا على اسم الله إليهم .

فخرج وأخرج الناس معه ، وجمع إليه خيول أهل العسكر ، فقال له الجزل : ما تريد أن تصنع ؟ قال : أريد أن أقدم على شبيب في هذه الخيل ، فقال له الجزل : أقم أنت في جماعة الجيش ، فارصهم وراجلهم ، وأصحر له ؛ فوالله ليقدمن عليك ، فلا تفرق أصحابك ؛ فإن ذلك شر لهم وخير لك . فقال له : قف أنت في الصف ، فقال : يا سعيد بن مجالد ، ليس لي فيما صنعت رأي ، أنا برىء من رأيك هذا ، سمع الله ومن حضر من المسلمين . فقال : هو رأيي إن أصبت ؛ فالله وفقني له ، وإن يكن غير صواب فأنت منه برء ، قال : فوقف الجزل في صف أهل الكوفة وقد أخرجهم من الخندق ، وجعل على ميمتهم ^(١) عياض بن أبي لينة الكندي ، وعلى مبسرتهم عبد الرحمن بن عوف أبا حميد الرواسي ، ووقف الجزل في جماعتهم

(١) ب ، ف : « كصم » .

(٢) ا : « ميم » .

واستقدم سعيد بن مجالد ، فخرج وأخرج الناس معه ، وقد أخذ شبيب إلى ١٠/٢
برأس الرُّوز ، فنزل قَطَطْنَا^(١) ، وأمر دهقانها أن يشتري لهم ما يصلحهم ،
ويتخذ لهم غداءً ، ففعل ، ودخل مدينة قَطَطْنَا^(٢) وأمر بالباب فأغلق ، فلم
يفرغ من الغداء حتى أتاه سعيد بن مجالد في أهل ذلك العسكر ، فصعد
الدَّهْقَان السور فنظر إلى الجُنُود مقبلين قد دنّوا من حصنه ، فنزل وقد تغيّر
لونُه ، فقال له شبيب : ما لي أراك متغيّر اللون ! فقال له الدَّهْقَان : قد
جاءتك الجنود من كل ناحية ، قال : لا بأس ، هل أدرك غداؤنا ؟ قال :
نعم ، قال : فقربُه ، وقد أغلق الباب ، وأتى بالغداء ، فتغدى وتوضأ وصلّى
ركعتين ، ثم دعا ببغل له فركبه .

ثم لأنّهم اجتمعوا على باب المدينة ، فأمر بالباب ففتّح ، ثم خرج على
بغله فحمل عليهم . وقال : لا حكم إلا للحكم الحكيم ، أنا أبو مدله ،
البتوا إن شئتم . وجعل سعيد يجمع قومه وخيلَه ، ويُرْلِفُهَا^(٣) في أثره ، ويقول :
ما هؤلاء ! إنما هم أكلةُ رأس ، فلما رآهم شبيب قد تقطعوا وانتشروا
لفّ خيله كلّها ، ثم جمعها ، ثم قال^(٤) : استعرضهم استعراضاً ، وانظروا ١٠/٢
إلى أميرهم ، فوالله لأقتله أو يقتلني . وحمل عليهم مستعرضاً لهم ، فهزّمهم
وثبت سعيد بن المجالد ، ثم نادى أصحابه : إلىّ إلىّ ، أنا ابن ذى مُرّان !
وأخذ فكلّسُوته فوضعها على قريوس مرّجه ، وحمل عليه شبيب فعضمه
بالسيف ، فخالط دماغه ، فخرّ ميتاً ، وانهمز ذلك الجيش ، وقتلوا كل
قتلة ، حتى انتهوا إلى الجزل ، ونزل الجزل وفادى : أيها الناس ، إلىّ .
وناداهم عياض بن أبي لينة : أيها الناس ، إن كان أميركم القادم قد
هلك فأميركم الميمون النقيية المبارك^(٥) حيّ لم يمت ، فقاتل الجزل قتالا
شديداً حتى حمّل من بين القتلى ، فحمّل إلى المائدتين مرثناً ، وقدم
فلّ أهل ذلك العسكر الكوفة ، وكان من أشدّ الناس بلاء يومئذ خالد بن

(١) كذا في ابن أبي الحديد ٤ : ٢٤١ ، وهو الصواب ، وانظر مراد الاصلاح .

(٢) ا : « يلقها » . (٣) ب ، ف : « فقال » .

(٤) ب ، ف : « حي وهو الأمير المبارك » .

نَهيك من بنى ذُهل بن معاوية وعياض بن أبي لينة ، حتى استنقذه وهو مرتث . هذا حديث طائفة من الناس ، والحديث الآخر قتالهم فيما بين دير أبي مريم إلى بَرّاز الرّوز . ثم إنَّ الجَزَلَ كتب إلى الحجاج .

قال : وأقبل شبيب حتى قَطَعَ دَجْلَةَ عند الكَرَّخ ، وبعث إلى سوق بَغْدَاد فأمَنهم ، وذلك اليوم يوم سَوْقِهِمْ ، وكان بلغه أنَّهم يخافونه ، فأحَبَّ أن يؤمِّنهم ، وكان أصحابُه يريدون أن يشتروا من السوق دوابَّ وثِياباً وأشياءَ ليس لهم منها بَدَّةً ، ثمَّ أخذ بهم نحو الكوفة ، وصاروا أول الليل حتى نزلوا عَقْرَ المَلِكِ الَّذِي يلى قصر ابن هُبَيْرَةَ . ثمَّ أَعَدَّ السَّيْرَ من الغد ، ٩١١/٢ فبات بين حَمَامِ عمر بن سعد وبين قُبَيْنَ . فلمَّا بلغ الحجاج مكانه بعث إلى سُوَيْدِ بن عبد الرحمن السعديّ ، فبعثه في أُنْثَى فَارَسِ نَقَاوَةَ ، وقال له : اخرج إلى شبيب فاقه ، واجعل ميمنةً وميسرةً ، ثمَّ انزل إليه في الرّجال فإن استطرد ذلك فدعه ولا تتبعه . فخرج فعسكر بالسَّبَّخَةِ ، فبلغه أن شبيباً قد أقبل ، فأقبل نحوه وكأنَّما يساقون إلى الموت ، وأمر الحجاج عُمَانَ ابنَ قَطَنٍ فعسكر بالناس بالسَّبَّخَةِ^(١) ، ونادى : ألا بَرِثْتَ الذِّمَّةَ من رجل من هذا الجند بات اللَّيْلَةَ بالكوفة لم يَخْرُجْ إلى عُثْمَانَ بن قَطَنٍ بالسَّبَّخَةِ ! وأمر سُوَيْدَ بن عبد الرحمن أن يسيرَ في الألفين اللَّذِينَ معه حتى يلقى شبيباً فعَبَّرَ بأصحابه إلى زُرَّارَةَ وهو يعيَّشهم ويحرِّضهم إذ قيل له : قد غَشِيكَ شبيب ، فنزل ونزل معه جُلُثُ أصحابه ، وقَدَّمَ رايته ومضى إلى أَقْصَى زُرَّارَةَ ، فأخْبِرَ أن شبيباً قد أخْبِرَ بمكانك فركك ، ووجد غاضةً فغير القُرَّات وهو يريد الكوفة من غير الوجه الَّذِي أَنْتَ به . ثم قيل له : أما تراهم ! فنادى : في أصحابه ، فركبوا في آثارهم .

وإنَّ شبيباً أتَى دارَ الرِّزْقِ^(٢) ، فنزَّها ، فقيل : إن أهل الكوفة بأجمعهم معسكرون بالسَّبَّخَةِ ، فلمَّا بلغهم مكانُ شبيب صاح^(٣) بعضهم ببعض

(١) ب ، ف : « في السِّخَةِ » :

(٢) ف : « الرِّزْقِ » .

(٣) ١ : « صاح » .

وجالوا ، وهمّوا أن يَدْخُلُوا الكوفة حتّى قبل لهم : إن سويد بن عبد الرحمن في آثارهم قد لحقهم وهو يقاتلهم في الخيل .

قال هشام : وأخبرتني عمرُ بنُ بشير، قال : لما نزل شبيب الدّير أمر ١١٢/٢
بغتم تهيّأ له ، فصعد الدّ هقان ، ثمّ نزل وقد تغيّر لونه ، فقال : مالك !
قال : قد والله جماعك جمعٌ كثير ؛ قال : أبلغ الشّواء بعد ؟ قال : لا ، قال : دعه .
قال : ثمّ أشرف لإشراقه أخرى ، فقال : قد والله أحاطوا بالجوسق ، قال :
هات شِواءك ، فجعل يأكل غير مكثرت لهم ، فلما فرغ توضّأ وصلى
بأصحابه الأولى ، ثمّ تقلّد سيفين بعدما لبس درعه ، وأخذ عمود حديد
ثمّ قال : أسرجوا لي البغلة ، فقال أخوه مصاد : أفي هذا اليوم تُسرج
بغلة ! قال : نعم أسرجوها ، فركبها ، ثمّ قال : يا فلان ، أنت على الميسمة
وأنت يا فلان على الميسرة ، وقال لمصاد : أنت في القلب ، وأمر الدّ هقان
فتفتح الباب في وجوهم . قال : فخرج إليهم وهو يحكمهم ، فجعل سعيد
وأصحابه يرجعون القهقري حتّى صار بينهم وبين الدّير نحو من ميل .
قال : وجعل سعيد يقول : يا معشر همدان ، أنا ابن ذى مُرّان ، إلىّ إلىّ .
ووجهه سرباً مع ابنه وقد أحسّ أنّها تكون عليه ، فنظّر شبيب إلى مصاد
فقال : أنككتنيك الله إن لم أأكله ولده . قال : ثمّ علاه بالعمود ،
فستقط ميتاً ، وإنهزم أصحابه وما قُتِلَ بينهم يومئذٍ إلّا قتيل واحد . قال :
وانكشف أصحاب سعيد بن مجالد حتّى أتوا الجَزَلَ ، فناداهم الجزل : أيها
الناس ، إلىّ إلىّ . وناداهم عياض بن أبي لينة : أيها الناس ، إن يكن
أمرُكم هذا القادِمُ قد هلك فهذا أميرُكم الميمون النقيبة ، أقبلوا إليه ، ١١٢/٢
وقاتلوا معه ، فنهزم من أقبل إليه ، ومنهم من ركب رأسه منهزماً ، وقاتل
الجزلُ قتالا شديداً حتّى صرّح ، وقاتل عنه خالدُ بن نهيك وعياض
ابن أبي لينة حتّى استنقلاه وهو مُرّتت ، وأقبل الناسُ منهزمين
حتّى دخلوا الكوفة ، فأتي بالجزل حتّى أدخل المدائن ، وكتب إلى
الحجاج بن يوسف .

قال أبو ميخنف : حدثني بذلك ثابتٌ مولى زهير :

أما بعد ، فإني أخبر الأمير أصلحه الله أني خرجت فيمن قبلي من
الجند الذي وجهني إلى عدوه ، وقد كنت حفظت عهد الأمير إلى فيهم
ورأيت ، فكنيتُ أخرج إليهم إذا رأيت الفرصة ، وأحبس الناس عنهم إذا
خشيت الورطة ، فلم أزل^(١) كذلك ، ولقد أراذني العدو بكل ريدة^(٢) فلم
يُصيب مني غيرة ، حتى قلم على سعيد بن جالد رحمة الله عليه ، ولقد أمرته
بالتزدة ، ونهيته عن العجلة ، وأمرته ألا يقاتلهم إلا في جماعة الناس
عامة فعضاني ، وتعجل إليهم في الخيل ، فأشهدت عليه أهل المصرين
أنني برى من رأي الذي رأى ، وأنني لا أهوى ما صنع . ففضي فأصيب تجاوز
الله عنه ، ودفع الناس إلى ، فتزلت ودعوتهم إلى ، ورفضت لهم رأيتي ،
وقاتلت حتى صرعت ، فحملني أصحابي من بين القتلى ، فاقفت إلا وأنا
على أبيهم على رأس ميل من المعركة ، فأنا اليوم بالمدائن في جراحة قد يموت
الرجل من دونها ويمافي من مثلها . فليسال الأمير أصلحه الله عن نصيحتي
له ولجنده ، وعن مكايدي عدوه ، وعن موقف يوم البأس ، فإنه يستبين له
عند ذلك أني قد صدقته ونصحت له . والسلام .

فكتب إليه الحاجج :

أما بعد ، فقد أتاني كتابك وقرأته ، وفهمت كل ما ذكرت فيه ، وقد
صدقتك في كل ما وصفت به نفسك من نصيحتك لأميرك ، وحيطةك
على أهل مصرك ، وشدتك على عدوك ، وقد فهمت ما ذكرت^(٣) من أمر
سعيد وعجلته إلى عدوه ، فقد رضيت عجلته وتؤدتك ، فأما عجلته
فإنها أفضت به إلى الجنة ، وأما تؤدتك فإنها لم تدع الفرصة إذا أمكنت ،
وترك الفرصة إذا لم تمكن حزم ، وقد أصبت وأحسن البلاء ، وأجبرت^(٤) ،
وأنت عندى من أهل السمع والطاعة والتسبيحة ، وقد أشخصت إليك حيآن

(١) ب ، ف : « فلما لم » .

(٢) أي بكل نوع من أنواع الإراقة . وفي لغة الإراقة : وأثبت ما في ا .

(٣) ب ، ف : « ذكرته » .

(٤) أجبرت ، أي لقيت الأجر .

ابن أبحر ليدأويك ويعالج جراحاتك ، وبعثُ إليك بألفي درهم فأنفقها في حاجتك^(١) وما ينورك . والسلام .

فقدِم عليه حيَّان بنُ أبحر الكنانى من بنى فِراس وهم بعاليجون الكبيّ وغيره - فكان يدأويه ، وبعث إليه عبد الله بن أبى عَصيفير بألف درهم ، وكان يعودُه ويتعاهدُه باللَّطَف والمُدَيَّة . قال : وأقبل شبيب نحو المدائن ، فعلم أنَّه لا سبيل له إلى أهلها مع المدينة ، فأقبل حتَّى انتهى إلى الكرخ ، فمردَّ بِلَّة إليه ، وبعث إلى أهل سوق بَغْدَاد وهو بالكُرخ أن اثبتوا في سُوقكم فلا بأس عليكم - وكان ذلك يوم سوقهم - وقد كان بلغه أنَّهم يخافونه . ١١٠/٢ قال : وبَخْرَج سُويد حتَّى جعل بيوتَ مَرْبِنة وبنى سُلَيم في ظهره وظهور أصحابه ، وحمل عليهم شبيب حملةً منكراً ، وذلك عند المساء ، فلم يقدر منهم على شيء ، فأخذ على بيوت الكوفة نحو الحيرة ، وأتبعه سُويد لا يفارقه حتَّى قطع بيوت الكوفة كلّها إلى الحيرة ، وأتبعه سُويد حتَّى انتهى إلى الحيرة ، فبَسَّجِلده قد قَطَعَ قنطرة الحيرة ذاهباً ، فتركَه ولَّام حتَّى أصبح : وبعث إليه الحمَّاج أن أتبعه فأتبعه ، ومضى شبيب حتَّى أغار في أسفل الفُرات على من وجد من قومه ، وارْتَفَعَ في البرِّ من وراء خَمَّان في أرض يقال لها الغلظة^(٢) ، فيصيب رجالاً من بنى الوُرثة ، فَحَمَلَ عليهم ، فاضطرَّهم إلى جَسَد من الأرض ، فجعلوا يرمونه وأصحابه بالحجارة من حجارة الأرحاء كانت حولهم . فلَمَّا نَفَدَتْ وصل إليهم فقتل منهم ثلاثة عشر رجلاً ، منهم حنظلة بن مالك ومالك بن حنظلة وحران بن مالك ؛ كلَّهم من بنى الوُرثة .

قال أبو مخنف : حدثني بذلك عطاء بنُ عَرْفَجة بن زياد بن عبد الله الورثي . ومضى شبيب حتَّى يأتي بنى أبيه على اللصف (ماء الرَهْطه) وعلى ذلك الماء الفِرْز بنُ الأسود ، وهو أحد بنى الصَّلْت ، وهو الذى كان يَسْتَهَى شبيباً عن رأيه ، وأن يُفسد بنى عمه وقومه ، فكان شبيب يقول : والله لئن ملكْتُ سبعةَ أعنةٍ لأَغْزُونَ الفِرْز . فلَمَّا غَشِيَهُم شبيب ١١٦/٢

(١) ب ، ف : « جراحك » .

(٢) ب ، ف : « الغلظة » .

في الخيل سأل عن الفيزر فاتقاه الفيزر ، فخرج على فرس لا تجارى من وراء البيوت ، فلذهب عليها في الأرض ، وهرب منه الرجال ، ورجع وقد أخاف أهل البادية حتى أخذ على القططانة ؛ ثم على قصر مقاتيل ، ثم أخذ على شاطي القنرات حتى أخذ على الحصاصة ، ثم على الأنبار ، ثم مضى حتى دخل دقوقاء ، ثم ارتفع إلى أداني آذريجان . فتركه الحججاج وخرج إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة ، فاشعر الناس بشيء حتى بجاء كتاب من ماذرواسب دهقان بابل مهروذ وعظيمها إلى عروة بن المغيرة بن شعبة أن تاجراً من تجار الأنبار من أهل بلادى أثنى فذكر أن شيبك يريد أن يدخل الكوفة في أول هذا الشهر المقبل ، أحييت إعلامك ذلك لتري رأيك ، ثم لم أليث إلا ساعة حتى جاعني جابيان من جباني فحدثاني أنه قد نزل خانيجار . فأخذ عروة كتابه فأدركه وسرح به إلى الحججاج بالبصرة ، فلما قرأ الحججاج أقبل بجواداً إلى الكوفة ، وأقبل شيب يسير حتى انتهى إلى قرية يقال لها حربى على شاطئ دجلة فعبر منها ، فقال : ما اسم هذه القرية ؟ فقالوا : حربى ، فقال : حرب يصلى بها عدوكم ، وحرب تلخيلونه بيوتهم ، إنما يتطير من يموت ويضعف ، ثم ضرب رايته وقال لأصحابه : سيروا ، فأقبل^(١) حتى نزل عتقرقوفاً ، فقال له سويد بن سليم : يا أمير المؤمنين ، لو تحولت بنا من هذه القرية المشتومة الاسم ! قال : وقد تطيرت أيضاً ! والله لا أنحول عنها حتى أسير إلى عدوى منها ، إنما شؤمها إن شاء الله على عدوكم تحمّلون عليهم فيها ، فالعسر لهم .

ثم قال لأصحابه : يا هؤلاء ، إن الحججاج ليس بالكوفة ، وليس دون الكوفة إن شاء الله شيء ، فسيروا بنا . فخرج يبادر الحججاج إلى الكوفة ، وكتب عروة إلى الحججاج أن شيباً قد أقبل مسرعاً يريد الكوفة ، فالعجل العجل . فطوى الحججاج المنازل ، واستبقا إلى الكوفة ، ونزلا الحججاج صلاة الظهر ، ونزل شيب السبحة صلاة المغرب ، فصلّى المغرب والعشاء ، ثم أصاب هو وأصحابه من الطعام شيئاً يسيراً ، ثم ركبوا خيولهم فدخلوا الكوفة ، فجاء شيب حتى انتهى إلى السوق ، ثم شدّ حتى ضرب باب القصر بعموده .

قال أبو المنذر: رأيت ضربة شبيب بباب القصر قد أثرت أثراً عظيماً، ثم أقبل حتى وقف عند^(١) المصطبة، ثم قال:

وَكَاَنَّ حَافِرَهَا بِكُلِّ خَمِيلَةٍ كَيْلٌ يَكِيلُ بِهِ شَجِيجٌ مُعِيمٌ
عَبْدٌ دَعِيَ مِنْ عَمْدٍ أَصْلُهُ لَا بَلْ يُقَالُ أَبُو أَبِيهِمْ يَقْدُمُ

ثم اقتحموا المسجد الأعظم وكان كبيراً لا يفارقه قوم يصلون فيه، فقتل عقيل بن مصعب الوادعي وعلي بن عمرو الثقفي وأبا ليث بن أبي ١١٨/٢
سليم مولى عتبة بن أبي سفيان، وقتلوا أزهري بن عبد الله العامري، وسروا بدار حوشب وهو على الشرط فوقفوا على بابه وقالوا: إن الأمير يدعو حوشباً، فأخرج ميمون غلامه يرذون حوشب ليركبه حوشب، فكأنه أنكرهم فظنوا أنه قد اتهمهم، فأراد أن يدخل، فقالوا له: كما أنت، حتى يخرج صاحبك. فسمع حوشب الكلام، فأنكر القوم، فخرج إليهم، فلما رأى جماعتهم أنكرهم، وذهب لينصرف، فمجلوا نحوه، ودخل وأغلق الباب، وقتلوا غلاماً ميموناً، وأخلوا يرذونه ومضوا حتى مروا بالبحاف ابن نبيط الشيباني من رهط حوشب، فقال له سويد: انزل إلينا، فقال له: ما تصنعون؟ ينزولي! قلنا له سويد: أقضيك ثمن البكرة التي كنت ابتعت منك بالباهية، فقال له بالبحاف: بش ساعة القضاء هذه الساعة، وبش قضاء الدين هذا المكان! أما ذكرت أمانتك إلا والليل مظلم، وأنت على ظهر فرسك! قبح الله يا سويد ديناً لا يصلح ولا يتم إلا بقتل نوى القرابة وسفك دماء هذه الأمة.

قال: ثم مضوا فقرأوا بمسجد بني ذهل فلقوا ذهل بن الحارث، وكان يصلّي في مسجد قومه فيطيل الصلاة، فصادفوه منصرفاً إلى منزله، فشدوا عليه ليقتلوه، فقال: اللهم إني أشكو إليك هؤلاء وظلمهم وجهالهم. اللهم إني عنهم ضعيف، فانتصر لي منهم! فضر به حتى قتله، ثم مضوا ١١٩/٢
حتى خرجوا من الكوفة متوجهين نحو الرمدمة.

قال هشام : قال أبو بكر بن عبيّاش : واستقبله النضر بن قفعّاع ابن شور الذّهليّ ، وأمّه ناجية بنت هانيّ بن قبيصة بن هانيّ الشيبانيّ فأبطره حين نظر إليه — قال : يعنى بقوله : «أبطره» أفزعه^(١) — فقال : السلام عليك آيتها الأمير ورحمة الله ؛ قال له^(٢) سويد مبادراً : أمير المؤمنين ، ويئلك ! فقال : أمير المؤمنين . حتّى خرجوا من الكوفة متوجّهين نحو المردمة ، وأمر الحجاج المنادى فنادى : يا خيل الله اركبي وأبشري ، وهو فوق باب القصر ، وثمّ مصباح مع غلام له قائم ، فكان أوّل من جاء إليه من الناس عثمان بن قطن بن عبد الله بن الحصين ذى الفضة ، ومعه مواله ، وناس من أهله ، فقال : أنا عثمان بن قطن ، أعلموا الأمير مكاني ، فليأمر^(٣) بأمره ، فقال له ذلك الغلام : قف مكانك حتّى يأتيك أمر الأمير ، وجاء الناس من كلّ جانب ، وبات عثمان فيمن اجتمع إليه من الناس حتّى أصبح .

ثمّ إن الحجاج بعث يسرّ بن غالب الأسديّ من بنى والبة في أنى رجل ، وزائدة بن قدامة التقيّ في ألفى رجل ، وأبا الضريس مولى بنى تميم في ألف من الموالى ، وأعيّن صاحب حمّام أعيّن مولى يشر بن مروان في ألف رجل ، وكان عبد الملك بن مروان قد بعث محمد بن موسى بن طلحة على سجستان ، وكتب له عليها عهده ، وكتب إلى الحجاج : أمّا بعد ، فإذا قدم عليك محمد بن موسى فجهّز معه ألفى رجل إلى سجستان ، وعجّل سراحه . وأمّر عبد الملك محمد بن موسى بمكاتبة الحجاج ، فلمّا قدم محمد ابن موسى جعل يتحبّس في الجهاز ، فقال له نصيحاؤه : تعجّل آيتها الأمير^(٤) إلى عمّلك ؛ فإنّك لا تدري ما يكون من أمر الحجاج ! وما يبدو له . فأقام على حاله ، وحدث من أمر شبيب ما حدث ، فقال الحجاج لمحمد ابن موسى بن طلحة بن عبيد الله : تلقى شبيباً وهذه الخارجة فتجاهد هم ثمّ تمضي إلى عمّلك ، وبعث الحجاج مع هؤلاء الأمراء أيضاً عبد الأعلى بن

(١) ب ، ف : «أله» . (٢) ب ، ف : «فقال» .

(٣) ب ، ف : «مكاني فليأمر» . (٤) ب ، ف : «الرجل» .

عبد الله بن عامر بن كُرَيْزِ القُرَشِيِّ وزياد بن عمرو العَتَكِيُّ ، وخرج شبيبٌ حيث خرج من الكوفة ، فأتى المردمة وبها رجل من حضر موت على العُشُور يقال له ناجية بن مَرْثَدِ الحضَرِيِّ ، فدخل الحمام ودخل عليه شبيب فاستخرجه فضرب عنقه ، واستقبل شبيب النضر بن القَعْقَعِ بن شُورٍ - وكان مع الحجاج حين أقبل من البصرة ، فلما طوى الحجاج المنازل خلفه وراءه فلما رآه شبيب ومعه أصحابه عرفه ، فقال له شبيب : يا نضر بن القَعْقَعِ ، لا حُكْمَ إِلَّا لله - وإنما أراد شبيب^(١) بمقاتله له تَلَقُّيْنِه ، فلم يفهم النضر - فقال : ﴿ إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ، فقال أصحاب شبيب : يا أمير المؤمنين ؛ كأنك إنما تريد بمقاتلك أن تلقَّنه . فشده وا ٩٢١/٢ على نضر فقتلوه .

قال : واجتمعت تلك الأمراء في أسفل الفرات ، فترك شبيب الوجه الذي فيه جماعة أولئك القواد ، وأخذ نحو القامسيَّة ، ووجه الحجاج زحر بن قيس في جريدة خيل نقاة ألف وثمانمائة فارس ، وقال له : أتبع شبيباً حتى تواقعه حيثما أدركته ، إلا أن يكون منطلقاً ذاهباً فاتركه ما لم يعطف عليك أو ينزل فيقيم لك ، فلا تبرح إن هو أقام حتى تواقعه ، فخرج زحر حتى انتهى إلى السيلحين ، وبلغ شبيباً مسيره إليه ، فأقبل نحوه فالتقيا ، فجعل زحر على ميمته عبد الله بن كَتَّازِ النهدي ، وكان شجاعاً ، وعلى ميسرته عدى بن عدى بن عميرة الكندي الشيباني ، وجمع شبيب خيله كلها كبكة واحدة ، ثم اعترض بها الصف ، فوجف وجفاً ، واضطرب حتى انتهى إلى زحر بن قيس ، فنزل زحر بن قيس ، فقاتل زحر حتى صرع ، وانهزم أصحابه ، وظن القوم أنهم قد قتلوه ، فلما كان في السحر وأصابه البرد قام يتمشى حتى دخل قرية فبات بها ، وحمل منها إلى الكوفة ويوجّهه ورأسه بضع عشرة جراحة ما بين ضربة وطعنة ، فكث ألياماً ، ثم أتى الحجاج وعلى وجهه وجراحه القطن ، فأجلسه الحجاج معه على السرير ، وقال لمن حوله : من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة يمشى بين الناس وهو ٩٢٢/٢

(١) ب ، ف : و تلقينه بمقاتلك هذه .

شَهِيدٌ قَلِيلٌ إِلَى هَذَا . وَقَالَ أَصْحَابُ شَيْبٍ لَشَيْبٍ وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا زَحْرًا : قَدْ هَزَمْنَا لَهُمْ جُنْدًا ، وَقَتَلْنَا لَهُمْ أَمِيرًا مِنْ أَمْرَانِهِمْ عَظِيمًا ، انصَرَفَ بَنُو الْآنَ وَافَرِينَ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ قَتَلْنَا هَذَا الرَّجُلَ ، وَهَزَمْنَا هَذَا الْجُنْدَ ، قَدْ أَرْعَبَتْ هَذِهِ الْأُمَرَاءُ وَالْجُنُودَ الَّتِي بُعِثَتْ فِي طَلِبِكُمْ ، فَاقْصِدُوا بَنِي قَصْدِهِمْ ؛ فَوَاللَّهِ لَنَنْحَنِّي قَتْلَهُمْ مَا دُونَ الْحِجَّاجِ مِنْ شَيْءٍ وَأَخَذَ الْكُوفَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَقَالُوا : نَحْنُ لِرَأْيِكَ سَمِعَ تَسْبِيحَ ، وَنَحْنُ طَوْعَ يَدَيْكَ .

قَالَ : فَانْقَضَ بِهِمْ جَوَادًا حَتَّى يَأْتِيَ نَجْرَانُ - وَهِيَ نَجْرَانُ الْكُوفَةِ نَاحِيَةِ عَيْنِ التَّمْرِ - . ثُمَّ سَأَلَ عَنْ جَمَاعَةِ الْقَوْمِ فَخُبِّرَ بِاجْتِمَاعِهِمْ بِرُوْذِبَارٍ فِي أَسْفَلِ الثَّرَاتِ فِي بَهْقِيَّادِ الْأَسْفَلِ ، عَلَى رَأْسِ أَرْبَعَةِ وَعَشْرِينَ فَرَسًا مِنَ الْكُوفَةِ . فَبَلَغَ الْحِجَّاجَ مَسِيرَهُ إِلَيْهِمْ ، فَبِعَثَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْفَرَقِ مَوْلَى ابْنِ أَبِي عَقِيلٍ - وَكَانَ عَلَى الْحِجَّاجِ كَرِيمًا - فَقَالَ لَهُ : الْحَقُّ بِجَمَاعَتِهِمْ - يَعْنِي جَمَاعَةَ الْأُمَرَاءِ - فَأَعْلَمَهُمْ بِمَسِيرِ الْمَارِقَةِ إِلَيْهِمْ ، وَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ جَمْعَكُمْ قِتَالٌ فَأَمِيرُ النَّاسِ زَائِدَةُ بْنُ قَدَامَةَ ، فَأَتَاهُمُ ابْنُ الْفَرَقِ فَأَعْلَمَهُمْ ذَلِكَ ، وَانصَرَفَ عَنْهُمْ .

١٢٣/٢ قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ : فَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُنْدُبٍ قَالَ : انْتَهَى إِلَيْنَا شَيْبٍ وَفِينَا سَبْعَةُ أُمَرَاءَ عَلَى جَمَاعَتِهِمْ زَائِدَةُ بْنُ قَدَامَةَ ، وَقَدْ^(١) عُبِيَ كُلُّ أَمِيرٍ أَصْحَابَهُ عَلَى حِدَةٍ ، فِي مِمْتَنَّا زِيَادُ بْنُ عَمْرِو الْعَتَكِيِّ ، وَفِي مِمْسَرْتَنَا يِشْرُ بْنُ غَالِبِ الْأَسَدِيِّ ، وَكُلُّ أَمِيرٍ وَاقِفٌ فِي أَصْحَابِهِ . فَأَقْبَلَ شَيْبٌ حَتَّى وَقَفَ عَلَى تَلٍّ ، فَأَشْرَفَ عَلَى النَّاسِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ كُمَيْتٌ أَعْرَ ، فَنَظَرَ إِلَى تَعْبِيَتِهِمْ ، ثُمَّ رَجَعَ^(٢) إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَأَقْبَلَ فِي ثَلَاثِ كُتَابٍ يَوْحِقُونَ ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ النَّاسِ مَضَتْ كُتَيْبَةٌ فِيهَا سُوَيْدُ بْنُ سُلَيْمٍ ، فَتَقَفَ فِي مِمْتَنَّا ، وَمَضَتْ كُتَيْبَةٌ فِيهَا مَصَادُ أَخُو شَيْبٍ ، فَوَقَفَتْ عَلَى مِمْسَرْتَنَا ، وَجَاءَ شَيْبٌ فِي كُتَيْبَةٍ حَتَّى وَقَفَ مُقَابِلَ الْقَلْبِ . قَالَ : وَخَرَجَ زَائِدَةُ ابْنُ قَدَامَةَ يَسِيرُ فِي النَّاسِ فِيمَا بَيْنَ مِمْتَنَتِهِمْ إِلَى مِمْسَرْتِهِمْ يَحْرُضُ النَّاسَ وَيَقُولُ :

يا عبادَ الله ، أنتم الكثيرون الطيبون ، وقد نزل بكم القليلون الخبيثون ، فاصبروا - جعلت لكم الفداء لكرتئين أو ثلاث تكررّون عليهم ، ثم هو النصر ليس بينه حاجز ولا دونه شيء . ألا ترون إليهم والله ما يكونون مائتي رجل ، إنّما هم أكلة رأس ، إنّما هم السراق المراق ، إنّما جاءوكم ليُهرّيقوا دماءكم ، وبأخذوا فيشكم ، فلا يكونوا على أخذهم أقوى منكم على منّته ، وهم قليل وأنتم كثير ، وهم أهل فرقة وأنتم أهل جماعة ، غَضُّوا الأبصار ، واستقبلوهم بالأسنة ، ولا تحملوا عليهم حتى أمركم ، ١٢٤/٢ ثم انصرف إلى موطنه .

قال : ويَحْمِلُ سُوَيْدُ بْنُ سَلِيمٍ عَلَى زِيَادِ بْنِ عَمْرٍو ، فَاَنْكَشَفَ صَقْلَهُمْ ، وَثَبَّتَ زِيَادٌ فِي نَحْوِ مِنْ نِصْفِ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ ارْتَفَعَ عَنْهُمْ سُوَيْدٌ قَلِيلًا ، ثُمَّ كَرَّ عَلَيْهِمْ ثَانِيَةً ، ثُمَّ اطْعَمُوا سَاعَةً .

قال أبو مِخْنَفٍ : فَحَدَّثَنِي فُرْقَةُ بْنُ لَقِيطٍ ، قَالَ : أَنَا وَاللَّهِ فِيهِمْ يَوْمَئِذٍ ، قَالَ : اطْعَمْنَا سَاعَةً وَصَبَرُوا لَنَا حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا ، وَقَاتَلَ زِيَادُ بْنُ عَمْرٍو قِتَالًا شَدِيدًا ، وَجَمِلَ ^(١) يَنَادِي : يَا خَيْلِي ، وَيَشُدُّ بِالسِّيفِ فَيَقَاتِلُ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ سُوَيْدَ بْنَ سَلِيمٍ يَوْمَئِذٍ وَإِنَّهُ لَأَشْجَعُ الْعَرَبِ وَأَشَدَّهُ قِتَالًا ، وَمَا يُعْرَضُ لَهُ . قَالَ : ثُمَّ إِنَّا ارْتَفَعْنَا عَنْهُمْ آخِرًا فَلَإِنَّا هُمْ يَتَقَوَّضُونَ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : أَلَا تَرَاهُمْ يَتَقَوَّضُونَ ! احْمِلْ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ شَيْبٌ : خَطَبَوْهُمْ حَتَّى يَسْخَفُوا ، فَرَكَبُوهُمْ قَلِيلًا ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمُ الثَّلَاثَةَ فَانْهَزَمُوا . فَانْظَرْتُ إِلَى زِيَادِ بْنِ عَمْرٍو وَإِنَّهُ لَيُضْرَبُ بِالسِّيفِ ^(٢) وَمَا مِنْ سَيْفٍ يُضْرَبُ بِهِ إِلَّا نَبَا عَنْهُ وَهُوَ جَمْعٌ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ اعْتَوَرَهُ أَكْثَرُ مِنْ عَشْرِينَ سَيْفًا فَمَا ضَرَّهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ . ثُمَّ إِنَّهُ انْهَزَمَ وَقَدْ جُرِحَ جِرَاحَةً بَسِيرَةً ، وَذَلِكَ عِنْدَ الْمَسَاءِ . قَالَ : ثُمَّ شَدَدْنَا عَلَى عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ فَهَزَمْنَاهُ ، وَمَا قَاتَلْنَا كَثِيرَ قِتَالٍ ، وَقَدْ ضَارِبٌ سَاعَةً ، وَقَدْ بُلَغْنِي أَنَّهُ كَانَ جُرِحَ ثُمَّ لَحِقَ بِزِيَادِ بْنِ عَمْرٍو ، فَضَيَعْنَا مَهْزَمِينَ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ عِنْدَ الْمَغْرِبِ ، فَقَاتَلْنَا قِتَالًا شَدِيدًا وَصَبِرْنَا لَنَا .

ذكر هشام عن أبي مخنف ، قال : حدثني عبد الرحمن بن جندب وفروة بن لقيط ، أن أخا شبيب مصاداً حمل على يشر بن غالب وهو في الميسرة ، فأبلى وكرم والله وصبر ، فنزل ونزل معه رجال من أهل الصبر نحو من خمسين ، فصاروا بأسيا فمهم حتى قتلوا عن آخرهم ، وكان فيهم عروة بن زهير بن ناجذ الأزدي ، وأمه زارة امرأة ولدت في الأزدي ، فيقال لهم بنو زارة ، فلما قتلوه وانهزم أصحابه مالوا فشدوا على أبي الضريس مولى بني تميم ، وهو يلي يشر بن غالب ، فهزموه حتى انتهى إلى موقف أعين ، ثم شدوا عليه وعلى أعين جميعاً فهزموهما حتى انتهوا بهما إلى زائدة بن قدامة ، فلما انتهوا إليه نزل ونادى : يا أهل الإسلام ، الأرض الأرض ، إلى إلى ! لا يكونوا على كفرهم أصبر منكم على إيمانكم ، فقاتلهم عامة الليل حتى كان السحر . ثم إن شبيباً شد عليه في جماعة من أصحابه فقتله وأصحابه وتركهم ريضة حوله من أهل الحيفاء .

قال أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جندب قال : سمعت زائدة ابن قدامة ليلتذ رافعاً صوته يقول : يا أيها الناس ، اصبروا وصابروا ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ . ثم والله ما برح يقاتلهم مقبلاً غير مدبر حتى قتل . ١٢٦/٢

قال أبو مخنف : حدثني فروة بن لقيط أن أبا الصقيير الشيباني ذكر أنه قتل زائدة بن قدامة ، وقد حاجه في ذلك آخر يقال له الفضل ابن عامر . قال : ولما قتل شبيب زائدة بن قدامة دخل أبو الضريس وأعين جوسقاً عظيماً ، وقال شبيب لأصحابه : ارفعوا السيف عن الناس وادعوهم إلى البيعة ، فدعاهم إلى البيعة عند الفجر .

قال عبد الرحمن بن جندب : فكتت فيمن قدم إليه فبايعه وهو واقف على فرس وخيله واقفة دونه ، فكل من جاء ليبايعه نزع سيفه عن عاتقه ، وأخذ سلاحه منه ، ثم يدتني من شبيب فيسلم عليه بإمرة المؤمنين ، ثم يخلني سبيله . قال : وإننا لكذاك إذ انفجر الفجر ومحمد بن

موسى بن طلحة بن عبيد الله في أقصى العسكر ، معه عصابة من أصحابه قد صبروا ، فلما انفجر الفجر أمر مؤذنه فأذن ، فلما سَمِعَ شبيب الأذان قال : ما هذا ؟ فقال : هذا محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله لم يبرح ، فقال : قد ظننت أن حُصْمَه وخِيَلَاءَه سيحمله على هذا ؛ نَحْنُ هَؤُلَاءِ عَسَا وَانْزَلُوا بنا فلنُصَلِّ . قال : فنزل فأذن هو ، ثم استقدم فصلبى بأصحابه ، قرأ : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾^(١) ، و ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾^(٢) ، ثم سلم ، ثم ركبوا فحَمَلَ عَلَيْهِم فَاكْشَفَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَثَبَتَ طَائِفَةٌ . قال فروة : لما أنسى قوله وقد غَشِيَنَاهُ وهو يقاتل بسيفه وهو يقول : ﴿أَلَمْ أَحْصِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾^(٣) . ٩٢٧/٢

قال : وضارب حتى قتل . قال : فسمعت أصحابي يقولون : إن شبيباً هو الذي قتله . ثم إننا نزلنا فأخذنا ما كان في العسكر من شيء ، وهرب الذين كانوا يابعوا شبيباً ، فلم يبق منهم أحد .

* * *

وقد ذكر من أمر محمد بن موسى بن طلحة غير أبي ميخنف أمراً غير الذي ذكرته عنه ، والذي ذكر من ذلك أن عبد الملك بن مروان كان ولي محمد بن موسى بن طلحة سجستان ، فكتب إليه الحجاج : إنك عامل كل بلد مرت به ، وهذا شبيب في طريقك . فعدل إليه محمد ، فأرسل إليه شبيب : إنك امرؤ مخلوع ، قد اتى بك الحجاج ، وأنت جارك حق ، فأنظفني لما أمرت به ولك الله لا آذيتك ، فأبى إلا محاربتة ، فواقعه شبيب ، وأعاد إليه الرمول ، فأبى إلا قتاله ، فدعا إلى البراز ، فبرز إليه البطيين ثم قنّب ثم سويد ، فأبى إلا شبيباً ، فقالوا لشبيب : قد رغب عنا إليك . قال : فما ظنكم هذه^(٤) الأشراف ! فبرز إليه شبيب ، وقال^(٥) : إني أنشدك الله في دمك ، فإن لك جيواراً . فأبى إلا قتاله ، فحَمَلَ عَلَيْهِ شبيب فضره بعصا حديد

(١) سورة المزنة : ١ .

(٢) سورة التكموت : ١ - ٣ .

(٣) ف : « قال » .

(٤) سورة الماعن : ١ .

(٥) ١ ، ب ، ف : « هام » .

فيها اثنا عشر رطلا بالشأى ، فهشم بها بيضة عليه ورأسه فسقط ، ثم كَفَنَتْهُ
ودفنه ، وابتاع ما غنموا من عسكره ، فبعث به إلى أهله ، واعتذر إلى أصحابه ١٢٨/٢
وقال : هو جارى بالكوفة ، ولئ أن أهَبَ ما غنمت لأهل الرِّدة .

قال عمرُ بنُ شَبَّه : قال أبو عبيدة : كان محمدُ بنُ موسى مع عمر
ابن عبيد الله بن معمر بفارس ، وشهلمعه قتال أبي قُدَيْك وكان على ميمنته ، وشهِرَ
بالنَّجيلة^(١) وشلة البأس^(٢) وزوجه عمر بنُ عبيد الله بن معمر ابنته أم حُثانَ
وكانت أخته تحت عبد الملك بن مروان — فولاه سِجِسْتانَ ، فرَّ
بالكوفة وبها^(٣) الحجَّاج بن يوسف ، فقيل للحجَّاج : إن صار هذا إلى
سِجِسْتان مع نجلته وصهره لعبد الملك فلجأ إليه أحدُ ممَّن تطلب ، مَنَعَكَ
منه ؟ قال : فما الحيلة ؟ قيل : تأتبه وتسلم عليه ، وتذكر نجلته وبأسه
وأنَّ شَيْبِيًّا فى طريقه ، وأنَّه قد أعياك ، وأنَّك ترجو أن يريحَ الله منه على يده ،
فيكون له ذكر ذلك وشهرته . ففعل ، فعدل إليه محمدُ بن موسى بن طلحة بن
عُبَيْد الله ، فواقه شبيب ، فقال له شبيب : إني قد علمتُ خِدَاعَ الحجَّاج ،
ولأنَّما اغتركَ ووتى بك نفسه ، وكأني بأصحابك لو قد التَقَّتْ حَكَمَتَا
الْبَطانِ قد أسلموك ، فُصِرْتَ مَصْرَعَ أَصْحَابِكَ ؛ فَأُطِعْنِي وانطلق
لشأنِكَ ، فإني أنفُسُكَ عن الموت ؛ فأبى محمدُ بن موسى ، فبارزه شبيب
فقتله .

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . قال عبد الرحمن : لقد كان فيمن ١٢٩/٢
بإيمته تلك الليلة أبو بَرْدَة بن أبي موسى الأشعرى ، فلمَّا بايعه قال لشبيب : أَلَسْتَ
أَبَا بَرْدَة ؟ قال : بلى ؛ قال شبيب لأصحابه : يا أَعْلَافِي ، أبو هذا أحدُ الحَكَمَيْنِ ،
فقالوا : ألا نقتل هذا ؟ فقال : إنَّ هذا لا ذنبَ له فيما صنع أبوه ؛ قالوا : أجل
قال : وأصبح شبيب : فأنى مُقْبِلًا نحوَ القَصْرِ الَّذِي فيه أبو الضَّرِيرِ وأعين

(٢) ب ، ف : « وليس » .

(١) ب : « وكان مشهوراً » .

(٣) ب ، ف : « فيها » .

فرموه بالنبل ، وتحصننا منه ، فأقام ذلك اليوم عليهم ، ثم شمس عنهم ، فقال له أصحابه : ما دون الكوفة أحد يمتنعنا ، فنظر فإذا أصحابه قد جرحوا^(١) ، فقال لهم : ما عليكم أكثر مما قد فعلتم ، فخرج بهم على زفير ، ثم على الصرّة ، ثم على بخلداد ، ثم خرج إلى خانيجكار فأقام بها .

قال : ولما بلغ الحجاج أن شبيباً قد أخذ نحو زفير ظن أنه يريد المدائن — وهي باب الكوفة ، ومن أخذ المدائن كان ما في يده من أرض الكوفة أكثر — فهاهنا ذلك الحجاج ، وبعث إلى عثمان بن قطن ، ودعاه وسرّحه إلى المدائن ، وولاه منبرها والصلاة وسعونة جرحى كلّها وخراج الأستان . فخرج مسرعاً حتى نزل المدائن ، وعزل الحجاج عبد الله بن أبي عصفير ، وكان بها الجمرز مقيماً أشهراً يداوى جراحته ، وكان ابن أبي عصفير يعوده ويكرمه ، فلما قدم عثمان بن قطن المدائن لم يمهده ، ولم يكن يتساهله ولا يلطّفه بشيء ، فقال لجنّته : اللهم زد ابن عصفير جوداً وكرماً وقصلاً ، ١٣٠/٢ وزد عثمان بن قطن ضيقاً ويأساً . قال : ثم إن الحجاج دعا عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال : انتخب الناس ، واخرج في طلب هذا العدو ، فأمره بشعبة ستة آلاف ، فانتخب فرسان الناس ووجوههم ، وأخرج من قومه ستمائة من كينة وحضر موت ، واستحثّه الحجاج بالأسكر ، فمسكر بدير عبد الرحمن ، فلما أراد الحجاج لإشخاصهم كتب إليهم :

أما بعد ، فقد اعتلّتم عادة الأذلاء ، وولّيتهم الدبر يوم البرحف ، وذلك ذاب الكافرين ، وإنى قد صفحت عنكم مرة بعد مرة ، ومرة بعد مرة . وإنى أقسم لكم بالله قسماً صادقاً لئن عدتم لذلك لأوقين بكم إيقاعاً أكون أشدّ عليكم من هذا العدو الذي تهربون منه في بطون الأودية والشعاب ، وتستترون منه بأثناء الأنهار والوادي^(٢) الجبال ، فخاف من له مقاليد على نفسه ، ولم يسجل عليها سبيلاً ، وقد أعذر من أنذر .
وقد أسمعتم لَوّ ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تُنادي^(٣)

(١) كما في ١ ، فقط : « جرحوا » . (٢) لؤي الجبل : جليته .

(٣) لصور بن مدّيكوب ، شرح الميكنة ٤٦٦ .

والسلام عليكم .

قال : ثم سرح ابن الأصم مؤذنته ، فأنى عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث عند طلوع الشمس ، فقال له : ارتحل الساعة وناد في الناس : أن برئت الذمة من رجل من هذا البعث وجدهناه متخلفاً . فخرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في الناس حتى مرّ بالمداين فنزل يوماً وليلة ، وتشترى أصحابه حوائجهم ، ثم نادى في الناس بالرحيل ، ٩٣١/٢ فارتحلوا ، ثم أقبلوا حتى دخل على عثمان بن قطن ، ثم أتى الجزل فسأله عن جراحته ، وسأله ساعة وحده . ثم إن الجزل قال له : يا بن عم : إنك تسير إلى فرسان العرب وأبناء الحرب ، وأحلام الخيل ، والله لكأنما خلّقوا من ضلوعها ، ثم بنوا على ظهورها ، ثم هم أسد الأجسم ، الفارس منهم أشد من مائة ، إن لم تبدأ به بدأ ، وإن هججهم أقدم ، فإني قد قاتلتهم وبلوتهم ، فإذا أصحرت لهم انتصفوا مني ، وكان لهم الفضل علي ، وإذا خندقت علي وقاتلتهم في مضيق نلت منهم بعض ما أحب ، وكان لي عليهم الظفر ، فلا تلقهم وأنت تستطيع إلا في تعبئة أو في خندق . ثم إنه ودعه ، فقال له الجزل : هذه فرسى الفسيفساء ، خذها فإنها لا تجاري . فأخذها ثم خرج بالناس نحو شبيب ، فلما دنا منه ارتفع عنه شبيب إلى دقواء وشهرزور ، فخرج عبد الرحمن في طلبه ، حتى إذا كان على التحوم أقام ، وقال : إنما هو في أرض الموصل ، فليقاتلوا عن بلادهم أو ليندعه ، فكتب إليه الحججاج بن يوسف :

أما بعد ، فاطلب شبيباً واصلك في أثره . أين سلكك حتى تدركه فتقتله أو تبقيه ، فإنما السلطان سلطان أمير المؤمنين والجنود جندة . والسلام .

٩٣٢/٢ فخرج عبد الرحمن حين قرأ كتاب الحججاج في طلب شبيب ، فكان شبيب يدعه حتى إذا دنا منه بيته ، فيجده قد خندق على نفسه وحذر ، فيمضي ويندعه ، فيتبعه عبد الرحمن ، فإذا بلغه أنه قد تحمل وأنه يسير أقبل في الخيل ، فإذا انتهى إليه وجده قد صفّ الخيل والرجال وأدى

المرامية ، فلا يصيب له غيرة ولا له عيلة ، فيمضي ويدعه .

قال : ولما رأى شبيب أنه لا يصيب لعبد الرحمن غيرة ولا يصل إليه ، جعل يخرج إذا دنا منه عبد الرحمن في خيله ، فينزل على مسيرة عشرين فرسخاً ، ثم يقيم في أرض غليظة حَزْزَةً^(١) ، فيجىء عبد الرحمن ، فإذا دنا من شبيب ارتحل شبيب فصار خمسة عشر أو عشرين فرسخاً ، فنزل منزلاً غليظاً خشناً ، ثم يقيم حتى يلدنو عبد الرحمن .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الرحمن بن جندب أن شبيباً كان قد عذب ذلك العسكر وشق عليهم ، وأخى دوابهم ، ولقوا منه كل بلاء ، فلم يزل عبد الرحمن يتبعه حتى مر به على خانقين ثم على جلولاء ثم على تابرأ ، ثم أقبل حتى نزل البت — قرية من قرى الموصل على تخوم الموصل ، ليس بينها وبين سواد الكوفة إلا نهر يسمى حولايا — قال : وجاء عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث حتى نزل في نهر حولايا وفي راذان^(٢) الأعلى من أرض بجنوحى ، ونزل عواقل من التهر ، ونزل عبد الرحمن حيث نزلها وهي تعجبه ، يرى أنها مثل الخندق والحصن . قال : ١٢٣/٢ وأرسل شبيب إلى عبد الرحمن : إن هذه الأيام أيام عيد لنا ولكم ، فإن رأيتم أن تؤادونا حتى تمضى هذه الأيام فافعلوا . فقال له عبد الرحمن : نعم ، ولم يكن شيء أحب إلى عبد الرحمن من المطالعة والمواعدة . قال : وكتب عثمان بن قسطن إلى الحجاج :

أماً بعد ، فإنني أخير الأمير أصلحه الله أن عبد الرحمن بن محمد قد حفر جُوحى كلها خندقاً واحداً ، وتخلّى شبيباً وكسر خراجها وهو يأكل أهلها . والسلام .

فكتب إليه الحجاج :

أماً بعد ، فقد فهمت ما ذكرت لي عن عبد الرحمن ، وقد لتعمري فعل

(١) كلا في ١ ، وفي ط : « جنية » . (٢) ب ، ف : « وهو في راذان » .

ما ذكرت ، فسِرَ إلى الناس فأنتَ أميرُهم ، وعاجِلِ المارقةَ حتَّى تلقاهم .
فإن الله إن شاء الله ناصِرُك عليهم . والسلام .

قال : وبعث الحجاج إلى المدائن مطرف بن المغيرة بن شعبة ، وخرج
عُثمان حتى قدِم على عبد الرحمن بن محمد ومنَّ معه من أهل الكوفة وهم
مُعسكرون على نهر حَوَلايا قريباً من البت ، عشية الثلاثاء ، وذلك يوم
الثروية ، فنادى الناس وهو على بغلة : أيُّها الناس ، اخرجوا إلى عبدِكم .
فوثب إليه الناس ، فقالوا : نُنشِدُكَ اللهَ ، هذا المساءُ قد غُشينا . والناس
لم يُوطئوا أنفسهم على القتال ، فبت الليلة ثم اخرج بالناس على نعيبة .
فجعل يقول : لأتاجزئهم ، ولتكوننَّ القرصة لي أو لهم . فأتاهم عبد الرحمن
فأخذ بعنان دابته ، وناشده الله لما نزل ، وقال ^(١) له عَقِيلُ بْنُ شَدَّادٍ السَّلُولِيُّ :
١٢٤/٢ إن الذي تريد من مُناجرتهم الساعة أنتَ فاعله ^(٢) غداً ، وهو غداً خيرٌ

لك وللناس . إن هذه ساعة رِيحٍ وَغِيْرَةٍ ، وقد أُمِيتَ فانزل ، ثم أبكرنا إليهم
غُدوةً . فنزل ، فسَفَتَ عليه الريحُ ، وشَقَّ عليه الشُّبَارُ ، ودعا صاحب
الخراج المَلُوجَ فَبَسَتُوا له قُبَّةً فَبَاتَ فيها ، ثم أصبح يوم الأربعاء ، فجاء
أهل البت إلى شبيب - وكان قد نزل ببيعتهم - فقالوا : أصلحك الله ! أنت
ترحم الضعفاء وأهل الجزية ، ويكلمك مَنْ قُلِّي عليه ، ويسكنون إليك ما نزل
بهم فتنظر لهم ، وتكف عنهم ، وإن هؤلاء القوم جابرة لا يُكَلِّمون ولا
يَقْبَلون العُدْرَ ، والله لئن بلغهم أنك مقيم في بيعتنا ليقْتُلُنَا إن قُضِيَ لك
أن تترجِّلَ عَنَّا . فإن رأيتَ فانزل جانب القرية ولا تجعل لهم علينا مقالا ،
قال : فإني أفعل ذلك بكم ، ثم خرج فنزل جانب القرية . قال : فبات
عُثمان ليلته كلها يحرضهم ، فلما أصبح - وذلك يوم الأربعاء - خرج بالناس
فاستقبلتهم رِيحٌ شديدة وغبرة ، فصاح الناس إليه ، فقالوا ^(٣) : نُنشِدُكَ اللهَ
أن تخرج بنا في هذا اليوم ، فإنَّ الريحَ علينا ! فأقام بهم ذلك اليوم ، وأراد
شبيب قتالهم ، وخرج أصحابه ، فلما رآهم لم يَخْرُجُوا إليه أقام ، فلما كان

(١) س : وقال . (٢) ب ، ف : وقادر عليه .

(٣) ب ، ف : وقالوا له .

ليلة الخميس خرج عثمانُ فَبَقِيَ الناسَ على أرباعِهِمْ ، فجعل كلُّ رُبْعٍ في بجانبِ السَّكْرِ ، وقال لهم : اخرجُوا على هذه التَّعْبَةِ ، وسألم : من كان على ميمنتكم ؟ قالوا : خالدُ بْنُ نُهَيْكِ بْنِ قَيْسِ الْكِنْدِيِّ ، وكان على ١٣٥/٢
ميسرتنا عَقِيلُ بْنُ شَدَّادِ السَّلُولِ ، فلما هما فقال لهما : قفا مواقيكما الَّتِي كُنْتُمَا بِهَا ، فقد وليتكما المَجَنَّبَيْنِ ، فاثبتا ولا تَفَرَّ ، فوالله لا أزل حتى يزول نَحْلُ راذانٍ عن أصوله . فقالا : ونحن والله الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ لا نَفَرُ ١)
حتى نَظْفِرَ أو نُقْتَلَ ، فقال لهما : جزاكم اللهُ خيراً . ثُمَّ أَقَامَ حتى صَلَّى بالناسِ الغداة ، ثُمَّ خرج فجعل رُبْعَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ تِمِيمَ وَهْمَدَانَ نَحْوَ نَهْرِ حَوْلايَا فِي الْمَيْسَرَةِ ، وجعل رُبْعَ كِنْدَةَ وَرَبِيعَةَ وَمَسْجُوحَ وَأَسَدَ فِي الْمَيْمَنَةِ ، ونزل يَمْشِي فِي الرِّجَالِ ، وخرج شَيْبٌ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ فِي مِائَةِ وَاحِدٍ وَثَمَانِينَ رَجُلًا ، فقطع إِلَيْهِمُ النَّهْرَ ، فكان هو فِي مَيْمَنَةِ أَصْحَابِهِ ، وجعل على ميسرته سُؤَيْدُ بْنُ سُلَيْمٍ ، وجعل فِي الْقَلْبِ مَصَادُ بْنُ يَزِيدَ أَخَاهُ ، وزحفوا وجماعهم ٢) بعضهم لبعض .

قال أبو مخنف : فحدثني النَّضَرُ بْنُ صَالِحِ الْعَمِيِّ أَنَّ عُمَانَ كَانَ يَقُولُ فَيُكْثِرُ : ﴿ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُنْتَعَمُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ٣) . أَيْنَ الْحَافِظُونَ عَلَى دِينِهِمْ ، الْحَامُونَ عَنْ فَيْتِهِمَا ؟ فقال عَقِيلُ بْنُ شَدَّادِ بْنِ حَبِشَةَ السَّلُولِ : لَعَلِّي أَنْ أَكُونَ أَحَدَهُمْ ، قَتِلَ أُولَئِكَ يَوْمَ رُوْذِ بَار . ثُمَّ قَالَ شَيْبٌ لِأَصْحَابِهِ : إِنِّي حَامِلٌ عَلَى مَيْسَرَتِهِمْ مِمَّا يَلِي النَّهْرَ ، فَإِذَا هَزَمَتْهَا فَلْيَحْمِلِ صَاحِبُ مَيْسَرَتِي عَلَى مَيْمَنَتِهِمْ ، وَلَا يَبْرَحْ صَاحِبُ الْقَلْبِ ٩٣٦/٢
حتى يَأْتِيَهُ أَمْرِي . وجعل فِي مَيْمَنَةِ أَصْحَابِهِ مِمَّا يَلِي النَّهْرَ عَلَى مَيْسَرَةِ عُمَانَ بْنِ قُطَيْبٍ فَانْهَزَمُوا ، ونزل عَقِيلُ بْنُ شَدَّادٍ فقاتلَ حتى قُتِلَ ، وقُتِلَ يَوْمُئِذٍ مَالِكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَمْدَانِيُّ ثُمَّ الْمُرْهِيُّ ٤) ، عَمَّ حَيَّاشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَيَّاشِ السَّنَدُوفِ ، وجعل يَوْمُئِذٍ عَقِيلُ بْنُ شَدَّادٍ يَقُولُ وَهُوَ يُجَالِسُ :
لَأَصْرِبَنَّ بِالْحُسَامِ الْبَاتِرِ ضَرْبَ غَلَامٍ مِنْ سَلُولٍ صَابِرِ

(١-١) ب ، ف : لا نفر تشهد الله لا إله إلا هو علينا بذلك .

(٢) ب ، ف : وقضى . (٣) سورة الأحزاب : ١٦٠ .

(٤) ب ، ف ، والمرهني .

ودخل شبيب عسكرهم ، وحمل سُويد بن سليم في ميسرة شبيب على
 ميمنة عثان بن قطن فهزمتها ، وعليها خالد بن نهيك بن قيس الكندي ،
 فنزل خالد فقاتل ^(١) قتالاً شديداً ، وحمل عليه شبيب من ورائه وهو على
 ربع كندة وربيعة يومئذ ، وهو صاحب الميمنة ، فلم ينتن شبيب حتى علاه ^(٢)
 بالسيف فقتله ، ومضى عثان بن قطن وقد نزلت معه العرفاء وأشرافُ الناس
 والفرسان نحو القلب ، وفيه أخو شبيب في نحو من ستين راجلاً ، فلماً دنا
 منهم عثان بن قطن شدَّ عليهم في الأشراف وأهل الصبر فصار يومهم حتى
 فرقوا بينهم ، وحمل شبيب بالخليل من ورائهم ، فاشعروا إلا والرماح في
 أكافهم نكبتهم لوجوههم ، وعطف عليهم سُويد بن سليم أيضاً في
 خيلته ، ورجع مصاد وأصحابه ، وقد كان شبيب رجلاً ، فاضطربوا
 ساعة ، وقاتل عثان بن قطن فأحسن القتال . ثم إنهم شدوا عليهم فأحاطوا
 به ، وحمل عليه مصاد أخو شبيب فضربه ضربة بالسيف استدار لها ،
 ثم قال : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ ^(٣) . ثم إن الناس قتلوه ، وقُتل يومئذ الأبرد بن
 ربيعة الكندي ، وكان على تكل ، فألقى سلاحه إلى غلامه وأعطاه فرسه ،
 وقاتل حتى قُتل . وقع عبد الرحمن فرأه ابن أبي سبرة الجعفي وهو على
 بطة فعصره ، فنزل إليه فناوله الرمح وقال له : اركب ، فقال عبد الرحمن
 ابن محمد : أينما الرديف ؟ قال ابن أبي سبرة : سبحان الله ! أنت الأمير
 تكون المقدم ، فركب وقال لابن أبي سبرة : ناد في الناس : الحقوا بديار
 أبي مرثد ، فنادى ، ثم انطلقا ذاهبين ، ورأى واصل بن الحارث السكوني
 فرس عبد الرحمن الذي حملة عليه الجزل يسجول في العسكر ، فأخذها
 بعض أصحاب شبيب ، فظن أنه قد هلك ، فطلبه في القتل فلم يجده ،
 وسأل عنه فقيل له : قد رأينا رجلاً قد نزل عن دابته فحمكه عليها ، فأخذه
 أن يكون إياه ، وقد أخذ هاهنا آتفاً . فأتبعه واصل بن الحارث على
 برذونه ومع واصل غلامه على بئحل ، فلماً دنا منهما قال محمد بن
 أبي سبرة لعبد الرحمن : قد والله لحق بنا فارسان ، فقال عبد الرحمن : فهل

(٢) ب ، ف : « عطف » .

(١) ب ، ف : « وقاتل » .

(٣) الأحزاب : ٣٧ .

غيرُ اثنين ؟ فقال : لا ، فقال عبد الرحمن : فلا يعجز اثنان عن اثنين . قال : وجعل يحدث ابن أبي سبرة كأنه لا يكثرُ بهما ، حتى لحقهما الرجلان ، فقال له ابنُ أبي سبرة : رحمك الله ! قد لحقنَا الرجلان ، فقال له : فانزل بنا ، فنزلا فانقضيا سيفيهما ، ثم مضيا إليهما ، فلما رأهما ١٣٨/٢ واصل عرفتُهما ، فقال^(١) لهما : إنكما قد تركتُمَا النزولَ في موضعه ، فلا تنزلا الآن ، ثم حَسَرَ العمامةَ عن وجهه ، ففرقاه فرحبا به ، وقال لابن الأشعث : إنى لمأ رأيتُ فرسك يحولُ في المسكر ظننتُك راجلا ، فأنتيك بيسرُذونى هذا لركبته ، فترك لابن أبي سبرة بقلته ، وركب البسرُذون ، وانطلق عبدُ الرحمنُ بنُ الأشعث حتى نزل دَيْرَ اليعار ، وأمرُ شبيبُ أصحابه فرفضوا عن الناسِ السيف ، ودعاهم إلى البيعة ، فأثاه من بقي من الرجال فبايعوه ، وقال له أبو الصقيير^(٢) المظمى : قتل من الكوفيّين سبعةً في جوف النهر كان آخرهم رجلا تعلق بثوبى وصاح ، ورهبى حتى رهبته ، ثم إنى أقدمت عليه فقتلته . وقُتِل من كتلة مائة وعشرون يومئذ وألف من سائر الناس أو ستمائة ، وقُتِل عظيمُ العرفاء يومئذ .

قال أبو مخنف : حدثني قدامة بن حازم بن سُفْيَان الخثعمي أنه قَتَلَ منهم يومئذ جماعةً ، ويات عبد الرحمن بنُ محمد تلك الليلة يدِير اليعار ، فأثاه فارسان فصعدا إليه فوق البيت ، وقام آخرُ قريباً منهما فخلا أحدهما بعيد الرحمن طويلاً يناجيه ، ثم نزل هو وأصحابه ، وقد كان الناسُ يتحدثون أن ذلك كان شبيباً ، وأنه قد كان كاتبه ، ثم خرج عبد الرحمن آخر الليل فسار حتى أتى دَيْرَ أبي مرجم ، فإذا هو بأصحاب الخيل قد وَصَعَ ١٣٩/٢ لهم محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة صَبْرَ الشَّعِيرِ والقَتَّ بعضه على بعض كأنه القُصُور ، ونحر لهم من الجزر^(٣) ما شاعوا ، فأكلوا يومئذ ، وصَلَفُوا دوابهم ، واجتمع الناسُ إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقالوا له : إن سمع شبيبُ بمكانك أنك وكنت له غنيمة ، قد ذهب الناس وتفرقوا وقُتِل خيارهم فالحقُ أيها الرجل بالكوفة . فخرج إلى الكوفة ورجع الناسُ أيضاً ، وجاء

(١) ب ، ف : « قال » . (٢) ط : « الصقر » . (٣) ا : « الجزور » .

فاختبأ من الحجَّاج حتَّى أخذ الأمانَ بعد ذلك .

* * *

[نقش الدنانير والدرهم بأمر عبد الملك بن مروان]

وفي هذه السَّنة أمر عبدُ الملك بن مروان بنقش الدنانير والدرهم .
ذكر الواقدي : أن سعدَ بن راشد حدَّثه عن صالح بن كيسانَ بذلك .
قال : وحدَّثني ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، أن عبدَ الملك ضرب
الدرهم والدنانير عامَّةً ، وهو أولُ من أحدث ضربها .

قال : وحدَّثني خالدُ بن أبي ربيعة ، عن أبي هلال ، عن أبيه ،
قال : كانت مناقيلُ الجاهلية التي ضربَ عليها عبدُ الملك اثنين وعشرين
قيراطاً إلا حبةً ، وكان العشرةُ وزنَ سبعة .

قال : وحدَّثني عبد الرحمن بن جرير اللُّثي عن هلال بن أسامة قال :
سألتُ سعيدَ بن المسيَّب في كَمْ تَجِبُ الزَّكاةُ من الدنانير ؟ قال : في كلِّ
٩١٠/٢ عشرين مثقالاً بالشَّئ نصفُ مثقال ، قلت : ما بالُ الشَّئ من المصري ؟
قال : هو الَّذي تُضربُ عليه الدنانير . وكان ذلك وزنُ الدنانير قبل أن تُضربَ
الدنانير ، كانت (١) اثنين وعشرين قيراطاً إلا حبةً ، قال سعيد . قد عرفتُ ،
قد أرسلتُ بدنانيرَ إلى دِمَشقٍ فضربتُ على ذلك .

* * *

وفي هذه السَّنة : وفد يحيى بن الحَكَم على عبدِ الملك بن مروان
ووليَّ أبانُ بنُ عُثمانَ المدينةَ في رجب .

وفيها استقضى أبانُ بنُ نوفل بن مُساحِق بن عمرو بن خِدَاش من
بني عامر بن لؤي .

وفيها وليَّ مروانُ بنُ محمد بن مروان .

وأقام الحجَّ للناس في هذه السنة أبانُ بنُ عُثمان وهو أميرٌ على المدينة ،
حدَّثني بذلك أحمدُ بنُ ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ،
عن أبي معشر ، وكذلك قال الواقدي .

وكان على الكوفة والبصرة الحجَّاج بن يوسف ، وعلى خُرَّاسانَ أميةُ بنُ
عبدالله بن خالد ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة زُكرة بن أوفى .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين

[محاربة شبيب عتاب بن ورقاء وزهرة بن حوية وقتلها]

في هذه السنة قتل شبيب عتّاب بن ورقاء الرّياحى وزهرة بن حوية

ذكر الخبر عن سبب مقتلهما :

وكان سبب ذلك فيما ذكر هشام^(١) عن أبي مخنف ، عن عبد الرحمن^{٩٤١/٢} ابن جندب وفرّوة بن لقيط ، أن شبيباً لمّا هزم الجيش الذى كان الحجّاج وجهه^(٢) مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إليه ، وقتل عثمان ابن قطن ، وذلك فى صيف وحرّ شديد ، اشتدّ الحرّ عليه وعلى أصحابه ، فأنتى ماه بهزّاذان فتصيّف بها ثلاثة أشهر ، وأتاه ناسٌ كثيرٌ ممّن يطلب الدّنيا فليحقّوا به ، وناسٌ ممّن كان الحجّاج يطلبهم بمال أو تباعات ؛ كان منهم رجلٌ من الحنّ يقال له الحرّ بن عبد الله بن عوف ، وكان دهقانان من أهل نهر درّقيط قد أساءا إليه وضيّعّا عليه ، فشدّ عليهما فقتلتهما ، ثم لحق بشبيب فكان معه بماء ، وشهد معه موطنه حتّى قُتل ، فلمّا آمن الحجّاج كلٌّ ممّن كان خرّح إلى شبيب من أصحاب المال والتّباعات — وذلك بعد يوم السّبعة — خرج إليه الحرّ فيمن خرج ، فجاء أهل الدّهقانين يستعدّون عليه الحجّاج ، فأتى به فدخل ، وقد أوصى ويثس من نفسه ، فقال له الحجّاج : يا عدوّ الله ، قتلت رجلين من أهل الخراج ! فقال له : قد كان أصلحك الله ما هو أعظم من هذا ، فقال : وما هو ؟ قال : خروجي من الطاعة وفراق الجماعة ، ثمّ آمنت كلٌّ من خرج إليك ، فهذا أمانى وكتابك لى . فقال له الحجّاج : أولى لك ! قد لعمري فطمت ، وخلقى سبيلته .

قال : ولمّا انفسخ الحرّ عن شبيب خرج من ماء فى نحو من ثمانمائة رجل ، فأقبل نحو المدائن وعليها مطرّف بن المغيرة بن شعبة ، فجاء

(١) ب ، ف بعلما : « بن محمد » . (٢) ب ، ف : « وجهه الحجّاج » .

حتى نزل قناطر حُدَيْفَةَ بن اليمَان، فكتب ماذرواسب عظيم بابل مهروض إلى
الحجَّاج :

أمّا بعد : فإني أخير الأمير أصلحه الله أن شبيهاً قد أقبل حتى نزل
قناطر حُدَيْفَةَ ، ولا أدرى أين يريد !

فلما قرأ الحجَّاج كتابه قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أيها الناس ، والله لتقاتلن عن بلادكم وعن فيئكم أو لأبعثن إلى قوم
هم أطوع وأمتع وأصبر على اللأواء والغیظ منكم ، فيقاتلون عدوكم ،
ويأكلون فيئكم .

فقام إليه الناس من كل جانب ، فقالوا : نحن نقاتلهم ونُعِيبُ الأميرَ ،
فليندبنا الأميرُ إليهم فإننا حيث سرّه . وقام إليه زُهْرَةُ بن حَوَّية وهو
شيخ كبير لا يستم قائماً حتى يؤخذ بيده . فقال له : أصلح الله الأمير !
إنك إنما تبعث إليهم الناس متقطعين ، فاستنصر الناس إليهم كافةً
فلينفروا إليهم كافةً^(١) ، وابعث عليهم رجلاً ثباتاً شجاعاً مجرباً للحرب بمن
يرى الضرار هضماً وعاراً والصبر عجباً وكرماً . فقال الحجَّاج : فأنت
ذاك فاخرج ، فقال : أصلح الله الأمير ! إنما يصلح للناس في^(٢) هذا رجل
يحمل الرمح والدِّعْج ، ويهز السيف ، ويثبت على متن القرس ، وأنا
لا أطيق من هذا شيئاً ، وقد ضعف بصري وضعفت ، ولكن أخرجني في
الناس مع الأمير ، فإني إنما أثبت على الرحلة^(٣) فأكون مع الأمير في عسكره
وأشير عليه برأى . فقال له الحجَّاج : جزاك الله عن الإسلام وأهله في أول
الإسلام خيراً ، وجزاك الله عن الإسلام في آخر الإسلام خيراً ، فقد
نصحت وصدقت ، أنا مُخْرِجُ الناس كافةً . ألا فسيروا أيها الناس .
فانصرف الناس فجعلوا يسرون وليس يتدرون من أميرهم !

وكتب الحجَّاج إلى عبد الملك بن مروان :

أمّا بعد ، فإني أخير أمير المؤمنين أكرمه الله أن شبيهاً قد شارف المدائن
وإنما يريد الكوفة ، وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة ، في

(١) كلما في ١ ، وفي ط : « فليفر إليهم » (٢) ١ ، س : « الناس في هذا » .

(٣) س : « الرحلة » .

كلها يقتل أمراءهم ، ويقتل جنودهم ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إلى أهل الشام فيقاتلوا^(١) عدوهم ويأكلوا بلادهم فليفعل ، والسلام .

فلما أتى عبد الملك كتابه بعث إليه سفيان بن الأبرد في أربعة آلاف ، وبعث إليه حبيب بن عبد الرحمن الحكمي^(٢) من مدح حج في ألفين ، فسرّحهم ١٤٤/٢ حين أتاه الكتاب إلى الحجاج ، وحمل أهل الكوفة بتجهزون إلى شبيب ولا يدرون من أميرهم ! وهم يقولون : يبعث فلاناً أو فلاناً ، وقد بعث الحجاج إلى عتاب بن ورقاء ليأتيه وهو على خيل الكوفة مع المهلب ، وقد كان ذلك الجيش من أهل الكوفة هم الذين كان بشر بن مروان بعث عبد الرحمن بن مخنف عليهم إلى قطرى ، فلم يلبث عبد الرحمن بن مخنف إلا نحواً من شهرين حتى قدم الحجاج على العراق ، فلم يلبث عليهم عبد الرحمن بن مخنف بعد قتلهم الحجاج إلا رجب وشعبان ، وقتل قطرى عبد الرحمن في آخر رمضان ، فبعث الحجاج عتاب بن ورقاء على ذلك الجيش من أهل الكوفة الذين أصيب فيهم عبد الرحمن ابن مخنف ، وأمر الحجاج عتاباً بطاعة المهلب ، فكان ذلك قد كبر على عتاب ، ووقع بينه وبين المهلب شر ، حتى كتب عتاب إلى الحجاج يستعفيه من ذلك الجيش ويضمه إليه ، فلما أن جاءه كتاب الحجاج بإتيانه سرّ بلاك .

قال : ودعا الحجاج أشراف أهل الكوفة ، فيهم زهرة بن حوية السعدي من بني الأعرج ، وقبيصة بن ورقاء التغلبي ، فقال لهم : من ثرو أن أبعث على هذا الجيش ؟ فقالوا : رأيك أيها الأمير أفضل ، قال : فإني قد بعثت إلى عتاب بن ورقاء ، وهو قادم عليكم الليلة أو القابلة ، فيكون هو الذي يسير في الناس^(٣) ، قال زهرة بن حوية : أصلى الله الأميراً رميتهم يحجزهم ، لا والله لا يرجع إليك حتى يظفر أو يقتل . وقال له قبيصة بن ورقاء : إني مشير عليك برأى ، فإن يكن خطأ فبعد .

(١) ب ، ف : « فليقاتلوا » . (٢) بطحا ب ، ف : « من حكم سد المشيرة » .

(٣) ب ، ف : « بالناس » .

اجتهادى فى النصيحة لأمر المؤمنين وللأمر ولعامة المسلمين ، وإن يك صواباً فاللهُ سدّنى له ؛ إنّا قد تحدّثنا وتحدّث الناسُ أن جيشاً قد فصل إليك من قبيل الشام ، وأن أهل الكوفة قد هزّموا وفلّوا واستخفّوا بالصبر ، وهان عليهم عارُ الفرار ، فقلوبهم كأنّها ليست فيهم ، كأنّما هم فى قوم آخرين ، فإن رأيت أن تبعث إلى جيشك الذى أمددت به من أهل الشام . فياخذوا حذرهم ، ولا يبيتوا إلّا وهم يرون أنّهم مبيتون فقلت ، فإنك تُحارب حوّلاً قلباً ، ظمّاناً رَحَلاً ، وقد جهّزت إليه أهل الكوفة ولست واثقاً بهم كل الثقة ، وإنّا إخوانهم هؤلاء القوم الذين يُعْثوا إليك من الشام . إن شبيباً بينا هو فى أرض إذ هو فى أخرى ، ولا آمن أن يأتيتهم وهم غارون فإن يَهْلِكوا نَهْلِك ويهلك العراق . فقال : لله أنت ! ما أحسن ما رأيت ! وما أحسن ما أشرت به على !

قال : فبعث عبد الرحمن بن الغرقي مولى عقيل إلى مَنْ أَقْبَلَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فاتاهم وقد نزلوا هَيْتَ بَكْتَابِ مِنَ الْحِجَّاجِ :

أماً بعد ، فلذا حاذيتم هَيْتَ^(١) فدعوا طريق الفُرات والأَنْبار ، وخذلوا على عين التمر حتّى تقدّموا الكوفة إن شاء الله ، وخذلوا حذرهم ، وعجلوا السير . والسلام .

فأقبل القومُ سِراعاً . قال : وقدم عتاب بنُ وَرْقَاءِ فى اللَّيْلَةِ الَّتِى قَالَ الْحِجَّاجُ إِنَّهُ قَادِمٌ عَلَيْكُمْ فِيهَا : فَأَمَرَهُ الْحِجَّاجُ فَخَرَجَ بِالنَّاسِ فَسَكَّرَ بِهِمْ بِحِمَامٍ أَعْيَنَ ، وَأَقْبَلَ شَبِيبٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى كَلْكَلٍ إِذَا فَقَطَعَ مِنْهَا دِجْلَةً ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ مَدِينَةَ بَهْرَسِيرِ الدُّنْيَا : فَصَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَطَرَفِ بْنِ الْمَغِيرَةِ ابْنِ شُعْبَةَ بِحَيْرِ دِجْلَةٍ .

فلما نزل شبيبُ مدينةَ بَهْرَسِيرِ قَطَعَ مَطَرَفُ الْجِسْرِ ، وَبَعَثَ إِلَى شَبِيبٍ : أَنْ ابْعَثْ إِلَى رَجُلٍ مِنْ وَجْهِ أَصْحَابِكَ أَدَارِسُهُمُ الْقُرْآنَ ، وَأَنْظُرْ فِيمَا تَدْعُو إِلَيْهِ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ شَبِيبٌ رَجُلًا مِنْ وَجْهِ أَصْحَابِهِ ؛ فِيهِمْ قَعْتَبٌ وَسُوَيْدٌ وَالْحُلَلُ ، فَلَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَنْزِلُوا فِي السَّفِينَةِ بَعَثَ إِلَيْهِمْ شَبِيبٌ الْآ

(١) ١ : « فلذا حاذيتم هيت » .

تدخلوا السفينة حتى يرجع إلى رسول من عند مطرف ، فرجع الرسول .
وبعث إلى مطرف أن ابعث إلى من أصحابك بعدد أصحابي يكونوا
هنا في يدي حتى تردّ علي أصحابي . فقال مطرف لرسوله : الله وقل
له : كيف آمنتك أنا على أصحابي إذا أنا بعثتهم الآن إليك ، وأنت
لا تأمنني على أصحابك ! فرجع الرسول إلى شبيب فأبلغه ، فأرسل إليه
شبيب : إنك قد علمت أننا لا نستحل الغدر في ديننا ، وأنتم تفعلونه
وتستحلونه ، فبعث إليه مطرف الربيع بن يزيد الأسدي وطلحان بن
حذيفة بن هلال بن مالك المزني ويزيد بن أبي زياد مولاة وصاحب حرّسه ،
فلما صاروا في يدي^(١) شبيب سرح إليه أصحابه ، فأثوا مطرفا فكنوا أربعة
أيام يراسلون ، ثم لم يتفقوا على شيء ، فلما تبين لشبيب أن مطرفا غير
تابعه ولا داخل معه نهياً للمسير إلى عتّاب بن ورقاء وإلى أهل الشام .

٩٤٧/٢

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط أن شبيباً دعا رموس
أصحابه فقال لهم : إنّه لم يبطلني على رأي قد كنت رأيته إلا هذا الثقي
منذ أربعة أيّام ، قد كنت حدثت نفسي أن أخرج في جريدة خيل حتى
ألقى هذا الجيش المقبل من الشام وجاء أن أصادف غيرتهم أو يحدروا
فلا أبالي كنت ألقاهم منقطعين من الميصر ، ليس عليهم أمير كالهجّاج
يستندون إليه ولا ميصر كالكوكة يمتصمون به ؛ وقد جاءني عيونى اليوم
فخبرني أن أوائلهم قد دخلوا عين التمر ، فهم الآن قد شافوا الكوفة ،
وجاءني عيونى من نحو عتّاب بن ورقاء فحدثني أنه قد نزل يجماعة أهل
الكوفة الصرّة ، فأقرب ما بيننا وبينهم فتيسروا بنا للمسير إلى عتّاب بن ورقاء .

٩٤٨/٢

قال : وخاف مطرف أن يبلغ خبره وما كان من إرساله إلى شبيب
الهجّاج ، فخرج نحو الجبال ، وقد كان أراد أن يقيم حتى ينظر ما يكون
بين شبيب وعتّاب ، فأرسل إليه شبيب : أمّا إذ لم تبايعني فقد نبذت إليك
على سواء ، فقال مطرف لأصحابه : اخرجوا بنا وافرّين فإنّ الهجّاج
سيقاتلنا ، فيقاتلنا وبنا قوة أمثل . فخرج ونزل الملائن ، فعقد شبيب الجيسر ،

وبعث إلى ^(١) المدائن أخاه مصاباً ، وأقبل إليه عتّاب حتى نزل بسوق حكمة ، وقد أخرج الحجّاج جماعة أهل الكوفة مقاتلتهم ، ومن نشط إلى الخروج ^(٢) من شبابهم ^(٣) ، وكانت مقاتلتهم أربعين ألفاً سوى الشباب ، ووافى مع عتّاب يومئذ أربعون ألفاً من المقاتلة وعشرة آلاف من الشباب يسوق حكمة ، فكانوا خمسين ألفاً ، ولم يدع الحجّاج قرشياً ولا رجلاً من بيوتات العرب إلا أخرجه .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الرحمن بن جندب ، قال : سمعتُ الحجّاج وهو على المنبر حين وجه عتّاباً إلى شبيب في الناس وهو يقول : يا أهل الكوفة ، اخرجوا مع عتّاب بن ورقاء بأجمعكم ، لا أرخص لأحد من الناس في الإقامة إلا رجلاً قد وليناه من أعمالنا . ألا إن للصابر المجاهد الكرامة والأثرة ، ألا وإن للناكل الهارب ^(٤) الهوان والجفوة . والذي لا إله غيره لئن فعلتم في هذا الوطن كفعليكم في الموطن التي كانت لأوليئكم كفّاً خشناً ، ولأعزكم بكم بكلّ كلّ قليل . ثم نزل ، وتوافى الناس مع عتّاب بسوق حكمة .

قال أبو مخنف : فحدثني قروة بن لقيط ، قال : عرضنا شبيب بالمدائن فكنّا ألف رجل ، فقام فينا فحميد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معشر المسلمين ، إن الله قد كان ينصركم عليهم وأنتم مائة ومائتان وأكثر من ذلك قليلاً ، وأنقص منه قليلاً ، فأنتم اليوم مئون ومئون ، ألا إني مصلّ الظهر ثم سائر بكم . فصلّى الظهر ثم نودى في الناس : يا خيل الله اركبي وأشيري ، فخرج في أصحابه ، فأخذوا يتخلفون ويتأخرون ، فلما جاوزنا ساباط وزلنا معه قصص علينا وذكرنا بأيام الله ، وزهدنا في الدنيا ، ورغبنا في الآخرة ساعة طويلة ، ثم أمر مؤذنه فأذن ، ثم تقدّم فصلّى بنا العصر ، ثم أقبل حتى أشرف بنا على عتّاب بن ورقاء وأصحابه ، فلما أن رأهم من ساعته نزل وأمر مؤذنه فأذن ، ثم تقدّم فصلّى بنا المغرب .

(١) : رجل المدائن . (٢) : ب ، ف : والخروج . (٣) : ب ، ف : من شبابهم .

(٤) : ب ، ف : الناكل والهابز . : الناكل الهارب .

وكان مؤذنه سلام بن مسيار الشيباني ، وكانت عين عتاب بن ورقاء قد
 جاءوه فأخبروه أنه قد أقبل إليه ، فخرج بالناس كلهم فبعاهم ، وكان
 قد خندق أول يوم نزل ، وكان يظهر كل يوم أنه يريد أن يسير^(١) إلى
 شيب بالملائن^(٢) ، فبلغ ذلك شيبيا ، فقال : أسيرُ إليه أحبُّ إلى من أن
 يسير إلى ، فأتاه ، فلما صف عتاب الناس بعث على ميمته محمد بن
 عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، وقال : يا بن أخي ، إنك شريف
 فاصبر وصابر ، فقال : أما أنا فوالله لأقاتلن ما ثبت معي إنسان. وقال
 لقبيصة بن الوقي - وكان يومئذ على ثلث بني تغلب : اكفني الميسرة ،
 فقال : أنا شيخ كبير ، كثير مني أن أثبت^(٣) تحت رائي ، قد أثبت مني^(٤) القيام ،
 ما أستطيع القيام إلا أن أقام ؛ ولكن هذا عبيد الله بن الحليس ونعيم بن
 عليهما التغلبيان - وكان كل واحد منهما على ثلث من أثلاث تغلب -
 فقال : ابعث أيتهما أحببت ، فأيتهما بعث فلتبعن ذا حزم وعزم^(٥) وغناء .
 فبعث نعيم بن عليهما على ميسرته ، وبعث حنظلة بن الحارث البربوعي - وهو
 ابن عم عتاب شيخ أهل بيته - على الرجال ، وصفهم ثلاثة صفوف :
 صف فيهم الرجال معهم السيوف ، وصف وهم^(٦) أصحاب الرماح ، وصف
 فيه المرامية ، ثم سار فيما بين الميمنة إلى الميسرة يمر بأهل راية راية ؛
 فيحشهم على تقوى الله ، ويأمرهم بالصبر ويقتص عليهم .

٩٠٠/٢

٩٠١/٢

قال أبو مخنف : فحدثني حصيرة بن عبد الله أن نعيم بن الحارث
 الأزدي قال : وقف علينا فقص علينا قصصا كثيرا ، كان مما حفظت
 منه ثلاث كلمات ؛ قال : يا أهل الإسلام ، إن أعظم الناس نصيبا في الجنة
 الشهداء ، وليس الله لأحد من خلقه بأحمد منه للصابرين ، ألا ترون
 أنه يقول : ﴿ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(١) فنحمد الله فعله لما أعظم

(١ - ١) ب ، ف : « يلقى شيبيا بالملائن وأن يسير إليه » .

(٢) ١ : « أبيت » . (٣) ب ، ف : « وقد أثبت » .

(٤) ١ : « وحده » . (٥) ب ، ف : « قبلهم » . (٦) سورة الأنفال : ٤٦ .

درجته ، وليس الله لأحد أمقت منه لأهل البَيْتِ ؛ ألا ترون أن عدوكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه ، لا يرون إلا أن ذلك لهم قرينة عند الله ! فهم شِرار أهل الأرض وكِلاب النار ، أين القصاص ؟ قال ذلك فلم يَجِبْهُ والله أحدٌ مِنَّا ؛ فلما رأى ذلك ، قال : أين من يروى شعر عَنَتْرَةَ ؟ قال : فلا والله ماردٌ عليه إنسان كلمة . فقال : إننا لله ! كأنى بكم قد فررتم عن عَتَّاب بن رِقَاء وتركموه تَسِينِي في استه الرِّيح .

ثم أقبل حتى جلس في القلب معه زُهْرَةُ بن حَوِيَّةَ جالس وعبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث وأبو بكر بن محمد بن أبي جهنم العَدَوِيُّ . وأقبل شبيب وهو في ستمائة وقد تخلف عنه من الناس أربعمائة ، فقال : لقد تخلف عنا من لا أحب أن يبرى فينا . فبعث سُوَيْد بن سُلَيْم في مائتين إلى الميسرة ، وبعث المحلل بن وائل في مائتين إلى القلب ، ومضى هو في مائتين إلى الميمنة بين المغرب والعشاء الآخرة حين أضاء القمر ، فناداهم : لِمَنْ هذه الرايات ؟ قالوا : رايات ربيعة . فقال : شبيب : رايات طالما نصرت الحق ، وطالما نصرت الباطل ، لما في كل نصيب ، والله لأجاهدنكم محتسباً للخير في جهادكم ، أنتم ربيعة وأنا شبيب ، أنا أبو المدلّة ، لا حكم إلا للحكم ، اثبتوا إن شئتم . ثم حمل عليهم وهو على ^(١) مسنّة أمام الخندق فقتلهم ، فثبت أصحاب رايات قبضة بن واثق وعبيد بن الحُلَيْس ونعيم بن عليم ، فقتلوا ، وانهمزت الميسرة كلها وتنادى أناس من بني تغلب : قُتِلَ قبيصة بن واثق . فقال شبيب : قتلتم قبيصة بن واثق التغلبي يا معشر المسلمين ! قال الله : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٢) ، هذا مثل ابن عمكم قبيصة بن واثق ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، ثم جاء يقاتلكم مع الكافرين ! ثم وقف عليه فقال : وَيَحْكَ ! لو ثبت على إسلامك الأول معلت ، ثم حمل من الميسرة على عَتَّاب بن رِقَاء ، وحمل سُوَيْد بن مليم على الميمنة وعليها محمد بن عبد الرحمن ،

٩٥٢/٢

فقاتل في الميمنة في رجال من بني تميم وهمدان ، فأحسنوا القتال ، فما زالوا كذلك حتى أتوا فقبل لهم : قُتِلَ عَتَّابُ بْنُ رِقَاءٍ ، فَانْقَضُوا ، ولم يزل عَتَّابُ جالسا على طَيْفَسَةٍ في القلْبِ وَزُهْرَةُ بْنُ حَوِيَّةٍ معه ، إِذْ غَشِيَهُمْ شَيْبٌ ، فقال له عَتَّابُ : يَا زُهْرَةُ بْنُ حَوِيَّةٍ ، هَذَا يَوْمٌ كَثُرَ فِيهِ الْعَدَدُ ، وَقَلَّ فِيهِ الْغَنَاءُ ، وَالْهَنَى عَلَى خَمْسَمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ نَحْوِ رِجَالِ تَمِيمٍ مَعِيَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ ! أَلَا صَابِرٌ لِعَدُوِّهِ ! أَلَا مُؤَاسٍ بِنَفْسِهِ ! فَانْقَضُوا عَنْهُ وَتَرَكَوهُ ، ٩٥٣/٢ فقال له زهرة : أَحَسَنْتَ يَا عَتَّابُ ، فَعَلْتَ فَعَلَ مِثْلَكَ ، وَاللَّهِ وَاللَّهُ لَوْ مَنْحَتَهُمْ كَتَفْتُكَ مَا كَانَ بِقَاؤِكَ إِلَّا قَلِيلًا ، أَبَشِرْ فَلِي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ أَهْدَى إِلَيْنَا الشَّهَادَةَ عِنْدَ فِتْنَاءِ أَعْمَارِنَا ، فَقَالَ لَهُ : بَجَرَكَ اللَّهُ خَيْرًا مَا بَجَرَئِي أَمْرًا^(١) بِمَعْرُوفٍ وَحَاتًّا عَلَى تَقْوَى .

فلما دنا منه شبيب وثب في عصابة صبرت معه قليلة ، وقد ذهب الناسُ يمينًا وشمالًا ، فقال له عَمَّارُ بْنُ يُزَيْدٍ الْكَلْبِيُّ مِنْ بَنِي الْمَدِينَةِ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! إِنَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَدْ هَرَبَ عَنْكَ فَاَنْصَقْ^(٢) مَعَهُ أَنَاسٌ كَثِيرٌ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ فَرَّ قَبْلَ الْيَوْمِ ، وَمَا رَأَيْتُ ذَلِكَ الْفَتَى يُبَالِي مَا صَنَعَ ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ سَاعَةً وَهُوَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ مَوْطِنًا لَمْ أُبْتَلِ بِمِثْلِهِ قَطُّ أَقَلَّ مَقَاتِلًا وَلَا أَكْثَرَ هَارِبًا خَاذِلًا ؛ فَرَأَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي ثَقَلِبٍ مِنْ أَصْحَابِ شَيْبٍ مِنْ بَنِي زَيْدٍ بَنِ عَمْرٍو يُقَالُ لَهُ عَامِرُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ عَمْرٍو ، وَكَانَ قَدْ أَصَابَ دَمًا فِي قَوْمِهِ ، فَلَحِقَ بِشَيْبٍ ، وَكَانَ مِنَ الْفُرْسَانِ ، فَقَالَ لَشَيْبٍ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأُظَنُّ هَذَا الْمُتَكَلِّمَ عَتَّابُ بْنُ رِقَاءٍ ! فَحَصَلَ عَلَيْهِ فَطَعَنَهُ ، فَوَقَعَ فَكَانَ هُوَ وَلِيَّ قَتْلِهِ . وَوَطِئَتْ الْخَيْلُ زُهْرَةَ بْنَ حَوِيَّةٍ ، فَأَخَذَ يَدْتُ بِسِيفِهِ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ ، فَجَاءَ الْفَضْلُ بْنُ عَامِرِ الشَّيْبَانِيِّ فَفَتَلَهُ ، فَانْتَهَى إِلَيْهِ شَيْبٌ فَوَجَدَهُ صَرِيحًا فَعَرَفَهُ ، فَقَالَ : مَنْ قَتَلَ هَذَا ؟ فَقَالَ الْفَضْلُ : أَنَا قَتَلْتُهُ ، فَقَالَ شَيْبٌ : هَذَا زُهْرَةُ حَوِيَّةٍ ، أَمَا وَاللَّهِ لَنْ كُنْتُ قَتَلْتُ عَلَى ضَلَالَةٍ لَرُبِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْمُسْلِمِينَ قَدْ حَسَنَ فِيهِ بِلَاؤُكَ ، وَعَظُمَ فِيهِ غَنَاؤُكَ ! وَلَرُبَّ خَيْلٍ لِلْمَشْرِكِينَ قَدْ هَزَمَتْهَا ، وَسَرِيَّةٌ لَهُمْ قَدْ

(١) كُنَّا فِي ١ ، وَفِي ط : « أَمْرٌ لِلْمَعْرُوفِ » . (٢) ب ، ف : « وَأَنْصَقَ عَنْكَ » .

ذعرتها^(١) وقرية من قراهم جَمَّ^(٢) أهلها قد افنتحتتها ، ثم كان في عِلِم الله أن تَقْتَلَ ناصراً للظَّالِمِينَ !

قال أبو مِخْنَف : فحدثني فَرْوة بنُ لَقِيط قال : رأيتُ اللهَ تَوَجَّعَ له ، فقال رجل من شُبَّان بكر بنِ وائل : والله إنَّ أمير المؤمنين منذ اللَّيْلَةِ ليتوجَّعَ لرجل من الكافرين ! قال : إنَّكَ لستَ بأعرف بضلالتهم مني ، ولكنني أعرف من قديم أمرهم ما لا تعرف ؛ ما لو ثبتوا عليه كانوا إخواناً . وقُتِل في المعركة عُمَار بنُ يزيدَ الكَلْبِيُّ ، وقُتِل أبو خَيْثَمَةَ بن عبد الله يومئذ ، واستمكن شبيبٌ من أهلِ العسكر والناس ، فقال : ارفعوا عنهم السيف ، ودعا إلى البيعة ، فبايعه الناس من ساعتهم ، وهربوا من تحت ليلتهم ، وأخذ شبيب يُبَايعهم ، ويقول : إلى ساعةٍ يَهْرُبُونَ . وحوى شبيب على ما في العسكر ، وبعث إلى أخيه ، فأتاه من المدائن ، فلماً وافاه بالعسكر أقبل إلى الكوفة وقد أقام بعسكره بيت فرّة يومين ، ثم توجه نحو وجه أهل الكوفة ، وقد دخل سُفْيَان بنُ الأبرد الكَلْبِيُّ وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مَدَنٍ جِجَ فبين معهما من أهل الشام الكوفة ، فشَدَّ وللحَجَّاجِ ظَهْرَهُ ، فاستغنى بهما عن أهل الكوفة ، فقام على منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد يا أهل الكوفة ، فلا أعزَّ اللهُ من أراد بكم العِزَّ ، ولا نصَرَ من أراد بكم النَّصَرَ ، اخرجوا عنّا ، ولا تشهدوا معنا قتال عدونا ، الحقوا بالخير فانزلوا مع اليهود والنصارى ، ولا تقاتلوا معنا إلا من كان لنا عاملاً ، ومن لم يكن شهيداً قتالَ عَتَّاب بنِ وَرْقَاء .

٩٥٥/٢

قال أبو مِخْنَف : فحدثني فَرْوة بن لقيط ، قال : والله لآخَرَجْنَا نَتَّبِعَ آثارَ الناس ، فانتَهى إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الحمدانيّ ، وهما يَمْشِيَانِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى رأسِ عبد الرحمن قد امتلاً طِيناً ، فصددتُ عنهما ، وكهرت أن أذعرهما ، ولو أُنِّي أُوذِنُ بهما لأصحاب شبيب لقتلنا مكانهما ، وقلت في نفسي : لئن سَقُتُ إلى مِثْلِكُمَا من قوَى القتل ما أنا برشيدٍ الرأى ، وأقبل شبيبٌ حتّى نزل الصّراة .

(١) كَلَا في (١) ، و في ط : « أغرتها » ، و في ب ، ف : « قلبها » . (٢) ١ : « جم أهلها » .

قال أبو مخنف : فحدثني موسى بن سوار أن شيباً خرج يريد الكوفة ، فانتهى إلى سورا ، فندب الناس ، فقال : أيكم يأتيني برأس عامل سورا ؟ فانتسب له بطين وقعنّب وسويد ورجلان من أصحابه ، فساروا مغدّين حتى انتهوا إلى دار الخراج والعُمّال في سمرجة^(١) فدخلوا الدار وقد كادوا الناس بأن قالوا : أجيوا الأمير ، فقالوا : أيّ الأمراء ؟ قالوا : أميرٌ خرج من قبيل الحجاج يريد هذا الفاسق شيباً ، فاعترّ بذلك العامل منهم . ثم إنهم شتهروا السيوف وحكّموا حين وصلوا إليه فضرّوا عنقه ، وقبضوا ٩٠٦/٢ على ما كان من مال ، ولحقوا بشيب ، فلما انتهوا إليه قال : ما الذي أتيتُمونا به ؟ قالوا : جئتكَ برأس الفاسق وما وجدنا من مال^(٢) ، والمال على دابة في بلوره ، فقال شيب : أتيتُمونا بفتنة للمسلمين ، هلُمّ الحرّبة يا غلام ، فخرق بها البلور ، وأمر فتخّس بالدابة والمال يتناثر من بلوره حتى وردت الصرّة ، فقال : إن كان بقي شيء فاقلّذه في الماء . ثم خرج إليه سفيان بن الأبرد مع الحجاج ، وكان أناه قبل خروجه معه ، فقال : ابعتني أستقبله قبل أن يأتيك ، فقال : ما أحب أن تفرق حتى ألقاه في جماعتكم والكوفة في ظهورنا والحصن في أيدينا .

* * *

[ذكر الخبر عن دخول شيب الكوفة مرة ثانية]

وفي^(٣) هذه السنة دخل شيب الكوفة دخلته الثانية .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من حربه بها الحجاج :

قال هشام : حدثني أبو مخنف ، عن موسى بن سوار ، قال : قدّم سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف من الدّسكرة الكوفة بعد ما قدم جيش الشام الكوفة ، وكان مطّرف بن المنيرة كتب إلى الحجاج : إن شيباً قد أطلّ على ، فابعث إلى المدائن بعثاً . فبعث إليه سبرة بن عبد الرحمن ابن مخنف في مائتي فارس ، فلما خرج مطّرف يريد الجبل خرج بأصحابه

(١) في اللسان : « السرج يوم جباية الخراج » . (٢) ب ، ف : « أموله » .

(٣) قبلها في ١ : « قال محمد بن جرير » .

معه وقد أعلمهم ما يريد ، وكنتم ذلك سبيرة ، فلما انتهت إلى دسكرة الملك دعا سبيرة فأعلمه ما يريد ، ودعاه إلى أمره ، فقال له : نعم أنا معك ، فلما خرج من عنده بعث إلى أصحابه فجمعهم ، وأقبل بهم فصادف (١) عتّاب ابنَ ورقاء قد قُتِلَ وشبيباً قد مضى إلى الكوفة ، فأقبل حتى انتهى إلى قرية يقال لها بيطرى ، وقد نزل شبيب حمّام عمر ، فخرج سبيرة حتى عبر الفرات في معبر قرية شاهی ، ثم أخذ الظّهر حتى قدّم على الحجّاج ، فوجد أهل الكوفة مسخوطاً عليهم ، فدخل على سُفّیان بن الأبرد ، فقصّ قصته عليه (٢) وأخبره بطاعته وفراقه مطرفاً ، وأنه لم يشهد عتّاباً ولم يشهد هزيمة في موطن من مواطن أهل الكوفة ، ولم أزل للأمير عاملاً ، ومعى مائتا رجل لم يشهدوا معي هزيمة قط ، وهم على طاعتهم (٣) ولم يَدْخُلُوا في فتنة . فدخل سُفّیانُ إلى الحجّاج فخبّره بخبر (٤) ما قصّ عليه سبيرة بن عبد الرحمن ، فقال : صدقَ وبرّ ! قلْ له : فليشهد معنا لقاء عدونا ، فخرج إليه فأعلمه ذلك . وأقبل شبيب حتى نزل موضع حمّام أعين ، ودعا الحجّاج الحارث بن معاوية بن أبي زرعة بن مسعود الثقفي فوجهه في ناس من الشرط لم يكونوا شهدوا يوم عتّاب ، ورجالا كانوا عمالاً في نحو من مائتي رجل (٥) من أهل الشام ، فخرج في نحو من ألف ، فنزل زُرارة ، وبلغ ذلك شبيباً ، فتمعّل إليه في أصحابه ، فلما انتهى إليه حمل عليه فقتله ، وهزّم أصحابه ، وجاءت المنهزمة فدخلوا الكوفة . وجاء شبيب حتى قطع الجسر ، وعسكر دونه إلى الكوفة ، وأقام شبيب في عسكره ثلاثة أيام ، فلم يكن في أول يوم إلّا قتل الحارث بن معاوية ، فلما كان في اليوم الثاني أخرج الحجّاج موابيه وغلمانته عليهم السلاح ، فأخذوا (٦) بأفواه السكك ممّا يلي الكوفة ، وخرج أهل الكوفة فأخذوا بأفواه سيككهم ، ونشوا إن لم يخرجوا موابدة الحجّاج وعبد الملك بن مروان . وجاء شبيب

٩٥٧/٢

٩٥٨/٢

(١) كذا في أ ، وفي ط : « فصادف » . (٢) ب ، ف : « قصص عليه قصته » .

(٣) ف : « طاعته » . (٤) ب ، ف : « فأخبره بخبر هؤلاء وبخبر ما قص عليه » .

(٥) د ، هـ ، ف : « فليس » . (٦) ب ، ف : « وأخذوا » .

حتى ابنتي مسجداً في أقصى السَّبْخَةِ مما يلي موقف أصحاب القَتِّ عند الإيوان ، وهو قائمٌ حتَّى السَّاعَةِ ، فلَمَّا كَانَ اليَوْمَ الثَّالِثَ أَخْرَجَ الْحِجَّاجَ أَبَا الْوَرْدِ مَوْلَى لَهُ عَلَيْهِ تَجَنُّافٌ ، وَأَخْرَجَ مَجْفُفَةً كَثِيرَةً ، وَغِلْمَانًا لَهُ ، وَقَالُوا : هَذَا الْحِجَّاجُ ، فَحَسَمَلْ عَلَيْهِ شَيْبٌ فَقَتَلَهُ ، وَقَالَ : إِنْ كَانَ هَذَا الْحِجَّاجُ فَقَدْ أَرَحْتُكُمْ مِنْهُ .

ثُمَّ إِنْ الْحِجَّاجُ أَخْرَجَ لَهُ غَلَامَهُ طُهْمَانَ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْعُدَّةِ عَلَى مِثْلِ تِلْكَ الْهَيْئَةِ ، فَحَسَمَلْ عَلَيْهِ شَيْبٌ فَقَتَلَهُ ، وَقَالَ : إِنْ كَانَ هَذَا الْحِجَّاجُ فَقَدْ أَرَحْتُكُمْ مِنْهُ .

ثُمَّ إِنْ الْحِجَّاجُ خَرَجَ ارْتِفَاعَ النَّهَارِ مِنَ الْقَصْرِ فَقَالَ : ائْتُونِي بِيَسْخَلٍ أَرْكَبُهُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّبْخَةِ ، فَأَتَى بِبِغْلٍ مَحْجَلٍّ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنْ الْأَعَاجِمُ أَصْلَحَتْكَ اللَّهُ تَطْيِيرٌ^(١) أَنْ تَرْكَبَ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ مِثْلَ هَذَا الْبِغْلِ ، فَقَالَ : أَذْنُوهُ مِنِّي ، فَإِنَّ الْيَوْمَ يَوْمٌ أَغْرَ مَحْجَلٍّ ؛ فَرَكِبَهُ ثُمَّ خَرَجَ فِي أَهْلِ الشَّامِ حَتَّى أَخَذَ فِي سَكَةِ الْبَرِيدِ ، ثُمَّ خَرَجَ فِي أَعْلَى السَّبْخَةِ ، فَلَمَّا نَظَرَ الْحِجَّاجُ إِلَى شَيْبٍ^(٢) وَأَصْحَابِهِ نَزَلَ ، وَكَانَ شَيْبٌ فِي سِتْمَاةِ فَارِسٍ ، فَلَمَّا رَأَى الْحِجَّاجُ قَدْ خَرَجَ إِلَيْهِ أَقْبَلَ بِأَصْحَابِهِ ، وَجَاءَ سَبْرَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى الْحِجَّاجِ فَقَالَ : أَيْنَ يَا مَرْفَى الْأَمِيرِ أَنْ أَقِفَ ؟ فَقَالَ : قِفْ عَلَى أَفْوَاهِ السَّكِكِ ، فَإِنْ جَاءَوكُمْ فَكَانَ فِيكُمْ قِتَالٌ فَقَاتِلُوا : فَأَنْطَلَقَتْ حَتَّى وَقَفَ فِي جَمَاعَةِ النَّاسِ ، وَدَعَا الْحِجَّاجُ بِكَرْمِيٍّ لَهُ فَقَعَدَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ نَادَى : يَا أَهْلَ الشَّامِ : أَنْتُمْ أَهْلُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ ، لَا يَغْلِبُنَّ بَاطِلُ هَؤُلَاءِ الْأَرْجَاسِ حَقِّكُمْ : غَضَبُوا الْأَبْصَارَ ، وَاجْتَسَوْا عَلَى الرِّكَبِ ، وَاسْتَقْبَلُوا الْقَوْمَ بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ . فَجَسَوْا عَلَى الرِّكَبِ ، وَأَشْرَعُوا الرِّمَاحَ ، وَكَانَتْهُمْ حَرَّةٌ مُودَاءَ ، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِمْ شَيْبٌ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ عَبَى أَصْحَابُهُ ثَلَاثَةَ كَرَادِيْسٍ ، كَتَبَتْهُ مَعَهُ : وَكَتَبَتْهُ مَعَ سُؤَيْدِ بْنِ سُلَيْمٍ ، وَكَتَبَتْهُ مَعَ الْمُحَلَّلِ بْنِ وَائِلٍ ، فَقَالَ لِسُؤَيْدٍ : احْمِلْ عَلَيْهِمْ فِي خَيْلِكَ ، فَحَسَمَلْ عَلَيْهِمْ ، فَتَبَتُوا لَهُ ، حَتَّى إِذَا غَشِيَ أَطْرَافَ الْأَسِنَّةِ وَتَبَا فِي وَجْهِهِ وَوَجْهُ أَصْحَابِهِ ، فَطَعَنُوهُمْ^(٣) قُدُمًا حَتَّى انْفَصَرَفَ ،

(١) ا: «تطير». (٢) ب، ف: «فلما رأى الحجاج شيئا». (٣) ب، ف: «فطعنوه».

وصاحَ الحِجَّاجُ : يا أَهْلَ السَّمْعِ والطَّاعَةِ ، هَكَذَا فافْعَلُوا . قَدِمَ كُرْمَى يا غِلامَ ، وأمرَ شَيْبَ المَخْلَلِ فَحَمَلَ عَلَيْهِم ، فَعَلُوا بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلُوا بِسُوَيْدَ ، فَنَادَاهُمُ الحِجَّاجُ : يا أَهْلَ السَّمْعِ والطَّاعَةِ ؛ هَكَذَا فافْعَلُوا ، قَدِمَ كُرْمَى يا غِلامَ ^(١) .

ثُمَّ إِنَّ شَيْبًا حَمَلَ عَلَيْهِم فِي كَتِيبَتِهِ فَشَبَّوْا لَهُ ، حَتَّى إِذَا غَشَى أَطْرَافَ الرَّمَاحِ وَتَبَّوْا فِي وَجْهِهِ ، فَقَاتَلَهُمْ طَوِيلًا . ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الشَّامِ طَعَنُوهُ قَدُمًا حَتَّى أَلْحَقُوهُ بِأَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا رَأَى صَبْرَهُمْ نَادَى : يا سُوَيْدَ ، احْمِلْ فِي خَيْلِكَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ السَّكَةِ - يَعْنِي سِكَّةَ لَحَامِ جَرِيرٍ - لَعَلَّكَ تَزِيلُ أَهْلَهَا عَنْهَا ، فَتَأْتِي الحِجَّاجَ مِنْ وَرَائِهِ ، وَنَحْمِلُ نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ أَمَامِهِ . فَانْقَرَدَ سُوَيْدُ بْنُ سَالِمٍ فَحَمَلَ عَلَى أَهْلِ تِلْكَ السَّكَةِ ، فَرَى مِنْ فَوْقِ الْبُيُوتِ وَأَفْوَاهِ السَّكِكِ ، فَانصَرَفَ ، وَقَدْ كَانَ الحِجَّاجُ جَعَلَ عُرْوَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ فِي نَحْوِ مِنْ ثَلَاثَةِ رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ رَدًّا لَهُ وَأَصْحَابَهُ ثَلَاثًا يُؤْتُوا مِنْ وَرَائِهِ ^(٢) .

٩٦٠/٢

قال أبو عَنَفٍ : فَحَدَّثَنِي فَرَوَةَ بْنُ لَقِيطٍ : إِنَّ شَيْبًا قَالَ لَنَا يَوْمَئِذٍ : يا أَهْلَ الإسلامِ إِنَّمَا شَرِينَا اللَّهَ ، وَمَنْ شَرَى اللَّهَ لَمْ يَكْبِرْ ^(٣) عَلَيْهِ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْأَذَى وَالْأَلَمِ فِي جَنَّةِ اللَّهِ . الصَّبْرُ الصَّبْرُ ؛ شِدَّةُ كَشِدَّةِ أَتَكُمْ فِي مَوَاطِنِكُمُ الْكَرِيمَةِ . ثُمَّ جَمَعَ أَصْحَابَهُ ، فَلَمَّا ظَنَّ الحِجَّاجُ أَنَّهُ حَامِلٌ عَلَيْهِمْ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : يا أَهْلَ السَّمْعِ والطَّاعَةِ ، اصْبِرُوا لَهُنَا الشَّدَّةَ الْوَاحِدَةَ ، ثُمَّ وَرَبَّ السَّمَاءِ مَا شَيْءٌ دُونَ الْفَتْحِ . فَجَشَوْا عَلَى الرُّكْبِ . وَحَمَلَ عَلَيْهِمُ شَيْبٌ بِجَمِيعِ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا غَشِيَهُمُ نَادَى الحِجَّاجُ بِجَمَاعَةِ النَّاسِ ، فَوَشَّوْا فِي وَجْهِهِ ، فَأَزَالُوا يَطْمَعُونَ وَيَضْرِبُونَ قَدَمًا وَيَكْفَعُونَ شَيْبًا وَأَصْحَابَهُ وَهُوَ يَقَاتِلُهُمْ حَتَّى بَلَغُوا مَوْضِعَ بُسْتَانَ زَائِدَةَ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمَكَانَ نَادَى شَيْبٌ أَصْحَابَهُ : يا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ ، الْأَرْضُ الْأَرْضُ ، ثُمَّ نَزَلَ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَنَزَلَ نَصْفُهُمْ وَتَرَكَ نَصْفَهُمْ مَعَ سُوَيْدِ بْنِ سَلِيمٍ ، وَجَاءَ الحِجَّاجُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَسْجِدِ شَيْبَ ، ثُمَّ قَالَ : يا أَهْلَ الشَّامِ ، يا أَهْلَ السَّمْعِ والطَّاعَةِ ، هَذَا

(١) سَلَقَةُ مِنْ م . (٢) ب ، ف : « وَرَائِهِمْ » . (٣) ا : « لَمْ يَكْبُرْ » .

أول الفتح والذي نفسُ الحجاج بيده ! وصعد المسجد معه نحو من
عشرين رجلاً معهم النبل، فقال: إن دَنَوْنَا منا فارشقوم، فاقبلوا عامةً النهار
من أشدّ قتال في الأرض، حتّى أقرّ كل واحد من الفريقين لصاحبه. ثمّ إنَّ
٩١١/٢ خالد بن عتّاب قال للحجاج: ائذّنْ لى فى قتالهم فإنى مؤثّر، وأنا بمنّ
لا يبتهم فى نصيحة^(١)، قال: فإنى قد أذنت لك، قال: فإنى آتيهم
من ورائهم حتّى أغيرَ على عسكرهم؛ فقال له: إفعل ما بدلك، قال:
فخرج معه بعصابة من أهل الكوفة حتّى دخل عسكرهم من ورائهم،
فقتل مصداً أخا شبيب، وقتل غزاةً امرأته، قتلها فروةُ بنُ الدفان
الكلبيّ، وحرّق فى عسكره، وأتى ذلك الخبرُ الحجاج وشبيباً، فأما
الحجاج وأصحابه فكبروا تكبيرة واحدة، وأما شبيب فوثب هو وكلّ راجل
معه على خيولهم، وقال الحجاج لأهل الشام: شدّوا عليهم فإنّه قد أتاهم
ما أربح قلوبهم. فشدّوا عليهم فهزموهم، وتخلّف شبيب فى حامية
الناس.

قال هشام: فحدثنى أصغر الخارجيّ، قال: حدثنى من كان مع شبيب
قال: لما انهزم الناسُ فخرج من الجسر تبعه^(٢) خيل الحجاج، قال:
فجعل يخفق برأسه، فقلت: يا أمير المؤمنين، التفت فاقظر من خلفك؛
قال: فالتفت غير مكترث، ثمّ أكبّ يخفق برأسه؛ قال: ودنوا منّا؛
فقلنا: يا أمير المؤمنين، قد دنوا منك، قال: فالتفت والله غير مكترث،
ثمّ جعل يخفق برأسه. قال: فبعث الحجاج إلى خيله أن يدعو فى حرق
الله وناره؛ فتركوه ورجعوا.

٩١٢/٢ قال هشام: قال أبو مخنف: حدثنى أبو عمرو العذرى^(٣)، قال: قال:
قطّع شبيب الجسر حين عبّر. قال: وقال لى فرّوة: كنتُ معه حين
انهزمنا فما حرّك الجسر، ولا اتّبعونا حتّى قطعنا الجسر. ودخل الحجاج
الكوفة، ثمّ صعد المنبر فحمد الله، ثمّ قال: والله ما قُوتل شبيب

(١) ب، ف: «نصيحة». (٢) ف، ف: «والجيش تبعه».

(٣) ب: «العذرى».

قَبْلَهَا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ هَارِبًا ، وَتَرَكَ أَمْرَاتِهِ يُكْسَرُ فِي أَسْنَنِهَا الْقَصَبُ .

وقد قيل في قتال الحِجَّاجِ شَيْبًا بالكُوفَةِ ما ذَكَرَهُ عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ
 قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَغيرةِ بْنِ عَطِيَّةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنَا
 مَزاحِمُ بْنُ زُفَرٍ بْنِ جَسَّاسِ التَّيْمِيِّ ، قَالَ : لَمَّا فَتَضَّ شَيْبٌ كِتَابَ الحِجَّاجِ
 أَذِنَ لَنَا فَدْخَلْنَا عَلَيْهِ فِي مَسْجِدِهِ الَّذِي بَيْتَ فِيهِ وَهُوَ عَلَى سُرِيرٍ عَلَيْهِ لِحَافٌ ،
 فَقَالَ : إِنِّي دَعَوْتُكُمْ لِأَمْرٍ فِيهِ أَمَانٌ وَنَظَرٌ ، فَأَشِيرُوا عَلَيَّ ؛ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ
 تَبَحَّشَ بِحُسْبُوحَتِكُمْ ، وَدَخَلَ حَرَمَكُمْ ، وَقَتَلَ مُقَاتِلَتَكُمْ ، فَأَشِيرُوا
 عَلَيَّ ؛ فَأَطَرَقُوا . وَفَصَلَ رَجُلٌ مِنَ الصَّفِّ بِكَرْسِيهِ فَقَالَ : إِنَّ أَذْنَ لِي
 الْأَمِيرُ تَكَلَّمَتْ ، فَقَالَ : تَكَلَّمْ ، فَقَالَ : إِنَّ الْأَمِيرَ وَاللَّهُ مَا رَاقَبَ اللَّهَ ، وَلَا
 حَفِظَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا نَصَحَ الرَّعِيَّةَ ، ثُمَّ جَلَسَ بِكَرْسِيهِ فِي الصَّفِّ .
 قَالَ : وَإِذَا هُوَ قُتِيْبَةٌ ، قَالَ : فَتَغَضِبَ الحِجَّاجُ وَالْقَتِيْلُ اللِّحَافُ ، وَذَكَرَ
 قَدَمِيهِ مِنَ السَّرِيرِ كَأَنَّهُ أَنْظَرَ إِلَيْهِمَا ؛ فَقَالَ : مَنْ التَّكَلَّمَ ؟ قَالَ : فَخَرَجَ
 قُتِيْبَةٌ بِكَرْسِيهِ مِنَ الصَّفِّ فَأَعَادَ الْكَلَامَ ، قَالَ : فَمَا الرَّأْيُ ؟ قَالَ : أَنْ
 تَخْرُجَ إِلَيْهِ فَحَاكِمَهُ ؛ قَالَ : فَارْتَدَّ لِي مُعْسِكْرًا ثُمَّ أَغْدَى إِلَيَّ ، قَالَ :
 فَخَرَجْنَا نَلْعَنُ عَنِّيْبَةَ بْنَ سَعِيدٍ . وَكَانَ كَلَّمَ الحِجَّاجُ فِي قُتِيْبَةٍ . فَجَعَلَهُ
 مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا وَقَدْ أَوْصَيْنَا جَمِيعًا ، غَدَوْنَا فِي السَّلَاحِ ،
 فَصَلَّيَ الحِجَّاجُ الصُّبْحَ ثُمَّ دَخَلَ ، فَجَعَلَ رَسُولُهُ يَخْرُجُ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ فَيَقُولُ :
 أَجَاءَ بَعْدُ ؟ أَجَاءَ بَعْدُ ؟ وَلَا نَدْرِي مَنْ يَرِيدُ ! وَقَدْ أَفْعَمَتِ الْمُقْصُورَةُ بِالنَّاسِ ،
 فَخَرَجَ الرَّسُولُ فَقَالَ : أَجَاءَ بَعْدُ ؟ وَإِذَا قُتِيْبَةٌ يَمْشِي فِي الْمَسْجِدِ عَلَيْهِ قَبَاءٌ
 هَرَوِيٌّ أَصْفَرٌ ، وَعِمَامَةٌ خَزْ أَحْمَرٌ ، مُتَقَلِّدًا سَيْفًا عَرِيضًا قَصِيرَ الْحِمَاطِلِ
 كَأَنَّهُ فِي لِبَاطِهِ ، قَدْ أَدْخَلَ بِرُمُكَةِ قَبَائِهِ فِي مَنْطِقَتِهِ ، وَالذَّرْعُ يَصْفَقُ سَاقِيَتَهُ
 فَتُفْتَحُ لَهُ الْبَابُ فَدَخَلَ وَلَمْ يُحْجَبْ ، فَكَبِثَ طَوِيلًا ثُمَّ خَرَجَ ، وَأَخْرَجَ
 مَعَهُ لِيَوَاءَ مَنْشُورًا ، فَصَلَّى الحِجَّاجُ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَامَ فَتَكَلَّمَ ، وَأَخْرَجَ الْلَوَاءَ
 مِنْ بَابِ الْقَبِيلِ ، وَخَرَجَ الحِجَّاجُ يَتْبَعُهُ ، فَلَمَّا بِالْبَابِ بَغْلَةً شَقْرَاءَ غَرَاءُ
 مَحْمَلَةٌ فَرَكِبَهَا ، وَعَارِضُهُ الْوُصَفَاءُ بِالذَّوَابِ ، فَأَبَى غَيْرَهَا . وَرَكِبَ النَّاسُ .

وركب قتيبة فرساً أغراً محجلاً كُنيّاً كأنّه في سرّجه رمانة من عظم السّرج ، فأخذ في طريق دار السّقاية حتّى خرج إلى السّبخة وبها عسكر شبيب ، وذلك يوم الأربعاء ، فتواقفوا ، ثمّ غدّوا يوم الخميس للقتال ، ثمّ غادوهم يوم الجمعة ، فلمّا كان وقت السّيلة انهزمت الخوارج .

* * *

قال أبو زيد: حدثني خلاد بن يزيد ، قال : حدثنا الحجاج بن قتيبة، قال: جاء شبيب وقد بعث إليه الحجاج أميراً فقّته، ثمّ آخر^(١) فقّته، أحدهما أعين صاحب حَمَام أعين ، قال : فجاء حتى دخل الكوفة ومعه غزالة ، وقد كانت نذرت أن تُصلّى في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران . قال : ففعلت . قال : واتخذ شبيب في عسكره أخصاصاً ، فقام الحجاج فقال : لا أراكم تناصحون^(٢) في قتال هؤلاء القوم يا أهل العراق ! وأنا كاتب إلى أمير المؤمنين ليُمدّني بأهل الشام . قال : فقام قتيبة فقال : إنك لم تنصح لله ولا لأمر المؤمنين في قتالهم .

قال عمر بن شبة : قال خلاد : فحدثني محمد بن حفص بن موسى ابن عبيد الله بن معمر بن عثمان التميمي أن الحجاج خنق قتيبة بحمامته خنقاً شديداً .

* * *

ثمّ رجع الحديث إلى حديث الحجاج وقتيبة . قال : فقال : وكيف ذاك ؟ قال : تبع الرجل الشريف وتبع معه رعاة من الناس فينهزمون عنه ، ويستحي فيقاتل حتّى يقتل ؛ قال : فما الرأي ؟ قال : أن تخرج بنفسك ويخرج معك نظراؤك فيؤاسونك بأنفسهم . قال : فلعنه من ثمّ . وقال الحجاج : والله لأبرزن له غداً ؛ فلمّا كان الغد حضر الناس . فقال قتيبة : اذكر يمينك أصلح الله الأمير ! فلعنوه أيضاً ، وقال الحجاج : اخرج فارتدّ لمعسكره ، فذهب ونهياً هو وأصحابه فخرجوا ، فألّى على موضع فيه بعض القدر : موضع كُنامة ،

فقال : ألقوا لي هاتنا . فقيل : إنّ الموضع قدّر ، فقال : ما تدعونني إليه أقلدّر ، الأرض تحته طيبة ، والسماء فوقه طيبة . قال : فنزل وصف الناس وخالد بن عتّاب بن ورقاء مسخوط عليه فليس في القوم ، وجاء شبيب وأصحابه فقرّبوا دوابّهم ، وخرجوا يمشون ، فقال لهم شبيب : الهوا عن رميكم ، ودبّوا تحت تراميكم ، حتّى إذا كانت أسننتهم^(١) فوقها ، فأزلقوها صعداً ، ثمّ ادخلوا^(٢) تحتها لتستقبلوا فتقطّعوا أقدامهم ، وهى الهزيمة بإذن الله . فأقبلوا يدبّون إليهم . وجاء خالد بن عتّاب في شاكريته ، فدار من وراء عسكريهم ، فأضرم أخصاصهم بالنار ، فلما رأوا ضوء النار سمعوا معصمتها التفتوا فراوها في^(٣) بيوتهم ، فولّوا^(٤) إلى خيلهم وتبيهم الناس ، وكانت الهزيمة . ورضي الحجاج عن خالد ، وعقد له على قتالهم .

٩٦٥/٢

قال : ولما قتل شبيب عتّاباً أراد دخول الكوفة ثانية ، فأقبل حتّى شاركتها فوجّه إليه الحجاج سيف بن هانئ ورجلاً معه ليأتياه بخبر شبيب ، فأبى عسكريه ، فظن بهما ، فقتل الرجل ، وأفلت سيف ، وتبيّه رجل من الخوارج ، فأوثب سيف فرسه ساقية ، ثمّ سأل الرجل الأمان على أن يصدقه ، فأمنه ، فأخبره أنّ الحجاج بعثه وصاحبه ليأتياه بخبر شبيب .

قال : فأخبره أنا نأتيه يوم الاثنين . فأبى سيف الحجاج فأخبره ، فقال :

كذب وماق ، فلما كان يوم الاثنين توجهوا يريدون الكوفة ، فوجّه إليهم الحجاج الحارث بن معاوية الثقفي ، فلقى شبيب بزّارة قتلته ، وهزم أصحابه ودنا من الكوفة فبعث البطّين في عشرة قوارس يرتاد له منزلاً على شاطئ الفرات في دار الرّزق ، فأقبل البطّين وقد وجّه الحجاج حوشب بن يزيد في جمع من أهل الكوفة ، فأخلوا بأفواه السكك ، فقامت عليهم البطّين فلم يقدروا عليهم ، فبعث إلى شبيب فأمدّه بقوارس ، فعمّروا فرس حوشب وهزمه ونجا ، ومضى البطّين إلى دار الرّزق ، وعسكر على شاطئ الفرات ، وأقبل شبيب فنزل دون الجسر ، فلم يوجّه إليه الحجاج أحداً ، ففضى فنزل

٩٦٦/٢

(١) ب ، ف : « أسنتم » . (٢) ب ، س : « ادخلوها » .

(٣) ب ، ف : « فولوا ما في بيوتهم » . (٤) ب ، ف : « ولوا » .

السَّبْخَةُ بين الكُوفَةِ والفُرَاتِ ، فَأَقَامَ ثَلَاثًا لَا يَبُوحُهُ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ أَحَدًا ،
فَأَشِيرَ عَلَى الْحَجَّاجِ أَنْ يَخْرُجَ بِنَفْسِهِ ، فَوَجَّهَ قَتِيبَةَ بْنَ مُسْلَمٍ ، فَهَيَّأَ لَهُ عَسْكَرًا ثُمَّ
رَجَعَ ، قَالَ : وَجَدْتُ الْمَأْتَى سَهْلًا ، فَسِرَّ عَلَى الطَّائِرِ الْيَمُونِ ؛ فَنَادَى
فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ فَخَرَجُوا ، وَخَرَجَ مَعَهُ الْوَجُوهُ حَتَّى نَزَلُوا فِي ذَلِكَ الْعَسْكَرِ ^(١)
وَتَوَاقَعُوا ، وَعَلَى مَيْمَنَةِ شَيْبِ بْنِ الْبَطِينِ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ قَعْنَبُ مَوْلَى بَنِي
أَبِي رُبَيْعَةَ بْنِ ذَهْلٍ ، وَهُوَ فِي زُهَاءِ مَائَتَيْنِ ، وَجَعَلَ الْحَجَّاجُ عَلَى مَيْمَنَتِهِ مَطْرَبَ بْنَ
نَاجِيَةَ الرَّيَّاحِيِّ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ خَالِدُ بْنُ عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءِ الرَّيَّاحِيِّ فِي زُهَاءِ
أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، وَقِيلَ لَهُ : لَا تُعْرِقْهُ مَوْضِعُكَ ، فَتَنْكُرَ وَأَخْفَى مَكَانَهُ ،
وَشَبَّهَ لَهُ أَبَا الْوَرْدِ مَوْلَاهُ ، فَظَنَرَ إِلَيْهِ شَيْبِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ ، فَضْرِبَهُ بِعُمُودٍ وَزَنَّهُ
خَمْسَةَ عَشَرَ رِبْطًا فَفَتَكَهُ ، وَشَبَّهَ لَهُ أَعْيَنَ صَاحِبَ حِمَّامٍ أَعْيَنَ بِالْكُوفَةِ ،
وَهُوَ مَوْلَى لِبَكْرٍ ^(٢) بْنِ وَائِلٍ فَفَتَكَهُ ، فَرَكِبَ الْحَجَّاجُ بَغْلَةً غَرَاءَ مَحْجَلَةً ،
وَقَالَ : إِنَّ الدِّينَ أَغْرُ مَحْجَلٌ ، وَقَالَ لِأَبِي كَعْبٍ : قَدِّمْ لَوَاكُ ، أَنَا ابْنُ
أَبِي عَمِيلٍ . وَحَمَلَ شَيْبِ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَتَّابٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَلَمَحَ بِهِمُ الرَّجَبَةَ ،
وَحَمَلُوا عَلَى مَطْرَبِ بْنِ نَاجِيَةَ فَكَشَفُوهُ ، فَتَزَلَّ عِنْدَ ذَلِكَ الْحَجَّاجُ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ
فَنَزَلُوا ، فَجَلَسَ عَلَى عِبَادَةٍ وَمَعَهُ عُنْبُسَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، فَإِنَّهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ تَنَاولَ
مَصْبَقَةَ بْنِ مُهْلِكِ بْنِ الضَّبِّيِّ بِلِحَامِ شَيْبِ ؛ فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي صَالِحِ بْنِ
مُسَرَّحٍ ؟ وَبِمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : أَعْلَى هَذِهِ الْحَالِ ، وَفِي هَذِهِ الْحَزَّةِ ^(٣) !
وَالْحَجَّاجُ يَنْظُرُ ، قَالَ : فَبَرِئُ مَنْ صَالِحٍ ، فَقَالَ مَصْبَقَةُ : بَرِئَ اللَّهُ مِنْكَ ،
وَفَارَقُوهُ إِلَّا أَرْبَعِينَ فَارِسًا هُمْ أَشَدُّ أَصْحَابِهِ ، وَانْحَازَ الْآخَرُونَ إِلَى دَارِ
الرَّزْقِ ؛ وَقَالَ الْحَجَّاجُ : قَدْ اخْتَلَفُوا ، وَأَرْسَلَ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَتَّابٍ فَأَتَاهُمْ
فَقَاتَلَتْهُمْ ، فَفُتِلَتْ غَزَالَةٌ ، وَسَرَّ بِرَأْسِهَا إِلَى الْحَجَّاجِ فَارِسٌ فَعَرَفَهُ شَيْبِ ،
فَأَمَرَ عُلُوَّانَ فَشَدَّ عَلَى الْفَارِسِ فَفَتَكَهُ وَجَاءَ بِالرَّأْسِ ، فَأَمَرَ بِهِ فَنُغْسِلَ وَدْفَهُ
وَقَالَ : هِيَ أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ رَحْمًا - يَعْنِي غَزَالَةً .

ومضى القومُ على حَامِيَتِهِمْ ، وَرَجَعَ خَالِدٌ إِلَى الْحَجَّاجِ فَأَخْبَرَهُ بِانْصِرَافِ

(١) ب ، ف : « للسكر » . (٢) ف : « الكبير » .

(٣) الحزّة : الشدة .

القوم ، فأمره أن يحمل على شبيب فحمل عليهم ، وأتبعه ثمانية ، منهم قنبر والبطين وعُلوّان وعيسى والمهذب وابن عويمر وسنان ، حتى بلغوا به الرحبة ، وأتى شبيب في موقفه بخوْط بن عُمير السدوسي ، فقال له شبيب : يا خوْط ، لا حُكْمَ إِلَّا لله . فقال : لا حُكْمَ إِلَّا لله ، فقال شبيب : خوْط من أصحابكم ، ولكنه كان يخاف ، فأطلقه . وأتى بعُمير بن الصّعقاع ، فقال له : لا حُكْمَ إِلَّا لله يا عُمير ، فجعل لا يفقه عنه ، ويقول : في مِبل الله شباني ، فردّد عليه شبيب : لا حُكْمَ إِلَّا لله ، ليتخلّصه ^(١) ، فلم يفقه . فأمر بقتله ، وقتل مصاد أخو شبيب ، وجعل شبيب ينتظر النفر الذين تبعوا خالدًا فأبطأوا ، ونعس شبيب فأبقتّه حبيب بن خدره ، وجعل أصحاب الحجاج لا يُقدّمون عليه هبةً له ، وصار إلى دار الرزق ، فجمع رثته ^(٢) من قتل من أصحابه ، وأقبل الهلبية إلى موضع شبيب فلم يجدوه ، فظنوا أنهم قتلوه ، ورجع مطرٌ وخالدٌ إلى الحجاج فأمرهما فأتبعاه الرهط الهلبية . وأتبع الرهط شبيبا . ففضوا جميعًا حتى قطعوا جسر المدائن ، فدخلوا ديرًا هنالك وخالد يقبضهم . فحصرهم في الدّير ، فخرجوا عليه فهزموه نحوًا من فرسخين حتى ألغوا أنفسهم في دجلة بخيلهم ، وألقى خالد نفسه بفرسه فمرّ به ولواؤه في يده ، فقال شبيب : قاتله الله فارسًا وفارسه ! هذا أشدّ الناس ، وفرسه أقوى فرس في الأرض ، فقيل له : هذا خالد بن عتّاب ، فقال : معرّق له في الشجاعة ، والله لو علمت لأتحمّت خلفه ولو دخل النار .

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . عن أبي عمرو العُدريّ ، أن الحجاج دخل الكوفة حين انهزم شبيب ، ثم صعد المنبر ، فقال : والله ما قُوتل شبيب قط قبلها مثلها ، ولّى والله هاربًا ، وترك امرأته يكسر في أستها القصب . ثم دعا حبيب بن

(١) ف : ليتخلّصه . (٢) الرقة : المتاع .

عبد الرحمن الحكيم فبعثه في أثره في ثلاثة آلاف من أهل الشام ، فقال له الحجّاج : احذر بيّاته ، وحيثما لقيته فتأزله ، فإن الله قد فكلّ حدة ، وقسم نابه . فخرج حبيب بن عبد الرحمن في أثر شبيب حتى نزل الأنبار ، وبعث الحجّاج إلى العمّال أن دُسّوا إلى أصحاب شبيب أن من جاءنا منهم فهو آمين ؛ فكان كل من ليست له تلك البصيرة ممن قد هدّه القتال يميء فيؤمن ، وقبل ذلك ما قد نادى فيهم الحجّاج يوم هزموا : إن من جاءنا منكم فهو آمين ، ففترق عنه ناس كثير من أصحابه ، وبلغ شبيباً منزك حبيب بن عبد الرحمن الأنبار ، فأقبل بأصحابه حتى إذا دنا من عسكريهم نزل فوصلّى بهم المغرب .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يزيد السكسكي ، قال : أنا والله في أهل الشام ليلة جاءنا شبيب فبيّتنا . قال : فلما أمسينا جمعنا حبيب بن عبد الرحمن فجمعنا أرباعاً ، وقال لكل ربع منا : ليُجزى كل ربع منكم جانبه ، فإن قاتل هذا الربع فلا يُغنهم ^(١) هذا الربع الآخر ، فإنه قد بلغني أن هذه الخوارج منّا قريب ، فوطنوا أنفسكم على أنكم مبسّتون ومقاتلون ؛ فإزّلنا على تمبيّتنا حتى جاءنا شبيب فبيّتنا ، فشدّ على ربع منّا ، عليهم عثمان بن سعيد العنزي فصار بهم طويلاً ، فما زالت قدم إنسان منهم ، ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر . وقد جعل عليهم سعد بن بجل العامري فقاتلهم ، فما زالت قدم إنسان منهم . ثم تركهم وأقبل على الربع ^(٢) الآخر وعليهم النعمان بن سعد الحميري فاقدر منهم على شيء ، ثم أقبل على الربع الآخر وعليهم ابن أقيصر الخثعمي فقاتلهم طويلاً ، فلم يظفر بشيء ، ثم أطاف بنا يحمل علينا حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل ، وألّز بنا حتى قلنا ، لا يفارقنا ، ثم نازلنا راجلاً طويلاً ، فسقطت والله بيننا وبينهم الأيدي ، وفُتقت الأعين ، وكثرت القتلى ، قتلنا منهم نحواً من ثلاثين ، وقتلوا منّا نحواً من مائة ، والله لو كانوا فيما نرى يزيدون على مائة رجل لأهلكونا ، وإيم الله على ذلك ما فارقونا حتى مكلّناهم وملّونا . وكبرهونا وكبرناهم .

(١) س : « يغنهم » ، ف : « يغنهم » . (٢) ف : « الرابع » .

ولقد رأيت الرجل منّا يضرب بسيفه الرجل منهم فما يضره شيء من الإعياء والضعف ، ولقد رأيت الرجل منّا يقاتل جالساً يَنْفَحُ بسيفه ما يستطيع أن يقوم من الإعياء^(١) ، فلماً يشوا منّا ركب شبيب ثم قال لمن كان نزل من أصحابه : اركبوا ، فلماً استولوا على متون خيولهم وجه^(٢) منصرفاً عنّا .

٩٧١/٢

قال أبو مخنف : حدثني فروة بن لقيط ، عن شبيب ، قال : لماً انصرفنا عنهم وبنا كآبة شديدة ، وجراحة ظاهرة ، قال لنا : ما أشدّ هذا الذي بنا لو كنّا إنما نطلب الدنيا ! وما أيسرَ هذا في ثواب الله ! فقال أصحابه : صدقت يا أمير المؤمنين ، قال : فما أنسى منه إقباله على سويد بن سلم ولا مقالته له : قتلْتُ منهم أُمس رجلين : أحدهما أشجع الناس ، والآخر أجبن الناس ، خرجتُ عشيةً أُمس طليعةً لكم فلقيتُ منهم ثلاثة نفر دخلوا قريةً يشترون منها حوائجهم ، فاشترى أحدُهم حاجته ، ثم خرج قبل أصحابه وخرجتُ معه ، فقال : كأنك لم تشتر علكاً ، فقلت : إن لي رفقاءً قد كفّوتني ذلك ، فقلت له : أين ترى عدونا هذا نزل ؟ قال : بلغني أنّه قد نزل منّا قريباً ، وإيم الله لو ددت أني قد لقيتُ شبيبهم هكذا ، قلت : فتجبّ ذلك ؟ قال : نعم ، قلت : فخذ حذرَكَ ، فأنا والله شبيب ، وانتصيتُ مبيتي ، فخرّ والله ميتاً ، فقلت له : ارتفع ويحك^(٣) ! وذهبتُ أنظر فإذا هو قد مات ، فانصرفتُ راجعاً ، فاستقبل الآخر خارجاً من القرية ، فقال : أين تذهب هذه الساعة ؟ وإنّما يرجع الناس إلى عسكرهم ! فلم أكلّمه ، ومضيتُ يقرّب بي فرسي ، وأتبعني حتى لحقني ، فقطعت عليه فقلت له : ما لك ؟ فقال : أنت والله من عدونا ؟ فقلت : أجل والله ، فقال : والله لا تبرح حتى تقتلني أو أقّلك ، فحمكت عليه وحملت على ، فاضطررنا بسيفينا ساعة ، فوالله ما فضلكته في شدة نفس ولا إقدام إلا أن سبني كان أقطع من سيفه ، فقتلته ، قال : فضبتنا حتى قطعنا دجلة ، ثم أخذنا في أرض بجوخي حتى قطعنا دجلة مرة أخرى من

٩٧٢/٢

(٢) ب : • • ويد • .

(١) ب ، ف : • • من الإعياء والضعف • .

(٣) ب ، ف : • • ارتفع ويحك • .

عند واسط ، ثم أخذنا إلى الأهواز ثم إلى فارس ، ثم ارتفعنا إلى كرمان .

* * *

[ذكر الخبر عن مهلك شبيب]

وفي هذه السنة هلك شبيب في قول هشام بن محمد ، وفي قول غيره كان هلاكه سنة ثمان وسبعين .

* ذكر سبب هلاكه :

قال هشام ، عن أبي مخنف : قال : حدثني أبو يزيد السكسكي ، قال : أقمنا الحجاج إليه - يعني إلى شبيب - فقمم فينا مالا عظيما ، وأعطى كل جريح منا وكل ذى بلاء ، ثم أمر سفیان بن الأبرد أن يسير إلى شبيب ، فجهز سفیان ، فشق ذلك على حبيب بن عبد الرحمن الحكمي ، وقال : تبع سفیان إلى رجل قد فلتته وقتلت فرسان أصحابه ! فأمضى سفیان بعد شهرين ، وأقام شبيب بكرمان ، حتى إذا انجبر واستراش هو وأصحابه أقبل راجعا ، فيستقبله سفیان بجسر دجيل الأهواز ، وقد كان الحجاج كتب إلى الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل ، وهو زوج ابنة الحجاج وعامله على البصرة .

٩٧٢/٢

أما بعد ، فابعث رجلا شجاعا شريفا من أهل البصرة في أربعة آلاف إلى شبيب ، ومعه فليكنحق بسفیان بن الأبرد ، وليسمع له وليطع .

فبعث إليه زياد بن عمرو العتكي في أربعة آلاف ، فلم يته إلى سفیان حتى التقى سفیان وشبيب ، ولما أن التقيا بجسر دجيل عبر شبيب إلى سفیان فوجد سفیان قد نزل في الرجال ، وبعث مهابر^(١) بن صيني العذري على الخيل ، وبعث على ميمته بشر بن حسان القهري ، وبعث على ميسره عمر بن هبيرة القراري ، فأقبل شبيب في ثلاثة كراديس من أصحابه ، هو في كتيبة وسويد في كتيبة ، وقعنسب المحكمي في كتيبة ، وخلف الحلال بن وائل في عسكريه . قال : فلما حمل سويد وهو في ميمته

على مسيرة سفيان ، وقعب وهو في مسيرته على ميمته حمل هو على سفيان ،
فاضطرتنا طويلا من النهار ، حتى انحازوا فرجعوا إلى المكان الذي كانوا
فيه ، فكر علينا هو وأصحابه أكثر من ثلاثين كربة ، كل ذلك لا نزول
من صفنا . وقال لنا سفيان بن الأبرد : لا تفرقوا ، ولكن لترحف الرجال
إليهم زحفا ، فوالله ما زلنا نطاعنهم ونضاربهم حتى اضطرواهم إلى
الجسر ، فلما انتهى شبيب إلى الجسر نزل ونزل معه نحو من مائة رجل ،
فقاتلناهم حتى المساء أشد قتال قاتله قوم قط ، فما هو إلا أن نزلوا
فأوقعوا لنا من الطعن والضرب شيئا ما رأينا مثله من قوم قط . فلما رأى
سفيان أنه لا يتقدر عليهم ، ولا يأمن مع ذلك ظفرهم ، دعا الرماة فقال :
ارشقوهم بالنبل ، وذلك عند المساء ، وكان التقاؤهم نصف النهار . فرماهم
أصحاب النبل بالنبل عند المساء ، وقد صفهم سفيان بن الأبرد على حدة ،
وبعث على المرامية رجلا ، فلما رشقوهم بالنبل ساعة شدوا عليهم ،
فلما شدوا على رماتنا شددنا عليهم ، فشغلناهم عنهم ، فلما رموا بالنبل
ساعة ركب شبيب وأصحابه ثم كبروا على أصحاب النبل كربة صرع منهم
أكثر من ثلاثين رجلا ، ثم عطف بخيله علينا ، ففشي عامدا نحونا ، فطاعناه
حتى اختلط الظلام ، ثم انصرف عنا ، فقال سفيان لأصحابه :
أيها الناس ، دعوهم لا تتبعوهم حتى نصبهم غدوة . قال : فكففتنا
عنهم وليس شيء أحب إلينا من أن ينصرفوا عنا .

قال أبو مخنف : فحدثني فرقة بن لقيط ، قال : فما هو إلا أن
انتهينا إلى الجسر ، فقال : اعبروا معاشر المسلمين ، فإذا أصبحنا
باكرتناهم إن شاء الله ، فعبرتنا أمامه ، وتخلّف في أخرنا ، فأقبل على
فرسه ، وكانت بين يديه فرس أنثى ماذيانه ، فترا فرسه عليها وهو على الجسر
فاضطربت الماذيانه ، ونزل حافر رجل فرس شبيب على حرف السفينة ،
فسقط في الماء ، فلما سقط قال : ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ .

٩٧٥/٢ فارتمس ^(١) في الماء ، ثم ارتفع فقال : ﴿ ذَلِكَ تَقْلِيدُ الْفَرِيدِ الْعَلِيمِ ﴾ .
(١) ارتمس في الماء . إذا انغمس فيه حتى يغيب رأسه وجميع جسده فيه .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يزيد السكسكي بهذا الحديث - وكان ممن يقاتله من أهل الشام، وحدثني قرة بن لقيط ، وكان ممن شهد موطنه - فأما رجل من ربهط من بني مرة بن همام فإنه حدثني أنه كان معه قوم يقاتلون من عشرينه ، ولم يكن لهم تلك البصيرة النافذة ، وكان قد قتل من عشائهم رجالا كثيرا ، فكان ذلك قد أوجع قلوبهم ، وأوغر صدورهم ؛ وكان رجل يقال له مقاتل من بني تيم بن شيبان من أصحاب شبيب ، فلما قتل شبيب رجالا من بني تيم بن شيبان أغار هو على بني مرة بن همام فأصاب منهم رجلا ، فقال له شبيب : ما حملك على قتلهم بغير أمرى ! فقال له : أصلحك الله ! قتل كضار قوى ، وقتلت كضار قومك ، قال : وأنت الولي على حتى تقطع الأمور دُوني ! فقال : أصلحك الله ! أليس من ديننا قتل من كان على غير رأينا، منّا كان أو من غيرنا ! قال : بلى ، قال : فإنما فعلت ما كان ينبغي ، ولا والله يا أمير المؤمنين ما أصبت من ربهطك عشر ما أصبت من ربهطى ، وما يحل لك يا أمير المؤمنين أن تجد من قتل الكافرين ؛ قال : إني لا أبجد من ذلك . وكان معه رجال كثير قد أصاب من عشائهم ، فزعموا أنه لما تظلف في أخريات أصحابه قال بعضهم لبعض : هل لكم أن نقطع به الجسر فتدرك ثارتا الساعة ! فقطعوا الجسر ، فالت السفن ، ففزع القوس ونقر ، ووقع في الماء ففرق .

٩٧٦/٢

قال أبو مخنف : فحدثني ذلك المرّي بهذا الحديث ، وناس من رَهْط شبيب يذكرون هذا أيضا ؛ وأما حديث العامة فالحديث الأول .

قال أبو مخنف : وحدثني أبو يزيد السكسكي ، قال : إننا والله لنتهيأ للانصراف إذ جاء صاحب الجسر فقال : أين أميركم ؟ قلنا : هو هذا ، فجاءه فقال : أصلحك الله ! إن رجلا منهم وقع في الماء ، فتنادوا بينهم : غرق أمير المؤمنين ! ثم إنهم انصرفوا راجعين ، وتركوا عسكرهم ليس فيه أحد ، فكبر سفيان وكبرنا ، ثم أقبل حتى انتهى إلى الجسر ، وبعث مهاجرين صفي فعبّر إلى عسكرهم ، فلذا ليس فيه منهم صافر

ولا أكره^(١)، فنزل فيه، فإذا أكثر عسكر خلق الله خيراً، وأصبحنا فطلبنا شيباً حتى استخرجناه وعليه الدرع، فسمعت الناس يزعمون أنه شق بطنه فأخرج قلبه، فكان مجتمعاً صلباً كأنه صخرة، وإنه كان يضرب به الأرض فيثب قائم إنسان؛ فقال سفيان: احملوا الله الذي أعانكم فأصبح عسكرهم في أيدينا.

قال أبو زيد عمر بن شبة: حدثني خلاد بن يزيد الأرقط، قال: كان شيب ينعمي لأمه فيقال: قتل فلا تقبل قال: فقبل لها: إنه غرق، فقبلت، وقالت: إني رأيت حين ولدته أنه خرج مني شهاب نار، فعلمت أنه لا يطفئه إلا الماء.

قال هشام عن أبي مخنف: حدثني فرقة بن لقيط الأزدي ثم القامري أن يزيد بن نعيم أبا شيب كان ممن دخل في جيش سلمان بن ربيعة إذ بعث به وبمن معه^(٢) الوليد بن عقبة عن أمير عمان إياه بذلك مدداً لأهل الشام أرض الروم، فلما فصل المسلمون أقيم السبي للبيع، فرأى يزيد ابن نعيم أبو شيب جارية حمراء، لا شهلاء ولا زرقاء طويلة جميلة تأخذها العين، فابتاعها ثم أقبل بها، وذلك سنة خمس وعشرين أول السنة، فلما أدخلها الكوفة قال: أسلمي، فأبت عليه، فضربها فلم تزد إلا عصياناً، فلما رأى ذلك أمر بها فأصلحت، ثم دعا بها فأدخلت عليه، فلما تغشأها تلقت منه بحمل فولدت شيباً، وذلك سنة خمس وعشرين في ذي الحجة في يوم النحر يوم السبت. وأحببت مولاه حباً شديداً - وكانت حادثة^(٣) - وقالت: إن شئت لأجبتك إلى ما سألتني من الإسلام، فقال لها: شئت، فأسلمت، وولدت شيباً وهي مسلمة، وقالت: إني رأيت فيها يرى النائم أنه خرج من قبلي شهاب فتقب يسطع حتى بلغ السماء وبلغ الآفاق كلها، فيينا هو كذلك إذ وقع في ماء كثير جار فخبأ، وقد ولدته في يومكم هذا الذي تهرقون فيه الدماء، وإني

(١) يقال: ما في النار من صائر، أي أحد يصفر، وهو مثل.

(٢) ١: «مد الوليد بن عقبة». (٣) كفأ في ١، وفي ط: «تحتة».

قد أوتيت رؤياى هذه أنى أرى وليدى هذا غلاماً ، أراه سيكون صاحب دعاء يهريقها ، وإنى أرى أمره سيطو ويعظم سريعاً . قال : فكان أبوه يختلف ١٧٨/٢ به وبأمنه إلى البادية إلى أرض قومہ على ماء يدعى اللصيف .

قال أبو مخنف : وحدثنى موسى بن أبي سويد بن رادى أن جند أهل الشام الذين جاءوا حملوا معهم الحجار فقالوا : لا نفر من شيب حتى يفر هذا الحجر ؛ فبلغ شيباً أمرهم ، فأراد أن يكيدهم ، فدعا بأفراس أربعة ، فربط فى أذناها ترسة فى ذنب كل فرس ترسين ، ثم ندب معه ثمانية نفر من أصحابه ، معه غلام له يقال له حيّان ، وأمره أن يحمل معه إداوة من ماء ، ثم سار حتى يأتى ناحية من العسكر ، فأمر أصحابه أن يكونوا فى نواحي العسكر ، وأن يجعلوا مع كل رجلين فرساً ، ثم يمسيوها الحديد حتى تجد حرّة ويخلوها فى العسكر ، وواعدهم ثلثة قربة من العسكر ، فقال : من نجا منكم فإن موعده هذه الثلثة ؛ وكرو أصحابه الإقدام على ما أمرهم به ، فترل حيث رأى ذلك منهم حتى صنع بالخيل مثل الذى أمرهم ، ثم غلت فى العسكر ؛ ودخل يتلونها مُحَكَّمًا فضرب الناس بعضهم بعضاً ، فقام صاحبهم الذى كان عليهم ، وهو حبيب بن عبد الرحمن الحكمي ، فنادى : أيها الناس ، إن هذه مكيدة ، فالزموا الأرض حتى يتبين لكم الأمر ، ففعلوا ويق شيب فى صكرهم ، فلزم الأرض حيث رآهم قد سكنوا ، وقد أصابته ضربة عمود أوهنته ، فلما أن هدأ الناس ورجعوا إلى أبنيتهم خرج فى غمارهم حتى أتى الثلثة ، ١٧٩/٢ فإذا هو بحيّان ، فقال : أفرغ يا حيّان على رأسى من الماء ؛ فلماً مدّ رأسه ليصب عليه من الماء هم حيّان أن يضرب عنقه ، فقال لنفسه : لا أجد لى مكربة ولا ذكراً أرفع من قلبي هذا ، وهو أمانى عند الحجاج ، فاستقبلته الرعدة حيث هم بما هم به ، فلماً أبطل يحل الإداوة قال : ما يبطلك بحلها ! فتناول السكين من موزجه ^(١) فخرقها به ، ثم تناولها إياه ، فأفرغ عليه من الماء . فقال حيّان : منعنى والله الجبن وما أخذت من

(١) اللوزج : الخف ، فارسى مرب . الحوالق ٣١١ .

الرَّعدة أن أضرب عنقه بعد ما همت به . ثمّ لحق شبيب بأصحابه في
عسكره .

[خروج مطرف بن المغيرة على الحجاج وعبد الملك]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة خرج مطرف بن المغيرة بن شعبة
على الحجاج ، وخلع عبد الملك بن مروان ولحق بالجلال فقتل .

* ذكر السبب الذي كان عند خروجه وخلعه عبد الملك بن مروان :

قال هشام عن أبي مخنف ، قال : حدثني يوسف بن يزيد بن بكر
الأزدى أن بني المغيرة بن شعبة كانوا صلحاء نبلاء ، أشرافاً بأبدانهم سوى
شرف أبيهم ومزلتهم^(١) في قومهم . قال : فلما قدم الحجاج فلقوه وشافهم
عليهم أنهم رجال قومه وبنو أبيه ، فاستعمل عروة بن المغيرة على
الكوفة ، ومطرف بن المغيرة على المدائن ، وحمزة بن المغيرة على همدان .

قال أبو مخنف : فحدثني الحصين بن يزيد بن عبد الله بن سعد بن نعيم
الأزدى ، قال : قدّم علينا مطرف بن المغيرة بن شعبة المدائن فصعد
المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أيّها الناس ، إن الأمير الحجاج
أصلحه الله قد ولّاني عليكم ، وأمّرتني بالحكم بالحق ، والعدل في السيرة ، فإن
عملت بما أمّرتني به فأنا أسعدُ الناس ، وإن لم أفعل فنفسى أوبقت ، وحظّ
نفسى ضيّع ، ألا^(٢) إني جالس لكم العَصْرَيْن ، فارفعوا إلى حوائجكم^(٣) ،
وأشيروا عليّ بما يصلحكم ويصلح بلادكم ، فإنّي لن آلوكم خيراً
ما استطعت . ثمّ نزل .

وكان بالمدائن إذ ذاك رجال من أشراف أهل المصروبيوتات الناس ، وبها
مقاتلة لا تسعها عدة ، إن كان كَوْنٌ بأرض جُوخَى أو بأرض الأنبار . فأقبل
مطرف حين نزل حتّى جلس للناس في الإيوان ، وجاء حكيم بن الحارث
الأزدى بمشى نحوه ، وكان من وجوه الأزد وأشرافهم ، وكان الحجاج قد

(١) : « ويراهم » .

(٢-٣) : ب ، ف : « ارفعوا إل حوائجكم فإنّي جالس لكم العصرين » .

استعمله بعد ذلك على بيت المال - فقال له: أصلحك الله! إني كنتُ منك
ثانياً حين تكلمتُ ، وإني أقبلتُ نحوك لأجيبك ، فوافقتُ ذلك نزولك ،
إنّا قد فهمنا ما ذكرتُ لنا ، أنّه عهد إليك ، فأرشد الله العاهد والمعهود إليه ،
وقد منيتُ من نفسك العدل ، وسألتُ المعونة على الحق ، فأعانك الله على ١٨١/٢
ما نويتُ ، إنك تشبه أباك في سيرته برضا الله والناس . فقال له مطرف :
ها هنا إلى ؟ فأوسع له فجلس إلى جنبه .

قال أبو مخنف : فحدثني الحُصَيْن بن يزيد أنّه كان من خير عامل
قدم عليهم قط ، أقمعه لمُريب ، وأشدّه إنكاراً للظلم . فقدم عليه بشر بن
الأجدع الهمداني ، ثم الثوري ، وكان شاعراً فقال :

إني كلفتُ بخود غير فاحشةٍ غراءَ وهنّانٍ حُسانٍ الجيدِ
كأنها الشمس يوم اللّجن إذ برزتْ تمشي مع الأنيس الهيف الأماليدِ
سلّ الهوى بعنّدةٍ مذكرةٍ عنها إلى المُجندى ذى العُرف والجودِ
إلى الفتى المالجِ الفياض نرفتهُ فى الناس ساعةٍ يُحلى كلّ مرؤودِ
من الأكارم أنساباً إذا نُسبوا والحامل الثقل يوم المغرم الصبيدِ
إني أعينك بالرحمن من نفرٍ حمر السبال كأسد الغابة السودِ
فرسانُ شيبان لم نسمع بِمثلهم . أبناء كلّ كريم النجلِ صنديدِ ١٨٢/٢
شدوا على ابن حُصين فى كتيبتِه فغادروه صريعاً ليلة العيدِ
وابنُ المجاليدِ أَرَدْتَهُ رماحهمُ كأنما زلّ عن خصماء صيخودِ
وكلُّ جمعٍ بروذابار كان لهم قد فُضّ بالطعن بين النخل والبيدِ
فقال له : ويحك! ما جئت إلا لثغبتنا . وقد كان شبيب أقبل من سائيلما ،
فكتب مطرف إلى الحجاج :

أمّا بعد ، فإني أخبر الأمير أكرمهُ الله أن شبيباً قد أقبل نحونا ،
فإن رأى الأمير أن يُمدّنى برجال أصبغ بهم المدائن فعَل ، فإن المدائن
باب الكوفة وحصنها .

فبعث إليه الحجاجُ بنُ يوسفَ سَبْرَةَ بن عبد الرحمن بن مِخْنَفٍ في مائتين وعبد الله بن كَتَّاز في مائتين ، وجاء شبيب فأقبل حتَّى نزل قناطرَ حَدَيفَةَ ، ثمَّ جاء حتَّى انتهى إلى كَلَوَاذَا ، فعَبِرَ منها دِجْلَةَ ، ثمَّ أَقْبَلَ حتَّى نزل مدينةَ بَهْرَسِيرَ ومطَرَفَ بن المغيرة في المدينة العتيقة الَّتِي فيها مَتَرَلُ كَسْرَى ٩٨٣/٢ والقَصْرُ الأَبْيَضُ ، فلَمَّا نزل شبيب بَهْرَسِيرَ قطعَ مطَرَفُ الجِسْرَ فيما بينه وبين شبيب ، وبعث إلى شبيب أن ابعثْ إلى رجالا من صلحاء أصحابك أدارسهم القرآن ، وأنظر ما تَدْعُونَ إليه ، فبعث إليه رجالا ؛ منهم سويد بن سليم وقعب والحلّل بن وائل ، فلما أدْنَيْ منهم المَعْبَرُ وأرادوا أن يَتَرَلَوْا فيه أُرْسِلَ إليهم شبيب الّا تدخلوا السَّفِينَةَ حتَّى يرجع إلى رسولٍ من عند مطَرَفَ ، وبعث إلى مطَرَفَ : أن ابعثْ إلى بَعْدَةَ من أصحابك حتَّى تردّ عليّ أصحابي ، فقال لرسوله : القه فقل له : فكيف آمَنُكَ عليّ أصحابي إذا بعثتهم الآن إليك ، وأنت لا تأمنني عليّ أصحابك ! فأرسلَ إليه شبيب : إنَّكَ قد علمتَ أَنَّا لا نستحلّ في ديننا الغَدْرَ ، وأنتم تَفْعَلُونَهُ وتَهْوَتُونَهُ . فسَرَّحَ إليه مطَرَفُ الرِّبْعَ بنَ يَزِيدَ الأَسَدِيَّ ، وسليان بن حَدَيفَةَ بنَ هلال بن مالك المزنيّ ، ويزيدَ بن أبي زياد مولى المغيرة — وكان على حَرَمِ مطَرَفَ — فلَمَّا وقعوا في يديه بعث أصحابه إليه .

قال أبو مِخْنَفٍ :

حدثني النَّصْرُ بنُ صالح ، قال : كنت عند مطَرَفَ بن المغيرة ابن شُعْبَةَ فما أدرى أقال : إني كنت في الجند الذين كانوا معه ، أو قال : كنت بإزائه حيث دخلت عليه رُسلُ شبيب ! وكان لي ولأخي ٩٨٤/٢ ودَّامِكُرمَا ، ولم يكن ليستر منّا شيئًا ، فدخلوا عليه وما عنده أحدٌ من الناس غيري وغير أنثى حلاتم بن صالح ، وهم ستّة ونحزن ثلاثة ، وهم شاكُون في السلاح ، ونحزن ليس علينا إلا سيوفنا ، فلَمَّا دَنَوْا قال سُوَيْدُ : السَّلَامُ عليّ من خاف مقام ربه وعرف الهدى وأهله ، فقال له مطَرَفُ : أَجَلٌ ، فسَلَّمَ الله عليّ أولئك ، ثم جلس القومُ ، فقال لهم

مطرف: قُصِّوا على أمركم ، وخبروني ما الذى تطلبون ؟ والإمام تدعون ؟
 فحمد الله سويد بن سليم وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد ، فإن الذى
 ندعوا إليه كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن الذى نقمنا على
 قومنا الاستئثار بالقسوة وتعطيل الحدود والتسلط بالجبرية . فقال لهم
 مطرف : ما دعوتكم إلا إلى حق ، ولا تقسم إلا جواراً ظاهراً ، أنا لكم
 على هذا متابع ، فتابعوني إلى ما أدعوكم إليه ليجمع أمرى وأمركم ،
 وتكون يدي وأيديكم واحدة ، فقالوا : هات ، اذكر ما تريد أن تذكر ،
 فإن يكن ما تدعوننا إليه حقاً نجيبك ؛ قال : فإني أدعوكم إلى أن نقاتل
 هؤلاء الظلمة العاصين على إحداثهم الذى أحدثوا^(١) ، وأن ندعوهم إلى
 كتاب الله وسنة نبيه ، وأن يكون هذا الأمر شورى بين المسلمين ، يؤمرون
 عليهم من يرضون لأنفسهم على مثل الحال التى تركهم عليها عربن الخطاب ؛
 فإن العرب إذا علمت أن ما يراد بالشورى الرضا من قريش رضوا ،
 وكثر تبعكم منهم وأعوانكم على علوكم ، وتم لكم هذا الأمر الذى
 تريدون .

قال : فوثبوا من عنده ، وقالوا : هذا ما لا نجيبك إليه أبداً ، فلما ٩٨٥/٢
 مضوا فكادوا أن يخرجوا من صفعة البيت التفت إليه سويد بن سليم ، فقال :
 يابن المغيرة ، لو كان القوم عداة غدراً كنت قد أمكتهم من نفسك ،
 ففرج لما مطرف ، وقال : صدقت وإله موسى وعيسى .

قال : ورجعوا إلى شبيب فأخبروه بمقالته ، فطمع فيه ، وقال لهم :
 إن أصبحتم فليأتني أحدكم ؛ فلما أصبحوا بعث إليه سويداً وأمره بأمره ؛
 فجاء سويد حتى انتهى إلى باب مطرف ، فكنث أنا المستأذن له ، فلما دخل
 وجلس أردت أن أنصرف ، فقال لى مطرف : اجلس فليس دونك ستر ؛
 فجلست وأنا يومئذ شاب أعيد ، فقال له سويد : من هذا الذى ليس لك
 دونه ستر ؟ فقال له : هذا الشريف الحبيب ، هذا ابن مالك بن
 زهير بن جديمة ، فقال له : بئح أكرمت فاربط ، إن كان دينه على

(١) س : « على إحداثهم إلى أحدثوا » .

قدّر حسبه فهو الكامل ، ثم أقبل عليه فقال : إنّنا لقينا أمير المؤمنين بالذي ذكرت لنا ، فقال لنا : القوّه فقولوا له : ألسنت تعلم أنّ اختيار المسلمين منهم خيرهم لهم فيما يرون رأيّ رشيد ! فقد مضت به السنة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإذا قال لكم : نعم ، فقولوا له : فإنّا قد اخترنا لأنفسنا أرضنا فينا ، وأشدّنا اضطلاعا لِمَا حُمِلَ ، فلم يغيّر ولم يُبدل فهو وليّ أمرنا . وقال لنا : قولوا له فيما ذكرت لنا من الشورى حين قلت : إنّ العرب إذا علمت أنّكم إنّما تريدون بهذا الأمر قريشاً^(١) كان أكثر لتبعمكم منهم ؛ فإنّ أهل الحق لا ينقصهم عند الله أن يقلّوا ، ولا يزيد الظالمين خيراً أن يكثرُوا ، وإن تركنا حقّاً الذي خرجنا له ، ودخولنا فيما دعوتنا إليه من الشورى خطيئة وعجز ورخصة إلى نصر الظالمين ووَهْن ، لأنّا لا نرى أنّ قريشاً أحقّ بهذا الأمر من غيرها من العرب . وقال^(٢) : فإن زعم أنّهم أحقّ بهذا الأمر من غيرها من العرب فقولوا له : ولم ذاك ؟ فإن قال : لقربة محمد صلى الله عليه وسلم بهم فقولوا^(٣) له : فوالله ما كان ينبغي إذا لأسلافنا الصالحين من المهاجرين الأوّلين أن يتولّوا على أسرة محمد ، ولا على ولد أبي لهب لو لم يبق غيرهم ؛ ولولا أنّهم علموا أنّ خير الناس عند الله أنقامهم ، وأنّ أولاهم بهذا الأمر أنقامهم وأفضلهم فيهم ، وأشدّهم اضطلاعا بحمّل أمورهم ما تولّوا أمور الناس ، ونحن أوّل من أنكر الظلم وغيّر الجور وقاتل الأحزاب ، فإن اتّبعتنا فله ما لنا وعليه ما عكسنا ، وهو رجل من المسلمين ، وإلا يفعل فهو كبعض من تُعادي وتقاتل من المشركين .

فقال له مطرف : قد فهمت ما ذكرت ، إرجع يومك هذا حتّى تنظر في أمرنا .

فرجع ، ودعا مطرف رجالاً من أهل ثقافته وأهل نصابه ؛ منهم سليمان بن حذيفة المزيّني ، والربيع بن يزيد الأسدي . قال النضر بن صالح : وكنت أنا ويزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبه قائمين على

(١) ب : « قريشاً » . (٢) ط : « قال له » . (٣) ط : « قل » .

رأسه بالسيف ، وكان على حرسه ، فقال لهم مطرف : يا هؤلاء ، إنكم نصحاء وأهل مودتي ومن أتى بصلاحه وحسن رأيه ، والله ما زلت لأعمال هؤلاء الظلمة كارهاً ، أنكرها بقلبي ، وأغيرها ما استطعت بفعل وأمرى ، فلماً عظمت خطيئتهم ، ومرت بي هؤلاء القوم يحاهدونهم ، لم أر أنه يسعني إلا مناهضتهم وخيلاقتهم إن وجدت أعواناً عليهم ، وإني دعوت هؤلاء القوم فقلت لهم كَيْتَ وكَيْتَ ، وقالوا لي كَيْتَ وكَيْتَ ، فليست أرى القتال معهم ، ولو تابعتني على رأيي وعلى ما وصفت لهم نطعت عبد الملك والحجاج ، ولسيرت إليهم أجاهدهم . فقال له المرتضى : إنهم لن يتابعوك ، وإنك لن تتابعهم فأخف هذا الكلام ولا تظهره لأحد ، وقال له الأسدي مثل ذلك ، فحجاً مولاة ابن أبي زياد على ركبته ثم قال : والله لا يخفى مما كان بينك وبينهم على الحجاج كلمة واحدة ، وليرادن على كل كلمة عشرة أمثالها ، والله أن لو كنت في السحاب هارياً من الحجاج ليلتمسن أن يصل إليك حتى يهلكك^(١) أنت ومن معك ؛ فالتجاء أنجاء من مكانك هذا ، فإن أهل المدائن من هذا الجانب ومن ذاك الجانب ، وأهل عسكر شيب يتحدثون بما كان بينك وبين شيب ، ولا تمس من يومك هذا حتى يبلغ الخبر الحجاج ؛ فاطلب داراً غير المدائن . فقال له صاحبه : ما ترى الرأي إلا ٩٨٨/٢ كما ذكر لك^(٢) ، قال لهما مطرف : فاعندكما ؟ قال : الإجابة إلى ما دعوتنا إليه والمواصلة لك بأنفسنا على الحجاج وغيره . قال : ثم نظر إلى ، فقال : ما عندك ؟ فقلت : قتال علوك ، والهرب معك ما صبرت ، فقال لي : ذاك الظن بك .

قال : ومكث حتى إذا كان في اليوم الثالث أتاه فعب فقال له : إن تابعتنا فأنت منا ، وإن أبيت فقد قابضناك ، فقال : لا تعجلوا اليوم فإننا ننظر .

قال : وبعث إلى أصحابه أن ارحلوا الليلة من جند أخيركم حتى توفوا الدسكرة معي لحدث حدث هنالك .

(١) ب ، ف : هتك .

(٢) ب ، ف ، ما قال .

ثم أدلجَ وخرج أصحابه معه حتى مرَّ بدَيْر يزْدَجِرْد فقتله ، فلقبه قَبِيصَةُ بنُ عبد الرحمن القحافي من خَشْعَم، فدعاه إلى صُحبته، فصَحَّبه فكسَاه وحَمَلَه، وأَمَرَ له بِنَقْعَةٍ، ثم سَارَ حتى نَزَلَ الدَّسْكَرَةَ، فلمَّا أَرَادَ أَنْ يَرْتَحِلَ مِنْهَا لَمْ يَجِدْ بَدْءًا مِنْ أَنْ يُعْلِمَ أَصْحَابَهُ مَا يَرِيدُ ، فَجَمَعَ إِلَيْهِ رِعَاسَ أَصْحَابِهِ ، فَذَكَرَ اللَّهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَصَلَّى عَلَى رَسُولِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْجِهَادَ عَلَى خَلْقِهِ ، وَأَمَرَ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَقَالَ فَبِمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْنَا : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَلِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١) وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ أَتَى قَدْ خَلَعْتَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ وَالْحِجَّاجَ بْنَ يَوْسُفَ ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ صُحْبِي وَكَانَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِي فَلْيَتَابَعْنِي ، فَإِنَّ لَهُ الْأَسْوَةَ وَحُسْنَ الصَّحْبَةِ ، وَمَنْ أَبَى فَلْيَذْهَبْ حَيْثُ شَاءَ ، فَإِنِّي لَسْتُ أَحِبُّ أَنْ يَتَّبَعَنِي مَنْ لَيْسَتْ لَهُ نِيَّةٌ فِي جِهَادِ أَهْلِ الْجَوْرِ ، أَدْعُوَكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ إِلَى قِتَالِ الظُّلْمَةِ ، فَإِذَا جَمَعَ اللَّهُ لَنَا أَمْرًا كَانَ هَذَا الْأَمْرُ شُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ يَرْتَضُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَنْ أَحَبُّوا .

قال : فَوَثَّبَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَبَايَعُوهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ دَخَلَ رَحْلَهُ وَبَعَثَ إِلَى سَيِّدَةِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مِخْنَفٍ وَإِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَنْزٍ النَّهْدِيِّ فَاسْتَخْلَاهُمَا ، وَدَعَاهُمَا إِلَى مِثْلِ مَا دَعَا إِلَيْهِ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ ، فَأَعْطَاهِ الرِّضَا ، فَلَمَّا ارْتَحَلَ انصَرَفَا بِمَنْ مَعَهُمَا مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى أَتَيَا الْحِجَّاجَ فَوَجَدَاهُ قَدْ نَازَلَ شَيْبًا ، فَشَهِدَا مَعَهُ وَقَعَةَ شَيْبٍ . قال : وَخَرَجَ مَطْرَفٌ بِأَصْحَابِهِ مِنَ الدَّسْكَرَةِ مُوجَّهًا نَحْوَ حُلُوانَ ، وَقَدْ كَانَ الْحِجَّاجُ بَعَثَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ سُؤَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيَّ عَلَى حُلُوانَ وَمَاسِلْدَانَ ؛ فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ مَطْرَفَ بْنَ الْمُغِيرَةَ قَدْ أَقْبَلَ نَحْوَ أَرْضِهِ عَرَفَ أَنَّهُ إِنْ رَفَقَ فِي أَمْرِهِ أَوْ دَاهَنَ لَا يَقْبَلُ ذَلِكَ مِنْهُ الْحِجَّاجُ ، فَجَمَعَ لَهُ سُؤَيْدُ أَهْلَ الْبِلَدِ وَالْأَكْرَادِ ، فَأَمَّا الْأَكْرَادُ فَأَخَذُوا عَلَيْهِ ثَنِيَّةَ حُلُوانَ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ سُؤَيْدٌ وَهُوَ يَجِبُ أَنْ يَسْلَمَ مِنْ قِتَالِهِ ، وَأَنْ يُعَاقَبَ مِنَ الْحِجَّاجِ ، فَكَانَ خُرُوجُهُ كَالْتَعَذِيرِ .

قال أبو مِخْنَفٍ : فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُقْلَمَةَ الْخَثْعَمِيُّ أَنَّ

الحجّاج بن جارية الخثعمي حين سمع بخروج مطرف من المدائن نحو الجبل أتبعه في نحو من ثلاثين رجلاً من قومه وغيرهم . قال : وكنت فيهم فليحقتاه يحلوان ، فكنّا ممن شهد معه قتال سُويد بن عبد الرحمن . ٩٩٠/٢
قال أبو مخنف : وحدثني بذلك أيضاً النضر .

قال أبو مخنف : وحدثني عبد الله بن علقمة . قال : ما هو إلا أن قدّمنا على مطرف بن المغيرة ، فُسّر بمقدّمنا عليه ، وأجلس الحجّاج ابن جارية معه على مجلسه .

قال أبو مخنف : وحدثني النضر بن صالح ، وعبد الله بن علقمة ، أن سُويداً لمّا خرج إليهم بمن معه وقف في الرجال ولم يخرج بهم من البيوت ، وقدّم ابنه القعقاع في الخيل ، وما خيله يومئذ بكثير .

قال أبو مخنف : قال النضر بن صالح : أراهم كانوا مائتين ، وقال ابن علقمة : أراهم كانوا يتقصّون عن (١) الثلاثة . قال : فدعا مطرف الحجّاج بن جارية فسّره إليهم في نحو من عديتهم (٢) ، فأقبلوا نحو القعقاع وهم جادون في قتاله ، وهم فرسان متعالمون ، فلمّا رآهم سُويد قد تيسروا (٣) نحو ابنه أرسل إليهم غلاماً له يقال له رُسَم - قُتل معه بعد ذلك بدّير الجمّاجم - وفي يده راية بني سعد ، فانطلق غلامه حتّى انتهى إلى الحجّاج بن جارية ، فأسرّ إليه : إن كنتم تريدون الخروج من بلادنا هذه إلى غيرها فاخرجوا عنّا ، فإنّا لا نريد قتالكم ، وإن كنتم إيانا تريدون فلا بدّ من منّع ما في أيدينا . فلمّا جاءه بذلك قال له الحجّاج بن جارية : ائت أميرنا فاذكّر له ما ذكرت لي ، فخرج حتّى أتى مطرفاً فذكر له مثل الذي ذكر للحجّاج بن جارية ، فقال له مطرف : ما أريدكم ولا بلادكم ، فقال له : فالزم هذا الطريق حتّى تخرج من بلادنا ، فإنّا لا نجد بداً من أن يَرى الناس وتسمع بذلك أنّا قد خرجنا إليك . قال : فبعث مطرف إلى الحجّاج فأتاه ، ولزموا الطريق حتّى مروا بالثنية فإذا الأكرادُ بها ، فترل مطرف ونزل معه عامّة أصحابه

(١) كلفاء ، وفي ط : «من» . (٢) ا : «لهم» . (٣) ا : «س» : «سيلواه» .

وصعد إليهم في الجانب الأيمن الحجّاجُ بنُ جارية، وفي الجانب الأيسر سليمانُ بنُ حنّيفة، فهزّاهم (٢) وقتلهم، وسلم مطرف وأصحابه ففضوا حتى دنوا من همدان، فحركها وأخذت ذات اليسار إلى ماه دينار، وكان أخوه حمزة بن المغيرة على همدان، ففكره أن يدخلها فيقتلهم أخوه عند الحجّاج، فلما دخل مطرف أرض ماه دينار كتب إلى أخيه حمزة :

أما بعد ، فإن الثقة قد كثرت والمؤنة قد اشتدت ، فأمدد أخاك بما قدرت عليه من مال وسلاح .

وبعث إليه يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبة، فجاء حتى دخل على حمزة بكتاب مطرف ليلاً، فلما رآه قال له : ثكلتك أمك ! أنت قتلت مطرفاً ؟ فقال له : ما أنا فكلته جعلتُ فداك ! ولكن مطرفاً قتل نفسه وقتلني ، وليته لا يقتلك ، فقال له : ويحك ! من سؤل له هذا الأمر ! فقال : نفسه سؤل هذا (٣) له . ثم جلس إليه فقص عليه القصص ، وأخبره بالخبر ، ودفع كتاب مطرف إليه ، فقرأه ثم قال : نعم ، وأنا باعثٌ إليه بمال وسلاح ، ولكن أخبرني ترى ذلك يخفى لي ؟ قال : ما أظن أن يخفى ، فقال له حمزة : فواقة لئن أنا خذلتني في أنفع النصيرين له نصر العلانية ، لا أخذلته في أيسر النصيرين نصر السرية . قال : فسرّح إليه مع يزيد بن أبي زياد بمال وسلاح ، فأقبل به حتى أتى مطرفاً ونحن نزولٌ في رُستاق من رُستاق ماه دينار ، يقال له : سامان متاخيم أرض أصيهان ، وهو رُستان كانت الحمراء تُستتر له .

قال أبو مخنف : فحدثني النصيرُ بنُ صالح ، قال : والله ما هو إلا أن مضى يزيد بن أبي زياد ، فسمعتُ أهلَ المسكر يتحدثون أن الأمير بعث إلى أخيه يسأله الثقة والسلاح ، فأتيَ مطرفاً فحدثته بذلك ، ففصر بيده على جبينه ثم قال : سبحان الله ! قال الأول : ما يخفى إلا مالا يكون (٤) ،

(١) ب ، ف : « في الجانب » . (٢) س : « فهزّاهم » .

(٣) ب ، س : « له هذا » . (٤) كذا في أ ، وهو الصواب ، وفي ط : « قال » .

قال : وما هو إلا أن قدم يزيدُ بن أبي زياد علينا ، فسار مطرفُ بأصحابه حتى نزل قُمَ وقاشان وأصبهان .

قال أبو مخنف : فحدثني عبدُ الله بنُ علقمة أن مطرفاً حين نزل قُمَ وقاشانَ وأطمأنَّ ، دعا الحجاجَ بن جارية فقال له : حدثني عن هزيمة شبيب يومَ السَّبْخَةِ أكانت وأنتَ شاهدَها ، أم كنتَ خرجتَ قبل الوقعة ؟ قال : لا ، بل شهدتُها^(١) ؛ قال : فحدثني حديثهم كيف كان ؟ فحدثته ، فقال : إني كنتُ أحبُّ أن ينظرَ شبيب وإن كان ضالاً فيقتل ضالاً . قال : فظننت أنه تمى ذلك لأنه كان يرجو أن يتمَّ له الذي يطلبُ لو هلك الحجاج . قال : ثم إن مطرفاً بعثَ عماله .

قال أبو مخنف : فحدثني النضرُ بنُ صالح أن مطرفاً عملَ عملاً ٩١٢/٢ حازماً لولا أن الأقدارَ غالبية . قال : كتب^(٢) مع الربيعِ بن يزيد إلى سويد ابن سرحان الثقفي ، وإلى بكير بن هارون البجلي :

أما بعد ، فإذا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، وإلى جهادٍ من عند الحق ، واستأثر بالفتى ، وترك حكم الكتاب ، فإذا ظهر الحق ودُمِغ الباطل ، وكانت كلمةُ الله هي العليا ، جعلنا هذا الأمرَ شورى بين الأمة يرضى المسلمون لأنفسهم الرضا ، فمن قَبِلَ هذا منا كان أخانا في ديننا . ووليّنا في محيانا ومماتنا ، ومن ردَّ ذلك علينا جاهدناه واستنصرنا الله عليه فكفّينا بنا عليه حجة ، وكفى بتركه الجهادَ في سبيل الله غيبنا ، وبمُداينة الظالمين في أمر الله وهتنا ! إن الله كتب القتالَ على المسلمين ومناه كُرهاً ، ولن يُنالَ رضوانُ الله إلا بالصبرِ على أمر الله ، وجهادِ أعداء الله ، فأجيبوا رحمكم الله إلى الحق ، وادعوا إليه من ترجون إجابته ، وعرفوه ما لا يعرفه ، وليقبِلَ إلى كلِّ من رأى رأينا ، وأجاب دعوتنا ، ورأى علوه عدونا . أرشدنا الله وإياكم ، وثاب علينا وعليكم ، إنه هو التَّوَابُ الرَّحِيمُ . والسلام .

(١) ب ، ف : « شاعها » . (٢) ب ، ف : « وكتب » .

فلما قدم الكتابُ على دَيْنَكَ الرجلين دَبًّا في رجال من أهل الرِّى
ودَعَوْا من تابِعَهُما ، ثمَّ خرجا في نحو من مائة من أهل الرِّى سرًّا لا يَفْطِنُ (١)
١٩٤/٢ بهم ، فجاءوا حتى وافوا مطرَقًا . وكتب البراءُ بنُ قبيصة ، وهو عامل الحِجَاجِ
على أصبَهانَ :

أما بعد ، فإن كان للأَمير أصلحه الله حاجةٌ في أصبَهانَ فليبعث إلى
مطرف جيشًا كثيفًا يستأصله ومن معه ، فإنه لا تزال عصابة قد انتضحتُ
له من بلدة من البلدان حتى تُوافيه (٢) بمكانه الذي هو به ، فإنه قد استكشفتُ
وكتُفِّرَ تَبَعُهُ ، والسلام .

فكتب إليه الحِجَاجِ :

أما بعد ، إذا أتاك رسولُ (٣) فمَسْكِرٌ بمن معك ، فإذا مرَّ بك عَدِيٌّ
ابن وتاد فاخرج معه في أصحابك ، واسمع له وأطع . والسلام .

فلما قرأ كتابه خرج فمَسْكِرٌ ، وجعل الحِجَاجِ بن يوسف يسرُّ إلى
البراء بن قبيصة الرجلَ على دوابِّ البريد (٤) عشرين عشرين ، وخمسة عشر
خمسة عشر ، وعشرة عشرة ، حتى سرحَ إليه نحوًا من خمسمائة ، وكان في ألفين .

وكان الأسود بن سعد المملاني (٥) أتى الرِّى في فتح الله على الحِجَاجِ يوم لقي
شبيبًا بالسَّبَخَةِ ، فرَّ بهَمَلْكَانَ والجبال ، ودخل على حمزة فاعتذر إليه ،
فقال الأسود : فأبلغت الحِجَاجِ عن حمزة ، فقال : قد بلغني ذلك ، وأراد

حزله ، فخشى أن يَمْكُرَ به ، وأن يمتنع منه ، فبعث إلى قيس بن سعد العجلي -

وهو يومئذ على شُرطة (٦) حمزة بن المغيرة ولبني عِجْلٍ وربيعةَ عند بهَمَلْكَانَ -

فبعث إلى قيس بن سعد بعَهْدِهِ على هَمَلْكَانَ ، وكتب إليه أن أوثق حمزة .

١٩٥/٢ ابن المغيرة في الحديد (٧) ، وأحسبه قبيلك حتى يأتيك أمرى .

فلما أتاه عهدُه وأمرُه أقبِلَ ومعه ناس من عشيرته كثير ، فلما دخل

المسجد وافق الإقامة للصلاة العصر ، فصلى حمزة (٨) ، فلما انصرف حمزة انصرف معه

(١) ب ، ف : « قطن » .

(٢) ب : ف : « كتلي ورسول » .

(٣) ب : ف : « البرد » .

(٤) ب ، ف : « شرط » .

(٥) ب ، ف : « بالمديد » .

(٦) ب : ف : « وصل مع حمزة » .

(٧) ب : ف : « بالمديد » .

(٨) ب : ف : « بالمديد » .

قيس بن سعد العجليّ صاحب شُرطه ، فأقرأه كتابَ الحجّاج إليه ، وأراه عهده ، فقال حمزة . سمعاً وطاعة ؛ فأوثقه وحبسه في السجن ، وتولى أمر هَمْدَان ، وبعث عماله عليها ، وجعل عماله كلهم من قومه ؛ وكتب إلى الحجّاج :

أما بعد ، فإنّي أخير الأميرَ أصلحه الله ، أني قد شددتُ حمزةَ بنَ المغيرة في الحديد ، وحبستُه في السجن ، وبعثتُ عمالي على الخراج ، ووضعتُ يدي في الجباية ، فإن رأى الأميرُ أبقاه الله أن يأذن لي في المسير إلى مطرف أذن لي حتى أجاهده في قومي ، ومن أطلعني من أهل بلادى ؛ فإنّي أرجو أن يكون الجهادُ أعظمَ أجراً من جباية الخراج . والسلام .

فلما قرأ الحجّاج كتابه ضحك ثم قال : هذا جانب آخر ما قد أمناه . وقد كان حمزة بهمدان أقفل ما خلق الله على الحجّاج مخافة أن يمدّ أخاه بالسلح والمال ، ولا يدرى لعله يبدو له فيعقب ، فلم يزل يكيده حتى عزله ؛ فاطمان وقصد قصد مطرف .

قال أبو مخنف : فحدثني مطرف بن عامر بن وائلة أن الحجّاج لما قرأ كتابَ قيس بن سعد العجليّ وسمع قوله : إن أحبَّ الأميرُ سرت إليه حتى أجاهده في قومي ، قال : ما أبغض إليّ أن تكثر العربُ في أرض الخراج . قال : فقال لي ابن الفرق : ما هو إلا أن سمعتها من الحجّاج فعلمتُ أنه لو ١٩٦/٢ قد فرغ له قد عزّله .

قال : وحدثني النضر بن صالح أن الحجّاج كتب إلى عدى بن وتاد الإيادي وهو على الرّي يأمره بالمسير إلى مطرف بن المغيرة وبللمر على البراء ابن قبيصة ، فإذا اجتمعوا فهو أميرُ الناس .

قال أبو مخنف : وحدثني أبي عن عبد الله بن زهير ، عن عبد الله بن سليم الأزدي ، قال : إني لجالسٌ مع عدى بن وتاد على مجلسه بالرّي إذ أتاه كتاب الحجّاج ، فقرأه ثم دفعه إليّ ، فقرأته فإذا فيه :

أما بعد ، فإذا قرأت كتابي هذا فانهض بثلاثة أرباع من مملك من أهل الرّي ، ثم أقبل حتى تمرّ بالبراء بن قبيصة بجي ، ثم سيراً جميعاً ، فإذا

لقتبهما فأنت أمير الناس حتى يقتل الله مطرفاً ، فإذا كَفَى الله المؤمنين مؤنته فأنصرف إلى عمالك في كَنَف من الله وكلامته وسيره . فلما قرأته قال لي : قم وتجهز .

قال : وخرج فصكر ، ودعا الكتاب فضرَبوا البعث على ثلاثة أرباع الناس ، فما مضت جمعة حتى مرنا فانتبهنا إلى جنى ، ويؤاينا بها قبضة الصُحافي في تسعمائة من أهل الشام ، فيهم عمر بن هبيرة ، قال : ولم نلبث يحمي إلا يومين حتى نهض على بن وقاد بمن أطاعه من الناس ومعه ثلاثة آلاف مقاتل من أهل الرى وألف مقاتل مع البراء بن قبيصة بعثهم إليه الحجاج ١١٧/٢ من الكوفة ، وسعمائة من أهل الشام ، ونحو ألف رجل من أهل أصبهان والأكراد ، فكان في قريب من ستة آلاف مقاتل ، ثم أقبل حتى دخل على مطرف بن المغيرة .

قال أبو مخنف : فحدثني النضر بن صالح ، عن عبد الله بن علقمة ، أن مطرفاً لما بلغه سيرهم إليه خندق على أصحابه خندقاً ، فلم يزالوا فيه حتى قلموا عليه .

قال أبو مخنف : وحدثني يزيد بن مولى عبد الله بن زهير ، قال : كنت مع مولاى إذ ذاك ، قال : خرج على بن وقاد قبي الناس ، فجعل على ميمنته عبد الله بن زهير ، ثم قال البراء بن قبيصة : قم في الميسرة ، فغضب البراء ، وقال : تأمرني بالوقوف في الميسرة وأنا أمير مثلك ! تلك خبيلى في الميسرة ، وقد بعث عليها فارس مضرب الطفيل بن عامر بن وائلة ، قال : فأنهيت ذلك إلى على بن وقاد ، فقال لابن أقيصر الخثعمي : انطلق فأنت على الخيل ، وانطلق إلى البراء بن قبيصة قتل له : إنك قد أمرت بطاعى ، ولست من الميمنة والميسرة والخيل والرِجالة في شيء ، إنما عليك أن تؤمر فتطيع ، ولا تعرض لى في شيء أكرهه فأنتكسر لك — وقد كان له مكرباً .

ثم إنّ علياً بعث على الميسرة عمر بن هبيرة ، وبعث في مائة من أهل الشام ، فجاء حتى وقف برايته ، فقال رجل من أصحابه للطفيل بن عامر :

خك. رايبتك وتصح عنا، فلما نحن أصحاب هذا الموقف، فقال الطقيل:
 إنني لا أخاصمكم، إنما عقد لي هذه الراية البراء بن قبيصة، وهو أميرنا،
 وقد علمنا أن صاحبكم على جماعة الناس، فإن كان قد عقد لصاحبكم
 هذا فبارك الله له، ما أسمعنا وأطوعنا! فقال لم عمر بن هيرة: مهلا، كمفوا
 عن أخيك وابن عمك، رايبتنا رايبتك، فإن شئت آثرناك بها. قال: فما
 رأينا رجلين كانا أحلم منهما في موقفهما ذلك. قال: ونزل على بن وتاد ثم
 زحف نحو مطرف.

قال أبو مخنف: فحدثني النضر بن صالح وعبد الله بن علقمة أن
 مطرفاً بعث على ميمته الحجاج بن جارية، وعلى مسرته الربيع بن يزيد
 الأسدي، وعلى الحامية سليمان بن صخر المزني^(١)، ونزل هويش في الرجال،
 ورأيت مع يزيد بن أبي زياد مولى أبيه المغيرة بن شعبة. قال: فلما زحف
 القوم بعضهم إلى بعض وتنادوا قال لبكير بن هارون البجلي: اخرج
 إليهم فادعهم إلى كتاب الله وسنة نبيه، ويكفهم بأعمالهم الخبيثة. فخرج
 إليهم بكير بن هارون على فرس له أدهم أفرح ذنوب عليه الدرع والمغفر
 والساعدان، في يده الرمح، وقد شدّ درعته بعصابة حمراء من حواشي البرود،
 فنادى بصوت له عال رفيع: يا أهل قبيلتنا، وأهل ملتنا، وأهل دعوتنا،
 إنا نسألکم بالله الذي لا إله إلا هو الذي علمه بما تسرون مثل علمه بما تعلنون
 لما أنصفتمونا وصدقتمونا، وكانت نصيحتكم لله لا لحلقه، وكنتم شهداء
 لله على عباده بما يعلمه الله من عباده. خبروني عن عبد الملك بن مروان،
 وعن الحجاج بن يوسف، ألسن تعلمونهما جبارين مستأثرين يتبعان الهوى،
 فأخذان بالظنّة، ويمتثلان على الغضب. قال: فتنادوا من كل جانب:
 يا عدو الله كذبت، ليسا كذلك، فقال لهم: ويلكم (لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
 فَيَسْحَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى)^(٢) ويلكم، أو تعلمون من الله ما لا يعلم،
 إني قد استشهدتكم وقد قال الله في الشهادة: (وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ)^(٣).

(١) ١: «المري». (٢) سورة طه: ٦١. (٣) سورة البقرة: ٢٨٣.

فخرج إليه صارمٌ مولى عدى بن وقاد وصاحب رايته، فجعل على بكير
ابن هارونَ البجليّ، فاضطربا بسيفيهما، فلم تعمل ضربةٌ مولى عدى
شيئاً، وضربه بكير بالسيف فقتله، ثمّ استقدم، فقال: فارس لقارس،
فلم يخرج إليه أحدٌ، فجعل يقول:

صَارِمُ قَدْ لَا قَيْتَ سَيْفًا صَارِمًا وَأَسَدًا ذَا لِيذَةِ ضَبَارِمًا^(١)

قال: ثمّ إنّ الحجاج بن جارية حمل وهو في الميمنة على عمر بن هيرة
وهو في الميسرة، وفيها الطُمَيْل بن عامر بن وائلة، فالتقى هو والطُمَيْل - وكانا
صديقين متواخين - فتعارفا، وقد رقع كُلُّ واحد منهما السيف على
صاحبه، فكلما أيديهما، واقتتلا طويلا. ثمّ إنّ ميسرة عدى بن وقاد
زالت غير بعيد، وانصرف الحجاج بن جارية إلى موقفه. ثمّ إنّ
الربيع بن يزيد حمل على عبد الله بن زهير، فاقتتلا طويلا، ثمّ إن
جماعة الناس حملت على الأسدَى فقتلته، وانكشفت ميسرة مطرف
ابن المغيرة حتى انتهت إليه. ثمّ إنّ عمر بن هيرة حمل على الحجاج بن
جارية وأصحابه فقاتلوه قتالا طويلا، ثمّ إنه حذره حتى انتهى إلى مطرف،
وحمل ابن أقيصر الخثعمي في الحيل على سليمان بن صخر المزنيّ فقتله،
وانكشفت خيلهم، حتى انتهى إلى مطرف، فشمّ أقتلت الفرسان أشدّ قتال
رأه الناس قط، ثمّ إنه وصل إلى مطرف.

قال أبو مخنف: فحدثني النضر بن صالح أنه جعل يناديهم يومئذ:
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا
نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا
أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

قال: ولم يزل يقاتل حتى قُتل، واحتزّ رأسه عمر بن هيرة، وذكر أنه
قتله، وقد كان أسرع إليه غير واحد، غير أنّ ابن هيرة احتزّ رأسه وأوفده

(٢) سورة آل عمران: ٦٤.

(١) الفيلج: الشديد الخلق من الأسد.

إلى عدى بن وتاد وحظى به ، وقاتل عمر بن هيرة يومئذ وأبلى بلاءً حسناً .

قال أبو مخنف : وقد حدثني حكيم بن أبي سفیان الأزدى أنه قتل يزيد بن زياد مولى المغيرة بن شعبة ، وكان صاحب راية مطرف . قال : ودخلوا عسكر مطرف ، وكان مطرف قد جعل على عسكره عبد الرحمن بن عبد الله بن غنيم الأزدى ، فقتل ، وكان صالحاً ناسكاً عفيفاً .

أبو مخنف : حدثني زيد مولاهم أنه رأى رأسه مع ابن أقيصر الخثعمي ، فما ملكت نفسي أن قلت له : أما والله لقد قتلته من المصلين العابدين للذاكرين الله كثيراً . قال : فأقبل نحوي وقال : من أنت ؟ فقال له مولاى : هذا غلامى ١٠٠١/٢ ما له ؟ قال : فأخبره بمقالى ، فقال : إنه ضعيف العقل ، قال : ثم انصرفنا إلى الرى مع عدى بن وتاد . قال : وبعث رجالاً من أهل البلاء إلى الحجاج ، فأكرمهم وأحسن إليهم . قال : ولا رجوع إلى الرى جاءت بجيلة إلى عدى بن وتاد فطلبوا لبكير بن هارون الأمان فأمنه ، وطلبت ثقيف لسويد بن سرحان الثقفي الأمان فأمنه ، وطلبت في كل رجل كان مع مطرف عشيرته ، فأمنهم وأحسن في ذلك ، وقد كان رجال من أصحاب مطرف أحبط بهم في عسكر مطرف ، فنادوا : يا برء ، خذكنا الأمان ، يا برء ، اشفع لنا . فشفع لهم ، ففتركوا ، وأسّر عدى ناساً كثيراً فحكى عنهم .

قال أبو مخنف : وحدثني الثضر بن صالح أنه أقبل حتى قدم على سويد بن عبد الرحمن بجلوان ، فأكرمه وأحسن إليه ، ثم إنه انصرف بعد ذلك إلى الكوفة .

قال أبو مخنف : وحدثني عبد الله بن علقمة أن الحجاج بن جارية الخثعمي أتى الرى وكان مكثبته بها ، فطلب إلى عدى فيه ، فقال : هذا رجل مشهور قد شهّر مع صاحبه ، وهذا كتاب الحجاج إلى فيه .

قال أبو مخنف : فحدثني أبى عن عبد الله بن زهير ، قال : كنت فيمن كلمه في الحجاج بن جارية ، فأخرج إلينا كتاب الحجاج بن يوسف :

أما بعد: فإن كان الله قتل الحجاج بن جارية فبعداً له . فذاك ما أموى وأحب ؛ وإن كان حياً فاطلبه قبلك حتى تؤثقه ، ثم سرح به إلى إن شاء الله . والسلام .

١٠٠٢/٢

قال : فقال لنا : قد كتب إلى فيه ، ولا بد من السمع والطاعة ، ولو لم يكتب إلى فيه آمنته لكم ، وكففت عنه فلم أطلبه . وقمنا من عنده . قال : فلم يزل الحجاج بن جارية خائفاً حتى عزل على بن وثاد ، وقدم خالد ابن عتاب بن ورقاء ، فشيئت إليه فيه ، فكلمته فأمنه . وقال حبيب بن خديرة مولى لبي هلال بن عامر :

هل أتى فائد عن أيسارنا	إذ خشيناً من علو خرقاً
إذ أتانا الخوف من مأمنا	فقطونا في سواد أفاقاً
وسلي هدي يوماً هل رأث	بشراً أكرم منا خلقاً !
وسلبها أعلى العهد لنا	أو يصرون علينا خنقاً !
ولكم من خلّة من قبلها	قد صرنا حبلها فانطلقاً
قد أصبنا العيش عيشاً ناعماً	وأصبنا العيش عيشاً رنقاً
وأصبنا الدهر دهرأ أثنى	طبقة منه وألوى طبقة
وشهدت الخيل في ملامة	ما ترى منهم إلا الحلقا
يتساقون بأطراف القنا	من نجيع الموت كأساً دهما
فغراد الخيل قد يؤثقي	ويرد اللهو عني الأنقا
بمشيح البيض حتى يتركوا	لسيوف الهند فيها طرقة
فكأنني من غدر وافقتها	مثل ما وافق شن طبقة

١٠٠٢/٢

[ذكر الخبر عن وقوع الخلاف بين الأزارقة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين الأزارقة أصحاب

(١) : « هل أتانا الخوف » ، سقط البيت الأول .

قَطَرِيَّ بنِ الفُجَاءَةِ ، فخالفه بعضهم واعتزلته ، وباع عبد ربّه ^(١) الكبير ، وأقام بعضهم على بيعة قطريّ .

* ذكر الخبر عن ذلك ، وعن السبب الذي من أجله حدث الاختلاف بينهم حتى صار أمرهم إلى الملاك :

ذكر هشامٌ عن أبي مخنف ، عن يوسف بن يزيد ، أن المهلب أقام بسابور فقاتل قطريّاً وأصحابه من الأزارقة بعد ماصرف الحجاج عتاب بن ورفاء عن عسكره نحواً من سنة . ثمّ إنه راحهم يوم البُستان فقاتلهم قتالا شديداً ، وكانت كِرمَانُ في أيدي الخوارج ، وفارس في يد المهلب ، فكان قد ضاق عليهم مكانهم الذي هم به ، لا يأتيهم من فارس مادة ، وبعُدَتْ ^(١) ديارهم عنهم ، فخرجوا حتى أتوا كرمان وتبعهم المهلب حتى نزل بيجرقت - وجيرفتُ مدينة كرمان فقاتلهم بها أكثر من سنة قتالا شديداً ، وحازم عن فارس كلها ، فلما صارت فارس كلها في يدي المهلب بعث الحجاج عليها عماله وأخذها من المهلب ، فبلغ ذلك عبد الملك ، فكتب إلى الحجاج :

أما بعد ، فدعّ يبيد المهلب نواحِ جبالِ فارس ، فإنه لا بد للجيش ١٠٠٤/٧ من قوّة ، ولصاحب الجيش من معونة ، ودعّ له كُورَة فمساو دِراكِمِرْد ، وكورة إصطخَر .

فركبها للمهلب ، فبعث المهلب عليها عماله ، فكانت له قوّة على عدوّه وما يصلحه ، ففى ذلك يقول شاعرُ الأزد وهو يعاتب المهلب :

نَقَاتِلُ عَنْ قُصُورِ دِرَابَجِرْدٍ وَنَجَبِيٍّ لِلْمَغِيرَةِ وَالرُّقَادِ

وكان الرُّقَادُ بنُ زياد بن همام - رجل من العتيك - كريماً على المهلب ، وبعث الحجاج إلى المهلب البراء بن قبيصة ، وكتب إلى المهلب : أما بعد ، فإنك لو شئت فيما أرى لقد اضطلّت هذه الخارجة المارقة ، ولكنك تحبّ طول بقائهم لتأكل الأرض حولك ، وقد بعثت إليك البراء بن

(١) كلاف ، ١ ، ق ٥ : ع ٥ رب . (٢) ١ ، ط ، ع ٥ : ع ٥ ، وأثبت ما قبله ، ف .

قبيصة لينهضك إليهم ، فانهض إليهم إذا قدم عليك بجميع المسلمين ، ثم جاهلهم أشد الجهاد ، وإيّاك والعِللَ والأباطيلَ ، والأُمُورَ التي ليست لك عندى بسائفة ولا جائزة ، والسلام .

فأخرج المهلب بنه ؛ كلَّ ابن له في كَتِيبَةٍ ، وأخرج الناسَ على راياتهم ١٠٠٥/٢ ومصافهم وأخماسهم ، وجاء البراء بن قبيصة فوقف على تل قريب منهم حيث يراهم . فأخذت الكتائبُ تحمل على الكتائب ، والرجالُ على الرجال ، فيقتلون أشدَّ (١) قتالَ رآه الناس من صلاة الغداة إلى انتصاف النهار ، ثم انصرفوا . فجاء البراء بن قبيصة إلى المهلب فقال له : لا والله ما رأيت كَتِيبَتِكَ فُرساناً قط ، ولا كُفْرُسانِكَ من العرب فُرساناً قط ، ولا رأيت مثلَ قومٍ يقاتلونك قط أصبر ولا أبأس ، أنتَ والله المعلوم . فرجع بالناس المهلب ، حتى إذا كان عند العصر خرج إليهم بالناس وبنيه في كتائبهم ، فقاتلوه كقتالهم في أول مرة . قال أبو مخنف : وجدته أبو المغلس الكتاني ، عن عمه أبي طلحة ، قال : خرجت كتيبة من كتائبهم لكثيية من كتائبنا ، فاشتدَّ بينهما القتال ، فأخذت كلُّ واحدة منهما لا تصدُّ عن الأخرى ، فاقتلتا حتى حَجَرَ الليلُ بينهما ، فقالت إحداهما للأخرى : ممن أنتم ؟ فقال هؤلاء : نحن من بني تميم ؛ وقال هؤلاء : نحن من بني تميم ؛ فانصرفوا عند المساء ، قال المهلب للبراء : كيف رأيت ؟ قال : رأيتُ قوماً والله ما يعينك عليهم إلا الله . فأحسنَ إلى البراء بن قبيصة وأجازه ، وحملته وكساه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم انصرف إلى الحجاج فأثابه بعذر المهلب ، وأخبره بما رأى ، وكتب المهلب إلى الحجاج :

أما بعد ، فقد أتاني كتابُ الأمير أصلحه الله ، واتهامه إيّاي في هذه الخارجة ١٠٠٦/٢ المارقة ، وأمرني الأميرُ بالنهوض إليهم ، وإشهادِ رسوله ذلك ، وقد فعلت ، فليسألني عماري ، فأما أنا فوالله لو كنت أقدر على استئصالهم وإزالتهم عن مكانهم ثم أمسكتُ عن ذلك لقد غششتُ المسلمين ، وما وفيتُ

لأمير المؤمنين ، ولا نصحتُ للأمير ^(١) - أصلحه الله - فعاد الله أن يكون هذا من رأى ، ولا بما أدين الله به ، والسلام .

ثم إن المهلب قاتلهم بها ثمانية عشر شهراً لا يستقل منهم شيئاً ، ولا يرى في موطن يتفقون له ولن معه من أهل العراق من الطعن والضرب ما يرد عوذهم به ويكفونهم عنهم .

ثم إن رجلاً منهم كان عاملاً لقطري على ناحية من كيرمان خرج في سرية لم يدعى المقطر من بني ضببة ، فقتل رجلاً قد كان ذا بأس من الخوارج ، ودخل منهم في ولاية ، فقتله المقطر ، فوثبت الخوارج إلى قطري ، فذكروا له ذلك ، وقالوا : أمكننا من الضبي فقتله بصاحبنا ، فقال لهم : ما أرى أن أفعل ؛ رجل تأول فأخطأ في التأويل ما أرى أن تقتلوه ، وهو من ذوى الفضل منكم ، والسابقة فيكم ، قالوا : بلى ، قال لهم : لا ، فوقع الاختلاف بينهم ، فولوا عبد ربّه الكبير ، وخلعوا قطرياً ، وبيع قطرياً منهم عصابة نحواً من ربعمهم أو خمسهم ، فقاتلهم نحواً من شهر غلوة وعشية . فكتب بذلك المهلب إلى الحجاج :

أما بعد ، فإن الله قد ألقى بأس الخوارج بينهم ، فخلع عظمهم قطرياً وبيعوا عبد ربّه ، وبقيت عصابة منهم مع قطري ، فهم يقاتل بعضهم بعضاً غدواً وعشياً ، وقد رجوت أن يكون ذلك من أمرهم سبب هلاكهم إن شاء الله ، والسلام .

فكتب إليه :

أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه اختلاف الخوارج بينها ، فإذا أتاك كتابي هذا فهاضهم على حال اختلافهم وافتراقهم قبل أن يجتمعوا ، فتكون مشؤنتهم عليك أشد ، والسلام .

فكتب إليه :

أما بعد ، فقد بلغني كتاب الأمير ، وكل ما فيه قد فهمت ، ولست أرى أن أقاتلهم ما داموا يقتل بعضهم بعضاً ، وينقص بعضهم عدد بعض ، فإن تموا على ذلك فهو الذي نريد وفيه هلاكهم ، وإن اجتمعوا لم

يُجْتَمِعُوا إِلَّا وَقَدْ رَفَقَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، فَأَنَاهِيَهُمْ عَلَى تَفِيئَةٍ ^(١) ذَلِكَ ، وَهُمْ أَهْوَنَ مَا كَانُوا وَأَضْعَفَهُ شَوْكَةً ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ .

فَكَفَّ عَنْهُ الْحِجَاجَ ، وَتَرَكَهُمْ الْمَهْلَبَ يَقْتَتِلُونَ شَهْرًا لَا يَحْرُكُهُمْ .

ثُمَّ إِنَّ قَطَرِيًّا خَرَجَ بِمَنْ اتَّبَعَهُ نَحْوَ طَبَرِسْتَانَ ، وَبَايَعَ عَامَتَهُمْ عَبْدَ رَبِّهِ الْكَبِيرَ ، فَنَهَضَ إِلَيْهِمُ الْمَهْلَبَ ، فَقَاتَلُوهُ قِتَالًا شَدِيدًا . ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ، وَأَخَذَ صُكْرَهُمْ وَمَا فِيهِ وَسَبَّوْا ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْبُونَ الْمُسْلِمِينَ . وَقَالَ كَعْبُ الْأَشْجَرِيِّ - وَالْأَشْجَرُ بَطْنٌ مِنَ الْأَزْدِ - يَذْكُرُ يَوْمَ رَامَهُمْ مُزَ ، وَأَيَّامَ سَابُورَ ، وَأَيَّامَ جِيرَفَتَ ^(٢) :

يَا حَفْصُ إِنِّي عَدَانِي عَنْكُمْ السَّفَرُ وَقَدْ أَرَقْتُ فَأَذَى عَيْنِي السَّهَرُ ^(٣)
عَلَقْتُ يَا كَعْبُ بَعْدَ الشَّيْبِ غَانِيَةً وَالشَّيْبُ فِيهِ عَنِ الْأَهْوَاءِ مُزْدَجَرُ
أَمْسَلْتُ أَنْتَ عَنْهَا بِاللَّيْلِ عَهْدَتُ أَمْ حَبَلُهَا إِذْ نَأَتْكَ الْيَوْمَ مُنْبَيَّرُ
عَلَقْتُ خَوْدًا بِأَعْلَى الطُّفِّ مَنَزَلُهَا فِي عُرْقَةٍ دُونِهَا الْأَبْوَابُ وَالْحَجَرُ ^(٤)
فَرَمًا مَنَاقِيهَا رِيًّا مَا كَيْمُهَا تَكَادَ إِذْ نَهَضْتُ لِلْمَشْيِ تَنْبَيَّرُ
وَقَدْ تَرَكْتُ بِشَطْطِ الزَّائِبِينَ لَهَا دَارًا بِهَا يَسْعُدُ الْبَادُونَ وَالْحَضَرُ
وَاخْتَرْتُ دَارًا بِهَا حَيٌّ أَسْرُ بِهِمْ مَا زَالَ فِيهِمْ لِمَنْ نَحْخَارُهُمْ خَيْرُ
لَمَّا نَبَتْ بِي بِلَادِي مِزْتُ مُنْتَجِعًا وَطَالِبُ الْخَيْرِ مُرْنَادٌ وَمُنْتَظَرُ
أَبَا سَعِيدٍ فَلَئِنْ جِثْتُ مُنْتَجِعًا أَرْجُو نَوَالِكَ لَمَّا مَسْنَى الضَّرَرُ
لَوْلَا الْمَهْلَبُ مَا زُرْنَا بِلَادَهُمْ مَا دَامَتْ الْأَرْضُ فِيهَا الْمَاءُ وَالشَّجَرُ
فَمَا مِنَ النَّاسِ مِنْ حَيٍّ عَلِمَتْهُمْ إِلَّا يُرَى فِيهِمْ مِنْ سَبِيكِكُمْ أَثَرُ
أَحْيَيْتَهُمْ بِسَجَالٍ مِنْ نَدَاكَ كَمَا تَحْيَا الْبِلَادُ إِذَا مَا مَسَّهَا الْمَطَرُ

١٠٠٨/٢

١٠٠٩/٢

(١) لَيْ يَدُ ذَلِكَ . (٢) يَمْعَا قِي ب ، ف : « قَصِيئَةٌ » .

(٣) صَلَاحُ الْقَصِيدَةِ فِي الْكَمَالِ ٣ : ٤٠٣ ، وَأَبْيَاتُهَا فِي الْأَغْنَى ١٤ : ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

وَقِي الْكَمَالِ : « وَقَدْ سَهَرْتُ فَأَذَى عَيْنِي السَّهَرُ » . وَعَدَانِي : صَرَفْتِي وَشَغَلْتِي .

(٤) فِي الْأَغْنَى : « ذَكَرْتُ خَوْفًا » .

إِنِّي لَأَرْجُو إِذَا مَا فَاقَةً نَزَلْتُ
فَاجْبِرْ أَخَاكَ أَوْ هَيَّ الْفَقْرَ قُوَّتَهُ
جَعَا ذَوُو نَسَبِي عَنِّي وَأَخْلَفَنِي
يَا وَاهِبَ الْقَيِّنَةِ الْحَسَنَاءِ سُنَّتُهَا
وَمَا تَزَالُ بُلْدُورُ مِنْكَ رَائِحَةً
نَعْمَاكَ لِلْمَجْدِ أَمْلَاكَ وَرِثَتُهُمْ
ثَارُوا بِقَتْلِي وَأَوْتَارُ تُعَدِّدُهَا
وَاسْتَسْلِمَ النَّاسُ إِذْ حُلَّ الْعَدُوُّ بِهِمْ
وَمَا تَجَاوَزَ بَابَ الْجِسْرِ مِنْ أَحَدٍ
وَأَدْخَلَ الْخَوْفَ أَجْوَاثَ الْبُيُوتِ عَلَى
وَاشْتَدَّتْ الْحَرْبُ وَالْبُلُوكَى وَحُلَّ بَنَّا
نَظَلُّ مِنْ دُونِ خَفَضِ مُعْصِيَيْنِ بِهِمْ
كُنَّا نَهْوُنْ قَبْلَ الْيَوْمِ شَأْنَهُمْ
لَمَّا وَهَنَّا وَقَدْ حَلُّوا بِمَسَاحِنَا
نَادَى أَمْرُؤُ لَا خَلَافَ فِي عَشِيرَتِهِ
أَفْقَشِي هُنَالِكَ مِمَّا كَانَ مَذَى عَصْرُوا
تَلَبَّسُوا لِقِرَاعِ الْحَرْبِ بَزَّتْهَا
سَارُوا بِأَلْوِيَةِ لِلْمَجْدِ قَدْ رُقِفَتْ
حَتَّى إِذَا خَطَفُوا الْأَهْوَاذَ وَاجْتَمَعُوا
نَعِي بِشِيرِ فَجَالِ الْقَوْمِ وَانْصَدَعُوا
ثُمَّ اسْتَمَرَّ بَنَّا رَاضِي بَبِيْعَتِهِ

فَضْلًا مِنْ اللَّهِ فِي كَفَيْكَ يَبْتَلِي
لَعَلَّهُ بَعْدَ وَفَى الْعَظَمِ يَنْجَبِرُ
ظَنِّي فَلَلَهُ دَرَى كَيْفَ آتِيَرُ
كَالْشَّمْسِ هِرْكَوْلَةً فِي طَرَفِهَا فُتْرُ ١١
وَأَخْرَجُوا لَهُمْ مِنْ سَبِيلِكَ الْغَرَرُ
ثُمَّ الْعَرَاتَيْنِ فِي أَخْلَافِهِمْ يَسَّرُ
فِي حِينٍ لَا حَدَّثَ فِي الْحَرْبِ يَتَشَرُّ ١٠١٠/٢
فَمَا لِأَمْرِهِمْ وَرَدُّ وَلَا صَدَرُ
وَعَصَّتِ الْحَرْبُ أَهْلَ الْمَصْرِفِ فَانْجَرُوا
مِثْلَ النِّسَاءِ رِجَالٌ مَا بِهِمْ غَيْرُ
أَمْرٌ تُشَمَّرُ فِي أَمْثَالِهِ الْأَزْرُ
فَشَمَّرَ الشَّيْخُ لِمَا أَعْظَمَ الْخَطَرُ
حَتَّى تَفَاقَمَ أَمْرٌ كَانَ يُحَقِّقُ
وَاسْتَنْفَرَ النَّاسُ تَارَاتٍ فَمَا نَفَرُوا
عَنْهُ وَلَيْسَ بِهِ فِي مِثْلِهِ قِصَرُ
فِيهِمْ صِنَائِعٌ مِمَّا كَانَ يُلْخَسَرُ ١٠١١/٢
فَأَصْبَحُوا مِنْ وَرَاءِ الْجِسْرِ قَدْ عَصَرُوا
وَتَحْتَهُنَّ لُيُوثٌ فِي الْوُغَى وَقَسَرُ
بِرَامُهُمْ مَرَّ وَأَقْلَامُهُمْ بِهَا الْخَبِيرُ
إِلَّا بِعَايَا إِذَا مَا ذُكِّرُوا ذُكِّرُوا
يَتَوَدَّى الْوَفَاءَ وَلَمْ نَغْدِرْ كَمَا خَدَرُوا

حتى اجتمعنا بسابور الجنود وقد
 نلقى مساعير أبطالاً كلهم
 نسقى ونسقيهم سماً على حتى
 قتل هتالك لا عقل ولا قود
 حتى تنحروا لنا عنها تسوقهم
 لم يغزو عنهم غلقة التل كيهم
 باتت كتابتنا تردي مومة
 هناك ولوا حزاناً بعد ما قرحوا
 عبوا جنودهم بالسفح إذ نزلوا
 وقد لقوا مضلحاً منا بمنزلة
 بدت بارين يوم الشعب إذ لحقت
 لا قوا كتاب لا يخلون ثغرهم
 المقدمين إذ ما خيلهم وردت
 وفي جبيرين إذ صفوا بزحفهم
 والله ما نزلوا يوماً بساحنا
 تنفيهم بالقنا عن كل منزلة
 ولوا حذاراً وقد هزوا أيسنتنا
 صلت الجبين طويل الباع ذوقرح
 مجرب الحرب ميمون نقيته
 وفي ثلاث سنين يستليم بنا

١٠١٢/٢

١٠١٣/٢

١٠١٤/٢

شبت لنا ولهم نار لها شر
 جن نغارهم ما مثلهم بشر
 مستانفي الليل حتى أشف السحر
 منا ومنهم دماء سفكها هنر
 منا ليوت إذا ما أقدموا جسروا
 عند الطعان ولا المكر الذي مكروا
 حول المهلب حتى قود القمر
 وحان دونهم الأتار والجر
 يكازرون فما عزوا ولا ظفروا^(١)
 ظنوا بأن ينصروا فيها فما نصروا
 أسد بسفك دماء الناس قد زروا
 فيهم على من يقامى حربهم صعر
 والعاظمين إذا ما ضيع الدبر
 ولوا خزاً وقد فلوا وقد قهروا
 إلا أصابهم من حربنا ظفر
 تروح منا مساعير وتبتكر
 نحو الحروب فما نجاهم الحذر
 صخم الدسيمة لا وإن ولا غمر^(٢)
 لا يمشخف ولا من رأيه البطر
 يعارع الحرب أطواراً ويأمر

(١) الأغاني : « وما نصروا » .

(٢) الدسيمة : مجمع الكتفين ، يقال ذلك الرجل الجواد .

يقولُ إِنَّ عَدَا مَبْدَ لَنَاظِرُو
 دعوا التَّنَائِجَ وَالْإِسْرَاعَ وَارْتَقِبُوا
 حَتَّى آتَتْهُ أُمُورٌ عِنْدَهَا فَرْجٌ
 لَمَّا زَوَّاهُمْ إِلَى كَرَمَانَ وَانْصَلَعُوا
 سَرْنَا إِلَيْهِمْ بِمِثْلِ الْمَوْجِ وَازْدَلَفُوا
 وَزَادَنَا حَقًّا قَتَلَى نَذَكَّرُهَا
 إِذَا ذَكَّرْنَا جَرُوزًا وَاللَّيْنَ بِهَا
 تَأْتَى عَلَيْنَا حَزَازَاتُ النُّفُوسِ فَمَا
 وَلَا يُقِيلُونَنَا فِي الْحَرْبِ عَشْرَتَنَا
 لَا عُدْرَ يُقْبَلُ مِنَّا دُونَ أَنْفُسِنَا
 صَفَانِ بِالْقَاعِ كَالطُّودَيْنِ بَيْنَهُمَا
 عَلَى بَصَائِرَ كُلِّ غَيْرٍ تَارِكُهَا
 يَمْشُونَ فِي الْبَيْضِ وَالْأَبْدَانِ إِذْ وَرَدُوا
 وَشَيْخُنَا حَوْلَهُ مِنَّا مُلَمَّكَةٌ
 فِي مَوْطِنِي يَقْطَعُ الْأَبْطَالُ مَنَظَرَهُ
 مَا زَالِ مِنَّا رِجَالٌ ثُمَّ نَضْرِبُهُمْ
 وَبَادَ كُلُّ سِلَاحٍ يُسْتَعَانُ بِهِ
 نَلُوسُهُمْ بِعَنَاجِيحٍ مُجَجَّفَةٍ
 يَغْشَيْنَ قَتْلَى وَعَقْرَى مَا بِهَا رَمَقٌ
 قَتْلَى بِقَتْلَى قِصَاصٌ يُسْتَفَادُّ بِهَا

فِي اللَّيَالِي فِي الْأَيَّامِ مُعْتَبَرٌ
 إِنَّ الْمُحَارِبَ يَسْتَأْنِي وَيَنْتَظِرُ
 وَقَدْ تَبَيَّنَ مَا يَأْتِي وَمَا يَنْزُرُ
 وَقَدْ تَقَارَبَتِ الْأَجَالُ وَالْقَدَرُ
 وَقِيلَ ذَلِكَ كَانَتْ بَيْنَنَا مِثْرُ^(١)
 لَا تَسْتَفِيقُ عَيْنٌ كُلَّمَا ذَكَّرُوا
 قَتْلَى مَضَى لَهُمْ حَوْلَانِ مَا قُبِرُوا
 نَبْقَى عَلَيْهِمْ مَا يَبْقُونَ إِنْ قَدَرُوا ١٠١٥/٢
 وَلَا نَقِيلُهُمْ يَوْمًا إِذَا عَشَرُوا
 وَلَا لَهُمْ عِنْدَنَا عُدْرٌ لَوْ اعْتَلَرُوا
 كَالْبَرْقِ يَلْمَحُ حَتَّى يَشْخَصَ الْبَصَرُ
 كَلَّا الْفَرِيقَيْنِ تُتْلَى فِيهِمُ السُّورُ
 مَشَى الزَّوَامِلُ تَهْدِي صَفْهَهُمْ زُمُرُ^(٢)
 حَتَّى مِنَ الْأَزْدِ لِمَا نَابَهُمْ صَبْرُ
 تُشَاطُ فِيهِ نَفُوسٌ حِينَ تَبْتَكِرُ
 بِالْمَشْرِقِ وَنَارُ الْحَرْبِ تَسْتَعِيرُ
 فِي حِمَاةِ الْمَوْتِ إِلَّا الصَّارِمَ الذَّكَرُ ١٠١٦/٢
 وَبَيْنَنَا ثُمَّ مِنْ صُمِّ الْقَنَا كِسْرُ
 كَأَنَّمَا فَوْقَهَا الْجَادَى يُعْتَصِرُ
 تَشْفِي صُدُورَ رِجَالٍ طَالَمَا وَتَرُوا

(١) المثر : جمع مثرة ؛ وهي اللؤلؤ والمداواة .

(٢) الزوامل : جمع زاملة ؛ وهو الجير يحمل الطعام والمتاع .

مُجاورينَ بها خَيْلاً مُعَرَّةً للطيرِ فيها وفي أجسادهم جَزَرُ
 في معركِ تَحَسَّبُ القَتْلُ بِسَاحَتِهِ أعجازَ نعلٍ زَفَتَهُ الرِّيحُ يَنْعَقِرُ
 وفي مواطنَ قَبْلَ اليومِ قد سَلَفَتْ قد كان للأزدِ فيها الحمدُ والظَّفَرُ
 في كلِّ يومٍ تُلَاقِي الأزدُ مُعْظَمَةً يَشِيبُ في ساعةٍ من هولها الشَّعْرُ
 والأزدُ قَوِي خِيَارُ القَوْمِ قد علِمُوا إذا قُرُومُهُم يَوْمَ الوُضَى خَطَرُوا
 ١٠١٧/٢ فيهم مَعَاوِلُ من عِزٍّ يِلَازُ بها يوماً إذا شَمَرَتْ حَرْبٌ لها دِرَزُ
 حَىْ بِأَسْيَافِهِمْ يَبْغَوْنَ مَجْدَهُمْ إِنَّ المَكَارِمَ في المَكْرُو تَبْتَدِرُ
 لولا المَهْلَبُ للجيشِ الَّذِي وردوا أَنهَارَ كَرَمَانَ بعدَ اللَّهِ ما صَدُرُوا
 إِنَّا اعتَصَمْنَا بِحَبْلِ اللَّهِ إِذْ جَحَلُوا بِالمُحَكَّمَاتِ وَلَمْ نَكْشُرْ كَمَا كَفَرُوا
 جاروا عن القصدِ والإسلامِ واتَّبِعُوا دِيناً يَخَالِفُ ما جِاءَتْ به التُّلُورُ
 وقال الطفيل بن عامر بن واثلة وهو يذكر قتل عبد ربه^(١) الكبير وأصحابه،
 وذهاب قطري في الأرض واتباعهم إياه ومراوغته إياهم :

لقد مَسَّ مِنَّا عبدُ ربِّ وجنلته عقابٌ فأمسى سَبِيبُهُمْ في المقاسمِ
 ساءَ لَهُمُ بالجيشِ حَتَّى أَزَاحَهُمُ بكرمانَ عن مَثْوَى من الأرضِ ناعِمِ
 وما قَطَرِي الكُفْرُ إِلَّا نَعَامَةٌ طريدٌ يَدْوِي ليلَه غَيْرِ نائِمِ
 إِذَا فَرَّ مِنَّا هَارِباً كانَ وَجْهُهُ طريقاً سَوَى قَصْدِ الهُدَى والمَعَالِمِ
 فليسَ بِمَنْجِيهِ الفِرَارُ وَإِنْ جَرَتْ به القُلُكُ في لُجٍّ من البحرِ دائِمِ

* * *

[ذكر الخبر عن هلاك قطري وأصحابه]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة كانت هلكة قطري وعبيدة بن هلال
 وعبد رب الكبير ومن كان معهم من الأزارقة .

(١) كلا في م ، وفي ط : « عبد رب » .

* ذكرُ سببِ مهلكهم ^(١) :

وكان سبب ذلك أن أمر ^(٢) الذين ذكرنا خبرهم من الأزارقة لما تشتت بالاختلاف الذى حدث بينهم بكرمان فصار بعضهم مع عبد ربه الكبير وبعضهم مع قطرى وهى أمر قطرى ، توجه يريد طبرستان ، وبلغ أمره الحجاج ، فوجه - فيما ذكر هشام عن أبي مخنف ، عن يونس بن يزيد - سفيان بن الأبرد ، وجهه معه جيشاً من أهل الشام عظيم ^(٣) فى طلب قطرى ، فأقبل سفيان حتى أتى الرى ثم أتبعهم . وكتب الحجاج إلى إسحاق بن محمد ابن الأشعث وهو على جيش لأهل الكوفة بطبرستان ، أن استمع وأطع لسفيان . فأقبل إلى سفيان فصار معه فى طلب قطرى حتى لحقوه فى شعب من شعاب طبرستان ، فقاتلوه ، ففرق عنه أصحابه ، ووقع عن دابته فى أسفل الشعب فتدهى ^(٤) حتى خر إلى أسفله ، فقال معاوية بن مِحصن الكندى : رأيته حيث هوى ولم أعرفه ، ونظرت إلى خمس عشرة امرأة عربية هن فى الجمال والبزاة وحسن الهيئة كما شاء ربك ، ما عدا عجوزاً فيهن ، فحملتُ عليهن فصرقتهن إلى سفيان بن الأبرد .

فلما دنوتُ بهن منه انتحى لى بسيفها ^(٥) العجوز فتصرب به عنق ، ١٠١٩/٢ فقطعت المغفر ، وقطعت جلدة من حلقى ، وأختليج السيف فأضرب به وجهها ، فأصاب قحف رأسها ، فوقعت ميتة ، وأقبلت بالفتيات حتى دفعتن إلى سفيان وإنه ليضحك من العجوز : وقال : ما أردت ^(٦) إلى قتل هذه أخزاهما الله - فقلت : أو ما رأيت أصلحك الله ضربتها إني ! والله إن كادت لتقتلنى ؛ قال : قد رأيت ، فوالله ما أومك على فعلك ، أبعدها الله . وبأتى قطرباً حيث تدهى من الشعب عليج من أهل البلد ، فقال له قطرى : اسقنى من الماء - وقد كان اشتد عطشه - فقال : أعطى شيئاً حتى أسقيك ، فقال : ويحك ؛ والله ما معى إلا ما ترى من سلاحى . فأنا مؤتيك إذا

(١) : « هلكهم » ، ب ، ف : « هلاكهم » .

(٢) : « الأمراء » .

(٣) : ب ، ف : « عظيم من أهل الشام » .

(٤) : ب ، ف : « تدهى » ، ا ، س : « قصده » .

(٥) : س : « سيفها » . (٦) : ب : « أردت » .

أَتَيْتَنِي بِمَاءٍ ، قَالَ : لَا ، بَلْ أُعْطِيهِ الْآنَ ، قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ أَتَيْتَنِي بِمَاءٍ قَبْلُ ، فَانْطَلِقِ الْعَلِجُ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى قَطْرَتِي ، ثُمَّ حَذَرَ عَلَيْهِ حَصْبَرًا عَظِيمًا مِنْ فَوْقِهِ دَهْدَاهُ عَلَيْهِ ، فَأَصَابَ إِحْدَى وَرْكَيْهِ فَأَوْهَتْهُ ، وَصَاحَ بِالنَّاسِ ، فَأَقْبَلُوا نَحْوَهُ . وَالْعَلِجُ حِينَئِذٍ لَا يَعْرِفُ قَطْرِيًّا ، غَيْرَ أَنَّهُ يَظُنُّ أَنَّهُ مِنْ أَشْرَافِهِمْ لِحَسَنِ هَيْئَتِهِ ، وَكَمَالِ صِلَاحِهِ ، فَلَفَعَ إِلَيْهِ نَفْرًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَابْتَدَرُوهُ فَقَتَلُوهُ ، مِنْهُمْ سُرُورَةُ بْنُ أَبِيهِرِ التَّمِيمِيُّ ، وَجَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنُفٍ ، وَالصَّبَّاحُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَشْعَثِ ، وَبِإِذَا مَوْلَى بَنِي الْأَشْعَثِ ، وَعُمَرُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ بْنِ كَثَارٍ مَوْلَى بَنِي نَصْرٍ مِنْ مَعَاوِيَةَ ، وَهُوَ مِنَ الدَّهَّاقِينَ ، فَكُلْ هَؤُلَاءِ أَدْعَاؤًا قَتَلَهُ ، فَلَفَعَ إِلَيْهِمْ أَبُو الْجَهْمُ بْنُ كَثَانَةَ الْكَلْبِيُّ - وَكُلُّهُمْ يَزْعَمُ أَنَّهُ قَاتِلُهُ - فَقَالَ لَهُمْ : ادْفَعُوهُ إِلَى حَتَّى تَصْطَلِحُوا ، فَلَفَعُوهُ إِلَيْهِ .

١٠٢٠/٧

فَأَقْبَلَ بِهِ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ - وَهُوَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ - وَلَمْ يَأْتِهِ جَعْفَرُ لشيءٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ قَبْلَ ذَلِكَ - وَكَانَ لَا يَكْلِمُهُ ، وَكَانَ جَعْفَرُ مَعَ سُفْيَانَ بْنِ الْأَبْرَدِ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِسْحَاقُ ، وَكَانَ جَعْفَرُ عَلَى رِجْلِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِالرَّيِّ ، فَلَمَّا مَرَّ سُفْيَانُ بِأَهْلِ الرَّيِّ انْتَخَبَ فَرَسَانَهُمْ بِأَمْرِ الْحِجَّاجِ ، فَسَارَ بِهِمْ مَعَهُ ، فَلَمَّا أَتَى الْقَوْمَ بِالرَّأْسِ فَاسْتَحْصَمُوا فِيهِ إِلَيْهِ وَهُوَ يَدِي (١) أَبِي الْجَهْمِ (٢) بْنِ كَثَانَةَ الْكَلْبِيِّ ، قَالَ لَهُ : امْضِ بِهِ أَنْتَ ، وَدَعْ هَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ ، فَخَرَجَ بِرَأْسِ قَطْرَتِي حَتَّى قَدِمَ بِهِ عَلَى الْحِجَّاجِ ، ثُمَّ أَتَى بِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَالْحَقِيقُ فِي أَكْفَيْنِ ، وَأَعْطَى فُطْمًا (٣) - يَعْنِي أَنَّهُ يَقْرَضُ لِلصَّغَارِ فِي الدِّيَّانِ - وَجَاءَ جَعْفَرُ إِلَى سُفْيَانَ فَقَالَ لَهُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! إِنْ قَطْرِيًّا كَانَ أَصَابَ وَالَّذِي فَلَمْ يَكُنْ لِي هَمٌّ غَيْرُهُ ، فَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَدْعَاؤًا قَتَلَهُ ، فَسَلِّمُهُمْ ، أَلَمْ أَكُنْ أَمَامَهُمْ حَتَّى بَدَرْتَهُمْ فَضْرِيَّتُهُ ضَرْبَةً فَضْرَعْتُهُ ، ثُمَّ جَاءَ بَنِي بَعْدَ ، فَأَقْبَلُوا يَضْرِبُونَهُ بِأَسْيَافِهِمْ ! فَإِنْ أَقْرَأُوا لِي بِهِذَا فَقَدْ صَدَّقُوا ، وَإِنْ أَبَوْا فَأَنَا أَحْلَفُ بِاللَّهِ أَنِّي صَاحِبُهُ ، وَإِلَّا فَلْيَحِطِفُوا بِاللَّهِ أَنَّهُمْ أَصْحَابُهُ الَّذِينَ قَتَلُوهُ ، وَأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ مَا أَقُولُ ، وَلَا حَقَّ لِي فِيهِ . قَالَ : بَجَتْ الْآنَ وَقَدْ مَرَّحْنَا بِالرَّأْسِ . فَانْصَرَفَ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : أَمَا وَاللَّهِ إِنَّكَ لَأَخْطَقُ الْقَوْمَ أَنْ تَكُونَ صَاحِبَهُ .

(١) ب ، ف : « يد » .

(٢) س : « جهم » .

ثُمَّ إِنَّ سُفْيَانَ بْنَ الْأَبْرَدِ أَهْلًا مُتَصَرِّفًا إِلَى عَسْكَرِ عَيْلَةَ بْنِ هَلَالٍ ،
وَقَدْ تَحَصَّنَ فِي قَصْرِ بَقُومِسَ ، فَحَاصِرُوهُ قَاتَلَهُ أَيَّامًا . ثُمَّ إِنَّ سُفْيَانَ بْنِ ١٠٢١/٢
الْأَبْرَدِ سَارَ بِنَا إِلَيْهِمْ حَتَّى أَحْطَنَّا بِهِمْ ، ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِيَهُ فَنَادَى فِيهِمْ : أَيُّهَا
رَجُلُ قَتْلِ صَاحِبِهِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْنَا فَهُوَ آمِنٌ ؛ قَالَ عَيْلَةُ بْنُ هَلَالٍ :

لَعَمْرِي لَقَدْ قَامَ الْأَصَمُّ بِخَطْبَةٍ لَفَى الشُّكَّ مِنْهَا فِي الصُّلُورِ غَلِيلُ
لَعَمْرِي لَتَنَ أُعْطِيتُ سُفْيَانَ بَيْعَتِي وَفَارَقْتُ يَدِي لِأَنِّي لَجَهْلِي
إِلَى اللَّهِ أَشْكَو مَا تَرَى بِجِيَادِنَا تَسَاوَلَكَ هَزَلِي مُخَبَّنٌ قَلِيلُ (١)
تَعَاوَزَهَا الْقَذَافُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ بِقُومِسَ حَتَّى صَغِبَهُنَّ ذُلُّهُ
فَإِنْ يَكُ أَفْنَاهَا الْحِصَارُ فَرُبَّمَا تَشَحَّطَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ قَتِيلُ
وَقَدْ كُنَّ مِمَّا إِنْ يُقَدَّنَ عَلَى الْوَجْهِ لَهُنَّ بِأَبْوَابِ الْقِيَابِ صَهِيلُ
فَحَاصِرُهُمْ حَتَّى جَهِدُوا ، وَأَكَلُوا دَوَابَّهُمْ . ثُمَّ لَمَنَهُمْ خَرَجُوا إِلَيْهِ فَنَاقَلُوهُ ،
فَقَتَلَهُمْ وَبَعَثَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْحِجَّاجِ ، ثُمَّ دَخَلَ إِلَى دُنْبَاوَتِدْ وَطَبْرِسْتَانَ ،
فَكَانَ هُنَاكَ حَتَّى عَزَلَهُ الْحِجَّاجُ قَبْلَ الْجَمَاعِمِ .

* * *

[ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنْ مُقْتَلِ أُمِيَّةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ]

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَتَلَ بِكَيْرُ بْنُ وَشَّاحٍ السَّعْدِيُّ أُمِيَّةَ بْنَ ١٠٢٢/٢
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ :

• ذَكَرَ سَبَبَ قَتْلِهِ لِأَيَّامِهِ .

وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ - فِيمَا ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ الْمُفَضَّلِ بْنِ مُحَمَّدٍ - أَنَّ
أُمِيَّةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ عَامِلُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى خُرَّاسَانَ ، وَلَتَى بِكَيْرٍ
غَزَاوًا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَقَدْ كَانَ وَلَاهَ قَبْلَ ذَلِكَ طَخْرَاوَسْتَانَ ، فَتَجَهَّزَ لِلْخُرُوجِ
إِلَيْهَا ، وَأَنْفَقَ نَفَقَةً كَثِيرَةً ، فَوُشِيَ بِهِ إِلَيْهِ بِحَيْرِ بْنِ وَرْقَاءَ الصَّرِيمِيِّ عَلَى مَا بَيَّنَّتْ
قَبْلُ ، فَأَمَرَهُ أُمِيَّةٌ بِالْمَقَامِ .

(١) التَّسَاوَلَكَ : الْبَرَّ الْعَنِيْفَ ، وَالْبَيْتَ فِي السَّانِ (سُوكٍ) يَنْسِبُهُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَرِ
الْجَنْسِ .

فلما ولّاه غزو ما وراء النهر تجهّز وتكلف الخيل والسلاح ، وإذ أن من رجال السغد وتجارهم ، فقال بحير لأمية : إن صار بينك وبينه النهر ولقي الملوك خلع الخليفة ودعا إلى نفسه ، فأرسل إليه أمية : أقم لعل أغزو فتكون معي ، فغضب بكير وقال : كأنه يضارتي . وكان عتاب اللقوة الغداني استدان ليخرج مع بكير ، فلما أقام أخذه غرامؤه ، فحبس فأدى عنه بكير وخرج ، ثم أجمع أمية على الغزو . قال : فأمر بالجهاز ليغزو بخاري ، ثم يأتي موسى بن عبد الله بن خازم بالترمذ ، فاستعد الناس وتجهّزوا ، واستخلف على خراسان ابنه زياداً ، وصار معه بكير فسكر بكشكسهن ، فأقام أياماً ، ثم أمر بالرحيل ، فقال له بحير : إني لا آمن أن يتخلف الناس فقل لبكير : فلتكن في الساقة ولتحشر الناس . قال : فأمره أمية فكان على الساقة حتى أتى النهر ، فقال له أمية : اقطع يا بكير ، فقال عتاب اللقوة الغداني : أصلح الله الأمير ! عبر ثم يعبر الناس بعدك . فعبّر ثم عبر الناس ، فقال أمية لبكير : قد خفت ألا يضبط ابني عمله وهو غلام حدث ، فارجع إلى مرو فاكتبنيها فقد وليتكمها ، فزيّن ابني وقم بأمره . فانتخب بكير فرساناً من فرسان خراسان قد كان عرفهم ووثق بهم وعبر ، ومضى أمية إلى بخاري وعلى مقدمته أبو خالد ثابت مولى خزاعة . فقال عتاب اللقوة لبكير لما عبر وقد مضى أمية : إنا قتلنا أنفسنا وعشائرنا حتى ضبطنا خراسان ، ثم طلبنا أميراً من قريش يجمع أمرنا ، فجاءنا أميرٌ يلعب بنا يحولنا من سجن إلى سجن ، قال : فما ترى ؟ قال : أحرق^(١) هذه السفن ، وامض إلى مرو فاخلع أمية ، وتقيم بمرو تأكلها إلى يوم ما ، قال : فقال الأحنف بن عبد الله العنبري : الرأي ما رأى عتاب ، فقال بكير : إني أخاف أن يهلك هؤلاء الفرسان الذين معي ، فقال : أتخاف علم الرجال ! أنا آتيك من أهل مرو بما شئت إن هلك من هؤلاء الذين معك ، قال : يهلك المسلمون ، قال : إنما يكفيك أن ينادى مناد : من أسلم رفعنا عنه الخراج فيأتيك خمسون ألفاً من المصلين أسمع لك من هؤلاء وأطوع ، قال : فيهلك أمية ومن معه ، قال : ولم يهلكون ولم عدة وعدة وجندة وسلاح ظاهر وأداة كاملة ، ليقاتلوا عن

١٠٢٣/٢

١٠٢٤/٢

أنفسهم حتى يبلغوا الصين ! فأحرق بكير السفن ، ورجع إلى مرو ، فأخذ ابن أمية فحبسه ، ودعا الناس إلى خلع أمية فأجابوه ، وبلغ أمية ، فصالح أهل بخارى على فدية قليلة ، ورجع فأمر باتخاذ السفن ، فأتخذت له وجسعت ، وقال لمن معه من وجوه نعيم : ألا تعجبون من بكير ! إني قلمت خراسان فحدّثته ، ورفّع عليه وشكى منه ، وذكروا أموالاً أصابها ، فأعرضت عن ذلك كله ، ثم لم أفتشه عن شيء ولا أحداً من عماله ، ثم عرضت عليه شرطتي فأبى ، فأعفيت ، ثم وليته فحدّثته ، فأمرته بالمقام وما كان ذلك إلا نظراً له ، ثم رددته إلى مرو ، وولّيته الأمر ، فكفر ذلك كله ، وكافأني بما ترون . فقال له قوم : أيها الأمير ، لم يكن هذا من شأنه ، إنما أشار عليه بإحراق السفن عتاباً للفقوة ، فقال : وما عتاب ! وهل ^(١) عتاب إلا دجاجة ١٠٢٥/٢ حاضنة ، فبلغ قوله ^(٢) عتاباً ، فقال عتاب في ذلك :

إِنَّ الْحَوَاضِنَ تَلْقَاهَا مَجْضَعَةً غَلَبَ الرُّقَابَ عَلَى الْمُنَسُوبَةِ النَّجْبِ
تَرَكْتَ أَمْرَكَ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ خَوَرٍ وَجِئْتَنَا حُمُقاً يَا أَلَمَّ الْعَرَبِ
لَا رَأَيْتَ جِبَالَ السُّفْدِ مُعْرَضَةً وَلَيْتَ مُوسَى وَنُوحاً عُنْكَوَةَ الذَّنْبِ
وَجِئْتَ ذَيْخاً مُقْدِلاً مَا تَكَلَّمْنَا وَطُرُتَ مِنْ سَعَفِ الْبَحْرَيْنِ كَالْحَرْبِ
أَوْعَدْتَ وَعَيْدُكَ إِنِّي سَوْفَ تَعْرِفُنِي تَحْتَ الْخَوَافِقِ دُونَ الْعَارِضِ الْمَجْبِ
يَحْبُبُ بِي مَشْرِفٌ عَارَ نَوَافِسُهُ يَغْشَى الْكُتَيْبَةَ بَيْنَ الْعَلَوِ وَالْخَبَبِ

قال : فلما نهأت السفن ، عبر أمية وأقبل إلى مرو ، وترك موسى بن عبد الله ، وقال : اللهم إني أحسنت إلى بكير ، فكفّر لإحساني ، وصنع ما صنع ، اللهم اكفنيه .

فقال شماس بن دثار - وكان رجع من سجستان بعد قتل ابن خازم ، ١٠٢٦/٢ ففزا مع أمية : أيها الأمير ، أنا أكفيك إن شاء الله . فقدّمه أمية في ثمانمائة ، فأقبل حتى نزل باسان وهي لبني نصر ، وصار إليه بكير ومعه مئزره بن أنيف وأبوه

(١) ب ، ف : « وما » .

(٢) ف : « ذلك » .

مع شماس ، فقال : أما كان في تميم أحد يحاربني غيرك ! ولأمة . فأرسل إليه شماس : أنت ألوم وأسوأ صنيعاً مني ، لم تنف لأمية ولم تشكر له صنيعه بك ، قدّم فأكرمك ولم يعرض لك ولا لأحد من عمالك .

قال : فييته بكير ففرق جمعه وقال : لا تقتلوا منهم أحداً ، واخلوا سلاحهم ، فكانوا إذا أخذوا رجلاً سلبوه وخلّوا عنه ، ففترقوا ، ونزل شماس في قرية لطيفة يقال لها : بؤينة ، وقدّم أمية فتزل كسّماهن ، ورجع إليه شماس بن دثار فقدّم أمية ثابت بن قطبة مولى خزاعة ، فلقية بكير فأسر ثابتاً وفرق جمعه ، ونحل بكير سبيل ثابت ليند كانت له عنده . قال : فرجع إلى أمية ، فأقبل أمية في الناس ، فقاتله بكير وعلى شرطة بكير أبو رستم الخليل بن أوس العبشمي ، فأبلى يومئذ ، فناده : يا صاحب شرطة عارمة — وعارمة جارية بكير — فأحجم ، فقال له بكير : لا أبالك ، لا يهدك نداء هؤلاء القوم ، فإن للعارمة فتحلاً بمنعها ، فقدّم لواءك ، فقاتلوا حتى انحاز بكير فدخل الحائط ، فنزل^(١) السوق العتيقة ، ونزل أمية بآسان فكانوا يلتقون في ميدان يزيد ، فانكشفوا يوماً ، فحماهم بكير ، ثم التقوا يوماً آخر في الميدان ، فضرب رجل من بني تميم على رجله فجعل يسحبها ، وهريم يحميه ، فقال الرجل : اللهم أمدنا فأمدنا بالملائكة ، فقال له هريم : أيها الرجل ، قاتل عن نفسك ، فإن الملائكة في شغل عنك ، فتمحامل ثم أعاد قوله : اللهم أمدنا بالملائكة ، فقال هريم : لتكفن عنى أو لأدعنك والملائكة ، وحماه حتى ألحقه بالناس . قال : ونادى رجل من بني تميم : يا أمية ، يا فاضح قريش ، قال أمية إن ظفير به أن يذبحه ، فظفير به فذبحه بين شرفتين من المدينة ، ثم التقوا يوماً آخر ، فضرب بكير بن وشاح ثابت بن قطبة على رأسه وانتمى : أنا ابن وشاح ، فحمل حريث بن قطبة أخو ثابت على بكير ، فانحاز بكير ، وانكشف أصحابه ، وأتبع حريث بكيراً حتى بلغ القنطرة ، فناده : أين يا بكير ؟ فكر عليه ، فضربه حريث على رأسه ، فقطع المخفر ، وعص

١٠٢٧/٢

السيفُ برأسه ، فصرع ، فاحتمله أصحابه ، فادخلوه المدينة .
قال : فكانوا على ذلك يقاتلونهم ، وكان أصحابُ بكير يقدُّون متفضِّلين
في ثياب مصبغة ، وملاحف وأزر صفراء وحُمْر ، فيجلسون على نواحي
المدينة يتحدَّثون ، وينادى مناد : مَنْ رَمَى رَمِيْنَا إليه برأس رجل من
ولده وأهله ، فلا يرميهم أحد .

قال : فأشفق بكير ، وناف إن طال الحصار أن يخذله الناس ، فطلب
الصلح ، وأحب ذلك أيضاً أصحابُ أمية لما كان عيالاً بهم بالمدينة ، فقالوا
لأمية : صالحه — وكان أمية يحب العافية — فصالحه على أن يقضى عنه
أربعمائة ألف ، ويصِلَ أصحابه ويؤتاه أيضاً أى كُور خُرَّاسان شاء ،
ولا يسمع قولاً بحير فيه ، وإن رآه منه رَيْب فهو آمِن أربعين يوماً حتى
يخرج عن مرو ، فأخذ الأمان لبكير من عبد الملك ، وكتب له كتاباً على
باب سنجان^(١) ، ودخل أميةُ المدينة .

قال : وقوم يقولون : لم يخرج بكير مع أمية غازياً ، ولكن أمية لما غزا
استخلفه على مرو فخلعه ، فرجع أمية فقاتله ، ثم صالحه ودخل مرو
ووفى أمية لبكير ، وعاد إلى ما كان عليه من الإكرام وحسن الإذن ، وأرسل
إلى عتاب القوة ، فقال : أنت صاحبُ المشورة ، فقال : نعم أصلح الله
الأمير ! قال : ولم ؟ قال : خف ما كان في يدي ، وكشرت ديتي ،
وأعدت على غرماي ؛ قال : ويحك ! فضربت بين المسلمين ، وأحرقت السفن
والمسلمون في بلاد العدو ، وما خفت الله ! قال : قد كان ذلك ، فأستغفر
الله ، قال : كم دينك ؟ قال : عشرون ألفاً ؛ قال : تكف عن غش
المسلمين وأقضي دينك ؟ قال : نعم ، جعلني الله فداك ! قال : فضحك
أمية وقال : إن ظني بك غير ما تقول ، وأقضي عنك . فأدى عنه عشرين
ألفاً ، وكان أمية سهلاً لئساناً سخياً ، لم يخط أحدٌ من عمال خُرَّاسان بها مثل
عطاياء ؛ قال : وكان مع ذلك ثقيلاً عليهم ، كان فيه زهو شديد ، وكان
يقول : ما أكتفى بخُرَّاسان^(٢) وسجستان لمطلبخي . وعزل أميةُ بجيراً

(١) ا ، ب ، ف : « سنجار » . (٢) يعلاني ب ، ف : « كلها » .

عن شرطته ، ولولا عطاء بن أبي السائب ، وكتب إلى عبد الملك بما كان من أمر بكير وصفحه عنه ، فضرب عبد الملك بعثاً إلى أمية بخراسان ، فتسجاعل الناس ، فأعطى شقيق بن سليل الأسدي جعلته رجلاً من جرهم ، وأخذ أمية الناس بالخروج ، واشتد عليهم فيه ، فجلس بكير يوماً في المسجد وعنده ناس من بني تميم ، فذكروا شدة أمية على الناس ، فدموه ، وقالوا : سلط علينا الدهاقين في الحياة وبخير وضرار بن حصين وعبد العزيز بن جارية ابن قدامة في المسجد ، فنقل بخير ذلك إلى أمية فكذبه فادعى شهادة هؤلاء ، وادعى شهادة مزاحم بن أبي السجسر السلمي ، فدعا أمية مزاحماً فسأله فقال : إنما كان يمزح ، فأعرض عنه أمية ، ثم أتاه بخير فقال : أصلح الله الأمير ! إن بكيراً والله قد دعاني إلى خلعك ، وقال : لولا مسكانك لقتلت هذا القرشي وأكلت خراسان ؛ فقال أمية : ما أصدق بهذا وقد فعل ما فعل ، فأمنته ووصلته .

قال : فأتاه بضرار بن حصين وعبد العزيز بن جارية فشهدا أن بكيراً قال لهما : لو أعطتماني لقتلت هذا القرشي الخنث ، وقد دعانا إلى القتل بك . فقال أمية : أنتم أعلم وما شهدتم ، وما أظن هذا به وإن تركه ، وقد شهدتم بما شهدتم عجز ؛ وقال لحاجبه عبيدة ولصاحب حرسه عطاء بن أبي السائب : إذا دخل بكير ، وبذل وشمر دل ابنا أخيه ، فنهضت فخذوم .

وجلس أمية للناس ، وجاء بكير وابنا أخيه ، فلما جلسوا قام أمية عن سريره فدخل ، وخرج الناس وخرج بكير ، فحبسه وابني أخيه ، فدعا أمية ببكير فقال : أنت القاتل كنا وكلنا ؟ قال : تخبئت أصلحك الله ولا تسمعن قول ابن المخلوقه ! فحبسه ، وأخذ جاريته العارمة فحبسها ، وحبس الأحنف ابن عبد الله العنبري ، وقال : أنت ممن أشار على بكير بالخلع .

فلما كان من الغد أخرج بكيراً فشهد عليه بخير وضرار وعبد العزيز بن جارية أنه دعاهم إلى خلعهم والقتل به ، فقال : أصلحك الله ! تبت فإن هؤلاء أعدائي ، فقال أمية لزياد بن عتبة - وهو رأس أهل العالية - ولابن والان العلوي - وهو يومئذ من رؤساء بني تميم - ليعقوب بن خالد الداهلي :

أَتَقْتُلُونَهُ ؟ فلم يجيبوه ؛ فقال لبَحِير : أَلْتَقْتُلُهُ ؟ قال : نعم ، فدفعه إليه ، فنهض يعقوبُ بنُ القَعْقَاعِ الأَعْلَمُ الأَزْدِيُّ من مجلسه - وكان صديقاً لبَكِيرٍ - فاحتَضَنَ أُمَيَّةَ ، وقال : أَذْكَرَكَ اللهُ أَيُّهَا الأميرُ في بَكِيرٍ ، فقد أعطيتَه ما أعطيتَه من نفسك ، قال : يا يعقوبُ ما يقتله إلا قومه ، شهدوا عليه ، فقال عطاءُ بنُ أبى السائبِ الليثي وهو على حَرَسِ أُمَيَّةَ : خَلَّ عن الأمير ؛ قال : لا ، فَضَرَبَهُ عطاءُ بِقَائِمِ السيفِ ، فأصابَ أَفْقَهُ فَأَدْمَاهُ ، فخرج ، ثم قال لبَحِيرِ : يا بحير ، إِنَّ النَّاسَ أعطوا بِكَبِيرًا ذَمَّتْهُمْ في صلحه ، وَأَنْتَ منهم ، فلا تخفِرُ ذَمَّتَكَ ؛ قال : يا يعقوبُ ، ما أعطيتَه ذَمَّةً . ثم أخذَ بِحِيرِ سيفَ بَكِيرِ الموصول الذي كان أخذَه من أسوارِ الرَّجْمانِ تَرْجُمانِ ابنِ خازم ، فقال له بَكِيرُ : يا بِحِيرِ ، إِنَّكَ تُفَرِّقُ أَمْرَ بَنِي سَعْدِ إِنْ قَتَلْتَنِي ، فدَعَا هَذَا القُرَشِيُّ بِلَى مَنَى ما يريد ؛ فقال بِحِيرُ : لا واللهِ يابنِ الإِصْبَهَانِيَّةِ لا تصلحُ ١٠٣١/٢ بنو سعد ما دُمْنَا حَيِّينَ ، قال : فَشَأْنُكَ يابنِ المَحْلُوقَةِ ، فقتلته ، وذلك يومَ جُمُعَةٍ .

وقتل أُمَيَّةَ ابْنِي أَخِي بَكِيرِ ، وهبَ جاريةَ بَكِيرِ العارمةَ لبَحِيرِ ، وكَلَّمَ أُمَيَّةَ في الأحنفِ بنِ عبدِ الله العنبريِّ ، فدعا به من السجن ، فقال : وَأَنْتَ ممن أشارَ على بَكِيرٍ ، وَشَتَّته ، وقال : قد وهبْتُكَ لِهَؤُلَاءِ . قال : ثم رَجَعَ أُمَيَّةُ رجلاً من خِزَاعَةِ إلی موسى بن عبدِ الله بن خازم ، فقتله عمرو بن خالد بن حُصَيْنٍ "الكَلَابِي غِيلَةٌ" ، ففترَقَ جِيشُهُ ؛ فاستأمن طائفةٌ منهم موسى ، فصاروا معه ، ورجع بعضهم إلى أُمَيَّةَ .

وفي هذه السنة عبرَ النهرَ ، نَهَرَ بَلَخَ أُمَيَّةَ لِلغَزْوِ ، فحُوصِرَ حَتَّى جُهِدَ هو وأصحابه ، ثم نَجَوْا بعد ما أشرَقوا على المَلَاك ؛ فانصرفَ ولَدَيْنِ معه من الجُندِ إلى مَرَوْ . وقال عبدُ الرحمن بنُ خَالِدِ بنِ العاصِ بنِ هشامِ بنِ المغيرة يَهْجُو أُمَيَّةَ :

أَلَا أَبْلَغُ أُمَيَّةَ أَنَّ سِيْجَرَی ثَوَابَ الشَّرِّ إِنْ لَهُ ثَوَابَا
وَمَنْ يَنْظُرُ عِتَابَكَ أَوْ يُرِدُّهُ فَلَسْتُ بِنَاطِرِ مَنْكَ الْعِتَابَا

محا المعروف منك خلال سنة منحت صنيعة باباً فباباً
ومن ممالك إذ قسم الأسامي أمية إذ ولدت فقد أصابا

قال أبو جعفر : حجج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان ، وهو أمير على
المدينة ، وكان على الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف ، وعلى خراسان أمية
ابن عبد الله بن خالد بن أسيد . ١٠٣٢/٢

وحدثني أحمد بن ثابت ، عن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن
أبي معشر ، قال : حج أبان بن عثمان وهو على المدينة بالناس حجتين سنة
ست وسبعين سنة سبع وسبعين .

وقد قيل : إن هلاك شبيب كان في سنة ثمان وسبعين ، وكذلك قيل في
هلاك قطري وعبيدة بن هلال وعبد ربه (١) الكبير .

* * *

وغزاً في هذه السنة الصائفة الوليد .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

ذكر الخبر عن الكائن في هذه السنة من الأحداث الجليلة
فمن ذلك عزّلُ عبد الملك بن مروان أمية بن عبد الله عن خُرَاسان
وضمّه خُرَاسان وسجستان إلى الحجاج بن يوسف . فلما ضمّ ذلك إليه فرق
فيه عماله ^(١) .

• • •

ذكر الخبر عن العمال اللذين ولّاهم الحجاج خُرَاسان وسجستان

وذكر السبب في توليته من ولّاه ذلك وشيئاً منه

ذكر أن الحجاج لما فرغ من شبيب ومطرف شخّص من الكوفة إلى
البصرة ، واستخلف على الكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل - وقد
 قيل : إنه استخلف عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي ، ثم عزّله ،
 وجعل مكانه المغيرة بن عبد الله - فقدم عليه المهلب بها ، وقد فرغ من ١٠٣٣/٢
 [أمر] ^(٢) الأزارقة .

فقال هشام : حدثني أبو ميخنف عن أبي المخارق الراسبي ، أن
 المهلب بن أبي صفرة لما فرغ من الأزارقة قدّم على الحجاج - وذلك سنة
 ثمان وسبعين - فأجلسه معه ، ودعا بأصحاب البلاء من أصحاب المهلب ،
 فأخذ الحجاج لا يترك له المهلب رجلاً من أصحابه ببلاء حسن إلا
 صدقة الحجاج بذلك ، فحملتهم الحجاج وأحسن عطاياهم ، وزاد في
 أعطياتهم ، ثم قال : هؤلاء أصحاب الفِعال ، وأحقّ بالأموال ، هؤلاء
 حماة الثغور ، وغيظ الأعداء .

قال هشام عن أبي ميخنف : قال يونس بن أبي إسحاق : وقد كان
 الحجاج ولي المهلب سجستان مع خُرَاسان ، فقال له المهلب : ألا أدلك على
 رجل هو أعلم بسجستان مني ، وقد كان ولي كابل وزابل ، وجبّاهم

(١) « عماله فيها » . (٢) من أ -

وقَاتَلَهُمْ وَصَالَحَهُمْ ؟ قال له : بلى ، فن هو ؟ قال عبيد الله بن أبي بَكْرَةَ .
ثم إنه بعث المهلب على خُرَّاسان وعبيد الله بن أبي بَكْرَةَ على سِجِسْتان ،
وكان العامل هناك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ،
وكان عاملاً لعبد الملك بن مَرْوَانَ ، لم يكن للحجاج شيء من أمره حين بعث
على العراق حتى كانت تلك السنة ، فعزله عبد الملك وجمع سلطانه للحجاج ،
ففضى المهلب إلى خُرَّاسانَ ، وعبيد الله بن أبي بكرة إلى سِجِسْتان ، فكث
عبيد الله بن أبي بَكْرَةَ بقية سنته .

فهذه رواية أبي مَخْنَفٍ عن أبي الخارق ، وأما علي بن محمد فإنه ذكر
عن الفضل بن محمد أن خُرَّاسان وسِجِسْتانَ جُمِعَتَا للحجاج مع العراق في ١٠٢٤/٧
أول سنة ثمان وسبعين بعد ما قتل الخوارج ، فاستعمل عبيد الله بن أبي بَكْرَةَ
على خراسان ، والمهلب بن أبي صفرة على سِجِسْتان ، فكره المهلب سِجِسْتان ،
فلحق عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العبَّشِيُّ — وكان على شُرطة الحجاج —
فقال : إن الأمير ولأخي سِجِسْتان ، وولي ابن أبي بَكْرَةَ خُرَّاسان ، وأنا
أعرف بخراسانَ منه ، قد عرفتها أيام الحَكَم بن عمرو الغِفَارِيُّ ، وابن
أبي بَكْرَةَ أقوى على سِجِسْتانَ مِنِّي ، فكلَّم الأميرَ يَحْمُولِي إلى خُرَّاسان ، وابن
أبي بَكْرَةَ إلى سِجِسْتانَ ؛ قال : نعم ، وكلَّم زاذانَ فَرَوْخَ يَعْنِي ، فكلَّمه ،
فقال : نعم ، فقال عبد الرحمن بن عبيد للحجاج : وليت المهلب سِجِسْتان
وابن أبي بَكْرَةَ أقوى عليها منه ، فقال زاذان فَرَوْخَ : صدق ، قال : إنا
قد كئينا عهدَه ؛ قال زاذان فروخ : ما أهْوَنَ تحويلَ عهدِه ! فحوك ابن
أبي بكرة إلى سِجِسْتانَ ، والمهلب إلى خُرَّاسان ، وأخذ المهلب بألف ألف
من خراج الأهواز ، وكان ولأهه خالد بن عبد الله ، فقال المهلب لابنه
الغيرة : إن خالدًا ولأخي الأهواز ، وولأك إصطخر ، وقد أخذني الحجاج
بألف ألف ، فنصف عليّ ونصف عليك ، ولم يكن عند المهلب مالٌ ، كان
إذا عزل استقرض ، قال : فكلَّم أبا ماويةَ مولى عبد الله بن عامر — وكان
أبو ماويةَ على بيت مال عبد الله بن عامر — فأسلف المهلب ثلثمائة ألف ^(١) ،

قالت خَيْرَةُ القُشَيْرِيَّةُ امرأة المهلب: هذا لا ين^(١) بما عليك ، فباعته حُلْبًا لها ومتاعًا ، فأكمل خمسمائة ألف ، وحمل المغيرة إلى أبيه خمسمائة ألف^(٢) ، فحملها إلى الحجاج ، ووجه المهلب ابنه حبيبًا على مقدّمته ، فأتى الحجاج فودّعه ، فأمر الحجاج له بعشرة آلاف وبغلة خضراء ، قال : فسار حبيب على تلك البغلة حتى قدّم خُرَاسَانَ هو وأصحابه على البريد ، فسار عشرين يومًا ، فتلقاهم حين دخلوا حمل حطب ، فنفرت البغلة فتعجبوا منها ومن نفاهاها بعد ذلك التعب وشدة السير . فلم يعرض لأمية ولا لعماله ، وأقام عشرة أشهر حتى قدم عليه المهلب سنة تسع وسبعين .

* * *

وَجَّحَ بالناس في هذه السنة الوليدُ بنُ عبد الملك ، حدثني بذلك أحمدُ ابنُ ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكان أمير المدينة في هذه السنة أبانُ بنُ عثمان ، وأمير الكوفة والبصرة وخُرَاسان وسجستان وكرمان الحجاجُ بنُ يوسف ، وخليفته بخُرَاسان المهلبُ ، وسجستان عبيد الله ابنُ أبي بكر ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة — فيا قيل — موسى بن أنس .

* * *

وأغزى عبد الملك في هذه السنة يحيى بن الحكم .

(٢) ب ، ف : ألف ألف .

(١) ب ، ف : لا ين .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

فمن ذلك ما أصاب أهل الشام في هذه السنة من الطاعون حتى كادوا
يَفْتَنُونَ من شدته ، فلم يَغْزُ في تلك السنة أحدٌ - فَيَا قِيل - للطاعون الذي
كان بها ، وكثرة الموت .

وفيها - فَيَا قِيل - : أصابت الرومُ أهل أنطاكية .

* * *

[ذكر الخبر عن غزو عبيد الله بن أبي بكره رُئَيْبِيل]

وفيها غزا عبيد الله بن أبي بكره رُئَيْبِيل .

ذكر الخبر عن غزوته إِيَّاه :

قال هشام : حدثني أبو مِخْنَف ، عن أبي المُخَارِق الراسبي ، قال :
لما وَلَّى الحِجَّاجُ المَهْلَبَ خُرَّاسَانَ ، وعبيد الله بن أبي بكره سِجِسْتَانَ ، مضى
المَهْلَبُ إلى خُرَّاسَانَ وعبيد الله بن أبي بكره إلى سِجِسْتَانَ ، وذلك في سنة
ثمان وسبعين ، فكث عبيد الله بن أبي بكره بقيّة سنته . ثمّ إنه غزا رُئَيْبِيلَ
وقد كان مصالِحًا ، وقد ^(١) كانت العرب قبل ذلك تأخذ منه خِراجًا ، وربما
امتنع فلم يفعل ، فبعث الحِجَّاجُ إلى عبيد الله بن أبي بكره أنْ ناجِزَه بمن
ملك من المسلمين فلا ترجع حتى تستبيح أرضه ، وتهدم قلاعَه ، وتقتل
مقاتلته ، وتسبي ذريته . فخرج بمن معه من المسلمين من أهل الكوفة وأهل
البصرة ، وكان على أهل الكوفة شُرَيْح بن هانئ الحارثي ثمّ الضُّبَّايي ، وكان
من أصحاب عليّ ، وكان عبيد الله على أهل البصرة ، وهو أمير الجماعة ،
فضى حتى وَعَلَ في بلاد رُئَيْبِيل ، فأصاب من البقر والغنم والأموال ما شاء
وهدم قِلاعًا وحُصُونًا ، وغلب على أرض من أرضهم كثيرة ، وأصحاب ^(٢)
رُئَيْبِيل من الترك يخلون لهم عن أرض بعد أرض ، حتى أمعنوا في بلادهم

(١) ماقلة من أ . (٢) ب ، ف : « وأصاب » .

ودنوا من مدينتهم ، وكانوا منها ثمانية عشر فرسخا ، فأخطوا على المسلمين العقاب والشعاب ، وخلعوا والرساتيق ، فسقط في أيدي المسلمين ، وظنوا أن قد هلكوا ، فبعث ابن أبي بكره إلى شريح بن هانئ : إني مصالح القوم على أن أعطيهم مالا ، ويخلوا بيني وبين الخروج ، فأرسل إليهم فصالحهم على سبعمائة ألف درهم ، فلقبه شريح فقال : إنك لا تصالح على شيء إلا حسيبه السلطان عليكم في أعطياتكم ، قال : لو منعتنا العطاء ما حيينا كان أهون علينا من هلاكنا ، قال شريح : والله لقد بلغت سينا ، وقد هلكت لداقي ، ما تأتي على ساعة من ليل أو نهار فأظنها تمضي حتى أموت ، ولقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان ، ولئن فاتتني اليوم ما لإخالي مدركها حتى أموت ، وقال : يا أهل الإسلام ، تعاونوا على عدوكم ، فقال له ابن أبي بكره : إنك شيخ قد خرفت ، فقال شريح : إنما حسبك أن يقال : بستان ابن أبي بكره وحمام ابن أبي بكره ، يا أهل الإسلام ، من أراد منكم الشهادة فلي . فاتبه ناس من المتطوعة غير كثير ، وفرسان الناس وأهل الحفاظ ، فقاتلوا حتى أصيبوا إلا قليلا ، فجعل شريح يرنجز يومئذ ويقول :

أصبحتُ ذا بَثٍّ أَقاسى الكِبراً قد عِشتُ بينَ المُشركينَ أَعْصراً
ثَمْتُ أَدرِكتُ النَبِيَّ المُنِيرَ وبعدهَ صِدِّيقَهُ وعُمَرَ
ويومَ مِهْرانَ ويومَ تُستَمِرَّ والجمَعَ في صِفِّينِهِم والنَّهْرَ
وباجِئِرَاتٍ مع المَشْقَرِا هِياتَ ما أطولَ هذا عُمُرَا
فقاتلَ حتى قُتِلَ في ناسٍ من أَصحابِهِ ، ونجا من نِجاء ، فخرجوا من بلاد رُئيْلَ حتى خرجوا منها ، فاستقبلَهم منَ خرجوا إليهم من المسلمين بالأطعمة . فإذا أَكلَ أَحَدُهم وشَبِعَ مات ، فلما رَأى ذلكَ الناسُ حَذِرُوا يطمعونَهم ، ثم جعلوا يطمعونهم السَّمَنَ قليلا قليلا ، حتى استمروا . وبلغ ذلكَ الحِجاجَ ، فأخذَهُ ما تَقَدَّمَ وما تَأَخَّرَ ، وبلغَ ذلكَ منه كلَّ مِبلغَ ، وكتب إلى عبد الملك :

أما بعد ، فإنَّ جُنْدَ أمير المؤمنين الذين بسجستان أصيبوا فلم

يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلَ ، وَقَدْ اجْتَرَأَ الْعُلُوّ بِالَّذِي أَصَابَهُ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ
فَدَخَلُوا بِلَادَهُمْ ، وَغَلَبُوا عَلَى حَصُونِهِمْ وَقُصُورِهِمْ ، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَوْجِهَ إِلَيْهِمْ
جَنْدًا كَثِيفًا مِنْ أَهْلِ الْمِصْرَيْنِ ، فَأُحْيِيَتْ أَنْ أُسْتَطْلَعَ رَأْيَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي
ذَلِكَ ، فَإِنْ رَأَى لِي بَعَثَهُ ذَلِكَ الْجَنْدَ أَمْضِيئُهُ ، وَإِنْ لَمْ يَرَ ذَلِكَ فَإِنْ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلَى بِجَنْدِهِ ، مَعَ أَتَى أَنْتَخَوْفُ إِنْ لَمْ يَأْتِ رُثَيْلٌ وَمِنْ مَعَهُ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ جَنْدٌ كَثِيفٌ عَاجِلًا أَنْ يَسْتَوْلُوا عَلَى ذَلِكَ الْفَرَجِ كُلَّهُ . ١٠٣٩/٢

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَدِمَ الْمُهَلَّبُ خُرَّاسَانَ أَمِيرًا ، وَانصَرَفَ عَنْهَا أُمِيَّةُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ ، وَقِيلَ اسْتَضَى شُرَيْحَ الْقَاضِي مِنَ الْقَضَاءِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَأَشَارَ
بِأَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، فَأَخْفَاهُ الْحِجَّاجُ وَوَلَّى أَبَا بُرْدَةَ .

* * *

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ - فِيمَا حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ نُثَائِتٍ عَنْ ذِكْرِهِ ، عَنْ
إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ - أَبَانَ بْنُ عَثْمَانَ ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْوَاقِدِيُّ
وغيرُهُ مِنْ أَهْلِ السِّيَرِ .

وَكَانَ أَبَانَ هَذِهِ السَّنَةِ أَمِيرًا عَلَى الْمَدِينَةِ مِنْ قِبَلِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ
وَعَلَى الْعِرَاقِ وَالْمَشْرِقِ كُلِّهِ الْحِجَّاجُ بْنُ يُوْسُفَ .

وَكَانَ عَلَى خُرَّاسَانَ الْمُهَلَّبُ مِنْ قِبَلِ الْحِجَّاجِ .

وَقِيلَ : إِنَّ الْمُهَلَّبَ كَانَ عَلَى حَرْبِهَا ، وَابْنَةُ الْغُبَرَةِ عَلَى خِرَاجِهَا ، وَعَلَى
قَضَاءِ الْكُوفَةِ أَبُو بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى ، وَعَلَى قَضَاءِ الْبَصْرَةِ مُوسَى بْنُ أَنَسٍ (١) .

ثم دخلت سنة ثمانين

ذكر الأحداث الجليلة التي كانت في هذه السنة

«^(١) وفي هذه السنة جاء - فيها حدثت عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر الواقدي - سيل بمكة ذهب بالحُجَّاج ، ففترقت بيوت مكة فسمى ذلك العامُ عامَ الجُحُاف ، لأنَّ ذلك السيل جَحَفَ كلَّ شيءٍ مرَّ به .

قال محمد بن عمر : حدثني محمد بن رفاعه بن ثعلبة ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : جاء السيلُ حتى ذهب بالحُجَّاج يَبْطِن مكة ، فسمى لذلك عامَ الجُحُاف ، ولقد رأيتُ الإبل عليها الحمولة والرجال والنساء تَمَرُّ بهم مالأحد فيهم حيلة ، ولما لَأَتَظَرَّ إلى الماء قد بلغ الركنَ وجاوزَه .

وفي هذه السنة كان بالبصرة طاعونُ الجارف ، فماتَ زعمُ الواقدي .

[ذكر خيبر غزو المهلب ما وراء النهر]

وفي هذه السنة قطع المهلب نهرَ بَلَخَ فتزل على كَيْسَ ، فذكر على بنُ محمد ، عن المفضل بن محمد وغيره أنه كان على مقدِّمة المهلب حين نزل على كَيْسَ أبو الأدهم زيادُ بنُ عمرو الزَّمَانِيَّ في ثلاثة آلاف وهم خمسة آلاف إلا أنَّ أبا الأدهم كان يُغْنِي غَنَاءَ الْفَتَيْنِ في البأس والتدبير والتصبُّح . قال : فأقَى المهلب وهو نازل على كَيْسَ ابنُ عمِّ ملك الخُتَلِّ ، فدعاه إلى غزو الخُتَلِّ ، فوجه معه ابنه يزيد ، فتزل في عسكره ، ونزل ابن عمِّ الملك - وكان الملك يومئذ اسمه السَّبِيلُ ^(٢) - في عسكره على ناحية ، فبيَّت السَّبِيلُ ابن عمه ، فكبر في عسكره ، فظن ابن عمِّ السَّبِيلُ أنَّ العرب قد غَدَرُوا به ، وأنهم خافوه . على الغدر حين اعتزل عسكرهم ، فأمره السَّبِيلُ ، فأقَى به قلعته فقتله . قال : فأطاف يزيدُ بنُ المهلب بقلعة السَّبِيلُ ، فصالحوه على فدية حَمَكُوها إليه ، ورجع ^(٣) إلى المهلب فأرسلت أمُّ الذي قتل السبيل إلى أمِّ السبيل : كيف ترجين

(١-١) ب ، ف : « فتيها » . وقيلها في : « قال أبو جعفر » .

(٢) ط : « كس » ، سوابه من : (٣) ابن الأثير : « دجج » .

بقاء السبيل بعد قتل ابن عمه ، وله سبعة إخوة قد وتَّرهَم ! وأتت أمّ واحد فأرسلت إليها : إن الأسدَ تَقِلَّ أولادُها ، والخنازير كثير أولادها .

ووجه المهلب ابنه حبيباً إلى رَيْنَجَن^(١) فوافى صاحب بخارى في أربعين ألفاً ، فدعا رجلٌ من المشركين إلى المبارزة ، فبرز له جبيلة غلام حبيب ، فقتل المشرك ، وحمل على جمعهم ، فقتل منهم ثلاثة نفر ، ثم رجع ورجع المسكر ، ورجع العدو إلى بلادهم ، ونزلت جماعة من العدو قرية ، فسار إليهم حبيب في أربعة آلاف ، فقاتلهم فظفر بهم ، فأحرقها ، ورجع إلى أبيه فسميت المحترقة . ويقال إن الذي أحرقها جبيلة غلام حبيب .

قال : فكث المهلب ستين مقيماً بكس ، فقيل له : لو تقدّمت إلى السغد وما وراء ذلك ! قال : ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذه الجند ، حتى يرجعوا إلى مرو ساليين .

قال : وخرج رجلٌ من العدو يوماً ، فسأله البراز ، فبرز إليه هريم بن عدى ، أبو خالد بن هريم وعليه عمامة قد شدّها فوق البيضة ، فانتهى إلى جدّك ، فجاوكته المشرك ساعة فقتله هريم وأخذ سكبّه ، فلامه المهلب ، وقال : لو أصبت ثم أمددت بألف فارس ما عذ لك عندى ، واتهم المهلب وهو بكس قومًا من مضر فحبسهم بها ، فلما قفل وصار صلح خلاهم ، فكتب إليه الحجاج : إن كنت أصبت بحبسهم فقد أخطأت في تخليتهم ، وإن كنت أصبت بتخليتهم فقد ظلمتهم إذ حبستهم . فقال المهلب : خفتهم فحبستهم ، فلما أمنت تخليتهم .

وكان فيمن حبس عبد الملك بن أبى شيخ القشيري . ثم صالح المهلب أهل كِس على قدية ، فأقام ليقبضها ، وأتاه كتاب ابن الأشعث بخلع الحجاج ويدعوه إلى مساعدته على خلعها ، فبعث بكتاب ابن الأشعث إلى الحجاج .

[تسيير الجنود مع ابن الأشعث لحرب رُتَيْيل]

وفي هذه السنة وجه الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى سِجِسْتَان لحرب رُتَيْيل صاحب الترك ؛ وقد اختلف أهل السير في سبب

توجيهه إياه إليها، وأين كان عبد الرحمن يوم ولّاه الحجاج سجستان وحرب
رُئييل، فأما يونس بن أبي إسحاق - فها حدث هشام، عن أبي مخنف
عنه فإنه ذكر أن عبد الملك لما ورد عليه كتاب الحجاج بن يوسف بخبر الجيش
الذي كان مع عبيد الله بن أبي بكر في بلاد رُئييل وما لقوا بها كتب إليه :

أما بعد ، فقد أتاني كتابك تذكر فيه مصاب المسلمين بسجستان ،
وأولئك قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مصاصيهم ، وعلى الله ثوابهم .
وأما ما أردت أن يأتيك فيه رأي من توجيه الجنود وإمضاها إلى (١) ذلك الفرج
الذي أصيب فيه المسلمون أو كفتها ، فإن رأيي في ذلك أن تُمضي رأيك
واشداً موقفاً .

وكان الحجاج وليس بالعراق رجل أبغض إليه من عبد الرحمن بن محمد
ابن الأشعث ، وكان يقول : ما رأيته قط إلا أردت قطه .

قال أبو مخنف : فحدثني نمير بن وعلة الممداني ، ثم اليناعي ،
عن الشعبي ، قال : كنت عند الحجاج جالساً حين دخل عليه عبد الرحمن بن
محمد بن الأشعث ، فلما رآه الحجاج قال : انظر إلى مشيته ، والله لعميت
أن أضرب عنقه . قال : فلما خرج عبد الرحمن خرجت فسبقته وانتظرت على
باب سعيد بن قيس السبيعي ، فلما انتهى إلى قلت : ادخل بنا الباب ،
إني أريد أن أحدثك حديثاً هو عندك بأمانة الله أن تذكره ما عاش الحجاج .
فقال : نعم ، فأخبرته بمقالة الحجاج له ؛ فقال : وأنا كما زعم الحجاج إن لم
أحاول أن أزيله عن سلطانه ، فأجهد الجهد إذ طال بي وبه بقاء .

ثم إن الحجاج أخذ في جهاز عشرين ألف رجل من أهل الكوفة ،
وعشرين ألف رجل من أهل البصرة ، وحدث في ذلك وشمّر ، وأعطى الناس
أعطياتهم كملاً (٢) ، وأخذهم بالخيول الروائع ، والسلاح الكامل ، وأخذ في
عرض الناس ، ولا يرى رجلاً تذكر منه شجاعة إلا أحسن معونته ، فرأى
عبيد الله بن أبي مخنف الثقفي على عباد بن الحصين الحبطي ، وهو مع
الحجاج يريد عبد الرحمن بن أم الحكيم الثقفي ، وهو يعرض الناس ، فقال

(١) : « في ذلك الفرج » . . (٢) : يقال : أصلاه المال كلا ، أي كماله .

عباد: ما رأيتُ فرساً أروعَ ولا أحسنَ من هذا^(١) ، وإنَّ الفرسَ قوَّةُ سلاحٍ وإنَّ هذه البغلةَ عكسُ نداءٍ ، فزاده الحجاجُ خمسينَ وخمسمائةَ درهمٍ ، ومَرَّ به عطيةُ العنبريُّ ، فقال له الحجاجُ ؛ يا عبدَ الرحمنَ ، أحسنَ إلى هذا . فلما استنقَبَ له أمرُ ذَيْنِكَ الجندَيْنِ ، بعثَ الحجاجُ عطارِدَ بنَ عمرَ التميميَّ فمَسَكَرَ بالأهوازَ ، ثمَّ بعثَ عبيدَ اللهَ بنَ حَجَرِ بنِ ذِي الجوشنِ العامريَّ من بَنِي كلاب . ثمَّ بدا له ، فبعثَ عليهم عبدَ الرحمنَ بنَ محمدَ بنَ الأشعثِ وعزلَ عبيدَ اللهَ بنَ حجرٍ ، فأثَى الحجاجُ عمه إسماعيلَ بنَ الأشعثِ ، فقال له : لا تبعثه فإني أخافُ خلافَه ، واللهِ ما جازَ جِسرَ القراتِ قطَّ فرأى لوالٍ من الولاةِ عليه طاعةٌ وسلطاناً . فقال الحجاجُ : ليس هناك ، هوأى أهيبُ وفي أرغَبٍ من أن يخالِفَ أمرى ، أو يخرجَ من طاعتي ؛ فأمضاه على ذلك الجليشَ ، فخرجَ بهم حتى قدمَ سِجِسْتانَ سنة ثمانينَ ؛ فجمعَ أهلها حينَ قَدِمَها .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الزبير الأرحبيُّ - رجلٌ من همدانٍ كان معه - أنه صعدَ منبرَها فحمدَ اللهَ وأثنىَ عليه ثمَّ قال : أيها الناسَ ، إنَّ الأميرَ الحجاجَ ولأني ثغرُكم ، وأمرَني بجِهَادٍ عدوكم الذي استباحَ بلادكم وأبادَ خياركم ، فلما كنتم أن يتخلفَ منكم رجلٌ فيُحِلَّ بنفسه العقوبةَ ، اخرجوا إلى معسكركم فمَسَكِرُوا به مع الناسَ . فمَسَكَرَ الناسُ كلَّهم في معسكرهم ووَضِعَت لهم الأسواقُ ، وأخذَ الناسُ بالجهازِ والهيئةِ بآلةِ الحربِ ، فبلغَ ذلك رُتَيْيلَ ، فكَتَبَ إلى عبدِ الرحمنَ بنِ محمدٍ يحثُّه إليه من مُصابِ المسلمينَ ويخبره أنه كانَ لذلك كارهاً ، وأنهم أَلجَئوه إلى قتالهم ، ويسأله الصلحَ ويترَضُّ عليه أن يقبلَ منه الخراجَ ، فلم يُجِبْه ، ولم يقبلَ منه . ولم يَنْشَبِ عبدُ الرحمنَ أن سارَ في الجندِ إليه حتى دخلَ أوَّلَ بلاده ، وأُخْذِلَ رُتَيْيلَ يضمُّ إليه جندَه ، ويدعُ له الأرضَ رُسْتاقاً رُسْتاقاً ، وحصناً حصناً ، وطفنًى ابنَ الأشعثِ كلما حوى بِلَدًا بعثَ إليه عاملاً ، وبعثَ معه أعواناً ، ووضعَ

١٠٤٥/٢

(١) : « من ذا » .

(٢) الملحة : التليقة .

الْبُرْدَ فَيَا بَيْنَ كُلِّ بَلَدٍ وَبَلَدٍ ، وَجَعَلَ الْأَرْصَادَ عَلَى الْعِقَابِ وَالشَّعَابِ ، وَوَضَعَ الْمَسَالِحَ بِكُلِّ مَكَانٍ خَوْفٍ ، حَتَّى إِذَا جَازَ مِنْ أَرْضِهِ أَرْضًا عَظِيمَةً ، وَمَلَأَ يَدَيْهِ مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْعِثَامِ الْعَظِيمَةِ ، حَسِبَ النَّاسُ عَنْ الْوُغُولِ فِي أَرْضِ رُثَيْلٍ وَقَالَ : نَكُنْفِي بِمَا أَصْبَنَاهُ الْعَامَ مِنْ بِلَادِهِمْ حَتَّى نَجْبِيَهَا وَنُغْرِقَهَا ، وَتَجْتَرِي الْمُسْلِمُونَ عَلَى طَرَفِهَا ، ثُمَّ تَتَمَاطَى فِي الْعَامِ الْمَقْبِلِ مَا وَرَاءَهَا ، ثُمَّ لَمْ تَزَلْ تَنْتَقِصُهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ طَائِفَةٌ مِنْ أَرْضِهِمْ حَتَّى تَقَاتِلَهُمْ آخِرَ ذَلِكَ عَلَى كَنْزِهِمْ وَذَوَارِيهِمْ ، وَفِي أَقْصَى بِلَادِهِمْ ، وَمَتَنَنْتَ حَصُونَهُمْ ، ثُمَّ لَا تَزَالُ بِلَادَهُمْ حَتَّى يَهْلِكَهُمْ اللَّهُ . ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الْحِجَّاجِ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِ الْعَدُوِّ ، وَبِمَا صَنَعَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَبِهَذَا الرَّأْيِ الَّذِي رَأَاهُ لَهُمْ .

وَأَمَّا غَيْرُ يُونُسَ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ مِنْ ذَكَرَتِ الرَّوَايَةُ عَنْهُ فِي أَمْرِ ابْنِ الْأَشْعَثِ فَإِنَّهُ قَالَ فِي سَبَبِ وِلَايَةِ سِجِسْتَانَ وَسَبَبِهِ إِلَى بِلَادِ رُثَيْلٍ غَيْرَ الَّذِي رَوِيَ عَنْ أَبِي مِخْنَفٍ ، وَزَعَمَ أَنَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ كَانَ أَنَّ الْحِجَّاجَ وَجَّهَ هِمِيَانَ بْنَ عَدِيِّ السَّدُوسِيِّ إِلَى كِرْمَانَ ، مَسْلُوحًا لَهَا لِيَمْدَ عَامِلَ سِجِسْتَانَ وَالسُّنْدَانَ احْتِجَاجًا إِلَى مَدَدٍ ، فَعَصَى هِمِيَانُ وَمِنْ مَعِهِ ، فَوَجَّهَ الْحِجَّاجُ ابْنَ الْأَشْعَثِ فِي مَحَارِبِهِ ، فَهَزَمَهُ ، وَأَقَامَ بِمَوْضِعِهِ .

وَمَاتَ عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ ، وَكَانَ عَامِلًا عَلَى سِجِسْتَانَ ، فَكَتَبَ الْحِجَّاجُ عَهْدَ ابْنِ الْأَشْعَثِ عَلَيْهَا ، وَجَهَّزَ إِلَيْهَا جَيْشًا أَتَفَقَ عَلَيْهِمْ أَلْفَى أَلْفَ سَوِيٍّ أَعْطَاهُمُ ، كَانَ يُدْعَى جَيْشَ الطَّلَاوِيسِ ، وَأَمَرَهُ بِالْإِقْدَامِ عَلَى رُثَيْلٍ .

وَحِجَّ النَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ ، كَذَلِكَ حَدَّثَنِي أَجْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ ، عَنْ ذِكْرِهِ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ أَبِي مُعْشَرٍ ، وَكَذَلِكَ قَالَ ١٠٤٧/٢ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الَّذِي حِجَّ النَّاسُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَلْيَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ . وَكَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ ، وَعَلَى الْعِرَاقِ وَالْمَشْرِقِ كُلِّهِ

الحجاجُ بن يوسف ، وعلى خراسانَ المهلبُ بنُ أبي صفرة من قبيل الحجاج ،
وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس .

* * *

وأغزى عبدُ الملك في هذه السنة ابنه الوليد .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث .

ففي هذه السنة كان فتح قاليقلا ، حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا علي بن محمد ، قال : أغزى عبد الملك سنة إحدى وثمانين ابنه عبيد الله بن عبد الملك ، ففتح قاليقلا .

[ذكر الخبر عن مقتل بجير بن ورقاء بخراسان]

وفي هذه السنة قُتل بجير بن ورقاء الصرمي بخراسان .

ذكر الخبر عن مقتله :

وكان سبب قتله أن بجيراً كان هو الذي تولى قتل بكير بن وشاح أمير أمية بن عبد الله إياه بذلك ، فقال عثمان بن رجاء بن جابر بن شداد أحد بني عوف بن سعد من الأبناء بحضرة رجلا من الأبناء من آل بكير بالوتر : لعمرى لقد أغضبت عينا على القذى وبت بطينا من رجيح مروي وخليت ثارا طلل واخترت نومة ومن شرب الصهباء بالوتر يسبق^(١) فلو كنت من عوف بن سعد ذواية تركت بجيرا في دم مترقري^(٢) فقل لبجير نعم ولا تخش ثائرا بعوف فعوف أهل شاة حبلقي^(٣) دع الضان يوما قد سبقتم بوتركم وصرتم حليشا بين غرب ومشرق ومهتوا فلو أمسى بكير كنهديه صحيحا لغاداهم بجأواه فيلق^(٤) وقال أيضا :

فلو كان بكر بارزا في أداتيه وذى العرش لم يقدم عليه بجير

(١) ابن الأثير : « ومن يشرب » . (٢) الحليقي : صغار الغنم .

(٣) في الحان : « كنية جأواه : بيتة الحاني ، وهي التي يملؤها لون السواد لكثرة الدروع » .

ففي الدهران أَبَقَانِي الدَّهْرُ مَطْلَبٌ وفي الله طَلَابٌ بِذَلِكَ جَلِيلٌ
ويبلغ بحيراً أَنَّ الأبناء يتوعدونه ، فقال :

تَوَعَّدَنِي الأَبْنَاءُ جَهْلًا كَأَنَّمَا يَرُونَ فِتْنَانِي مُقْفِرًا من بني كعب
رَفَعْتُ لَهُ كَفًى بَحْدَ مُهَنْدٍ ^(١) حُسَامٍ كُلُونِ المِلْحَ ذِي رَوْنَقٍ عَضْبٍ ^(٢)

فلذكر علي بن محمد ، عن المفضل بن محمد ، أَنَّ سبعة عشر رجلاً من
١٠٤٩/٢ بني عوف بن كعب بن سعد تَعَاقَدُوا على الطلب بدم بكير ، فخرج فتى
منهم يقال له الشمر دُل من البادية حتى قدِم خُرَّاسان ، فنظر إلى بحير
واقفاً ، فشدَّ عليه فطمنه فصرَّعه ، فظن أَنه قد قتله ، وقال الناس : خارجي ،
فراكَضَهُمْ ، فعثر فرسه فنكر عنه فقتل .

ثم خرج صَعَصعة بن حُرْبِ السَّوْقِيَّ ثَمَّ أَحَدُ بني جُنْدُب ، من البادية
وقد باع غَنَيمَاتٍ له ، واشترى حملاً ، ووضي إلى سَجِسْتَانٍ فجاور
قَرَابَةً لِبَحِيرٍ هناك ولاطَقَهُمْ ، وقال : أَنَا رجل من بني حنيفة من أهل
اليامة ، فلم يَزَلْ يَأْتِيهِمْ وَيُجَالِسُهُمْ حتى أَنَسُوا به ، فقال لهم : إِنِّي بخُرَّاسان
مِيراً قد غَلَبْتُ عليه ، وبلغني أَنَّ بحيراً عَظِيمُ القُدْرَةِ بخُرَّاسان ، فاكتبوا
لي إليه كتاباً يُعِينُنِي على طلب حتى ، فكتبوا إليه ، فخرج فقَدِمَ مَرَّوً
والمهلب غاز . قال : فلقى قوماً من بني عوف ، فأخبرهم أمره ، فقام ^(٣) إليه
مولي لبكير صَيَّقِل ^(٤) ، فقبل رأسه ، فقال له صَعَصعة : اتخذ لي خنجرًا ، فعمل له
خنجرًا وأحماء وغمسه في لبَنِ أَثَانٍ مِيراً ، ثم شَخَصَ من مَرَّوً فقطع النهر
حتى أتى عسكر المهلب وهو يأخرون يومئذ ، فلقى بحيراً بالكتاب ، وقال :
١٠٥٠/٢ إِنِّي رجل من بني حنيفة ، كنتُ من أصحاب ابن أبي بكر ، وقد ذهب
مالي بسَجِسْتَانٍ ، ولي ميراثٌ بمَرَّوً ، فقدِمتُ لأبيعه ، وأرجع إلى اليامة .
قال : فأمر له بنقصة وأنزله معه ، وقال له : استعن بي على ما أحببت ،
قال : أَقيمُ عندك حتى يقفل الناسُ ، فأقام شهراً أو نحواً من شهر يحضر

(١) ب ، ف : « عَضْبٍ » . (٢) ابن الأثير : « كلون الطلج » .

(٣) ب ، ف : « فاقبل » . (٤) الصقيل : شحاذ السيوف ورجلها .

معه باب المهلب ومجلسه حتى عرف به . قال : وكان بحير يخاف الفتك به ، ولا يأمن أحداً ، فلما قدم صمصعة بكتاب أصحابه قال : هو رجل من بكر بن وائل ، فأمنه ، فجاء يوماً وبحير جالس في مجلس المهلب ، عليه قميص ورداء ونعلان ، فقعده خلفه ، ثم دنا منه ، فأكب عليه كأنه يكلمه ، فوجأه بخنجره في خاصرته ، فغيبه في جوفه ، فقال الناس : خارجي ! ، فنادى : يا ثارات بكير ، أنا ثائر بكير ! فأخذه أبو العجفاء بن أبي الحرقاء ، وهو يومئذ على شرط المهلب ، فأتى به المهلب فقال له : بئس لك ! ما أدركت بثأرك ، وقتلت نفسك ، وما على بحير بأس ، فقال : لقد طعنته لو قُسمت بين الناس لماكثوا ، ولقد وجدت ريح بطنه في يدي ، فحبسه فدخل عليه السجن قوم من الأبناء فقبلوا رأسه . قال : ومات بحير من غدر عند ارتفاع النهار ، فقبل لصمصعة : مات بحير ، فقال : اصنعوا بي الآن ما شئتم ، وما بدا لكم ، أليس قد حلت نذورُ نساء بني عوف ، وأدركت بثأري لا أبالي ما لقيت ، أما والله لقد أمكنني ما صنعتُ خالياً غير مرة ، فكرهت أن أقتله سراً ؛ فقال المهلب : ما رأيت رجلاً أسخى نفساً بالموت صبراً من هذا ، وأمر بقتله أبا سويقة ابن عم لبشير ، فقال له أنس بن طلق : ١٠٥١/٢ ويحك ! قتل بحير فلا تقتلوا هذا ، فأبى وقتله ، فشتمه أنس .

وقال آخرون : بعث به المهلب إلى بحير قبل أن يموت ، فقال له أنس ابن طلق العبسي : يا بحير ، إنك قتلت بكيراً ، فاستحي هذا ، فقال بحير : أدنوه مني ، لا والله لا أموت وأنت حي ، فأدنوه منه ، فوضع رأسه بين رجليه وقال : اصبر عفاق ، إنه شرّ باق ، فقال ابن طلحة لبشير : لعنك الله ! أكلحك فيه وقتله بين يدي قطعنه بحير بسيفه حتى قتله ومات بحير ، فقال المهلب : إنا لله وإنا إليه راجعون ، غزوة أصيب فيها بحير ؛ فنقض عوف بن كعب والأبناء وقالوا : علام قُتل صاحبنا ، وإنا طلب بثأره ! فنازعتهم مقاعس والبطون حتى خاف الناس أن يعظم البأس ، فقال أهل الحجاز : احمِلوا دم صمصعة ، واجعلوا دم بحير بواءً ببكير

فَوَدَّوْا صَعَصَعَةً ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْبَاءِ يَمْدَحُ صَعَصَعَةً :
 اللَّهُ دَرُّ فَتًى تَجَاوَزَ هَمَّهُ دُونَ الْعِرَاقِ مَقَاوِزًا وَيُحَوِّرًا
 مَا زَالَ يَدَّأِبُ نَفْسَهُ وَيَكْدُلُهَا حَتَّى تَنَاقَلَ فِي خُرُونٍ بَحِيرًا
 قَالَ : وَخَرَجَ عِدُّ رَبِّهِ الْكَبِيرُ أَبُو وَكَيْعٍ ، وَهُوَ مِنْ رَهْطِ صَعَصَعَةٍ إِلَى
 الْبَادِيَةِ ، فَقَالَ لِرَهْطِ بَكَّيرٍ : قَتَلِ صَعَصَعَةً بِطَلَبِهِ بِدَمٍ صَاحِبِكُمْ ،
 فَوَدَّوْهُ ، فَأَخَذَ لَصَعَصَعَةٍ دَيْتَيْنِ .

[ذكر الخبر عن خلاف ابن الأشعث على الحجّاج]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة خالف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث
 الحجّاجَ ومَن معه مِن جُنْدِ الْعِرَاقِ ، وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ لِحَرْبِهِ فِي قَوْلِ أَبِي مَخْنَفٍ ،
 وَرَوَاتِهِ لِلْكَانِزِ أَبِي الْمُخَارِقِ الرَّاسِبِيِّ ، وَأَمَّا الْوَاقِدِيُّ فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ
 فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ .

• ذكر الخبر عن السبب الذي دعا عبد الرحمن بن محمد إلى ما فعل
 من ذلك وما كان من صنيعه بعد خلافه الحجّاجَ في هذه السنة :
 قَدْ ذَكَرْنَا فِيهَا مَضَى قَبْلُ مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ فِي بِلَادِ رُثَيْبِيلَ ،
 وَكَتَابَهُ إِلَى الْحَجّاجِ بِمَا كَانَ مِنْهُ ^(١) هُنَاكَ ، وَبِمَا عُرِضَ ^(٢) عَلَيْهِ مِنَ الرَّأْيِ فِيهَا
 يَسْتَقْبَلُ مِنْ أَيَّامِهِ فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ ^(٣) ، وَنَذَكَرَ الْآنَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ فِي سَنَةِ إِحْدَى
 وَثَمَانِينَ فِي رِوَايَةِ أَبِي مَخْنَفٍ ، عَنْ أَبِي الْمُخَارِقِ .

ذَكَرَ هِشَامٌ عَنْ أَبِي مَخْنَفٍ قَالَ : قَالَ أَبُو الْمُخَارِقِ الرَّاسِبِيُّ : كَتَبَ
 الْحَجّاجُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ جَوَابَ كِتَابِهِ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ كِتَابَكَ أَتَانِي ، وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ ، وَكَتَابْتُكَ كِتَابَ
 أَمْرِي بِحَسْبِ الْهَدْيَةِ ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْمَوَادَّةِ ، قَدْ صَانَعُ عَلَوًّا قَلِيلًا ذَلِيلًا ، قَدْ
 أَصَابُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ جُنْدًا كَانَ بِلَاؤُهُمْ حَسَنًا ، وَغَنَائُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ عَظِيمًا .
 لَعَمْرُكَ يَا بَنَ أُمِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؛ إِنَّكَ حَيْثُ تَكُفَّ عَنْ ذَلِكَ الْعِلْوِ يُجْنِدُنِي وَحْدَتِي

١٠٠٢/٢

لسخبي النفس عمن أصيب من المسلمين . إني لم أعدل رأيك الذي زعمت أنك رأيته رأي مكيدة ، ولكني رأيت أنه لم يحملك عليه إلا ضغفك ، والثبات رأيك ، فامضوا أمرك به من الغول في أرضهم ، والهدم لحصونهم ، وقتل مقاتلتهم ، وسبي ذراريهم . ثم أردفه كتاباً فيه :

أما بعد ، فمر من قبلك من المسلمين فليحرثوا وليقيموا ، فإنها دارهم حتى يفتحها الله عليهم . ثم أردفه كتاباً آخر فيه :

أما بعد ، فامضوا أمرك به من الغول في أرضهم ، وإلا فإن إسحاق ابن محمد أخاك أمير الناس ، فضله وما وليته .

فقال حين قرأ كتابه : أنا أحمل ثقل إسحاق ؛ فعرض له ، فقال : لا تفعل ، فقال : ورب هذا - يعني المصحف - لن ذكركه لأحد لا تقتلك . فظن أنه يريد السيف ، فوضع يده على قائم السيف ، ثم دعا الناس إليه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إني لكم ناصح ، ولصالحكم محبوب ، ولكم في كل ما يحيط بكم نفعه ناظر ، وقد كان من رأيي فيما بينكم وبين عدوكم رأي امتشرت فيه ذوى أحلامكم ، وأولى التجربة للحرب^(١) منكم ، فرضوه لكم رأياً ، ورأوه لكم في العاجل والآجل صلاحاً ، وقد كتبت^(٢) إلى أميركم الحجاج ، فجاءني منه كتاب يعجزني ويضعفني ، ويأمرني بتعجيل الغول بكم في أرض العدو ، وهي البلاد التي هلك إخوانكم فيها^(٣) بالأمس ، وإنما أنا رجل منكم أمضى إذا مضى ، وآتي إذا أتيت . فثار إليه الناس فقالوا : لا ، بل نأبئ على عدو الله ، ولا نسمع له ولا نطيع .

قال أبو مخنف : فحدثني مطرف بن عامر بن واثلة الكناني أن أباه كان أول متكلم يومئذ ، وكان شاعراً خطيباً ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أما بعد ، فإن الحجاج والله ما يري بكم إلا ما رأى القاتل الأول إذ قال

(٢) يعفا في ب ، ف : « يملك » .

(١) ب ، ف : « منكم العرب » .

(٣) ب ، ف : « فيها إخوانكم » .

لأخيه : أحمل عبدك على الفرس ، فإن هلك هلك ، وإن نجا فلك . إن الحجاج والله ما يبالي أن يخطر بكم فيصحبكم بلاداً كثيرة الذهب والصبوب^(١) ، فإن ظفرت فغنم أكمل البلاد وحاز المال ، وكان ذلك زيادة في سلطانه ، وإن ظفر عدوكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء الذي لا يبالي عنهم ، ولا يبق عليهم ، اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا عبد الرحمن ، فإنني أشهدكم أنني أول خالع . فنادى الناس من كل جانب ، فعلنا فعلنا ، قد قطعنا عدو الله ، وقام عبد المؤمن بن شبب بن ربيعة التميمي ثانياً - وكان على شرطته حين أقبل - فقال : عباد الله ، إنكم إن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم ، وجمركم تجمير فرعون الجنود ، فإنه بلغني أنه أول من جمر البعوث ، ولن تعابوا الأجرة^(٢) فيما أرى أو يموت أكثركم^(٣) . بايعوا أميركم ، وانصرفوا إلى عدوكم فانفوه عن بلادكم ، فوثب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه ، فقال : تباعون على خلع الحجاج عدو الله وعلى النصرة لي وجهاده معي حتى ينتفبه الله من أرض العراق . فبايعه الناس ، ولم يذكر خلع عبد الملك إذ ذاك بشيء .

١٠٥٥/٢

قال أبو مخنف : حدثني عمر بن ذر القاص أن أباه كان معه هناك ، وأن ابن محمد كان ضربته وجبسه لانقطاعه كان إلى أخيه القاسم بن محمد ، فلما كان من أمره الذي كان من الخلاف دعاه فحكمه وكساه وأعطاه ، فأقبل معه فيمن أقبل ، وكان قاصاً خطيباً .

قال أبو مخنف : حدثني سيف بن بشر العجلي ، عن المختل بن حابس العبدي أن ابن محمد لما أقبل من سجستان أمر على بسب عياض ابن هميان البكري ، من بني سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة ، وعلى زرتنج عبد الله بن عامر التميمي ثم الدارمي ، ثم بعث إلى رتبيل ، فصالحه على أن ابن الأشعث إن ظهر فلا يخرج عليه أبداً ما بقي ، وإن هزم فأزاده أبله عنده .

(١) الذهب : جمع لب ، وهو وجه من الجبل لا يمكن ارتقاؤه ، والصبوب : جمع لمب ، وهو مضيق الولدي . (٢-٢) ب ، ف : « فيما أرى أو يموت أكثرهم » .

قال أبو مِخْنَفٍ : حَدَّثَنِي خُشَيْبَةُ بْنُ الْوَلِيدِ الْعَبْسِيُّ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ لَمَّا خَرَجَ مِنْ سِجِسْتَانَ مَقْبِلًا إِلَى الْعِرَاقِ سَارِيَيْنَ يَدِيهِ الْأَعْمَشِيُّ عَلَى فَرْسٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :

شَطَّطْتُ نَوَى مِنْ دَارُهُ بِالْأَيَّانِ إِيوَانَ كِسْرَى ذِي الْقُرَى وَالرَّيْحَانِ ^(١) ١٠٠٦/٢
 مِنْ عَاشِقٍ أَمَسَى بِزَابُلِسْتَانَ إِنَّ ثَقِيفًا مِنْهُمْ الْكَذَّابَانِ
 كَذَّبُهَا الْمَاضِي وَكَذَابٌ ثَانٍ أَمَكَنَّ رَبِّي مِنْ ثَقِيفٍ هَمْدَانٍ
 يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ يُسَلِّي مَا كَانَ إِنَّا سَمَوْنَا لِلْكَفُورِ الْفَتَّانِ
 حِينَ طَغَى فِي الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِالسَّيِّدِ الْغَطْرِيفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
 سَارَ بِجَمْعٍ كَالدَّبِيِّ مِنْ قَحْطَانَ ^(٢) وَمِنْ مَعَدٍّ قَدْ آتَى أَبْنِ عَدْنَانَ
 بِجَحْفَلٍ جَمٌّ شَدِيدِ الْإِزْنَانِ ^(٣) فَقُلْ لِحَجَّاجٍ وَلَى الشَّيْطَانِ
 بِثُبْتُ لَجَمْعٍ مَلْجِجٍ وَهَمْدَانٍ فَلَانْتَهُمْ سَاقُوهُ كَأْسُ الدَّيْقَانِ

• وَلِحَضَوْهُ بِقُرَى ابْنِ مَرْوَانَ •

قال : وَبَعَثَ عَلَى مَقْدَمَتِهِ عَطِيَّةَ بْنِ عَمْرٍو الْعَنْبَرِيَّ ، وَبَعَثَ الْحَجَّاجَ إِلَيْهِ الْخَلِيلَ ، فَجَعَلَ لَا يَلْقَى خِيَلًا إِلَّا هَزَمَهَا ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقِيلَ لَهُ : عَطِيَّةٌ ، فَذَلِكَ قَوْلُ الْأَعْمَشِيِّ :

فَإِذَا جَعَلَتْ دُرُوبٌ فَارًا رَسَ خَلْفَهُمْ دُرُوبًا فَلَدَرَبًا ^(١)
 فَابْتَعَتْ عَطِيَّةٌ فِي الْخِيُولِ لَ يَكِيَّهُنَّ عَلَيْكَ كِبًا
 ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَقْبَلَ يَسِيرُ بِالنَّاسِ ، فَسَأَلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبْعِيِّ ، وَكَانَ قَدْ كَتَبَهُ فِي أَصْحَابِهِ ، وَكَانَ يَقُولُ : أَنْتَ خَالِي ، فَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَأْتِيهِ فَقَدْ سَأَلَ عَنْكَ ! فَكَرِهَ أَنْ يَأْتِيَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى مَرَّ بِكَرْمَانَ فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ خَمْرَ شَةِ ابْنِ عَمْرٍو التَّمِيمِيِّ ، وَنَزَلَ أَبُو إِسْحَاقَ بِهَا ، فَلَمْ يَخْلُ فِي فَنَّتِهِ حَتَّى كَانَتْ

(١) هُوَ أَمَسَى هَمْدَانَ ، وَانْظُرِ الْأَغَانِي ٦ : ٥٩ ، ٦٠ ، فَهَذَا رَأْيُ غَالِقَةٍ .

(٢) الدَّبِيُّ : الْجَرَادُ ، وَفِي الْأَغَانِي : « كَالْقَطَا » .

(٣) الْإِزْنَانُ : الْفَرْسَانِ وَالْجَلْبَةِ .

الجماحم ، ولما دخل الناس فارس اجتمع الناس بعضهم إلى بعض ، وقالوا :
إنا إذا خطبنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خطبنا عبد الملك ، فاجتمعوا إلى
عبد الرحمن ، فكان أول الناس .

قال أبو مخنف فيما حدثني أبو الصلت التيمي : خلع عبد الملك بن
مروان تيحان بن أبجر من بني تيم الله بن ثعلبة ، فقام فقال : أيها الناس ،
إني خطبت أبا ذبيان^(١) كخطبتي قميصي ، فخلعه الناس إلا قليلا منهم ،
ووثبوا إلى ابن محمد فبايعوه ، وكانت بيعته : ثبايعون على كتاب الله وسنة
نبيه وخلع أئمة الضلالة^(٢) وجهاد الخلفين ، فإذا قالوا : نعم بايع . فلما
بلغ الحجاج خطعه كتب إلى عبد الملك يخبره خبر عبد الرحمن بن محمد بن
الأشعث ، ويسأله أن يعجل بعثة الجنود إليه ، وبعث كتابه إلى عبد الملك
يتمثل في آخره بهذه الأبيات ، وهي للحارث بن وعلّة :

١٠٠٨/٢

سَائِلُ مُجَاوِرٍ جَزِمَ هَلْ جَنَيْتُ لَهُمْ حَرَبًا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجَبَرَةِ الْخُلُطِ^(٣)
وَهَلْ سَمَوْتُ بِجَرَارٍ لَهُ لَجَبٌ^(٤) جَمَّ الصَّوَاهِلِ بَيْنَ الْجَمِّ وَالْقُرْطِ^(٥)
وَهَلْ تَرَكْتُ نِسَاءَ الْحَيِّ ضَاحِيَةً فِي سَاحَةِ الدَّارِ يَسْتَوِفِدْنَ بِالْعُيُطِ^(٦)
وجاء حتى نزل البصرة . وقد كان بلغ المهلب شقاق عبد الرحمن وهو
بسيستان ، فكتب إليه :

١٠٠٩/٢

أما بعد ، فإنك وضعت رجلك يا بن محمد في غرر طويل النخى على أمة
محمد صلى الله عليه وسلم . الله الله فانظر^(٧) لنفسك لا تهلكها ، ودماة
المسلمين فلا تفسدكها ، والجماعة فلا تفرقها ، والبيعة فلا تنكسها ،
فإن قلت : أخاف الناس على نفسي فاقه أحق أن تخافه عليها من الناس ،
فلا تعرضها لله في سبيلك دم ، ولا استحلل محرم والسلام عليك .

(١) أبو ذبيان ، كنيته عبد الملك بن مروان ، وكان ينزجها . وانظر ثمار القلوب ٢٤٦

(٢) ب ، ف : « وعلى جهاد أهل الضلالة وخطبهم » .

(٣) الأغاني ١٩ : ١٤٠ . (٤) الأغاني : « أم هل علوت » .

(٥) الأغاني : « ينشئ الخلام بين الجبل والقرط » .

(٦) الأغاني : « حتى تركت » . (٧) ب ، ف : « انظر » .

وكتب المهلب إلى الحجاج :

أما بعد فإن أهل العراق قد أقبلوا إليك وهم مثل السبيل المنحد من عل ،
وليس شيء يردّه حتى ينتهي إلى قراره ، وإن لأهل العراق شيرة في أول
مخرجهم ، وصباية إلى أبنائهم ونسائهم ، فليس شيء يردّهم حتى يسقطوا
إلى أهلهم ، ويشموا أولادهم ، ثم واقفهم عندها ، فإن الله ناصرك عليهم
إن شاء الله .

فلما قرأ كتابه قال : فعّل الله به وفعل ، لا والله ما لي نظّر . ولكن
لابن عمّه نصّح . لما وقع كتاب الحجاج إلى عبد الملك هاله ثم نزل عن
سريره وبعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، ودعاه فأقرأه الكتاب ، ورأى
ما به من الجزع ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كان هذا الحدث من قبيل
ميجستان ، فلا تخفه ، وإن كان من قبيل خراسان تخوفته . قال : فخرج
إلى الناس فقام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

١٠٦٠/٢

إن أهل العراق طال عليهم عمري فاستعجلوا قدرى . اللهم سلط عليهم
سيوف أهل الشام حتى يبلغوا رضاك ، فإذا بلغوا رضاك لم يجاوزوا إلى مسخطك .
ثم نزل .

وأقام الحجاج بالبصرة ونجّه ليكفى ابن محمد ، وترك رأى المهلب
وفرسان^(١) الشام يسقطون إلى الحجاج ، في كل يوم مائة وخمسون عشرة وأقل
على البرد من قبيل عبد الملك ، وهو في كل يوم تسقط إلى عبد الملك
كتبه ورسله بخبر ابن محمد أي كورة نزل ، ومن أي كورة يرتحل ،
ورأى الناس إليه أسرع .

قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج أن مكتبه كان بكثرمان ،
وكان بها أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة وأهل البصرة ، فلما مر بهم
ابن محمد بن الأشعث ، انجتلوا معه ، وعزم الحجاج رأيّه على استقبال ابن
الأشعث ، فسار بأهل الشام حتى نزل تستر ، وقدم بين يديه مطهر بن حر
العكي - أو الجندى - وعبد الله بن رميثة الطائي ، ومطهر على الفريقين ،
فجاءوا حتى انتهوا إلى دجيل ، وقد قطع عبد الرحمن بن محمد خيلا له ،

عليها عبد الله بن أبان الحارثي في ثلثة فارس - وكانت مسلحة له والجنود - فلما انتهى إليه مطهر بن حر أمر عبد الله بن ربيعة الطائي فأقدم عليهم ، فهزمت خيل عبد الله حتى انتهت إليه ، وجرح أصحابه . ١٠٦١/٢

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الزبير الميموني ، قال : كنت في أصحاب ابن محمد إذ دعا الناس وجمعهم إليه ثم قال : اعبروا إليه من هذا المكان ، فأقم الناس خيولهم دجيل من ذلك المكان الذي أمرهم به ، فوالله ما كان بأسرع من أن عبّر عظم خيولنا ، فاكملت حتى حملنا على مطهر بن حر والطائي فهزمتاها يوم الأضحى في سنة إحدى وثمانين وقتلناهم قتلاً ذريعاً ، وأصبنا عسكرهم ، وأنت الحجاج الهزيمه وهو يخطب ، فصعد إليه أبو كعب بن عبيد بن سرّجس فأخبره بهزيمة الناس ، فقال : أيها الناس ، ارتحلوا إلى البصرة إلى معسكر ومقاتل وطعام ومادة ، فإن هذا المكان الذي نحن به لا يحمل الجند . ثم انصرف راجعاً وتبعته خيول أهل العراق ، فكلما أدركوا منهم شاذاً قتلوه ، وأصابوا ثقيلاً حوّه ، وفضى الحجاج لا يلكو على شيء حتى نزل الزاوية ، وبعث إلى طعام التجار بالكلاء (١) فأخذه فحسكه إليه ، وخطى البصرة لأهل العراق . وكان عامله عليها الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي . وجاء أهل العراق حتى دخلوا البصرة . وقد كان الحجاج حين صدم تلك الصلعة وأقبل راجعاً دعا بكتاب المهلب ، فقرأه ثم قال : لله أبوه ! أي صاحب حرب هو ! أشار علينا بالرأى ، ولكننا لم نقبل .

* * *

وقال غير أبي مخنف : كان عامل البصرة يومئذ الحكم بن أيوب على الصلاة والصدقة ، وعبد الله بن عامر بن ميسع على الشرط ، فسار الحجاج بجيشه حتى نزل رستمباد وهي من كمستوى من كور الأهواز ، فمسك بها ، وأقبل ابن الأشعث فقتل تسير ، وبينهما نهر ، فوجه الحجاج مطهر ابن حر العسكي في ألني رجل ، فأوقعوا بمسلة لابن الأشعث ، وصار ابن

الأشعث مبادراً، فواقعتهم، وهي عشية عرفة من سنة إحدى، وثمانين فيقال :
إنهم قتلوا من أهل الشام ألفاً وخمسمائة ، وجاءه الباقيون منهزمين ، ومعه
يومئذ مائة وخمسون ألف ألف، ففرقها في قواده، وضمتهم إليها، وأقبل
منهزماً إلى البصرة . وخطب ابن الأشعث أصحابه فقال : أما الحجاج فليس
بشيء ، ولكننا نريد غزو عبد الملك ، وبلغ أهل البصرة هزيمة الحجاج ،
فأراد عبد الله بن عامر بن مسمع أن يقطع الحسير دونه ، فرشاه الحكـم
ابن أيوب مائة ألف ، فكف عنه . ودخل الحجاج البصرة ، فأرسل إلى
ابن عامر فانتزع المائة الألف منه .

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف عن أبي الزبير المسملي .
فلما دخل عبد الرحمن بن محمد البصرة بايعه على حرب الحجاج ،
وظع عبد الملك جميع أهلها من قرائها وكهولها ، وكان رجل من الأزد من
الجهنميين يقال له عتبة بن عبد الغافر له صحابة ، فترا فبايع (١) عبد الرحمن
مستبصراً في قتال الحجاج ، وختلق الحجاج عليه ، وختلق عبد الرحمن
على البصرة . وكان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجة من سنة
إحدى وثمانين .

وحيث بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الملك ، كنا حدثني أحمد
ابن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك
قال الواقدي ، وقال : في هذه السنة ولد ابن أبي ذئب .
وكان العامل في هذه السنة على المدينة أبان بن عثمان ، وعلى العراق
والمشرق الحجاج بن يوسف ، وعلى حرب خراسان المهلب ، وعلى خراجها
الغيرة بن مهلب من قبيل الحجاج ، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن
أبي موسى ، وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين

ذكر الخبر عن الكائن من الأحداث فيها

* * *

[خبر الحرب بين الحجاج وابن الأشعث بالزاوية]

فمن ذلك ما كان بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد من الحروب بالزاوية. ذكر هشام بن محمد، عن أبي غنم، قال: حدثني أبو الزبير المسمداني ١٠٦٤/٧ قال: كان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجة، واقتتلوا في المحرم من سنة اثنتين وثمانين، فتزاحفوا ذات يوم، فاشتد قتالهم. ثم إن أهل العراق هزمهم حتى انتهوا إلى الحجاج، وحتى قاتلهم على خنادقهم، وانهزمت عامة قريش وثقيف، حتى قال عبيد بن موهب مولى الحجاج وكاتبه: فر البراء وابن عمو مضعب وفرت قريش غير آل سعيد ثم لأنهم تزاحفوا في المحرم في آخره في اليوم الذي هزم فيه أهل العراق أهل الشام، فنكصت ميمنتهم وميسرتهم، واضطربت رماحهم، وتقوض صفهم؛ حتى دكوا منا، فلما رأى الحجاج^(١) ذلك جثا على ركبتيه، وانتضى نحواً من شبر من سيفه، وقال: لله در مضعب! ما كان أكرم حين نزل به ما نزل! فعلمت أنه والله لا يريد أن يفر. قال: فغمزت أبي بعني لبأذن لي فيه فأضربه بسيفي، فغمزني غمزة شديدة، فسكنت^(٢)، وحانت مني التفاتة، فإذا سفيان بن الأبرد الكلبي قد حمل عليهم فهزهم من قبيل الميمنة، فقلت: أبشر أيها الأمير، فإن الله قد هزم العدو. فقال لي: قم فانظر؛ قال: فقممت فنظرت؛ فقلت: قد هزمهم الله، قال: قم يا زياد فانظر؛ قال: فقام فنظر فقال: الحق أصلحك الله يقيناً^(٣) قد هزموا، فخر ساجداً، فلما رجعت شتمني أبي وقال: أردت أن تهلكني وأهل بيتي.

(١) ب، ف: «فلما رأى ذلك الحجاج». (٢) س: «فسكت».

(٣-٢) ب، ف: «أبها الأمير أصلحك الله».

وقتل في المعركة عبد الرحمن بن عَوْسَجَة أبو سُفْيَانِ التَّهْمِي ، وقتل عقبة ابن عبد الغافر الأزدي ثم الجهمضي ، في أولئك القراء في رِبْضَة ^(١) واحدة ، وقتل عبد الله بن رِزَام الحارثي ، وقتل المنذر بن الجارود ، وقتل عبد الله ابن عامر بن مسمَح ، وأتى الحجاجُ برأسه ، فقال : ما كنتُ أرى هذا فارقي حتى جاءني الآن برأسه ؛ وبارز سعيد بن يحيى بن سعيد بن العاص رجلاً يومئذ فقتله ، وزعموا أنه كان مولى للفضل ^(٢) بن عباس بن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب ، كان شجاعاً يلحى نُصَيْرًا ، فلما رأى مشيته بين الصفيين ، وكان يلومه على مشيته قال : لا ألومه على هذه المشية أبداً .

وقتل الطفيل بن عامر بن واثلة ، وقد كان قال وهو بفارس يقبل مع عبد الرحمن من كَرَمَانَ إلى الحجاج :

أَلَا طَرَقْتَنَا بِالْفَرِيقَيْنِ بَعْدَمَا كَلَلْنَا عَلَى شَحْطِ الْمَرَارِ جُنُوبُ
أَتَوْكَ يَقْوَدُونَ الْمَنَايَا وَإِنَّمَا هَدَّيْنَا بِأَوَّلَانَا إِلَيْكَ ذُنُوبُ
وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ اللَّهِ فِي دَارِ الْقَرَارِ نَصِيبُ ١٠٦٦/٢
أَلَا أَبْلِغَ الْحَجَّاجَ أَنَّ قَدْ أَظْلَمَ عَذَابَ بَائِذِي الْمُؤْمِنِينَ مُصِيبُ
مَنْ نَهَبَ الْمَصْرِيْنَ يَهْرَبُ مُحَمَّدٌ وَلَيْسَ بِمُنْجِي ابْنِ اللَّعِينِ هُرُوبُ
قال : منيتنا أمراً كان في علم الله أنك أولى به ، فعجل لك في الدنيا ، وهو معذبك في الآخرة . وانهزم الناس ، فأقبل عبد الرحمن نحو الكوفة وتبعه من كان معه من أهل الكوفة ، وتبعه أهل القوة من أصحاب الخيل من أهل البصرة .

ولما مضى عبدُ الرحمن نحو الكوفة وثب أهل البصرة إلى عبد الرحمن ابن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه ، فقاتل بهم خمس ليال الحجاج أشد قتال رآه الناس ، ثم انصرف فلاحق بابن الأشعث ، وتبعه طائفة من أهل البصرة فلاحقوا به ، وخرج الحريش بن هلال السعدي وهو من بني أنف الناقة - وكان جريحاً - إلى سَفَوَانَ فأتى من جراحتِهِ ،

(١) الرِبْضَة بكسر الراء وسكون الباء ؛ مقتل كل قوم قتلاوا في بقعة واحدة .

(٢) ط : و للفضل ، تصحيف .

وَقُتِلَ فِي الْمَرْكَةِ زِيَادُ بْنُ مُقَاتِلِ بْنِ مِصْمَعٍ مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، فَقَامَتْ حَمِيلَةُ ابْنَتُهُ تَتَذَكَّرُهُ ، وَكَانَ عَلَى خُمْسٍ بِكَرٍ بْنِ وَاثِلٍ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَعَلَى الرِّجَالِ ، فَقَالَتْ :

وَحَامِي زِيَادُ عَلَى رَايَتِهِ^(١) وَفَرَّ جُذَيْئُ بْنُ الْعَنْبَرِ
فَجَاءَ الْبَلْتَعُ السَّعْدِيُّ فَسَمِعَهَا وَهِيَ تَتَذَكَّرُ أَبَاهَا ، وَتَعْيِبُ التَّمِيمِيَّ ، فَجَاءَ
وَكَانَ يَبِيعُ سَمْنًا بِالْمِيرْبَدِ ، فَتَرَكَ سَمْنَهُ عِنْدَ أَصْحَابِهِ ، وَجَاءَ حَتَّى قَامَ تَحْتَهَا
فَقَالَ :

عَلَامَ قَلُومَيْنِ مِنْ لَمْ يُلِّمْ تَطَاوَلَ لَيْلُكَ مِنْ مُعْصِرِ !
فَلِنْ كَانَ أَرْدَى أَبَاكَ السَّنَانُ فَقَدْ تَلَحَّقَ الْخَيْلُ بِالْمَذْبِيزِ
وَقَدْ تَنْطَحُ الْخَيْلُ تَحْتَ الْعَجَا جَ غَيْرَ الْبَرِّ وَلَا الْمُغْلَبِ
وَنَحْنُ مَتَعْنَا لَوَاءَ الْحَرِيشِ وَطَاحَ لَوَاءُ بَنِي جَحْشِ

فَقَالَ عَامِرُ بْنُ وَاثِلَةَ يَرَى ابْنَتَهُ طُفَيْلًا :

خَلَّى طُفَيْلٌ عَلَى الْهَمِّ فَانْشَبَا وَهَدَّ ذَلِكَ رُكْنِي هَدَّةً عَجَبًا^(٢)
وَابْنِي سُمَيَّةَ لَا أَنْسَاهَا أَبَدًا فِيمَنْ نَسِيتُ وَكُلَّ كَانَ لِي نَصَبًا^(٣)
وَأَخْطَأْتَنِي الْمَنَابِي لَا تُطَالَعُنِي حَتَّى كَبُرْتُ وَلَمْ يَتْرُكْنِي لِي نَشَبًا
وَكُنْتُ بَعْدَ طُفَيْلٍ كَالَّذِي نَضَبْتُ عَنْهُ الْمَيَّاهُ وَفَاضَ الْمَاءُ فَانْقَضَبَا
فَلَا بَعِيرَ لَهُ فِي الْأَرْضِ يَرْكَبُهُ وَإِنْ سَعَى إِثْرُ مَنْ قَدْ فَاتَهُ لَغَبَا
وَسَارَ مِنْ أَرْضِ خَاقَانَ الَّتِي غَلِبَتْ أَبْنَاءُ فَارِسَ فِي أَرْبَائِهَا غَلَبَا
وَمِنْ مَسْجِدَانِ أَسْبَابُ تَرْبِنُهَا لَكَ الْمَنِيَّةُ حَيْنًا كَانَ مُجْتَلَبَا
حَتَّى وَرَدَتْ حِيَاضُ الْمَوْتِ فَانْكَشَفَتْ عَنْكَ الْكَتَائِبُ لَا تَخْفَى لَهَا عَقَبَا
وَعَادِرُوكَ صَرِيحًا وَهْنِ مَعْرَكَةٍ تُرَى التُّسُورُ عَلَى الْقَتْلِ بِهَا عُصَبَا

(١) ط : « حَامِي » . (٢) الْأَقْفَى ١٥ : ١٥٣ ، مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الرِّبَايَةِ .

(٣) الْأَقْفَى : « وَصَبَا » .

تعاهدوا ثم لم يؤثروا بما عهدوا وأسلموا للعلو السبي والسلبا
يا سودة القوم إذ تسبي نساؤهم وهم كثير يرون الخزي والحربا

قال أبو مخنف : فحدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل
النفسي أن الحجاج أقام بقبعة المحرم وأول صفر ، ثم استعمل على البصرة أيوب
ابن الحكم بن أبي عقيل ، ومضى ابن الأشعث إلى الكوفة ، وقد كان الحجاج
خلف عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي ، طيف حرب
ابن أمية على الكوفة .

قال أبو مخنف - كما حدثني يونس بن أبي إسحاق : إنه كان على أربعة
آلاف من أهل الشام .

قال أبو مخنف : فحدثني سهم بن عبد الرحمن الجهمي أنهم كانوا
ألفين ، وكان حنظلة بن الوارد من بني رياح بن يربوع التميمي وابن عتاب
ابن ورقاء على المدائن ، وكان مطرب بن ناجية من بني يربوع على المعونة ،
فلما بلغه ما كان من أمر ابن الأشعث أقبل حتى دنا من الكوفة ، فتحصن
منه ابن الحضرمي في القصر ، ووثب أهل الكوفة مع مطرب بن ناجية باين
الحضرمي ومن معه من أهل الشام فحاصروهم ، فصالحوه على أن يخرجوا ويخلووه
والقصر ، فصالحهم .

قال أبو مخنف : فحدثني يونس بن أبي إسحاق أنه رآهم يتزلون من
القصر على المسجد ، وفتح باب القصر لمطرب^(١) بن ناجية ، فآذ حتم الناس على
باب القصر ، فزحم مطرب على باب القصر ، فاخترط سيفه ، فضر به جحفلة
بغل من بغال أهل الشام وهم يخرجون من القصر ، فأتى جحفلته ودخل
القصر ، واجتمع الناس عليه فأعطاهم مائتي درهم . قال يونس : وأنا رأيتها
تقسم بينهم ، وكان أبو السقر فيمن أعطيتها . وأقبل ابن الأشعث منهزماً إلى
الكوفة ، وتبعه الناس إليها .

[وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث]

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة كانت وقعة دَيْرِ الْجَمَامِج بين الحجاج وابن الأشعث في قول بعضهم . قال الواقدي : كانت وقعة دَيْرِ الْجَمَامِج في شعبان من هذه السنة ، وفي قول بعضهم : كانت في سنة ثلاث وثمانين .
* ذكر الخبر عن ذلك وعن سيب مصير ابن الأشعث إلى دَيْرِ الْجَمَامِج وذكر ما جرى بينه وبين الحجاج بها :

ذكر هشام عن أبي غنثف ، قال : حدثني أبو الزبير المسمداني ثم الأرجسي ، قال : كنت قد أصابتني جراحة ، وخرج أهل الكوفة يستقبلون ابن الأشعث حين أقبل ، فاستقبلوه بعد ما جاز قنطرة زبارا^(١) ، فلما دنا منها قال لي : إن رأيت أن تعدل عن الطريق — فلا يرى الناس جراحتك فلن لا أحب أن يستقبلهم الجرحى — فافعل . فعدلتُ ودخل الناس ، فلما دخل الكوفة مالَ إليَّ أهل الكوفة كلهم ، وسبقَت همدان إليَّ ، فحطت به عند دار عمرو بن حريث إلا طائفة من تميم ليسوا بالكثير قد أتوا مطرَ بن ناجية ، فأرادوا أن يقتلوه دونَه ، فلم يُطيقوا قتالَ الناس . فدعا عبد الرحمن بالسلام والعجكل ، فوضعت ليصعد الناس القصر ، فصعد الناس القصر فأخلوه ، فأتي به عبد الرحمن بن محمد ، فقال له : استبقني فلن أفضلُ فُرسانيك وأعظمهم عنك غناء ، فأمر به فحبس ، ثم دعا به بعد ذلك فعفا عنه . وبأيعه مطرٌ ، ودخل الناس إليه فبايعوه ، وسقطَ إليه أهل البصرة ، وتلقوا ضمت إليه المسالحي والثغور ، وجاءه فيمن جاءه من أهل البصرة عبد الرحمن ابن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وعرف بذلك ، وكان قد قاتل الحجاج بالبصرة بعد خروج ابن الأشعث ثلاثاً ، فبلغ ذلك عبد الملك ابن مروان ، فقال : قاتل الله عدوَّ الرحمن ، إنه قد فرَّ ! وقاتل غلمان من غلمان قريش بعده ثلاثاً . وأقبل الحجاج من البصرة فسار في البر حتى مرَّ بين القادسية والمداب ، ومنعوه من نزول القادسية ، وبعث إليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في خيل عظيمة من خيل المصريين

(١) ب = « زبارا » ، س = « ديارا » .

فنعوه من نزول القاصية ، ثم سايروه حتى ارتفعوا على وادى السباع ، ثم تسايروا حتى نزل الحجاج دير قرة ، ونزل عبد الرحمن بن العباس دير الجماج ، ثم جاء ابن الأشعث فقتل بدير الجماج والحجاج بدير قرة ، فكان الحجاج بعد ذلك يقول : أما كان عبد الرحمن يزجر الطير حيث رأي نزلت دير قرة ، ونزل دير الجماج !

واجتمع أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الثغور والمسالخ بدير الجماج والقرءاء من أهل المصيرين ، فاجتمعوا جميعاً على حرب الحجاج ، وجمعتهم عليه بغضهم والكراهية له ، وهم إذ ذاك مائة ألف مقاتل ممن يأخذ العطاء ، ومعهم مثلهم من مواليتهم . وجاءت الحجاج أيضاً أمداده^(١) من قبيل عبد الملك من قبل أن يتزل دير قرة ، وقد كان الحجاج أراد قبل أن يتزل دير قرة أن يرتفع إلى هيت وفاحية الجزيرة لإرادة أن يقرب من الشام والجزيرة فيأتيه المدد من الشام من قريب ، ويقرب من رفاغة سمر الجزيرة ، فلما مر بدير قرة قال : ما بهذا المنزل بعد من أمير المؤمنين ، وإن الفلاليج وعين التمر إلى جنبنا . فقتل فكان في عسكره مخدقاً وابن محمد في عسكره مخلقاً ،^{١٠٧٣/٢} والناس يخرجون في كل يوم فيقتلون ، فلا يزال أحدهما يذني خنلقه نحو صاحبه ، فإذا رآه الآخر خنلق أيضاً ، وأذني خنلقه من صاحبه . واشتد القتال بينهم . فلما بلغ ذلك رموس قريش وأهل الشام قبيل عبد الملك ومواليه قالوا : إن كان إنما يرضى أهل العراق أن يتزع عنهم الحجاج ، فلن نزع الحجاج أبسر من حرب أهل العراق ، فانزع عنهم تخلف لك طاعتهم ، وتحقن به دماؤنا ودماءهم . فبعث ابنه عبد الله بن عبد الملك ، وبعث إلى أخيه محمد بن مروان بأرض الموصل يأمره بالقدوم عليه ، فاجتمعوا جميعاً عنده ، كلاهما في جنديهما ، فأمرهما أن يعرضا على أهل العراق نزع الحجاج عنهم ، وأن يجرى عليهم أعطياتهم كما تجرى على أهل الشام ، وأن يتزل ابن محمد أي بلد من عراق شاء ، يكون عليه والياً ما دام حياً ، وكان عبد الملك والياً ، فإن هم قبلوا ذلك عزل عنهم الحجاج ، وكان محمد بن مروان

أمير العراق ، وإن أبوا أن يقبلوا فالحجّاج أمير جماعة أهل الشام وولى القتال ، ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعته . فلم يأت الحجّاج أمراً قطّ كان أشدّ عليه ولا أغبّط له ولا أوجب لقلّبه منه مخافة أن يقبلوا فيعزّل عنهم ، فكاتب إلى عبد الملك :

يا أمير المؤمنين ، والله لئن أعطيت أهل العراق نزعى لا يلبثون إلّا قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدكم ذلك إلّا جراءةً عليك ، ألم تر وتسمع يؤتوب أهل العراق مع الأشتر على ابن عفّان ، فلما سألهم ما يريدون قالوا : نزع سعيد بن العاص ، فلما نزع لم تتمّ لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه ! إن الحديد بالحديد يفتلح . خار الله لك فيما ارتأيت . والسلام عليك . ١٠٧٤/٢

فأبى عبد الملك إلّا عرض هذه الخصال على أهل العراق لإرادة العافية من الحرب . فلما اجتمعوا مع الحجّاج خرج عبد الله بن عبد الملك فقال : يا أهل العراق ، أنا عبد الله بن أمير المؤمنين ، وهو يعطيكم كذا وكذا ، فذكر هذه الخصال التي ذكرنا . وقال محمد بن مروان : أنا رسول أمير المؤمنين إليكم ، وهو يعرض عليكم كذا وكذا ، فذكر هذه الخصال . قالوا : نرجع العشية ، فرجعوا فاجتمعوا عند ابن الأشعث ، فلم يبق قائد ولا رأس قوم ولا فارس إلّا أتاه ، فحمد الله ابن الأشعث وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد ، فقد أعطيتكم أمراً انتهزكم اليوم إياه فرصة ، ولا آمن أن يكون على ذي الرأي غداً حسرة ، وإنكم اليوم على النصف وإن كانوا اعتدوا بالزاوية فأنتم تمتدون عليهم بيوم تُسّر ، فاقبلوا ما عرضوا عليكم وأنتم أعزاء أقوياء ، والقوم لكم هائبون وأنتم لم تنتقصون^(١) . فلا والله^(٢) لا زلتم عليهم جرّاء ، ولا زلتم عندهم أعزاء ، إن أنتم قبلتم أبداً ما بقيتم . ١٠٧٥/٢

فوثب الناس من كل جانب ، فقالوا : إن الله قد أهلكهم ، فأصبحوا في

(١) ب : « متقصون » .

(٢) ب ، ف : « فواؤه » .

الأزَل والفضنك والحجاجة والقلة والدلة ، ونحن ذوو العمد الكثر ، والسعر الرفيع^(١) ، والمادة القريية ، لا والله لا تقبل .

فأعادوا خطمه ثانية . وكان عبد الله بن ذؤاب السلمي وعمير بن نبحان أول من قام بخلمه في الجماعيم ، وكان اجتماعهم على خطمه بالجماعيم^(٢) أجمع من خلمهم إياه بفارس .

فرجع محمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك إلى الحجاج فقالا : شأنك بعسكرك وحندك فاعمل برأيك ، فلما قد أمرنا أن نسمع لك ونطيع ، فقال : قد قلت لكما : إنه لا يراد بهذا الأمر غيركما ، ثم قال : إنما أقاتل لكما ، وإنما سلطان سلطانكما ، فكانا إذا لقياه مسلما عليه بالإمرة ، وقد زعم أبو يزيد السكسكي أنه إنما كان أيضا يسلم عليهما بالإمرة إذا لقيهما ، وخطياه والحرب فتولاها .

قال أبو مخنف : فحدثني الكلبي محمد بن السائب أن الناس لما اجتمعوا بالجماعيم سمع عبد الرحمن بن محمد وهو يقول : ألا إن بني مروان يعبرون بالزرقاء ، والله ما لم نسب أصبح منه إلا أن بني أبي العاص أعلاج من أهل صقورية ، فإن يكن هذا الأمر في قريش فعنتي ففقت بيضة قريش ، وإن يلك في العرب فأنا ابن الأشعث بن قيس - ومد بها صوته يسمع الناس - وبرزوا للقتال ، فجعل الحجاج على ميمته عبد الرحمن ابن سليم الكلبي ، وعلى ميسرته عمارة بن تميم النخعي ، وعلى خيله سفيان ابن الأبرد الكلبي ، وعلى رجاله عبد الرحمن^(٣) بن حبيب^(٤) الحكمي ، وجعل ابن الأشعث على ميمته الحجاج بن جارية النخعي ، وعلى ميسرته الأبرد بن قررة التميمي ، وعلى خيله عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث الهاشمي ، وعلى رجاله محمد بن سعد بن أبي وقاص ، وعلى محفقتة^(٥) عبد الله بن رزام الحارثي ، وجعل على القراء جبيلة بن زحر بن قيس الجعفي ،

(١) السعر الرفيع : السهل . (٢) ب ، ف : « بغير الجماعيم » .

(٣) ب ، ف : « الله » . (٤) ابن الأثير : « غيب » .

(٥) الخيل المحففة : التي عليها التجفاف ، وهو ما جال به من سلاح .

وكان معه خمسة عشر رجلاً من قريش ، وكان فيهم عامر الشعبي ، وسعيد ابن جبير ، وأبو البخري الطائي ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى .

ثم لأنهم أخطوا يتزاحفون في كل يوم ويقتلون ، وأهل العراق تأتيهم موادهم من الكوفة ومن سوادها فيما شاعوا من خصبيهم ، وإخوانهم من أهل البصرة وأهل الشام في ضيق شديد ، قد غلت عليهم الأسعار ، وقفل عندهم الطعام ، وفقدوا اللحم ، وكانوا كأنهم في حصار ، وهم على ذلك يغادرون أهل العراق ويرأو حوئهم ، فيقتلون أشد القتال ، وكان الحجاج يُدنى خنلقه مرة وهؤلاء أخرى ، حتى كان اليوم الذي أصيب فيه جبلة بن زحر . ثم إنه بعث إلى كميل بن زياد النخعي وكان رجلاً ركيناً وقوراً عند الحرب ، له بأس وصوت في الناس ، وكانت كتيبته تدعى كتيبة القراء ، يُحمل عليهم فلا يكادون يرحون ، ويعملون فلا يكذبون ، فكانوا قد عرفوا بذلك ، فخرجوا ذات يوم كما كانوا يخرجون ، وخرج الناس ، فعبى الحجاج أصحابه ، ثم زحف في صفوفه ، وخرج ابن محمد في سبعة صفوف بعضها على أثر بعض ، وعبى الحجاج لكتيبة القراء التي مع جبلة بن زحر ثلاث كتائب ، وبعث عليها الجراح بن عبد الله الحكسي ، فأقبلوا نحوهم . ١٠٧٧/٢

قال أبو مخنف : حدثني أبو يزيد السكسكي ، قال : أنا والله في الخيل التي عبى لجبلة بن زحر ، قال : حملنا عليه وعلى أصحابه ثلاث حملات ، كل كتيبة تحمل حملة ، فلا والله ما استقصنا منهم شيئاً .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة المغيرة بن المهلب]

وفي هذه السنة توفى المغيرة بن المهلب بخراسان .

ذكر علي بن محمد ، عن المفضل بن محمد ، قال : كان المغيرة بن المهلب خطيفاً أبيه بمرؤ على عمه كله ، فأت في رجب سنة اثنتين وثمانين ، فأق الخبر يزيد ، وطمع أهل العسكر فلم يُخبروا المهلب ، وأحب يزيد أن يبلغه ، فأمر النساء فصرحن ، فقال المهلب : ما هذا ؟ فقيل : مات المغيرة ،

فاسترجع ، وجزع حتى ظهر جزعه عليه ، فلامه بعضُ خاصته ، فدعا يزيدَ فوجّهته إلى مَرَوَ ، فجعل يُوصيه بما يعملُ ودموعه تتحدّر على لحيته . وكتب الحجاج إلى المهلب يعزيه عن المغيرة ، وكان سيّداً ، وكان ١٠٧٨/٢
المهلب يوم مات المغيرة مقبلاً بكيس وراء النهر لحرب أهلها .

قال : فسار يزيدُ في ستين فارساً - ويقال : سبعين - فيهم مُجاعة بن عبد الرحمن العتكي ، وعبد الله بن مُعمر بن مُسمي اليشكري ، ودينار السجستاني ، والحيم بن المنخل الجرموزي ، وغزوان الإسكاف صاحب زَمَ - وكان أسلمَ على يد المهلب - وأبو محمد الزّمي ، وعطية - مولى لعتيك - فلقبهم خمسمائة من الترك في مَقَاة نَسَفَ ، فقالوا : ما أنتم ؟ قالوا : تجار ، قالوا : فأين الأتقال ؟ قالوا : قد منّاها ؛ قالوا : فأعطونا شيئاً ، فأبى يزيد ، فأعطاهم مُجاعة ثوباً وكرابيسَ وقوساً ، فأنصرفوا ثم غَدَرُوا وعادوا إليهم ، فقال يزيد : أنا كنتُ أعلمُ بهم فقاتلهم ، فاشتد القتال بينهم ، ويزيدُ على فرس قريب من الأرض ، ومعه رجلٌ من الخوارج كان يزيدُ أخذه ، فقال : استبقي ، فنّ عليه ، فقال له : ما عندك ؟ فحمل عليهم حتى خالطهم وصار من ورائهم وقد قتلَ رجلاً ، ثم كرّ فخالطهم حتى تقدّمهم وقتلَ رجلاً ثم رجع^(١) إلى يزيد . وقتلَ يزيدُ عظيمًا من عظمائهم . ورى يزيدُ في ساقه ، واشتدّت شوكتهم ، وهرب أبو محمد الزّمي ، وصبر لم يزيدُ حتى حاجزَهم ، وقالوا : قد غَدَرنا ، ولكن لا نتصرف حتى نموت جميعاً أو نموتوا أو تُعطونا شيئاً ، فحلف يزيدُ لا يعطيهم شيئاً ، فقال مُجاعة : أذكرك ١٠٧٩/٢
الله ، قد هلك المغيرة ، وقد رأيت ما دخل على المهلب من مصابه ، فأنشك الله أن تصابَ اليوم !

قال : إنّ المغيرة لم يعدْ أجلبه ، ولستُ أعلو أجلى . فرى إليهم مُجاعة بعمامة صفراءَ فأنخذوها وأنصرفوا ، وجاء أبو محمد الزّمي بفوارسَ وطعام ، فقال له يزيد : أسلمتَنا يا أبا محمد ، فقال : إنما ذهبتُ لأجيشكم بمددَ طعام ، فقال الراجز :

يزيدُ يا سيفَ أبي سعيد
والجمعُ يومَ المجمعِ المشهودِ
قد علمَ الأقوامُ والجنودُ
أنك يومَ التركِ صلبُ العودِ
وقال الأشقرى :

والتركُ تعلمُ إذ لاقى جُموعَهُم
بِفِتْيَةٍ كَأَسودِ الغابِ لم يجدوا
نرى شرائجَ تغشى القومَ من علي
وتحتهمُ قرَحٌ يركبُنَ ما ركبوا
فِي حَازَةِ الموتِ حتى جَنَّ لَيْلُهُمُ
أن قد لقوهُ شهاباً يَفْرِجُ الظلماً
غيرَ النَّاسِ وغيرَ الصبرِ مُعْتَصِماً
وما أرى نبوةً منهم ولا كَرَمًا
من الكربةِ حتى ينتلَعن دَمًا
كِلَا الفريقينِ ما وَلَّى ولا انهزما

* * *

وفي هذه السنة صالح المهلب أهل كس^(١) على فِدْيَةٍ ، ورحلَ عنها
يريد مَرَوَ .

ذكر الخبر عن سبب انصراف المهلب عن كس

ذكر علي بن محمد ، عن الفضل بن محمد ، أن المهلب أتتهم قوماً من
مُضَرَ فحبسهم وقفل من كس وخلفهم ، وخلف حريث بن قطيبة
مولي خُرَاعة ، وقال : إذا استوفيت الفدية فرد عليهم الرهن . وقطع النهر
فلما صار ببلخ أقام بها وكتب إلى حريث : إني لست آمن إن رددت
عليهم الرهن أن يغيروا عليك ، فإذا قبضت الفدية فلا تخلصي الرهن حتى
تقدم أرض بلخ . فقال حريث للملك كس : إن المهلب كتب إلى أن
احبس الرهن حتى أقدم أرض بلخ ، فإن عجلت لي ما عليك سلمت
إليك رهاثتك ، وبرت فأخبرته أن كتابه ورد ، وقد استوفيت ما عليكم ،
ورددت عليكم الرهن ، فعجل لهم صلحتهم ، ورد عليهم من كان في أيديهم
منهم . وأقبل فعرض لهم الترك ، فقالوا : أفدي نفسك ومن معك ، فقد لقينا

(١) ط : « كس » ، وكس مبنية تقارب سرقت .

يزيد بن المهلب قَتَدَى نفسه. فقال حُرَيْث: ولدتُني إِذَا أُمَّ يزيد! وقَاتَلَهُمْ
فَقَتَلَهُمْ، وَأَسَرَّ مِنْهُمْ أَمْرَى فَقَتَلُوهُمْ، فَنَزَّ عَلَيْهِمْ وَخَلَّاهُمْ، وَرَدَّ عَلَيْهِمُ
الْفِدَاءَ. وَبَلَغَ الْمُهَلَّبُ قَوْلَهُ: وَلَدَتْنِي أُمُّ يَزِيدَ إِذَا، فَقَالَ: يَا نَفْسَ الْعَبْدِ أَنْ تَكْلَهُ
رَحِمَهُ! وَغَضِبَ.

فلما قدم عليه بَلَخَ قال له: أَيْنَ الرَّهْنُ؟ قَالَ: قَبِضْتُ مَا عَلَيْهِمْ وَخَطَبْتُهُمْ،
قَالَ: أَلَمْ أَكُفَّ إِلَيْكَ إِلَّا تَخْلِيَهُمْ! قَالَ: أَتَانِي كِتَابُكَ وَقَدْ خَطَبْتُهُمْ،
وَقَدْ كُفِّتُ مَا خَفَتْ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَقَرَّبْتَ إِلَيْهِمْ وَإِلَى مَلَكَهِمْ
فَأُطْلِعْتَهُ عَلَى كِتَابِي إِلَيْكَ. وَأَمَرَ بِتَجْرِيدِهِ، فَجَزَعَ مِنَ التَّجْرِيدِ حَتَّى ظَنَّ
الْمُهَلَّبُ أَنَّ بِهِ بَرَصًا، فَجَرَدَهُ وَضَرَبَهُ ثَلَاثِينَ سَوْطًا. فَقَالَ حُرَيْث: وَدِدْتُ
أَنَّهُ ضَرَبَنِي ثَلَاثَةَ سَوْطٍ وَلَمْ يَجِدْنِي، أَنْتَقَمًا وَاسْتِحْيَاءً مِنَ التَّجْرِيدِ، وَخَلَفَ
لِيَقْتُلَنِي الْمُهَلَّبُ.

فَرَكِبَ الْمُهَلَّبُ يَوْمًا وَرَكِبَ حُرَيْثُ، فَأَمَرَ غُلَامَيْنِ لَهُ وَهُوَ يَسِيرُ
خَطَفَ الْمُهَلَّبُ أَنَّ بَصْرِيَّاهُ، فَأَبَى أَحَدُهُمَا وَتَرَكَهُ وَانْصَرَفَ، وَلَمْ يَجِرْهُ الْآخَرُ
لَمَّا صَارَ وَحْدَهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ لَغُلَامِهِ: مَا مَنَعَكَ مِنْهُ؟ قَالَ:
الْإِشْفَاقُ وَاللَّهُ عَلَيْكَ، وَاللَّهُ مَا جَزَعْتُ عَلَى نَفْسِي، وَعَلِمْتُ أَنَا إِنَّ قَتْلَانَا أُنْكَ
سَتُقْتَلُ وَنُقْتَلُ، وَلَكِنْ كَانَ نَظَرِي لَكَ، وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَسْلِمُ مِنِّي الْقَتْلَ
لَقَتَلْتُهُ.

قَالَ: فَتَرَكَ حُرَيْثُ إِتْيَانَ الْمُهَلَّبِ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ وَجَّعٌ، وَبَلَغَ الْمُهَلَّبُ
أَنَّهُ تَمَارَضَ وَأَنَّهُ يَرِيدُ الْقَتْلَ بِهِ، فَقَالَ الْمُهَلَّبُ لِثَابِتِ بْنِ قَطْبَةَ: جَنِّ بِأَخِيكَ،
فَإِنَّمَا هُوَ كَبْعُضٌ وَلَدَى عَيْنِي، وَمَا كَانَ مَا كَانَ مَتَى إِلَيْهِ إِلَّا نَظَرًا لَهُ وَأَدْبًا،
وَلَرُبَّمَا ضَرَبْتُ بَعْضَ وَلَدِي أَوْدُ بِهِ. فَأَتَى ثَابِتٌ أَخَاهُ فَنَاشَدَهُ، وَصَّاهُ أَنْ يَرْكَبَ
إِلَى الْمُهَلَّبِ، فَأَبَى وَخَافَهُ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَجِيئُهُ بَعْدَ مَا صَنَعَ بِي مَا صَنَعَ،
وَلَا أَمْنُهُ وَلَا يَأْمَنُنِي. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَخُوهُ ثَابِتٌ قَالَ لَهُ: أَمَّا إِنْ كَانَ هَذَا
رَأْيُكَ فَانْخَرِجْ بِنَا إِلَى مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ، وَخَافَ ثَابِتٌ أَنْ يَفْتِكُ
حُرَيْثٌ بِالْمُهَلَّبِ فَيَقْتُلُونِ جَمِيعًا، فَخَرَجَا فِي ثَلَاثَةِ مِنْ شَاكِرَيْهِمَا وَالْمُنْقَطِعِينَ
إِلَيْهِمَا مِنَ الْعَرَبِ.

[خبر وفاة المهلب بن أبي صفرة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة توفي المهلب بن أبي صفرة .

• ذكر الخبر عن سبب موته ومكان وفاته :

قال علي بن محمد : حدثني المفضل ، قال : مضى المهلب منصوراً من كسّ يريد مرو ، فلما كان بزاعول من مرو الروذ أصابته الشوصة — وقوم يقولون : الشوكة^(١) — فلما حبيباً ومن حضره من ولده ، ودعا بسهام فحزمت ، وقال : أترونكم كاسريها بجمعة ؟ قالوا : لا ، قال : أفرونكم كاسريها متفرقة ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فهكنا الجماعة ، فأوصيكم بتقوى الله وصلة الرحيم ، فإن صلة الرحيم تسمى في الأجل ، وتشتري المال ، وتكثر العدد ، وأنهاركم عن القطيعة ، فإن القطيعة تحطب النار ، وتورث الذلة والقلّة ، فتحابوا وتواصوا ، وأجمعوا أمرهم ولا تختلفوا ، وتباروا بتجمع أموركم ؛ إن بني الأم يختلفون ، فكيف بيني العلات ! عليكم بالطاعة والجماعة ، وليكن فعالكم أفضل من قولكم ، فإنّي أحبّ للرجل أن يكون لعمله فضل على لسانه ، واتقوا الجواب وزلّة اللسان ، فإن الرجل تزلّ قلمه فيتعش من زلته ، ويزلّ لسانه فيهلك . اعرّفوا لمن يفشاكم حقّه ، فكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له ، وآثروا الجود على البخل ، وأحبوا العرب واصطنعوا المعروف ، فإن الرجل من العرب تعدّه العدة فيموت دونك ، فكيف الصنعة عنده ! عليكم في الحرب بالآناة والمكيدة ، فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة ، وإذا كان اللقاء نزل القضاء ، فإن أخذ رجل بالخزم فظهر على عدوه قيل : أتى الأمر من وجهه ، ثم ظفر فحمد ، وإن لم يتظفر بعد الآناة قيل : ما فرط ولا ضيّع ، ولكن القضاء غالب . وعلّكم بقراءة القرآن ، وتعليم السنن ، وأدب الصالحين ، وإياكم والخيفة وكثرة الكلام في مجالسكم ، وقد استخلفت عليكم يزيد ، وجعلت حبيباً على الجند حتى يتعلم بهم على يزيد ، فلا تخالفوا يزيد ، فقال له المفضل : لو لم تقدّمه لقد مناه .

(١) في اللسان : الشوصة : ريح تأخذ الإنسان في لحمه تجول مرة هتا ومرة هنا ، ومرة في الجنب ومرة في الظهر ومرة في الخواطن . وفيه أيضاً : « الشوكة داء كالطاعون » .

ومات المهلب وأوصى إلى حبيب، فصلّى عليه حبيب، ثمّ مار إلى مرو .
 وكتب يزيد إلى عبد الملك بوفاء المهلب واستخلافه إياه، فأقره الحجاج^(١) .
 ويقال : إنه قال عند موته ووصيته : لو كان الأمر إلىّ لوليتُ سيد ولدَي
 حبيبًا . قال : وتوفّي في ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين . ، فقال نهار بن
 تَوْسِعَة التميمي :
 ١٠٨٤/٢

أَلَا ذَهَبَ الْغَزْوُ الْمُقَرَّبُ لِلْفَتَى وَمَاتَ التُّدَى وَالْجُودُ بَعْدَ الْمَهْلَبِ^(٢)
 أَقَامًا بِمَرْوَالرُّوْذِ رَهْنَى ضَرْحِهِ وَقَدْ غُيِّبَا عَنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
 إِذَا قِيلَ أَيْ النَّاسِ أُولَى بِنِعْمَةٍ عَلَى النَّاسِ؟ قَلْنَاهُ وَلَمْ نَنْتَهَبِ
 أَبَاحَ لَنَا سَهْلَ الْبِلَادِ وَحَزَنَهَا بِخَيْلٍ كَأَرْسَالِ الْقَطَا الْمُتَسَرِّبِ
 يُعْرِضُهَا لِلطَّغْنِ حَتَّى كَانَمَا يُجَلِّلُهَا بِالْأَرْجَوَانِ الْمُخْضَبِ
 تُطِيفُ بِهِ قَحْطَانٌ قَدْ عَصَبَتْ بِهِ وَأَحْلَافُهَا مِنْ حَىٍّ بِكَرٍ وَتَغْلِبِ
 وَحْيًا مَعْدٌ عُوْذٌ يَلُوتُهُ يُعْدُوْنَهُ بِالنَّفْسِ وَالْأَمِّ وَالْأَبِ

* * *

وفي هذه السنة ولى الحجاجُ بن يوسفَ يزيدَ بنَ المهلب خراسانَ بعد
 موت المهلب .

وفيهما عزّل عبدُ الملكُ أبانَ بنَ عُمَانَ عن المدينة ؛ قال الواقدي : عزله
 عنها لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة .

قال : وفيها ولى عبدُ الملكُ هشامَ بنَ إسماعيلَ المخزوميّ المدينة . وعزّل
 هشامُ بنَ إسماعيلَ عن قضاء المدينة لما وليها نوفلُ بنَ مُساحِقِ العامريّ ، وكان
 يحيى بنَ الحكمِ هو الذى اشتقضاه على المدينة ، فلما عزّل يحيى وولّيهما أبانُ
 ابنُ عُمَانَ أقره على قضائهما ، وكانت ولايةُ أبانَ المدينةَ سبعَ سنينَ وثلاثةَ
 أشهرَ وثلاث عشرة ليلة ، فلما عزّل هشامُ بنُ إسماعيلَ نوفلُ بنَ مُساحِقِ
 عن القضاء ولى مكانه عمرو بنُ خالد الزُرقي .

(١) ابن الأثير : فقلنا توفي كتب ابنه يزيد إلى الحجاج يملّه بوفاءه ، فأقر يزيد على خراسانه .

(٢) البيت الأول والثاني في كتاب للمصريين ٤٤٣ .

وحجَّ بالناس في هذه السنة أبانُ بنُ عثمان ، كذلك حدثني أحمدُ بنُ ثابت عن ذكره ، عن إسحاقَ بن عيسى ، عن أبي معشر .
 وكان على الكوفة والبصرة والمشرق الحجاجُ ، وعلى خراسان يزيدُ بنُ المهلب من قبل الحجاج .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

* * *

[خبر هزيمة ابن الأشعث بدير الجماجم]

فما كان فيها من ذلك هزيمة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بدير الجماجم .

• ذكر الخبر عن سبب انهزامه :

ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال : حدثني أبو الزبير الميموني، قال : كنت في حميل جبلة بن زحل، فلما حمل عليه أهل الشام مرة بعد مرة، نادانا^(١) عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه فقال : يا معشر القراء، إن القرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم، إني سمعت علياً^(٢) - رفع الله درجته في الصالحين ، وأتابه^(٣) أحسن ثواب الشهداء والصدّيقين^(٤) - يقول يوم لقينا أهل الشام : أيها المؤمنون ، إنه من رأى عدواناً يعمل به ، ومنكرًا يدعى إليه ، فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ ، ومن أنكر بلسانه فقد أجبر ، وهو أفضل من صاحبه ، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العلياً وكلمة الظالمين السفلى ، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ، ونور في قلبه اليقين^(٥) . فقاتلوا هؤلاء المحلّين المحدثين المبتدعين الذين قد جهلوا الحق فلا يعرفونه ، وتحملوا بالعدوان فليس ينكرونه .

وقال أبو البختري : أيها الناس ، قاتلوه على دينكم ودنياكم ، فواقة لئن ظهروا عليكم ليفسدن عليكم دينكم ، وليغلبن على دنياكم .
وقال الشعبي : يا أهل الإسلام ، قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم ،

(١) ب : « ناضى يا » ، ابن الأثير : « ناضى جبلة يا » .

(٢) ب : « على بن أبي طالب » . (٣-٢) ب : « ثواب الصديقين والشهداء » .

(٤) نهج البلاغة : ٢ : ٢٢٤ .

فوالله ما أعلم قوماً على بسَيطِ الأرضِ أعملَ بِظُلْمٍ ، ولا أَجورَ منهم في الحُكْمِ^(١) ، فليكن بهم البدار . ١٠٨٧/٢

وقال سعيد بنُ جُبَيْرٍ : قاتلهم ولا تأموا من قتالهم بنيةٍ و يقين ، وعلى آثامهم قاتلهم على جوارهم في الحُكْمِ ، وتجبرهم في الدين ، واستذلّهم الضعفاء ، وإماتهم الصلاة .

قال أبو مخنف ، قال أبو الزبير : فتهيأنا للحملة عليهم ، فقال لنا جبيلةٌ : إذا حملتم عليهم فاحملوا حملةً صادقةً ، ولا تردوا وجوهكم عنهم حتى تُواقِعوا صفّهم . قال : فحملنا عليهم حملةً يبدُ منّا في قتالهم ، وقوةً منا عليهم ، فضرينا الكتابَ الثلاث حتى اشفرت^(٢) ، ثم مضينا حتى واقعنا صفّهم فضريناهم حتى أزلناهم عنه ، ثم انصرفنا فررنا يَجْبِلَةُ صريعاً لا ندرى كيف قُتل .

قال : فهدّنا ذلك وجبئاً فوقفنا موقفنا الذي كتبنا به ، وإن قرأنا لتوافرون ، ونحن ننتأخي جبيلةَ بن زحرَ بيننا ، كأنما فقدَ به كل واحد منا أباه أو أخاه ، بل هو في ذلك الموطن كان أشدّ علينا فقداً . فقال لنا أبو البَحْرِيِّ الطائي : لا يستيننَ فيكم قتلُ جبيلةَ بن زحرَ ، فإنما كان كرجلٍ منكم أنتهَ منيتهَ ليومها ، فلم يكن ليتقدّم يومه ولا ليتأخّر عنه ، وكلّكم ذائق ما ذاق ، ومدعوٌ فجيّب . قال : فنظرتُ إلى^(٣) وجوه القُرأاء فإذا الكتابةُ على وجوههم بيّنة ، وإذا ألسنتهم منقطعة ، وإذا الفسّل فيهم قد ظهر ، وإذا أهلُ الشام قد سرّوا وجدّوا ، فنادوا^(٤) : يا أعداءَ الله ، قد هلككم وقد قتلَ الله طاعوثكم^(٥) . ١٠٨٨/٢

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يزيد السكسكي أن جبيلةَ حين حمل هو وأصحابه علينا انكشفنا ، وتبعونا ، وافتقرتُ منا فرقة فكانت^(٦) ناحيةً ، فنظرنا فإذا أصحابه يتبعون أصحابنا ، وقد وقف لأصحابه ليرجعوا إليه على

(١) ب : « بحكم » . (٢) اشفرت : افتقرت . (٣) ب : « في » . (٤) ب : ف : « فنادونا » . (٥) ب : ف : « طاعيتكم » . (٦) ب : ف : « قعات » .

رَأْسَ رَهْوَةٍ ، فَقَالَ بَعْضُنَا ، هَذَا وَاللَّهِ بَجَبَلَةٍ بِنَ زَحْرٍ ، أَحْمَلُوا عَلَيْهِ مَا دَامَ أَصْحَابُهُ مَشَاغِلَ بِالْقِتَالِ عَنْهُ لَعَلَّكُمْ تَصِيبُونَهُ . قَالَ : فَحَمَلْنَا عَلَيْهِ ، فَأَشْهَكُ مَا وَكَيْ ، وَلَكِنْ حَمَلْنَا عَلَيْنَا بِالسِّيفِ . فَلَمَّا هَبَطَ مِنَ الرَّهْوَةِ ^(١) شَجَرُ نَاهِ بِالرَّمَاكِ فَأَذْرَيْنَاهُ عَنْ فَرْسِهِ فَوَقَعَ قَتِيلًا ، وَرَجَعَ أَصْحَابُهُ ، فَلَمَّا رَأَيْنَاهُمْ مُقْبِلِينَ تَنْحِنُنَا عَنْهُمْ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَتِيلًا رَأَيْنَا مِنْ اسْتِرْجَاعِهِمْ وَجَزَعِهِمْ مَا قَرَّتْ بِهِ أَعْيُنُنَا ، قَالَ : فَتَبَيَّنَا ذَلِكَ فِي قِتَالِهِمْ إِيَّانَا وَخُرُوجِهِمْ إِلَيْنَا .

* * *

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ : حَدَّثَنِي مِنْهُمْ بَنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُهَشِيُّ ، قَالَ : لَمَّا أَصِيبَ بَجَبَلَةُ هَذِهِ النَّاسِ مَقْتَلُهُ ، حَتَّى قَلِمَ عَلَيْنَا بِسِطَامِ بْنِ مَصْعُكَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِي ، فَشَجَّعَ النَّاسَ مَقْتَلُهُ ، وَقَالُوا : هَذَا يَقُومُ مَقَامَ بَجَبَلَةَ ، فَسَمِعَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْ بَعْضِهِمْ أَبُو الْبَخَرِيِّ ، فَقَالَ : قُبْحُكُمْ ! إِنْ قَتَلَ مِنْكُمْ رَجُلٌ ^(٢) وَاحِدَ ظَنَنْتُمْ أَنَّ قَدْ أَحْيَيْتُمْ بِكُمْ ، فَإِنْ قُتِلَ الْآنَ ابْنُ مَصْعُكَةَ الْقَسِيمِ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ، وَقَلَمَ : لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ يُقَاتِلُ مَعَهُ ! مَا أَتُخَلِّقُكُمْ أَنْ يُخَلِّفَ رَجَاؤُنَا فِيكُمْ ! وَكَانَ مَقْتَلُ سِطَامِ مِنَ الرَّيِّ ، فَالْتَقَى هُوَ وَقَتِيْبَةُ فِي الطَّرِيقِ ، فَدَعَاهُ قَتِيْبَةُ إِلَى الْحِجَااجِ وَأَهْلِ الشَّامِ ، وَدَعَاهُ سِطَامُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَأَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَكَلَاهُمَا أَبُو عَلَى صَاحِبُهُ ، وَقَالَ سِطَامُ : لَأَنْ أَمُوتَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعِيشَ مَعَ أَهْلِ الشَّامِ ، وَكَانَ قَدْ نَزَلَ مَا سَبَكَانَ ؟ فَلَمَّا قَبِدَمَ قَالَ لِابْنِ مُحَمَّدٍ : أَمَرَنِي عَلَى خَيْلٍ رَبِيعَةٍ ؟ ففعلها ، فقال لم : يَا مَعْشَرَ رَبِيعَةٍ ، إِنْ فِي شَرَسَفَةٍ عِنْدَ الْحَرْبِ فَاحْتَمِلُوهَا لِي - وَكَانَ شُجَاعًا - فَخَرَجَ النَّاسُ ذَاتَ يَوْمٍ لِيَقْتَتِلُوا ، فَحَمَلَ فِي خَيْلٍ رَبِيعَةٍ حَتَّى دَخَلَ عَسْكَرَهُمْ ، فَأَصَابُوا فِيهِمْ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ امْرَأَةً مِنْ بَيْنِ أُمَّةٍ وَسُرُيَّةٍ ، فَأَقْبَلَ بِهِنَّ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ عَسْكَرِهِمْ رَدَّهِنَّ ، فَجَنَّ وَدَخَلَ عَسْكَرَ الْحِجَااجِ ، فَقَالَ : أَوْلَيْتُمْ لَمْ ! مَتَّحَ الْقَوْمُ نِسَاءَهُمْ ، أَمَا لَوْلَمْ يَرُدُّوهُنَّ لَكَسِيَتْ نِسَاؤُهُمْ غَدًا إِذَا ظَهَرَتْ . ثُمَّ اقْتَتَلُوا يَوْمًا آخَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَحَمَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُكَلِّيلِ الْمَسْلَدَانِي فِي خَيْلٍ لَهُ حَتَّى دَخَلَ

(١) ب ، ف : « الرَّهْو » ، وَالرَّهْو : مَا اطْلَانُ مِنَ الْأَرْضِ وَارْتَقَعَ مَا حَوْلَهُ .

(٢) ب ، ف : « رَجُلٌ وَاحِدٌ مِنْكُمْ » .

عسكرهم فسبا ثمانى عشرة امرأة ، وكان معه طارق بن عبد الله الأسدي - وكان رامياً - فخرج شيخ من أهل الشام من فسطاطيه ، فأخذ الأسدي يقول لبعض أصحابه : استر منى ^(١) ، هذا الشيخ لعلنى أرميه أو أحمل عليه فاطمته ، فإذا الشيخ يقول رافعاً صوته : اللهم لئمتنا ولئمتهم بعافية ؛ فقال الأسدي : ما أحب أن أقتل مثل هذا ، فركه ، وأقبل ابن مليل بالنساء غير بعيد ؛ ثم خلى سبيلهن أيضاً ، فقال الحجاج مثل مقالته الأولى .

قال هشام : قال أبي : أقبل الوليد بن نحيث الكلبي من بني عامر في كتيبة إلى جبلة بن زحر ، فانحط عليه الوليد من رابية - وكان جسيماً ، وكان جبلة رجلاً ربعة - فالتقى ، فصر به على رأسه فسقط ، وانهزم أصحابه وحي برأسه .

قال هشام : فحدثني بهذا الحديث أبو مخنف وعوانة الكلبي ، قال : لما جىء برأس جبلة بن زحر إلى الحجاج حمكه على ربحين ثم قال : يا أهل الشام ، أبشروا ، هذا أول الفتح ، لا والله ما كانت فتنة قط فخبث حتى يقتل فيها عظيم من عظماء أهل اليمس ، وهذا من عظمائهم . ثم خرجوا ذات يوم فخرج رجل من أهل الشام يدعو إلى المبارزة ، فخرج إليه الحجاج ابن بجارية ، فحمل عليه ، فطعنه فأذراه ، وحمل أصحابه فاستنقذوه ، فإذا هو رجل من خنعم يقال له أبو الدرداء ، فقال الحجاج بن بجارية : أما إنى لم أعرفه حتى وقع ، ولو عرفته ما بارزته ، ما أحب أن يصاب من قوى مثله . وخرج عبد الرحمن بن عوف الرقاسي أبو حميد قدعاً إلى المبارزة ، فخرج إليه ابن عم له من أهل الشام ، فاضطربا بسيقيهما ، فقال كل واحد منهما : أنا الغلام الكلبي ، فقال بكل واحد منهما لصاحبه : من أنت ؟ فلما نساء لا تحتاجزاً . وخرج عبد الله بن رزام الحارثي إلى كتيبة الحجاج ، فقال : اخرجوا إلى رجل رجلاً ، فأخرج إليه رجل ، فقتله ثم فعل ذلك ثلاثة أيام ، يقتل كل يوم رجلاً ، حتى إذا كان اليوم الرابع

أقبل ، فقالوا : قد جاء لا جاء الله به ! فدعا إلى المبارزة ، فقال الحجاج للجراح : اخرج إليه ، فخرج إليه ، فقال له عبد الله بن رزام - وكان له صديقاً : ويحك يا جراح ! ما أنخرجك إلى ! قال : قد ابتليت بك ، قال : فهل لك في خير ؟ قال : ما هو ؟ قال : أنهزم لك فترجع إلى الحجاج وقد أحسنت عنده وحمدك ، وأما أنا فإني أحتمل مقالة الناس في انهزامي عنك حباً لسلامتك ، فإني لا أحب أن أقتل من قومي مثلك ؛ قال : فافعل ، فحمل عليه فأخذ يستطرد له - وكان الحارثي قد قطعت لسانه ، وكان يعطش كثيراً ، وكان معه غلام له معه إداوة من ماء ، فكلما عطش سقاه الغلام فاستطرد له الحارثي ، وحمل عليه الجراح حملةً يجد لا يريد إلا قتله ، فصاح به غلامه : إن الرجل جاد في قتلك ! فعطف عليه فضربه بالعمود على رأسه فصردعه ، فقال لغلامه : انضج على وجهه من ماء الإداوة ، واسقيه ، ففعل ذلك به ، فقال : يا جراح ، بشيئاً ما جزيتني ، أردت بك العافية وأردت أن تُزيرني المنية ! فقال : لم أرد ذلك ، فقال : انطقتي فقد تركتك للقرابة والعشيرة .

قال محمد بن عمر الواقدي : حدثني ابن أبي سبيرة ، عن صالح بن ١٠٩٢/٢ كيسان ، قال : قال سعيد الحارثي : أنا في صف القتال يومئذ إذ خرج رجل من أهل العراق ، يقال له : قدامة بن الحريش التميمي ، فوقف بين الصفيين ، فقال : يا معشر جرمية أهل الشام ، إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، فإن أبيتم فليخرج إلى رجل ، فخرج إليه رجل من أهل الشام فقتله ، حتى قتل أربعة ، فلما رأى ذلك الحجاج أمر منادياً فنادى : لا يخرج إلى هذا الكلب أحد ، قال : فكف الناس . قال سعيد الحارثي : فدنوت من الحجاج فقلت : أصلح الله الأمير ! إنك رأيت ألا يخرج إلى هذا الكلب أحد ، وإنما هلك من هلك من هؤلاء النفر بآجالهم ، ولهذا الرجل أجل ، وأرجو أن يكون قد حضر ، فأذن لأصحابي الذين قد مروا معي فليخرج إليه رجل منهم ، فقال الحجاج : إن هذا الكلب لم يزل هذا ^(١) له عادة

وقد أروى الناس ، وقد أذنت لأصحابك ، فمن أحب أن يقوم فليقم .
 فربح سعيد الحرثي إلى أصحابه فأعلمهم ، فلما نادى ذلك الرجل بالبراز برز
 إليه رجل من أصحاب الحرثي ، فقتله قدامه ، فشق ذلك على سعيد ، وثقل
 عليه لكلامه الحجاج ، ثم نادى قدامه : من يبارز ؟ فلما سعيد من الحجاج ،
 فقال : أصلح الله الأمير ! ائذن لي في الخروج إلى هذا الكلب ، فقال :
 وعندك ذلك ؟ قال سعيد : نعم ، أنا كما تحب^(١) ، فقال الحجاج : أرني
 سيفك ، فأعطاه إياه ، فقال الحجاج : معي سيف أثقل من هذا ، فأمر
 له بالسيف^(٢) ، فأعطاه إياه ، فقال الحجاج - ونظر إلى سعيد فقال : ما أجود
 درعك وأقوى فرسك ! ولا أدرى كيف تكون مع هذا الكلب ! قال سعيد :
 أرجو أن يظفرني الله به ، قال الحجاج : اخرج على بركة الله . قال سعيد :
 فخرجت إليه ، فلما دنوت منه ، قال : قف يا عدو الله ، فوقفت ، فسرني
 ذلك منه ، فقال : اختر إما أن تمكيني فأضربك ثلاثاً ، وإما أن أمكنك
 فتضربني ثلاثاً ، ثم تمكيني . قلت : أمكنني ، فوضع صدره على قربيومه
 ثم قال : اضرب ، فجمعت يدي على سيق ، ثم ضربت على المغفر
 متمكناً ، فلم يصنع شيئاً ، فسألت ذلك من سيق ومن ضربتي ، ثم أجمع
 رأيي أن أضربه على أصل العاتق ، فلما أن أقطع وإما أن أوهن يده عن ضربته ،
 فضربته فلم أصنع شيئاً ، فسألت ذلك ومن غاب عني ممن هو في ناحية العسكر
 حين بلغه ما فعلت ، والثالثة كذلك . ثم اخترط سيفاً ثم قال : أمكنني ،
 فأمكنته ، فضربني ضربة صرختي منها ، ثم نزل عن فرسه وجلس على
 صدرى ، وانتزع من خفيته خنجرأ أو سكيناً فوضعها على حلقى يريد
 ذبحي ، فقلت له : أنشدك الله ! فإنك لست مصيباً من قتلى الشرف
 والذكر مثل ما أنت مصيب من ترمكي ، قال : ومن أنت ؟ قلت : سعيد
 الحرثي ، قال : أولى يا عدو الله ! فانتطقت فأعلم صاحبك^(٣) ما لقيت .
 قال سعيد : فانطلقت أسعى حتى انتهيت إلى الحجاج ، فقال : كيف

١٠٩٣/٢

١٠٩٤/٢

(٢) ب ، ف : « سيف » .

(١) ب ، ف : « كما يحب الأمير » .

(٣) ب ، ف : « أصحابك » .

رَأَيْتُ ! فَقُلْتُ : الْأَمِيرُ كَانَ أَعْلَمَ بِالْأَمْرِ ^(١) .

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف ، عن أبي يزيد ^(٢) ، قال : وكان أبو البختري الطائي وسعيد بن جبشير يقولان : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُوَجَّلًا...﴾ ^(٣) إلى آخر الآية ، ثم يَحْمِلَانِ حَتَّى يَوَاقِعَا الصَّفَّ .

قال أبو المُخَارِق : قَاتَلْنَاهُمْ مِائَةَ يَوْمٍ سِوَاءَ أَعْدَاهَا عَدًّا . قال : نَزَلْنَا دِيرَ الْجَمَاجِمِ مَعَ ابْنِ مُحَمَّدٍ غِلْدَةَ الثَّلَاثَةِ اللَّيْلَةِ مُضَتْ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ ، وَهَزَمْنَا يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ مُضَتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ عِنْدَ امْتِدَادِ الضُّحَى وَشُوعِ النَّهَارِ ، وَمَا كُنَّا قَطًّا أَجْرًا عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ أَهْوَنَ عَلَيْنَا مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ .

قال : خَرَجْنَا إِلَيْهِمْ وَخَرَجُوا إِلَيْنَا يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ، لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ مُضَتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، فَقَاتَلْنَاهُمْ عَامَةَ النَّهَارِ أَحْسَنَ قِتَالٍ قَاتَلْنَاهُمُوهُ قَطًّا ، وَنَحْنُ آمِنُونَ مِنَ الْهَزِيمَةِ ، عَالُونَ لِلْقَوْمِ ، إِذْ خَرَجَ سُمَيَّانِ بْنِ الْأَبْرَدِ الْكَلْبِيِّ فِي الْخَيْلِ مِنْ قِبَلِ مِيمَنَةِ أَصْحَابِهِ ، حَتَّى دَنَا مِنَ الْأَبْرَدِ بْنِ قُرَّةِ التَّمِيمِيِّ ، وَهُوَ عَلَى مَسِيرَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، فَوَاللهُ مَا قَاتَلَكُمُ كَبِيرٌ قِتَالٍ حَتَّى انْهَزَمَ ، فَأَنْكَرَهَا النَّاسُ مِنْهُ ، وَكَانَ شَجَاعًا ، وَلَمْ يَكُنِ الْفِرَارَ لَهُ بَعَادَةً ، فَظَنَ

النَّاسُ أَنَّهُ قَدْ كَانَ أَوْسَى ، وَصُولُحٌ عَلَى أَنْ يَنْهَزَمَ بِالنَّاسِ ، فَلَمَّا فَعَلَهَا ١٠٩٥/٢ تَقَوَّضَتِ الصُّفُوفُ مِنْ نَحْوِهِ ، وَرَكِبَ النَّاسُ وَجُوهَهُمْ ^(٤) وَأَخْطَوْا فِي كُلِّ وَجْهِ ، وَصَعِدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُنْبَرَّ ، فَأَخَذَ ^(٥) يُنَادِي النَّاسَ : عِبَادَ اللَّهِ ، إِلَيَّ أَنَا ابْنُ مُحَمَّدٍ ؛ فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رِزَامٍ الْحَارِثِيُّ ، فَوْقَ تَحْتِ مَنْبَرِهِ ، وَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذَوَابِ السُّلَمِيِّ فِي خَيْلٍ لَهُ ^(٦) ، فَوْقَ مِنْهُ قَرِيبًا ، وَثَبَتَ حَتَّى دَنَا مِنْهُ أَهْلُ الشَّامِ ، فَأَخْذَتْ نَبْلُهُمْ تَحْوِزُهُ ، فَقَالَ : يَا بَنَ رِزَامَ ، احْمِلْ عَلَى هَذِهِ الرِّجَالِ وَالْخَيْلِ ، فَحَمَلْ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَمْعَنُوا . ثُمَّ جَاءَتْ

(١) يعلو في ب ، ف : « حتى » . (٢) أول الحديث ص ٣٥٨ .

(٣) سورة آل عمران : ١٤ . (٤) ب ، ف : « وجوههم » .

(٥) ب ، ف : « وأخذ » . (٦) ب ، ف : « ولم يخل » .

خيل لم أخرى ورجالة ، فقال : احمل عليهم يا بن دُؤاب ، فحمل عليهم حتى أمعنوا ، وثبت لا يبرح منبره ، ودخل أهل الشام العسكر ، فكبروا^(١) ، فصعد إليه عبد الله بن يزيد بن المغفل الأزدي - وكانت ملكة ابنة أخيه امرأة عبد الرحمن - فقال : انزل ، فإني أخاف عليك إن لم تنزل أن تؤسر ، ولعلك إن انصرفت أن تجمع لم جسمنا يهلكهم الله به بعد اليوم . فنزل وحلّى أهل العراق العسكر ، وانهمزوا لا يلون على شيء ، ومضى عبد الرحمن بن محمد مع ابن جعلة بن هبيرة معه أناس من أهل بيته ، حتى إذا حاذوا قرية بني جعلة بالفلوجة دعوا بمعبر ، فمعبروا فيه ، فأنهى إليهم بسطام بن مصقلة ، فقال : هل في السفينة عبد الرحمن بن محمد ؟ فلم يكلموه ، وظن أنه فيهم ، فقال :

• لا وآلت نفس عليها تُحاذر •

١٠٩٦/٢ ضَرَمَ قَيْسٌ عَلَى الْبِلَاءِ دَ حَتَّى إِذَا اضْطَرَمْتَ أَجْلَمًا^(١)

ثم جاء حتى انتهى إلى بيته وعليه السلاح ، وهو على فرسه لم يتزل عنه ، فخرجت إليه ابنته فالتزمتها ، وخرج إليه أهله ليكون ، فأوصاهم بوصية وقال : لا تبكوا ، أرايتم إن لم أترككم ، كم حسيت أن أبقي معكم حتى أموت ! وإن أنا مت فإن الذي رزقكم الآن حتى لا يموت ، وسيرزقكم بعد وفاتي كما رزقكم في حياتي ، ثم ودع أهله وخرج من الكوفة .

قال أبو مخنف : فحدثني الكلبي محمد بن السائب ، أنهم لما هزموا ارتفاع النهار حين امتدّ وفتح ، قال : جثت أشدّ ومعى الرمح والسيف والثرس حتى بلغت أهل من يوى ، ما ألقيت شيئاً من سلاحي ، فقال الحجاج : اتركهم فليبتدؤوا ولا تتبعوهم ، وفادى المنادي : من رجع فهو أمين . ورجع محمد بن مروان إلى الموصل ، وعبد الله بن عبد الملك إلى الشام بعد الواقعة ، وخطب الحجاج والعراق ، وجاء الحجاج حتى دخل الكوفة ، وأجلس مصقلة ابن كرب بن رقة العبدى إلى جنبه ، وكان خطيباً ، فقال : اشم كل

(١) س : وفكروا . (٢) من أبيات الربيع بن زياد ، ديوان الحماسة بشرح التبريزي ٢ : ٦١ .

امري بما فيه ممن كنت أحسن إليه، فاشتبه بقلّة شكره، ولؤم عهده؛ ومن علمت منه عيباً فعبه بما فيه، وصغر إليه نفسه. وكان لا يبايعه أحداً إلا قال له : أتشهد أنك قد كثرت ؟ فإذا قال : نعم ، بآيته وإلا قسّكه ، فجاء إليه رجل ١٠٩٧/٢ من خشع قد كان معتزلاً للناس جميعاً من وراء القُرّات ، فسأله عن حاله فقال : ما زلت معتزلاً وراء هذه النطقة ، منتظراً أمر الناس حتى ظهرت ، فأنتبك لأبايعك مع الناس ؛ قال : أمر بئس ! أتشهد أنك كافر ؟ قال : بئس الرجل أنا إن كنت عبدت الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر ؛ قال : إذا أتيتك ، قال : وإن قتلتني فوالله ما بقي من عمري إلا ظيمٌ حمار ، وإلى أنتظر الموت صباح مساء ، قال : اضربوا عنقه ، فضربت عنقه ، فزعموا أنه لم يبق حوله قرشي ولا شامي ولا أحد من الحزبين إلا رحمه ورثي له من القتيل .

ودعاً بكميل بن زياد النخعي فقال له : أنت المقتصر من عثمان أمير المؤمنين ؟ قد كنت أحب أن أجد عليك سبيلاً ، فقال : والله ما أدرى على أينما أنت أشد غضباً ؟ عليه حين أقاد من نفسه ، أم على حين صفوت عنه ؟ ثم قال : أيها الرجل من ثقيف ، لا تصرف على أنيابك ، ولا تهدم على تهدم الكتيّب ، ولا تكسر كسراً الذب ، والله ما بقي من عمري إلا ظيمٌ الحمار ، فإنه يشرب غدوة ويموت عشية ، ويشرب عشية ويموت غدوة ، اقض ما أنت قاض ، فإن الموعد الله ، وبعد القتل الحساب . قال الحجاج : فإن الحجة عليك ، قال : ذلك إن كان القضاء إليك ، قال : بلى ، كنت فيمن قتل عثمان ، وخطمت أمير المؤمنين ، اقلوه . ١٠٩٨/٢ فمقدم قتل ، قتله أبو الجهم بن كنانة الكلبي من بني عامر بن عوف ، ابن عم منصور بن جمهور .

وأتى بآخر من بعده ، فقال الحجاج : إني أرى رجلاً ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر ، فقال : أخادعي عن نفسي ! أنا أكثر أهل الأرض ، وأكثر من فرعون ذي الأوتاد ، فضحك الحجاج وتلى سبيله . وأقام بالكوفة شهراً ، وعزل أهل الشام عن بيوت أهل الكوفة .

[هزيمة ابن الأشعث وأصحابه في وقعة مسكن]

وفي هذه السنة كانت الوقعة بمسكن بين الحجاج وابن الأشعث بعدما انهزم من دير الجماجم .

* ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة وعن صفتها :

قال هشام : حدثني أبو مخنف ، عن أبي يزيد السكسكي ، قال :
خرج محمد بن سعد بن أبي وقاص بعد وقعة الجماجم حتى نزل المدائن ،
 واجتمع إليه فاس كثير ، وخرج عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة بن
 حبيب بن عبد شمس القرظي حتى أتى البصرة وبها أيوب بن الحكم بن
 أبي عقيل ، ابن عم الحجاج ، فأخذها ، وخرج عبد الرحمن بن محمد حتى قدم
 البصرة وهو بها ، فاجتمع الناس إلى عبد الرحمن ونزل ، فأقبل عبيد الله
 حينئذ إلى ابن محمد بن الأشعث ، وقال له : إني لم أرد فراقك ، وإنما
 أخذتها لك . وخرج الحجاج فبدأ بالمدائن ، فأقام عليها خمسا حتى هب الرجال
 في المعابر ، فلما بلغ محمد بن سعد عبورهم إليهم خرجوا حتى لحقوا بابن
 الأشعث جميعا . وأقبل نحوهم الحجاج ، فخرج الناس معه إلى مسكن
 على دجيل ، وأناه أهل الكوفة والفلول من الأطراف ، وتلازم الناس على
 الفرار ، وبايع أكثرهم بسطام بن مصلكة على الموت ، وحشد عبد الرحمن
 على أصحابه ، وبشق الماء من جانب ، فجعل القتال من وجه واحد ، وقدم
 عليه خالد بن جرير بن عبد الله القسري من خراسان في ناس من بعث
 الكوفة ، فاقتتلوا خمس عشرة ليلة^(١) من شعبان أشد القتال حتى قتل
 زياد بن غنم القتيبي ، وكان على مساليح الحجاج ، فهذه ذاك وأصحابه^(٢)
 هدا شديدا .

قال أبو مخنف : حدثني أبو جعفر الأزدي ، قال : بات الحجاج
 ليلة كلفه يسير فينا يقول لنا : إنكم أهل الطاعة ، وهم أهل المعصية ، وأنتم
 تسعون في رضوان الله ، وهم يسعون في سخط الله ، وعادة الله عندكم فيهم

(١) ب : « خمسة عشر يوما » .

(٢) ب : « بعد أصحابه » .

حَسَنَةً ، مَا صَلَاحَتُهُمْ فِي مَوْطِنٍ قَطَّ وَلَا صَبْرَتُهُمْ لَمْ إِلَّا أَعْقَبَكُمْ اللَّهُ النَّصْرَ عَلَيْهِمْ وَالظَّفَرَ بِهِمْ ؛ فَأَصْبَحُوا إِلَيْهِمْ عَادِينَ جَادِينَ ، فَلَمَّا لَسْتُ أَشْكُ فِي النَّصْرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قال : فَأَصْبَحْنَا^(١) ، وَقَدْ عَيَّانَا فِي السَّحَرِ ، فَبَاكَرْنَا^(٢) فَقَاتَلْنَا^(٣) ١١٠٠/٢ أَشَدَّ قِتَالٍ قَاتَلْنَا هُمُوهُ قَطَّ ، وَقَدْ جَاءَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الْمُهَلَّبِ مُحِقًّا ، وَقَدْ كُشِفَتْ خَيْلُ سُفْيَانَ بْنِ الْأَبَرْدِ ، فَقَالَ لَهُ الْحِجَّاجُ : ضَمَّ إِلَيْكَ يَا عَبْدَ الْمَلِكِ هَذَا النَّشْرُ^(٤) لَعَلَّ أَحْمِلَ عَلَيْهِمْ ، ففَعَلَ ، وَحَمَلَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَانْهَزَمَ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَيْضًا ، وَقَتِلَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ الطَّائِيُّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى ، وَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقْتَتِلَا : إِنَّ الْفِرَارَ كُلَّ سَاعَةٍ بِنَا لَتَقْبِيحٍ . فَأَصْبَحَا . قال : وَمَشَى بَسْطَامُ بْنُ مَصْقَلَةَ الشَّيْبَانِيُّ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاطِ مِنْ أَهْلِ الْمَصْرَيْنِ ، فَكَتَسَرُوا وَجَفُونَ السَّيُوفَ ، وَقَالَ لَمْ ابْنَ مَصْقَلَةَ : لَوْ كُنَّا إِذَا فَرَرْنَا بِأَنْفُسِنَا مِنَ الْمَوْتِ نَجَوْنَا مِنْهُ فَرَرْنَا ، وَلَكِنَّا^(٥) قَدْ عَلِمْنَا أَنَّهُ نَازِلٌ بِنَا عَمَّا قَلِيلٍ ، فَأَيْنَ الْمَحِيدِ عَمَّا لَا يَدَّ مِنْهُ يَا قَوْمُ إِنَّكُمْ مُحِقُونَ ، فَقَاتِلُوا عَلَى الْحَقِّ ، وَاللَّهُ لَوْ لَمْ تَكُونُوا عَلَى الْحَقِّ لَكَانَ مَوْتٌ فِي عَزٍّ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي ذُلٍّ . فَقَاتَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ قِتَالًا شَدِيدًا كَشَفُوا فِيهِ أَهْلَ الشَّامِ مَرًّا ، حَتَّى قَالَ الْحِجَّاجُ : عَلَى بِالرَّمَا لَا يَقَاتِلُهُمْ غَيْرُهُمْ ، فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ الرَّمَا وَأَحَاطَ بِهِمُ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ قُتِلُوا إِلَّا قَلِيلًا ، وَأَخِذَ بِكَبِيرٍ بِنِ رَيْبَعَةَ بْنِ ثَرْوَانَ^(٦) الضُّبِّيَّ أَسِيرًا ، فَأَنَيْ بِهِ الْحِجَّاجُ قَتْلَهُ .

قال أَبُو مَخْنَفٍ : فَحَدَّثَنِي أَبُو الْحِمْصَمِ ، قَالَ : بَجَثَّ بِأَمِيرِ كَانَ الْحِجَّاجُ يَعْرِفُهُ بِالْبَاسِ ، فَقَالَ الْحِجَّاجُ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، إِنَّهُ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ لَكُمْ أَنْ هَذَا غُلَامٌ مِنَ الْعِلْمَانِ جَاءَ بِفَارِسِ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَسِيرًا ، أَضْرِبْ عَنْقَهُ ، فَقَتَلَهُ .

قال : وَضَعِي ابْنَ الْأَشْعَثِ وَالْفُكْلَ مِنَ الْمُنْهَزَمِينَ مَعَهُ نَحْوَ مَسِجِدِ سُبْحَانَ فَأَتَبَهُمُ الْحِجَّاجُ عِمَارَةَ بَنِ تَيْمِ الْخَمِي وَمَعَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحِجَّاجِ وَعِمَارَةُ أَمِيرٌ

(١) بِمَدَا ق ب : « إِلَيْهِمْ » . (٢) ب : « وَبَاكَرْنَا » .

(٣) الشَّر : الْقَوْمُ الْمُنْفَرُونَ لَا يَجْمَعُهُمْ رَأْسٌ . وَق ب : « الْبِشَر » .

(٤) ب : « لَكِنَّا » . (٥) ط : « أَبِي ثَرْوَانَ » ، وَالصُّلُوبُ مَا أَتَيْتُهُ .

على القوم، فسار عمارة بن تميم إلى عبد الرحمن فأدركه بالسوس، فقاتلته ساعة من نهار، ثم إنه انهزم هو وأصحابه فقبضوا حتى أتوا سابور، واجتمعت إلى عبد الرحمن بن محمد الأكراد مع من كان معه من الفلوك، فقاتلتهم عمارة بن تميم قتالا شديداً على العقبة حتى جرح عمارة وكثير من أصحابه، ثم انهزم عمارة وأصحابه وخطبوا لهم عن العقبة، ومضى عبد الرحمن حتى مر بكربمان.

قال الواقدي: كانت وقعة الزاوية بالبصرة في المحرم سنة ثلاث وثمانين.

قال أبو مخنف: حدثني سيف بن بشر العجلي، عن المنخل بن حابس العبدى، قال: لما دخل عبد الرحمن بن محمد كربمان تلقاه عمرو بن لقيط العبدى - وكان عامله عليها - فهياً له نزلًا فترك، فقال له شيخ من عبد القيس يقال له معقل: والله لقد بكفنا عنك يابن الأشعث أن قد كنت جباناً، فقال عبد الرحمن: والله ما جيت، والله لقد دللت الرجال بالرجال، ولغفت الخيل بالخيل، ولقد قاتلت فارساً، وقاتلت راجلاً، وما انهزمت، ولا تركت العرصة للقوم في موطن حتى لا أجد مقاتلاً ولا أرى معي مقاتلاً، ولكني زالت ملكاً موطلاً. ثم إنه مضى بمن معه حتى فوز في مفازة كربمان.

قال أبو مخنف: فحدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي، قال: لما مضى ابن محمد في مفازة كربمان وأتبعه أهل الشام دخل بعض أهل الشام قصرًا في المفازة، فإذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من شعر أبي جلدة الشكري، وهي قصيدة طويلة:

أيا لهفًا ويا حزنًا جميعاً ويا حرَّ الفوادِ لِمَا لَقِينَا
تركنا الدينَ والدنيا جميعاً وأسلمنا الحلالَ والبئينا
فما كنا أناساً أهلَ دينٍ فنصبر في البلاء إذا ابتلينا
وما كنا أناساً أهلَ دنيا فنمنعها ولو لم نرجُ ديننا

تركنا دُورنا لَطَعامِ عَكْ وَأَنْبَاطِ الْقُرَى وَالْأَشْعَرِينَا^(١)

ثمَّ إنَّ ابنَ محمد مَضَى حَتَّى خَرَجَ عَلَى زَرْتَجِ مَدِينَةِ سِجِسْتَانَ ، وَفِيهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ قَدْ كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهَا ، يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ الْبَعَارِ مِنْ بَنِي مُجَاشِعِ بْنِ دَارِمٍ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ ١١٠٣/٢ مِنْهُمْ مِمَّا أَغْلَقَ بَابَ الْمَدِينَةِ دُونَهُ ، وَمَعَهُ دُخُولُهَا ، فَأَقَامَ عَلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَيَّامًا رِجَاءً افْتِتَاحَهَا وَدُخُولَهَا . فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا خَرَجَ حَتَّى أَتَى بُسْتًا ، وَقَدْ كَانَ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا رَجُلًا مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ يُقَالُ لَهُ عِيَاضُ بْنُ هِمْيَانَ أَبُو هِشَامِ بْنِ عِيَاضِ السُّلَمِيِّ ، فَاسْتَقْبَلَهُ ، وَقَالَ لَهُ : انْزِلْ ، فَجَاءَ حَتَّى نَزَلَ بِهِ ، وَانْتَظَرَ حَتَّى إِذَا غَضَلَ أَصْحَابُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَفَرَّقُوا عَنْهُ وَثَبَّ عَلَيْهِ فَأَوْثَقَهُ ، وَأَرَادَ أَنْ يَأْمَنَ بِهَاعِنْدَ الْحِجَاجِ ، وَيَتَّخِذَ بِهَاعِنْدَهُ مَكَانًا . وَقَدْ كَانَ رُتَبِيلٌ سَمِعَ بِمَقْدَمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ ، فَاسْتَقْبَلَهُ فِي جَنْوَدِهِ ، فَجَاءَ رُتَبِيلٌ حَتَّى أَحَاطَ بِبُسْتٍ ، ثُمَّ نَزَلَ وَبَعَثَ إِلَى الْبَكْرِى : وَاللَّهِ لَئِنْ آذَيْتَهُ بِمَا يُقْدِرُ عَلَيْهِ ، أَوْ ضَرَرْتَهُ بِبَعْضِ الْمَضَرَّةِ ، أَوْ رَزَّاهُ حَبْلًا مِنْ شَعَرٍ لَا أَبْرَحَ الْعَرِصَةَ حَتَّى اسْتَتَرْتُكَ فَأَقْتُلُكَ وَجَمِيعَ مَنْ مَعَكَ ، ثُمَّ أَسَى ذُرَارِيَكُمْ ، وَأَقْسَمَ بَيْنَ الْجُنْدِ أَمْوَالَكُمْ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْبَكْرِى أَنْ أَعْطَانَا أَمَانًا عَلَى أَنْفُسِنَا وَأَمْوَالِنَا ، وَنَحْنُ نَدْفَعُهُ إِلَيْكَ سَالِمًا ، وَمَا كَانَ لَهُ مِنْ مَالٍ مَوْفُورًا . فَصَالَحَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَمَنَهُمْ ، فَفَتَحُوا لَابْنَ الْأَشْعَثِ الْبَابَ وَخَلَوْا سَبِيلَهُ ، فَأَتَى رُتَبِيلٌ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ هَذَا كَانَ عَامِلًا عَلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ ، وَكُنْتُ حَيْثُ وَلِيَّتُهُ وَاقْفَاءُهُ ، مَطْمَئِنًّا إِلَيْهِ ، فَغَدَرَنِي وَرَكِبَ مَعِيَ مَا قَدْ رَأَيْتُ ، فَأَذِنَ لِي فِي قَتْلِهِ ، قَالَ : قَدْ آمَنْتُهُ وَأَكْرَهَ أَنْ أُغْلِبَ بِهِ ، قَالَ : فَأَذِنَ لِي فِي دَفْعِهِ وَلَهْزِهِ^(٢) ، وَالتَّصْغِيرِ ١١٠٤/٢ بِهِ ، قَالَ : أَمَّا هَذَا فَنَعَمْ . فَقَعَلَ بِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى دَخَلَ مَعَ رُتَبِيلٍ بِلَادَهُ ، فَأَنْزَلَهُ رُتَبِيلٌ عَنْدهُ وَأَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ ، وَكَانَ مَعَهُ نَاسٌ مِنْ الْفُكَلِ كَثِيرٌ .

ثمَّ إنَّ عَظْمَ الْفُلُولِ وَجَمَاعَةَ أَصْحَابِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَمَنْ كَانَ لَا يَرْجُو

(٢) اللَّهْزُ : الضَّرْبُ .

(١) انظر : الأغاني ١١ : ٣١٢ ، ٣١٣ .

الأمان؛ من الرعوس والقادة الذين نصبوا للحجاج في كل موطن مع ابن الأشعث، ولم يبقوا أمان الحجاج في أول مرة، وجهدوا عليه الجهد كله، أقبلوا في أثر ابن الأشعث وفي طلبه حتى سقطوا بسجستان، فكان بها منهم ومن تبعهم من أهل سجستان وأهل البلد نحو من ستين ألفاً، ونزلوا على عبد الله بن عامر البعار فحصروه، وكتبوا إلى عبد الرحمن يخبرونه بقلوبهم وعقدهم وجماعتهم، وهو عند رتبيل. وكان يصلى بهم عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فكتبوا إليه: أن أقبل إلينا لعلنا نسير إلى خراسان، فإن بها منا جنوداً عظيماً، فلعلهم يبايعونا على قتال أهل الشام، وهي بلاد واسعة عريضة، وبها الرجال والحصون. فخرج إليهم عبد الرحمن بن محمد بن معه، فحصروا عبد الله بن عامر البعار حتى استتركوه، فأمر به عبد الرحمن فضرب وعذب وحبس. وأقبل نحوهم عمارة بن تميم في أهل الشام، فقال أصحاب عبد الرحمن بن محمد لعبد الرحمن: اخرج بنا عن سجستان فلندعها^(١) له ونأق خراسان، فقال عبد الرحمن بن محمد: على خراسان يزيد بن المهلب، وهو شاب شجاع صارم، وليس بتارك لكم سلطانته، ولو دخلتموها وجدتموه إليكم سريعاً، ولن يدع أهل الشام اتباعكم، فأكره أن يجتمع عليكم أهل خراسان وأهل الشام، وأخاف ألا تنالوا ما تطلبون^(٢)، فقالوا: إنما أهل خراسان منا، ونحن نرجو أن لو قد دخلناها أن يكون من تبعنا منهم أكثر من يقاتلنا، وهي أرض طويلة عريضة نتجى^(٣) فيها حيث شئنا، ونمكث حتى يهلك الله الحجاج أو عبد الملك، أو نرى من رأينا. فقال لهم عبد الرحمن: سيروا على اسم الله.

فساروا حتى بلغوا هرة، فلم يشعروا بشيء حتى خرج من عسكره عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة القرشي في ألفين، ففارقهم، فأخذ طريقاً سوى طريقهم، فلما أصبح ابن محمد قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، فإنني قد شهدتكم في هذه المواطن، وليس فيها مشهد

(١) ب: «ولتسها». (٢) ب: «ألا تنالوا ما تطلبونه». (٣) ب: «نتجى».

إِلَّا أَصِيرَ لَكُمْ فِيهِ نَفْسِي حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ فِيهِ أَحَدٌ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنْكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ ، وَلَا تَصْبِرُونَ ، أَتَيْتُ مُلْجَأً وَمَأْمَنًا فَكُنْتُ فِيهِ ، فَجَاءَ نَفْسِي كَتِيبُكُمْ بِأَنْ أَقْبِلَ إِلَيْنَا ، فَإِنَّا قَدْ اجْتَمَعْنَا وَأَمَرْنَا وَاحِدٌ ، لَعَلَّنَا نَقَاتِلَ عَدُوَّنَا ، فَأَتَيْتُكُمْ فَرَأَيْتُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى خُرَّاسَانَ وَزَعَمَ أَنْكُمْ يَجْتَمِعُونَ لِي ، وَأَنْكُمْ لَنْ تَفَرُّقُوا عَنِّي . ثُمَّ هَذَا عَبِيدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَدْ صَنَعَ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ ، فَحَسْبِي مِنْكُمْ يَوْمَ هَذَا فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ ، أَمَا أَنَا فَتَصَرَّفْ إِلَى صَاحِبِي الَّذِي أَتَيْتُكُمْ مِنْ قَبْلِهِ ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّبِعَنِي فَلْيَتَّبِعَنِي ، وَمَنْ كَرِهَ ذَلِكَ فَلْيَذْهَبْ حَيْثُ أَحَبَّ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ .

فَتَفَرَّقَتْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ، وَنَزَلَتْ مَعَهُ طَائِفَةٌ ^(١) ، وَبَقِيَ عَظَمُ السَّكَّرِ ، فَوَقَّيْنَا إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْعَبَّاسِ لَمَّا انْصَرَفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، فَبَايَعُوهُ . ثُمَّ مَضَى ابْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى رُتْبِيلٍ وَمَضَوْا هُمْ إِلَى خُرَّاسَانَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى هَرَّاقَةَ ، فَلَقُوا بِهَا الرَّقَادَ الْأَرْدِيَّ مِنَ الْعَتِيكِ ، فَقَتَلُوهُ ، وَسَارَ إِلَيْهِمْ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ . وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيُّ فَإِنَّهُ ذَكَرَ عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّ ابْنَ الْأَشْعَثِ لَمَّا انْتَهَزَمَ مِنْ مَسْكِينٍ مَضَى إِلَى كَابُلَ ، وَأَنَّ عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ أَتَى هَرَّاقَةَ ، فَلَمَّ ابْنَ الْأَشْعَثِ وَعَابَهُ بِفِرَاقِهِ ، وَأَتَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبَّاسٍ سِجِسْتَانَ فَانْفَضَّ إِلَيْهِ فَكَلَّ ابْنَ الْأَشْعَثِ ، فَسَارَ إِلَى خُرَّاسَانَ فِي جَمْعٍ يُقَالُ فِي عَشْرِينَ أَلْفًا ^(٢) ، فَتَزَلَّ هَرَّاقَةَ وَلَقُوا الرَّقَادَ بْنَ عَبِيدِ الْعَتِيكِ فَقَتَلُوهُ ، وَكَانَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُتَنَزِّلِ بْنِ الْجَارُودِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ : قَدْ كَانَ لَكَ فِي الْبِلَادِ مَتَسَعٌ ، وَمَنْ هُوَ أَكْلُ مَنْى حَسَدًا وَأَهْوَنُ شَوْكَةٍ ، فَأَوْتَحِلْ إِلَى بِلَدٍ لَيْسَ فِيهِ سُلْطَانٌ ، فَإِنِّي أَكْرَهُ قِتَالَكَ ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ أَمِدَّكَ بِمَالٍ لَسَفْرِكَ أَعْتَمُكَ بِهِ ؛ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ : مَا نَزَلْنَا هَذِهِ الْبِلَادَ لِحَارِبَةٍ وَلَا لِقَامٍ ، وَلَكِنَّا أَرَدْنَا أَنْ نَرِيحَ ، ثُمَّ تَشَخَّصَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَلَيْسَتْ بِنَا حَاجَةٌ إِلَى مَا عَرَضْتَ . فَانْصَرَفَ رَسُولُ يَزِيدَ إِلَيْهِ ، وَأَقْبَلَ الْمَاهِشَمِيُّ عَلَى الْجَبَايَةِ ، وَبَلَغَ يَزِيدَ ، فَقَالَ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يُرِيحَ ثُمَّ يَمْتَنَازَ لَمْ يَجِبْ الْخُرَاجَ ؛ فَقَدَّمَ الْمُفَضَّلُ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ - وَيُقَالُ فِي سِتَّةِ آلَافٍ -

ثم أتبعه في أربعة آلاف ، ووَزَنَ يزيدُ نفسه بسلاحه ، فكان أربعمئة رطل ، فقال : ما أراي إلا قد ثَقَلْتُ عن الحرب ، أي فرس يحملني ! ثم دعا بفرسه الكامل فزكَّيه ، واستخلف على مَرَوْ خاله جُدَّيع بن يزيد ، وصيَّر طريقته على مَرَوْ الرُّوذ ، فأبى قبر أبيه فأقام عنده ثلاثة أيام ، وأعطى من معه مائة درهم مائة درهم ، ثم أتى هَرَاة فأرسل إلى الهاشمي : قد أرحمت وأسمعت وجيبت ، فلك ما جِيت ، وإن أردت زيادةَ زِدناك ، فإخرج فوالله ما أحب أن أقاتلك . قال : فأبى إلا القتالَ ومعه عبيد الله بن عبد الرحمن بن سَمُرَة ، ودسَّ الهاشمي إلى جند يزيد يمنهم ويدعوهم إلى نفسه ، فأخبر بعضهم يزيد ، فقال : بجلَّ الأمرُ عن العتاب ، أتعدَّي بهذا قبل أن يتمشَّي بي ، فسار إليه حتى تَلَّانِي العسكران ، وتأهبوا للقتال ، وألحقَ ليزيد كرسىً فقعده عليه ، وولَّى الحرب أخاه المفضل ، فأقبل رجلٌ من أصحاب الهاشمي - يقال له خُلَيْد عَيْشِيْن - من عبد القيس - على ظهر فرسه ، فرفع صوته فقال (١) :

دَعَتْ يَا يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ دَعْوَةً لها جَزَعٌ ثم استهلَّتْ عِيُونُهَا
ولَوْ يُسْمِعُ (٢) الدَّاعِيَ النَّدَاءَ (٣) أَجَابَهَا بِصُحْبِ الْقَنَا وَالْبَيْضِ تَلَقَّى جُفُونُهَا
وَقَدْ فَرَّ أَشْرَافُ الْعِرَاقِ وَغَادَرُوا بِهَا بَقَرًا لِلْحَيْنِ جُمًا قُرُونُهَا (٤)

وأراد أن يحضَّ يزيد ، فسكت يزيد طويلاً حتى ظنَّ الناس أن الشمر قد حرَّكه ، ثم قال لرجل : نادِ وأسمِعهم ، جَسَّموهم ذلك ، فقال خُلَيْد : لبس المنادى والمنوَّة باسمه
يزيد إذا يدعى ليوم حَظِيظَةٍ ولا يَمْنَعُ السَّوَاتِرِ إِلَّا حُصُونُهَا
فإنِّي أراه عن قليلٍ بنفسيه يُدانُ كما قد كان قَبْلَ يَدِينُهَا
فلا حُرَّةً تَبْكِيهِ لَكِنْ نَوَاحٍ تُبْكِي عليه الْبُعْثُ مِنْهَا وَجُونُهَا

(١) ب : « وقال » .

(٢) ر : « تسع » .

(٣) ب : « يزيد » .

(٤) ب : « بها قرونها » .

فقال يزيدُ للمفضل: قدّم خيلك ، فتقدّم بها ، وتهايجوا فلم يكن بينهم كبيرُ قتال حتى تفرّق الناس عن عبد الرحمن ، وصبر وصبرت معه ١١٠٩/٢ طائفةٌ من أهل الحِفاظ ، وصبر معه العبدُيون ، وحمل سعد بن نجل القُردوسيّ على حُلَيْسٍ^(١) الشيبانيّ وهو أمام عبد الرحمن ، فطعته حُلَيْس فأذراه عن فرسه ، وحماه أصحابه ، وكثرهم الناس فانكشفوا ، فأمر يزيدُ بالكفّ عن اتباعهم ، وأخذوا ما كان في عسكرهم ، وأمسروا منهم أسرى ، فولى يزيدُ عطاء بن أبي السائب العسكر ، وأمره بضمّ ما كان فيه ، فأصابوا ثلاث عشرة امرأة ، فأثوا بهن يزيدُ ، فلدغهن إلى مرّةٍ من عطاء بن أبي السائب ، فحملهن إلى الطَّبَسَيْن ، ثم حملهن إلى العراق . وقال يزيد لسعد بن نجل: من طعنك ؟ قال : حُلَيْس الشيبانيّ ، وأنا والله راجلاً أشدّ منه وهو فارس . قال : فبلغ حُلَيْسًا ، فقال : كذب والله ، لأنّا أشدّ منه فارساً وراجلاً . وهرب عبد الرحمن بن منذر بن بَشْر بن حارثة فصار إلى موسى بن عبد الله بن خازم . قال : فكان في الأسرى محمد بن سعد بن أبي وقاص ، وعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر ، وعيَّاش بن الأسود بن عوف الزهريّ والمقام بن نُعيم بن القَحْقاع بن مَعْبِد بن زُرَّارة ، وفيروز حصين ، وأبو العليج مولى عبيد الله بن معمر ، ورجل من آل أبي عَقِيل ، وسَوَّار بن مروان ، ١١١٠/٢ وعبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن خَلَف ، وعبد الله بن فضالة الزهرانيّ . ولحق الماشميّ بالسند ، وأتى ابنُ مَسْمُرة مرو ، ثم انصرف يزيدُ إلى مرو وبعث بالأسرى إلى الحجاج مع مَسْبُرة بن نَخَف بن أبي صُفْرة ، وحلّى عن ابن طلحة وعبد الله بن فضالة ، وسعى قومٌ بعبيد الله بن عبد الرحمن بن مَسْمُرة ، فأخذنه يزيدُ فحبسه .

وأما هشام فإنه ذكر أنه حدثه القاسم بن محمد الحضرمي ، عن حفص ابن عمرو بن قبيصة ، عن رجل من بني حنيفة يقال له جابر بن عمارة ، أن يزيد بن المهلب حبس عنده عبد الرحمن بن طلحة وآمنه ، وكان الطلحيّ قد آلى على عيين ألا يرى يزيد بن المهلب في موقف إلا أناه حتى يقبل يده شكراً لما أبلاه . قال : وقال محمد بن سعد بن أبي وقاص ليزيد : أسألك

بدعوة أبي لأبيك ! فخلّني مبيّله . ولقول محمد بن سعد ليزيد : « أسألك بدعوة أبي لأبيك » حديث فيه بعض الطول .

قال هشام : حدثني أبو مخنف ، قال : حدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الضمّي ، قال : بعث يزيد بن المهلب ببقيّة الأُمري إلى الحجاج بن يوسف ؛ بعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر ، فقال : أنت صاحب شرطة عبد الرحمن ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! كانت فتنة شملت البرّ والفاجر ، فدخلنا فيها ، فقد أمكنك الله منا ، فإن عفوت^(١) فبحلمك وفضلك^(٢) ، وإن عاقبت عاقبت ظلمة مذنبين ، فقال (٣) الحجاج : أما قولك : « إنها شملت البرّ والفاجر » فكذبت ، ولكنها شملت الفسّاجر ، وعوفى منها الأبرار ، وأما اعترافك بذنبك فعسى أن ينفّحك . فعزّل ، ورجا الناس له العافية حتى قدّم بالهلقام بن نعيم ، فقال له الحجاج : أخبرتني عنك ، ما رجوت من إتياع عبد الرحمن بن محمد ؟ أرجوت أن يكون خليفة ؟ قال : نعم ، رجوت ذلك ، وطمعت (٤) أن ينزلي منزلك من عبد الملك ، قال : فغضب الحجاج وقال : اضربوا عنقه ، فقتل . قال : ونظر إلى موسى بن عمر بن عبيد الله بن معمر وقد نُحّي عنه فقال : اضربوا عنقه ، وقتل بقيتهم . وقد كان آمن عمرو بن أبي قرّة الكنديّ ثمّ الحَجْرِيّ وهو شريف وله بيت قديم ، فقال : يا عمرو ، كنت تُفضي إلىّ وتحدثني أنك ترغب عن ابن الأشعث وعن الأشعث قبله ، ثمّ تبع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ؛ والله ما بك عن اتّباعهم رغبة ، ولا نعمة عين لك ولا كرامة .

قال : وقد كان الحجاج حين هُزم الناس بالجمام نادى مناديه : من لحق بقتيبة بن مسلم بالرّى فهو أمانه ، فلتحق ناس كثير بقتيبة^(٥) ، وكان^(٦) فيمن لحق به عامر الشّعبيّ ، فذكر الحجاج الشّعبيّ يوماً فقال : أين هو ؟ وما فعل ؟ فقال له يزيد بن أبي مسلم : بلغني أيها الأمير أنه لحق بقتيبة بن مسلم بالرّى ، قال : فابعث إليه فلنؤت^(٧) به ،

(١-١) ب : « فبحلمك وفضلك » . (٢) بدعا ف ب : « له » .

(٣) ب : « طمعت فيه » . (٤) ب : « بأرض قتيبة » .

(٥) ب : « فكان » . (٦) ر : « فليؤت » .

فَكَتَبَ الْحِجَاجَ إِلَى قَتِيبة: أما بعد ، فابعث إلى بالشعبي حين تَنْظُرُ في كتابي هذا ؛ والسلام عليك ؛ فُسِّرَ إليه .

قال أبو مخنف: فحدثني السري بن إسماعيل عن الشعبي، قال: كنت لابن أبي مسلم صديقاً ، فلما قُدم بي^(١) على الحجاج لقيت ابن أبي مسلم فقلت: أشير علي ؛ قال: ما أدري ما أشيرُ به عليك^(٢) غير أن أعتذر ما استطعت من عذر^(٣) ! وأشار بمِثْلِ ذلك على نَصْحائِي وإخواني ، فلما دخلت عليه رأيتُ واللهِ غيرَ ما رأوا لي ، فسَلَّمْتُ عليه بالإمرة^(٤) ثم قلت: أيُّها الأمير ، إن الناس قد أمروني أن أعتذر إليك بغير ما يعلم الله أنه الحق ، وإيم الله لا أقول في هذا المقام إلا حقاً ، قد والله سَوَدْنَا^(٥) عليك ، وحرَّضْنَا وجهنا عليك كلَّ الجهد ، فما آلونا^(٦) ، فما كنا بالأقوياء الفسَّجرة ، ولا الأتقياء^(٧) البررة ، ولقد نصرَك اللهُ علينا ، وأظفرك بنا ، فإن سطوتَ فِئْتِنا وما جرت إليه أيدينا ، وإن عفوت عنا فبحلمك ، وبعد الحجَّة^(٨) لك علينا ، فقال له الحجاج : أنت والله أحبُّ إلىَّ قولاً ممن يدخل علينا يتقطر سيفه من دماثنا ثم يقول : ما فعلتُ ولا شهدتُ ؛ قد أمنتُ عندنا يا شعبي ، فأنصرف . قال : فأنصرف ، فلما مَشَيْتُ قليلاً قال : هلم يا شعبي ، قال : فوجَّلتُ لذلك قلبي ، ثم ذكرتُ قوله : « قد أمنتُ يا شعبي » ، فاطمأنت نفسي ، قال : كيف وجدتَ الناس يا شعبي بعدنا ؟ قال — وكان لي مكرماً : فقلتُ : أصْلَحَ اللهُ الأمير ! اكتملتُ والله بعدك السَّهر ، واستوعرتُ الجَناب ، واستحسستُ الخوف ، وفقدتُ صالح الإخوان ، ولم أجد من الأمير خُلُقاً . قال : انصرف يا شعبي ، فأنصرفتُ .

قال أبو مخنف: قال خالد بن قطن الحارثي: أتى الحجاجُ بالأعشى ، أعشى هَمْلان ، فقال: إيه يا عَدُوَّ الله ! أنشدني قولك: « بين الأشج وبين

(١) ب: « قلت » . (٢) ب: « عليك به » . (٣) ب: « بمر » .

(٤) ر: « فلما دخلت عليه سلمت » . (٥) ب: « تمردنا » . (٦) ب: « وما آلونا » .

(٧) ب: « ولا بالأتقياء » .

(٨) ب: « فالحجة » .

قيس ، أنفذ بيتك ، قال : بل أنشدك ما قلت لك ؛ قال : بل أنشدني هذه ؛ فأنشدته :

أبى الله إلا أن يُتَمَّ نوره ويُنْظَرَ أهل الحق في كل موطن
ويُنْزَلَ ذُلاً بالعراقِ وأهله ١١١٤/٢
وما أخذنا من بدعة عظيمة (٣)
وما نكنا من بيعة بعد بيعة
وجنباً حشاه ربهم في قلوبهم
فلا صدق في قول ولا صبر عندهم
فكيف رأيت الله فرق جمعهم
فقتلهم قتل ضلال وفتنة
ولما زحفنا لابن يوسف غنوة (٤)
١١١٥/٢ قطعنا إليه الخندقين وإنما
فكافحنا الحجاج دون صفوفنا (٥)
بصف كان البرق في حجراته
دلغنا إليه في صفوف كأنها
فما لبث الحجاج أن مل سيفه
وما زاحف الحجاج إلا رأته

ويُنْظَرُ نور الفاسقين فيخمد (١)
ويُعْدَلُ وقع السيف من كان أصيداً
لما نقضوا العهد الوثيق الموكلاً (٢)
من القول لم تصعد إلى الله مصعداً (٤)
إذا ضمونها اليوم خاسوا بها غداً
فما يقربون الناس إلا تهدداً
ولكن فخراً فيهم وتزيئاً
ومزقهم عرس البلاد وشرداً
وحبهم أسمى ذليلاً مطرداً (٥)
وأبرق منا العارضان وأرعداً
قطعنا وأفضينا إلى الموت مرصداً (٦)
كفاحاً ولم يضرب لذلك موعداً
إذا ما تجل بيضه وتوقداً
جبال شروى لو ثمان فتنها
علينا فولى جمعنا وتبدداً
مساناً ملقى للفتوح موعداً

(١) الأغاني ٦ : ٥٩ - ٦١ ، المسمى ٣ : ١٦٢

(٢) الأغاني : « كما نقضوا » . (٣) المسمى : « وضلالة » .

(٤) ابن الأثير : « لم يصعد » . (٥) ابن الأثير : « وجيشهم أسمى » .

(٦) الأغاني : « ضلة » . (٧) مرصداً : متربحاً .

(٨) الأغاني : « فضاغنا الحجاج » .

وإنَّ ابنَ عباسٍ لقيَ مرجحَةً
 فما شرَّعُوا رُمحاً ولا جَرَدُوا له
 وكَرَّتْ عَلَيْنَا خَيْلُ سُفْيَانَ كَرَّةً
 وسُفْيَانُ يَهْدِيهَا كَأَنَّ لَوَاعَهُ
 كَهُولٌ ومُرْدٌ مِنْ قُضَاعَةَ حَوْلَهُ
 إِذَا قَالَ شُدُّوا شِدَّةَ حَمَلُوا مَعَا
 جُنُودُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَخَيْلُهُ
 فِيهِنَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ظُهُورُهُ
 نَزَوْا يَشْتَكُونَ الْبَغْيَ مِنْ أَمْرَائِهِمْ
 وَجَدْنَا بَنِي مروَانَ خَيْرَ أُنْمَةٍ
 وَخَيْرَ قُرَيْشٍ فِي قُرَيْشِ أَرْوَمَةٍ
 إِذَا مَا تَكْبَرْنَا عَوَاقِبَ أَمْرِهِ
 سَيُغْلَبُ قَوْمٌ غَالِبُوا اللهَ جَهْرَةً (١)
 كَذَلِكَ يَفْضِلُ اللهُ مَنْ كَانَ قَلْبُهُ
 فَقَد تَرَكُوا الْأَهْلِينَ وَالْمَالَ خَلْفَهُمْ
 يُنَادِيهِمْ مُسْتَعِيرَاتٍ إِلَيْهِمْ
 فَإِلَّا تَنَاوَلْتَهُنَّ مِنْكَ بِرُخْمَةٍ
 أَنْكُتْنَا وَغَضِبْنَا وَغَدَرْنَا وَذَلَّةً
 لَقَدْ شَامَ الْمِصْرَيْنِ فَرْخُ مُحَمَّدٍ

(١) الأغاني : « سِغْلَبَ قوماً » .

(٢) رواية الأغاني :

نُشِبَهَا قِطْعاً مِنَ اللَّيْلِ أَسْوَدَا
 أَلَا رُبَّمَا لَاقَى الْجَبَانَ فَجَرَدَا
 بِفُرْسَانِهَا وَالسَّمْعَرِيَّ مُقْصِدَا
 مِنَ الطُّغَيْنِ سِنْدَ بَاتٍ بِالصَّبْغِ مُجْسِدَا
 مَسَاعِيرُ أَبْطَالٍ إِذَا التَّكْسُ عَرَدَا
 فَاتَّهَلَ خِرْصَانُ الرَّمَاكِ وَأَوْرَدَا
 وَسُلْطَانُهُ أَمْسَى عَزِيزًا مَوْبِدَا
 عَلَى أُمَّةٍ كَانُوا بُغَاةً وَحَسِدَا
 وَكَانُوا هُمْ أَبْغَى الْبَغَاةِ وَأَعَنَدَا
 وَأَفْضَلَ هَذِي النَّاسِ طِعْمًا وَسُودَا
 وَأَكْرَمَهُمْ إِلَّا النَّبِيَّ مُحَمَّدَا
 وَجَدْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُسَدَّدَا
 وَإِنْ كَانِدُوهُ كَانَ أَقْوَى وَأَكْبَدَا
 مَرِيضًا وَمَنْ وَالَى النِّفَاقَ وَالْحَدَا
 وَيَبِضُّ عَلَيْهِنَّ الْجَلَابِيبُ خُرَدَا
 وَيُنْزِرِينَ دَمْعًا فِي الْخُثُوبِ وَإِلَيْنَا
 يَكُنْ سَبَايَا وَالبُعُولَةُ أَعِيدَا
 أَهَانَ الْإِلَٰهَ مِنْ أَهَانَ وَأَبْتَعَا
 بِحَقِّ وَمَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ أَسْعَدَا (٢)

فَظَلُّوا وَمَا لَاقُوا مِنَ الطَّيْرِ أَسْعَدَا

لَقَدْ شِمَّتْ يَابْنَ الْأَشْعَثِ الْعَامِ مِصْرَنَا

١١١٨/٢ كما شامَّ الله النَجِيرَ وأَهْلَهُ يَجِدُ لَهُ قَدْ كَانَ أَشَقَى وَأَنْكَدَا

فقال أهل الشام: أحسن، أصلح الله الأمير! فقال الحجاج: لا، لم يحسن، إنكم لا تدرون ما أراد بها، ثم قال: يا عدو الله، إنا لسنأ نحمدك على هذا القول، إنما قلت: تأسف ألا يكون ظَهَر وظَفِر، وتحريضا لأصحابك علينا، وليس عن هذا سألتك، أنفذ لنا قولك:

* يَبْنِ الْأَشَجَّ وَيَبْنِ قَيْسَ بِادْخُ * (١)

فأنفذها، فلما قال:

* بَخَّ يَخْ لَوَالِدِهِ وَلِلْمَوْلُودِ *

قال الحجاج: لا والله لا تبخخ بعد ما لأحد أبداً، فقلبت له قفراً عنته.

وقد ذكر من أمر هؤلاء الأمري الذين أسرهم يزيد بن المهلب ووجههم إلى الحجاج ومن قتلوا ابن الأشعث ظنين انهزموا يوم مسكين أمر غير ما ذكره أبو مخنف عن أصحابه. ولذي ذكر عنهم من ذلك أنه لما انهزم ابن الأشعث مضى هؤلاء مع سائر القتل إلى الرى، وقد غلب عليها عمر بن أبي الصلت بن كتارا مولى بنى نصر بن معاوية، وكان من أفرس الناس، فانضموا إليه، فأقبل قتيبة بن مسلم إلى الرى من قبل الحجاج وقد ولاه عليها. فقال النفر الذين (٢) ذكرت أن يزيد بن المهلب وجههم إلى الحجاج مقيدين وسائر قل ابن الأشعث الذين صاروا إلى الرى لعمر بن أبي الصلت: نوليك أمرنا وتحارب بنا قتيبة، فشاور عمر أباه أبا الصلت، فقال له أبوه: والله يا بني ما كنت أبالي إذا سار هؤلاء تحت لوائك أن تقتل من غد. فمقد لواذه، وسار فنهزم وهزم أصحابه، وانكشفوا إلى سجستان، واجتمعت بها القلول، وكتبوا إلى عبد الرحمن بن محمد وهو عند رتبيل، ثم كان من أمرهم وأمر يزيد بن المهلب ما قد ذكرت.

(١) المسعودى ٣: ١٦٣.

(٢) ب: «الذي».

وذكر أبو عبيدة أن يزيد لما أراد أن يوجه الأمر إلى الحجاج قال له أخوه حبيب : بأى وجه تنظر إلى الهانية وقد بعث ابن طلحة ! فقال يزيد : هو الحجاج ، ولا يتعرض له ! وقال : وطن نفسك على العزل ، ولا ترسل به ، فإن له عندنا بلاء ، قال : وما بلاءه ؟ قال لئيم المهلب في مسجد الجماعة بمائتي ألف ، فأدأها طلحة عنه . فأطلقه ، وأرسل بالباقيين ، فقال الفرزدق :
وَجَدَ ابْنُ طَلْحَةَ يَوْمَ لَاقَى قَوْمَهُ قَحْطَانَ يَوْمَ هَرَاةٍ خَيْرَ الْمَشْرِ

وقيل : إن الحجاج لما أتى بهؤلاء الأسرى من عند يزيد بن المهلب قال لحاجبه : إذا دعوتك بسيدهم فأنتى بفسيروز ، فأبرز سريره - وهو حينئذ ١١٢٠/٢ بواسط القصب قبل أن تبني مدينة واسط - ثم قال لحاجبه : جئني بسيدهم ؟ فقال لفسيروز : قم ، فقال له الحجاج : أبا عثمان ، ما أخرجتك مع هؤلاء ؟ فوالله ما لحمتك من لحومهم ، ولا دمك من دمائهم ! قال : فتنه عمت الناس ، فكنت فيها ، قال : اكتب لى أموالك ، قال : ثم ماذا ؟ قال : اكتبها أول ، قال : ثم أنا أمين على دى ؟ قال : اكتبها ، ثم أنظر ، قال : اكتب يا غلام ، ألف ألف ألقى ألف ، فذكر مالا كثيرا ، فقال الحجاج : أين هذه الأموال ؟ قال : عندي ، قال : فأدأها ، قال : وأنا أمين على دى ؟ قال : والله لتؤدبها ثم لاقتلنك ، قال : والله لا تجمع مالى ودى ، فقال الحجاج للحاجب : نحه ، فنحاه .

ثم قال : اتنى بمحمد بن سعد بن أبي وقاص ، فدعاه ، فقال له الحجاج : ليها باطل الشيطان أعظم الناس تبهها وكبرا ، تأبى بيعة يزيد بن معاوية ، وتشبه بحسين وابن عمر ، ثم صرت مؤذنا لابن كنار^(١) عبد بنى نصر - يمتنى . عمر بن أبى الصلت - وجعل يضرب بعود فى يده رأسه حتى أدماه ، فقال له محمد : أيها الرجل ، ملكك فأسجح ! فكف يده ، فقال : إن رأيت أن تكتب لى أمير المؤمنين فإن جاءك عفو كنت شريكا فى ذلك محمودا ، وإن جاءك غير ذلك كنت قد أعدرت . فأطرق مليا ثم قال : اضرب عنقه ، فضربت عنقه .

١١٢١/٢

ثم دعا بعمر بن موسى فقال : يا عبد المرأة ، أتقوم بالعمود على رأس ابن الحائك ^(١) ، وتشرب معه الشراب في حمام فارس ، وتقول المقالة التي قلت ! أين الفرزدق ؟ قم فأنشده ما قلت فيه ، فأنشده :

وَحَصَبْتُ أَيْرَكَ لِلزَّناةِ وَلَمْ تَكُنْ يَوْمَ الْهَيَاجِ لِتَحْضِبِ الْأَبْطَالَا
فَقَالَ : أما والله لقد رفعته عن عقائل نساءك ، ثم أمر بضرب عنقه .
ثم دعا ابن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة ، فإذا غلام حدث ، فقال :
أصلح الله الأمير ! ما لي ذنب ، إنما كنت غلاماً صغيراً مع أبي وأمي لا أمر لي ولا نهى ، وكنت معهما حيث كانا ، فقال : وكانت أمك مع أبيك في هذه اللتين كلتهما ؟ قال : نعم ، قال : على أبيك لعنة الله .

ثم دعا بالملقح بن نعيم فقال : اجعل ابن الأشعث طلباً ما طلب ، ما الذي أملت أنت معه ؟ قال : أملت أن يملك غيوليني العراق كما ولاك عبد الملك . قال : قم يا حوشب قاض عتقه ، فقام إليه ، فقال له الملح : يا بن لقيطة ^(٢) ، أنتكأ القرح ؟ فضرب عنقه .

ثم أتى بعبد الله بن عامر ، فلما قام بين يديه قال : لا رأيت عينك يا حجاج الجنة إن أقلت ابن الملب بما صنع . قال : وما صنع ؟ قال :

لأنه كاس في إطلاق أسرته وقاد نحوك في أغلالها مضراً
وقى بقرمك ورد الموت أسرتك وكان قومك أدنى عنده خطراً
فأطرق الحجاج مكياً وقرت في قلبه ، وقال : وما أنت وذاك ! اضرب عتقه . فضربت عنقه . ولم تزل في نفس الحجاج حتى عزل يزيد عن خراسان وحبس .

١١٢٢/٢

ثم أمر بفيروز فذب ، فكان فيما عذب به أن كان يشد عليه القصب الفارسي المشقوق ، ثم يجر عليه حتى يخرق جسده ، ثم ينضع عليه الخلل والمليح ، فلما أحس بالموت قال لصاحب العذاب : إن الناس لا يشكون أني قد قتل ، ولي ودائع وأموال عند الناس ، لا تؤذي

(١) ابن الحائك ، هو محمد بن الأشعث ، وكان يبيع بملك .

(٢) كذا في ب ، س ، وفي ط : « لطيفة » .

إليكم أبداً ، فأظهروني للناس ليعلموا أني حيّ فيؤدوا المال . فأعلم
الحجاج ، فقال : أظهموه ، فأخرج إلى باب المدينة ، فصاح في الناس : من
عرفني فقد عرفني ، ومن أنكرني فأنا فيروزُ حصين ؛ إن لي عند أقوام
مالاً ، فمن كان لي عنده شيء فهو له ، وهو منه في حيل ، فلا يؤدين
منه أحد درهمًا ، ليبلغ الشاهد الغائب . فأمر به الحجاج فقتل . وكان ذلك
مما روى الوليد بن هشام بن قحلم ، عن أبي بكر المذلي .

وذكر ضمرة بن ربيعة ، عن أبي شاذب ، أن عمال الحجاج كتبوا إليه :
إن الخراج قد انكسر ، وإن أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار ،
فكتب إلى البصرة وغيرها أن من كان له أصل في قرية فليخرج إليها .
فخرج الناس فعتسكروا ، فجعلوا يبكون وينادون : يا محمداه يا محمداه !
وجعلوا لا يرون أين يذهبون ! فجعل قراء أهل البصرة يخرجون إليهم متقنعين
فيكون لا يسمعون منهم ويرَوْن . قال : فقدم ابن الأشعث على ١١٢٣/٢
تفشيته ذلك ، واستبصر قراء أهل البصرة في قتال الحجاج مع عبد الرحمن
ابن محمد بن الأشعث .

وذكر عن ضمرة بن ربيعة عن الشيباني ، قال : قتل الحجاج يوم
الزاوية أحد عشر ألفًا ، ما استحيا منهم إلا واحدًا ، كان ابنه في كتاب
الحجاج ، فقال له : أنتحب أن نغفوك عن أبيك ؟ قال : نعم ، فركبه
لابنه ، وإنما خلصهم بالأمان ، أمرناديًا فتأدى عند الهزيمة : ألا لا أمان
لفلان ولا فلان ، فسبى رجالا من أولئك الأشراف ، ولم يقتل : الناس آتون ،
فقاتل العامة : قد آمن الناس كلهم إلا هؤلاء النفر ، فأقبلوا إلى حُجْرته
فلما اجتمعوا أمرهم بوضع أسلحتهم ، ثم قال : لأمرن بكم اليوم رجالا
ليس بينكم وبينه قرابة ، فأمر بهم عمار بن تميم اللخمي فقتلهم .

وروى عن النضر بن شميل ، عن هشام بن حسان ، أنه قال : بلغ

ما قَتَلَ الحِجَّاجُ صَبْرًا مِائَةً وَعَشْرِينَ ، أَوْ مِائَةً وَثَلَاثِينَ أَلْفًا .

وقد ذُكِرَ في هزيمة ابن الأشعث بِمَسْكِين قولٌ غيرُ الذي ذكره أبو مخنف ؛ والذي ذُكِرَ من ذلك أَنَّ ابن الأشعث والحِجَّاج اجتمعَا بِمَسْكِين من أرض أَيْزِقْبَاد ، فكان عسكرُ ابن الأشعث على نهر يُدْعَى خَلَّاش مَوْخَر . النهر ، نهر تَيْرَى ، ونزل الحِجَّاج على نهر أفريد والمسكران جميعًا بين دِجَلَة والسَّيْب والكَرْخ ، فاقتتلوا شهرًا —

١١٢٤/٢

وقيل : دون ذلك — ولم يكن الحِجَّاج يَعْرِفُ إليهم طريقًا إلا الطريق الذي يَلْتَقُونَ فيه ، فَأَتَى بِشَيْخٍ كان راعيًا يُدْعَى زَوْرقًا ، فدلَّه على طريق من وراء الكَرْخ طوله مِائَةُ فَرَسَخ ، في أَجْمَةِ وَضَحَضَاح من الماء ، فانتخب أربعة آلاف من جِلَّةِ أَهْلِ الشَّام ، وقال لقائدهم :

لِيَكُنْ هذا العِلْجُ أَمَامَكَ ، وهذه أربعة آلاف دِرْهَمٍ مَعَكَ ، فَإِنْ أَقَامَكَ على عسكرهم فادفع المَالَ إِلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ كَذِبًا فَاضْرِبْ عُنُقَهُ ، فَإِنْ رَأَيْتَهُمْ فَاحْمِلْ عَلَيْهِمْ فِيمَنْ مَعَكَ ، وَلِيَكُنْ شِعَارُكُمْ : يَا حِجَّاجُ يَا حِجَّاجُ . فانطلق القائدُ صِلَاةَ الْعَصْرِ ، والتقى عسكرُ الحِجَّاج وعسكرُ ابن الأشعث

حين فَصَلَ القائدُ بَيْنَ مَعِهِ ، وذلك مع صِلَاةِ الْعَصْرِ ، فاقتتلوا إلى الليل ، فانكشف الحِجَّاجُ حَتَّى عَبرَ السَّيْبَ — وكان قد عَقَلَهُ — ودخل ابنُ الأشعث عسكرَهُ فانتَهَبَ ما فيه ، فَقِيلَ لَهُ : لو اتبعتَهُ ؟ فقال : قد تعَبْنَا وَنَصَبْنَا ،

فَرَجَعْنَا إلى عسكرِهِ فَأَلْقَى أَصْحَابُهُ السِّلَاحَ ، وَبَاتُوا آمِنِينَ في أَنْفُسِهِمْ لَمْ الظَّنَّ . وَهَجَمَ الْقَوْمُ عَلَيْهِمْ نِصْفَ اللَّيْلِ يَصْبِحُونَ بِشِعَارِهِمْ ، فجعل الرجلُ من أَصْحَابِ ابنِ الأشعث لَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ ! دُجِبِلَ عَنْ يَسَارِهِ وَدِجَلَة أَمَامَهُ ، وَلَمَّا جُرِفَ مَنَكَرٌ ، فكان من غَرَقَ أَكْثَرُ مَنْ قُتِلَ .

وجمع الحِجَّاجُ الصُّوْتُ فَعَبَرَ السَّيْبَ إلى عسكرِهِ ، ثُمَّ وَجَّهَ خَيْلَهُ إلى الْقَوْمِ فَالتَقَى الْمَسْكِرَانِ على عسكرِ ابنِ الأشعث ، وانحازَ في ثَلَاثَةِ ، فَنَضَى على شاطئِ دِجَلَة حَتَّى أَتَى دُجَيْلًا فَعَبَرَ في السَّفَنِ ، وَعَقَرُوا دَوَابَّهُمْ ، وَانْحَدَرُوا

في السَّفَنِ إلى الْبَصْرَةِ ، ودخل الحِجَّاجُ عسكرَهُ فانتَهَبَ ما فيه ، وجعل يَقْتُلُ مَنْ وَجَدَ حَتَّى قَتَلَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ ؛ فَيَقَالُ : إِنَّ فِيمَنْ قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ

١١٢٥/٢

ابن شدّاد بن الحاد ؛ وقتل فيهم بسطام بن مَصْقَلَة بن هُبيرة ، وعمر ^(١) ابن ضُبَيْعَة الرّاقشي ، وبشر بن المنذر بن الجارود والحكم بن عَمرَة العبديّين ، وبُكَيْر بن ربيعة بن ثروان الضبيّ ؛ فأتى الحجاج برؤسهم على ثُرُس ، فجعل ينظر إلى رأس بسطام ويتمثل :

إذا مررتَ بوادي حَيّةٍ ذَكَرٍ فاذهب ودعني أقامى حَيّة الوادي
ثمّ نظر إلى رأس بُكَيْر ، فقال : ما ألقى هذا الشقّ مع هؤلاء . خُذْ بِأَذنه
يا غلام فألقه عنهم . ثمّ قال : ضَعْ هذا الرّس بين يديّ مِسْمَع بن مالك
ابن مِسْمَع ، فوَضِع بين يديه ، فبكى ، فقال له الحجاج : ما أبكاك ؟ أحرزنا
عليهم ؟ قال : بل جَزَعًا لهم من النار .

* * *

[ذكر خبير بناء مدينة واسط]

وفي هذه السنة: بنى الحجاج واسطاً، وكان سبب بنائه ذلك—فيما ذكر—
أنّ الحجاج ضرب البعث على أهل الكوفة إلى خراسان، فسكروا بحمّام
عُمر . وكان فئ من أهل الكوفة من بنى أسد حديث عهد بعُمرس بانية
عمّ له، انصرف من العسكر إلى ابنة عمّه لَيْلَا، فطرق الباب طارقاً ودقّه دقّاً
شديداً، فلذا سكران من أهل الشام ، فقالت للرجل ابنة عمّه : لقد لقينا
من هذا الشأى شراً ، يفعل بنا كل ليلة ما تَرى ، يريد المكروه ، وقد
شكوته إلى مشيخة أصحابه ، وعرفوا ذلك ^(٢) ، فقال : ائذنوا له ، ففعلوا ،
فأغلقت الباب ، وقد كانت المرأة نجت متزلاً وطيبته ، فقال الشأى :
قد آن لكم ، فاستنأه الأمدى ، فأنذر رأسه ^(٣) ، فلما أذن بالفجر
خرج الرّجل إلى العسكر وقال لامرأته : إذا صليت الفجر فابعثي إلى الشاميين
أن يخرجوا صاحبكم ، فسيأتون بك الحجاج ، فاصدقيه الخبر على وجهه ؛

(١) ابن الأثير : « عمرو » .

(٢ - ٣) ابن الأثير : « فقال لما زوجها : الكلى له ، فأذنت له ، فقتله زوجها » . وفي

السان : « أتأت الرجل : حمله على القتل » .

فعلت ، ورفع القتل إلى الحجاج ، وأدخلت المرأة عليه وعنده عبيسة ابن سعيد على سريره ، فقال لها : ما خطبك ؟ فأخبرته ، فقال : صدقتني . ثم قال لولاة الشامي : ادفنوا صاحبكم فإنه قتل الله إلى النار ، لا قود له ولا عقل ، ثم نادى مناديه : لا يتزلن أحد على أحد ، واخرجوا فعسكروا . وبعث رؤاداً يرتادون له منزلاً ، وأمن^(١) حتى نزل أطراف كسكسر ، فيينا هو في موضع واسط إذا راهب قد أقبل على حمار له وعبر دجلة ، فلما كان في موضع واسط تفاجت الأمان فالت ، فترال راهب ، فاحتر ذلك البول ، ثم احتمكه فرمى به في دجلة ، وذلك بعين الحجاج ، فقال : على به ، فأثنى به ، فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : نجد في كتبنا أنه يبني في هذا الموضع مسجد يعبد الله فيه ما دام في الأرض أحد يوحده . فانخط الحجاج مدينة واسط ، وبني المسجد في ذلك الموضع .

* * *

وفي هذه السنة عزل عبد الملك - فيما قال الواقدي - عن المدينة أبان بن عثمان ، واستعمل عليها هشام بن إسماعيل المخزومي . ١١٢٧/٢

وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل ، حدثني بذلك أحمد ابن ثابت ، عن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

وكان العمال في هذه السنة على الأمصار سوى المدينة هم العمال الذين كانوا عليها في السنة التي قبلها ، وأما المدينة فقد ذكرنا من كان عليها فيها^(٢) .

(١) ب : « فأيد » .

(٢) ب : « فيها عليها » س : « عليها في السنة التي قبلها » .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت غزوة عبد الله بن عبد الملك بن مروان الروم ، ففتح فيها المصبيصة ، كذلك ذكر الواقدي .

[خبر قتل الحجاج أيوب بن القريّة]

وفيها قتل الحجاج أيوب بن القريّة ، وكان ممن كان مع ابن الأشعث ، وكان سبب قتله إياه - فيما ذكر - أنه كان يدخل على حوشب بن يزيد بعد انصرافه من دبر الحماجم - وحوشب على الكوفة عامل للحجاج^(١) - فيقول حوشب : انظروا إلى هذا الواقف معي ، وغداً أو بعد غد يأتي^(٢) كتاب من الأمير لا أستطيع إلا نفاذه ، فيينا هو ذات يوم واقف إذ أتاه كتاب من الحجاج : أما بعد ، فإنك قد صرت كهناً لمنافق أهل العراق وسأوى ، فإذا نظرت في كتابي هذا فابعث إلى بابن القريّة مشدودة يده إلى عنقه ، مع ثقة من قبلك .

فلما قرأ حوشب الكتاب رى به إليه ، فقرأه فقال : سمعاً وطاعة ؛ فبعث به إلى الحجاج مؤثقاً ، فلما دخل الحجاج قال له : يا بن القريّة ، ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : أصلح الله الأمير ! ثلاثة حروف كأنهن ركبٌ ومُحرف ، دنيا ، وآخرة ، ومعروف . قال : اخرج مما قلت ، قال : أفعل ، أما الدنيا فال حاضر ، يأكل منه البر والقاجر ، وأما الآخرة فإيزان عادل ، ومشهد ليس فيه باطل ، وأما المعروف فإن كان عليّ اعترفت ، وإن كان لي اعترفت . قال : إما لا فاعترف بالسيف إذا وقع بك . قال : أصلح الله الأمير ! أقلتني عشري ، وأسغني^(٣) ربي ، فإنه ليس جواد إلا له

(٢) ب : « يأتي » .

(١) ب : « والحجاج » .

(٣) ط : « وأسغني » .

كَبَيَّةٌ، وَلَا شَجَاعٌ إِلَّا لَهُ هَبْوَةٌ ^(١). قَالَ الْحِجَّاجُ: كَلَّا وَاللَّهِ لِأُرَيْسَكَ ^(٢) جَهَنَّمَ، قَالَ: فَأَرِحْنِي فَلْيُنِ أَلْجَدُ حَرَّهَا، قَالَ: قَدْ مَنَّهُ يَا حَرَسِي فَأَضْرِبْ عُنُقَهُ. فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ الْحِجَّاجُ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ قَالَ: لَوْ كُنَّا تَرَكْنَا ابْنَ الْقَرِيَّةِ حَتَّى نَسْمَعَ مِنْ كَلَامِهِ! ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ فَرُمِي بِهِ.

قَالَ هِشَامُ: قَالَ عَوَانَةُ: حِينَ مَنَعَ الْحِجَّاجُ مِنَ الْكَلَامِ ابْنَ الْقَرِيَّةِ، قَالَ لَهُ ابْنُ الْقَرِيَّةِ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ أَنَا وَأَنْتَ عَلَى السَّوَاءِ لَسَكُنَا جَمِيعًا، أَوْ لَأَلْقَيْتُمَا جَمِيعًا.

١١٢٩/٢

* * *

[فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك بباذغيس]

وفي هذه السنة فَتَحَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ قَلْعَةَ نَيْزَكِ بِبَاذَغَيْسٍ.

* ذَكَرَ سَبَبَ فَتْحِهَا :

ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: كَانَ نَيْزَكُ يَنْزِلُ بِقَلْعَتِهِ بِبَاذَغَيْسٍ، فَتَحِينَ يَزِيدُ غَزْوَهُ، وَوَضَعَ عَلَيْهِ الْعِيُونَ، فَلَمَّا خَرَجَهُ، فَخَالَفَهُ يَزِيدُ إِلَيْهَا، وَبَلَغَ نَيْزَكُ فَرَجِجَ، فَصَالَحَهُ عَلَى أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ مَا فِي الْقَلْعَةِ مِنَ الْخِزَانِ، وَيَرْتَحِلَ عَنْهَا بَعِيَالَهُ، فَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَعْدَانَ الْأَشْقَرِيُّ:

وَبَاذَغَيْسٍ الَّتِي مَنَ حُلْ ذُرْوَتِهَا
مَنْعَةً لَمْ يَكِدْهَا قَبْلَهُ مَلِكٌ
تَحَالَ نَيْرَانُهَا مِنْ بَعْدِ مَنَظَرِهَا
لَمَّا أَطَافَ بِهَا ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ
فَذَلَّ مَسَاكِنُهَا مِنْ بَعْدِ عِزَّتِهِ
وَبَعْدَ ذَلِكَ أَبَامًا نَعْدَدُهَا
أَعْطَاكَ ذَاكَ وَلِيُّ الرِّزْقِ يَغْنَمُهُ

عَزَّ الْمُلُوكَ فَإِنْ شَاءَ جَارٌ أَوْ ظَلَمَا
إِلَّا إِذَا وَاجَهَتْ جَيْشًا لَهُ وَجَمَا
بَعْضُ النُّجُومِ إِذَا مَالِئُهَا عَمَّا
حَتَّى أَقْرَؤُا لَهُ بِالْحُكْمِ فَاحْكُمَا
يُعْطَى الْجَزَى عَارِفًا بِالذَّلِّ مُهْتَضِمَا
وَقَبْلَهَا مَا كَشَفَتْ الْكَرْبَ وَالظَّلْمَا
بَيْنَ الْخَلَائِقِ وَالْمَحْرُومِ مِنْ حُرْمَا

١١٣٠/٢

(١) البيان والتبيين ١: ١١٢، ٣٥٠. (٢) ابن الأثير: «لأريزك».

يداك لإحداهما تُسقى العلو بها
فهل كَسَيْبٍ يَزِيدُ أَوْ كَنَائِلِهِ
ليسا بأجود منه حين مَدَّهِيَا
وقال :

ثَنَانِي عَلَى حَيِّ الْعَتِيكَ بِأَنَّهُا
إِذَا عَقِدُوا لِلجَارِ حُلًّا يَنْجُوهُ
نَفَى نَيْرَكَا عَنْ بَادِغَيْسٍ وَنَيْرِكُ
مُحَلَّقَةٌ دُونَ السَّمَاءِ كَأَنَّهَا
وَلَا يَبْلُغُ الْأَرُوزَى شَارِيحَهَا الْعَلَا
وَمَا خُوفَتْ بِالذُّئْبِ وَلِدَانُ أَهْلِهَا
تَمَنَيْتُ أَنْ أَلْقَى الْعَتِيكَ ذُو النَّهْيِ
كَمَا يَتَمَنَّى صَاحِبُ الْحَرْثِ أُعْطِشَتْ
فَأُسْقِيَ بَعْدَ الْيَأْسِ حَتَّى تَحْيَرَتْ
لَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ النَّوَى وَتَشَعَّبَتْ
قَالَ : وَكَانَ نَيْرِكُ يُعْظَمُ الْقَلْعَةُ إِذَا رَأَاهَا سَجَدَ لَهَا . وَكَتَبَ يَزِيدُ بْنُ
الْمُهَلَّبِ إِلَى الْحِجَاجِ بِالْفَتْحِ ، وَكَانَتْ كُتِبَ يَزِيدُ إِلَى الْحِجَاجِ يَكْتُبُهَا
يُحْيَى بْنُ يَعْمَرَ الْعَدَوَانِيَّ ، وَكَانَ حَلِيفًا لَهُذَيْلٍ ، فَكَبَّ : إِنَّا لَقَيْنَا الْعَدُوَّ
فَنَحْنُ اللَّهُ أَكْثَرُهُمْ ، فَقَتَلْنَا طَائِفَةً ، وَأَسْرَأْنَا طَائِفَةً ، وَلَقِيتُ طَائِفَةً بِرَعُوسِ
الْجِبَالِ وَعَصْرَاعِيرِ الْأَوْدِيَةِ ، وَأَهْضَمَ الْغَيْطَانَ وَأَثْنَاءَ الْأَنْهَارِ^(١) ؛ فَقَالَ الْحِجَاجُ :
مَنْ يَكْتُبُ لِيَزِيدُ ؟ فَقِيلَ : يُحْيَى بْنُ يَعْمَرَ ، فَكَتَبَ إِلَى يَزِيدَ فَحَمَلَهُ عَلَى
الْبَرِيدِ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ أَفْصَحَ النَّاسِ ، فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ وَلَدَيْتَ ؟ قَالَ : بِالْأَهْوَازِ ؛
قَالَ : فَهَذِهِ الْفَصَاحَةُ ؟ قَالَ : حَفِظْتُ كَلَامَ أَبِي وَكَانَ فَصِيحًا^(٢) . قَالَ : مِنْ

(١) العمرة قلة الجبل ، وجسمها عوامر ، والأهضام : أخوان الأودية وأسلطها .

(٢) الفائق ٢ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

هناك فأخبرني هل يَلْحَنَ عنبسة بن سعيد؟ قال : نَعَمْ كثيراً ، قال : ففُلان؟
 قال : نعم ، قال : فأخبرني عَنَى أَلْحَنَ؟ قال : نعم تلحَن لَحْنًا خَفِيًّا ،
 تزيد حرفًا وتَنْقُصُ حرفًا ، وتجعل أن في موضع إن ، وإن في موضع أن .
 قال : قد أجبَلْتُكَ ثلاثًا ، فإن أجدُكَ بعدَ ثلاث بأرض العراق قتلْتُكَ .
 فرَجَعَ إلى خُرَاسان .

* * *

وَجَّعَ بالناس في هذه السنة هشامُ بنُ إسماعيلَ المخزومي ، كذلك حدثني
 أحمد بن ثابت ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
 وكانت عمالُ الأمصار في هذه السنة عمالها الذين سَمِيَتْ قَبْلُ في سنة
 ثلاث وثمانين .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ذكر ما كان فيها من الأحداث

[خبر هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث]

ففيها كان هلاكُ عبدِ الرحمن بن محمد بن الأشعث .
* ذكر السبب الذي به هلك ، وكيف كان :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : لما انصرف ابنُ الأشعث من هِراة راجعاً إلى رُبَيْل^(١) كان معه رجلٌ من أود يقال له علقمة بن عمرو ، فقال له : ما أريد أن أدخلُ معك ، فقال له عبد الرحمن : لم ؟ قال : لأنني^(٢) أتخوفُ عليك وعلى من معك ، والله لكأني بكتاب الحجاج قد جاء فوقع إلى رُبَيْل يرغبه ويرهبه ، فإذا هو قد بعث بك مسلماً أو قتلَك . ولكن ها هنا خمسمائة قد تبايعنا على أن ندخل مدينة فتحصن^(٣) فيها ، ونقاتل حتى نعطى أماناً أو نموت كراماً . فقال^(٤) له عبد الرحمن : أما لو دخلت معي لأميتك^(٥) وأكرمتك ، فأبى عليه علقمة ، ودخل عبد الرحمن بن محمد إلى رُبَيْل . وخرج هؤلاء الخمسمائة فيمشوا عليهم مودوداً النَّصْرَى ، وأقاموا حتى قدم عليهم عُمارَةُ بن نعيم اللَّخْمِي فحاصروهم ، فقاتلوه وامتنعوا منه حتى آمنهم ، فخرجوا إليه فزقوا لهم .

قال : وتتابع كتُتِب الحجاج إلى رُبَيْل في عبد الرحمن بن محمد أن ابعت به إلى ، وإلا فوالذي لا إله إلا هو لأوطئن أرضك ألف ألف مقاتل . وكان عند رُبَيْل رجلٌ من بني تميم ثم من بني يربوع يقال له عبيد بن أبي سُبَيْع ، فقال لرُبَيْل : أنا أخذُ لك من الحجاج عهداً ليكنن الخراج

(١) بعلما في ب : ملك الترك . (٢) س : إلى .

(٣) ب : تحصن . (٤) ب : قال .

(٥) ب : لايتك .

عن أرضك سبع سنين على أن تدفع إليه عبد الرحمن بن محمد ، قال رُئيل لعبيد : فإن فعلت فإن لك عندي ما سألت .

فكتب إلى الحجاج يُخبره أن رُئيل لا يعصيه ، وأنه لن يدع رُئيل حتى يبعث إليه بعبد الرحمن بن محمد ، فأعطاه الحجاج على ذلك مالا وأخذ من رُئيل عليه مالا ، وبعث رُئيل برأس عبد الرحمن بن محمد إلى الحجاج ، وترك له الصلح الذي كان يأخذه منه سبع سنين . وكان ^(١) الحجاج يقول : بعث إلى رُئيل بعدي الله . فالتقى نفسه من فوق إجاز فات . ^(٢)

١١٢٤/٢

قال أبو مخنف : حدثني سليمان بن أبي راشد . أنه سمع مليكة ابنة يزيد تقول : والله كات عبد الرحمن وإن رأسه لعل فتخذي ، كان السل قد أصابه . فلما مات وأرادوا دفنه بعث إليه رُئيل فتحز رأسه ، فبعث به إلى الحجاج ، وأخذ ثمانية عشر رجلا من آل الأشعث فحبسهم عنده ، وترك جميع من كان معه من أصحابه . وكتب إلى الحجاج يأخذه الثمانية عشر رجلا من أهل بيت عبد الرحمن ، فكتب إليه : أن اضرب رقابهم ، وبعث إلى بروهم ، وكره أن يؤتى بهم إليه أحياء فيطلب فيهم إلى عبد الملك ، فترك منهم أحدا .

وقد قيل في أمر بن أبي سبيع وابن الأشعث غير ما ذكرت عن أبي مخنف ، وذلك ما ذكر عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أنه كان يقول : زعم أن عمارة بن تميم خرج من كرمان فأتى سجستان وعليها رجل من بني الضبر يدعى مودكا ، فحصره ثم آمنه ، ثم استولى على سجستان ، وأرسل إلى رُئيل . وكتب إليه الحجاج : أما بعد ، فإني قد بعث إليك عمارة بن تميم في ثلاثين ألفا من أهل الشام لم يخالفوا طاعة ، ولم يخلعوا خليفة ، ولم يتبعوا إمام ضلالة ، فيجوز على كل رجل منهم في كل شهر مائة درهم ، يستطيعون الحرب استطاعا ، يطلبون ابن الأشعث . فأبى رُئيل أن يسلمه . وكان مع ابن الأشعث عبيد بن أبي سبيع التميمي قد خص به ،

١١٣٠/٢

(١) ب : « فكان » .

(٢) كذا في ط ، وانظر الصفحة التالية . والإجاز : سطح المنزل .

وكان رسولُهُ إلى رُتَيْبِيل ، فخصَّ رُتَيْبِيلَ أيضًا ، وخَفَّ عليه . فقال القاسم ابن محمد بن الأشعث لأخيه عبد الرحمن : لاني لا آمن غدرَ التميمي ، فاقتله ، فهَسَمَ به ، وبلغ ابن أبي سبيع ، فخافه فوثقَ به إلى رُتَيْبِيل ، وخوفه الحجاج ، ودعاه إلى الغدَرِ بابن الأشعث فأجابه ، فخرج سرًّا إلى ثُمارة بن تميم ، فاستعجل في ابن الأشعث ، فجعل له ألف ألف ، فأقام عنده ، وكتبَ بذلك ثُمارة إلى الحجاج ، فكتب إليه أن أعطَ عبيدًا ورُتَيْبِيلَ ما سألاك واشترط^(١) ، فاشترط رُتَيْبِيلُ ألا تغزى بلادَهُ عشر سنين ، وأن يؤدَّى بعد العشر سنين في كلِّ مئة تسعمائة ألف ، فأعطى رُتَيْبِيلَ وعبيدًا^(٢) ما سألًا ، وأرسل رُتَيْبِيلَ إلى ابن الأشعث فأخضره وثلاثين من أهل بيته ، وقد أعدَّ لهم الخوامع والقيود ، فألقى في عنقه جماعةً ، وفي عنق القاسم جماعة ، وأرسل بهم جميعًا إلى أدنى مسالِحِ عمارة منه ، وقال لجماعة من كان مع ابن الأشعث من الناس : تفرَّقوا إلى حيث شئتم ، ولما قرب ابن الأشعث من عمارة ألقى نفسه من فوق قَصْر فأت ، فاحتزَّ رأسه ، فألقى به وبالأمرى عمارة ، فضرب أعناقهم ، وأرسل برأس ابن الأشعث وبرعوس أهله وبأمراته إلى الحجاج ، فقال في ذلك بعضُ الشعراء :

هيهات موضعُ جُثَّةٍ من رأسها رأسٌ بمصرَ وجُثَّةٌ بالرَّحِجِ^(٣) ١١٣٦/٢

وكان الحجاج أرسل به إلى عبد الملك ، فأرسل^(٤) به عبد الملك إلى عبد العزيز وهو يومئذ على مصر .

وذكر عمر بن شبة أن ابن عائشة حدثه قال : أخبرني سعد بن عبيدة الله قال : لما أتني عبدُ الملك برأس ابن الأشعث أرسل به مع خصيٍّ إلى امرأة منهم كانت تحت رجل من قريش ، فلما وُضِعَ بين يديها قالت : مرحبًا بزائر لا يتكلم ، مكيك من الملوك طلب ما هو أهله فأبت المقادير . فذهب الخصيُّ يأخذ الرأسَ فاجتذبه من يده ، قالت : لا والله حتى أبلغ

(١) كلاني ب ، وفي ط : « واشترط » . (٢) ر : « وعبيد الله » .

(٣) ر : « بالرَّحِج » ، س : « بالرحج » . (٤) ب : « وأرسل » .

حاجتي ، ثم دعت بخطمي ففسكته وغلغته ثم قالت : شأنك به الآن .
فأتعده ، ثم أخير عبد الملك ، فلماً دخل عليه زوجها ، قال : إن استطعت
أن تصيب منها سحلة .

وذكر أن ابن الأشعث نظر إلى رجل من أصحابه وهو هارب إلى بلاد
رتبيل فتمثل :

يطرده الخوف فهو نائه^(١) كذلك من يكره حرّ الجلالِ
منحرق الخفين يشكو الوجا تنكبه أطراف مرو حِدادِ
قد كان في الموت له راحة والموت حتم في رقاب العبادِ

فالتفت إليه فقال : يا حية ، هلاّ ثبتّ في موطن من المواطن فنسموت
بين يديك ، فكان خيراً لك مما صرت إليه ا

قال هشام : قال أبو مخنف : خرج الحجاج في أيامه تلك يسير ومعه
حميد الأرقط وهو يقول :

١١٣٧/٢

ما زال يبنى خندقاً ويهدمه^(٢) عن عسكرٍ يقوده فيسلمه
حتى يصير في يدك مقسمة هيئات من مصفه منهزمة
• إن أنا الكفاظ من لا يسأمة •

فقال الحجاج : هنا أصدق من قول الفاسق أعشى همدان :

نُبئت أنّ بُنيّ يو سف خرّ من زلّتي فتبأ

قد تبين له من زلّتي وثبّ ودحض فانكبّ ، وخاف وخاب ، وشكّ
وارتاب ، ورفع صوته فما بقي أحدٌ إلا فزع لفضبه ، وسكت الأرقط ، فقال
له الحجاج : عدّ فيما كنت فيه ، ما لك يا أرقط ا قال : إني جعلت
فداك أيّها الأمير وسلطان الله عزيز ، ما هو إلا أن رأيتك غضبت فأرعدت
خصائلي ، واحزالت مقاصلي ، وأظلم بصصري ، ودارت بي الأرض . قال له

(١) ب : « طرده الخوف » . (٢) ر : « وقبضه » .

الحجاج : أجل ، إن سلطان الله عزيز ، عدّ فيما كنت فيه ، فتمكّل .
 وقال الحجاج وهو ذات يوم يسيرُ ومعه زياد بن جَرِير بن عبد الله البجليّ
 وهو أعر ، فقال الحجاج للأريقط : كيف قلت لابن سمرّة ؟ قال : قلت :
 يا أعر العَيْنُ فَلَيْتُ العُورَ^(١) كنتَ حَسِبْتَ الخَنْدَقَ المَحْفُورَ
 يَرُدُّ عَنْكَ القَلْبَ المَقْدُورَ ودائراتِ السُّوءِ أَنْ تَلُورَ
 وقد قيل : إن مهلك عبد الرحمن بن محمد كان في سنة أربع وثمانين . ١١٣٨/٢

* * *

[عزل يزيد بن المهلب عن خراسان]

وفي هذه السنة عزّل الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب عن خراسان
 وولّاها المفضل بن المهلب أخا يزيد .

• ذكر السبب الذي من أجله عزله الحجاج عن خراسان واستعمل المفضل :
 ذكر علي بن محمد ، عن المفضل بن محمد ، أن الحجاج وقّد إلى
 عبد الملك ، فرّ في مُنصرَفه بدير فتركه ، فقيل له : إن في هذا الدّير
 شيخاً من أهل الكُتُب عالمًا ، فلما به فقال : يا شيخ ، هل تجدون في
 كُتُبكم ما أنتم فيه ونحن ؟ قال : نعم ، نجد ما مضى من أمركم وما أنتم فيه
 وما هو كائن ، قال : أفسمّي أم موصوفًا ؟ قال : كلّ ذلك ، موصوف بغير
 اسم ، واسم بغير صفة ، قال : فا تجدون صفة أمير المؤمنين ؟ قال : نجد
 في زماننا الذي نحن فيه ، ملك أفرع ، من يقيم لسبيله يُصرع ، قال : ثمّ
 من ؟ قال : اسم رجل يقال له الوليد ، قال : ثمّ ماذا ؟ قال : رجل اسمه
 اسمُ نبيّ يفتّح به على الناس ، قال : أفتعرفي ؟ قال : قد أخبرت بك .
 قال : أفتعلم ما ألي ؟ قال : نعم ، قال : فمن يلكيه بعلدي ؟ قال : رجل
 يقال له يزيد ، قال : في حياتي أم بعد موتي ؟ قال : لا أدري ، قال : أتعرف
 صفته ؟ قال : يغفر غُفُرةً ، لا أعرف غير هذا .

قال : فوَكَّعَ في نفسه يزيدُ بنُ المهلب ، وارتحل فسار سَبْعًا وهو وَجِلٌ من قولِ الشيخ ؛ وَقَدِمَ فَكَتَبَ إلى عبد الملك يَسْتَعْفِيهِ من العراق ، فكتب إليه : يا بنَ أُمِّ الحُجَّاج ، قد علمتُ الذي تغزو ، وأنتك تريد أن تَعْلَمَ رأيي فيك ، وَلَحَسَرَى لِي لَأَرَى مكانَ نافعِ بنِ عِلْقَمَةَ ، قالهُ عن هذا حتى يَأْتِيَ الله بما هوَ آتٍ ؛ فقال الفرزدق يذكُرُ مسيرَه :

لو أَنَّ طَيْرًا كُفِّتَ مِثْلَ سَيْرِهِ إلى واسطٍ من إيلياء لَمَلَّتْ^(١)
سَرَى بالمَهَارَى منَ فَلَسْطِينَ بعدما دنا الليلُ من شمسِ النهارِ فوَكَّتْ^(٢)
فما جادَ ذاكَ اليومُ حتى أَنَاخَهَا بِمَيْسَانَ قَدْ مَلَّتْ سُرَاهَا وَكَلَّتْ^(٣)
كَأَنَّ قُطَامِيًّا على الرَّحْلِ طَاوِيًّا إِذَا غَمَرَةُ الظُّلَمَاءِ عَنْهُ تَجَلَّتْ^(٤)

قال فبينما^(٥) الحُجَّاج يومًا خال^(٦) إِذ دعا عبيد^(٧) بنَ مَرْهَبٍ ، فدخل وهو يَنْكُتُ في الأَرْضِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فقال : ويحك يا عبيد !
إِنَّ أَهْلَ الكُتُبِ يذكُرُونَ أَنَّ ماتحت يَدِي يليه رجلٌ يَقَالُ له يزيد ، وقد تذكّرت
يزيدَ بنَ أَبِي كَيْشَةَ ، ويزيدَ بنَ حُصَيْنِ بنِ مُعَمَّرٍ ، ويزيدَ بنَ دينارٍ ، فليسوا
هناك ، وما هوَ إِذْ كَانَ إلا يزيدَ بنَ المهلب ؛ فقال عبيد : لقد شَرَفْتَهُمْ
وَأَعْظَمْتَ^(٨) ، وَلَا يَتَّبِعُهُمْ ، وَإِنْ لَمْ لَعَدَدًا وَجَلَدًا ، وَطَاعَةً وَحُظًّا ، فَأَخْلَقَ بِهِ .
فأَجْمَعَ على عزْلِ يزيدِ فلم يَجِدْ لَهُ شَيْئًا حتى قَلِمَ الخِيَارَ بنَ أَبِي سَبْرَةَ بنِ
ذُؤَيْبِ بنِ عَرْفَجَةَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ سُفْيَانَ بنِ مُجَاشِعٍ — وَكَانَ مِنْ قُرْسَانَ المَهْلَبِ —
وَكَانَ معَ يزيدِ — فقال له الحُجَّاج : أَخْبِرْنِي عنَ يزيدِ ، قال : حَسَنَ
الطَّاعَةِ ، لَيْسَ السَّيْرَةِ ، قال : كَذِبْتَ ، أَصْدَقَنِي عَنْهُ ، قال : اللهُ أَجَلٌ وَأَعْظَمُ ،
قد أَسْرَجَ ولم يُلْجِمِ ، قال : صَدَقْتَ ، واستعمل الخِيَارَ على عُثْمَانَ بعدَ
ذلك .

١١٤٠/٢

(٢) الديوان : « دنا النى » .

(١) ديوانه ١٣٧ .

(٤) يسله في الديوان :

(٣) الديوان : « قد حلت عراها وملت » .

وَقَدْ عِلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ ابْنَ يَوْسُفَ قَطُوبٌ إِذَا مَا الْمَشْرِفِيَّةُ مُلَّتْ

(٦) ب : « خاليا » .

(٥) ب : « قينيا » .

(٨) ب : « وصلت » .

(٧) ب : « عبيد » .

قال : ثم كَتَبَ إلى عبد الملك بن يزيدَ وآل المهلب بالزيرية ،
فكتب إليه عبدُ الملك : إني لا أرى نقصاً بآل المهلب طاعتهم لآل الزبير ،
بل أراه وفاء منهم لهم ، وإن وقاهم لم يدعهم إلى الوفاء لي . فكتب إليه
الحجاج يخوفه غدراً لما أخبره به الشيخ . فكتب إليه عبدُ الملك : قد أكرمت
في يزيدَ وآل المهلب ، فسم لي رجلاً يصلح خراسان ؛ فسمي له جماعة بن
سعر السعدي ، فكتب إليه عبدُ الملك : إن رأيك الذي دعاك إلى استفساد
آل المهلب هو الذي دعاك إلى جماعة بن سعر ، فانظر لي رجلاً صارماً ،
ماضياً لأمرك ، فسمي قتيبة بن مسلم ، فكتب إليه : ولله . وبلغ يزيد أن الحجاج
عزله ، فقال لأهل بيته : من ترؤن الحجاج يولي خراسان ؟ قالوا : رجلاً
من ثقيف ، قال : كلا ، ولكنه يكتب إلى رجل منكم بعثته ، فإذا قدمت
عليه عزله وولي رجلاً من قيس ، وأخلق بقتيبة ! قال : فلما أذن عبد الملك
للحجاج في عزله يزيدَ كره أن يكتب إليه بعزله ، فكتب إليه أن استخلف
المفضل وأقبل . فاستشار يزيدَ حُصَيْنَ بن المنذر ، فقال له : أم واحتل ،
فإن أمير المؤمنين حسن الرأي فيك ، وإنما أتيت من الحجاج ، فإن أقيمت
ولم تعجل رجوت أن يكتب إليه أن يقر يزيد ، قال : إنا أهل بيت بُورِكَ
لنا في الطاعة ، وأنا أكره المعصية والخلاف ، فأخذ في الجهاز ، وأبطل ذلك
على الحجاج ، فكتب إلى المفضل : إني قد وليتُك خراسان ، فجعل المفضل
يستحي يزيدَ ، فقال له يزيد : إن الحجاج لا يقر بك بعدي ، وإنما دعاه
إلى ما صنع مخافة أن امتنع عليه ، قال : بل حصلتني ، قال يزيد : يا بن
بهلة ، أنا أحسدك ! ستعلم . وخرج يزيدُ في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين .
ف عزل الحجاجُ المفضل ، فقال الشاعر للمفضل وعبد الملك وهو أخوه لأمته :

يا بُنَيَّ بهلةَ إنما أخسركما رَبِّي عِدَاةَ عَدَاةِ الهُمَامِ الْأَزْهَرِ
أخسرْتُم لأخِيكُمْ فوَلَّعْتُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ أَخُوهَا الْمَعُورُ
جُودُوا بتوبةٍ مُخْلِصِينَ فَإِنَّمَا يَلْبِي وَيَأْنِفُ أَنْ يُتُوبَ الْأَخْمَرُ

وقال حُصَيْن ليزيد :

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني فأصبحتَ مَسْلُوبَ الإمارةِ نادِماً
فما أنا بالباكي عليك صَبَابَةً وما أنا بالداعى لَتَرْجَعَ سَالِماً

فلما قدم قتيبة خراسان قال لحصين : كيف قلت ليزيد ؟ قال : قلت :

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني فَنَفْسُكَ أَوَّلُ اللُّؤْمِ إِنْ كُنْتَ لائِماً
فإِنْ يَبْلُغِ الحِجَاجُ أَنْ قَدْ عَصَيْتَهُ فإِنَّكَ تَلْقَى أَمْرَهُ مَتَّفَاقِماً

قال : فإذا أمرته به فعصاك ؟ قال : أمرته ألا يدعَ صفراءَ ولا
بيضاءَ إلا حملها إلى الأمير ، فقال رجل لعياض بن حصين : أما أبوك
فوجده قتيبة حين فرّه قارحاً بقوله : وأمرته ألا يدعَ صفراءَ ولا بيضاءَ
إلا حملها إلى الأمير .

قال عليّ : وحدّثنا كُتَيْبُ بْنُ خَلْفٍ ، قال : كتب الحجاج إلى يزيد
أن أغزو خوارزم ، فكتب إليه : أيها الأمير ، إنها قليلة السلب ، شديدة
اللكب . فكتب إليه الحجاج : استخلف واقم ، فكتب إليه : إني
أريد أن أغزو خوارزم . فكتب إليه : لا تغزها فإنها كما وصفت ، فغزا
ولم يطمع ، فصالحه أهل خوارزم ، وأصاب سبيّاً ممّا صالحوه ، وقبّل
في الشتاء ، فاشتدّ عليهم البرد ، فأخذ الناس ثياب الأعرى فلبسوها ، فمات
ذلك السبي من البرد . قال : وفضل يزيد بلستانه ، وأصاب أهل مرو
الروذ طاعون ذلك العام ، فكتب إليه الحجاج : أن اقدم ، فقدم ، فلم يمر
ببلد إلا فرّشوا له الرياحين . وكان يزيد ولي سنة اثنين وثمانين ، وعزل سنة خمس
وثمانين ، وخرج من خراسان في ربيع الآخر سنة خمس وثمانين ، وولى قتيبة .

١١٤٣/٧

وأما هشام بن محمد ، فإنه ذكر عن أبي غنم في عزل الحجاج يزيد عن
خراسان سبباً غير الذي ذكره عليّ بن محمد ، والذي ذكر من ذلك عن
أبي غنم أن أبا المخارق الراسبي وغيره حدثوه أن الحجاج لم يكن له حين
فرّغ من عبد الرحمن بن محمد هم إلا يزيد بن المهلب وأهل بيته — وقد

كان الحجاج أخذ أهل العراق كلهم إلا يزيد وأهل بيته ومن معهم من أهل
المصريين بخراسان ، ولم يكن يتخوف بعد عبد الرحمن بن محمد بالعراق
غير يزيد بن المهلب - فأخذ الحجاج في مواربة يزيد ليستخرجته من خراسان ،
فكان يبعث إليه لياثيه ، فيعتل عليه بالعدو وحرّب خراسان ، فكث
بذلك^(١) حتى كان آخر سلطان عبد الملك . ثم إن الحجاج كتب إلى عبد الملك
يشير عليه بعزل يزيد بن المهلب ، ويخبره بطاعة آل المهلب لابن الزبير ،
وأنه لا وفاء لهم ، فكتب إليه عبد الملك : إني لا أرى تقصيراً بوكلد المهلب
طاعتهم لآل الزبير ووفاءهم لهم ، فإن طاعتهم ووفاءهم لهم ، هو دعاهم إلى
طاعتي والوفاء لي .

ثم ذكر بقية الخبر نحو الذي ذكره علي بن محمد .

* * *

[غزو المفضل باذغيس وآخرين]

وفي هذه السنة غزا المفضل باذغيس ففتحها .

• ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر علي بن محمد ، عن المفضل بن محمد ، قال : عزل الحجاج
يزيد ، وكتب إلى المفضل بولايته على خراسان سنة خمس وثمانين ، فوليها
تسعة أشهر ، فغزا باذغيس ففتحها وأصاب مغاناً ، فقسمه بين الناس ،
فأصاب كل رجل منهم ثمانمائة درهم ، ثم غزا أنحرون وشومان ، فظفر
وغنم ، وقسم ما أصاب بين الناس ، ولم يكن للمفضل بيت مال ، كان
يعطي الناس كلما جاءه شيء ، وإن غنم شيئاً قسمه بينهم ، فقال كعب
الأشقرى يمدح المفضل :

تري ذا الغنى والفقر من كل معشر^(٢) عصائب شتى يتنوّون المفضلاً
فمن زائر يرحو فواضل سبيه وأخر يقضى حاجه قد ترحل^(٣)

(٢) ب : « تري ذا النى » .

(١) ب : « كلك » .

(٣) ب : « ترجلا » .

إذا ما انتويننا غير أرضك لم نجد بها منتوى خيراً ولا مُتعللاً
 إذا ما عَدَدْنَا الأكرمين ذوى النهى وقد قَلَمُوا من صالح كنت أولاً
 لعمرى لقد صال المفضلُ صَوْلَةً أباحتْ بشُومانَ المناهل والكلا ١١٤٥/٢
 ويوم ابن عباس تناولت مثلها فكانت لنا بين الفريقين قِيَصَلاً
 صَفَتْ لك أخلاقُ المهلبِ كُلِّها وسُرِبَتْ من مسعاته ما تَسْرِبَلاً
 أبوك الذى لم يشع ساع كسعيه فأورث مجداً لم يكن مُتَنَحِلاً^(١)

* * *

[خبر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم بالترمذ]

وفى هذه السنة قُتِلَ موسى بن عبد الله بن خازم السُلَمِيّ بالترمذ .
 * ذكر سبب قتله ومصيره إلى الترمذ حتى قُتِلَ بها :

ذُكِرَ أن سبب مصيره إلى الترمذ كان أن أباه عبد الله بن خازم لما قَتَلَ
 مَنْ قَتَلَ من بني تميم بفرقتنا - وقد مَضَى ذِكْرُ خبر قتله إياهم - تفرق
 عنه عَظُمٌ من كان بى معه منهم ، فخرج إلى نيسابور وخاف بني تميم على
 ثقله بمرؤ ، فقال لابنه موسى : حول ثقلى عن مرؤ ، واقطع نهر بلكُخ حتى
 تلجأ إلى بعض الملوك أو إلى^(٢) حصن تقيم^(٣) فيه . فشخص موسى من
 مرؤ في عشرين ومائتي فارس ، فأقى آمِلٌ وقد ضوى إليه قومٌ من الصعاليك ،
 فصار في أربعمائة ، وانضم إليه رجال من بني سُلَيم ، منهم زُرْعَةُ بن علقمة ،
 فأقى زم قاتلوه ، فظفر بهم وأصاب^(٤) مالا ، وقطع النهر ، فأقى بخارى
 فسأل صاحبها أن يلجأ إليه ، فأبى وخافه ، وقال : رجل فاتك ، وأصحابه
 مثله أصحاب حرب وشر ، فلا آمنه . وبعث إليه بصلة عين ودواب
 وكُسوة ، ونزل على عظيم من عظماء أهل بخارى في نوقان ، فقال له : إنه

(٢) ب : « وال » .

(١) ب : « متحلاً » .

(٣) ابن الأثير : « تقوم » .

(٤) ب : « فأساب » .

لا خيرَ في المُقام في هذه البلاد ، وقد هابك القومُ وهم لا يأمَنونك . فأقام عند دَهقان نوقان أشهراً ، ثمَّ خرج يلتبس ملكاً يُلجأ إليه أو حِصناً ، فلم يأت بلداً إلا كثرَها مقامه فيهم ، وسأله أن يخرج عنهم .

قال عليّ بن محمد : فأتى سمرقند فأقام بها ، وأكرمته طرخون ملكُها ، وأذن له في المُقام ، فأقام ما شاء الله ، ولأهل الصُّغد مائدةً يوضع عليها لحم ودك^(١) وخييز وليريق شراب ، وذلك في كلِّ عام يوماً ، يُجعل ذلك لفارس الصُّغد فلا يقرِّبه أحدٌ غيره ، هو طعامه في ذلك اليوم ، فإن أكل منه أحدٌ غيره بارزه فأيهما قَتَلَ صاحبه فالمائدةُ له ، فقال رجلٌ من أصحاب موسى :

ما هذه المائدة ؟ فأخبر عنها ، فسكت ، فقال صاحب موسى : لا تكن ما على هذه المائدة ، ولأبارزن فارس الصُّغد ، فإن قتلته كنت فارسهم .

فجلس فأكل ما عليها ، وقيل لصاحب المائدة ، فجاء مغضباً ، فقال : يا عري ، يارزنى ، قال : نعم ، وهل أريدُ إلا المِبارزة ! فبارزه فقتله صاحب موسى ، فقال ملك الصُّغد : أنزلتكم وأكرمتمكم فقتلتم فارس الصُّغد !

لولا أني أعطيتك وأصحابك الأمان لقتلتكم ، انخرجوا عن بلدي ، ووصله . ١١٤٧/٢

فخرج موسى فأتى كِس فكتب صاحب كِس إلى طرخون يستنصره ، فأثاه ، فخرج إليه موسى في سبع مائة قاتلهم حتى أمسوا ، وتحتاجزوا وبأصحاب موسى جراح كثيرة ، فلما أصبح أمرهم موسى فحلّقوا رؤوسهم كما يصنع^(٢) الخوارج ، وقطعوا صفيّات أخبيّتهم كما يصنع السجّمْ إذا استأثوا .

وقال موسى لِرُزعة بن علقمة : انطلق إلى طرخون فاحتل له . فأثاه ، فقال له طرخون : لِمَ صنّع أصحابك ما صنّعوا ؟ قال : استقبلوا فاحتلّك إلى أن تقتل أيّها الملك موسى وتقتل ! فإنك لا تصل إليه حتى يقتل مثل عدّتهم منك ، ولو قتلته وإياهم جميعاً ما نلت حظاً ، لأنّ له قدراً في العرب ، فلا يلى أحدٌ خراسان إلا طالبك بدمه ، فإن سلمت من واحد لم تسلم من آخر ، قال : ليس إلى ترك كِس في يدِه سبيل ، قال : فكفّ عنه حتى

(١) لحم ديك : فيه سم .

(٢) ب : يصنع .

يَرْتَحِل ، فكفَّ وأقَى موسى التَّرمِذَ وبها حصن يُشْرِفُ على النهر إلى جانب
منه ، فقتل موسى على بعض دهاقين التَّرمِذَ خارجاً من الحصن والدَّهقان
مُجَانِبَ لِيَرْمِيْشاه ، فقال لموسى : إنَّ صاحبَ التَّرمِذِ متكرمٌ شديدُ
الحياء ، فإن أَلَطَفْتَهُ (١) وَأَهْلَيْتَ إِلَيْهِ أَدْخَلَكَ حِصْنَهُ ، فإنه ضعيفٌ ،
قال : كَلَّا ، ولكنِّي أسأله أن يُدْخِلَنِي حِصْنَهُ ، فسأله فأبى ، فأكْرَهُ
موسى وأهدى له (٢) وَأَلَطَفَهُ ، حتى لطف الذى بينهما ، وخرج فتصبّد معه ،
وكرر إلفاف موسى له ، فصنّع صاحبُ الترمذ طعاماً وأرسل إليه : إني أحِبُّ
أن أكرمَكَ ، فتعدّ عندى ، وأتيتُ في مائة من أصحابك . فانفخَبَ موسى
من أصحابه مائةٌ ، فلخطوا على خيولهم ، فلما صارت في المدينة تصاهكتُ ،
فتطير أهلُ الترمذ وقالوا لهم : انزلوا ، فنزكوا ، فأدخلوا بيتاً ، خمسين في
خمسين ، وغدّوهم .

١١٤٨/٧

فلما فرغوا من الغداء اضطجع موسى ، فقالوا له : اخرج ، قال :
لا أصيبُ مثراً مثلاً هذا ، فلست بخارج منه حتى يكون يبقى أو قَبْرِي .
وفاقتهم في المدينة ، فقتل من أهل الترمذ عدّة ، وهرب الآخرون فلخطوا
مستازلهم ، وغلب موسى على المدينة ، وقال ليرميشاه : اخرج ، فإني لست أعرض
لك ولا لأحد من أصحابك . فخرج الملك وأهل المدينة فأتوا الترك يستنصرونهم ،
فقالوا : دخل إليكم مائة رجل فأخرجوكم عن بلادكم ، وقد قاتلناهم بكس ،
فنحن لا نقاتل هؤلاء . فأقام ابن خازم بالترمذ ، ودخل إليه أصحابه ،
وكانوا سبعمائة ، فأقام ، فلما قُتِلَ أبوه انضمَّ إليه من أصحاب أبيه أربعمائة
فارس ، فقوى ، فكان يخرج فيغير على من حوله . قال : فأرسل الترك قوماً
إلى أصحاب موسى ليُعلموا عِلْمَهُ ، فلما قدّموا قال موسى لأصحابه :
لا بدّ من مكيدة هؤلاء — قال : وذلك في أشدّ الحرّ — فأمر بنار فأججّت ،
وأمر أصحابه فلبسوا ثياب الشتاء ، ولبسوا فوقها لبوداً ، ومدّوا أيديهم إلى
النار كأنهم يصططكون . وأذن موسى للترك فلخطوا ، ففزعوا ممّا رأوا ، وقالوا :

١١٤٩/٧

(١) ب : لا لطفته .

(٢) ب : إليه .

لِمَ صَنَعْتُمْ هَذَا ؟ قَالُوا : نَجِدُ الْبَرْدَ فِي هَذَا الْوَقْتُ ، وَنَجِدُ الْحَرَّ فِي الشَّتَاءِ ، فَرَجَعُوا وَقَالُوا : جِئْنَا لَا نُقَاتِلُهُمْ . قَالَ : وَأَرَادَ صَاحِبُ التُّرُكِ أَنْ يَفْزُو مُوسَى ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ رُسُلًا ، وَبَعَثَ بِسْمِ وَنُشَابَ فِي مَسْكِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِالْأَسْمِ أَنْ حَرِبَهُمْ شَدِيدَةً ، وَالتُّشَابَ الْحَرْبَ ، وَالْمَسْكَ السَّلْمَ ، فَاخْتَارَ الْحَرْبَ أَوْ السَّلْمَ ، فَأَحْرَقَ السَّمَّ ، وَكَسَرَ التُّشَابَ ، وَثَبَرَ الْمَسْكَ ، فَقَالَ الْقَوْمُ : لَمْ يَرِيدُوا الصَّلَاحَ ، وَأَخْبِرَ أَنَّ حَرِبَهُمْ مِثْلَ النَّارِ ، وَإِنَّهُ يَكْسِرُنَا ، فَلَمْ يَتَغَرَّمْ .

قال : فَوَلَّى بِكَيْفَرُ بْنُ شَاحٍ خُرَّاسَانَ فَلَمْ يَحْرِضْ لَهُ ، وَلَمْ يُوَجِّهْ إِلَيْهِ أَحَدًا ، ثُمَّ قَدِمَ أُمِيَّةٌ ^(١) فَسَارَ بِنَفْسِهِ يَرِيدُهُ ، فَخَالَفَتْهُ بِكِيرٌ ، وَخَلَعَ ، فَرَجَعَ إِلَى مَرَوْ ، فَلَمَّا صَالَحَ أُمِيَّةٌ بِكِيرًا أَقَامَ عَامَةً ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي قَابِلٍ وَجَّهَهُ إِلَى مُوسَى وَرَجُلًا مِنْ خُرَّازَةِ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَعَادَ أَهْلُ التُّرْمُذِ إِلَى التُّرُكِ فَاسْتَنْصَرُوهُمْ فَأَبَوْا ، فَقَالُوا لَهُمْ : قَدْ غَزَاهُمْ قَوْمٌ مِنْهُمْ وَحَصَرُوهُمْ ، فَإِنْ أَعْتَاهُمْ عَلَيْهِمْ ظَفِرْنَا بِهِمْ . فَسَارَتِ التُّرُكُ مَعَ أَهْلِ التُّرْمُذِ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَأُطَافَ بِمُوسَى التُّرُكُ وَالْخُرَّازِيُّ ، فَكَانَ يُقَاتِلُ الْخُرَّازِيَّ أَوَّلَ النَّهَارِ وَالتُّرُكُ آخِرَ النَّهَارِ ، فَقَاتَلَهُمْ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ ، فَقَالَ مُوسَى لِعَمْرُو بْنِ خَالِدِ بْنِ حَصِينٍ ^(٢) الْكَلَابِيِّ - وَكَانَ فَارِسًا - قَدْ طَالَ أَمْرُنَا وَأَمْرُهُؤَلَاءِ ، وَقَدْ أَجْمَعْتُ أَنْ أَبِيتَ عَسْكَرَ الْخُرَّازِيِّ ، فَإِنَّهُمْ لِلْبَيَاتِ آمِنُونَ ، فَمَا تَرَى ؟ قَالَ : الْبَيَاتُ نَعْمًا هُوَ ،

١١٥٠/٢

وَلَيْكُنْ ذَلِكَ بِالْعَجَمِ ، فَإِنَّ الْعَرَبَ أَشَدَّ حَذَرًا ، وَأَسْرَعَ فَرَجًا ، وَأَجْرًا عَلَى اللَّيْلِ مِنَ الْعَجَمِ ، فَبَيَّسْتُهُمْ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَنْصُرَنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ تَفَرَّدَ لِقِتَالِ الْخُرَّازِيِّ فَفَنَحْنُ فِي حِصْنٍ وَهُمْ بِالْعَرَاءِ ، وَلَيْسُوا بِأَوَّلَى بِالْبَصِيرِ ، وَلَا أَعْلَمُ بِالْحَرْبِ مِنَّا . قَالَ : فَأَجْمَعَ مُوسَى عَلَى بَيَاتِ التُّرُكِ ، فَلَمَّا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثُهُ خَرَجَ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقَالَ لِعَمْرُو بْنِ خَالِدٍ : أَخْرِجُوا بَعْدَنَا وَكُونُوا مِنَّا قَرِيبًا ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ تَكْبِيرَنَا فَكَبِّرُوا ، وَأَخِذْ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ حَتَّى ارْتَفَعَ فَوْقَ الْعَسْكَرِ ، ثُمَّ أَخِذْ مِنْ نَاحِيَةِ كَفْتَانِ ، فَلَمَّا قُرِبَ مِنْ عَسْكَرِهِمْ جَعَلَ أَصْحَابُهُ أَرْبَاعًا ، ثُمَّ قَالَ : أَطِيعُوا بِعَسْكَرِهِمْ ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ تَكْبِيرَنَا فَكَبِّرُوا ، وَأَقْبِلْ

(١) هُوَ أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ .

(٢) ب ، ر : « حَصْن » .

وقدّم عمرًا بين يديه ومشّوا خلفه ، فلما رآته أصحاب الأرصَاد قالوا : من أنتم ؟ قالوا : هايرى سبيل .

قال : فلما جازوا الرّصد تفرّقوا وأطافوا بالعسكر وكبروا ، فلم يشعر التّرك إلّا يوقّع السيوف ، فتاروا يقتل بعضهم بعضًا وولّوا ، وأصيب من المسلمين مئة عشر رجلًا ، وحووا عسكرهم وأصابوا سلاحًا ومالًا ، وأصبح الخُزاعي وأصحابه قد كسّهم ذلك ^(١) ، وخافوا مثلها من البَيَات ، فتحدّثوا ^(٢) .

فقال لموسى عمرو بن خالد : إنك لا تتظفر ^(٣) إلّا بمِكيكة ^(٤) ولم أمداد وهم يكثرُونَ ، فدعنى آتتهم لعلّى أصيب من صاحبهم فرصة ؛ إني ^(٥) إن خلوتُ به قتلته ، فتناولنى بضرب ، قال : تتعجّل الضرب وتعرض للقتل ! قال : أما تعرض للقتل فأنا كلّ يوم متعرّضٌ له ، وأما الضرب فما أيسره في جنب ما أريد . فتناولته بضرب ، ضربه خمسين سوطًا ، فخرج من عسكر موسى فأتى عسكر الخُزاعي مستأمنًا وقال : أنا رجل من أهل اليَمَن كنتُ مع عبد الله بن خازم ، فلما قُتِل أتيَتْ ابنته فلم أزل معه ، وكنتُ أوّل من أناه ، فلما قلمت اتهمسى ، وتعصّب علىّ ، وتكرّر لى وقال لى : قد تعصبت لعدونا ، فأنت عينٌ له ، فضرّنى ، ولم آمن القتل ، وقُلّت : ليس بعد الضرب إلّا القتل ، فهربت منه ، فأمنه الخُزاعي وأقام معه .

قال : فدخل يومًا وهو خالٍ ولم يَرَ عنده سلاحًا ، فقال كأنه ينصَح له : أصلحك الله ! إنّ مثلك فى مثل حالك لا ينبغي أن يكون فى حال من أحواله بغير سلاح ، فقال : إنّ معى سلاحًا ، فرفع صرير فراشه فإذا سيفٌ متّضئ ، فتناولوه عمرو فضرّبه فقتله ، وخرج فركب فرسه ، ونكسروا به بعد ما أمعن ، فطلبوه فقاتتهم ، فأتى موسى وتفرّق ذلك الجيش ، فقطع بعضهم النهر ، وأتى بعضهم موسى مستأمنًا ، فأمنه ، فلم يوجّه إليه أُميّة أحدًا . قال : وعُزِل أُميّة ، وقدّم المهلب أميرًا ، فلم يعرض لابن خازم ،

(١) ب : وذلك . (٢) ب : «تحدّثوا» .

(٣) ب : «إنكم لا تتظفرون» . (٤) ب : «لمِكيكة» .

(٥) ب : «فإني» .

وقال لبنيه : إياكم وموسى ، فإنكم لا تزالون ولادة هذا الثغر ما أقام هذا الخط^(١) ١١٠٢/٢
بمكانه ، فإن قُتل كان أولك طالع عليكم أميراً على خراسان رجل من
قيس . فأتى المهلب ولم يوجه إليه أحداً ، ثم تولى^(٢) يزيد بن المهلب فلم
يعرض له . وكان المهلب ضرب حرِيث بن قُطبة الخزاعي ، فخرج هو
وأخوه ثابت إلى موسى ، فلما ولي يزيد بن المهلب أخذ أموالهما وحرمتها
وقتل أخاهما لأمهما ، الحارث بن مُنقذ ، وقتل صهرهما لما كانت عنده
أم حفص ابنة ثابت ، فبلىتهما ما صنع يزيد .

قال : فخرج ثابت إلى طرخون فشكا إليه ما صنع به . وكان ثابت
محبباً في العجم ، بعيد الصوت ، يعظمونه ويتقون به ، فكان الرجل منهم
إذا أعطى عهداً يريد الوفاء به حلف بحياة ثابت فلا يتخدر . فغضب له
طرخون وتجمع له نيزك والسبيل وأهل بخارى والصفانيان ، فقدّموا مع
ثابت إلى موسى بن عبد الله ، وقد سبق إلى موسى فلى عبد الرحمن بن العباس
من هراة ، وقل ابن الأشعث من العراق ومن ناحية كابل ، وقوم من بني
تميم من كان يقاتل ابن خازم في الفتنة من أهل خراسان ، فاجتمع إلى موسى
ثمانية آلاف من تميم وقيس وربيعة واليمن ، فقال له ثابت وحرِيث : سر
تقطع النهر فتخرج يزيد بن المهلب عن خراسان ، ونوليك ، فإن طرخون
ونيزك والسبيل وأهل بخارى معك ، فهم أن يفعل ، فقال له أصحابه : ١١٠٣/٢
إن ثابتاً وأخاه خاقان ليزيد ، وإن^(٣) أخرجت يزيد عن خراسان وأميناً تولياً
الأمر وغلبك على خراسان ، فأقم مكانك . فقبل رأيهم ، وأقام بالرمذ .
وقال لثابت : إن أخرجتنا يزيد قدّم حامل لعبد الملك ، ولكننا نخرج عمال
يزيد من وراء النهر مما يلينا ، وتكون هذه الناحية لنا ناكلها . فرضى ثابت
بذلك ، وأخرج من كان من عمال يزيد من وراء النهر ، وحملت إليهم
الأموال ، وقوى أمرهم وأمر موسى ، وانصرف طرخون ونيزك وأهل بخارى والسبيل
إلى بلادهم ، وتبدّل الأمر لحرِيث وثابت ، والأمير موسى ليس له غير الاسم ،

(١) الخط : التفتيل البطن ، أو الكوج الذي عرى وجهه من الشعر .

(٢) ر : « ط » ، س : « نزل » . (٣) ب : « نزل » .

فقال لموسى أصحابه : لستأ ترى من الأمر في يديك شيئاً أكثر من اسم
الإمارة ، فأما التدبير فليحريث وثابت ، فاقتلتهما وتولّ الأمر . فأبى وقال :
ما كنت لأغدر بهما وقد قويا أمرى ، فحسدوهما وألحوا على موسى في
أمرهما حتى أفسدوا قلبه ، وخوفوه غدرهما ، وهم مبتابعتهم على الوثوب
يثابت وحريث . واضطرب أمرهم ، فإنهم لفي ذلك إذ خرجت عليهم الحياطة
والثبّت والترك ، فأقبلوا في سبعين ألفاً لا يعدّون الحاسر ولا صاحب بيضة
جماء ، ولا يعدون إلا صاحب بيضة ذات قوتس . قال : فخرج ابن
خازم إلى ربض المدينة في ثلثة راجل وثلاثين مجففاً ، وألقى له كرمي
فقعده عليه . قال : فأمر طرّخون أن يثلم ^(١) حائط الربض ، فقال موسى :
دعّوهم ، فلهموا ودخل أولئهم ، فقال : دعّوهم يكرّون ، وجعل يقلب
طبرزيناً بيده ، فلما كثروا قال : الآن امنعهم ، فركب وحمل ^(٢) عليهم
فقاتلهم حتى أخرجهم عن الثلثة ، ثم رجع فجلس على الكرسي وذمر
الملك أصحابه ليعودوا ، فأبوا ، فقال لفرسانه : هلا الشيطان ، من سرّه أن
ينظر إلى رسم فلينظر إلى صاحب الكرسي ، فن أبى فليقدّم عليه . ثم
تحولت الأعاجم إلى رستاق كفتان . قال : فأغاروا على سرّح موسى ، فأغتم
ولم يطمع ، وجعل يبعث بلحيته ، فسار ليلاً على نهر في حافتيه ^(٣)
نبات لم يكن فيه ماء ، وهو يفضي إلى خندقهم ، في سبعائة ، فأصبحوا عند
عسكرهم ، وخرج السرح فأغار عليه فاستاقه ، وأتبعه قوم منهم ، فعطف
عليه سوار ، مولى لموسى ، فطعن رجلاً منهم فصرّعه ، فرجعوا عنهم وسكّم
موسى بالسرح . قال : وغاداهم العجم القتال ، فوقف مكيكهم على تل في
عشرة آلاف في أكمل عدة ، فقال موسى : إن أزلتم هؤلاء فليس الباقون
بشيء . فقصدهم حريث بن قنطبة فقاتلهم صدر النهار ، وألح عليهم حتى
أزالوهم عن التل ، ورؤى يومئذ حريث بنشابة في جبهته ، فتحاجزوا ، فبستهم
موسى ، وحمل أخوه خازم بن عبد الله بن خازم حتى وصل إلى شجرة مكيكهم ،

١١٥٤/٢

(٢) ب : « وركب فحمل » .

(١) ب : « يستلم » .

(٣) ب : « قاحيته » .

فوجاً رجلاً منهم بقسيبة^(١) سيفه ، فطعن فرسه ، فاحتلمته فألقاه في نهر
يلكح فغرق ، وعليه درعان ، فقتل العجم قتلاً ذريعاً ، ونجا منهم من
نجا بشر ، ومات حرث بن قطبة بعد يومين ، فدُفن في قبته .

١١٥٥/٢

قال : وارتحل موسى ، وحملوا الرعوس إلى الترمذ ، فبنوا من تلك الرعوس
جسوسين ، وجعلوا الرعوس يقابل بعضها بعضاً . وبلغ الحجاج خبر الوقعة ،
فقال : الحمد لله الذي نصر المتأففين على الكافرين ، فقال أصحاب موسى :
قد كُفينا أمر حرث ، فأرحنا من ثابت ، فأبى وقال : لا . وبلغ ثابتاً بعض
ما يخوضون فيه ، فجلس محمد بن عبد الله بن مرثد الخزاعي ، محم نصر بن
عبد الحميد عامل أبي مسلم على الرى - وكان في خدمة موسى بن عبد الله - وقال
له : إياك أن تتكلم بالعربية ، وإن سألك من أين أنت ! فقل : من سبى
البيمان^(٢) ، فكان يخدم موسى ويتقل إلى ثابت خبرهم ، فقال له :
تحفظ ما يقولون . وحذر ثابت فكان لا ينام حتى يرجع الغلام ، وأمر قوماً
من شاكريته يحرسونه ويبيتون عنده في داره ، ومعهم قوم من العرب ،
وألح القوم على موسى فأضجروه ، فقال لهم ليلة : قد أكثرتم على ، وفيهم تريدون
هلاككم ، وقد أبرمتوني ! فعلى أى وجه تفتكون به ، وأنا لا أغدير به ! فقال
نوح بن عبد الله أخو موسى : خلكنا وإياه ، فإذا غدا إليك غداة عدلنا به
إلى بعض الدور ، فضربنا عنقه فيها قبل أن يصل إليك ، قال : أما والله
إنه هلاككم ، وأنتم أعلم - والغلام يسمع - فأقى ثابتاً فأخبره ، فخرج من
ليلته في عشرين فارساً ، ففضى ، وأصبحو وقد ذهب فلم يدروا من أين أوتوا ،
وفقدوا الغلام ، فعلموا أنه كان عينا له عليهم ، ولحق ثابت بحشورا فنزل
المدينة ، وخرج إليه قوم كثير من العرب والعجم ، فقال موسى لأصحابه :
قد فتحتم على أنفسكم باباً فسدوه ، صار إليه موسى^(٣) ، فخرج إليه ثابت
في جميع كثير فقاتلهم ، فأمر موسى بإحراق السور ، وقتلهم حتى ألبثوا
ثابتاً وأصحابه إلى المدينة ، وقاتلهم عن المدينة .

١١٥٦/٢

(١) القسيبة : ما يكون على طرف مقبض السيف ، تكون من فضة أو حديد .

(٢) ر : « البيمان » . (٣) ب : « موسى إليه » .

فأقبل رقية بن الحر العنبري حتى اقتحم النار^(١)؛ فأنتهى إلى باب المدينة ورجل من أصحاب ثابت واقف يحمي أصحابه ، فقتله ، ثم رجع فحاض النار وهي تلتهب ، وقد أخذت بجوانب تمتط عليه ، فرمى به عنه ووقف ، وتحصن ثابت في المدينة ، وأقام موسى في الريض ، وكان ثابت حين شحخص إلى حشورا أرسل إلى طرخون ، فأقبل طرخون معينا له ، وبلغ موسى بجىء طرخون ، فرجع إلى الترمذ ، وأعانه أهل كيس ونسف وبخارى ، فصار ثابت في ثمانين ألفاً ، فحصر موسى وقطعوا عنه المادة حتى جاهدوا .

قال : وكان أصحاب ثابت يعبرون نهراً إلى موسى بالنهار—ثم يرجعون بالليل إلى عسكرهم ، فخرج يوماً رقية — وكان صديقاً لثابت ، وقد كان ينتهي أصحاب موسى عما صنعوا — فتأذى ثابتاً ، فبرز له—وعلى رقية قباء مخز— فقال له : كيف حالك يا رقية ؟ فقال : ما تسأل عن رجل عليه جبة مخز في حماره القيظ ! وشكا إليه حاله ، فقال : أنتم صنعتم هذا بأنفسكم ، فقال : أما والله ما دخلت في أمرهم ، ولقد كرهت ما أرادوا ، فقال ثابت : أين تكون حتى يأتيك ما قدرك ؟ قال : أنا عند المحل الطفاوي — رجل من قيس من يعصر — وكان المحل شيخاً صاحب شراب — فتزل رقية عنده .

١١٠٧/٢

قال : فبعث ثابت إلى رقية بخمسمائة درهم مع علي بن المهاجر الخزاعي ، وقال : إن لنا تجاراً قد خرجوا من بلخ ، فإذا بلغك أنهم قد قدوا فأرسل إلى تأتيك حاجتكم . فأتى علي باب المحل ، فدخل فإذا رقية والمحل جالسان بينهما جفنة فيها شراب ، وخوان عليه دجاج وأرغفة ، ورقية شعث الرأس ، متوشح بملحفة حمراء ، فلنغ إليه الكيس ، وأبلغته الرسالة وما كلمه ، وتناول الكيس وقال له بيده ، اخرج ، ولم يكلمه . قال : وكان رقية جسيماً كبيراً ، غائر العينين ، ناتي الوجنتين ، بفلج ، بين كل سنين له موضع من ، كأن وجهه ترس .

قال : فلما أضاق أصحابُ موسى واشتدَّ عليهم الحصارُ قال يزيدُ بنُ هزِيل : إنما مقامكم هؤلاء مع ثابتٍ والقَتْلُ أحسنُ من الموتِ جوعاً ، والله لأقتلَنَّ ثابتاً أو لأموئنَّ . فخرج إلى ثابتٍ فاستأمنه ، فقال له ظهير : أأنا أعرفُ بهذا منك ، إنَّ هذا لم يأتِكَ رغبةٌ فيكَ ولا جَزَعاً لك ، ولقد جاءكَ بغُدْرَةٍ ، فاحذَرهُ وخكَّتِي وإياه ، فقال : ما كنتُ لأقدمُ على رجلٍ أثاني ، لا أدرى أكنالك هو أم لا . قال : فدعني أرتهن منه رهناً ، فأرسل ثابتٌ إلى يزيدٍ فقال : أما أنا فلم أكن أظنَّ رجلاً يتغدرُ بعد ما يسأل الأمان ، وابنُ عمِّك أعلم بك مني ، فانظر ما يُعاملُك عليه ، فقال يزيدُ لظهير : أبيت يا أبا سعيد إلا حسداً قال : أما يكفيكَ ما تَرَى من الذُّلِّ ! تشرَّدتُ عن العِراقِ وعن أهلي ، وصرتُ بخُرَّاسانَ فيما تَرى ، أأنا تحطِفُكَ الرَّحْمُ ! فقال له ظهير : أما والله لو تُرَكْتُ ورأيتُ فيكَ لما كانَ هذا ، ولكن أُرهِمنا ابنُكَ قُدَّامةً والضَّحَّاك . فدفعهما ^(١) إليهم ، فكانا في يدَي ظهير .

١١٥٨/٧

قال : وأقام يزيدُ يكتسِمُ غيرةَ ثابتٍ ، لا يتقدَّرُ منه على ما يريد ، حتى مات ابنُ لُزيادٍ القصيرُ الخُزاعي ، أتى أباه نعيه من مرو ، فخرج متفضلاً إلى زيادٍ ليعزيه ، ومعه ظهير ورَهْطٌ من أصحابه ، وفيهم يزيدُ بنُ هزِيل ، وقد غابت الشمس ، فلما صار على نهر الصَّبْغَانِيَّان تأخَّرَ يزيدُ بنُ هزِيل ورجلان معه ، وقد تقدَّم ظهير وأصحابه ، فدنا يزيدُ من ثابتٍ فضربه فعضَّ السيفُ برأسه ، فوصل إلى الدماغ . قال : وروى يزيدُ وصاحبه بأنفسهم في نَهَرِ الصَّبْغَانِيَّان ، فرمَوْهم ، فنجَّا يزيدُ سباحةً وقَتْلَ صاحبه ، وحُمِلَ ثابتٌ إلى منزله ، فلما أصبح طرَّحُونُ أُرْسِلَ إلى ظهير : اثنتي بابنَيَّ يزيدَ ، فأثاء بهما ، فقدَّم ظهيرُ الضَّحَّاك بنَ يزيدٍ فقَتَله ، وروى به وبرأسه في النهر ، وقدَّم قُدَّامةً ليقْتله ، فالتفتُ فوقَّعَ السيفُ في صدره ، ولم يُسِنْ ، فالتقاء في النهرِ حباً ففرَّق ، فقال طرَّحُونُ : أبوهما قتلهما وغدره . فقال يزيدُ بنُ هزِيل : لأقتلَنَّ يابنَيَّ كلَّ خُزاعيٍّ بالمدينة ، فقال له عبدُ الله بنُ بُدَيْل بنِ عبدِ الله بنِ بُدَيْل بنِ رُقَاء — وكان من أتَى موسى من قتلِ ابنِ الأشعث :

لورُمتَ ذاكَ من خُرْزاعة لَصْعَبُ عَلَيْكَ . وعاش ثابت سبعةَ أيام ثم مات . وكان يزيدُ بن هزِيلَ صَخِيًّا شَجَاعًا شَاعِرًا ، ولِى أَيْتَامَ ابْنِ زِيَادَ جَزِيرَةَ ابْنِ كَاوَانَ ، فَقَالَ :

١١٥٩/٢

قَدْ كُنْتُ أَدْعُو اللَّهَ فِي السَّرِّ مَخْطُصًا لِيُثَمِّكُنِي مِنْ جَزِيرَةٍ وَرِجَالٍ^(١)
فَأَتْرَكَ فِيهَا ذِكْرَ طَلْحَةَ خَامِلًا وَيُحَمَّدُ فِيهَا نَائِلِي وَفِعَالِي

قال : فقام بأمرِ العَجَمِ بعد موتِ ثابتِ طَرْخُونِ ، وقام ظُهُيرُ بأمرِ أصحابِ ثابتِ ، فقاما قِيَامًا ضَعِيفًا ، وانتَشَرَ أَمْرُهُمْ ، فَأَجْمَعَ مُوسَى عَلَى بَيَاتِهِمْ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَأَخْبَرَ طَرْخُونَ ، فَضَحِكَ وَقَالَ : مُوسَى يَعْجِزُ أَنْ يَدْخُلَ مَتَوَضَّاهُ ، فَكَيْفَ يَبِيَّتُنَا ! لَقَدْ طَارَ قَلْبُكَ ، لَا يَحْرُسُ اللَّيْلَةَ أَحَدٌ الْعَسْكَرِ . فَلَمَّا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثُهُ خَرَجَ مُوسَى فِي ثَمَانِيَةِ قَدْ عِبَاهُمْ مِنَ النَّهَارِ ، وَصَبَّرَهُمْ^(٢) أَرْبَاعًا . قَالَ : فَصَبَّرَ عَلَى رُبْعِ رَقَبَةِ بْنِ الْحَرِّ وَعَلَى رُبْعِ أَخِيهِ نُوحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ ، وَعَلَى رُبْعِ يَزِيدَ بْنِ هَزِيلٍ ، وَصَارَ هُوَ فِي رُبْعٍ ، وَقَالَ لَهُمْ : إِذَا دَخَلْتُمْ^(٣) عَسْكَرَهُمْ فَتَفَرَّقُوا ، وَلَا يَمُرَّنْ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا ضَرَبَهُ ، فَلَدَخَلُوا عَسْكَرَهُمْ مِنْ أَرْبَعِ نَوَاحٍ لَا يَمُرُّونَ بِدَابَّةٍ وَلَا رَجُلٍ وَلَا خَيَْاءٍ وَلَا جَوَالِقٍ إِلَّا ضَرَبَوْهُ . وَهَمَّ بِالْوَجْهِ نَيْزِكَ فَلَبَسَ سِلَاحَهُ ، وَوَقَفَ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ ، وَقَالَ لَعَلِّي بِنِ الْمُهَاجِرِ الْخُرَازَمِيِّ : انْطَلِقْ إِلَى طَرْخُونٍ فَأَعْلِمَهُ مَوْقِفِي ، وَقُلْ لَهُ : مَا تَرَى أَعْمَلُ بِهِ ، فَأَتَى طَرْخُونُ ، فَلَمَّا هُوَ فِي فَاةٍ^(٤) قَاعَدَ عَلَى كَرْمِي وَشَاكِرِيَّتِهِ قَدْ أَوقَدُوا النَّيْرَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَبْلَغَهُ رِسَالَةَ نَيْزِكَ ، فَقَالَ : اجْلِسْ ، وَهُوَ طَامَحٌ بِبَصَرِهِ نَحْوَ الْعَسْكَرِ وَالصَّوْتِ ، إِذَا أَقْبَلَ تَحْمِيَّةُ السُّلَيْمِيِّ وَهُوَ يَقُولُ : وَحْمٌ لَا يُنْصَرُونَ ، فَتَفَرَّقَ فِي الشَّاكِرِيَّةِ ، وَدَخَلَ تَحْمِيَّةَ الْفَاةِ ، وَقَامَ إِلَيْهِ طَرْخُونُ فَبَدَّرَهُ فَصَّرَبَهُ ، فَلَمْ يَخُنْ شَيْئًا ، قَالَ : وَطَعَنَهُ طَرْخُونُ بِذِي بَابِ السَّيْفِ فِي صَدْرِهِ فَصَّرَعَهُ ، وَرَجَعَ إِلَى الْكَرْمِيِّ فَجَلَسَ عَلَيْهِ ، وَخَرَجَ تَحْمِيَّةٌ يَبْعُدُو .

١١٦٠/٢

(١) ب : ر : « حريه وسلاي » . (٢) ب : « ويصيرهم » .

(٣) ب : « ادخلوا » . (٤) الفَاة : مظلة تمد بمسد .

قال : ورجعت الشاكريّة ، فقال لهم طرّخون : فَرَرْتُمْ من رجل ! أَرَأَيْتُمْ لو كان ناراً هل كانت تحرق منكم أكثر من واحد ! فما فَرَّغَ من كلامه حتى دخل لجواريه الفازة ، وخَرَجَ الشاكريّة هُرَّاباً ، فقال للجوارى : اجلسن ، وقال لعلّى بن المهاجر : قُمي ، قال : فخرجنا فلذا نوح بن عبد الله ابن خازم في السرداق ، فتجاوزوا ساعة ، واختلصا ضربتين ، فلم يصنعا شيئاً ، وولّى نوح وأتبعه طرّخون ، فطعن فرس نوح في خاصرته فشَبَّ ، فسقط نوح والفرس في نهر الصغانيان ، ورجع طرّخون وسيفه يقطر دماً ، حتى دخل السرداق وعلى بن المهاجر معه ، ثم دخلا الفازة .

وقال طرّخون للجوارى : ارجعن ، فرجعن إلى السرداق ؛ وأرسل طرخون إلى موسى : كُفَّ أصحابك ؟ فلما نزلنا إذا أصبحنا ، فرجع موسى إلى عسكريه ، فلما أصبحوا ارتحل طرّخون والعجم جميعاً ، فأتى كل قوم بلادهم . قال : وكان أهل خُرَّاسان يقولون : ما رأينا مثل موسى ابن عبد الله بن خازم ، ولا سمعنا به ، قاتل مع أبيه ستين ، ثم خرج يسير في بلاد خُرَّاسان حتى أتى ملكاً فغلبه على مدينته وأخرجته منها ، ثم سارت إليه الجنود من العرب والترك فكان يُقاتل العرب أول النهار والعجم آخر النهار ، وأقام في حصنه خمس عشرة سنة ، وصار ما وراء النهر لموسى ، لا يحارّه فيه أحد .

١١٦١/٢

قال : وكان بقوميس رجل يقال له عبد الله ، يجتمع إليه فتيان يتنادمون عنده في مؤونته ونفقتته ، فلزمه دين ، فأتى موسى بن عبد الله ، فأعطاه أربعة آلاف ، فأتى بها أصحابه ، فقال الشاعر يُعَاتِبُ رجلاً يقال له موسى :

فما أنت موسى إذ يُناجى إِلَهُهُ ولا واهب القينات موسى بن خازم
قال : فلما عزل يزيد وولّى الفضل خُرَّاسان أراد أن يحظى عند الحجاج بقتال موسى بن عبد الله ، فأخرج عثمان بن مسعود - وكان يزيد حبسه - فقال : إني أريد أن أوجهك إلى موسى بن عبد الله ، فقال : واقه لقد وترتني ، وإني لثائر بابن عتي^(١) ثابت وبالحزاعي ، وما يد أهلك

وأخيك عندى وعند أهل بيتى بالحسنة ، لقد حبستمونى وشردتم بنى عسى ، واصطفيتهم أموالهم . فقال له المفضل : دَعْ هَذَا عَنْكَ ، وَسِرْ فَأَدْرِكَ بِثَارِكَ ، فَوَجَّهَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، وَقَالَ لَهُ : مَرُّ مُنَادِيًا فَلْيُنَادِ : مَنْ لَحِقَ بِنَا فَلَهُ دِيُونٌ ، فَنَادَى بِذَلِكَ فِي السُّوقِ ، فَسَارَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ . وَكَتَبَ الْمُفْضِلُ إِلَى مُدْرِكِهِ وَهُوَ بِبَلْخَ أَنْ يَسِيرَ مَعَهُ ، فَخَرَجَ ، فَلَمَّا كَانَ بِبَلْخَ خَرَجَ لَيْلَةً يَطُوفُ فِي الْمَسْكَرِ ، فَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ : قَتَلْتُهُ وَاللَّهِ ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : قَتَلْتُ مُوسَى وَرَبَّ الْكَعْبَةِ !

١١٦٢/٢

قال : فَأَصْبَحَ فَسَارَ مِنْ بَلْخَ وَخَرَجَ مُدْرِكُهُ مَعَهُ مُتَأَقِلًا ، فَقَطَعَ النَّهْرَ فَتَنَزَلَ جَزِيرَةً بِالْتَّرْمِذِ يُقَالُ لَهَا الْيَوْمَ جَزِيرَةُ عُمَانَ - لَنَزُولِ عُمَانَ بِهَا فِي خَمْسَةِ عَشَرَ أَلْفًا - وَكَتَبَ إِلَى السَّبِيلِ وَإِلَى طَرُحُونٍ فَقَدَّمُوا عَلَيْهِ ، فَحَصَرُوا مُوسَى ، فَضَيَّقُوا عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ ، فَخَرَجَ مُوسَى لَيْلًا فَأَتَى كَفْتَانَ ، فَامْتَارَ مِنْهَا ، ثُمَّ رَجَعَ فَكَثَّ شَهْرَيْنِ فِي ضَيْقٍ ، وَقَدْ خَشِدَ عُمَانُ وَحَذَرَ الْبَيْكَاتِ ، فَلَمْ يَقْدِرْ مُوسَى مِنْهُ عَلَى غِيْرَةٍ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : حَتَّى مَتَى ! اخْرُجُوا بِنَا فَاجْعَلُوا يَوْمَكُمْ ، إِمَّا ظَهَرْتُمْ وَإِمَّا قُتِلْتُمْ . وَقَالَ لَهُمْ : اقْصِدُوا لِلصُّغْدِ وَالْتَرَكْ ، فَخَرَجَ وَخَلَّفَ النَّصْرَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ فِي الْمَدِينَةِ ، وَقَالَ لَهُ : إِنْ قُتِلْتُ فَلَا تَدْفِنَنَّ الْمَدِينَةَ إِلَى عُمَانَ ، وَادْفَعْنَهَا إِلَى مُدْرِكِ بْنِ الْمُهَلَّبِ . وَخَرَجَ فَصَبَّرَ ثَلَاثَ أَصْحَابِهِ بِإِزَاءِ عُمَانَ وَقَالَ : لَا تَهَابُوهَ إِلَّا أَنْ يَقَاتِلَكُمْ ، وَقَصِدَ لَطَرُخُونٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَصَلَبَقُوهُمْ ، فَانْهَزَمَ طَرُخُونُ وَالْتَرَكُ ، وَأَخَذُوا عَسْكَرَهُمْ فَجَعَلُوا يَنْتَقِلُونَهُ ، وَنَظَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ خَالِدِ بْنِ أَبِي بَرْزَةَ إِلَى عُمَانَ وَهُوَ عَلَى بَرْدَوْنَ لَخَالِدِ بْنِ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ ، فَقَالَ : انْزِلْ أَبِهَا الْأَمِيرَ ، فَقَالَ خَالِدٌ : لَا تَنْزِلْ فَإِنَّ مُعَاوِيَةَ مَشْتُومٌ . وَكَرَّرَتِ الصُّغْدُ وَالْتَرَكُ (١) رَاجِعَةً ، فَحَالُوا بَيْنَ مُوسَى وَبَيْنَ الْحَصَنِ ، فَقَاتَلَهُمْ ، فَغَفَّرَ بِهِ فَسَقَطَ ، فَقَالَ لِمَوْلَاهُ : احْمَلْنِي ، فَقَالَ : الْمَوْتُ كَرِيهٌ ، وَلَكِنْ ارْتَدَفَ ، فَإِنْ نَجَوْنَا نَجَوْنَا جَمِيعًا ، وَإِنْ هَلَكْنَا هَلَكْنَا جَمِيعًا . قَالَ : فَارْتَدَفَ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عُمَانُ حِينَ وَتَبَ فَقَالَ : وَتَبَةُ مُوسَى وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ! وَعَلَيْهِ مِخْفَرٌ لَهُ مُوشَى بِخَزْ أَحْمَرَ

١١٦٣/٢

في أعلاه^(١) يا قوتة اسما نجونية، فخرج من الخلق فكشكشوا أصحاب موسى .
فقصده لموسى ، وعثرت دابة موسى فسقط هو ومولاه ، فابتدروا فانطوا
عليه فقتلوه ، ونادى منادى عثان : لا تقتلوا أحداً ، من لقيتموه فخلّوه
أسيراً .

قال : فتفرق أصحاب موسى ، وأسير منهم قوم ، فعرضوا على عثان ،
فكان إذا أتى بأسير من العرب قال : دعاؤنا لكم حلال ، ودعاؤكم علينا
حرام ! ويأمر بقتله ، وإذا أتى بأسير من الموالي شتمه ، وقال : هذه العرب
تقاتلني ، فهلا غضبت لي ! فيأمر به فيشدخ . وكان قظاً غليظاً ، فلم
يسلم عليه يومئذ أسيراً إلا عبد الله بن بديل بن بديل بن بديل بن
ورقاء ، فإنه كان مولاه ، فلما نظر إليه أعرض عنه وأشار بيده أن خلكوا عنه ،
ورقية بن الحر لما أتى به نظره إليه وقال : ما كان من هذا إلينا كبير ذنب ،
وكان صديقاً لثابت ، وكان مع قوم فتوى لهم ، والعجب كيف أسرتهموا
قالوا : طعن فرسه فسقط عنه في ودة فأسير ، فأطلقه وحملته ، وقال
لخالد بن أبي بزة : ليكن عندك . قال : وكان الذي أجهز على موسى
ابن عبد الله وأصيل بن طيسلة العنبري .

ونظر يومئذ عثان إلى زُرعة بن عكمة السلمى والحجاج بن مروان
وسنان الأعرابي ناحية فقال : لكم الأمان ، فظن الناس أنه لم يؤمنهم حتى كاتبوه .

قال : وبقيت المدينة في يدى النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم ، فقال :
لا أدفعها إلى عثان ، ولكني أدفعها إلى مديرك ، فدفعها إليه وأمنه ، فدفعها
مديرك إلى عثان . وكتب المفضل بالفتح إلى الحجاج ، قال الحجاج : العجب
من ابن بهلة ! أمره بقتل ابن سمرة فيكتب إلى أنه لعمريه ويكتب إلى : إنه
قتل موسى بن عبد الله بن خازم ، قال : وقتل موسى ستة خمس وثمانين ،
فلزكر البحرى أن متغراء بن المغيرة بن أبي صفرة قتل موسى فقال :

وقد عرّكت بالثرمد الخيل خازماً ونوحاً وموسى عركة بالكلاكل

قال: فضرب رجل من الجند ساق موسى، فلما ولّى قتيبة أخبّر عنه فقال: ما دعاك إلى ما صنعت بقى العرب بعد موته! قال: كان قَتْلَ أخى، فأمر به قُتِيْبَةُ فقتل بين يديه.

* * *

[عزم عبد الملك بن مروان على خلع أخيه عبد العزيز]

وفي هذه السنة أراد عبدُ الملك بنُ مروانَ خلعَ أخيه عبدِ العزيز بنِ مروان.

• ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهما فيه :

ذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ هَمَّ بِذَلِكَ ، فَتَنَاهَا عَنْهُ قَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ ، وَقَالَ : لَا تَفْعَلْ هَذَا ، فَإِنَّكَ يَأْتِي عَلَى نَفْسِكَ صَوْتُ نَعَارٍ ، وَلَعَلَّ الْمَوْتَ يَأْتِيهِ فَتَسْرِيحُ مِنْهُ ! فَكَفَّ عَبْدُ الْمَلِكِ عَنْ ذَلِكَ وَنَفْسُهُ تَتَنَازَعُ إِلَى أَنْ يَسْخَطَهُ . وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَوْحُ بْنُ زُرَيْعٍ الْخُلَعَاءِ - وَكَانَ أَجَلَ النَّاسِ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ - فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ خَطَعْتَهُ مَا انْتَضَحَ فِيهِ عِزُّنَانٌ ، فَقَالَ : تَرَى ذَلِكَ يَا أَبَا زُرْعَةَ ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُجِيبُكَ إِلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ : نَصِيحٌ ^(١) إِنْ شَاءَ اللَّهُ . قَالَ : فَبَيْنَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ وَقَدْ نَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَرَوْحُ ابْنُ زُرَيْعٍ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِمَا قَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ طَرَوْقًا ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَدْ تَقَدَّمَ إِلَى حُجَابِهِ فَقَالَ : لَا يُحِبُّ عَنِّي قَبِيصَةُ أَيْ سَاعَةَ جَاءَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ ، إِذَا كُنْتُ خَالِيًا أَوْ عِنْدَى رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَإِنْ كُنْتُ عِنْدَ النِّسَاءِ أَدْخِلَ الْمَجْلِسَ وَأَعْلِمْتُ بِمَكَانِهِ فَلَنُحْلِلَ ، وَكَانَ الْخَلَاءُ إِلَيْهِ ، وَكَانَتِ السَّكَّةُ إِلَيْهِ ، تَأْتِيهِ الْأَخْبَارُ قَبْلَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَيَقْرَأُ الْكِتَابَ قَبْلَهُ ، وَيَأْتِي بِالْكِتَابِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ مَشْهُورًا فَيَقْرُؤُهُ ، لِإِعْظَامِ الْقَبِيصَةِ - فَلَنُحْلِلَ عَلَيْهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ : أَجْرَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَيُجِيبُكَ عَبْدُ الْعَزِيزِ ! قَالَ : وَهَلْ تُؤَفِّي ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَاسْتَرْجَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى رَوْحٍ فَقَالَ : كَفَانَا اللَّهُ أَبَا زُرْعَةَ مَا كُنَّا نُرِيدُ وَمَا أَجْمَعْنَا عَلَيْهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ عَمَلًا لَكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، فَقَالَ قَبِيصَةُ : مَا هُوَ ؟ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ ؛ فَقَالَ قَبِيصَةُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الرَّأْيَ كُلَّهُ

١١٦٥/٢

(١) ابن الأثير : « علم » . (٢) نين الأثير : « نصيح » .

في الأنكاه، والعجلة فيها ما فيها ، فقال عبدُ الملك : ربما كان في العَجَلَة خيرٌ كثير ، رأيتُ أمرَ عمرو بنِ سعيد ، ألم تكن العَجَلَة فيه خيراً من التأني !

* * *

[خبر موت عبد العزيز بن مروان]

وفي هذه السنة تُوُفِيَ عبدُ العزيز بنُ مروان بمصرَ في جمادى الأولى ،
 ضمَّ عبد الملكَ عملَه إلى ابنه عبد الله بن عبد الملك ، وولاه مصرَ .
 وأما المدائني فإنه قال في ذلك ما حدثنا به أبو زيد عنه ، أن الحاجَّاجَ
 كَتَبَ إلى عبد الملك يزِيِّن له بيعة الوليد ، وأوقَدَ وفداً في ذلك عليهم عمرانُ
 بن عيصام العنزي ، فقام عمران خطيباً ، فتكلَّم وتكلَّم الوَفْدَ وحسبوا
 بدَّ الملك ، وسألوه ذلك ، فقال عمران بنُ عيصام :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ نُهْدِي	عَلَى النَّاسِ الْحَيَّةَ وَالسَّلَامَ ^(١)
أَجْبَنِي فِي بَنِيكَ يَكُنْ جَوَانِي	لَهُمْ عَادِيَّةٌ وَلَنَا قِوَامَا
فَلَوْ أَنَّ الْوَلِيدَ أَطَاعَ فِيهِ	جَعَلْتَ لَهُ الْخَلَافَةَ وَالْإِمَامَا ^(٢)
شَبِيهَكَ حَوْلَ قُبْتِهِ قَرِيشُ	بِهِ يَسْتَمِطِرُ النَّاسُ الْغَمَامَا
وَمِثْلَكَ فِي الثَّقَلِ لَمْ يَغْضَبْ يَوْمَا	لَدُنَّ خَطَعَ الْقَلَائِدَ وَالْتِمَامَا
فَإِنْ تُؤْخِرْ أَخَاكَ بِهَا فَلِنَا	وَجَدَكَ لَا تُطِيقُ لَهَا اتِّهَامَا
وَلَكِنَّا نَحَافِظُ مِنْ بَنِيهِ	بَنَى الْعَلَاتِ مَائِرَةً سَمَامَا
وَنَخْشَى إِنْ جَعَلْتَ الْمُلْكَ فِيهِمْ	سَحَاباً أَنْ تَعُودَ لَهُمْ جَهَامَا
فَلَا يَكُ مَا حَلَبْتَ غَدًا لَقِيمُ	وَبَعْدَ غَدٍ يَنْوُكُ هُمُ الْيَمَامَا
فَأَقِمْ لَوْ تَخَطَّأَنِي عِصَامُ	بِذَلِكَ مَا عَلَرْتُ بِهِ عِصَامَا
وَلَوْ أَنِّي حَبَوْتُ أَخَا بَفَضْلٍ	أَرِيدُ بِهِ الْمَقَالَةَ وَالْمَقَامَا

(١) الأغاني ١٦ : ٨٨ (سأى) وفيه : « على الشعل » .

(٢) الأغاني : « جعلت له الإمامة » .

١١٦٧/٢

لَمَقَّبَ فِي بَنِيَّ عَلَى بَنِيهِ كَذَلِكَ أَوْ لَرُمْتُ لَهُ مَرَامًا^(١)
 فَمَنْ يَكُ فِي أَقَارِبِهِ صُدُوعٌ فَصَدْعُ الْمَلِكِ أَبْطُوهُ التَّشَامَا
 فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : يَا عِمْرَانُ ، إِنَّهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، قَالَ : احْتَسَلْ لَهُ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

قَالَ عَلَى : أَرَادَ عَبْدُ الْمَلِكِ بَيْعَةَ الْوَلِيدِ قَبْلَ أَمْرِ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، لِأَنَّ
 الْحِجَاجَ بَعَثَ فِي ذَلِكَ عِمْرَانُ بْنُ عَصَامٍ ، فَلَمَّا أَبَى عَبْدُ الْعَزِيزِ أَعْرَضَ عَبْدُ الْمَلِكِ
 عَمَّا أَرَادَ حَتَّى مَاتَ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُصَ أَخَاهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَيُجَاوِزَ
 لَابَنَهُ الْوَلِيدَ كَتَبَ إِلَى أَخِيهِ : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُصَيِّرَ هَذَا الْأَمْرَ لِبْنِ أَخِيكَ إِيَّايَ ،
 فَكُتِبَ إِلَيْهِ : فَاجْعَلْهَا لَهُ مِنْ بَعْدِكَ ، فَإِنَّهُ أَعَزُّ الْخَلْقِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَكَتَبَ
 إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ : إِنِّي أَرَى فِي أَبِي بَكْرٍ بَنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَا تَرَى فِي الْوَلِيدِ ،
 فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : اللَّهُمَّ إِنْ عَبْدُ الْعَزِيزِ قَطَعَنِي فَاقْطَعْنِي . فَكَتَبَ إِلَيْهِ
 عَبْدُ الْمَلِكِ : أَحْمِلْ خِرَاجَ مِصْرَ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي
 وَلِيَّكَ قَدْ بَلَّغْتُنَا سَبِيلًا لَمْ يَبْلُغْهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ إِلَّا كَانَ بَقَاؤُهُ قَلِيلًا ،
 وَلَئِنْ لَا أَدْرَى وَلَا تَدْرِي^(٢) أَيُّنَا يَأْتِيهِ الْمَوْتُ أَوَّلًا فَإِنْ رَأَيْتَ أَلَّا تُنْقِضَ^(٣) عَلَيَّ
 بَقِيَّةَ عَمْرِي فَافْعَلْ .

١١٦٨/٢

فَرَّقَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ : لَتَمْرِي لَا أَغْثُ عَلَيْهِ بَقِيَّةَ عُمرِهِ ، وَقَالَ
 لِابْنَتِهِ : إِنْ يُرِدَ اللَّهُ أَنْ يُعْطِيَكُمْوهَا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ الْعِبَادِ عَلَى رَدِّ ذَلِكَ .
 وَقَالَ لِابْنَتِهِ : الْوَلِيدُ وَسْلِيَانٌ : هَلْ قَارَفْتُمَا حَرَامًا قَطُّ ؟ قَالَا : لَا وَاللَّهِ ،
 قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، نَلِئْتُمَاهَا وَرَبَّ الْكُفَّةِ !

قَالَ : فَلَمَّا أَبَى عَبْدُ الْعَزِيزِ أَنْ يُجِيبَ عَبْدَ الْمَلِكِ إِلَى مَا أَرَادَ ، قَالَ
 عَبْدُ الْمَلِكِ : اللَّهُمَّ قَدْ قَطَعَنِي فَاقْطَعْنِي ، فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ الْعَزِيزِ قَالَ أَهْلُ
 الشَّامِ : رَدَّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرَهُ ، فَدَعَا عَلَيْهِ ، فَاسْتُجِيبَ لَهُ .

قَالَ : وَكَتَبَ الْحِجَاجَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُشِيرُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَكْبَحَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ
 الْأَنْصَارِيَّ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنْ أَرَدْتَ رَجُلًا مُؤْمِنًا فَاضْلَعْ عَاقِلًا وَدِيْعًا مُسْلِمًا

(١) ب : « أَوْ لَرُمْتُ » . (٢) ب : « وَلَا أَدْرَى » . (٣) لَا تُنْقِضُ عَلَى ، لَا تُنْقِضُ .

كَتَبُوا تَخَذَهُ لِنَفْسِكَ، وَتَضَعْ عِنْدَهُ مِرْكًا، وَمَا لَا تَحِبُّ أَنْ يَطْلُوهَا، فَاتَّخَذَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَحْمِلْهُ إِلَى . فَحَمَلَهُ ، فَاتَّخَذَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ كَاتِبًا . قَالَ مُحَمَّدٌ : فَلَمْ يَكُنْ يَأْتِيهِ كِتَابٌ إِلَّا دَفَعَهُ إِلَيَّ ، وَلَا يَسْتَرُ شَيْئًا إِلَّا أَخْبَرَنِي بِهِ وَكَتَمَهُ النَّاسَ ، وَلَا يَكْتُبُ إِلَى عَامِلٍ مِنْ عَمَالِهِ إِلَّا أَعْلَمَنِيهِ ، فَلِئِنْ لَجَّالَسُ يَوْمًا نِصْفَ النَّهَارِ إِذَا بَيَّرِيدٌ قَدْ قَدِمَ مِنْ مِصْرَ ، فَقَالَ : الْإِذْنَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قُلْتُ : لَيْسَتْ هَذِهِ سَاعَةٌ لِإِذْنٍ ، فَأَعْلَمَنِي مَا قَدْ قَدِمْتَ لَهُ ، قَالَ : لَا . قُلْتُ : فَإِنْ كَانَ مَعَكَ كِتَابٌ فَادْفَعْهُ إِلَيَّ . قَالَ : لَا ، قَالَ : فَأَبْلِغْ بَعْضُ مَنْ حَضَرَنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَخَرَجَ فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قُلْتُ : رَسُولٌ قَدِمَ مِنْ مِصْرَ ، قَالَ : فَخُذْ الْكِتَابَ ، قُلْتُ : زَعَمَ أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ كِتَابٌ ، قَالَ : فَسَلِّهِ عَمَّا قَدِمَ لَهُ ، قُلْتُ : قَدْ سَأَلْتُهُ فَلَمْ يُخْبِرْنِي ، قَالَ أَدْخِلْهُ ، فَأَدْخَلْتُهُ ، فَقَالَ : أَعْرَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَبْدِ الْعَزِيزِ ! فَاسْتَرْجِعْ وَبِكَيْ وَوَجَّهْ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : يَرْحَمُ اللَّهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ ! مَضَى وَاللَّهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ لَشَأْنِهِ ، وَتَرَكْنَا وَمَا نَحْنُ فِيهِ ، ثُمَّ بَكَى النِّسَاءُ وَأَهْلُ الدَّارِ ، ثُمَّ دَعَانِي مِنْ غَدٍ ، فَقَالَ : إِنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ ، وَلَا بَدْءَ لِلنَّاسِ مِنْ عِلْمِهِ وَقَدْ يَقُومُ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِي ، فَمَنْ تَرَى ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، سَيِّدَ النَّاسِ وَأَرْضَاهُمْ وَأَفْضَلَهُمْ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، قَالَ : صَدَقْتَ وَفَقَلَكَ اللَّهُ ! فَمَنْ تَرَى أَنْ يَكُونَ بَعْدَهُ ^(١) ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيْنَ تَعْلَمُهَا عَنْ سُلَيْمَانَ فَتَى الْعَرَبِ ! قَالَ : وَفَقْتَ ، أَمَا إِنَّا لَوَرَكْنَا الْوَلِيدَ وَلِإِيَّاهَا لِحُكْمُهَا لَبْنِهِ ، اكْتُبْ عَهْدًا لِلْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَكَتَبْتُ بَيْعَةَ الْوَلِيدِ ثُمَّ سُلَيْمَانَ مِنْ بَعْدِهِ . فَفَتَضَبَّ عَلَى الْوَلِيدِ فَلَمْ يُؤَلِّسْ شَيْئًا حِينَ أَشْرَتْ سُلَيْمَانَ مِنْ بَعْدِهِ .

قال عليّ ، عن ابن جَعْدَبَةَ ^(٢) : كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْخَزَوِيِّ أَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ لِبَيْعَةِ الْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانَ ، فَبَايَعُوا غَيْرَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، فَإِنَّهُ أَبَى ، وَقَالَ : لَا أَبَايِعُ وَعَبْدَ الْمَلِكِ حَتَّى ؛ فَضَرَبَهُ هِشَامُ ضَرْبًا

(١) ب : « ثم من » . ر : « ثم قال من » .

(٢) ب : « ابن جعدة » . ر : « عن أبي جعدة » .

مُبْرَحًا وَالْبَسَّةَ الْمُسُوحَ ، وَوَرَّحَهُ إِلَى ذَبَابٍ - ثِيَّةٌ بِالْمَدِينَةِ كَانُوا يُقْتَلُونَ عِنْدَهَا وَيُصَلَّبُونَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ قَتْلَهُ ، فَلَمَّا انْتَهَوْا بِهِ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ رَدَّوهُ ، فَقَالَ : لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ لَا يَصَلَّبُونِي مَا لَبَسْتُ مِرَاوِيلَ مُسُوحَ ، وَلَكِنْ قُلْتُ : يَصَلَّبُونِي فَيَسْتَرَفِي . وَبَلَغَ عَبْدَ الْمَلِكِ الْخَبْرُ ، فَقَالَ : قَبِحَ اللَّهُ هَشَامًا ! إِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوهُ إِلَى الْبَيْعَةِ ، فَإِنْ أَبَى يَضْرِبَ عُنُقَهُ ، أَوْ يَكْفُ عُنُقَهُ .

١١٧٠/٢

* * *

[بيعة عبد الملك لابنيه: الوليد ثم سليمان]

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَايَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَابْنَيْهِ : الْوَلِيدَ ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ لِسُلَيْمَانَ ، وَجَعَلَ لِكُلِّمَا وَلِيًّا عَهْدَ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَتَبَ بِبَيْعَتِهِ لِمَا إِلَى الْبُلْدَانِ ، فَبَايَعَ النَّاسَ ، وَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ، فَضَرَبَهُ هَشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ - وَهُوَ عَامِلُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْمَدِينَةِ - وَطَافَ بِهِ وَحَبَسَهُ ، فَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى هَشَامٍ يُلَوِّمُهُ عَلَى مَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ ، وَكَالَ ضَرْبَهُ سَتِينَ سَوَاطِئًا ، وَطَافَ بِهِ فِي ثُبَانٍ ^(١) شَعَرَ حَتَّى بَلَغَ بِهِ رَأْسَ الثَّنِيَّةِ .

وَأَمَّا الْحَارِثُ فَإِنَّهُ قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ سَعْدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو الرَّاقِدِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالُوا : اسْتَعْمَلَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الزَّيْبِرِ جَابِرَ بْنَ الْأَسْوَدِ بْنِ عَوْفِ الزَّهْرِيِّ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا نَاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ لَابْنِ الزَّيْبِرِ ، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ : لَا ، حَتَّى يَجْتَمَعَ النَّاسُ ، فَضَرَبَهُ سَتِينَ سَوَاطِئًا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنُ الزَّيْبِرِ ، فَكَتَبَ إِلَى جَابِرٍ يُلَوِّمُهُ ، وَقَالَ : مَا لَنَا وَلِسَعِيدٍ ، دَعَاهُ !

وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، عَنْ ابْنِ سَعْدٍ ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَمْرِو أَخْبَرَهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا أَنَّ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مِرْوَانَ تُوُفِّيَ بِمَصْرَ فِي جُمَادَى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ ، فَقَعَدَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَابْنَيْهِ الْوَلِيدَ وَسُلَيْمَانَ الْعَهْدَ ، وَكَتَبَ بِالْبَيْعَةِ لِمَا إِلَى الْبُلْدَانِ ، وَعَامِلُهُ يَوْمَئِذٍ هَشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْخَزَوِيُّ ،

١١٧١/٢

فدعا الناس إلى البسمة ، فبايع الناس ، ودعا سعيد بن المسيب أن يبايع
لهما ، فأبى وقال : لا حتى أنظر ، فضر به هشام بن إسماعيل متين سوطاً ،
وطاف به في ثبّان شعر حتى بلغ به رأس الثنية ، فلما كروا به قال : أين
تكرّون^(١) ؟ قالوا : إلى السجن ، قال : والله لولا أفي^(٢) ، ظننت أنه
الصلب لما لبست هذا الثبّان أبداً . فردّه^(٣) إلى السجن ، وحبّسه^(٤) وكشّبه
إلى عبد الملك يُخبره بخلافه^(٥) ، وما كان من أمره ، فكتب إليه عبد الملك
يكلمه فيما صنع ويقول : سعيد والله كان أحوج أن تصل رحمه من أن
تضر به ، ولنا لنعلم ما عنده من شقاق ولا خلاف .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزومي ، كذلك حدثنا
أحمد بن ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكذلك قال الواقدي .
وكان العامل على المشرق في هذه السنة مع العراق الحجاج بن يوسف .

(١) ر : « تكرّون » . (٢) ب : « أفي » .

(٣) ب : « فردّه » . (٤) ب : « حبّسه » .

(٥) ب : « يُخبر خلافه » .

ثم دخلت سنة ست وثمانين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[خبر وفاة عبد الملك بن مروان]

فما كان فيها من ذلك هلاك عبد الملك بن مروان، وكان مهلكه في النصف من شوال منها . حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال : توفي عبد الملك بن مروان يوم الخميس للنصف من شوال سنة ست وثمانين^(١)، فكانت خلافته ثلاث عشرة سنة وخمسة أشهر^(٢).

وأما الحارث فإنه حدثني عن ابن سعد، عن محمد بن عمر، قال : حدثني شريح بن أبي عون، عن أبيه، قال : أجمع^(٣) الناس على عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين .

قال ابن عمر : حدثني أبو معشر نجيج، قال : مات عبد الملك بن مروان بد مشق يوم الخميس للنصف من شوال سنة ست وثمانين ، فكانت^(٤) ولايته منذ^(٥) يوم بؤيع إلى يوم توفي إحدى وعشرين سنة وشهراً ونصفاً ، كان^(٦) تسع سنين منها يقاتل فيها عبد الله بن الزبير ، ويسلم عليه بالخلافة بالشام ، ثم بالعراق بعد مقتل مصعب ، وبقى بعد مقتل عبد الله بن الزبير واجتماع الناس عليه ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال .

وأما علي بن محمد المدائني، فإنه فيما حدثنا أبو زيد عنه — قال : مات عبد الملك سنة ست وثمانين بد مشق ، وكانت ولايته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوماً .

- (١) يملأ في س : « بد مشق » . (٢) يملأ في س : « وذلك بعد موت ابن الزبير » .
 (٣) ب : « أجمع » . (٤) ب : « وكانت » .
 (٥) ب : « من يوم بؤيع » . (٦) ب : « وكان » .

ذكر الخبر عن مبلغ سنه يوم توفى

اختلف أهل السير في ذلك، فقال أبو معشر فيه - ما حدثني الحارث عن ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني أبو معشر نجيع. قال: مات عبد الملك بن مروان وله ستون سنة. قال الواقدي: وقد روي لنا أنه مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة. قال: والأوّل أثبت. وهو على مولده، قال: وللمستنقست وعشرين في خلافة عثمان ابن عفان رضى الله عنه، وشهد يوم الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين. وقال المدائني على بن محمد - فيما ذكر، أبو زيد عنه: مات عبد الملك وهو ابن ثلاث وستين سنة.

ذكر نسبه وكنيته

أما نسبه، فإنه عبد الملك بن مروان بن الحنكَم بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف. وأما كنيته فأبو الوليد. وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، وله يقول ابن قيس الرقييات:

أَنْتَ ابْنُ عَائِشَةَ الَّتِي فَضَّلْتُ أَرْوَمَ نَسَائِهَا^(١)
لَمْ تَلْجِفْ لِلدَّائِهَا. وَمَضَتْ عَلَى غُلَوَائِهَا

ذكر أولاده وأزواجه

منهم الوليد، وسليمان، ومروان الأكبر - خرج^(٢) - وعائشة، أمهم ولادة بنت العباس بن جبرء بن الحارث بن زهير بن جندبمة بن رواحة بن

(٢) خرج، له مات صغيراً.

(١) ديوانه ١١٧.

ربيعة بن مازن بن الحارث بن قُطَيْبَةَ بن عَبْس بن بَغِيض .
 ويزيد، وسروان، ومعاوية - دَرَج - وأمّ كلثوم، وأمّهم عاتكة بنت
 يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .
 وهشام، وأمّه أمّ هشام بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن
 المغيرة المخزومي . وقال المدائني : اسمها عائشة بنت هشام .
 وأبو بكر، واسمهُ بكار، أمّه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله،
 والحكم - دَرَج - أمّه أمّ أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان .
 وفاطمة بنت عبد الملك، أمّها أمّ المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص
 ابن هشام بن المغيرة .
 وعبد الله وسَلَمَة والمنذر وعنيسة ومحمد وسعيد الخير والحجاج، لأمهات
 أولاد .

* * *

قال المدائني : وكان لهن النساء - سوى من ذكرنا - شقراء بنت سَلَمَة
 ابن حبّس الطائي، وابنة لعلّ بن أبي طالب عليه السلام ، وأمّ أبيها بنت
 عبد الله بن جعفر .

وذكر المدائني ، عن عوانة وغيره أن سَلَمَة بن زيد بن وهب بن نباتة
 الفهمي دخل على عبد الملك فقال له : أي الزمان أدركت أفضل ؟ وأي
 الملوك أكمل ؟ قال : أما الملوك فلم أر إلا ذاماً وحامداً ؛ وأما الزمان فيترفع
 أقواماً ويضع أقواماً ، وكلهم يندّم زمانه لأنه يبلى جديدهم ، ويهزم صغيرهم ،
 وكلّ ما فيه منقطع غير الأمل ؛ قال : فأخبرني عن قهّهم ، قال : هم
 كما قال من قال :

١١٧٠/٢

دَرَجَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ عَلَى قَهِّهِ مَرَّ بِنِ عَمْرٍو فَأَصْبَحُوا كَالرَّمِيمِ
 وَغَلَّتْ دَارُهُمْ فَأَضْحَتَ يَبَاباً بَعْدَ عَزٍّ وَثَرَوَةٍ وَنَعِيمِ
 كَذَلِكَ الزَّمَانُ يَذْهَبُ بَالِنَا سَ وَتَبَقَى دِيَارُهُمْ كَالرُّسُومِ

قال : فمن يقول منكم ^(١) :

رَأَيْتُ النَّاسَ مَذْخُلُوا وَكَانُوا يُحِبُّونَ الْغَنَى مِنَ الرِّجَالِ
وَلِنْ كَانَ الْغَنَى قَلِيلًا خَيْرٌ
فَمَا أَذْرَى عَلَامَ وَفِيمَ هَذَا
أَلِلْدُنْيَا ؟ فَلَيْسَ هُنَاكَ دُنْيَا
بَخِيلًا بِالْقَلِيلِ مِنَ النَّوَالِ
وَمَاذَا يَرْتَجُونَ مِنَ الْبِخَالِ ^(٢) !
وَلَا يُرْجَى لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي

قال : أنا .

قال عليّ : قال أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عتبة بن أبي معيط
لعبد الملك بن مروان :

نَبِئْتُ أَنَّ أَبْنَ الْقَلَمْسِ عَابَنِي وَمَنْ ذَا مِنَ النَّاسِ الصَّحِيحُ الْمَسْلَمُ ^(٣)
فَأَبْصَرَ سُبُلَ الرُّشْدِ سَيْدُ قَوْمِهِ وَقَدْ يُبَصِّرُ الرُّشْدَ الرَّئِيسُ الْمَعْمُ
فَمَنْ أَنْتُمْ ؟ هَا خَبَرْنَا مَنْ أَنْتُمْ ؟ وَقَدْ جَعَلْتَ أَشْيَاءَ تَبْدُو وَتُكْتَمُ
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ مِثْلَنَا يُقَالُ لَهُ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ أَمَا
وَاللَّهِ لَوْلَا مَا تَعَلَّمْتُ قَوْلَ الْحُكَمِ بِأَصْلَحِكُمُ الْحَبِيثُ ، وَلَضَرَّتْكَ حَتَّى
تَمُوتَ .

وقال عبدُ الله بنُ الحجاجِ الثعلبيّ لعبدِ الملك :

يَا بْنَ أَبِي الْعَاصِ وَيَا خَيْرَ فَتَى أَنْتَ سِدَادُ الدِّينِ إِنْ دِينَ وَمَيَّ ^(٤)
أَنْتَ الَّذِي لَا يَجْزُلُ الْأَمْرَ سُدَى جِيئْتَ قَرِيشَ عَنْكَمْ جُوبَ الرِّحَى
إِنْ أَبَا الْعَاصِي وَفِي ذَاكَ أَعْتَصَى أَوْصَى بَنِيهِ فَوَعَوْا عَنْهُ الْوَصَى
إِنْ يَسْعُرُوا الْحَرْبَ وَيَأْبُوا مَا أَبِي الطَّاعِنِينَ فِي النُّحُورِ وَالْكَلَى
شَزْرًا وَوَضَلًا لِلسُّيُوفِ بِالْخَطَا إِلَى الْقِتَالِ فَحَوُوا مَا قَدْ حَوَى

(٢) البخال : جمع بخيل ، مثل كريم وكرام .

(١) ب : « فيكم » .

(٣) الأغاني ١ : ٣٤ ، والقلمس : الرجل النباهية . (٤) الأغاني ١٣ : ١٦٦ ، مع

اختلاف في الرواية .

وقال أعشى بنى شيبان :

عرفت قريش كلها ليبي أبي العاص الإمارة
 لأبزمها وأحفظها عند المشورة بالإشارة
 المانعين لما وكوا والنافعين ذوى الضمارة
 وهم أحفظهم بها عند الحلاوة والمرارة
 وقال عبد الملك : ما أعلم مكان أحد أقوى على هذا الأمر منى ، وإن
 ابن الزبير لطويل الصلاة ، كثير الصيام ، ولكن لبخله لا يصلح أن
 يكون سائساً .

خلافة الوليد بن عبد الملك

وفي هذه السنة بُويع للوليد بن عبد الملك بالخلافة، فذكر أنه لما دُفِنَ أباه وانصرف عن قبره، دخل المسجد فصعد المنبر، واجتمع إليه الناس، فخطب فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين، والحمد لله على ما أنعم به علينا من الخلافة . قوموا فبايعوا . فكان أول من قام لبيعته عبد الله بن همام السلولي، فإنه قام وهو يقول :

اللَّهُ أَعْطَاكَ الَّتِي لَا فَوْقَهَا وقد أراد المَلْحُونُ عَوْقَهَا
حَنَكَ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا سَوْقَهَا إِلَيْكَ حَتَّى قَلْدُوكَ طَوْقَهَا
فبايَعَهُ ، ثم تتابع الناس على البيعة .

١١٧٨/٢

وأما الواقدي فإنه ذكر أن الوليد لما رجع من دُفِنَ أبيه، ودُفِنَ خارج باب الجابية ، لم يتدخل منزله حتى صعد على منبر دمشق، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

أيها الناس ، إنه لا مُقَدِّمَ لِمَا أَخَّرَ اللَّهُ ، ولا مُؤَخَّرَ لِمَا قَدَّمَ اللَّهُ ، وقد كان من قضاء الله وسابقِ عِلْمِهِ وما كَتَبَ على أنبيائه وحَمَلَةِ عَرْشِهِ الموت . وقد صار إلى منازل الأبرار ولي هذه الأمة الذي يحق عليه الله من الشدة على المرئيب واللين لأهل الحق والفضل، وإقامة ما أقام الله من سنن الإسلام وأعلامه ؛ من حج هذا البيت ، وغزوه هذه الثغور ، وشن هذه الغارة على أعداء الله ، فلم يكن عاجزاً ولا مُفْرَطاً . أيها الناس ، عليكم بالطاعة ، ولزوم الجماعة ، فإن الشيطان مع الفرد . أيها الناس ، من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيِّناه ، ومن سكَّت مات بدأته .
ثم نزل ، فنظر إلى ما كان من دواب الخلافة فحازره ، وكان جباراً عنيداً .

[ولاية قتيبة بن مسلم على خراسان من قبل الحجاج]

وفي هذه السنة قدّم قتيبة بن مسلم خراسانَ والياً عليها من قبيل الحجاج ، فذكر علي بن محمد أن كليب بن خليف ، أخبره عن طفيل ابن مرداس العمي^(١) والحسن بن رشيد ، عن سليمان بن كثير العمي ، قال : أخبرني عمي قال : رأيت قتيبة بن مسلم حين قدّم خراسانَ في سنة ست وثمانين ، فقدّم والمفضل يعرض الجند ، وهو يريد أن يغزو أخرون وشومان ، فخطب الناس قتيبة ، وحثهم على الجهاد ، وقال :

« إن الله أحلّكم هذا المحلّ ليعزّ دينه ، ويلبّ بكم عن الحرّات ، ويزيد بكم المال استفاضة ، والعدوّ وقماً^(٢) ، ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم النصر بحديث صادق ، وكتاب ناطق ، فقال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَكُم مِّنْهُ مَثَرٌ كَثِيرٌ ﴾^(٣) . ووعد المجاهدين في سبيله أحسن الثواب ، وأعظم الدُّخْر عندَه فقال : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٤) . ثم أخبر عن قُتَيْل في سبيله أنه حيّ مرزوق ، فقال : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾^(٥) . فتتجرّوا موعود ربكم ووطنوا أنفسكم على أقصى أثر وأمضى ألم ، وإيأى والمؤننى .

* * *

ذكر ما كان من أمر قتيبة بخراسان في هذه السنة

ثم عرّض قتيبة الجند في السلاح والكراع ، وصار واستخلف بمرّو على حربها لياس بن عبد الله بن عمرو ، وعلى الخراج عثمان بن السعدى^(٦) ، فلما كان بالطالقان تلقاه دهاقين بلسخ وبعض عظمائهم فساروا معه ، فلما قطع النهر تلقاه تيش^(٧) الأعور ملك الصغانيان بهلدايا ومفتاح من

(١) ب : « العمي » . (٢) القم : الل . (٣) سورة الصفه ٩ .

(٤) سورة التوبة ١٢٠ ، ١٢١ . (٥) سورة آل عمران ١٦٩ .

(٦) ابن الأثير : « عثمان السعدى » . (٧) ط : « تيش » .

ذهب ، فلداه إلى بلاده ، فأثاه وأتى ملك كفتان بهدايا وأموال ، ودعاه إلى بلاده ، فضى مع بيش إلى الصغانيان ، وسلم إليه بلاده ، وكان ملك أخرون وشومان قد أساء جوار تيش وغزاه وضيق عليه ، فسار قتيبة إلى أخرون وشومان — وهما من طخارستان ، فجاءه غشتاسبان^(١) فصالحه على فدية أداها إليه ، فقبلها قتيبة ورضى ، ثم انصرف إلى مرو ، واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم ، وتقدم بجند فسيبهم إلى مرو ، وفتح صالح بعد رجوع قتيبة بامارا ، وكان معه نصر بن سيار فأبلى يومئذ ، فوهب له قرية تدعى تنجاة ، ثم قدم صالح على قتيبة فاستعمله على الترمذ .

قال : وأما الباهليون فيقولون : قدم قتيبة خراسان سنة خمس وثمانين فعرّض الجند ، فكان جميع ما أحصوا من الدروع في جند خراسان ثلثائة وخمسين درعاً ، ففزا أخرون وشومان ، ثم قفل فركب السفن فانحدروا إلى أمل ، وحلف الجند ، فأخذوا طريق بلخ إلى مرو ، وبلغ الحجاج ، فكتب إليه يلومه ويعجز رأيه في تخليفه الجند ، وكتب إليه : إذا غزت فكن في مقدم الناس ، وإذا قلت فكن في أخرياتهم وواقبتهم .

وقد قيل : إن قتيبة أقام قبل أن يقطع النهر في هذه السنة على بلخ ، لأن بعضها كان منتقضا عليه ، وقد ناصب المسلمين ، فحارب أهلها ، فكان من سبى امرأة برمك ، أبى خالد بن برمك — وكان برمك على الثوبهار — فصارت لعبد الله بن مسلم الذي يقال له الفقير ، أخت قتيبة بن مسلم ، فوقع عليها ، وكان به شيء من الجذام . ثم إن أهل بلخ صالحوا من غد اليوم الذي حاربهم قتيبة ، فأمر قتيبة برد السبى ، فقالت امرأة برمك لعبد الله بن مسلم : يا تازى ، إني قد عكفت منك . وحضرت عبد الله بن مسلم الوفاة ، فأوصى أن يلحق به ما في بطنها ، وردت إلى برمك ، فذكر أن ولد عبد الله بن مسلم بجاءوا أيام المهدي حين قدم الرى إلى خالد ، فادعوه ، فقال لهم مسلم بن قتيبة : إنه لا بد لكم إن

استلحقتموه ففتح من أن تزوجه ، فزكوه وأعرضوا عن دعواهم .
وكان برمك طيباً ، فداوى بعد ذلك مسلمة من علة كانت به .

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم .
وفيها حبس الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب ، وعزك جبيب بن
المهلب عن كروان ، وعبد الملك بن المهلب عن شرطته .

١١٨٢/٢

وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل الخزوي ، كذلك
حدثني أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكذلك قال الواقدي .

وكان الأمير على العراق كله والمشرق كله الحجاج بن يوسف . وعلى
الصلاة بالكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل . وعلى الحرب بها من قبل
الحجاج زياد بن جريز بن عبد الله . وعلى البصرة أيوب بن الحكم . وعلى
خراسان قتيبة بن مسلم .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة عزّل الوليدُ بنُ عبد الملك هشامَ بنَ إسماعيل عن المدينة ،
ووردَ عزله عنها - فيها ذكر - ليلة الأحد لسبع ليالٍ خطوَن من شهر
ربيع الأول سنة سبع وثمانين . وكانت إمرته ^(١) عليها أربع سنين غير شهر
أو نحوه .

* * *

[خبر إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة]

وفي هذه السنة ولي الوليدُ عمرَ بنَ عبد العزيز المدينة . قال الواقدي :
قدّمها والياً في شهر ربيع الأول ؛ وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وولد
سنة اثنتين وستين .

قال : وقدم على ثلاثين يوماً ، فنزل دار مروان . قال : فحدثني
عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : لما قدّم عمر بن عبد العزيز
المدينة ونزل دار مروان دخل عليه الناسُ فسلموا ، فلما صلى الظهر دعا
عشرة من فقهاء المدينة : عروة بن الزبير ، وعبد الله بن عبد الله بن عتبة ،
وأبا بكر بن عبد الرحمن ، وأبا بكر بن سليمان بن أبي حشمة ^(٢) ، وسليمان بن
يسار ، والقاسم بن محمد ، وسلم بن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عبد الله
ابن عمرو ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد ؛ فدخلوا عليه
فجلسوا ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :
إني إنما دعوتكم لأمرٍ توجرون عليه ، وتكونون فيه أعواناً على الحق ،
ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم ، فإن رأيتم أحداً

(١) ساقطة من ب .

(٢) ط : « عيشة » ، وانظر الفهرس .

يتعدى ، أو بلغكم عن عامل لى ظلامة ، فأحرجُ الله على مَنْ بلغه ذلك إلا بلغنى .

فخرجوا يُبِزُونَهُ خيراً ، وافترقوا .

قال : وكتب الوليدُ إلى عمرَ يأمره أن يقف هشامَ بنَ إسماعيلَ للناس ، وكان فيه سيئُ الرأي .

قال الواقدي : فحدثني داودُ بنُ جبير ، قال : أخبرتني أمّ ولد سعيد بن المسيّب أن سعيداً دعا ابنته ومواليه فقال : إنّ هذا الرجل يُوقِف للناس — أو قد وقّف — فلا تعرّضْ له أحدٌ ولا يؤذِهِ بكلمة ، فإنّا مسترُك ذلك لله وللرحم ، فإن كان ما علمتُ لسيئُ النظر لنفسه ، فأما كلامه فلا أكلمه أبداً .

قال : وحدثني محمد بنُ عبد الله بنِ محمد بنِ عمر ، عن أبيه ، قال : كان هشامُ بنُ إسماعيلَ يسيء جوارنا ويؤذيّنا ، ولقيت منه على بنُ الحسين أذى شديداً ، فلما عُرِّل أمرَ به الوليدُ أن يُوقِف للناس ، فقال : ما أخاف إلا من عليّ بنِ الحسين . فسرّ به عليّ وقد وقِف عند دارِ مروان ، وكان عليّ قد تقدّم إلى خاصته ألاّ يعرض له أحد منهم بكلمة ؛ فلما مرّ ناداه هشامُ بنُ إسماعيلَ : الله أعلمُ حيثُ يحصلُ رسالته .

* * *

[خبر صلح قتيبة ونيزك]

وفي هذه السنة قدِم نيزك على قتيبة ، وصالح قتيبة أهلَ بادغيس على ألاّ يتدخلها قتيبة .

* ذكر الخبر عن ذلك :

* ذكر عليّ بنُ محمد أن أبا الحسن الجُشمي أخبره عن أشياخ من أهل خراسان ، وجبله بن فروخ عن محمد بن المثنى ، أن نيزك طرّح أن كان في يديه أسراءُ من المسلمين ، وكتب إليه قتيبة حين صالح ملكَ سُومان في يديه من أسرى المسلمين أن يُطلقهم ، ويهدده^(١) في كتابه ،

فخافته^(١) نيزك ، فأطالتي الأسمى ، وبعث بهم إلى قتيبة ، فوجه إليه قتيبة
سليماً الناصح مولى عبيد الله بن أبي بكر يدعو إلى الصلح وإلى أن يؤمنه ،
وكتب إليه كتاباً يحلف فيه بالله: لأن لم يقدم عليه ليغزوه ، ثم ليطلبته حيث
كان ، لا يقطع عنه حتى يظفر به أو يموت قبل ذلك . فقدم سليم على
نيزك بكتاب قتيبة - وكان يستنصحه - فقال له : يا سليم ، ما أظن عند صاحبك
خيراً ، كتب إلى كتاباً لا يكتب إلى مثلي ! قال له سليم : يا أبا
المهناج ، إن هذا رجل شديد في سلطانه ، سهل إذا سؤل ، صعب إذا
عوسر ، فلا يمنك منه غلظة كتابه إليك ، فأحسن حالك عنده وعند
جميع مضر ! فقدم نيزك مع سليم على قتيبة ، فصالحه أهل باذغيس
في ستة سبوع وثمانين على ألا يدخل باذغيس .

* * *

[خبر غزو مسلمة بن عبد الملك أرض الروم]

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ، ومعه يزيد بن
جبير ، فلقى الروم في عدد كثير بسوسة من ناحية المصيصية .
قال الواقدي : فيها لاقى مسلمة ميموناً الجرجماني ومع مسلمة نحو
من ألف مقاتل من أهل أنطاكية عند طوانة ، فقتل منهم بشراً كثيراً ،
وفتح الله على يديه حصوناً .

وقيل : إن الذي غزا الروم في هذه السنة هشام بن عبد الملك ،
ففتح الله على يديه حصن بولس وحصن الأخرم وحصن بولس وقمقم ،
وقتل من المستعربة نحواً من ألف مقاتل ، وسبى^(٢) ذراريهم ونساءهم .

* * *

[خبر غزو قتيبة بيكند]

وفي هذه السنة غزا قتيبة بيكند .
* ذكر الخبر عن غزوته هذه :

١١٨٦/٢

ذَكَرَ عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ أَنَّ أَبَا الذَّيَّالِ أَخْبَرَهُ عَنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ لِيَاسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حُصَيْنٍ^(١) بْنِ مُجَاهِدِ الرَّازِيِّ وَهَارُونَ بْنِ عَيْسَى، عَنْ يُونُسِ ابْنِ أَبِي إِسْحَاقٍ وَغَيْرِهِمْ، أَنَّ قُتَيْبَةَ لَمَّا صَالَحَ نَيْزِكَ أَقَامَ إِلَى وَقْتِ الْغَزْوِ، ثُمَّ غَزَا فِي تِلْكَ السَّنَةِ - سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ - بَيْكَنْدَ، فَسَارَ مِنْ مَرَوْ وَأَتَى مَرَوْ الرُّوذَ، ثُمَّ أَتَى أَمْلَ آثَمَ مَضَى إِلَى زَمَ فَقَطَّعَ النَّهْرَ، وَسَارَ إِلَى بَيْكَنْدَ - وَهِيَ أَدْنَى مَدَائِنِ بُخَارَى إِلَى النَّهْرِ، يُقَالُ لَهَا مَدِينَةُ التَّجَارِ عَلَى رَأْسِ الْمَفَازَةِ مِنْ بُخَارَى - فَلَمَّا نَزَلَ بَعَثُوا نَهْمَ اسْتَنْصَرُوا الصُّغْدَ، وَاسْتَمَدُوا مِنْ حَوْلِهِمْ، فَأَتَوْهُمْ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ، وَأَخَذُوا بِالطَّرِيقِ، فَلَمْ يَنْفِذْ لِقَيْبَةَ رَسُولٌ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ رَسُولٌ، وَلَمْ يَجِرْ لَهُ خَيْرٌ شَهْرَيْنِ، وَأَبْطَأَ خَيْرُهُ عَلَى الْحِجَاكِجِ، فَأَشْفَقَ الْحِجَاكِجُ عَلَى الْجَنْدِ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالِدَّعَاءِ لَهُمْ فِي الْمَسَاجِدِ، وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى الْأَمْصَارِ وَهُمْ يَتَّقَتِلُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ.

قال : وكان لقُتَيْبَةَ عَيْنٌ يُقَالُ لَهُ تَنْذِرٌ^(٢) مِنَ الْعَجَمِ، فَأَعْطَاهُ أَهْلُ بُخَارَى الْأَعْلَى بَالًا عَلَى أَنْ يَحْتَنُ عَنْهُمْ قُتَيْبَةَ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ : أَخْلَنِي، فَتَهَيَّأَ النَّاسُ وَاحْتَبَسَ قُتَيْبَةُ ضِرَارَ بْنَ حَصِينِ الْقُتَيْبِيِّ، فَقَالَ تَنْذِرُ : هَذَا عَامِلٌ يُقَدِّمُ عَلَيْكَ، وَقَدْ عَزَلَ الْحِجَاكِجُ، فَلَوْ انْصَرَفْتَ بِالنَّاسِ إِلَى مَرَوْ ! فِدَعَا قُتَيْبَةَ سَيِّمَاهُ مَوْلَاهُ، فَقَالَ : اضْرِبْ عُنُقَ تَنْذِرٍ، فَقَتَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَضِرَارِ : لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ يَعْلَمُ هَذَا الْخَبَرَ غَيْرِي وَغَيْرِكَ، وَلِي^(٣) أَنْ أُعْطِيَ اللَّهُ عَهْدًا إِنْ ظَهَرَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى تَنْقُضِيَ حَرْبَنَا هَذِهِ لِأَخْلَفِكَ بِهِ، فَاذْكُرْ لِسَانَكَ، فَإِنْ ائْتَشَارَ هَذَا الْحَدِيثُ يَفُتُّ فِي أَعْضَادِ النَّاسِ. ثُمَّ أَذِنَ لِلنَّاسِ.

١١٨٧/٢

قال : فَلَخَطُوا، فَرَاغَهُمْ قَتْلُ تَنْذِرٍ، فَوَجَعُوا وَأَطْرَقُوا، فَقَالَ قُتَيْبَةُ : مَا يَرَوْعُكُمْ مِنْ قَتْلِ عَبْدِ أَحِبَّائِهِ اللَّهِ ! قَالُوا : إِنَّا كُنَّا نَنْظُرُ نَاصِحًا لِلْمُسْلِمِينَ، قَالَ : بَلْ كَانَ غَاشًّا^(٤) فَأَحْبَبَهُ اللَّهُ بِذُنْبِهِ، فَقَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ، فَأَغْدُوا عَلَى

(٢) ر : « تيلو » .

(١) ب : « وحسين » .

(٤) يمحاق ب : « لم » .

(٣) ب : « فلي » .

قتال عدوكم ، والقوم بغير ما كنتم تلقونهم به . فلما الناس متأهبين ، وأدخلوا مصافهم ، ومشي قتيبة فحضر أهل الرايات ، فكانت بين الناس مشاورة^(١) ، ثم تراحقوا^(٢) والتصوا ، وأخذت السيوف مأخذها ، وأنزل الله على المسلمين الصبر ، فقاتلوه حتى زالت الشمس ، ثم منّ الله المسلمين أكتافهم ، فانهزموا يريدون المدينة ، واتبعهم المسلمون فشقّكهم عن الدخول ففرقوا ، وركبهم المسلمون قتلاً وأسرأ كيف شاءوا ، واعتصم من دخل المدينة بالمدينة ، وهم قليل ، فوضع قتيبة الفعلة في أصلها ليهدمها ، فسأله الصلح فصالحهم ، واستعمل عليهم رجلاً من بني قتيبة .

وارتحل عنهم يريد الرجوع ، فلما سار مرحلة أو ثنتين ، وكان منهم على خمسة فراسخ نفضوا وكفروا ، فقتلوا العامل وأصحابه ، وجدعوا أنفسهم وأذانهم ، وبلغ قتيبة فرجح إليهم ، وقد تحصنوا ، فقاتلهم شهراً ، ثم وضع الفعلة في أصل المدينة فملقوها^(٣) بالخشب ، وهو يريد إذا فرغ من تعليقها أن يحرق الخشب فتتهدم ، فسقط الحائط وهم يعلقونه ، فقتل أربعين من الفعلة ، فطلبوا الصلح ، فأبى وقتلهم ، فظفر بهم عشوة ، فقتل من كان فيها من المقاتلة ، وكان فيمن أخذوا في المدينة رجلاً أعور كان هو الذي استجاش الترك على المسلمين ، فقال لقتيبة : أنا أفدى نفسي ، فقال له سلم الناصح : ما تبدل ؟ قال : خمسة آلاف حرية صينية قيمتها ألف ألف ، فقال قتيبة : ما ترون ؟ قالوا : نرى أن فداه زيادة في غنائم المسلمين ، وما عسى أن يبلغ من كيد هذا قال : لا والله لا تروّع بك مسلمة أبداً ، وأمر به فقتل .

قال علي : قال أبو الذيال ، عن المهلب بن إياس ، عن أبيه والحسن ابن رشيد ، عن طعيميل بن مرداس ، أن قتيبة لما فتح بيكنند أصابوا فيها من آنية الذهب والفضة ما لا يحصى ، فولى الغنائم والقسم عبد الله بن آلان العلوي أحد بني ملكان — وكان قتيبة يسميه الأمين ابن الأمين — وإياس بن

(١) ب : مساواة . والمشاورة : القتال بالرمح . (٢) ب : تراجوا .

(٣) ب : فلقها .

بَيْنَهُمُ الْبَاهِلِيُّ ، فَأَذَابَا الْآتِيَّةَ وَالْأَصْنَامَ فَرَقَعَاهُ إِلَى قَتِيْبَةٍ ، وَرَفَعَاهُ إِلَيْهِ
خَصَبَتْ مَا أَذَابَا ، فَوَهَبَهُ لَهَا ، فَأَعْطَاهَا بِهِ أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، فَأَعْلَمَاهُ فَرَجَعَ
فِيهِ وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَذْبِيَاهُ فَأَذَابَاهُ ، فَخَرَجَ مِنْهُ خَمْسُونَ وَهَاتَةَ أَلْفٍ مِثْقَالٍ — ١١٨٩/٢
أَوْ خَمْسُونَ أَلْفَ مِثْقَالٍ — وَأَصَابُوا فِي بَيْكَنْدَ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَصَارَ فِي أَيْدِي
الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَيْكَنْدَ شَيْءٌ لَمْ يُصَيَّبُوا مِثْلَهُ بِخُرَاسَانَ . وَرَجَعَ قَتِيْبَةُ إِلَى مَرَوْ ،
وَقَوَّيَ الْمُسْلِمُونَ ، فَاشْتَرَوْا السِّلَاحَ وَالْخَيْلَ ، وَجَلَبَتْ إِلَيْهِمُ الدَّوَابَّ ، وَتَنَافَسُوا
فِي حُسْنِ الْمِيشَةِ وَالْعُدَّةِ ، وَغَالَتُوا بِالسِّلَاحِ حَتَّى بَلَغَ الرَّمْحُ سَبْعِينَ ، وَقَالَ
الْكُفَيْتُ :

وَيَوْمَ بَيْكَنْدَ لَا تُحْصَى عَجَائِبُهُ وَمَا بُخَارَاهُ مِمَّا أَخْطَأَ الْعَدُوُّ

وَكَانَ فِي الْخَزَائِنِ سِلَاحٌ وَآلَةٌ مِنْ آلَةِ الْحَرْبِ كَثِيرَةٌ ، فَكَتَبَ قَتِيْبَةُ
إِلَى الْحَبَاجِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي دَفْعِ ذَلِكَ السِّلَاحِ إِلَى الْخُنْدِ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَأَخْرَجُوا
مَا كَانَ فِي الْخَزَائِنِ مِنْ عُدَّةِ الْحَرْبِ وَآلَةِ السَّفَرِ ، فَقَسَّمَهُ فِي النَّاسِ ،
فَاسْتَعَدُّوا ، فَلَمَّا كَانَ أَيَّامُ الرَّبِيعِ نَدَبَ النَّاسَ وَقَالَ : إِنِّي أَغْزِيكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحْتَاجُوا
إِلَى حِمْلِ الزَّادِ ، وَأَنْتَفِلِكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحْتَاجُوا إِلَى الْإِدْفَاءِ ؛ فَسَارَ فِي عُدَّةِ
حَسَنَةٍ مِنَ الدَّوَابِّ وَالسِّلَاحِ ، فَأَتَى أَمْلَ ؛ ثُمَّ عَبَرَ مِنْ زَمٍّ إِلَى بُخَارَى ،
فَأَتَى نَوْمِشْكَنْتَ — وَهِيَ مِنْ بُخَارَى — فَصَالَحُوهُ .

قَالَ عَلِيٌّ : حَدَّثَنَا أَبُو الذِّيَالِ ، عَنْ أَشْبَاحٍ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ ، أَنَّ مُسْلِمًا
الْبَاهِلِيَّ قَالَ لِيَوَالَانَ : إِنَّ عِنْدِي ^(١) مَا لَا أَحِبُّ أَنْ أَسْتَوْدِعَكَهُ ،
قَالَ : أَتُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَكْتُومًا أَوْ لَا تُكْرَهُ أَنْ يَعلَمَهُ النَّاسُ ؟ قَالَ : أَحِبُّ أَنْ
تَكْتُمَهُ ؛ قَالَ : ابْعَثْ بِهِ مَعَ رَجُلٍ تَشِقُّ بِهِ إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا ، وَامْرَأَةً
إِذَا رَأَى رَجُلًا فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ أَنْ يَضَعَهُ مَعَهُ وَيَنْصَرِفَ ؛ قَالَ : نَعَمْ ،
فَجَعَلَ مُسْلِمُ الْمَالِ فِي خُرُوجِ ، ثُمَّ حَمَلَهُ عَلَى بَغْلٍ وَقَالَ لِمَوْلَايَ لَهُ : انْطَلِقْ
بِهَذَا الْبَغْلَ إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا ، فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا جَالِسًا فَعِزَّ عَنْ الْبَغْلِ
وَانْصَرِفْ . فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ بِالْبَغْلِ ، وَقَدْ كَانَ وَالَانُ أَتَى الْمَوْضِعَ لِمِيعَادِهِ ،

فأبطأ عليه رسولُ مسلم ، ومضى الوقتُ الذي وعدّه ، فظنَّ أنه قد بدا له ، فانصرف ، وجاء رجلٌ من بني تغلبَ فجلسَ في ذلك الموضع ، وجاء مولى مسلم فرأى الرجلَ جالساً ، فخطبى عن البغل ورجع ، فقام التغلبى إلى البغل ، فلما رأى المال ولم يرمع البغل أحداً أقادَ البغل إلى مترله ، فأخذ البغلَ وأخذَ المال ، فظنَّ مسلم أن المال قد صار إلى ولّان ، فلم يسأل عنه حتى احتاج إليه ، فلكّبه فقال : مالى ! فقال : ما قبضت شيئاً ، ولا لك عندى مال . قال : فكان مُسلم يشكو ويتنقّصه . قال : فأتى يوماً مجلس بني ضبيعة فشكاه والتغلبى جالسٌ ، فقام إليه فخلّا به وسأله عن المال ، فأخبره ، فانطَلَقَ به إلى مترله ، وأخرج الخُرُجَ فقال : أتعرفه ؟ قال : نعم ، قال : وإنّائتم ؟ قال : نعم ؛ قال : اقْبِضْ مالَكَ ، وأخبره الخبر ، فكان مسلم يأتى الناسَ والقبائلَ التى كان يشكو إليهم ولّان فيعذّره ويخبرهم الخبر ، وفى ولّان يقول الشاعر :

وَلَسْتُ كَوَلّانَ الَّذِى سَادَ بِالنُّقَى وَلَسْتَ كَعِمْرَانَ وَلَا كَالْمُهَلَّبِ ١١٩١/٢
وعمرانُ : ابنُ الفصيل البرّجُمى .

وَجَّعَ بالناسِ فى هذه السنة - فيما حدثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى مَعْشَرٍ - عمر بن عبد العزيز ، وهو أميرٌ على المدينة .

وكان على قضاء المدينة فى هذه السنة أبو بكر بن عمرو بن حزم من قبيل عُمر بن عبد العزيز .

وكان على العراق والمشرق كلّ الحجاج بن يوسف ، وخطيفته على البصرة فى هذه السنة - فيما قيل - الجراح بن عبد الله الحكيم . وعلى قضائها عبد الله ابن أذينة ، وعامله على الحرب بالكوفة زياد بن جَرِير بن عبد الله ، وعلى قضائها أبو بكر بن أبى موسى الأشعرى ، وعلى خراسان قُتَيْبَةُ بن مسلم .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

[ذكر ما كان فيها من الأحداث]

* * *

[خبر فتح حصن طُوانة من بلاد الروم]

فمن ذلك ما كان من فَتَحَ الله على المسلمين حصنًا من حصون الروم يُدعى طُوانة في جُمادى الآخرة ^(١) ، وشتوا بها ، وكان على الجيش مُسلمة بن عبد الملك ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك .

١١٩٢/٢

فذكر محمد بن عمر الواقدي أن ثور بن يزيد حدثه عن أصحابه قال : كان فَتَحَ طُوانة على يَدَي مُسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد ، وهَزَمَ المسلمون العدو يومئذ هزيمة صاروا إلى كنيستهم ، ثُمَّ رَجَعُوا فانهَزَمَ الناس حتى ظَنُّوا ألا يجتبروها أبدًا ، وبقي العباس معه نَقِيرٌ منهم ابن مُحَيْرِيز الجُمُحِي ، فقال العباس لابن مُحَيْرِيز : أين أهل القرآن الذين يريدون الجنة ؟ فقال ابن مُحَيْرِيز : نادهم يأتوك ؛ فنادى العباس : يا أهل القرآن ! فأقبلوا جميعًا ، فهَزَمَ الله العدو حتى دخلوا طُوانة .

وكان الوليد بن عبد الملك ضرب البعث على أهل المدينة في هذه السنة . فذكر محمد بن عمر ، عن أبيه ، أن مُحَرَّمَةَ بن سليم الوالبي قال : ضرب عليهم بعث ألفين . وأنهم تجاعلوا فخرج ألف وخمسمائة ، وتخلّف خمسمائة ، فغزوا الصائفة مع مُسلمة والعباس ، وهما على الجيش . وإنهم شتوا بطُوانة واقتَحَرُواها .

* * *

وفيها وَلِدَ الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

* * *

(١) ب وابن الأثير : « الأولى منها » .

[ذكر عمارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم]

وفيهما أمر الوليد بن عبد الملك يهديم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديم بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وإدخالها في المسجد ، فذكر محمد بن عمر ، أن محمد بن جعفر بن وردان البناء قال : رأيتُ الرسولَ الذي بعثه الوليد بن عبد الملك قدِم في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ، قدم مُعْتَجِراً ، فقال الناس : ما قدِم به الرسول ! فتدخل على عمر بن عبد العزيز بكتاب الوليد يأمره بإدخال حُجَر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد رسول الله ، وأن يشتري ما في مؤخره وفواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ويقول له : قدِم القيلة إن قدِمْت ، وأنت تغدو لمكان أخوالك ، فإنهم لا يخالفونك ، فن أوى منهم فرأى أهل مصر فليقوموا له قيمة عدل ، ثم اهدم عليهم وادفع إليهم الأثمان ، فإن لك في ذلك مكلف صديق ، عمر وضمان فأقرأهم كتاب الوليد وهم عنده ، فأجاب القوم إلى الثمن ، فأعطاهم إياه ، وأخذ في هدم بيوت أزواج النبي ^(١) صلى الله عليه وسلم وبناء المسجد ، فلم يَمَكُثْ إلا يسيراً ^(٢) حتى قدِم الفعلة ، بحث بهم الوليد . قال محمد بن عمر : حدثني موسى بن يعقوب ، عن عمه ، قال : رأيت عمر بن عبد العزيز يهديم المسجد ومعه وجوه الناس : القاسم ، وسالم ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وخارجة بن زيد ، وعبد الله بن عبد الله بن عمر ، يرون أعلاماً في المسجد ويقدرونه ، فأعسروا أساسه .

قال محمد بن عمر : حدثني يحيى بن النعمان الغفاري ، عن صالح بن كيسان ، قال : لما جاء كتاب الوليد من دمشق وصار ^(٣) خمس عشرة بهدم المسجد ، تجرد عمر بن عبد العزيز . قال صالح : فاستعلمني على هدمه وبنائه ، فهدمناه بعمال المدينة ، فبدلنا بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم حتى قدِم علينا الفعلة الذين بحث بهم الوليد .

(١) ب : « رسول الله » . (٢) ب : « قليلا » .

(٣) ط : « صار » .

قال محمد : وحدّثني موسى بن أبي بكر ، عن صالح بن كيسان ، قال : ابتدأنا بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر من سنة ثمان وثمانين ، وبعث الوليد إلى صاحب الروم يعلمه أنه أمر بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يُعِينَه فيه ، فبعث إليه بمائة ألف مثقال ذهب ، وبعث إليه بمائة عامل ، وبعث إليه من الفسيفساء بأربعين حملاً ، وأمر أن يتتبع الفسيفساء في الملائن التي خربت ، فبعث بها إلى الوليد ، فبعث بذلك الوليد إلى عمر بن عبد العزيز .
وفي هذه السنة ابتدأ عمر بن عبد العزيز في بناء المسجد .

* * *

وفيها غزاً أيضاً مسلمة الروم ، ففتّح على يديه حصون ثلاثة : حصن قسطنطينية ، وغزاة ، وحصن الأنقرم . وقتل من المستعربة نحو من ألف مع سبى الذرية وأخذ الأموال .

* * *

[ذكر غزو قتيبة نوميشتك وراميشنه]

وفي هذه السنة غزا قتيبة نوميشتك وراميشنه .

* ذكر الخبر عما كان من خبر غزوته هذه :

ذكر علي بن محمد ، أن المفضل بن محمد أخبره عن أبيه ومصعب بن حبان ، عن مولاهم أحمد ذلك ، أن قتيبة غزا نوميشتك في سنة ثمان وثمانين ، واستخلف على مرو يشار بن مسلم ، فطلقاه أهلها ، فصالحهم ، ثم صار إلى راميشنه فصالحه أهلها ، فانصرف عنهم ^(١) وزحف إليه الترك ، معهم ^(٢) السُفد وأهل فرغانة ، فاعترضوا المسلمين في طريقهم ، فلحقوا عبد الرحمن ابن مسلم الباهلي وهو على الساقة ، بينه وبين قتيبة وأوائل العسكر ميل ، فلما قربوا منه أرسل رسولا إلى قتيبة بخبره ، وغشيه الترك فقاتلوه ، وأبى الرسول قتيبة فرجع بالناس ، فانتفى إلى عبد الرحمن وهو يقاتلهم ، وقد كاد

١١٩٥/٢

الترك يستعملونهم، فلما رأى الناس قتيبة طابت أنفسهم فصبروا ، وقاتلوهم إلى الظهر ، وأبلى يومئذ نيزك وهو مع قتيبة ، فهزّم الله الترك ، وفضّ جسمهم ، ورجع قتيبة يُريدُ مَرَوْ ، وقطع النهر من الترمذ يريد بَلْخ ، ثم أتى مَرَوْ . وقال الباهليّون : لقي الترك المسلمين عليهم كورمغانون التركي ابن أخت ملك الصين في مائى ألف ، فأظهر الله المسلمين عليهم .

* * *

[ذكر ما عمل الوليد من المعروف]

وفي هذه السنة كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز في تسهيل الثنايا وحفر الآبار في البُلْدَان .

قال محمد بن عمر : حدثني ابنُ أبي سبّرة ، قال : حدثني صالح بن كيسان ، قال : كتب الوليدُ إلى عمر في تسهيل الثنايا وحفر الآبار بالمدينة ، ١١٩٦/٢ وخرجتُ كُتُبُهُ إلى البُلْدَان بذلك ، وكتب الوليدُ إلى خالد بن عبد الله بذلك . قال : وحبسَ المجدّمين عن أن يخرجوا على الناس ، وأجرى عليهم أَرْزَاقًا ، وكانت (٢) تُجرى عليهم .

وقال ابنُ أبي سبّرة ، عن صالح بن كيسان ، قال : كتب الوليدُ إلى عمر ابن عبد العزيز أن يعمل الفوارة التي عند دار يزيد بن عبد الملك اليوم ، فعملها عمرُ وأجرى ماءها ، فلما حجّ الوليد وقَفَ عليها ، فنظر إلى بيت الماء والفوارة ، فأعجبته ، وأمرَ لها بقوام يقومون عليها ، وأن يُسقى أهلُ المسجد منها ، ففعل ذلك .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة عمرُ بن عبد العزيز في رواية محمد بن عمر . ذكرَ أن محمد بن عبد الله بن جبّير — مولى لبني العباس — حدثه عن صالح بن كيسان ، قال : خرج عمرُ بن عبد العزيز تلك السنة — يعني سنة ثمان وثمانين — بعدة من قریش ، أرسل إليهم بَصَلَات وظَهْرَ الحُمُولَة ، وأحرموا معه من ذى الحُلَيْفَة ، وصاق معه بُدْنًا ، فلما كان بالتنعيم لقيتهم نَحَرَ

من قريش، منهم ابن أبي سُلَيْكَة وغيره ، فأخبروه أن مَكَّة قليلة الماء، وأنهم يخافون على الحاج العطش ، وذلك أن المطر قلَّ ، فقال عمر : فالمَطْلَب هاهنا بيننا، تعالوا نَدْعُ الله . قال : فرأيتهم دَعَوْا ودعا معهم ، فالتَّحُوا في الدَّعَاء . قال صالح : فلا^(١) والله إن وصلنا إلى البيت ذلك اليوم إلا مع المطر حتى كان مع الليل ، وسكبت السماء ، وجاء سيلُ الوادي ، فجاء أمرُ خافه أهلُ مَكَّة، ومُطِرَت عَرَفَةُ ومِئِي وَجُمُعٌ ، فإِكانت إلا عُبْرًا ، قال : ونبتت مَكَّة تلك السنة للخصب .

وأما أبو مَعشَرَفَته قال : حجَّ بالناس سنة ثمان وثمانين عمرُ بنُ الوليد ابن عبد الملك ، حدثني بذلك أحمدُ بنُ ثابت عمن ذكره ، عن إسحاق ابن عيسى عنه .

وكانت العمال على الأمصار في هذه السنة العمال الذين ذكرنا أنهم كانوا عمالها في سنة سبع وثمانين .

(١) ب : « فوالله » ، س : « ولا والله » .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

* * *

[خير غزو مسلمة أرض الروم]

ففي ذلك افتتاح المسلمين في هذه السنة حصن سُورِيَّة ، وعلى الجيش
مُسْلِمَةُ بن عبد الملك ، زَعَمَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ مُسْلِمَةَ غزا في هذه السنة أرضَ
الرُّومِ ، ومعه الْعَبَّاسُ بنُ الْوَلِيدِ ودخلوها جميعاً ثم تفرقوا ، فافتتح مُسْلِمَةُ
حصن سُورِيَّة ، وافتتح الْعَبَّاسُ أُخْرُولِيَّة ، ووافق من الرُّومِ جَمْعاً فَهَزَمَهُمْ .
وأما غيرُ الْوَاقِدِيِّ فإنه قال : قصده مُسْلِمَةُ حَمُورِيَّة فوافق بها للرُّومِ جَمْعاً
كثيراً ، فَهَزَمَهُمُ الله ، وافتتح هِرَقْلَةَ وقمودية .
وغزا الْعَبَّاسُ الصَّاقِفة من ناحية الْبُدَنْدُون .

* * *

[خير غزو قتيبة بخارى]

وفي هذه السنة غزا قُتَيْبَةُ بَخَارَى ، ففتح رَاسِيشَه . ذكر علي بنُ عَمَدٍ
عن الْبَاهِلِيِّينَ أَنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ ، وَأَنَّ قُتَيْبَةَ رَجَعَ بَعْدَ مَا فَتَحَهَا فِي طَرِيقِ
بَلْخُشْ ، فَلَمَّا كَانَ بِالْفَارِيَّابِ أَتَاهُ كِتَابُ الْحِجَابِ : أَنَّ رِدْ وَرْدَانَ خُلِدَا .
فَرَجَعَ قُتَيْبَةُ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ ، فَأَتَى زَمَّ ، فَقَطَعَ النَّهْرَ ، فَلَقِبَهُ السُّغْدُ وَأَهْلُ
كَيْسٍ وَنَسَفَ فِي طَرِيقِ الْمَنَازَةِ ، فَقَاتَلُوهُ ، فَظَفَّرَ بِهِمْ وَمَضَى إِلَى بَخَارَى ،
فَنَزَلَ خَرْقَانَةَ السُّفْلَى عَنْ يَمِينِ وَرْدَانَ ، فَلَقَوْهُ بِجَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَقَاتَلَهُمْ
يَوْمَيْنِ وَلَيْلَتَيْنِ ، ثُمَّ أَعْطَاهُ اللهُ الظَّفَرَ عَلَيْهِمْ ؛ فَقَالَ نَهَارُ بْنُ تَوْصِيعة :
وَبَاتَتْ لَهُمْ مَنَا بِخَرْقَانَ لَيْلَةً وَلَيْلَتُنَا كَانَتْ بِخَرْقَانَ أَطْوَلًا
قَالَ عَلِيٌّ : أَخْبَرَنَا أَبُو الذَّيْثَالِ عَنْ الْمُهَلَّبِ بْنِ لِيَّاسٍ ، وَأَبُو الْعَلَاءِ عَنْ

١١٩٩/٢ إدریس بن حنظلة ، أن قتيبة غزا وَرْدَانَ خُذَاهُ (١) ملك بُخَارَى سنة تسع وثمانين فلم يُطِيقَهُ ، ولم يَظْفَرْ من البلد بشيء ، فرجع إلى مَرُو ، وَكَتَبَ إلى الحجاج بذلك ، فَكَتَبَ إليه الحجاج : أن صَوَّرَهَا لِي ، فبعث إليه بصُورَتِهَا ، فَكَتَبَ إليه الحجاج : أن ارجع إلى مَرَاغِتِكَ (٢) فَتُبَّ إلى الله مما كان منك ، وأتينا من مكانٍ كذا وكذا .

وقيل : كَتَبَ إليه الحجاج أن كَيْسَ بكسٍ وانسفٌ نَسَفٌ وردَّ وَرْدَانَ ، وإِسَّاكَ والتحويط (٣) ، وَدَعَتْنِي من بُنَيَاتِ الطريق (٤) .

* * *

[خبر ولاية خالد القسري على مكة]

وفي هذه السنة ولى خالد بن عبد الله القسري مكة فيما زعم الواقدي ، وَذَكَرَ أن عَمَرَ بن صالح حدثه عن نافع مولى بنى غزوم ، قال : سمعت خالد بن عبد الله يقول على منبرٍ مسكة وهو يخطب :

أيها الناس ، أيهما أعظم ؟ أخليفةُ الرَّجُلِ على أهله ، أم رسوله إليهم ؟ والله لو لم تَلَمَّحُوا فَضْلَ الخليفة ، إلا أن إبراهيمَ خليلَ الرحمن استسقى فسقاه ملحمًا أجابًا ، واستسقاه (٥) الخليفة فسقاه عذبةً فرائيًا ، يثراً حَضَرَها الوليد بن عبد الملك بالثَّيْتَيْنِ — ثَنِيَّة طَوًى وثَنِيَّة الحَجِجُون (٦) — فكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من آدم إلى جنب زمزم ليُعرف فضله على زمزم . قال : ثم غارت البئر فذهبت فلا يُدرى أين هي اليوم .

(١) ب : « خذاه » .

(٢) المراجعة في الأصل : مترخ الدابة ؛ أراد بها بخارى أى أن يفتسها ويتنخلها مقلدا يقتلب فيه كما تقتلب الدابة في مراغتها .

(٣) حوَّط حول الأمر ، أى دار ، وأصله من حوَّط كرهه تحويطاً ، أى بنى حوله حائطاً ؛ يريد : ليالك والوردان في القول وكثرة المراجعة فيه .

(٤) بُنَيَاتِ الطريق : الطرق الصغار تنشعب من الجادة ، أى اسلك الطريق المستقيم الذى لا ترجع فيه . (٥) ب : « واستسقى » .

(٦) ابن الأثير : « ثنية طوى في ثنية الحجون » .

* * *

وفيها غَزَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ التُّرْكَ حَتَّى يَلْغَ الْبَابَ مِنْ نَاحِيَةِ
أَذْرَبَيْجَانِ ، فَفَتَحَ حُصُونًا وَمَدَائِنَ هُنَاكَ .

* * *

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، حَدَّثَنِي بِلَلُكَ أَحْمَدُ
ابْنُ ثَابِتٍ ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيمَى ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ .
وَكَانَ الْعَمَّالُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى الْأَمْصَارِ الْعَمَالُ فِي السَّنَةِ الَّتِي قَبْلَهَا ،
وَقَدْ ذَكَرْنَاهُمْ قَبْلَ .

ثم دخلت سنة تسعين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

في هذه السنة غزا مسلمة أرض الروم فيها ذكر محمد بن عمر - من ناحية سورية ، ففتح الحصون الخمسة التي بسورية .

وغزا فيها العباس بن الوليد ؛ قال بعضهم : حتى بلغ الأرز ؛ وقال بعضهم : حتى بلغ سورية . وقال محمد بن عمر : قولي من قال : حتى بلغ سورية أصح .

وفيهما قتل محمد بن القاسم الثقفي داهر بن صمصمة ملك الهند ، وهو على جيش من قبيل الحجاج بن يوسف .

وفيهما استعمل الوليد قرّة بن شريك على مصر موضع عبد الله بن عبد الملك .

وفيهما أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر ، فذهبوا به إلى ملكهم ، فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك .

* * *

[خبر فتح بخارى]

وفيهما فتح قتيبة بخارى ، وهزم جموع العدو بها .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر علي بن محمد أن أبا الديال أخبره عن المهلب بن إياس ؛ وأبا العلاء عن إدريس بن حنظلة ؛ أن كتاب الحجاج لما ورد على قتيبة يأمره بالثوبة مما كان ، من انصرافه عن وردان خلفه ملك بخارى قبل الظفر به والمصير إليه ، ويعرفه الموضع الذي ينبغي له أن يأتي بلده منه ، خرج قتيبة إلى بخارى في سنة تسعين غازياً ، فأرسل وردان خذاه إلى السغد والتürk ومن حولتهم

يستنصرونهم^(١)، فأتوهم وقد سبق إليها قتيبة فحصرهم، فلما جاءتهم أمدادهم خرجوا إليهم ليقاتلوهم، فقالت الأزد: اجعلوا على حدة^(٢)، واخلوا بيننا وبين قتالهم. فقال قتيبة: تقدّموا؛^(٣) فتقدموا يقاتلونهم^(٤) وقيبة جالس، عليه رداء أصفر فوق سلاحه، فصبروا جميعاً ملياً، ثم جال المسلمون، وركبهم المشركون فحطموهم حتى دخلوا في عسكر قتيبة وجازوه حتى ضرب النساء وجوه الخيل وبكين، فكروا واجعين، وانطوت مجنبنا المسلمين على الترك، فقاتلوهم حتى ردوهم إلى مواقعهم، فوقف الترك على نسيب، فقال قتيبة: من يزيلهم لنا عن هذا الموضع^(٥)؟ فلم يقدم عليهم أحد،^(٥) والأحياء كلها وقوف^(٦).

فثنى قتيبة إلى بني تميم، فقال: يا بني تميم، إنكم أنتم بمنزلة الخطمية، فيوم كأيامكم، أبي^(٧) لكم القداء قال: فأخذ وكيع اللواء بيده، وقال: يا بني تميم، أتسلموني اليوم؟ قالوا: لا يا أبا مطرف - وهريم بن أبي طلحة المجاشعي على خيل بني تميم وكيع رأسهم، والناس وقوف - فأحجموا جميعاً، فقال وكيع: يا هريم، قدّم^(٨)، ودفع إليه الراية، وقال: قدّم خيلك فتقدّم هريم، ودب وكيع في الرجال، فانتهى هريم إلى نهر بينه وبين العدو فوقف، فقال له وكيع: اقحم يا هريم، قال: فنظر هريم إلى وكيع فنظر الجسم الصئول^(٩) وقال: أنا أقحم^(٩) خيل هذا النهر، فإن انكشفت كان هلاكها! والله إنك لأحمق، قال: يا بن اللّخاء، ألا أراك تردّ أمري! وحدّقه بعمود كان معه، ففترّب هريم فرسه فأقحمه، وقال: ما بعد هذا أشدّ من هذا، وعبر هريم في الخيل، وانتهى^(١٠) وكيع إلى النهر، فدعا بخشب، فقتنطر النهر وقال لأصحابه: من وطن منكم نفسه على الموت فليعبّر، ومن لا فليثبت مكانه؛ فما عبّر معه إلا ثمانمائة

(١) ب: «يستنصرونهم فأتوهم».

(٢-٣) ب: «قتالهم».

(٤-٥) ب: «والأحياء من الرب كلهم وقوف».

(٦) ب: «الآن».

(٧) ب: «الآن».

(٨) ب: «الآن».

(٩) ب: «الآن».

(١٠) ب: «الآن».

راجل^(١)، فلبّ فيهم حتى إذا أعيوا^(٢) أقعدهم فأراحوا حتى دنا من العدو ،
فجعل^(٣) الخيل مجتبتين ، وقال لهرم : إني مُطاعن القوم ، فاشغلهم عنا
بالخيل ، وقال للناس : شدّوا ، فحملوا فما انثنوا حتى خالطوهم ،
وحمل هُرم خيلته عليهم فطاعنهم بالرماح ، فما كفوا عنهم حتى حصدَ رومهم
عن موقفهم ، ونادى قتيبة : أما ترون العدو منهزمين ! فما عبرَ أحدٌ ذلك
النهر حتى ولّى العدو منهزمين ، فأتابعهم الناسُ ، ونادى قتيبة : من جاء
برأس فله مائة .

١٢٠٢/٢

قال : فزعم موسى بن المتوكل القريني ، قال : جاء يومئذ أحد
عشر رجلا من بني قُريج ، كل رجل يحمي برأس ، فيقال له : من أنت ؟
فيقول : قُريني .. قال : فجاء رجل من الأزد برأس فألقاه ، فقالوا له : من
أنت ؟ قال : قُريني ؛ قال : وجههم بن زحر قاعد ، فقال : كَسَبَ والله
أصلحك الله ! إنه لابن عمي ؛ فقال له قُتيبة : ويحك ! ما دعاك إلى هذا ؟
قال : رأيتُ كلَّ من جاء قُريني : فظننتُ أنه ينبغي لكلّ من جاء برأس
أن يقول : قُريني . قال : فضحك قُتيبة .

قال : وجرّح^(٤) يومئذ خاقان وابنه ، ورجع قتيبة إلى مرو ، وكتب
إلى الحجاج : إني بعثتُ عبدَ الرحمن بن مسلم ، ففتح الله على يديه .

قال : وقد كان شهد الفتح مولى للحجاج ، فقَدِم فأخبره الخبر ، فغضب
الحجاج على قتيبة ، فاعتمَ لذلك^(٥) ، فقال له الناس . ابعثْ وقْدًا من
بنّي تميم وأعطهم وأرضهم بخبروا الأمير أن الأمر على ما كتبت ، فبعث
رجالا فيهم عُرّام بن شُثير الضبي ، فلما قدموا على الحجاج صاح بهم وعاتبهم
ودعا بالحجّام بيده مقرّاض فقال : لأقطعن ألسنتكم أو لتصلغنني ، قالوا :
الأمير قتيبة ، وبعث عليهم عبدَ الرحمن ، فالفتح^(٦) للأمير والرأس الذي يكون
على الناس ، وكلّمه بهذا عُرّام بن شُثير ، فسكن الحجاج .

١٢٠٤/٢

(٢) ب : « عبروا » .

(١) ب : « رجل » .

(٤) ب ، ر : « وجرّح » .

(٣) ب : « جعل » .

(٦) ب : « بالفتح » .

(٥) ب : « وكلّك » .

[خبر صلح قتيبة مع السغد]

وفي هذه السنة جدد قتيبة الصلح بينه وبين طرخون ملك السغد .

* ذكر الخبر عن ذلك :

قال عليّ : ذكر أبو السري عن الجهم الباهليّ ، قال : لما أوقع قتيبة بأهل بخارى ففَضَّ جمعهم هابة أهل السغد ، فرجع طرخون ملك السغد ومعه فارسان حتى وقف قريبا من عسكر قتيبة ، وبينهما نهر بخارى ، فسأل أن يبعث إليه رجلا يكلمه ، فأمر قتيبة رجلا فدنا منه .
وأما الباهليون فيقولون : نادى طرخون حيان النبطي قاتاه ، فسأله الصلح على فدية يؤدّيها إليهم ، فأجابه قتيبة إلى ما طلب ، وصالحه ، وأخذ منه رهنا حتى يبعث إليه بما صالحه عليه ، وانصرف طرخون إلى بلاده ، ورجع قتيبة ومعه نيزك .

* * *

[غدر نيزك]

وفي هذه السنة غدر نيزك ، فنقض الصلح الذي كان بينه وبين المسلمين وامتنع بقلعته ، وعاد حربيا ، فغزاه قتيبة .

* ذكر الخبر عن سبب غدره وسبب الظفر به :

قال عليّ : ذكر أبو الذّبال ، عن المهلب بن إياس والمفضل الضبيّ ، عن أبيه ، وعليّ بن مجاهد وكلّيب بن خكاف العميّ ، كلّ قد ذكر شيئا فآلفته ، وذكر الباهليون شيئا فآلفته في خبر هؤلاء وآلفته ، أن قتيبة فصل من بخارى ومعه نيزك وقد دَعَرَه ما قد رأى من الفتوح ، وخاف قتيبة ، فقال : لأصحابه وخاصته : متهم أنا مع هذا ، ولست آمنه ؛ وذلك أن العربيّ بمنزلة الكلب ؛ إذا ضربته نَبَحَ ، وإذا أطعمته بَصَبَصَ واتبعك ، وإذا غزوته ثم أعطيته شيئا رضى ، ونمى ما صنعت به ، وقد قاتلك طرخون مرارا ، فلما أعطاه فدية قبلها ورضى ، وهو شديد السطوة فاجر

فلو استأذنت^(١) ورجعتُ كان الرأي ، قالوا : استأذنه . فلما كان قتيبة بأكمل استأذنته في الرجوع إلى تخارستان ، فأذن له ، فلما فارق عسكره متوجهاً إلى بلخ قال لأصحابه : أخذوا السير ، فساروا^(٢) سيراً شديداً حتى أتوا التوريسهار^(٣) ، فنزل يوصل فيهِ وتبرك به . وقال لأصحابه : إني لا أشك أن قتيبة قد ندم حين فارقنا عسكره على إذنه لي ، وسيقدم الساعة رسولُه على المغيرة بن عبد الله يأمره بحجسى ، فأقيموا ربيثةً تنظر ، فإذا رأيتم الرسول قد جاوز المدينة وخرج من الباب فإنه لا يبلغ البروقان حتى يبلغ تخارستان ، فيبعث المغيرة رجلاً فلا يلدركنا حتى ندخل شعب خلم ، ففعلوا .

قال : وأقبل رسولٌ من قبيل^(٤) قتيبة إلى المغيرة يأمره بحجس نيزك . فلما مرَّ الرسول إلى المغيرة وهو بالبروقان - ومدينة بلخ يومئذ خراب - ركب نيزك وأصحابه فمضوا ، وقدم الرسول على المغيرة فركب بنفسه في طلبه ، فوجده قد دخل شعب خلم ، فانصرف المغيرة ، وأظهر نيزك الخلع ، وكتب إلى أصبهل بلخ وإلى باذان ملك مَرُوروذ ، وإلى سهرب^(٥) ملك الطالقان ، وإلى قرسل ملك القارياب ، وإلى الجوزجاني ملك الجوزجان يدعهم إلى خلع قتيبة ، فأجابوه ، ووعدهم الربيع أن يجمعوا ويغزوا قتيبة . وكتب إلى كابل شاه يستظهر به ، وبعث إليه بشكله وماله ، وسأله أن يأذن له إن اضطر إليه أن يأتيه ويؤمنه في بلاده ، فأجاب به إلى ذلك وضمَّ ثقله .

١٢٠٦/٢

قال : وكان جيغويه ملك تخارستان ضعيفاً ، واسمه الشد ، فأخذه نيزك فقيده بقييد من ذهب غافة أن يشغب عليه - وجيغويه ملك تخارستان ونيزك من عبيده - فلما استوثق منه وضعَّ عليه الرقباء ، وأخرج عامل قتيبة من بلاد جيغويه ، وكان العامل محمد بن سُلَيم الناصح ، وبلغ قتيبة خلعه قبل الشتاء ، وقد تفرق الجند فلم يبق مع قتيبة إلا أهل حرو ، فبعث عبد الرحمن أخاه إلى بلخ في اثني عشر ألفاً إلى البروقان ، وقال : أقم بها ،

١٢٠٧/٢

(١) ب : استأذنته .

(٢) ب : سار .

(٣) ب : التوريسهار .

(٤) ب : وعده .

(٥) ط : سهرك ، وانظر الطبري ٢ : ١٥٦٦ ، ١٥٦٩ (أوربا) .

ولا تُحدث شيئاً ، فإذا حَسَرَ الشتاء فَعَسَكَرَ وِصْرٌ نحو تخارستان ، واعلم
أني قريب منك ، فسار عبدُ الرحمن فنزل البرقان ، وأمهّل قتيبة حتى
إذا كان في آخر الشتاء كَتَبَ إلى أبرشهر وبيورد وسرخس وأهل هرة
ليقدّموا قبل أوليهم الذي كانوا يقدّمون عليه فيه .

[خبر فتح الطالقان]

وفي هذه السنة ، أوقع قتيبة بأهل الطالقان بخراسان - فيما قال بعض
أهل الأخبار - فقتل من أهلها مقتلة عظيمة ، وصلب منهم ستمائين أربعة
فراسخ في نظام واحد .

• ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وكان السبب في ذلك - فيما ذكر - أن نيزك طرخان لما غدر وخلّج قتيبة
وعزّم على حربته ، طابقت على حربته ملك الطالقان ، وواعده المصير
إليه من استجاب للنهوض معه من الملوك لحرب قتيبة ، فلما هرب نيزك من
قتيبة ودخل شعب خلم الذي يأخذ إلى طخارستان عليم أنه لا طاقة له
بقتيبة ، فهرب ، وسار قتيبة إلى الطالقان فأوقع بأهلها ، ففعل ما ذكرت فيما قبل .
وقد خولف قائل هذا القول فيما قال من ذلك ، وأنا ذاكره في أحداث
سنة إحدى وتسعين .

١٢٠٨/٢

وحجّ بالناس في هذه السنة عمرُ بنُ عبد العزيز ، كذلك حدثني أحمد
ابن ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك
قال محمد بن عمر .

وكان عمرُ بنُ عبد العزيز في هذه السنة عامل الوليد بن عبد الملك على
مكة والمدينة والطائف . وعلى العراق والمشرق الحجاج بن يوسف ، وعامل
الحجاج على البصرة الجراح بن عبد الله . وعلى قضائهما عبد الرحمن بن أذينة ،
وعلى الكوفة زياد بن جريير بن عبد الله . وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى .
وعلى خراسان قتيبة بن مسلم . وعلى مصر قرّة بن قرّة بن شريك .

[هرب يزيد بن المهلب وإخوته من سجن الحجاج]

وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلب وإخوته الذين كانوا معه في السجن مع آخرين غيرهم ، فلاحقوا بسليمان بن عبد الملك مستجيرين به من الحجاج ابن يوسف ، والوليد بن عبد الملك .

• ذكر الخبر عن سبب تخلصهم من سجن الحجاج ومسيرهم إلى سليمان :

قال هشام : حدثني أبو مخنف ، عن أبي المخارق الراسبي ، قال :
 خرج الحجاج إلى رُستَقْبَاز للبحث ، لأن الأكراد كانوا قد غلبوا على عامة
 أرض فارس ، فخرج بيزيد وإخوته المفضل وعبد الملك حتى قدم بهم
 ١٢٠٩/٢ رُستَقْبَاز ، فجعلهم في عسكريه ، وجعل عليهم كهنة الخندق ، وجعلتهم
 في فسطاط قريباً من حجرته ، وجعل عليهم حرساً من أهل الشام ،
 وأغرمهم ستة آلاف ألف ، وأخذ يعدّ بهم ، وكان يزيد يصير صبراً
 حسناً ، وكان الحجاج يغيظه ذلك ، فقل له : إنه رُمي بنشابة فقتلت
 فصلها في ساقه ، فهو لا يمسيها شيء إلا صاح ، فإن حركت أدنى شيء
 سمعت صوته ، فأمر أن يعدّ ويُدَهَّقُ^(١) ساقه ، فلما فعل ذلك به
 صاح ، وأخته هند بنت المهلب عند الحجاج ، فلما سمعت صياح يزيد صاحت
 وفاحت ، فطلقتها . ثم إنه كف عنهم ، وأقبل يستأديهم ، فأخذوا يؤدون
 وهم يعمَلُون في التخلص من مكانهم ، فبعثوا إلى مروان بن المهلب وهو
 بالبصرة يأمره أن يضمّر لهم الخيل ، ويُرَى الناس أنه إنما يريد بيعها
 ويعرّضها على البيع ، ويقلّ بها لثلاً تُشتري فتكون لنا عُدّة إن نحن قد درنا
 على أن ننجو مما هاننا . ففعل ذلك مروان ، وجيب بالبصرة^(٢) . يعدّ أيضاً ،
 وأمر يزيد بالخرس فصنع لهم طعام كثير فأكلوا ، وأمر بشارب فسقوا ،
 فكانوا متشاغلين به ، وليس يزيد ثياب طبّاخه ، ووضع على لحيته لحية

(٢) ب : « يعلب بالبصرة » .

(١) الحق : شد الساق بخشيتين .

بِنَفْضَاءَ ، وخرج فرآه بعضُ الحرم فقال : كأن هذه مِشْيَةُ يزيد ! فجاء حتى استعرض وجهه ليلا ، فرأى بياضَ اللّحية ، فانصرف عنه ، فقال : هذا شيخ . وخرج المفضل على أثره ، ولم يَفْطَنْ له ، فجاءوا إلى سفنهم وقد هيئوها في البطائح ، وبينهم وبين البصرة ثمانية عشرَ قَرَسَخًا ، فلما انتهوا إلى السفن أبطأ عليهم عبدُ الملك وشغل عنهم ، فقال يزيد للمفضل : اركب بنا فإنه لاحقٌ ، فقال المفضل - وعبد الملك أخوه لأمّه - وهى بهلة ، هندية : لا والله ، لا أبرح حتى يحمىء ولو رجعتُ إلى السجن . فأقام يزيدُ حتى جاءهم عبد الملك ، وركبوا عند ذلك السفن ، فساروا ليلتهم حتى أصبحوا ، ولما أصبح الحرمس عليهم أبطأ بهم ، فرفع ذلك إلى الحجاج ، وقال الفرزدق في خروجهم ^(١) :

فلم أرَ كالمُفْطَمِ الذينَ تَتَابَعُوا على الجُدْعِ والحُرَّاسِ غيرَ نيامِ
مَضَوْا وَهُمْ مُسْتَقْبِقُونَ بأنهم إلى قَدَرِ آجَالِهِمْ وَحِصَامِ
وإن منهم إلا يُسَكِّنُ جَأشُهُ ^(٢) بعَضْبِ صَقِيلِ صَارِمِ وَحُصَامِ
فلما التقوا لم يلتقوا بِمُنْفَعِهِ ^(٣) كبيرٍ ولا رَحِيصِ العِظَامِ غلامِ
بمثلِ أبينهم حين تَمَّتْ لِدَائَتُهُمْ لخمسين قل في جُرْأَةٍ وَغِيَامِ

١٢١١/٢

ففرغ له الحجاج ، وذهب وهم أتهم ذهبوا قبيل خُرَاسان ، وبعث البريدَ إلى قتيبة بن مسلم يحذّره قلوبهم ، ويأمره أن يستعدّ لهم ، وبعث إلى أمراء الثغور والكُوفَر أن يرصدوهم ، ويستعدّوا لهم ، وكتب إلى الوليد بن عبد الملك يُخبره بهربهم ، وأنه لا يراهم أَرَادُوا إلا خُرَاسان . ولم يزل الحجاج يظنّ بيزيدَ ما صنع ، كان يقول : إني لأظنه يحدث نفسه بمثل الذى صنع ابنُ الأشعث .

ولما دنا يزيدُ من البطائح ، من مَوْقُوع ^(٤) استقبلته الخيلُ وقد هيئت له ولإخوته ، فخرجوا عليها ومعهم دليلٌ لهم من كَلْبِ يقال له : عبد الجبار بن يزيد بن الربعة ، فأخذ بهم على السَّماوَةِ ، وأتى الحجاج بعد يومين ، فقيل

(١) ديوانه ٨١٦ - ٨١٧ . (٢) الديوان : « وما منهم » .

(٣) كذا في ب والديوان ، والمُنْفَعَةُ : الضعيف من العلة . وفي ط : « بمنفَعه » .

(٤) مَوْقُوع : ماءٌ بناحية البصرة .

له : إنما أخذ الرجل طريقَ الشام ، وهذه الخيلُ حَسْرَى في الطريق ، وقد
 أتى من رآهم موجّهين في البرّ ، فبعث إلى الوليد يُعلمه ذلك ، ومضى
 يزيدُ حتى قدِمَ فلسطين ، فنزّل على وهيب بن عبد الرحمن الأزديّ -
 وكان كريماً على سليمان - وأنزل بعضَ قُفْلِهِ وأهله على سُفْيَان بن سليمان
 الأزديّ ، وجاء وهيب بن عبد الرحمن حتى دخل على سليمان ، فقال : هذا
 يزيدُ بن المهلب ، وإخوته في منزلي ، وقد أتوك هُرَاباً من الحجاج متعوّذين
 بك ؛ قال : فأثنى بهم فهم آمينون لا يوصل إليهم أبداً وأنا حيّ . فجاء
 بهم حتى أدخلهم عليه ، فكانوا في مكان آمين . وقال الكلبيّ ^(١) دليلهم
 في مسيرهم :

ألا جعلَ اللهَ الأخلاءَ كلَّهُم	فداءً على ما كان لابنِ المهلبِ
لنِعَمَ الفتى يا مَعشَرَ الأزدِ أسَعَفَتْ	رِكائبُكم بالوهبِ شَرَفٌ مُنْقَبِ ^(٢)
عَدْلُنَ يَمِيناً عَنْهُمْ رَمْلُ عَالِجٍ	وذا يمينِ القومِ أعلامُ غُرَبِ ^(٣)
فَلَا تُصَبِّحْ بَعْدَ خَمْسٍ رِكَابُنَا	سليانَ مِن أهلِ اللوى تتأوَّبِ ^(٤)
تَقَرُّ قَرَارِ الشَّنْسِ مِمَّا وَرِائِنَا ^(٥)	وَقَدْ هَبَ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْبِ
يَقُومُ مُمْ كَانُوا الْمُلُوكَ هَدَيْتُهُم ^(٦)	بِظُلَمَاءَ لَمْ يُبْصِرْ بِهَا ضَوْءُ كَوْكَبِ
وَلَا قَمَرٍ إِلَّا ضَعِيلاً كَأَنَّهُ	سِوَارٌ حَنَاءُ صَائِفِ السُّورِ مُذْهَبِ

قال هشام : فأخبرني الحسن بن أبيان العُلميّ ، قال : بينا عبد الجبار
 ابن يزيد بن الربيعة يسري بهم فسقطتُ عمامةُ يزيد ، ففقدتها فقال :
 يا عبد الجبار ، ارجعْ فاطلبها لنا ، قال : إن مثلي لا يؤمّر بهذا ، فأعاد ؛
 فأبى ، فتناوكة بالسوط ، فانتسب له ، فاستحيا منه ، فذلك قوله :

ألا جعلَ اللهَ الأخلاءَ كلَّهُم فداءً على ما كان لابنِ المهلبِ

(١) ب : « وقد قال ابن » .

(٢) ب : « عزب » ، ر : « عرب » .

(٣) ب : « قمر فرار » .

(٤) ب : « ركاهم بالود » .

(٥) ب : « تأوَّب » .

(٦) ب : « يقوم من أبناء الملوك » .

وكتب الحجاج: إن آل المهلب خانوا مال الله وهرّبوا مني ولحقوا بسليمان، وكان آل المهلب قدّموا على سليمان، وقد أمر الناس أن يحصلوا ليسرّحوا إلى خراسان، لا يرون إلا أن يزيد توجه إلى خراسان ليقتن من بها. فلما بلغ الوليد مكانه عند سليمان هوّن عليه بعض ما كان في نفسه، وطار غضباً للمال الذي ذهب به. وكتب سليمان إلى الوليد: إن يزيد بن المهلب عندي وقد آمنته، وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف، كان الحجاج أغرمهم ستة آلاف ألف فأدوا ثلاثة آلاف ألف، وبقي ثلاثة آلاف ألف، فهي على. فكتب إليه: لا والله لا أؤتمنه حتى تبعث به إلى. فكتب إليه: لئن أنا بعثت به إليك لأجيتن معه، فأشذك الله أن تفضحنى ولا أن تخفرنى. فكتب إليه: والله لئن جئتني لا أؤتمنه. فقال يزيد: ابعتني إليه، فوالله ما أحب أن أوقع بينك وبينه^(١) عداوةً وحرباً، ولا أن يتشاءم بي لكما الناس، ابعث إليه بي^(٢)، وأرسل معي ابنك، واكتب إليه بالطف ما قدرت عليه. فأرسل ابنه أيوب معه. وكان الوليد أمره أن يبعث به إليه في وثاق، فبعث به إليه، وقال لابنه: إذا أردت أن تسخّل عليه فادخل أنت ويزيد في سلسلة ثم ادخلا جميعاً على الوليد، ففعل ذلك به حين انتهيا إلى الوليد، فلتخكلا عليه، فلما رأى الوليد ابن أخيه في سلسلة، قال: والله لقد بلغنا من سليمان! ثم إن الغلام دفع كتاب أبيه إلى عمه وقال: يا أمير المؤمنين، نفسي فداؤك! لا تخفر ذمة أبي، وأنت أحنّ من منعمها، ولا تقطع منا رجاء من رجاء السلامة في جوارنا لمكاننا منك، ولا تدل من رجاء العز في الانقطاع إلينا لعزنا بك. وقرأ الكتاب:

لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك. أما بعد يا أمير المؤمنين، فوالله إن كنت لأظن لو استجار بي علو قد نابذك وجهك فأنزلته وأجرته أنك لا تدل جاري، ولا تخفر جوارى، بله لم أجر إلا سامعاً مطيعاً حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته، وقد بعثت به إليك، فإن كنت إنما تغزو قطيعي والإخفار للمنى، والإبلاغ في مسامتي، فقد

قدرتَ إن أنت فعلت . وأنا أعيدُك بالله من احتداد^(١) قطيعتى ، وانتهاك حرمتى . وترك بى وصلى ، فوالله يا أمير المؤمنين ما تدبى ما بقاى وبقاؤك ، ولا متى يفترق الموت بينى وبينك ! فإن استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره ألا باقى علينا أجل الوفاة إلا وهو لى وأصل ، ولحقى مؤد ، وعن مساعى نازع ، فليكن فعل . والله يا أمير المؤمنين ما أصبحت بشىء من أمر الدنيا بعد تقوى الله فيها بأمر منى برضاك وسرورك . وإن رضاك مما ألتبس به رضوان الله ، فإن كنت يا أمير المؤمنين تريد يوماً من الدهر مسرعى وصلى وكرامتى وإعظام حقى فتجاوز لى عن يزيد ، وكل ما طلبته به فهو على .

١٢١٠/٢

فلما قرأ كتابه ، قال : لقد شققنا على سليمان ! ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه . وتكلم يزيد فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال :

يا أمير المؤمنين ، إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء ، فن يتس ذلك فلسنا ناسيه ، ومن يكفر فلسنا كافريه ، وقد كان من بلاتنا أهل البيت فى طاعتكم والظن فى أمين أعدائكم فى المواطن العظام فى المشارق والمغرب ما إن المنة علينا فيها عظيمة .

فقال له : اجلس ، فجلس فأمنه وكف عنه ، ورجع إلى سليمان وسعى لإخوته فى المال الذى عليه ، وكتب إلى الحجاج :

إنى لم أصيل إلى يزيد ، وأهل بيته مع سليمان ، فاكفف عنهم ، والله عن الكتاب لى فيهم .

فلما رأى ذلك الحجاج كف عنهم . وكان أبو عبيدة بن المهلب عند الحجاج عليه ألف ألف درهم ، فتركها له ، وكف عن حبيب بن المهلب . ورجع يزيد إلى سليمان بن عبد الملك فأقام عنده يعلمه الهيئة ، ويصنع له طيب الأطعمة ، ويهدي له^(٢) الهدايا العظام . وكان من أحسن الناس عنده منزلة ، وكان لا تأتى يزيد بن المهلب هدية إلا بعث بها إلى سليمان ، ولا تأتى سليمان هدية إلا فائدة إلا بعث بنصفها إلى يزيد بن المهلب ،

١٢١٦/٢

(١) الاحتداد = من الحرد ؛ وهو القصد ، وفى ابن خلكان ٢ : ٢٧٠ : « اختيار » .

(٢) ب = إليه .

وكان لا تُعجبه جاريةٌ إلا بعث بها إلى يزيدٍ إلا خطيئة الجارية . فبلغ ذلك الوليد بن عبد الملك ، فدعا الحارث بن مالك بن ربيعة الأشعري ، فقال : انطلق إلى سليمان فقل له : يا خالفةَ أهل بيته ، إن أمير المؤمنين قد بلغه ^(١) أنه لا تأتيك هدية ولا فائدةٌ إلا بعثت إلى يزيدٍ بنصفها ، وإنك تأتي الجارية من جواريك فلا يتنقى ^(٢) طهرها حتى تبعث بها إلى يزيد ، وقبَّح ذلك عليه ، وعيَّره به ، أترك مبعثاً ما أمرتك به ؟ قال : طاعتك طاعة ، وإنما أنا رسول ، قال : فإنه فقل له ذلك ، وأقيم عنده ، فإني باعث إليه بهدية فادفعها إليه ، وخُذْ منه البراءة بما تدفع إليه .

ثم أقبل فتصقَّى حتى قدَّم عليه وبين يديه المصحف ، وهو يقرأ ، فدخل عليه فسلم ، فلم يردَّ عليه السلام حتى فرغ من قراءته ، ثم رفع رأسه إليه فكلَّمه ^(٣) بكل شيء أمره به الوليد ، فتمعر وجهه ، ثم قال : أما والله لئن قدرت عليك يوماً من الدهر لأقطعن منك طابقاً ! فقال له : إنما كانت على الطاعة .

ثم خرج من عنده . فلما أتى بذلك الذي بعث به الوليد إلى سليمان ، دخل عليه ^(٤) الحارث بن ربيعة الأشعري وقال له : أعطيت البراءة بهذا الذي دفعت إليك ، فقال : كيف قلت لي ؟ قال : لا أعيده . علماً أبداً ^(٥) ، إنما كان على فيه الطاعة . فسكن ، وعلم أن قد صدقه الرجل ، ثم خرج وخرجوا معه ، فقال : خذوا نصف هذه الأعدال وهذه الأسفاط ^(٦) وابعثوا بها إلى يزيد ^(٧) .

قال : فعلم الرجل أنه لا يطيع في يزيدٍ أحداً ، ومكث يزيد بن المهلب عند سليمان تسعة أشهر .
وتوفي الحجاج سنة خمس وتسعين في رمضان لتسع بقين منه في يوم الجمعة .

(١) ب : «لأنه قد بلغ أمير المؤمنين» . (٢) ب : «يقضى» .

(٣) ب : «وكله» . (٤) ب : «وله» .

(٥) د : «إليك أبداً» . (٦) ب : «ونصف هذه الأسفاط» .

(٧) ب : «يزيد بن المهلب» .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها غزا فيها ذكر محمد بن عمرو وغيره — الصائفة عبد العزيز بن الوليد ،
وكان على الجيش مسلمة بن عبد الملك .

وفيها غزا أيضاً مسلمة الترك ، حتى بلغ الباب من ناحية أذربيجان ،
ففتح على يديه مدائن وحصون .

وفيها غزا موسى بن نصير الأندلس ، ففتح على يديه أيضاً مدائن
وحصون .

وفي هذه السنة قتل قتية بن مسلم نيزك طرخان .

١٢١٨/٢

[تتمة خبر قتية مع نيزك]

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد وقصة نيزك وظفر قتية به
حتى قتله . ولما قدم من كان قتية كتب إليه يأمره بالقدوم عليه من أهل
أبرشهر ويورّد ورنحس وهراة على قتية ، سار بالناس إلى مروّرد
واستخلف على الحرب حماد بن مسلم ، وعلى الخراج عبد الله بن الأهم .
ويلغ مرزبان مروّرد إقباله إلى بلاده ، فهرب إلى بلاد الفرس . وقدم
قتية مروّرد فأخذ ابنين له فقتلتهما وصلبهما ، ثم سار إلى الطالقان
فقام صاحبها ولم يحاربته ، فكف عنه ، وفيها لصوص ، فقتلهم قتية وصلبهم ،
واستعمل على الطالقان عمرو بن مسلم ، ومضى إلى القاريا ، فخرج إليه ملك
القاريا مدعياً مقرأ بطاعته ، فرضى عنه ، ولم يقتل بها أحداً ، واستعمل
عليها رجلاً من باهلة . ويلغ صاحب الخوزجان خبرهم ، فترك أرضه وخرج
إلى الجبال هارباً ، وصار قتية إلى الخوزجان فلقية أهلها سامعين مطيعين ،

قَتِيلَ مِنْهُمْ ، فَلَمْ يَقْتُلْ فِيهَا ^(١) أَحَدًا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا عَامِرَ بْنَ مَالِكِ الْحِمَاثِيَّ ، ثُمَّ أَتَى بَلَخَ فَلَقِيَهُ الْأَصْبَهَنِيُّ فِي أَهْلِ بَلَخَ ، فَدَخَلَهَا فَلَمْ يَقُمْ بِهَا إِلَّا يَوْمًا وَاحِدًا .

١٢١٩/٢ ثم مضى يَتَّبِعُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ حَتَّى أَتَى شَعْبَ خُلُمَ ، وَقَدْ مَضَى نِيزَكَ فَسَكَّرَ بَيْتَغْلَانَ ، وَخَلَفَ مُقَاتِلَةً عَلَى فِمْ الشَّعْبِ وَمَضَابِقَهُ بِمَعْنَاهُ ^(٢) ، وَوَضَعَ مُقَاتِلَةً فِي قَلْعَةِ حَصِينَةَ مِنْ وَرَاءِ الشَّعْبِ ، فَأَقَامَ قَتِيَّةً أَيَّامًا يِقَاتِلُهُمْ عَلَى مَضَابِقِ الشَّعْبِ لَا يَقْدِرُ مِنْهُمْ عَلَى شَيْءٍ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى دُخُولِهِ ، وَهُوَ مَضْيِقٌ ، الْوَادِي يَجْرِي وَسَطَهُ ، وَلَا يَعْرِفُ طَرِيقًا يُفْضِي بِهِ ^(٣) إِلَى نِيزَكَ إِلَّا الشَّعْبُ أَوْ مَفَازَةٌ لَا تَحْتَمِلُ السَّائِرَ ، فَبَقِيَ مُتَلَدِّدًا يَلْتَمِسُ الْحَيْلَ .

قال : فهو في ذلك إِذْ قَدِمَ عَلَيْهِ الرَّؤُوسُ خَانُ مَلِكِ الرَّؤُوسِ وَسِمِنْجَانُ ، فَاسْتَأْمَنَهُ عَلَى أَنْ يَدُلَّهُ عَلَى مَلْخَلِ الْقَلْعَةِ الَّتِي وَرَاءَ هَذَا الشَّعْبِ ، فَأَمَنَهُ قَتِيَّةً ، وَأَعْطَاهُ مَا سَأَلَ ، وَبَعَثَ مَعَهُ رَجُلًا لَيْلًا ، فَأَتَاهُ بِهِمْ إِلَى الْقَلْعَةِ الَّتِي مِنْ وَرَاءِ شَعْبِ خُلُمَ ، فَطَرَقُوهُمْ وَهُمْ آمِنُونَ فَفَتَكُوهُمْ ، وَهَرَبَ مِنْ بَقِيَّةِ مَنْهُمْ وَمَنْ كَانَ فِي الشَّعْبِ ، فَدَخَلَ قَتِيَّةً وَالنَّاسُ الشَّعْبُ ، فَأَتَى الْقَلْعَةَ ثُمَّ مَضَى إِلَى سِمِنْجَانٍ وَنِيزَكَ بَيْتَغْلَانَ بَعَيْنَ تَلْعَى فَتَنَجَّجَاهُ ، وَبَيْنَ سِمِنْجَانٍ وَبَيْتَغْلَانَ مَفَازَةٌ لَيْسَتْ بِالشَّدِيدَةِ

قال : فَأَقَامَ قَتِيَّةً بِسِمِنْجَانٍ أَيَّامًا ، ثُمَّ سَارَ نِيزَكَ ، وَقَدِمَ أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وَبَلَغَ نِيزَكَ فَارْتَحَلَ مِنْ مَنَزَلِهِ حَتَّى قَطَعَ وَادِي فَرَّغَانَةَ ، وَوَجَّهَ ثَبَلَةَ وَأُمُورَهُ إِلَى كَابُلِ شَاهٍ ، وَمَضَى حَتَّى نَزَلَ الْكَرْزَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُسْلِمٍ يَتَّبِعُهُ ، فَتَزَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَخَذَ بِمَضَابِقِ الْكَرْزِ ، وَنَزَلَ قَتِيَّةً أَسْكِمِشَتْ بَيْنَهُ ^(٤) وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَرَسَخَانٌ . فَتَحَرَّزَ نِيزَكَ فِي الْكَرْزِ وَلَيْسَ إِلَيْهِ مَسْلَكَ إِلَّا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ ، وَذَلِكَ الْوَجْهُ صَعْبٌ لَا تُطِيقُهُ الدَّوَابُّ ، فَحَصَرَهُ قَتِيَّةً شَهْرَيْنِ حَتَّى قَلَّ مَا فِي يَدِ نِيزَكَ مِنَ الطَّعَامِ ، وَأَصَابَهُمُ الْجُدْرَى وَجُدْرٌ جَبْغَوِيَّةٌ ، وَخَافَ قَتِيَّةَ الشِّتَاءِ ، فَدَعَا سُلَيْمًا النَّاصِحَ ، فَقَالَ : انْطَلِقْ إِلَى نِيزَكَ

(١) ب : «وَلَمْ يَقْتُلْ بِهَا» . (٢) و : «بِمَعْنَى» .

(٣) ب : «فِي» . (٤) ب : «وَبَيْنَهُ» .

واحسب^(١) لأن^(٢) تأتيته به بغير أمان ، فإن^(٣) أعيالك وأئتي فأمنه ، واعلم أني إن عاينتك وليس هو معك صلبتك ؛ فاعمل لنفسك . قال : فاكتب لي إلى عبد الرحمن لا يخالفني ؛ قال : نعم . فكتب له إلى عبد الرحمن فقدم عليه ، فقال له : ابعث رجلاً فليكونوا على فم الشعب ، فإذا خرجت أنا ونيزك فليعطفوا من ورائنا فيحولوا بيننا وبين الشعب . قال : فبعث عبد الرحمن خيلاً فكانوا حيث أمرهم سليم ، ومضى سليم وقد حمل معه من الأطعمة التي تبقى أياماً والأخبصة أوقاراً ، حتى أتى نيزك ، فقال له نيزك : خذلتني يا سليم ، قال : ما خذلتك ، ولكنك عصيتني وأسأت بنفسك ، خلعت وغدرت ، قال : فما الرأي ؟ قال : الرأي أن تلتيه فقد أمكنته^(٤) ، وليس يبارح موضعه هذا ، قد اعترم على أن يشتر بمكانه^(٥) ؛ هلك أو سلم ؛ قال : آتبه^(٦) على غير أمان ! قال : ما أظنه يؤمنك لما في قلبه عليك ، فإنك قد ملأته غيظك ، ولكني أرى ألا يعلم بك حتى تضع يدك في يده ، فإني أرجو إن فعلت ذلك أن يستحي ويعفو عنك ، قال : أترى ذلك^(٧) ؟ قال : نعم ؛ قال : إن نفسي لتأتى هذا ، وهو إن رآني قتلتني ، فقال له سليم : ما أتيتك إلا لأشير عليك بهذا ، ولو فعلت لرجوت أن تسلم وأن تعود^(٨) . حالك عنده إلى ما كانت ؛ فأما إذ أبيت فإني منصرف . قال : فنقدك^(٩) إذا ، قال : إني لأظنكم في شغل عن تهية الطعام ، ومعنا طعام كثير .

١٢٢١/٢

قال : ودعا سليم بالعنداء فجاءوا بطعام كثير لا عهد لهم بمثلته منذ حصروا ، فانتهبه الأتراك ، فغم ذلك نيزك ، وقال سليم : يا أبا الهيثم ، أنا لك من الناصحين ، أرى أصحابك قد جهلوا ، وإن طال بهم الحصار وأقمت على حالك لم آمنهم أن يستأمنوا بك ، فانطلي وأت قتيبة ، قال : ما كنت لأمنه على نفسي ، ولا آتبه على غير^(١٠) أمان ؛ فإن ظني به أنه

(١) الحاك : الغضب والمشارة .

(٢) ب : « آتته » .

(٣) ب : « آتته » .

(٤) ب : « ويعد » .

(٥) ب : « يهين » .

(٦) ب : « يهين » .

(٧) ب : « يهين » .

(٨) ب : « يهين » .

(٩) ب : « يهين » .

(١٠) ب : « يهين » .

قاتلي وإن آمنني ، ولكنّ الأمان أعذر لي وأرجى ، قال : فقد آمنك أفتتھمني ! قال : لا ، قال : فانطلق معي ، قال له أصحابه : اقبل قول سليم ، فلم يكن ليقول إلا حقاً ، فدعا بدويته وخرج مع سليم ، فلما انتهى إلى الدريجة التي يهبط منها إلى قرار الأرض قال : يا سليم ، من كان لا يعلم متى يموت فلاني أعلم متى أموت ، أموت إذا عاينت قتيبة ، قال : كلاً أيقتلُك مع الأمان ! فركب ومضى معه جيفويه - وقد برأ من الجندري- وصولُ وعثمانُ ابناً أخى نيزك- وصول طرّخان خليفة جيفويه ، وخنس طرخان صاحب شرطه ^(١) - قال : فلما خرج ^(٢) من الشعب عطفَت الخيلُ التي خلفها سليم على فوهة ^(٣) الشعب ، فحالوا بين الأتراك وبين الخروج ، فقال نيزك لسليم : هذا أول الشر ، قال : لا تفعل ، تخلف هؤلاء عنك خير لك . ١٢٢٢/٢

وأقبل سليم ونيزك ومن خرج معه حتى دخلوا على عبد الرحمن بن مسلم ، فأرسل رسولاً إلى قتيبة يعلمه ، فأرسل قتيبة عمرو بن أبي مِهْزَم إلى عبد الرحمن : أن اقدم بهم عليّ ، فقدم بهم عبد الرحمن عليه ، فحس أصحاب نيزك ، ودفع نيزك إلى ابن بسام اللثي ، وكتب إلى الحجاج يستأذنه في قتل نيزك ، فجعل ابن بسام نيزك في قبته ، وحفر حول القبة خندقاً ، ووضع عليه حرساً . ووجه قتيبة معاوية بن عامر بن علقمة العلبجي ، فاستخرج ما كان في الكُرُز من متاع ومن كان فيه ، وقدم به على قتيبة ، فحبسهم ينتظر كتاب الحجاج فيما كتب إليه ، فأتاه كتاب الحجاج بعد أربعين يوماً يأمره بقتل نيزك . قال : فدعا به فقال : هل لك عندي عقد أوعند عبد الرحمن أو عند سليم ؟ قال : لي عند سليم ، قال : كذبت ، وقام فدخل وردّ نيزك إلى حبسه ، فكث ثلاثة أيام لا يظهر للناس . قال : فقام ^(٤) المهباب ابن إياس العلوي ، وتكلم في أمر نيزك ، فقال بعضهم : ما يحلّ له أن يقتله ، وقال بعضهم : ما يحلّ له تركه ، وكثرت الأقاويل فيه .

(١) ب : « شرطه » . (٢) ب : « خرجوا » .

(٣) ب : « فم الشعب » . (٤) ب : « خرجوا » .

(٥) كذا في ر ، وفي ط : « قال » .

وخرج قتيبة اليوم الرابع فجلس وأذن للناس، فقال: ما ترون في قتل نيزك؟
 فاحتكموا، فقال قاتل: اقتله، وقال قاتل: أعطيته عهداً فلا تقتله،
 وقال قاتل: ما تأمنه^(١) على المسلمين. ودخل ضرار بن حصين الضبي فقال:
 ما تقول يا ضرار؟ قال: أقول: إلى سمعتك تقول: أعطيت الله عهداً إن
 أمكنتك منه أن تقتله، فإن لم^(٢) تفعل لا ينصرتك^(٣) الله عليه أبداً. فأطرق
 قتيبة طويلاً، ثم قال: والله لو لم يبق من أجلي إلا ثلاث كلمات لقلت:
 اقتلوه، اقتلوه، اقتلوه، وأرسل إلى نيزك فأمر بقتله وأصحابه^(٤) فقتل مع
 سبعمائة.

وأما الباهليون فيقولون: لم يؤمنه ولم يؤمنه سليم، فلما أراد قتله دعا به
 ودعا بسيف حنقي فانتضاه^(٥) وطول كميته^(٦) ثم ضرب عنقه بيده، وأمر
 عبد الرحمن فضرب عنق صول، وأمر صالحاً فقتل عثمان - ويقال:
 شقران ابن أخي نيزك - وقال لسكر بن حبيب السهمي من باهلة: هل
 بك قوة؟ قال: نعم، وأريد - وكانت في بكر أعرابية - فقال: دونك
 هؤلاء الدهاقين. قال: وكان إذا أتى برجل ضرب عنقه وقال: أوردوا
 ولا تصدروا، فكان من قتل يومئذ اثنا عشر ألفاً في قول الباهليين، وصلب
 نيزك وابني أخيه في أصل عين ثدعي وخش خاشان في أسكيمشت، فقال
 المغيرة بن حبان^(٧) يذكرك ذلك في كلمة له طويلة:

لَعَمْرِي لَنِعْمَتْ غَزْوَةُ الْجُنْدِ غَزْوَةٌ قَضَتْ نَجَبَهَا مِنْ نِيزِكٍ وَتَعَلَّتْ

قال علي: أخبرنا مصعب بن حيان، عن أبيه، قال: بعث قتيبة برأس
 نيزك مع محسن بن جزة الكلابي، وسوار بن زهدم الحرثي، فقال
 الحجاج: إن كان قتيبة لحقيقاً أن يبعث برأس نيزك مع وكند مسلم،
 فقال سوار:

(١) ب: «تأمنه» .

(٢) ب: «يفعل فلا ينصرك» .

(٣) ب: «فانتضى» .

(٤) ب: «تأمنه» .

(٥) ب: «تأمنه» .

(٦) ب: «تأمنه» .

(٧) ب: «تأمنه» .

أَقُولُ لِمَحْضَنٍ وَجَرَى صَنِيعُ
وَلَاخَرُ بَارِحٍ مِنْ عَنِّ يَمِينِي
وَقَدْ جَعَلْتُ بَوَائِقُ مِنْ أَمُورٍ
تَرْقَعُ حَوْلَهُ وَتُكَفِّ دُونِي
نَشَدْتُكَ هَلْ يَسُرُّكَ أَنْ سَرَجِي
وَسَرَجُكَ فَوْقَ أَبْغُلٍ بِأَذِينِي
قال : فقال مَحْضَنُ : نعم وبالصين .

قال علي : أَخْبَرَنَا حمزة بن إبراهيم وعلي بن مجاهد ، عن حَنْبَلِ بْنِ
أَبِي حَرِيلَةَ ، عن مَرْزَبَانَ قَهْشْتَانَ وَغَيْرِهِمَا ، أَنَّ قَتِيْبَةَ دَعَا يَوْمًا بَنِيْزَكَ
وَهُوَ مَحْبُوسٌ ، فَقَالَ : مَا رَأَيْتُكَ فِي السَّبِيلِ وَالشَّدَّ ؟ أَتَرَاهُمَا يَأْتِيَانِ إِنْ أُرْسِلْتُ
إِلَيْهِمَا ؟ قَالَ : لَا ؛ قَالَ : فَأَرْسَلْ إِلَيْهِمَا قَتِيْبَةَ فَقَدِمَا عَلَيْهِ ، وَدَعَا نِيْزَكَ
وَجَبْغُوِيَه فَتَخَحَّلَا ، فَلِذَا السَّبِيلِ وَالشَّدَّ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى كُرْسِيِّنِ ، فَمَجَلَسَا بِإِزَائِهِمَا ،
فَقَالَ الشَّدَّ لِقَتِيْبَةَ : إِنْ جَبْغُوِيَه — وَإِنْ كَانَ لِي عَدُوٌّ — فَهُوَ أَسَنُّ مِنِّي ، وَهُوَ
الْمَلِكُ وَأَنَا كَعَبْدِهِ ، فَأَذِنَ لِي أَدْنُ مِنْهُ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا مِنْهُ ، فَقَبَّلَ يَدَهُ
وَسَجَدَ لَهُ ، قَالَ : ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ فِي السَّبِيلِ ، فَأَذِنَ لَهُ فَدَنَا مِنْهُ فَقَبَّلَ يَدَهُ ، ١٢٢٥/٢
فَقَالَ نِيْزَكَ لِقَتِيْبَةَ : ائْتِنِي لِي أَدْنُ مِنَ الشَّدَّ ، فَلَمَّا مِنْهُ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا مِنْهُ
فَقَبَّلَ يَدَهُ ، ثُمَّ أَذِنَ قَتِيْبَةَ لِلْسَّبِيلِ وَالشَّدَّ^(١) فَانْصَرَفَا إِلَى بِلَادِهِمَا ، وَضَمَّ إِلَى
الشَّدَّ الْحِجَااجَ الْقَتِيْبِيَّ ، وَكَانَ مِنْ وَجْهِهِ أَهْلِي خُرَاسَانَ . وَقَتْلَ قَتِيْبَةَ نِيْزَكَ ، فَأَخَذَ
الزَّيْبُرَ مَوْلَى عَابِسِ الْبَاهِلِيِّ خُفْمًا لِنِيْزَكَ فِيهِ جَوْهَرٌ ، وَكَانَ أَكْثَرُ مَنْ فِي
بِلَادِهِ مَالًا وَعَقَارًا ، مِنْ ذَلِكَ الْجَوْهَرِ الَّذِي أَصَابَهُ فِي خُفْمِهِ . فَسَوَّغَهُ إِيَّاهُ قَتِيْبَةُ ؛
فَلَمْ يَتَرَكَ مُوسِرًا حَتَّى هَسَكَ بِكَابُلَ فِي وَلَايَةِ أَبِي دَاوُدَ .

قال : وَأُطْلِقَ قَتِيْبَةَ جَبْغُوِيَه وَمَنْ عَلَيْهِ ؛ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْوَلِيدِ ، فَلَمْ يَزَلْ
بِالشَّامِ حَتَّى مَاتَ الْوَلِيدُ . وَرَجَعَ قَتِيْبَةَ إِلَى مَرْوَ ، وَاسْتَعْمَلَ أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ
عَلَى بَلْخَشَ ، فَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ : غَدَرُ قَتِيْبَةَ بَنِيْزَكَ ، فَقَالَ ثَابِتُ قُطْنَةَ :

لَا تَحْشَبَنَّ الْعَدْرَ حَزْمًا فَرِيْمًا تَرْقَعُ بِهِ الْأَقْدَامُ يَوْمًا فَزَلَّتْ
وَقَالَ : وَكَانَ الْحِجَااجُ يَقُولُ : بَعَثْتُ قَتِيْبَةَ فَتَى غِيْرًا ، فَأَزْدَتْهُ ذِرَاعًا إِلَّا

زادني باعاً .

قال عليّ : أخبرنا حمزة بن إبراهيم ، عن أشياخ من أهل خراسان ، وعلى بن مجاهد ، عن حنبل بن أبي حريصة ، عن مرزبان قهستان وغيرهما ، أن قتيبة بن مسلم لما رجع إلى مرو وقتل نيزك طلب ملك الجوزجان - وكان قد هرب عن بلاده - فأرسل يطلب الأمان ، فأمنه على أن يأتيه فيصالحه ، فطلب رهناً يكونون في يديه ويعطي رهائن ، فأعطى قتيبة حبيب بن عبد الله بن عمرو بن حصين الباهلي ، وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته ، فسخط ملك الجوزجان حبيباً بالجوزجان في بعض حصونه ، وقدم على قتيبة فصالحه ، ثم رجع فات بالطالقان . فقال أهل الجوزجان : سموه ، فقتلوا حبيباً ، وقتل قتيبة الرهّن الذين كانوا عنده ، فقال نهار بن تومعة لقتيبة :

١٢٢٦/٢

أراك الله في الأتراك حكماً كحكمكم في قرينة والنصير
قضاء من قتيبة غير جور به يشفى الغليل من الصدور
فلان ير نيزك خزيًا ودلاً فكم في الحرب حق من أمير
وقال المغيرة بن حبيشة يمدح قتيبة ويذكر قتل نيزك ووصول ابن
أخى نيزك وعثمان - أو شقران :

لَمَن الدِّيارُ حَتَّى بَسَفَحَ مَهَامَ لَا بَقِيَّةَ أَبْصَرِ وَثَمَامَ
عَصَفَ الرِّياحُ ذُبُولَهَا فَمَحَوْنَهَا وَجَرَيْنَ فَوْقَ عِرَاصِهَا بَقَامَ
دَارَ لِجَارِيَةٍ كَأَنَّ رُضَابَهَا مِسْكُ يُشَابِهُ مَزَاجَهُ بِمَدَامَ
أَبْلَغَ أَبَا حَضِرٍ قُتَيْبَةَ مِلْحَتِي وَاقْرَأْ عَلَيْهِ نَجِيَّتِي وَسَلَامِي
يَا سَيْفُ أَبْلَغْهَا فَلَا تَنَاعَمَا حَسَنُ وَإِنَّكَ شَاهِدُ لِقَائِي
يَسْمُو فَتَضِعُ الرِّجَالُ إِذَا يَلَمَّا لِقَتَيْبَةَ الْحَايِ حَمَى الْإِسْلَامَ

لَا غَرْ مُتَجِبٍ لِكُلِّ عَظِيمَةٍ نَحْرُ يَبَاحٍ بِهِ الْعُلُوُّ لِهَامٍ^(١)
 مَضَى إِذَا هَابَ الْجَبَانُ وَأَحْمَشَتْ^(٢) حَرْبٌ تَسْعُرُ نَارُهَا بِضَمَامٍ
 تُرَوَّى الْقَنَاءُ مَعَ اللَّوَاءِ أَمَامِهِ نَحْتَ اللَّوَامِعِ وَالتَّحَوُّرُ دَوَامٍ^(٣)
 وَالِهَامُ تَفْرِيدُ السُّيُوفِ كَأَنَّهُ بِالْقَاعِ حِينَ تَرَاهُ قَيْضُ نَعَامٍ^(٤)
 وَتَرَى الْجِيَادَ مَعَ الْجِيَادِ ضَوَامِرًا بِفَنَائِهِ لِحَوَادِثِ الْأَيَّامِ
 وَهِنَّ أَنْزَلَ نِيزَكًا مِنْ شَاهِقِ وَالْكَرْزِ حَيْثُ يَرُومُ كُلُّ مَرَامِ
 وَأَخَاهُ شَقْرَانًا سَقَيْتَ بِكَأْسِهِ^(٥) وَسَقَيْتَ كَأْسَهُمَا أَخَا بَادَامِ
 وَتَرَكْتَ صَوْلًا حِينَ صَالَ مُجَدَّلًا يَرْكَبْنُهُ بِلَوَابِرِ وَحَوَامِ

* * *

(خبر غزو قتيبة شومان وكس ونسف)

وفي هذه السنة - أعني سنة إحدى وتسعين - غزا قتيبة شومان وكس ونسف غزواته الثانية وصالح طرخان^(٦).

* ذكر الخبر عن ذلك :

قال علي : أخبرنا بشر بن عيسى عن أبي صفوان ، وأبو السري وجبلة بن فروخ عن سليمان بن مجالد ، والحسن بن رشيد عن طمیل بن مِرْدَاسِ العَمِي ، وأبو السري المَرْوَزِي عن عمه ، وبشر بن عيسى وعلي ابن مجاهد ، عن حنبل بن أبي حريدة عن مَرْزُبَانِ قِيْهُسْتَانَ ، وعِيَّاشِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْغَسَوِيِّ ، عن أشياخ من أهل خُرَّاسَانَ ، قال : وجدت في ظفري - كلُّ قَدْ ذَكَرْتُ شَيْئًا ، فألفته ، وأدخلت من حديث بعضهم في حديث بعض - أن فيلسنشب باذق - وقال بعضهم : قيسبشتان^(٧) ملك شومان - طرد عامل قتيبة ومنع القديّة التي صالح عليها قتيبة ، فبعث إليه قتيبة عِيَّاشًا الْغَسَوِيَّ ومعه رجلٌ من نُسَّاكِ أَهْلِ خُرَّاسَانَ يدعون مَلِكِ شومان إلى أن يؤدى القديّة

(٢) ب : « وأحمت » .

(٤) ر : « ييض نعام » .

(٦) ط : « طرخان » .

(١) النحر : المائل الحربي .

(٣) ب : « دواي » .

(٥) ر : « وأخوه شقرانا سقيت » .

(٧) ط : « قيسبشتان » .

على ما صالح عليه قُتَيْبَة ، فَقَدِمَا الْبَلَدَ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهَا فَرَمَوْهَا ، فَانصَرَفَ الرَّجُلُ وَأَقَامَ عِيَاشُ الْغَنَوَى فَقَالَ : أَمَا هَاهُنَا مُسْلِمٌ ! فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ : أَنَا مُسْلِمٌ ، فَمَا تَرِيدُ ؟ قَالَ : تُعِينُنِي عَلَى جِهَادِهِمْ ، قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ لَهُ عِيَاشُ : كُنْ خَلْقِي لَتَمْنَعَ لِي ظَهْرِي ، فَقَامَ خَلْفَهُ - وَكَانَ اسْمُ الرَّجُلِ الْمُهَلَّبُ - فَقَاتَلَهُمْ عِيَاشُ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ ، فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ ، وَحَمَلَ الْمُهَلَّبُ عَلَى عِيَاشٍ مِنْ خَلْفِهِ فَقَتَلَهُ ، فَوَجَدُوا بِهِ سِتِينَ جِرَاحَةً ، فَغَمَّهُمْ قَتْلُهُ ، وَقَالُوا : قَتَلْنَا رَجُلًا شَجَاعًا .

وَبَلَغَ قُتَيْبَةُ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ ، وَأَخَذَ^(١) طَرِيقَ بَلَخْ ، فَلَمَّا أَتَاهَا قَدِمَ أَخَاهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى بَلَخْ عَمْرُو بْنُ مُسْلِمٍ ، وَكَانَ مَلِكُ شُومَانَ صَدِيقًا لِمُصَالِحِ بْنِ مُسْلِمٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُصَالِحٌ رَجُلًا بِأَمْرِهِ بِالطَّاعَةِ ، وَيَتَضَمَّنُ لَهُ رِضًا قُتَيْبَةَ إِنْ رَجَعَ إِلَى الصَّلَاحِ ، فَأَبَى وَقَالَ لِرَسُولِ مُصَالِحٍ : مَا تَخَوَّفَنِي بِهِ مِنْ قُتَيْبَةَ ، وَأَنَا أَسْعُ الْمُلُوكَ حَصْنًا أَرْمِي أَهْلَاهُ ، وَأَنَا أَشَدُّ النَّاسِ قُوَّةً وَأَشَدُّ النَّاسِ رِمَا^(٢) ، فَلَا تَبْلُغْ نَشَابَتِي نِصْفَ حِصْنِي ، فَمَا أَخَافُ مِنْ قُتَيْبَةَ ! فَضَى قُتَيْبَةَ مِنْ بَلَخْ فَعَبَّرَ النَّهْرَ ، ثُمَّ أَتَى شُومَانَ وَقَدْ تَحَصَّنَ مَلِكُهَا فَوَضَعَ عَلَيْهِ الْحِجَانِيْقَ ، وَرَمَى حَصْنَهُ فَتَهَشَّمَهُ ، فَلَمَّا خَافَ أَنْ يَظْهَرَ عَلَيْهِ ، وَرَأَى مَا نَزَلَ بِهِ جَمَعَ مَا كَانَ لَهُ مِنْ مَالٍ وَجَوَّهَرَ فَرَمَى بِهِ فِي عَيْتِنِ فِي وَسْطِ الْقَلْعَةِ لَا يَدْرِكُ قَعْرَهَا .

قَالَ : ثُمَّ فَتَحَ الْقَلْعَةَ وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَاتَلَهُمْ فَقُتِلَ ، وَأَخَذَ قُتَيْبَةُ الْقَلْعَةَ عَنُوةً ، فَقَتَلَ الْمُقَاتِلَةَ وَصَّى اللُّرْيَةَ^(٣) ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَابِ الْحَدِيدِ فَأُجَازَ مِنْهُ إِلَى كَيْسٍ وَنَسَفَ ، وَكَتَبَ^(٤) إِلَيْهِ الْحِجَاجَ ، أَنْ كَسَّ بِكَسٍّ وَأَنْسَفَ نَسَفَ^(٥) ، وَإِيَّاكَ وَالتَّحْوِيطَ . فَفَتَحَ كَيْسٌ وَنَسَفَ ، وَامْتَنَعَ عَلَيْهِ فِرْيَابُ^(٦) فَحَرَقَهَا فَسَمِيَتْ الْمُحَرَّقَةُ . وَسَرَحَ قُتَيْبَةَ مِنْ كَيْسٍ وَنَسَفَ أَخَاهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُسْلِمٍ إِلَى السُّقْدِ^(٧) ، إِلَى طَرِخُونٍ ، فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ بِمَرْجٍ قَرِيبًا مِنْهُمْ ، وَذَلِكَ فِي وَقْتِ

١٢٢٩/٢

(٢) كَذَا فِي ب ، وَفِي ط : « أَشَدَّ » .

(٤) ب : « فَكَتَبَ » .

(٦) ب : « قَرِيَّاتِ » .

(١) ب : « فَأَخَذَ » .

(٣) ب : « مِنْ قِيَا » .

(٥) ب : « نَسَفَا » .

(٧) ب : « وَالسُّقْدِ » .

العَصْر ، فانتَبَذَ الناسُ وشَرَبُوا حتى عبثوا وعاثُوا وأفسدوا ، فأمر عبدُ الرحمن أبا مريضَةٍ - مولًى لهم - أن يَمْنَعَ الناسَ من شُرْبِ العَصِير ، فكان يضربهم ويكسر آنيةَهم ويصَبُّ نبيذَهم ، فسال في الوادي ، فسُمِّي مَرَجَ النَبِيذ ، فقال بعضُ شعرائهم :

أما النَّبِيذُ فلستُ أَشْرَبُهُ أَخشى أبا مريضَةَ الكَلْبِ
مُتَعَسِّفاً يَنْعَى بِشِكْوِهِ يَتَوَكَّبُ الجِيْطَانُ للشُّرْبِ

فَقَبَضَ عبدُ الرحمن من طرخون شيئاً كان قد صالَحَه عليه قُتَيْبَة ، ودفع إليه رَهْناً كانوا معه ، وانصرف عبدُ الرحمن إلى قُتَيْبَة وهو ببُخَارَى ، فرجعوا إلى مَرَوْ ، فقالت السُّغْد لطرخون : إنك قد رَضِيتَ بالذلِّ واستطِيتَ^(١) الجزية ، وأنت شيخٌ كبير فلا حاجةَ لنا بك^(٢) . قال : فولُّوا من أَحْبَبِّكُمْ . قال : فولُّوا غَوَزَكَ^(٣) ، وحَبَسُوا طرخون ؛ فقال طرخون : ليس بعد سَكَبِ المُلْكِ إلا القتل ، فيكون ذلك يَبْدُو أَحَبَّ إِلَيَّ من أن يلبَّيه مني غيري ، فاتكأ على سيفه حتى خرج من ظَهْرِهِ . قال : وإنما صنعوا بطرخون ١٢٣٠/٢ هذا^(٤) حين خرج قُتَيْبَة إلى سِجِسْتَان وولوا غوزك .

وأما الباهليون فيقولون : حَصَرَ قُتَيْبَة ملكُ شومان ، ووَضَعَ على قَلْعَتِهِ للسَّجَانِيْق ، ووَضَعَ منجنيقاً كان يسميها الفَحْجَاء ، فرمَى بأوَّل حَجَرٍ فأصاب الحائط ، ورمى بآخر فوقع في المدينة ، ثم تناهت الحجارةُ في المدينة فوقَّع حَجَرٌ منها في مجلسِ الملك ، فأصاب رجلاً قَتَلْتَهُ ، ففتح القلعة عَنَوةً ، ثم رجع إلى كَسٍّ ونَسَفَ ، ثم مضى إلى بُخَارَى فَنَزَلَ قريةً فيها بيتُ نار وبيتُ آلهة ، وكان فيها طَواويس ، فسمَّوه مَنَزَل الطَّواوِيس ، ثم سار إلى طرخون بالسُّغْد ليقبِضَ منه ما كان صالَحَه عليه ، فلما أَشْرَفَ على وادي السُّغْد فرأى حُسْنَهُ تَمَثَّلَ :

(١) ر : « وأعليت » . (٢) ب : « فيك » .

(٣) ويقال . « غوزك » . (٤) ب : « هلا بطرخون » .

وَأَمَّ خَصِيبٌ عَشِيبٌ ظَلَّ بِمَنْعَةٍ مِنَ الْإِنْسِ حَذَارُ الْيَوْمِ ذِي الرَّهَجِ ^(١)
 وَرَدَّتُهُ بَعْنَانِيحٌ مُسَوِّمَةٌ يَرْدِينَ بِالشُّعْثِ سَفَاكِينَ لِلشُّهَجِ ^(٢)
 قال : فقبض من طرخون صلحه ، ثم رجع إلى بخارى فلكك بخارى
 خلداه غلاماً حداثاً ، وقتل من خاف أن يضاده ، ثم أخذ على أمل
 ثم أتى مرو .

قال : وذكر الباهليون عن بشار بن عمرو ، عن رجل من باهلية ، قال :
 لم يفرغ الناس من ضرب أبينتهم حتى افتتحت القلعة .

[ولاية خالد بن عبد الله القسري على مكة]

وفي هذه السنة ولّى الوليد بن عبد الملك مكة خالد بن عبد الله القسري
 فلم يزل والياً عليها إلى أن مات الوليد . فذكر محمد بن عمر الواقدي أن إسماعيل
 بن إبراهيم بن عتبة حدثه عن نافع مولى بني مخزوم ، قال : سمعت
 خالد بن عبد الله يقول :

١٢٣١/٢

يأتيها الناس ، إنكم بأعظم بلاد الله حرمة ، وهي التي اختار الله من
 البلدان ، فوضع بها بيته ، ثم كتب على عباده حجة من استطاع إليه
 سبيلاً . أيها الناس ، فعليكم بالطاعة ، ولزوم الجماعة ، وإياكم والشبهات ،
 فإني والله ما أوتى بأحد يطعن على إمامه إلا صلبته في الحرم . إن الله
 جعل الخلافة منه بالموضع الذي جعلها ، فسلموا وأطيعوا ، ولا تقولوا كيت
 وكيت . إنه لا رأى فيما كتب به الخليفة أو رآه إلا إمضاه ، واعلموا أنه
 يلغى أن قوماً من أهل الخلاف يقدمون عليكم ، ويقيرون في بلادكم ، فإياكم
 أن تتزلوا أحداً ممن تعلمون أنه زائف عن الجماعة ، فإني لا أجد أحداً منهم
 في منزل أحد منكم إلا هدمت منزله ^(٣) ، فانظروا من تتزلون في منازلكم ،
 وعليكم بالجماعة والطاعة ، فإن الفرقة هي البلاء العظيم .

قال محمد بن عمرو : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن مومي بن عتبة

(١) ب : « الموت والرهج » . (٢) المناجيج : جمع منجوج ؛ وهي التحيل النجبية .

(٣) ب : « هدمته » .

عن أبي حنيفة ، قال : اعتمرتُ فترلتُ دورَ بني أسدٍ في منازل الزبير ، فلم أشعر إلا به يدعوني ، فدخلت عليه ، فقال : من أنت ؟ قلت : من أهل المدينة ؛ قال : ما أنزلك ^(١) في منازل المخاليف للطاعة ! قلت : إنما مضى إن أقمت يوماً أو بعضه ، ثم أرجع إلى منزلي وليس عندي خلاف ، أنا ممن يُعظم أمر الخلافة ، وأزعم أن من جحدتها فقد هلك . قال : فلا عليك ^{٢/٢٢٢} . ما أقمت ، إنما يسكره ^(٢) ، أن يُقيمَ مَنْ كان زارياً على الخليفة ، قلت : معاذ الله !

ومعته يوماً يقول : والله لو أعلم أن هذه الوحش التي تأمن في الحرم لو نطقت لم تغير بالطاعة لأخرجتها من الحرم . إنه لا يسكن حرم الله وأمنه مخالف للجماعة ، زار عليهم . قلت : وفق الله الأمير .

* * *

وحيّ بالناس في هذه السنة الوليدُ بن عبد الملك ، حدثني أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : حجّ الوليد بن عبد الملك سنة إحدى وتسعين .

وكذلك قال محمد بن عمر : حدثني موسى بن أبي بكر ، قال : حدثنا صالح بن كيسان ، قال : لما حضر قديم الوليد أمر عمر بن عبد العزيز عشرين رجلاً من قريش يخرجون معه ، فيلقون الوليد بن عبد الملك ، منهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الحارث بن هشام ، وأخوه محمد بن عبد الرحمن ، وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فخرجوا حتى بكتوا السويداء ، وهم مع عمر بن عبد العزيز - وفي الناس يومئذ دوابٌ وخيلٌ - فلقوا الوليد وهو على ظهره ، فقال لهم الحاجب : انزلوا لأمير المؤمنين ، فتركوها ، ثم أمرهم فركبوا ، فدعا بعمر بن عبد العزيز فسايره حتى نزل بذي خُشب ، ثم أحضره ، فدعاهم رجلاً رجلاً ، فسلموا عليه ، ودعا ^(٣) بالغداء ، فتغدوا عنده ، وراح من ذي خُشب ، فلما دخل المدينة غدا إلى المسجد ينظر إلى بنائه ، فأخرج الناس منه ، فأتراك

(١) ب : « ما أنزلك » .

(٢) ر : « نكره » .

(٣) ب : « ثم دعا » .

١٢٣٣/٢

فيه أحدٌ، وبقى معيد بنُ المسيَّب ما يجترئُ أحدٌ من الكُرمس^(١) أن يخرجهُ ، وما عليه إلا رِيْطَتَانِ ما تساويان إلا خمسةَ دراهمٍ في مُصْلاهُ ، فقيل له : لو قمْتَ ! قال : والله لا أقومُ حتَّى يأتِيَ الوقتُ الذي كنتُ أقومُ فيه . قيل : فلو سلَّمْتَ على أمير المؤمنين ! قال : والله لا أقومُ إليه . قال عمرُ بنُ عبد العزيز : فجعلتُ أعدلُ بالوليد في ناحية المسجد رجاءَ ألا يرى سعيداً حتَّى يقومَ ، فحانت من الوليد نظرةٌ إلى القبلة ، فقال : مَنْ ذلك الجالس ؟ أهو الشيخ سعيدُ بنُ المسيَّب ؟ فجعل عمرُ يقول : نَعَمْ يا أمير المؤمنين ومن حاله ومن حاله ... ولو علم بمكانك لقامَ فسَلَّمَ عليك ، وهو ضعيفُ البَصَرِ . قال الوليد : قد علمتُ حاله ، ونحن نأتيه فنسلمُ عليه ، فلما في المسجد حتَّى وقَفَ على القبرِ ، ثمَّ أقبل حتَّى وقف على سعيد فقال : كيف أنت أيها الشيخ ؟ فوالله ما تحرَّك سعيد ولا قام ، فقال : بخير والحمد لله ، فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله ؟ قال الوليد : خير والحمد لله . فانصرف وهو يقول لعمر : هذا بقيَّةُ الناس ، فقلت : أجل يا أمير المؤمنين .

قال : وقسَّم الوليد بالمدينة رقيقاً كثيراً عجباً بين الناس ، وآنيةً من ذهب وفضَّة ، وأموالاً وخطبَ بالمدينة في الجمعة وصلَّى بهم .

قال محمد بنُ عمر : وحدَّثني إسحاقُ بن يحيى ، قال : رأيتُ الوليد يخطبُ على منبرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الجمعة عامَ حجٍّ ، قد صَفَّ له جنْدُهُ صُفَّين من المنبر إلى جدار مؤخر المسجد ، في أيديهم الجِرَزَةُ ومُحمَّد الحديد على العواتق ، فرأيتُهُ طلَّح في دُرَاعَةٍ وقلَّ شِسْوَةٍ ، ما عليه رداء ، فصعد المنبرَ ، فلما صعد سلمَ ثمَّ جلس فأذن^(٢) المؤذنون ، ثمَّ سكتوا ، فخطبَ الخطبةَ الأولى وهو جالس ، ثمَّ قام فخطبَ الثانية قائماً ، قال إسحاق : فليقتُ رجاءَ بن حسيوة وهو معه ، فقلتُ : هكذا يصنعون^(٣) ! قال : نَعَمْ ، وهكذا صنع معاوية فهل جَرَأُ ، قلتُ : أفلا تكلِّمهُ ؟ قال : أخبرتني قبيصةُ بن ذؤيب أنه كلمَ عبد الملك بن مروان

١٢٣٤/٢

(٢) ب : « وجلس وأذن » .

(١) ر : « الناس » .

(٣) ابن الأثير : « تصنعون » .

فَأَبَى أَنْ يَفْعَلَ ، وَقَالَ : هَكَذَا خَطَبَ عُمَانُ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ مَا خَطَبَ هَكَذَا ، مَا خَطَبَ عُمَانُ إِلَّا قَائِمًا . قَالَ رَجَاءُ : رَوَى لَمْ هَكَذَا فَأَخْلَوْا بِهِ . قَالَ إِسْحَاقُ : لَمْ نَرِ مِنْهُمْ أَحَدًا أَشَدَّ تَجَبُّرًا مِنْهُ .

قال محمد بن عمر : وَقَدِمَ بِطِيبِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَجْمَرِهِ وَبِكِسْوَةِ الْكَعْبَةِ فَنُشِرَتْ وَعُلِقَتْ عَلَى جِبَالِ فِي الْمَسْجِدِ مِنْ دِيبَاجٍ حَسَنٍ لَمْ يَرِ مِثْلُهُ قَطً ، فَنَشَرَهَا يَوْمًا وَطُوى^(١) وَرَفَعَ .
قال : وَأَقَامَ الْحَجَّ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ .

وكانت عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عامليها في سنة تسعين ، غير مكة فإن عاملها كان في هذه السنة خالد بن عبد الله القسري في قول الواقدي .

وقال غيره : كانت ولاية مكة في هذه السنة أيضًا إلى عمر بن عبد العزيز .

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

ففي ذلك غزوة مسلمة بن عبد الملك وعمر بن الوليد أرض الروم ،
ففتيح على يدي مسلمة حصون ثلاثة ، وجلا أهل موصنة إلى جوف
أرض الروم .

* * *

[فتح الأندلس]

وفيه غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الأندلس في اثني
عشر ألفاً ، فلقى ملك الأندلس - زعم الواقدي أنه يقال له أدرينوق ، وكان
رجلاً من أهل أصبهان ، قال : وهم ملوك عجم الأندلس - فزحف
له طارق بجميع من معه ، فزحف الأدرينوق في سرير الملك ، وعلى
الأدرينوق تاجه وقرطبه وجميع الحلية التي كان يلبسها الملوك ،
فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل الله الأدرينوق ، وفتح الأندلس سنة
اثنتين وتسعين .

* * *

وفيه غزا - فيما زعم بعض أهل السير - قتيبة مسجستان يريد ربيعة
الأعظم والزابل ، فلما نزل مسجستان تلقته ربيعة ربيعة بالصلح ،
فقبل ذلك وانصرف ، واستعمل عليهم عبد ربه بن عبد الله بن عتبة
الليثي .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة ، كذلك
حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكنك قال الواقدي وغيره .

وكان عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

فما كان فيها من ذلك غزوة العباس بن الوليد أرض الروم ، ففتح الله على يديه سمسطية .

وفيهما كانت أيضاً غزوة مروان بن الوليد الروم ، فبلغ خنجرية .
وفيهما كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ، فافتتح ماسة
وحصن الحديد وغزالة وبرجمة من ناحية مكطية .

* * *

[صلح قتيبة ملك خوارزم شاه وفتح خام جرد]

وفيهما قتل قتيبة ملك خام جرد ، وصالح ملك خوارزم صلحاً مجدداً .
* ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه :

ذكر علي بن محمد أن أبا الذيال أخبره عن المهلب بن إياس
والحسن بن رشيد ، عن طقميل بن مرداس العمي وعلي بن مجاهد ، عن حنبل
ابن أبي حريذة ، عن مرزبان قهستان وکلب بن خلكف والباهلين
وغيرهم — وقد ذكر بعضهم ما لم يذكر بعض فالفته — أن ملك خوارزم
كان ضعيفاً ، فغلبه أخوه خورزاد على أمره — وخورزاد أصغر منه — فكان إذا
بلكه أن عند أحد من هو منقطع إلى الملك جارية أو دابة أو متاعاً فآخرأ
أرسل فأخذه ، أو بلكه أن لأحد منهم بنتاً أو اختاً أو امرأة جميلة أرسل
إليه ففصله ، وأخذ ما شاء ، وجس ما شاء ، لا يتمتع عليه أحد ، ولا يتمتع
الملك ، فلذا قيل له ، قال : لا أقوى عليه ، وقد ملأه مع هذا غيظاً ، فلما
طال ذلك منه عليه كتب إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه يريد أن يسلمها إليه ،
وبعث إليه بمفاتيح ملائن خوارزم ، ثلاثة مفاتيح من ذهب ، واشترط عليه أن
يسدق إليه أخاه وكل من كان بضاده ، يحكم فيه بما يرى . وبعث في
ذلك رسلاً ، ولم يطلع أحداً من مرزبته ولا دهاقينه على ما كتب به

إلى قتيبة ، فقدَمتْ رملته على قتيبة في آخر الشتاء وقت الغزو ، وقد تهيأ للغزو ، فأظهر قتيبة أنه يريد السغد ، ورجع رُسُل خوارزم شاه إليه بما يُحب من قبَل قتيبة ، وبار واستخلف على مَرَوْ ثابِتاً الأَعْوَر مولى مُسلم . قال : فمَجِّعَ ملوكه وأحبارَه ودهاقينه فقال : إن قتيبة يريدُ السغد ، وليس بِغازيكم ، فهلْ نتنعم في ربيعنا هذا . فأقبلوا ^(١) على الشرب ^(٢) ، والتنعم ، وأمنوا عند أنفسهم الغزو .

١٢٣٨/٢

قال : فلم يشعروا حتى نزل قتيبة في هَرَارَسَب دُون النهر ، فقال خُوَارَزْم شاه لأصحابه : ما تَرَوْنَ ؟ قالوا : نَرَى أنْ نقاتله ^(٣) ، قال : لكني لا أرى ذلك ، قد عجز عنه من هو أقوى منا وأشدَّ شوكةً ، ولكني أرى أن نصرفه بشيء نوذيه إليه ، فنصرفه عامناً ^(٤) هذا ، ونرى رأينا . قالوا : ورأينا رأيك . فأقبل خُوَارَزْم شاه فنزل في مدينة الفيل من وراء النهر . قال : ومدائن خوارزم شاه ثلاث مدائن بطيف بها فأرقين واحد ، فمدينة الفيل أحصن ، فترها خوارزم شاه — وقتيبة في هزاسب دُون النهر لم يعبره بينه وبين خوارزم شاه نهر بلخ — فصالحه على عشرة آلاف رأس ، وعين ومَتَاع ، وعلى أن يُعيّنه على ملك خام جرد ، وأن يتوّ له بما كَتَبَ إليه ، فقبل ذلك منه قتيبة ، ووفّى له . وبعث قتيبة أخاه إلى ملك خام جرد ، وكان يُعادي خوارزم شاه ، فقاتله ، فقتله عبدُ الرحمن ، وغلب على أرضه وقَدِمَ منهم على قتيبة بأربعة آلاف أسير ، فقتلهم ، وأمر قتيبة لما جاءه بهم ^(٥) عبد الرحمن بسريره فأخرج وبرز للناس . قال : وأمر بقتل الأسرى فقتل بين يديه ألف وعن يمينه ألف وعن يساره ألف وخكف ظهروه ألف . قال : قال المهلب بن أبياس : أخذت يومئذ سيوف الأشراف فضربت بها الأعناق ، فكان فيها ما لا يقطع ولا يسرح ، فأخذوا سيوفهم فلم يضرب به شيء إلا أبانه ، فحسبني بعض آل قتيبة ، فغز الذي يضرب أن أصفح به ، فصفح به قليلاً ، فوقع في ضرر المقتول فشكاه . قال أبو الذّبال : والسيف عندي . قال : ودفع قتيبة إلى خوارزم شاه أخاه

١٢٣٩/٢

(١) ب : « فحملوا » . (٢) ر : « الشراب » . (٣) ب : « نقاتل » .
(٤) ب : « علمنا » . (٥) كذا في ب ، وفي ط : « لما جاءهم أخاه عبد الرحمن » .

ومن كان يخالفه فقتلهم ، واصطلمى أموالهم فبعث بها إلى قتيبة ،
ودخل قتيبة مدينة فيل ، فقبل من خوارزم شاه ما صالحه عليه ، ثم رجع
إلى هراسب . وقال كعب الأشقرى :

رَمَتَكَ فِيلٌ بما فيها وما ظَلَمْتَ ورأى ما قبلك الفَجْجَاجَةُ الصِّلِفُ^(١)
لا يُجْزِي الشُّغْرَ خَوَارُ القَنَاةِ وَلَا هَشُّ المَكَايِرِ والقَلْبُ الذى يَجِفُّ
هل تَذْكُرُونَ ليالى التُّرْكِ تَقْتُلُهُمْ ما دون كازَه والقَجْجَاجُ مُلْتَجِفٌ
لم يَرْكَبُوا الخيلَ إلا بعد ما كبروا فهُمْ يُقَالُ على أَكْبَافِهَا عُنْفٌ
أنتم شبَّاس ومرداذان محقر وبِسُخْرَاءِ قُبُورٍ حَشَوَهَا القَلْفُ^(٢) ١٢٤٠/٢
إني رأيتُ أبا حفص تَفْضِلُهُ أَيامُهُ وَمَسَاعِي النَّاسِ تَخْتَلِفُ
قنيس صريح وبعض الناس يَجْمَعُهُمْ قُرَى وريف فمَنسُوبٌ ومُقْتَرَفٌ
لو كنت طَاوَعْتَ أَهْلَ العِزِّ ما اقْتَسَمُوا سَبْعِينَ أَلْفًا وَعِزُّ السُّغْدِ مُوْتَنِفٌ
وفى سمرقندَ أُخْرَى أنت قايِسُهَا لئن تَأَخَّرَ عن حِوْبَائِكَ التَّلْفُ
ما قَدَّمَ النَّاسُ من خيرٍ سَبَقَتْ به ولا يَفُوتُكَ مما خَلَفُوا شُرْفُ
قال : أنشدنى على بن مجاهد :

* رَمَتَكَ فِيلٌ بما دون كاز ... *

قال : وكذلك قال الحسن بن رشيد الخوارزمي ، وأما غيره فما قال :

* رمتك فيل بما فيها ... *

وقالوا : فيل مدينة سمرقند ، قال : وأثبتها عنلى قول على بن مجاهد .

قال : وقال الباهليون : أصاب قتيبة من خوارزم مائة ألف رأس . قال :

وكان خاصة قتيبة كلموه سنة ثلاث وتسعين وقالوا : الناس كانوا قد موا ١٢٤١/٢

(١) الأغاني ١٤ : ٢٩٩ ، ياقوت ٦ : ٤١٤ . والقججاجة : الكثير الكلام .

(٢) رواية البيت في الأغاني :

منهم شناس ومرداذاء نعرفه وفسخراء قبور حشوها القلف

قال في شرحه : شناس اسم أبي صفرة ، فنيه وتسمى ظلاماً ، ومرداذاء : أبو أبي صفرة ، وهو
يسراق لما تعربوا . وفسخراء : جده وهم قوم من الخوارزم من أعمال أهل عمان ، نزلوا الأزد ثم ادعوا
أنهم صليبة مخرجهم منهم .

من سجستان فأجمعهم عامتهم هذا، فأبى. قال: فلما صالح أهل خوارزم صار إلى السغد، فقال الأشقرى :

لو كنت طأعت أهل العجز ما أقتسموا مبعين ألفا وعز السغد مؤتلف

[فتح سمرقند]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم منصرفة من خوارزم سمرقند ، فافتتحها .

• ذكر الخبر عن ذلك :

قد تقدم ذكرى الإسناد عن القوم الذين ذكر على بن محمد أنه أخذ عنهم حين صالح قتيبة صاحب خوارزم ، ثم ذكر ملوجا في ذلك أن قتيبة لما قبض صلح خوارزم قام إليه المجسر^(١) بن مزاحم السلمى فقال : إن لى حاجة ، فأخلىنى ، فأخلاه ، فقال : إن أردت السغد يوما من الدهر فالآن ، فإنهم آمنون من أن تأتيهم من عامك هذا ، ولما بينك وبينهم جشرة أيام . قال : أشار بهذا عليك أحد ؟ قال : لا ، قال : فأعلمته أحدا ؟ قال : لا ، قال : والله لئن تكلم به أحد لأضربن عنقك . فأقام يومه ذلك ، فلما أصبح من الغد دعا عبد الرحمن فقال : مير فى القروان والمرامية ، وقد تم الانتقال إلى مرو ، فوجهت الانتقال إلى مرو ، ومضى عبد الرحمن يتبع الانتقال يريد مرو يومه كله ، فلما أمسى كتب إليه : إذا أصبحت فوجه الانتقال إلى مرو ومرو فى القروان والمرامية نحو السغد ، واكتبم الأخبار ، فإنى بالآخر .

١٢٤٢/٢

قال : فلما أتى عبد الرحمن الخبر أمر أصحاب الانتقال أن يمضوا إلى مرو ، وصار حيث أمره ، وخطب قتيبة الناس فقال :

إن الله قد فتح لكم هذه البلدة فى وقت الغزو فيه ممكن ، وهذه^(٢) السغد شاغرة بريجلها ، قد تقصوا العهد الذى كان بيننا ، منعونا ما كنا

صَالِحُنَا عَلَيْهِ طَرَحُونَ ، وَصَنَعُوا بِهِ مَا بَلَغَكُمْ ، وَقَالَ اللَّهُ : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فِيمَا عَاهَدْنَا عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ ^(١) ، فَسِيرُوا عَلَىٰ بَرَكَاتِهِ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَن يَكُونَ خَوَارِزْمُ وَالسُّغْدُ كَالنَّصِيرِ وَقَرِيظَةً ، وَقَالَ اللَّهُ : ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْلِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ﴾ ^(٢) .

قال : فَأَتَى السُّغْدُ وَقَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُسْلِمٍ فِي عَشْرِينَ أَلْفًا ، وَقَدَّمَ عَلَيْهِ قَتِيبةً فِي أَهْلِ خَوَارِزْمٍ وَبُخَارَى بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَوْ أَرْبَعَةِ مِنْ نَزُولِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِهِمْ ، فَقَالَ : إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ ﴿ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُتَلَبِّسِينَ ﴾ ^(٣) . فَحَصَرْتَهُمْ شَهْرًا ، فَقَاتَلُوا فِي حِصَارِهِمْ مِرَارًا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ . وَكُتِبَ أَهْلُ السُّغْدِ وَخَافُوا طَوْلَ الْحِصَارِ إِلَى مَلِكِ الشَّاشِ وَاجْتِذَاذَ فَرَّغَانَةَ : إِنَّ الْعَرَبَ إِنَّمَا ظَفَرُوا بِنَا عَادُوا ^(٤) عَلَيْكُمْ يَمْثِلُ مَا أَتَوْنَا بِهِ ، فَانْفَرُّوا لِأَنفُسِكُمْ . فَأَجْمَعُوا عَلَى أَن يَأْتَوْهُمْ ، وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ : أَرْسِلُوا مَنْ يَشْغَلُهُمْ حَتَّى نَبِيتَ عَسْكَرَهُمْ .

قال : وَانْتَحَبُوا فُرُشَانًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمَرَاذِيَةِ وَالْأَسَاوِرَةِ وَالْأَشْدَاءِ الْأَبْطَالِ فَوَجَّهَهُمْ وَأَمَرَهُمْ أَن يَبِيتُوا عَسْكَرَهُمْ ، وَجَاءَتْ عِيُونُ الْمُسْلِمِينَ فَأُخْبِرُوا بِهِمْ . فَانْتَخَبَ قَتِيبةً ثَلَاثَةً أَوْ سِتَّةً مِنْ أَهْلِ التَّجَنُّدَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ ^(٥) عَلَيْهِمْ صَالِحَ ابْنِ مُسْلِمٍ ، فَصَبَّرَهُمْ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي يَخَافُ أَن يُؤْتِيَ مِنْهُ . وَبَعَثَ صَالِحٌ عِيُونًا يَأْتُونَهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ ، وَزَلَّ عَلَى فَرَسَيْنِ مِنْ عَسْكَرِ الْقَوْمِ ، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ عِيُونُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ يَصِلُونَ إِلَيْهِ مِنْ لَيْلَتِهِمْ ، فَفَرَّقَ صَالِحٌ خِيَلَهُ ثَلَاثَ فِرَقٍ ؛ فَجَعَلَ كَمَيْنًا فِي مَوْضِعَيْنِ ، وَأَقَامَ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، وَطَرَقَهُمُ الْمُشْرُوكُونَ لَيْلًا ، وَلَا يَعْلَمُونَ بِمَكَانِ صَالِحٍ ، وَهُمْ آمِنُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ أَن يَلْقَاهُمْ أَحَدٌ دُونَ الْعَسْكَرِ ، فَلَمْ يَعْلَمُوا بِصَالِحٍ حَتَّى غَشَوْهُ . قَالَ : فَشَدَّوْا عَلَيْهِ حَتَّى إِذَا اخْضَلَّتِ الرِّمَاحُ بَيْنَهُمْ خَرَجَ الْكَمَيْنَانِ فَاقْتَتَلُوا . قَالَ : وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْبَرَّاجِينَ : خَصَرْتُهُمْ فَأَرَيْتُ قَطْعَ قَوْمًا كَانُوا أَشَدَّ قِتَالًا مِنْ أَبْنَاءِ أَوْلَئِكَ الْمُلُوكِ وَلَا أَصْبَرَ ، فَقَتَلْنَاهُمْ فَلَمْ يُقْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا قَرِيبَ سِيرٍ ، وَجَبَّوْنَا

(١) سورة الفتح: ١٠ . (٢) سورة الفتح: ٢١ . (٣) سورة الصافات: ١٧٧

(٤) ب : « أَغَارُوا » . (٥) ب : « قَاتَعُوا » .

ملاحيهم ، واحتززنّا رعوهم ، وأمرنا منهم أسرى ، فسألناهم عن قتلتنا ، فقالوا : ما قتلتم إلا ابن ملك ، أو عظيماً من العظماء ، أو بطلاً من الأبطال ؛ ولقد قتلتم رجالاً إن كان الرجل ليعدل بمائة رجل . فكشيتنا على آذانهم ، ثم دخلتنا العسكر حين أصبحنا وما منا رجل إلا معلق رأساً معروفاً باسمه ، وسكننا من جيد السلاح وكريم المتاع ومناطق الذهب ودواب فرهم ، فنقلنا قتيبة ذلك كله . وكسر ذلك أهل السغد ، ووضع قتيبة عليهم المجانيق ، فرامهم بها ، وهوى ذلك يقاتلهم لا يقطع عنهم ، وفاصحه من معه من أهل بخارى وأهل خوارزم ، فقاتلوا قتالا شديداً ، وبذلوا أنفسهم .

١٢٤٤/٢

فأرسل إليه غوزك : إنما تقاتلني بلخوتى وأهل بيتي من العجم ، فأخرج إلى العرب ، فقصب قتيبة ودعا الجليلي فقال : اعرض الناس ، وميز ، أهل الألباس فجمعهم ، ثم تجلس قتيبة يعرضهم بنفسه ، ودعا العرفاء فجعل يدعو برجل رجل . فيقول : ما عندك ؟ فيقول العريف : شجاع ، ويقول : ما هذا ؟ فيقول : منحصر ، ويقول : ما هذا ؟ فيقول : جبان ، فسمى قتيبة الجبنة الأنتان ، وأخذ خيلهم وجيد ملاحهم فأعطاه الشجعان والمختصرين ، وترك لهم رث السلاح ، ثم زحف بهم فقاتلهم بهم فرساناً ورجالاً ، ورمى المدينة بالمجانيق ، فشك فيها ثلثة ، فسدت بها بخرائر الدخن ، وجاء رجل حتى قام على الثلثة فشتهم قتيبة ، وكان مع قتيبة قوم رمة ، فقال لهم قتيبة : اختاروا منكم رجلين ، فاختاروا ، فقال : أيكما يرمى هذا الرجل ، فإن أصابه فله عشرة آلاف ، وإن أخطأه قطعت يده ؟ فتلكأ أحدهما وتقدم الآخر ، فرماه فلم يخطئ عينه ، فأمر له بعشرة آلاف .

قال : وأخبرنا الباهليون ، عن يحيى بن خالد ، عن أبيه خالد بن باب مولى مسلم بن عمرو ، قال : كنت في رمة قتيبة ، فلما افتتحنا المدينة صعدت السور فأتيت مقام ذلك الرجل الذي كان فيه فوجدته ميتاً على الخائط ، ما أخطأت النشابة عينه حتى خرجت من قفاه ، ثم أصبحوا من

١٢٤٥/٢

غد فرموا المدينة ، فثلموا فيها . وقال قتيبة : ألحوا عليها حتى تعبوا
الثلثة ، فقاتلهم حتى صاروا على ثلثة المدينة ، ورامهم السغد بالشباب ، فوضعوا
ترسهم^(١) فكان الرجل يضع ترسه على عيته ، ثم يحمل^(٢) حتى
صاروا على الثلثة ، فقالوا له : انصرف عنا اليوم حتى نصالحك غداً .

فأما باهلة فيقولون : قال قتيبة : لانصالحهم إلا ورجائنا على الثلثة ،
ومجانقتنا تخطر على رؤوسهم ومدينتهم .

قال : وأما غيرهم فيقولون : قال قتيبة : جزع العبيد ، فانصرفوا
على ظفركم ، فانصرفوا ، فصالحهم من الغد على ألفي ألف ومائتي ألف^(٣)
في كل عام ، على أن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس ، ليس فيهم
صبي ولا شيخ ولا عيب ، على أن يخلطوا المدينة لقتيبة فلا يكون لهم فيها
مقاتل ، فيبني له فيه مسجد فيدخل ويصلي ، ويوضع له فيها منبر
فيخطب ، ويتغدى ويخرج .

قال : فلما تم الصلح بعث قتيبة عشرة ، من كل خمس برجلين ،
فقتبصوا ما صالحهم عليه ، فقال قتيبة : الآن ذلوا حين صار إخوانهم وأولادهم
في أيديكم . ثم أخذوا المدينة وبنوا مسجداً ووضعوا منبراً ، ودخلوها في
أربعة آلاف انتخبهم ، فلما دخلوها أتى المسجد فصلى وخطب ثم
تغدى ، وأرسل إلى أهل السغد : من أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذه ،
فإنى لست خارجاً منها ، وإنما صنعت هذا لكم ، ولست أخذ منكم أكثر
مما صالحتكم عليه ، غير أن الجند يقيمون فيها .

قال : أما الباهليون فيقولون : صالحهم قتيبة على مائة ألف رأس ،
وبيوت النيران وحلية الأصنام ، فقبض ما صالحهم عليه ، وأتى بالأصنام
فسلبت ، ثم وضعت بين يديه ، فكانت كالقصر العظيم حين جمعت ،
فأمر بتحريقها ، فقالت الأعلم : إن فيها أصناماً من حرقها هلكك ،
فقال قتيبة : أنا أحرقها بيدي ، فجاء غوزك ، فجعل بين يديه وقال :

(١) ب : « ترسم » . (٢) ب : « يحمل » . (٣) ب : « مائة » .

أيها الأمير، إنَّ شُكْرَكَ عَلَى وَاجِبٍ، لَا تَعْرِضْ لَهُهُ الْأَصْنَامُ؛ فَدَعَا قَتِيْبَةً
بِالتَّارِ وَأَخَذَ شُعْلَةً بِيَسْكَه، وَخَرَجَ فِكْبِرٌ، ثُمَّ أَشْعَلَهَا، وَأَشْعَلَ النَّاسَ فَاضْطَرَمَتْ،
فَوَجَدُوا مِنْ بَقَايَا مَا كَانَ فِيهَا مِنْ مَسَامِيرِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ خَمْسِينَ أَلْفَ مِثْقَالٍ.

* * *

قَالَ : وَأَخْبَرَنَا مَخْلَدُ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ بَيْضٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ : حَدَّثَنِي
مِنْ شَهْدِ قَتِيْبَةٍ وَفَتْحِ سَمِرْقَنْدَ أَوْ بَعْضِ كُورِ خُرَّاسَانَ فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهَا قَدُورًا
عَظَمًا مِنْ نَحَاسٍ، فَقَالَ قَتِيْبَةُ لِحَضِيْنٍ : يَا أَبَا سَامَانَ، أَتُرَى رِقَاشَ كَانَ
لَهَا مِثْلُ هَذِهِ الْقُدُورِ؟ قَالَ : لَا، لَكِنْ كَانَ لَعَبِلَانَ قِدْرٌ مِثْلُ هَذِهِ الْقُدُورِ،
فَضَحِكَ قَتِيْبَةُ وَقَالَ : أَدْرَكَتْ بِشَارِكٍ.

قَالَ : وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَيْيَنَةَ لِسَكْمِ بْنِ قَتِيْبَةٍ بَيْنَ يَدَيِ سَلْيَانَ بْنِ
عَلِيٍّ : إِنَّ الْعَجَمَ لَيَعْبُرُونَ قَتِيْبَةَ الْغَدْرِ لِأَنَّهُ غَلَرُ بَخْوَازِمَ وَتَمَرْقَنْدَ.

قَالَ : فَأَخْبَرَنَا شَيْخٌ مِنْ بَنِي سَدُوسَ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ بَيْضٍ
قَالَ : أَصَابَ قَتِيْبَةَ بُخْرَامَانَ بِالسُّغْدِ جَارِيَةً مِنْ وَلَدِ يَزِيدِ جَرْدَ، فَقَالَ :
أَتَرَوْنَ ابْنَ هَذِهِ يَكُونُ هَجِيْنًا؟ فَقَالُوا : نَعَمْ، يَكُونُ هَجِيْنًا مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ،
فَبَعَثَ بِهَا إِلَى الْحِجَاجِ، فَبَعَثَ بِهَا الْحِجَاجَ إِلَى الْوَلِيدِ، فَوَلَدَتْ لَهُ يَزِيدُ
ابْنَ الْوَلِيدِ.

١٢٤٧/٢

قَالَ : وَأَخْبَرَنَا بَعْضُ الْبَاهِلِيِّينَ، عَنْ نَهْشَلِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَمِّهِ — وَكَانَ
قَدْ أَدْرَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ — قَالَ : لَمَّا رَأَى غَوْزَكَ الْخَاحَ قَتِيْبَةَ عَلَيْهِمْ كَتَبَ إِلَى
مَلِكِ الشَّامِ وَلِإِخْشَادِ قَرَّغَانَةَ وَخَاقَانَ : إِنَّا نَحْنُ دُونَكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ
الْعَرَبِ، فَإِنْ وَصَلَ إِلَيْنَا كُنْتُمْ أَضْعَفَ وَأَذَلَّ، فَهَمَّا كَانَ عِنْدَكُمْ مِنْ قُوَّةٍ
فَابْذُلُوها؛ فَنَنْظُرُوا فِي أَمْرِهِمْ فَقَالُوا : إِنَّمَا نُوْتِي مِنْ سَقَلَتِنَا، وَإِنَّهُمْ لَا يَسْجُدُونَ
كَوْجِدْنَا، وَنَحْنُ مَعَشَرُ الْمُلُوكِ الْمَعْنِيِّينَ بِهَذَا الْأَمْرِ، فَانْتَخَبُوا أَبْنَاءَ الْمُلُوكِ
وَأَهْلَ النُّجْلَةِ مِنْ فِتْيَانِ مُلُوكِهِمْ، فَلِيَخْرُجُوا حَتَّى يَأْتُوا عَسْكَرَ قَتِيْبَةِ فُلَيْيَسَ،
فَإِنَّهُ مَشْغُولٌ بِمَحْصَارِ السُّغْدِ، فَفَعَلُوا، وَلَوْ عَلَيْهِمْ ابْنَا لَخَاقَانَ، وَهُوَ وَقَدْ

أَجْمَعُوا أَنْ يَبِيتُوا الْعَسْكَرَ ، وَبَلَغَ قُتَيْبَةُ فَأَتَتْخَبَ أَهْلَ التَّجْنِلَةِ وَالْبَاسَ وَوَجْهَ النَّاسِ ، فَكَانَ شُعْبَةُ بْنُ ظَهْرٍ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ فِيمَنْ أُنْتُخِبَ ، فَكَانُوا أَرْبَعِمِائَةً ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنْ عَدُوَّكُمْ قَدْ رَأَوْا بِلَاءَ اللَّهِ عِنْدَكُمْ ، وَتَأْيِيدَهُ إِيَّاكُمْ فِي مُزَاحَفَتِكُمْ وَمُكَاتَرَتِكُمْ ، كُلُّ ذَلِكَ يُفْلِجُكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَحْتَالُوا غَيْرَتَكُمْ وَبَيَاتَكُمْ ، وَاخْتَارُوا دَهَاقِينَهُمْ وَمُلُوكَهُمْ ، وَأَنْتُمْ دَهَاقِينُ الْعَرَبِ وَفُرْسَانُهُمْ ، وَقَدْ فَضَّلَكُمْ اللَّهُ بِدِينِهِ ، فَأَبْلُوا اللَّهَ بِلَاءً حَسَنًا ۚ تَسْتَوْجِبُونَهُ بِهَذَا الثَّوَابِ ، مَعَ الذَّبِّ عَنْ أَصْحَابِكُمْ .

١٢٤٨/٢

قال : وَوَضَعَ قُتَيْبَةُ عِيُونًا عَلَى الْعَدُوِّ حَتَّى إِذَا قَرَّبُوا مِنْهُ قَدَرًا مَا يَصِلُونَ إِلَى عَسْكَرِهِ مِنَ اللَّيْلِ أَدْنَى الَّذِينَ أُنْتُخِبَهُمْ ، فَكَلَّمَهُمْ وَحَضَّهُمْ ، وَامْتَسَعَلَ عَلَيْهِمْ صَالِحُ بْنُ مُسْلِمٍ ، فَخَرَجُوا مِنَ الْعَسْكَرِ عِنْدَ الْمَغْرِبِ ، فَسَارُوا ، فَتَرَلُّوا عَلَى فَرَسَاتِهِمْ مِنَ الْعَسْكَرِ عَلَى طَرِيقِ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَصَفُوا لَهُمْ ، فَفَرَّقَ صَالِحُ خَيْلَهُ ، وَأَكْمَنَ كَمِينًا عَنْ يَمِينِهِ ، وَكَمِينًا عَنْ بَسَارِهِ ، حَتَّى إِذَا مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلَاثَاهُ ، جَاءَ الْعَدُوُّ بِاجْتِمَاعٍ وَإِسْرَاعٍ وَصَتٍّ ، وَصَالِحٌ وَقَفَ فِي خَيْلِهِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ شَدُّوا عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا اخْتَلَفَتِ الرِّمَاحُ شَدَّ الْكَمِينَانِ عَنْ يَمِينٍ وَعَنْ شِمَالٍ ، فَلَمْ نَسْمَعْ إِلَّا الْاعْتِزَاءَ ، فَلَمْ نَرِ قَوْمًا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ .

قال : وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْبَرَّاجِمِ : حَدَّثَنِي زُهَيْرُ أَوْ شُعْبَةُ قَالَ : إِنَّا لَنُخْتَلِفُ عَلَيْهِمْ بِالطَّلْعِ وَالضَّرْبِ إِذْ تَبَيَّنَتْ تَحْتَ اللَّيْلِ قُتَيْبَةُ ، وَقَدْ ضَرَبْتُ ضَرْبَةً أَعْجَبْتَنِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى قُتَيْبَةَ ، فَقُلْتُ : كَيْفَ تَرَى بِأَيِّ أَنْتَ وَأَيُّ أَيْ قَالَ : اسْكُتْ دَقَّ اللَّهُ فَالَهُ ! قَالَ : فَقَتَلْنَاهُمْ فَلَمْ يُقَلِّتْ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدَ ، وَأَقَمْنَا نَجْوَى الْأَصْلَابِ وَنَحْتَرِ الرَّمُوسَ حَتَّى أَصْبَحْنَا ، ثُمَّ أَقْبَلْنَا إِلَى الْعَسْكَرِ ، فَلَمْ أَرِ جَمَاعَةً قَطُّ جَاءُوا بِمِثْلِ مَا جِئْنَا بِهِ ، مَا مِنَّا رَجُلٌ إِلَّا مَعْلُوقٌ رَأْسًا مَعْرُوقًا بِأَسْمِهِ ، وَأَسِيرٌ فِي وَثَاقِهِ .

قال : وَجِئْنَا قُتَيْبَةَ بِالرَّمُوسِ ، فَقَالَ : جَزَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ وَالْأَعْرَاضِ خَيْرًا . ١٢٤٩/٢
وَأَكْرَمَنِي قُتَيْبَةُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ بَاحٌ لِي بِشَيْءٍ ، وَفَرَّقَ بِي فِي الصَّلَاةِ وَالْإِكْرَامِ حِينَ الْعَدُوِّ وَحُلُوسِ الشَّيْبَانِي ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ رَأَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي رَأَى

متى ، وكسر ذلك أهل السُّغَد ، فظلبوا الصِّلح ، وعَرَضُوا الفِدْيَةَ فَأَبَى ، وقال : أنا ثائر بلم طَرَحُون ، كان مولاي وكان من أهلِ ذِمَّتِي .

قالوا : حَدَّثَ عَمْرُو بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : أَطَالَ قُتَيْبَةُ الْمَقَامَ ، وَثُلُمَتِ الثُّلُمَةُ فِي سَمَرْقَنْدٍ . قَالَ : فَنَادَى مُنَادٍ فَصَبَحَ بِالْعَرَبِيَّةِ يَسْتَنِمُّ قُتَيْبَةَ ، قَالَ : فَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَبِي زُهَلَمٍ : وَنَحْنُ حَوْلَ قُتَيْبَةَ ، فَحِينَ سَمِعْنَا الشَّمَّ خَرَجْنَا مَسْرِعِينَ ، فَكُنَّا طَوِيلًا وَهُوَ مُلِحٌّ بِالشَّمِّ ، فَجَنَّتْ إِلَى رِوَاقِ قُتَيْبَةَ فَاطْلَعَتْ ، فَإِذَا قُتَيْبَةُ مُتَحَتِّبٌ بِشِمْلَةٍ يَقُولُ كَالْمُنَاجِي لِنَفْسِهِ : حَتَّى مَتَى يَا سَمَرْقَنْدُ يَعْشَشُ فِيكَ الشَّيْطَانُ ! أَمَا وَاللَّهِ لَنْ أَصِيبَتْ لِأَحْوَالِنَ مِنْ أَهْلِكَ أَقْصَى غَايَةٍ ، فَانْصَرَفْتُ إِلَى أَصْحَابِي ، فَقُلْتُ : كَمْ مِنْ نَفْسٍ آيَتُهُ سَمِعَتْ غَدَاً مِنْهَا وَمِنْهُمْ ! وَأَخْبَرْتُهُمُ الْخَبَرَ .

قال : وَأَمَّا يَاهَلَةُ فَيَقُولُونَ : سَارَ قُتَيْبَةُ فَجَعَلَ النُّهْرَ يَمِينَهُ حَتَّى وَرَدَ بُخَارَى ، فَاسْتَنْهَضَهُمْ مَعَهُ ، وَسَارَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِمَدِينَةِ أَرْبِنْجَنَ ، وَهِيَ الَّتِي تُجَلِّبُ مِنْهَا اللُّبُودُ الْأَرْبِنْجَنِيَّةُ ، لَقِيَهُمْ غُوزُكَ صَاحِبُ السُّغَدِ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ مِنَ التُّرْكِ وَأَهْلِ الشَّاشِ وَفَرَّغَانَةِ ، فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ وَقَائِعٌ مِنْ غَيْرِ مُرَافَحَةٍ ، كُلُّ ذَلِكَ يَظْهَرُ الْمُسْلِمُونَ ، وَيَتَحَاجِزُونَ حَتَّى قَرَّبُوا مِنْ مَدِينَةِ سَمَرْقَنْدٍ ، فَتَرَاخَفُوا يَوْمَئِذٍ ، فَحَمَلَ السُّغَدُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حِمْلَةً حَطَمُوا حَتَّى جَاوَزُوا عَسْكَرَهُمْ ، ثُمَّ كَرَّ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ حَتَّى رَدُّوهُمْ إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَقَتَّلَ اللَّهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عِدَّةً كَثِيرًا ، وَدَخَلُوا مَدِينَةَ سَمَرْقَنْدٍ فَصَالَحَهُمْ .

قال : وَأَخْبَرَنَا الْبَاهِلِيُّ عَنْ حَاتِمِ بْنِ أَبِي صَغِيرَةَ ؛ قَالَ : رَأَيْتُ خَيْلًا يَوْمَئِذٍ تُطَاعِنُ خَيْلَ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ أَمَرَ يَوْمَئِذٍ قُتَيْبَةُ بِسَرِيرِهِ فَأَبْرَزَ ، وَقَعَدَ عَلَيْهِ ، وَطَاعَتُهُمْ حَتَّى جَاوَزُوا قُتَيْبَةَ ، وَإِنَّهُ لَمُتَحَتِّبٌ بِسَيْفِهِ مَا حَلَّ حَبَوْتُهُ ، وَانْطَوَتْ مَجْتَبَا الْمُسْلِمِينَ عَلَى الَّذِينَ هَزَمُوا الْقَلْبَ ، فَهَزَمُوهُمْ حَتَّى رَدُّوهُمْ إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَقَتَّلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عِدَّةً كَثِيرًا ، وَدَخَلُوا مَدِينَةَ سَمَرْقَنْدٍ فَصَالَحَهُمْ . وَصَنَعَ غُوزُكَ طَعَامًا وَدَعَا قُتَيْبَةَ ، فَأَتَاهُ فِي عِدَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا تَعَدَّى اسْتَوْهَبَ مِنْهُ سَمَرْقَنْدُ ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ : انْتَقِلْ عَنْهَا ، فَانْتَقَلَ عَنْهَا ، وَتَلَا قُتَيْبَةُ :

﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى * وَنَمُودَ قَمًا الْبَقَى ﴾^١

قال : وأخبرنا أبو الذّيال، عن عمر بن عبد الله التيمي، قال : حدثني الذي مرّحه قتيبة إلى الحجاج بفتح سمرقند ، قال : قدمت على الحجاج فوجهني إلى الشام ، فقدمتها فدخلت مسجداً ، فجلست قبل طلوع الشمس وإلى جنتي رجلٌ ضَرير ، سألتُه عن شيء من أمر الشام ، فقال : إنك ١٢٠١/٢ لغريب ، قلت : أجل ؛ قال : من أي بلد أنت ؟ قلت : من خراسان . قال : ما أقدمك ؟ فأخبرته ، فقال : والذي بعث محمداً بالحق ما افتحتنوها إلا غدرًا ، وإنكم يا أهل خراسان لكتّين تسلّبون بني أمية مملكتهم ، وتنفضون دمشق حَجَرًا حَجَرًا .

قال : وأخبرنا العلاء بن جرير ، قال : بلغني أن قتيبة لما فتح سمرقند وقَف على جبلها فنظر إلى الناس متفرقين في مَروج السُّعد ، فتمثّل قولَ طرفة :

وَأَرْتَعَ أَقْوَامٌ وَلَوْلَا مَحَلُّنَا بِمَخْشِيَةٍ رَدُّوا الْجَمَالَ فَقَوَّضُوا
قال : وأخبرنا خالد بن الأصمّح ، قال : قال الكُمَيْت :

كَانَتْ سَمَرْقَنْدُ أَحْقَابًا يَمَانِيَةً فَالْيَوْمَ تَنْسُبُهَا قَيْسِيَةٌ مُضَرُّ

قال : وقال أبو الحسن الجُشَمِي : فدعا قتيبةُ نهارَ بنَ تَوْمِيعَةَ حين صالَحَ أَهْلَ السُّغْد ، فقال : يا نهارُ ، أين قولك :

أَلَا ذَهَبَ الْغَزْوُ الْمُقَرَّبُ لِلْغَنَى وَمَاتَ النَّدَى وَالْجُودُ بَعْدَ الْمُهْلَبِ
أَقَامَا بِمَرْوِ الرُّودِ رَهْنَ ضَرِيحِهِ وَقَدْ غُيِّبَا عَنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ
أَفْتَقَرُوا هَذَا يَا نَهَارُ ؟ قال : لا ، هذا أحسن^(١) ، وأنا الذي أقول :

وَمَا كَانَ مُدُّ كُنَّا وَلَا كَانَ قَبْلَنَا وَلَا هُوَ فِيمَا بَعْدَنَا كَابِنُ مُسْلِمٍ
أَعْمٌ لِأَهْلِ التَّرْكِ قَتْلًا بِمِيقِهِ وَأَكْثَرُ فِينَا مَقْسِمًا بَعْدَ مَقْسِمِ

(١) في الشعر والشراء ٥٢٣ : « إن الذي أنت فيه ليس بالنزو ولكنه الحرب » .

قال : ثم ارتحل قتيبة راجعاً إلى مرو ، واستخلف على سمرقند عبد الله ابن مسلم ، وظف عنده جنداً كثيراً ، وآلة من آلة الحرب كثيرة ، وقال : لا تدعن مشركاً يدخل باباً من أبواب سمرقند إلا مختوم اليد ، وإن جفت الطينة قبل أن يخرج فاقتلته ، وإن وجدت معه حديدة ؛ سيكناً فما سواه فاقتلته ، وإن أغلقت الباب ليلاً فوجدت فيها أحداً منهم فاقطله ، فقال كعب الأشرقي - ويقال رجل من جعقي :

١٢٠٢/٢

كُلُّ يَوْمٍ يَخْوِي قَتِيْبَةُ نَهْبًا وَيَزِيدُ الْأَمْوَالَ مَالًا جَلِيدًا
بَاهِلًا قَدْ أَلْبَسَ التَّاجَ حَتَّى شَابَ مِنْهُ مَقَارِقُ كَنْ سَوْدَا
دَوَّخَ السُّغْدَ بِالْكَتَائِبِ حَتَّى تَرَكَ السُّغْدَ بِالْعَرَاءِ قُعُودَا
فَوَلِيدٌ يَبْكِي لِفَقْدِ أَبِيهِ وَأَبٌ مُوجِعٌ يُبْكِي الْوَلِيدَا
كَلِمَا حَلَّ بِلَدَّةٍ أَوْ أَتَاهَا تَرَكْتُ خَيْلَهُ بِهَا أَخْدُودَا

قال : وقال قتيبة : هذا العداء لا عداؤ غيرين ، لأنه فتش خوارزم وسمرقند في عام واحد ، وذلك أن الفارس إذا صرع في طلق واحد غيرين قيل : عادي بين غيرين . ثم انصرف عن سمرقند فأقام بمرو .

١٢٠٣/٢

* * *

وكان عامله على خوارزم إياس بن عبد الله بن عمرو على حربها ، وكان ضعيفاً . وكان علىخراجها عبيد الله بن أبي عبيد الله مولى بني مسلم . قال : فاستضعف أهل خوارزم إياساً ، وجتمعوا له ، فكتب عبيد الله إلى قتيبة ، فبعث قتيبة عبد الله بن مسلم في الشتاء عاملاً ، وقال : اضرب إياس بن عبد الله وحيان النبطي مائة مائة ، واحلقهما ؛ وضم إليك عبيد الله بن أبي عبيد الله ، مولى بني مسلم ، واسمع منه فإن له وفاء . فضى حتى إذا كان من خوارزم على ميكة ، فدس إلى إياس فأنذره فتتجى ، وقدم فأخذ حيان فضر به مائة وحلقه .

قال : ثم وجه قتيبة بعد عبد الله المغيرة بن عبد الله في الجنود إلى خوارزم ، فبلغهم ذلك ، فلما قدم المغيرة اعتزل أبناء الذين قتلهم

خوارزم شاه، وقالوا: لا نعينك، فهرب إلى بلاد الترك. وقدم المغيرة فُسي وقُتِلَ،
وصالَحَه الباقون، فأخذ الجزية. وقدم على قتيبة، فاستعمله على نيسابور.

* * *

[فتح طليطلة]

وفي هذه السنة عسكر موسى بن نصير طارق بن زياد عن الأندلس
ووجهه إلى مدينة طليطلة.

• ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر محمد بن عمر أن موسى بن نصير غَضِبَ على طارق في سنة
ثلاث وتسعين، فشَخَصَ إليه في رجب منها، ومعه حبيب بن عتبة بن نافع
الفهري، واستخلف حين شَخَصَ على إفريقية ابنه عبد الله بن موسى بن
نصير، وعبر موسى إلى طارق في عشرة آلاف، فلقاه، فَرْضَاهُ
فَرْضِيَّ عَنهُ، وقَبِلَ منه عِلْرَهُ، ووجهه منها إلى مدينة طليطلة— وهي
من عظام مدائن الأندلس، وهي من قرطبة على عشرين يوماً^(١)— فأصاب
فيها مائدة سليمان بن داود، فيها من الذهب والحرير ما الله أعلم به.

١٢٥٤/٢

قال: وفيها أجذب أهل إفريقية جذباً شديداً، فخرج موسى بن نصير
فاستسقى، ودعا يومئذ حتى انتصف النهار، وخطب الناس، فلما أراد
أن ينزل قيل له: ألا تدعو لأمر المؤمنين! قال: ليس هذا يوم ذاك،
فسقوا سقياً كفاهم حيناً.

* * *

[خبر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز]

وفيها عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة.

• ذكر سبب عزل الوليد إياه عنها :

وكان سبب ذلك—فيما ذكر— أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الوليد
يُخبره بعسف الحجاج أهل عمله بالعراق، واعتدائه عليهم، وظلمه لم
غيره حق ولا جناية، وأن ذلك بلغ الحجاج، فاضطهقه على عمر، وكتب
إلى الوليد: إن من قبلى من مرّاق أهل العراق وأهل الشقاق قد جعلوا عن

(١) بلغا في ابن الأثير: «فتتها».

العراق ، ولجئوا إلى المدينة ومكة ، وإنّ ذلك وهن .
فكتب الوليد إلى الحجاج : أن أشر على برجلين ، فكتب إليه يشير عليه
بعثمان بن حيان وخالد بن عبد الله ، فولى خالد مكة وعثمان المدينة ، وعزل
عمر بن عبد العزيز .

قال : محمد بن عمر : خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة فأقام
بالسويداء وهو يقول لزاحم : أتخاف أن تكون ممن نقتله طيبة !

* * *

وفيها ضرب عمر بن عبد العزيز خبيب بن عبد الله بن الزبير بأمر الوليد
إياه ، وصب على رأسه قربة من ماء بارد . ذكر محمد بن عمر ، أن أبا المليلح
حدثه عن حضر عمر بن عبد العزيز حين جلد خبيب بن عبد الله بن
الزبير خمسين سوطاً ، وصب على رأسه قربة من ماء في يوم شات .
ووقفه على باب المسجد ، فكث يومه ثم مات .

١٢٥٥/٢

* * *

وحج بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، حدثني
بذلك أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها ، إلا ما كان من
المدينة ، فإن العامل عليها كان عثمان بن حيان المروني ، وليها - فيما قيل -
في شعبان سنة ثلاث وتسعين .

وأما الواقدي فإنه قال : قدّم عثمان المدينة لليلتين بقيتا من شوال
سنة أربع وتسعين .

وقال بعضهم : شخّص عمر بن عبد العزيز عن المدينة معزولاً في
شعبان من سنة ثلاث وتسعين وغزاً فيها ، واستخلف عليها حين شخّص
عنها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري . وقدّم عثمان بن
حيان المدينة لليلتين بقيتا من شوال .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من غزوة العباس بن الوليد أرض الروم ، فقبل : إنه
فتَح فيها أنطاكية .

وفيها غزاة - فيما قيل - عبد العزيز بن الوليد أرض الروم حتى بلغ غزاة . ١٢٠٦/٢
وبلغ الوليد بن هشام المعيطي أرض بُرج الحمام ، ويزيد بن أبي كبشة
أرض سورية .

وفيها كانت الرجفة ^(١) بالشام ^(٢) .

وفيها افتتح القاسم بن محمد الثقفي أرض الميبد .

* * *

[غزو الشاش وفرغانة]

وفيها غزاة قتيبة شاش وفرغانة حتى بلغ خجندة وكاشان ، مدينتي
فرغانة .

• ذكر الخبر عن غزوة قتيبة هذه :

ذكر علي بن محمد ؛ أن أبا القوارس التميمي ، أخبره عن ماهان ويونس
ابن أبي إسحاق ، أن قتيبة غزا سنة أربع وتسعين . فلما قطع النهر فرض على
أهل بخارى وكس ونسف وخوارزم عشرين ألف مقاتل . قال : فساروا
معه إلى السغد ، فوجهوا إلى الشاش ، وتوجه هو إلى فرغانة ، وسار حتى أتى
خجندة ، فجمع له أهلها . فلقوه فاقتلوا مراراً ، كل ذلك يكون الظفر
للمسلمين . ففرغ الناس يوماً فركبوا خيولهم ، فأوفى رجل على نَشْرٍ
فقال : تالله ما رأيت كاليوم غرة ، لو كان هبج اليوم ونحن على ما أرى

(١) ب : « الزفة » .

(٢) ابن الأثير : « وفيها كانت الزلازل بالشام ، وضامت أربعين يوماً ، فخرت البلاد ؛ وكان
عظم ذلك في أنطاكية » .

من الانتشار لكانت الفضيحة ، فقال له رجل إلى جنبه : كلا ، نحن كما قال عوف بن الحرير :

نؤم البلادَ لحُبِّ اللِّقَا ولا نَتَّقِي طائِراً حَيْثُ طَارَا
سَنِحاً ولا جَارِياً بَارِحاً على كُلِّ حَالٍ نُلَاقِي اليَسَارَا^(١)
وقال سَحْبَانُ والِلْ يَذْكُرُ قِتَالَهُمْ بِخُجَنْدَةَ :

فَسَلَّى الْفَوَارِسَ فِي خُجَنْدَ دَةً تَحْتَ مُرْقَعَةِ الْعَوَالِي
هَلْ كُنْتُ أَجْمَعُهُمْ^(٢) إِذَا هُزِمُوا وَأَقْدِمُ فِي قِتَالِي
أَمْ كُنْتُ أَضْرِبُ هَامَةً أَلَا هَاتِي^(٣) وَأَصْبِرُ لِلْعَوَالِي
هَذَا وَأَنْتَ قَرِيعُ قَيْدٍ مِنْ كُلِّهَا فَصَحْمُ النَّوَالِي
وَقَضَيْتَ قَيْسًا فِي النَّدَى وَأَبُوكَ فِي الْحِجَجِ الْخَوَالِي
وَلَقَدْ تَبَيَّنَ عَدْلُ حُكْمِ جَلَّكَ فِيهِمْ فِي كُلِّ مَالٍ
تَمَّتْ مَرُوءَتُكُمْ وَنَا غَى عِزُّكُمْ غُلْبَ الْجِبَالِ

قال : ثم أتى قتيبة كاشان مدينة فرغانة ، وأتاه الجنود الذين وجههم إلى الشاش وقد فتحوها وحرقوا أكرها ، وانصرف قتيبة إلى مرو . وكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي أن وجه من قبلك من أهل العراق إلى قتيبة ، ووجه إليهم جهنم بن زحر بن قيس ، فإنه في أهل العراق خير منه في أهل الشام . وكان محمد واداً لجنههم بن زحر ، فبعث سليمان بن صغصعة وجههم بن زحر ، فلما ودعه جنههم بكى وقال : يا جهنم ، إنه لكفراف ، قال : لا بد منه .

قال : وقدم على قتيبة سنة خمس وتسعين .

• • •

(١) د : « البسار » . (٢) ب : « أحيم » . (٣) ب : « العاني » .

[ولاية عثمان بن حيان المريّ على المدينة]

وفي هذه السنة قدّم عثمانُ بنُ حيانَ المريّ المدينةَ وليّاً عليها من قبيل الوليد بن عبد الملك .

• ذكر الخبر عن ولايته :

قد ذكرنا قبلُ سببَ عزّل الوليد عمرَ بن عبد العزيز عن المدينة ومكّة وتأميره على المدينة عثمانَ بن حيان ، فزعم محمد بنُ عمر أن عثمان قلم المدينة أميراً عليها لليلتين بقيتا من شوال سنة أربع وتسعين ، فنزل بها دار مروان وهو يقول : محلة والله مظعان ، المغرور من غربك . فاستقضى أبا بكر بن حزم .

قال محمد بنُ عمر : حدثني محمد بنُ عبد الله بن أبي حرة ، عن عمه قال : رأيتُ عثمانَ بنَ حيانَ أخذَ رِيّاحَ بنَ عبّيد الله ومُنْقِلًا العِراقَ فحبسَهم وعاقبَهم ، ثمّ بعثَ بهم في جوامع إلى الحجاج بن يوسف ، ولم يترك بالمدينة أحداً من أهل العراق تاجراً ولا غير تاجر ، وأمر بهم أن يُخرجوا من كلّ بلد ، فرأيتُهم في الجوامع ، وأتبع أهل الأهواء ، وأخذ هبصاً فقطعه ، ومنحوراً . وكان من الخوارج قال : ومعهته يخطبُ على المنبر يقول بعد حمد الله :

أيها الناس ، إنا وجئناكم أهلَ غشٍّ لأُمير المؤمنين في قديم الدهر وحديثه ، وقد ضوّى إليكم من يزيدكم خبلاً . أهلُ العراق هم أهلُ الشقاق والنفاق ، هم والله عَشْرُ النفاق وبَيَضَتِ التي تفلقت عنه . والله ما جربتُ عراقياً قطّ إلا وجدتُ أفضلهم عند نفسه الذي يقول في آل ١٢٥٩/٢

أبي طالب ما يقول ، وما هم لهم بشيعة ، وإنهم لأعداء لهم ولغيرهم . ولكن لما يريد الله من سفك دمائهم فلا والله لا أوتى بأحد آوى أحداً منهم ، أو أكثره منزلاً ، ولا أنزله ، إلا هدمتُ منزله ، وأنزلتُ به ما هو أهله . ثمّ إنّ البلدان لما مصرها عمر بن الخطاب وهو مجتهد على ما يصلح رعيته جعل يمرّ عليه من يريد الجهاد فيستشير : الشام أحب إليك أم العراق ؟ فيقول : الشام أحب إلي . إني رأيتُ العراق داءً عضالاً ، وبها فرخ الشيطان . والله

لقد أعضلوا^(١) بي، وإلى لأراني سافرتهم في البُلْدان، ثم أقول: لو فرقتهم لأفستوا من دخلوا عليه يحدك وحجاج، وكيف؟ ولِمَ؟ وسُرعة وبجف في الفتنة، فإذا خبروا عند السيوف لم يخبر منهم طائل^(٢). لم يصلحوا على عِمان، فلي منهم الأمرين^(٣)، وكانوا أول الناس فسق هذا الفتق العظيم، ونقضوا عرى الإسلام عروة عروة، وأنفلوا^(٤) البُلْدان. والله إنى لأتقرب إلى الله بكل ما أفعل بهم لما أعرف من رأيهم ومذاهبهم. ثم وليهم أمير المؤمنين معاوية فدامسهم^(٥) فلم يصلحوا عليه، ووليهم رجل الناس^(٦) جلدأ فبسط عليهم السيف، وأخافهم، فاستقاموا له أحبوا أو كرهوا، وذلك أنه خبرهم وعرفهم.

أيها الناس، إنا والله ما رأينا شيعاراً ~~مجلساً~~ مثل الأمن، ولا رأينا مجلساً^(٧) قط شراً من الخوف، فالزموا الطاعة، فإن عهدي يا أهل المدينة خيرة من الخلاف. والله ما أنتم بأصحاب قتال، فكونوا من أحلاس بيوتكم، وعصوا على النواجد، فإني قد بعثت في مجالسكم من يسمع فيلغى عنكم. إنكم في فضول كلام غيره ألزم لكم، فلدعوا عيب الولاة، فإن الأمر إنما ينقض شيئاً شيئاً حتى تكون الفتنة وإن الفتنة من البلاء. والفتن تذهب بالدين وبالمال والولد.

قال: يقول القاسم بن محمد: صدق في كلامه هذا الأخير، إن الفتنة هكذا.

قال محمد بن عمر: حدثني خالد بن القاسم، عن سعيد بن عمرو الأنصاري، قال: رأيت منادى عِمان بن حِسان ينادي عندنا: يا بني أمية بن زيد، برئت ذمة من آوى عِراقياً. وكان عندنا رجل من أهل البصرة له فضل

(١) عضل به الأمر وأعضل: اشتد.

(٢) الطائل والطائلة والعلول: الفضل والقدر.

(٣) الأمران: الفقر والحرم، وهما كناية عن اشتداد الأمر.

(٤) أنفلوا: أفسدوا، من نفل الأدم إذا فسد في البياض، وأنفله: أفسده.

(٥) دامسهم: واقفهم؛ من الدامجة وهي مثل اللداجة. (٦) رجل الناس: يريد الحجاج.

(٧) المجلس في الأصل: كساء على ظهر يبر يوضع تحت رحله؛ والمراد لزوم الشيء.

يقال له أبو سَوَادَة، من العُبَاد - فقال: والله ما أحب أن أدخل عليكم مكرهاً، بلغوني^(١) مأساتي؛ قلت: لا خير لك في الخروج، إن الله يدفع عنا وعنك. قال: فأدخلته بيتي، وبلغ عَمَان بن حَبِيبَانَ فَبَعَثَ أَحْرَاساً فَأَخْرَجَتْهُ إِلَى بَيْتِ أَخِي، فَأَقْدَرُوا عَلَى شَيْءٍ، وَكَانَ الَّذِي سَمِعَنِي فِي عَدُوٍّ، فَقُلْتُ لِلْأَمِير: أَسْلَحَ اللَّهُ الْأَمِير! يُؤْتَنِي بِالْبَاطِلِ فَلَا تُعَاقِبْ عَلَيْهِ. قال: فَضَرَبَ الَّذِي سَمِعَنِي فِي عَشْرِينَ سَوْطاً. وَأَخْرَجْنَا الْعِرَاقِي، فَكَانَ يَصْلِي مَعَنَا مَا يَغِيبُ يَوْمًا وَاحِدًا، وَحَدِّبَ عَلَيْهِ أَهْلَ دَارِنَا، فَقَالُوا: نَمُوتُ دُونَكَ! فَمَا يَبْرَحُ حَتَّى عَزَلَ الْخَبِيثَ.

قال محمد بن عمر: وحدَّثنا عبد الحكيم^(٢) بن عبد الله بن أبي فرسوة، قال: إِنَّمَا بَعَثَ الْوَلِيدُ عَمَانَ بْنَ حَبِيبَانَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِإِخْرَاجِ مَنْ بَهَا مِنَ الْعِرَاقِيِّينَ وَتَفْرِيقِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ مِنْ ظَهَرِ^(٣) عَلَيْهِمْ أَوْ عَلَا بِأَمْرِهِمْ^(٤)، فَلَمْ يَبْعَثْهُ وَالِيًا، فَكَانَ لَا يَصْعَدُ الْمِنْبَرَ وَلَا يَخْطُبُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا فَعَلَ فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ مَا فَعَلَ. وَفِي مَنْحَوْرٍ وَغَيْرِهِ أَثْبَتَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَصْعَدُ عَلَى الْمِنْبَرِ.

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل سعيد بن جبيرة]

وفي هذه السنة قُتِلَ الْحِجَاجُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

• ذكر الخبر عن مقتله:

وكان سبب قتل الحجاج إياه خروجه عليه مع مَنْ خَرَجَ عَلَيْهِ. مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكان الحجاج جعله على عطاء الجُند حين وجهه عبد الرحمن إلى رُثَيْبِلَ لِقَاتَالِهِ، فَلَمَّا خَلَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْحِجَاجَ كَانَ سَعِيدٌ فِيمَنْ خَلَعَهُ مَعَهُ، فَلَمَّا هَزِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَهَرَبَ إِلَى بِلَادِ رُثَيْبِلَ هَرَبَ سَعِيدٌ.

فحدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَاشٍ، قَالَ: كَتَبَ الْحِجَاجُ إِلَى فُلَانٍ وَكَانَ عَلَى أَصْبَهَانَ - (وَكَانَ سَعِيدٌ) قَالَ الطَّبْرِيُّ: أَظْنَاهُ أَنَّهُ لَمَّا هَرَبَ

(١) ب: «بلغوا». (٢) ط: «الحكم»، تصحيف.

(٣) ب: «طن». (٤) ب: «حب أمر».

من الحجاج ذهب إلى أصبهان فكتب إليه : - إن سعيداً عندك فخذْه .
فجاء الأمر إلى رجل تحرّج ، فأرسل إلى سعيد : تحوّل عني ، فتنحى عنه ،
فأتى أذربيجان ، فلم يزل بأذربيجان فطال عليه السنون ، واحتسّر
فخرج إلى مكة فأقام بها ، فكان أناس من ضربه يستخفون فلا يخبرون
بأسمائهم . قال : فقال أبو حصين^١ وهو يحدثنا هنا : فبكتنا أن فلاناً قد أمر
على مكة ، فقلت له : يا سعيد ، إن هذا الرجل لا يؤمن ، وهو رجل
سوء ، وأنا أتقيه عليك ، فاطعن واشخص ، فقال : يا أبا حصين ، قد
والله فررت حتى استحييت من الله ! سيحييني ما كتب الله لي . قلت :
أظنك والله سعيداً كما سمعتك أمك . قال : فقدّم ذلك الرجل إلى مكة ،
فأرسل فأخذ فلان له وكلّمه ، فجعل يديره .

١٢٦٢/٧

وذكر أبو عاصم عن عمر بن قيس ، قال : كتب الحجاج إلى
الوليد : إن أهل النفاق والشقاق قد بلحوا إلى مكة ، فإن رأى
أمير المؤمنين أن ياذن لي فيهم ! فكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله القسري :
فأخذ عطاء وسعيد بن جبير ومجاهد وطلق بن حبيب وعمرو بن دينار ؛
فأما عمرو بن دينار وعطاء فأرسلوا لأنهما مكبان ، وأما الآخرون فبعث بهم
إلى الحجاج ، فمات طلق في الطريق ، وجبّس مجاهد حتى مات الحجاج ،
وقتل سعيد بن جبير .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو بكر ، قال : حدثنا الأشجعي ،
قال : لما أقبل الحرّميّان بسعيد بن جبير فنزل منزلاً قريباً من الرّبذة ،
فانطلقت أحد الحرّميّين في حاجته وبقى الآخر ، فاستيقظ الذي عنده ،
وقد رأى رؤيا ، فقال : يا سعيد ، إنى أبرأ إلى الله من دمك ! إنى رأيتُ
في منامي ؛ فقيل لي : ويلك ! تبرأ من دم سعيد بن جبير . اذهب
حيث شئت لا أطلبك أبداً ؛ فقال سعيد : أرجو العافية وأرجو ، وأبى حتى

١٢٦٢/٧

(١) هو أبو حصين عثمان بن عاصم ، روى عنه أبو بكر بن عياش ، وانظر الجزء الأول

جاء ذاك؛ ففترلاً من الغد، فأرى مثلها، فقيل: أبرا من دم سعيد.
فقال: يا سعيد، اذهب حيث شئت، إني أبرا إلى الله من دمك، حتى جاء به.

فلما جاء به إلى داره التي كان فيها سعيد وهي دارهم هذه، حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر، قال: حدثنا يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم قال: دخلت عليه في دار سعيد هذه، فجاء به مفيداً فدخل عليه قراء أهل الكوفة. قلت: يا أبا عبد^(١) الله، فحدثكم؟ قال: إني والله ويضحك، وهو يحدثنا، وبنيته له في حجره، فنظرت نظرة فأبصرت القيد فبكت، فسمعتة يقول: أي بنيته لا تطيرى، إياك وشق والله عليه - فاتبناه نسيه، فانتبهنا به إلى الجسر، فقال الحرميان: لا نعبّر به أبداً حتى يعطينا كفيلاً، نخاف أن يخرق نفسه. قال: قلنا: سعيد يخرق نفسه! فما عبروا حتى كفلنا به.

قال وهب بن جرير: حدثنا أبي، قال: سمعت الفضل بن سويد قال: بعثني الحاج في حاجة، فجاء بسعيد بن جبير، فرجعت فقلت: لأنظرن ما يصنع، فقممت على رأس الحاج، فقال له الحاج: ٢٦٤/٢ يا سعيد، ألم أشر كك في أمانتي! ألم أستعملك! ألم أفعل! حتى ظننت أنه يخلى سبيله؛ قال: بلى، قال: فما حملك على خروجك علي؟ قال: عزم علي، قال: فطار غضباً وقال: هيه! رأيت لعزمة عدو الرحمن عليك حقاً، ولم تر لله ولا لأمر المؤمنين ولا لي عليك حقاً! اضربا عنقه، فضربت عنقه، فنكسر رأسه عليه كة بيضاء لا طية صغيرة.

وحدثت عن أبي غسان مالك بن إسماعيل، قال: سمعت خلف بن خليفة يذكر عن رجل قال: لما قُتل سعيد بن جبير فنكسر رأسه لله، هلك ثلاثاً: مرة يُفصح بها، وفي الثنتين يقول: مثل ذلك فلا يُفصح بها.
وذكر أبو بكر^(٢) الباهلي، قال: سمعت أنس بن أبي شيخ، يقول: لما

(١) أبو عبد الله كنية يزيد بن أبي زياد. تهذيب التهذيب.

(٢) ط: «بكرة»، وانظر التهذيب.

أَتَيْتِ الْحِجَاجُ بِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ : لَعَنَ اللَّهُ ابْنَ النَّصْرَانِيَّةِ - قَالَ : يَعْنِي خَالِدًا الْقَسْرِيَّ ، وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ مِنْ مَكَّةَ - أَمَا كُنْتُ أَعْرِفُ مَكَانَهُ ! بَلَى وَاللَّهِ وَالْبَيْتَ الَّذِي هُوَ فِيهِ بِمَكَّةَ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : يَا سَعِيدُ ، مَا أَخْرَجَكَ عَلَيَّ ؟ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! إِنَّمَا أَنَا أَمْرُؤٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُخْطِئُ مَرَّةً وَيُصِيبُ مَرَّةً ، قَالَ : فَطَابَتْ نَفْسُ الْحِجَاجِ ، وَتَطَلَّقَ وَجْهَهُ ، وَرَجَا أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ أَمْرِهِ ، قَالَ : فَعَاوَدَهُ فِي شَيْءٍ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا كَانَتْ لَهُ بَيْعَةٌ فِي عُنُقِي ؛ قَالَ : فَغَضِبَ وَانْتَفَخَ حَتَّى سَقَطَ أَحَدُ طَرَفَيْ رِدَائِهِ عَنْ مَتَكِيهِ ، فَقَالَ : يَا سَعِيدُ ، أَلَمْ أَقْدَمْ مَكَّةَ فَقَتَلْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، ثُمَّ أَخَذْتُ^(١) بَيْعَةَ أَهْلِهَا ، وَأَخَذْتُ بِبَيْعَتِكَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ ! قَالَ : بَلَى ، قَالَ : ثُمَّ قَدِمْتُ الْكُوفَةَ وَالْيَمَّ عَلَى الْعِرَاقِ فَجِدَدْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْبَيْعَةَ ، فَأَخَذْتُ بِبَيْعَتِكَ لَهُ ثَانِيَةً ! قَالَ : بَلَى ؛ قَالَ : فَتَنَكَّثْتُ^(٢) بِبَيْعَتَيْنِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَنَبَّيْتُ بِوَاحِدَةٍ لِلْحَائِلِ ابْنِ الْحَائِلِ ! اضْرِبْ بَا عُنُقَهُ ؛ قَالَ : فَيَا هَ عَنِّي جَرِيرٌ بِقَوْلِهِ :

يَا رَبُّ نَاكِثٍ بَيْعَتَيْنِ تَرَكْتَهُ وَخَضَابٌ لِحْيَتِهِ دَمُ الْأَوْدَاجِ^(٣)

وَذَكَرَ عَتَابُ بْنُ يَشْرٍ ، عَنْ سَالِمِ الْأَفْطَسِ ، قَالَ : أَتَيْتِ الْحِجَاجُ بِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَهُوَ يَرِيدُ الرُّكُوبَ ، وَقَدْ وَضَعَ لِحْدَى رِجْلَيْهِ فِي الْفَرْزِ - أَوْ الرِّكَابِ - فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أُرْكَبُ حَتَّى تَبُوءَ مَقْعَدَكَ مِنَ النَّارِ ، اضْرِبُوا عُنُقَهُ . فَفُهِرَتْ عُنُقُهُ ، فَالْتَبَسَ مَكَانَهُ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : قِيُودُنَا قِيُودُنَا ، فَظَنُّوْا أَنَّهُ قَالَ : الْقِيُودُ الَّتِي عَلَى سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، فَقَطَّعُوا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنْصَافٍ سَاقِيَتِهِ وَأَخَذُوا الْقِيُودَ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ هِلَالِ بْنِ خَبَّابٍ^(٤) قَالَ : جَاءَ بِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ إِلَى الْحِجَاجِ فَقَالَ : أَكْتَسَبْتَ إِلَى مَصْعَبِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ؟ قَالَ : بَلَى كَتَبْتُ إِلَى مَصْعَبٍ ؛ قَالَ : وَاللَّهِ لَا قَتْلَكَ ؛ قَالَ :

(١) ب : « وَأَخَذْتُ » . (٢) ب : « فَتَنَكَّثْتُ » .
(٣) ط : « وَجَنَاب » ، وَانْظُرِ الْقَهْرِي . (٤) (٢) دِيوَانُهُ ٩٠ .

إتني إذا لَسَعِيدَ كما سَمَتْنِي أُمِّي! قال : فَفَتَلَهُ ؛ فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَهُ إِلَّا نَحْواً
من أربعين يوماً ، فكان إذا نام يراه في مَنَامِهِ يأخذ بِمَجَامِعِ ثَوْبِهِ فيقول :
يا عَدُوَّ اللَّهِ ، لِمَ قَتَلْتَنِي ؟ فيقول : مَالِي وَلَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ! مَالِي وَلَسَعِيدُ
ابنِ جُبَيْرٍ!

* * *

قال أبو جعفر: وكان يقال لهذه السنة سنةُ القُمَّهَاءِ، ماتَ فيها عامَّةُ
قُمَّهَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، ماتَ في أوَّلِهَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١)، ثُمَّ
عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، ثُمَّ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ.

وامتَقَضَى الْوَلِيدُ في هذه السنة بالشَّامِ سُلَيْمَانَ بْنَ حَبِيبٍ .
وَاخْتَلَفَ فِيمَنْ أَقَامَ الْحَجَّ لِلنَّاسِ في هذه السنة ، فقال أبو معشر —
فِيهَا حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ عَنْ ذَكَرِهِ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى عَنْ —
قال : حَجَّ بِالنَّاسِ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ .
وقال الواقدي : حجَّ بالناس سنة أربع وتسعين عبدُ العزیز بنُ الوليد بن
عبد الملك — قال : ويقال : مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ .

وكان العاملُ فيها على مكة خالد بن عبد الله القسريّ ، وعلى المدينة
عثمان بن حيان المرّيّ ، وعلى الكوفة زياد بن جرير ، وعلى قضائها أبو بكر
ابن أبي موسى . وعلى البصرة الجراح بن عبد الله . وعلى قضائها عبد الرحمن
ابن أذينة . وعلى خراسان قتيبة بن مسلم ، وعلى مصر قرّة بن شريك ،
وكان العراق والمشرق كله إلى الحجاج^(٢) .

(١) ب : يعلى بن الحسين بن علي صل الله عليه .

(٢) يه في ب : « بن يوسف » .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

١٢٦٧/٢

ففيها كانت غزوة العباس بن الوليد بن عبد الملك أرض الروم ، ففتح الله على يديه ثلاثة حصون فيما قيل ، وهي : طولس ، والمرزيانين ، وهر قنلة .

وفيها فتح آخر الهند إلا الكبيرج والمندك .

وفيها بُنيت واسط القصب في شهر رمضان .

وفيها انصرف موسى بن نصير إلى إفريقية من الأندلس ، وضحي بقصر

الماء - فيما قيل - على ميل من القبروان .

* * *

[بقية الخبر عن غزو الشاش]

وفيها غزا قتيبة بن مسلم الشاش .

ذكر الخبر عن غزوته هذه :

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد ، قال : وبعث الحجاج جيشاً من العراق فقدموا على قتيبة سنة خمس وتسعين ، ففزا ، فلما كان بالشاش - أو بكشها من - أتاه موت الحجاج في شوال ، ففعمه ذلك ، وقفل راجعاً إلى مرو ، ومثل :

لعمري لنعم المرء من آل جعفر بحوران أمسى أعلقته الجبال^(١)

فإن تحي لا أملك حياتي وإن تمت فما في حياة بعد موتك طائل

قال : فرجع بالناس ففرقهم ، فخلف في بخارى قوماً ، ووجه قوماً

إلى كس ونسف ، ثم أتى مرو فأقام بها ، وأتاه كتاب الوليد : قد صرف

أمير المؤمنين بلاءك وجدك^(٢) في جهاد أعداء المسلمين ، وأمير المؤمنين^(٣)

١٢٦٨/٢

(١) الخطبة ، ديوانه ١٠٠ ، وذكروا أنه خرج يريد علقمة بن علاثة وهو بحوران ، فات

علقمة قبل أن يصل إليه الخطبة ، فقال أياً ما منها هذان اللتان . (٢) ب : « وجهادك » .

(٣) ب : « للمسلمين » .

وافعلك وصانع بك كالذي يجب لك ، فإلم متغازيك ، وانتظر ثواب ربك ، ولا تغيب^(١) عن أمير المؤمنين كتبك ؛ حتى كآنى أنظرُ إلى بلادك^(٢) والثغر الذى أنت به^(٣) .

* * *

وفيهما مات الحجاج بن يوسف فى سؤال— وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة وقيل : ابن ثلاث وخمسين سنة — وقيل : كانت وفاته فى هذه السنة لخمس ليال بقیين من شهر رمضان .

وفيهما استخلف الحجاج لما حضرته الوفاة على الصلاة ابنه عبد الله بن الحجاج . وكانت إمرة الحجاج على العراق فيما قال الواقديّ عشرين سنة . وفى هذه السنة افتتح العباس بن الوليد قنسرین .

وفيهما قُتِلَ الواحى بأرض الروم ونحو من ألف رجل معه .

وفيهما — فيما ذكر — وُلِدَ المنصور عبد الله بن محمد بن على .

وفيهما ولّى الوليد بن عبد الملك يزيد بن أبى كبشة على الحرب والصلاة بالمصريين^(٤) : الكوفة والبصرة ، وولّى خراجهما يزيد بن أبى مسلم .

وقيل : إن الحجاج كان استخلف حين حضرته الوفاة على حرب

البلدين والصلاة بأهلها يزيد بن أبى كبشة ، وعلى خراجهما يزيد بن أبى مسلم ، فأقرهما الوليد بعد موت الحجاج على ما كان الحجاج ١٢٦٩/٢ استخلفهما عليه . وكذلك فعل بعمال الحجاج كلهم ، أقرهم بعده على أعمالهم التى كانوا عليها فى حياته .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة بشر بن الوليد بن عبد الملك ، حدثنى

(٢) ب : بلادك .

(١) ب : « تغيب » .

(٣) ب : « فيه » .

(٤) ب : « على المصريين » .

بذلك أحمدُ بنُ ثابتٍ عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي بصير .
وكذلك قال الواقدي .

* * *

وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا في السنة
التي قبلها ، إلا ما كان من الكوفة والبصرة ، فإنهما ضُمَّتَا إلى مَنْ
ذكرتُ بعد موتِ الحجاج .

ثم دخلت سنة ست وتسعين ذكر الأحداث التي كانت فيها

ففيها كانت - فيما قال الواقدي - غزوة بشر بن الوليد الثانية ،
فقتل وقد مات الوليد .

* * *

[ذكر الخبر عن موت الوليد بن عبد الملك]

وفيهما كانت وفاة الوليد بن عبد الملك ، يوم السبت في النصف من
جمادى الآخرة سنة ست وتسعين في قول جميع أهل السير .

واختلف في قدر مدة خلافته ، فقال الزهري في ذلك - ما حدثت
عن ابن وهب عن يونس عنه : ملك الوليد عشر سنين إلا شهراً .

وقال أبو معشر فيه ، ما حدثني أحمد بن ثابت ، عن ذكره ،
عن إسحاق بن عيسى ، عنه : كانت خلافة الوليد تسع سنين وسبعة أشهر .

وقال هشام بن محمد : كانت ولاية^(١) الوليد ثمان سنين وستة^(٢) أشهر . ١٢٧٠/٢

وقال الواقدي : كانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر وليلتين .

واختلف أيضاً في مبلغ عمره ، فقال محمد بن عمر : توفي بدمشق
وهو ابن ست وأربعين سنة وأشهر .

وقال هشام بن محمد : توفي وهو ابن خمس وأربعين سنة .

وقال علي بن محمد : توفي وهو ابن اثنتين وأربعين سنة وأشهر .

وقال علي : كانت وفاة الوليد بدير مران ، ودفن خارج باب الصغير .

ويقال : في مقابر الفراديس .

ويقال : إنه توفي وهو ابن سبع وأربعين سنة .

وقيل : صلى عليه عمر بن عبد العزيز .

(١) ب : « خلافة » .

(٢) ب : « ثمانية » .

وكان له فيها قال على - تسعة عشر ابنًا: عبدالعزيز، ومحمد، والعباس، وإبراهيم، وعثام، وخالد، وعبد الرحمن، ومبشر، ومسروق، وأبو عبيدة، وصدة، ومنصور، ومروان، وعنبسة، وعمر، وروح، ومبشر، ويزيد، ويحيى؛

أم عبد العزيز ومحمد وأم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان، وأم أبي عبيدة فزارية، وسائرهم لأمهات شتى.

* * *

* ذكر الخبر عن بعض سيره :

حدثني حمزة، قال: حدثني علي، قال: كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل بخلاتهم، بنى المساجد مسجداً دمشق ومسجداً المدينة، ووضع المنار، وأعطى الناس، وأعطى المسجدين، وقال: لا تسألوا الناس. وأعطى كل مقعد خادماً، وكل ضريراً قائداً. وفتح في ولايته فتوح عظام؛ فتح موسى بن نصير الأندلس، وفتح قتيبة كاشغر، وفتح محمد بن القاسم الهند.

قال: وكان الوليد يمر بالقال فيقف عليه فيأخذ حزمة البقل فيقول: بكم هذه؟ فيقول: بفلس؛ فيقول: زد فيها.

قال: وأتاه رجل من بني مخزوم يسأله في دينه، فقال: نعم، إن كنت مستحقاً لذلك، قال: يا أمير المؤمنين، وكيف لا أكون مستحقاً لذلك مع قرابتي! قال: أقرأت القرآن؟ قال: لا، قال: ادن مني، فدنا منه، فنزع عمامته بقصيب كان في يده، وقرعه قرعات بالقصيب، وقال لرجل: ضم هذا إليك، فلا يفارقك حتى يقرأ القرآن، فقام إليه عثمان ابن يزيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال: يا أمير المؤمنين، إن علي ديناً، فقال: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، فاستقرأه عشر آيات من الأنفال، وعشر آيات من براءة، فقرأ، فقال: نعم، نقضى^(١) عنكم، ونصبل أرحامكم على هذا.

١٢٧٢/٢

(١) ب: «يقضى».

قال : وسَرَّضَ الوليدُ فرهقته غَشِيَّةً ، فكثَّ عامَّةً يومه عندهم مَيْتًا ، فبُكِيَ عليه ، وخُرِجَت البُرْدُ بِمَوْتِهِ ، فَقَدِمَ رسولُ علي الحجاج ، فاستَرَجَعَ ، ثُمَّ أَسْرَ بِجِلِّ فُشْدٌ في يديه ، ثُمَّ أَوْثَقَ إِلَى أَسْطَوَانَةٍ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ لَا تَسْلُطْ عَلَيَّ مِنْ لَا رَحْمَةَ لَهُ ، فَقَدْ طَلَا مَا أَتُكَ أَنْ تَجْعَلَ مِنِّي قَبْلَ مَنِيَّتِهِ ! وَجَمَلٌ يَدْعُو ، فَإِنَّهُ لَسَكَنَكَ إِذْ قَدِمَ عَلَيْهِ بِرِيدٌ بِإِفَاقَتِهِ .

قال عليّ : ولما أَفَاقَ الوليدُ قال : ما أَحَدٌ أَسْرَّ بِعَافِيَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ^(١) من الحجاج ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : ما أَعْظَمَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْنَا بِعَافِيَتِكَ ، وَكَأَنِّي بِكِتَابِ الْحَجَّاجِ قَدْ أَتَاكَ يَذْكُرُ فِيهِ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ بِرُؤُوكَ خَرَّ لِلَّهِ سَاجِدًا ، وَأَعْتَقَ كُلَّ مَمْلُوكٍ لَهُ ، وَبَعَثَ بِقَوَارِيرٍ مِنْ أَنْبِجِ الْهِنْدِ . فَمَا لَبِثَ إِلَّا أَيَّامًا حَتَّى جَاءَ الْكِتَابُ بِمَا قَالَ .

قال : ثُمَّ لَمْ يَمُتِ الْحَجَّاجُ حَتَّى ثَقُلَ عَلَى الْوَلِيدِ ، فَقَالَ خَادِمُ الْوَلِيدِ : إِنِّي لِأَوْضَيْتُ الْوَلِيدَ يَوْمًا لِلْعَدَاءِ ، فَلَمَّا يَدَّهُ ، فَجَعَلْتُ أَصْبَ عَلَيْهِ الْمَاءَ ، وَهُوَ سَاهٍ وَالْمَاءُ يُسِيلُ وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَكَلَّمَ ، ثُمَّ نَضَحْتُ الْمَاءَ فِي وَجْهِهِ ، وَقَالَ : أَنَا عَسَى أَنْتَ ! وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ : مَا تَدْرِي مَا جَاءَ اللَّيْلَةُ ؟ قُلْتُ : لَا ؛ قَالَ : وَنَحَلَّكَ ! مَاتَ الْحَجَّاجُ ! فَاسْتَرَجَعْتُ . قَالَ : اسْكُتْ مَا يُسَرُّ مَوْلَاكَ أَنْ فِي يَدِهِ تَفَاحَةٌ يَشُمُّهَا .

قال عليّ : وَكَانَ الْوَلِيدُ صَاحِبَ بِنَاءٍ وَاتَّخَذَ لِلْمَصَانِعِ وَالضَّبَايِعِ ، وَكَانَ النَّاسُ يَلْتَقُونَ فِي زَمَانِهِ ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنِ الْبِنَاءِ وَالْمَصْنَعِ . فَوَلَّى ١٢٧٣/٢ سُلَيْمَانَ ، فَكَانَ صَاحِبَ نِكَاحٍ وَطَعَامٍ ، فَكَانَ النَّاسُ يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنِ التَّرْوِيجِ وَالْحَوَارِيِّ . فَلَمَّا وَلَّى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانُوا يَلْتَقُونَ فَيَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ : مَا وَرَدَكَ اللَّيْلَةُ ؟ وَكَمْ تَحْفَظُ مِنَ الْقُرْآنِ ؟ وَتَتَى تَحْتِمُ ؟ وَتَتَى خَشِمْتَ ؟ وَمَا تَصُومُ مِنَ الشَّهْرِ ؟ وَرَأَى جَرِيرَ الْوَلِيدِ فَقَالَ :

يَا عَيْنَ جُودِي يَدْمَعُ هَاجَهُ الذُّكْرُ فَمَا لِلدَّمْعِ بَعْدَ الْيَوْمِ مُدْخَرٌ ^(١)

(١) س : « والويل » .

(٢) ديوانه ٢٩٦ .

إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ وَارَتْ شَمَائِلَهُ غِبْرَاءُ مُلَحَدَةٌ فِي جُودِهَا زَوْرٌ^(١)
أَضْحَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ
كَانُوا جَمِيعاً فَلَمْ يَدْفَعْ مَنِيَّتَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَلَا رُوحٌ وَلَا عَمْرُ^(٢)

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: حجَّ الوليدُ بنُ عبد الملك، وحجَّ
محمد بنُ يوسفَ من اليمَن ، وحملَ هدايا للوليد ، فقالت أمُ البنين للوليد :
يا أميرَ المؤمنين ، اجعلْ لي هديةَ محمد بنِ يوسف ، فأمرَ بصرفها إليها ،
فجاءت رسلُ أمُ البنين إلى محمد فيها ، فأبى وقال : ينظرُ إليها أميرُ المؤمنين
فيرى رأيه - وكانت هدايا كثيرة - فقالت : يا أميرَ المؤمنين ، إنك أمرتَ
بهدايا محمد أن تُصرفَ إلى ، ولا حاجةَ لي بها ، قال : ولِمَ ؟ قالت :
بلسغى أنه غصبها الناسَ ، وكلَّهم عملها ، وظلمهم . وحملَ محمد
المتاع إلى الوليد ، فقال : بلسغى أنك أصببتَها غصباً ، قال ، معاذَ الله ! فأمر
فاستحلفَ بينَ الركن والمقامَ خمسينَ يميناً بالله ما غصبَ شيئاً منها ،
وَلَا ظَلَمَ أحداً ، وَلَا أَصَابَهَا إِلَّا مِنْ طَيِّبٍ ؛ فَحَلَفَ ، فَقَبِلَهَا الوليدُ وَدَفَعَهَا
إِلَى أمُ البنين ، فأتى محمد بنُ يوسفَ باليمَن ، أصابها داءٌ تَقَطَّعَ مِنْهُ .

١٢٧٤/٢

وفي هذه السنة كان الوليد أرادَ الشخصَ إلى أخيه سليمانَ لخلعه ، وأرادَ
البسعةَ لابنه من بعده ، وذلك قبلَ مرَضَتِهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا . حدثني عمر ،
قال : حدثنا علي ، قال : كان الوليدُ وسليمانَ وكييَ عهد عبد الملك ،
فلما أَفْضَى الأمرُ إلى الوليد ، أرادَ أن يبايعَ لابنه عبد العزيز
ويُخْلَعَ سليمانَ ، فأبى سليمانَ ، فأراه على أن يجعله له من بعده ، فأبى ،
فعرَضَ عليه أموالاً كثيرةً ، فأبى ، فكَتَبَ إلى عماله أن يبايعوا لعبد العزيز ،

(١) الديوان : « غبراء ملحدة » . وأحوال البئر : فواحها . والزور : الاعوجاج .

(٢) يعلو في الديوان .

وخالِدٌ لو أرادَ الدَّهْرَ فليدتهُ أَغْلَوْا مَخَاطِرَهُ لو يَقْبَلُ الْخَطَرُ
قد شَفَّنِي رَوْعَةُ الْعَبَاسِ مِنْ فَرْعٍ ۖ أَلَّا أَنَاهُ بَدِيرُ الْقَسْطِ الْخَبِرُ

ودعا الناس إلى ذلك ؛ فلم يُجبه أحد إلا الحجاج وقتيبة وخواص من الناس . فقال عباد بن زياد : إن الناس لا يُجيبونك إلى هذا ، ولو أجابوك لم آمنهم على القدر بابتك ، فاكب إلى سليمان فليقدم عليك ، فإن لك عليه طاعة ، فأردّه على البسيطة لعبد العزيز من بعده ، فإنه لا يتقدّر على الامتناع وهو عندك ، فإن أبى كان الناس عليه .

فكتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقنوم^(١) ، فأبطأ ، فاعتزّم الوليد على المسير إليه وعلى أن يخلّعه ، فأمر الناس بالتأهب ، وأمر بمحجره فأخرجت ، ففرض ، ومات قبل أن يسير^(٢) وهو يريد ذلك .

قال عمر : قال عليّ : وأخبرنا أبو عاصم الزبائدي عن الهيثوث الكلبي ، قال : كنا بالهند مع محمد بن القاسم ، فقتل الله داهراً^(٣) ، وجاءنا كتاب من الحجاج أن اخلعوا سليمان ، فلما ولي سليمان جاءنا كتاب سليمان ، أن ازرعوا واحرثوا ، فلا شأّم لكم ، فلم نزل بتلك البلاد حتى قام عمر بن عبد العزيز فأقفلنا .

قال عمر : قال عليّ : أراد الوليد أن يبنى مسجداً دمشق ، وكانت فيه كنيسة ، فقال الوليد لأصحابه : أقسمت عليكم لمّا أتاني كل رجل منكم بليسية ، فجعل كل رجل يأتيه بليسية ، ورجل من أهل العراق يأتيه بليستين ، فقال له : ممن أنت ؟ قال : من أهل العراق ؛ قال : يا أهل العراق ، تُقرطون في كلّ شيء حتى في الطاعة ! وهلموا الكنيسة وبنّاها مسجداً ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز شكوا ذلك إليه ، فقيل : إن كل ما كان خارجاً من المدينة افتتح عنه ، فقال لهم عمر : نردّ عليكم كيستكم ونهدم كنيسة ثوماً ، فإنها فتحت عنه ، بنيناها مسجداً ، فلما قال لهم ذلك قالوا : بل ندع لكم هذا الذي هدّمه الوليد ، ودعوا لنا كنيسة ثوما . ففعل عمر ذلك .

(١) بعل في ب : « عليه » .

(٢) بعل في ب : « إليه » .

(٣) داهر ، ملك سكران .

[فتح قتيبة كاشغر وغزو الصين]

وفي هذه السنة افتتح قتيبة بن مسلم كاشغر ، وغزى الصين .

* ذكر الخبر عن ذلك :

رَجَعَ الحديث إلى حديث علي بن محمد بالإسناد الذي ذُكرتُ قبلُ .
قال : ثم غزا قتيبة في سنة ست وتسعين ، وحَمَلَ مع الناس عيالهم وهو يريد
أن يُحْمِزَ عياله في سمرقند خوفاً من سلبان ، فلما عبر النهر استعمل رجلاً ١٢٧٦/٢
من مواله يقال له الخوارزمي على مَقْطَعِ النهر ، وقال : لا يجوزن أحدٌ إلا
بجواز ، ومَضَى إلى قَرْغَاة ، وأرسل إلى شُعْبِ عصام من يُسَهِّلُ له
الطريق إلى كاشغر ، وهي أدنى مدائن الصين ، فأثاء موت الوليد وهو بقَرْغَاة .

قال : فأخبرنا أبو الذِّيال عن المهلب بن إياس ، قال : قال إياس بن زهير :
لما عبر قتيبة النهر أَتَيْتُهُ فقلت له : إنك خرجت ولم أعلم رأيك في العيال
فتأخذ أهبة ذلك ، وبقي الأكابر معي ، ولي عيال قد خُفِضَتْهُم وأُم عجزوه
وليس عندهم من يقوم بأمرهم ، فإن رأيت أن تَكْتُبَ لي كتاباً مع بعض
بني أوجه فيقدم على بأهل ! فكَتَبَ ، فأعطاني الكتاب فأنتهيت إلى النهر
وصاحب النهر من الجانب الآخر ، فألويت يدي ، فجاء قوم في سفينة
فقالوا : من أنت ؟ أين جوازك ؟ فأخبرتهم ، ففَعَدَ معي قوم ورد قوم
السفينة إلى العامل ، فأخبروه . قال : ثم رجعوا إلى فحملوني ، فأنتهيت
إليهم وهم يأكلون وأنا جائع ، فرميت بنفسي ، فسألني عن الأمر ، وأنا آكل
لا أجيبه ، فقال : هذا أعراقي قد مات من الجوع ، ثم ركبْتُ فُضِيْتُ
فأُتِيتُ مرو ، فحملت أمي ، ورجعت أريدُ العسكر ، وجاءنا موت الوليد ،
فانصرف إلى مرو .

وقال : وأخبرنا أبو مخنف ، عن أبيه ، قال : بعث قتيبة كثير بن فلان
إلى كاشغر ، فسبى منها سبيّاً ، فخم أعناقهم مما أفاء الله على قتيبة ،
ثم رجع قتيبة وجاءهم موت الوليد .

قال : وأخبرنا يحيى بن زكرياء الهمداني عن أشياخ من أهل خراسان

والتحكيم بن عثمان ، قال : حدثني شيخٌ من أهل خراسان . قال : وعُفْل قتيبة حتى قرب^(١) من الصين . قال : فكتب إليه ملك الصين أن ابعث إلينا رجلاً من أشرف من معكم يُخبرنا عنكم ، ونسأله عن دينكم . فانخشب قتيبة من عسكره اثني عشر رجلاً - وقال بعضهم : عشرة من أفناء القبائل ، لم جمال وأجسام والسُن وشعور وبأس ، بعد ما سأل عنهم فوجدتهم من صالح من هم منه . فكلّمهم قتيبة ، وفاطنهم فرأى عقولا وجمالاً ، فأمرهم بعدة حسنة من السلاح والمتاع الجيد من الخبز والوشى واللبن من البياض والرقيق^(٢) والنعال^(٣) والعطر ، وحسّلهم على نحويل مطهّمة تُقادُ معهم ، ودواب يتركبونها^(٤) . قال : وكان هُبيرة بن المشمرج الكلابي مفوهاً بسيطاً اللسان ، فقال : يا هُبيرة ، كيف أنت صانع ؟ قال : أصلح الله الأمير ! قد كُفيت الأدب وقلّ ما شئت أقلّه . وأخذ به ، قال : سيروا على بركة الله ، وبالله التوفيق . لا تَضَعُوا العمامَ عنكم حتى تَقْدُمُوا البلادَ ، فإذا دخلتم عليه فأعلموه أني قد حلفتُ ألا أنصرفَ حتى أطا بلادهم ، وأنتم ملوكهم ، وأجبي خراجهم .

قال : فساروا ، وعليهم هُبيرة بن المشمرج ، فلما قدموا أرسل إليهم ملكُ الصين يدعومهم ، فدَحَلُوا الحمام ، ثم خرجوا فلبسوا ثياباً بيضاً^(٥) نَحَتَهَا الغنائل ، ثم مَسَسُوا الغالية ، ودَحَنُوا^(٦) . ولبسوا النعال والأردية ، ودخلوا عليه وعنده عظماءُ أهل مملكته ، فجلسوا ، فلم يكلمهم الملك ولا أحدٌ من جلسائه فنَهَضُوا ، فقال الملك لمن حَضَرَهُ : كيف رأيتم هؤلاء ؟ قالوا : رأينا قوماً ما هم إلا نساء ، ما بقي منا أحد حين رأيهم ووجد راححتهم إلا انتشر ما عنده .

قال : فلما كان الغد أرسل إليهم فلبسوا الوشي وعمائم الخبز والمطارف ، وغدوا عليه ، فلما دخلوا عليه قيل لهم : ارجعوا ، فقال لأصحابه : كيف

(١) ب : « بلغ قرب » . (٢) ب : « الرقاق » .

(٣) ب : « وأبغال » . (٤) ب : « يربطونها » .

(٥) في اللسان : « اللحنة : بخور يدخن به الثياب أو البيت ، وقد تدخن بها ويدخن غيره » .

(٦) ط : « يئانسا » .

رَأَيْتُمْ هَذِهِ الْهَيْئَةَ ؟ قَالُوا : هَذِهِ الْهَيْئَةُ أَشْبَهُ بِهَيْئَةِ الرِّجَالِ مِنْ تِلْكَ الْأُولَى ، وَهَم أُولَئِكَ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثُ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَشَدُّوا عَلَيْهِمْ سِلَاحَهُمْ ، وَلَبَسُوا الْبَيْضَ وَالْمَخَافِرَ ، وَتَقَلَّدُوا السِّيفَ ، وَأَخَذُوا الرَّمْحَ ، وَتَنَكَّبُوا الْقِسْيَ ، وَرَكِبُوا خَيْولَهُمْ ، وَغَدَوْا فَتَنَظَّرَ إِلَيْهِمْ صَاحِبُ الصِّينِ فَرَأَى أَمْثَالَ الْجِبَالِ مُقْبِلَةً ، فَلَمَّا دَنَوْا رَكَزُوا رِمَاحَهُمْ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا نَحْوَهُمْ مَشْعَرِينَ ، فَقِيلَ لَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا : ارْجِعُوا ، لِمَا دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْ خَوْفِهِمْ .

قال : فَاَنْصَرَفُوا فَرَكَبُوا خَيْلَهُمْ ، وَاخْتَلَسُوا رِمَاحَهُمْ ، ثُمَّ دَفَعُوا خَيْولَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَتَطَارَدُونَ بِهَا ، فَقَالَ الْمَلِكُ لِأَصْحَابِهِ : كَيْفَ تَرَوْنَهُمْ ؟ قَالُوا : مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَؤُلَاءِ قَطُّ ، فَلَمَّا أَمْسَى أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْمَلِكُ ، أَنْ ابْعَثُوا إِلَى زَعِيمِكُمْ وَأَفْضَلِكُمْ رَجُلًا ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ هُبَيْرَةَ ، فَقَالَ لَهُ حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ : قَدْ رَأَيْتُمْ (١) عَظِيمَ مُلْكِي ، وَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَمْنَعُكُمْ مِنِّي ، وَأَنْتُمْ فِي بِلَادِي ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ بَعْتَرَةُ الْبَيْضَةِ فِي كَهْنَى . وَأَنَا سَأَلْتُكَ (٢) عَنْ أَمْرِ فُلَانٍ لَمْ تَتَصَلَّقْنِي (٣) قَتَلْتُكُمْ . قال : سَلِّ ؛ قال : لِمَ صَنَعْتُمْ مَا صَنَعْتُمْ مِنَ الزَّيِّ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي وَالثَّلَاثِ ؟ قال : أَمَا زَيْتُنَا الْأَوَّلُ فَلَيْسَ بِنَا فِي أَهَالِنَا (٤) وَرَيْحُنَا عِنْدَهُمْ ، وَأَمَا يَوْمُنَا الثَّانِي فَلِإِذَا أَتَيْنَا أَمْرَاءَنَا ، وَأَمَا الْيَوْمُ الثَّلَاثُ فَرَزَيْنَا لَعْدُونًا ، فَلِإِذَا هَاجَسْنَا هَيْجَ وَفَزَعٍ (٥)

كُنَّا هَكَذَا . قال : مَا أَحْسَنَ مَا دَبَّرْتُمْ دَهْرَكُمْ ! فَاَنْصَرَفُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ فَقُولُوا لَهُ : يَنْصَرِفُ ، فَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ حِرْصَهُ وَقَلَّةَ أَصْحَابِهِ ، وَإِلَّا بَعَثْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ يُهْلِكُكُمْ وَيُهْلِكُهُ ، قَالَ لَهُ : كَيْفَ يَكُونُ قَلِيلُ الْأَصْحَابِ مِمَّنْ أَوَّلُ خِيَلِهِ فِي بِلَادِكَ وَأَخِيرُهَا فِي مَنَابِتِ الزَّيْتُونِ ! وَكَيْفَ يَكُونُ حَرِيصًا مِنْ خُلُفِ الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَيْهَا وَغَزَاكَ ! وَأَمَا تَخْوِيفُكَ إِيَّانَا بِالْقَتْلِ فَإِنَّ لَنَا آجَالًا إِذَا حَضَرَتْ فَأَكْرَمَهَا الْقَتْلُ ، فَلَسْنَا نَكْرَهُهُ وَلَا نَخَافُهُ ؛ قال : فَمَا الَّذِي يُرْضِي صَاحِبَكُ ؟ قال : إِنَّهُ قَدْ حَلَفَ أَلَّا يَنْصَرِفَ حَتَّى يَطَّأَ أَرْضَكُمْ ، وَيَخْتَمَ مَلُوكَكُمْ ، وَيُعْطَى الْجِزْيَةَ ، قَالَ : فَإِنَّا نَخْرُجُهُ مِنْ يَمِينِهِ ، نَبْعَثُ إِلَيْهِ

١٢٧٩/٢

- (١) ب : « أَرَأَيْتُمْ » .
(٢) ب : « سَأَلْتُكَ » .
(٣) ب : « تَصَلَّقْتَنِي » .
(٤) ب : « أَهْلَانَا » .
(٥) ب : « لَوْ فَزَح » .

بتراب من تراب أرضنا فيطوّه ، وتبعث ببعض أبنائنا فيختتمهم ، ونبعث إليه
 مجزية يرضاها . قال : فدعا بصحاف من ذهب فيها تراب ، وبعث بحريز
 وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ، ثم أجازهم فأحسن جوائزهم ،
 فساروا فقدّموا بما بعث به ، فقيل قتيبة الجزية ، وختم الغلّة وردّهم ،
 ووطنى التراب ، فقال سودة بن عبد الله السلولي :

لا عيبَ في الوفدِ الذينَ بعثتَهُمُ للصينَ إنْ سلكوا طريقَ المنهجِ
 كسروا الجفونَ على القذى خوفَ الردى حاشا الكريمِ هُبيرةَ بنِ مُشمرَجِ
 لم يَرَضْ غيرَ الختمِ في أعناقِهِم ورهاتينِ دُفِعتْ بِحِمْلِ سَمَرَجِ
 أدّى رسالتك التي استرعىته وأتاك من جنبِ اليمينِ بمخرَجِ
 قال : فأوفد قتيبة هُبيرةَ إلى الوليد ، فات بقرية^(١) من فارس ، فرأه
 سودة ، فقال :

للهِ قبرٌ هُبيرةَ بنِ مُشمرَجِ ماذا تَضْمَنَ من ندى وجمالِ
 وبليّةٍ يعيا بها أبنائُها عند احتفالِ مشاهدِ الأقوالِ
 كان الربيعُ إذا السُّنُونُ تَتَابَعَتْ والليثُ عند تكمكِ الأبطالِ
 فَسَقَتْ بِقَرِبةٍ حيثُ أَمسى قَبْرُهُ غُرٌّ يَرْحَنُ بِمَسِيلِ هَطَالِ
 بَكَتِ الجيادُ الصافناتُ لَفَقْدِهِ ويكاه كلُّ مُتَّقِفٍ عَسَالِ
 وبكته شُعْتُ لم يجدنَ مُواسيَا في العامِ ذى السُّنُونِ والإِمحالِ
 قال : وقال الباهليّون : كان قتيبة إذا رجع من غزاته كل سنة اشترى
 اثنتي عشرة فرساً من جياد الخيل ، واثني عشر هجيناً . لا يُجاوز بالفرس أربعة
 آلاف ، فيقام عليها إلى وقت الغزو ، فإذا تأهب للغزو وعسكر قيّد
 وأضميرت ، فلا يقطع نهرأ يخبيل حتى تخفّ لحومها ، فيحمل عليها
 من يحمله في الطلائع . وكان يبعث في الطلائع الفرسان من الأشراف ،
 ويبعث معهم رجالاً من العجم ممن يستصبح على تلك الهجن ، وكان إذا بعث

بطليعة^(١) أَمَرَ بَلْتُوحَ فَنَقَشَ ، ثُمَّ يَشْفَعُ شَفَتَيْنِ فَأَعْطَاهُ شَفَّةً ، وَاحْتَبَسَ شَفَّةً ، لثَلَا يُمَثِّلُ مِثْلَهَا ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَدْفِنَهَا فِي مَوْضِعٍ يَصِفُهُ لَهُ مِنْ^(٢) غَضَاصَةِ مَعْرُوفَةٍ ، أَوْ تَحْتَ شَجَرَةٍ مَعْلُومَةٍ ، أَوْ خَرِبَةٍ ، ثُمَّ يَبْعَثُ بَعْدَهُ مَنْ يَسْتَبْرِئُهَا لِيَعْلَمَ أَصَادِقُ فِي طَلِيعَتِهِ أَمْ لَا .

وَقَالَ ثَابِتٌ قَطَنَةُ الْعَتَكِيِّ يَذْكُرُ مَنْ قُتِلَ مِنْ مُلُوكِ التُّرْكِ :

أَقْرَّ الْعَيْنَ مَقْتُلُ كَارِزْنِكِ وَكُشْبِيزِ وَمَا لَأَقَى بِيَارِ

وَقَالَ الْكُتَيْبُ يَذْكُرُ غَزْوَةَ السُّغْدِ وَخُورَزْمَ :

وَبَعْدُ فِي غَزْوَةٍ كَانَتْ مُبَارَكَةً	تَرَدَّى زِرَاعَةً أَقْوَامٍ وَتَحْتَصِدُ
نَالَتْ غَمَامَتَهَا فَيَلًا بَوَائِلَهَا	وَالسُّغْدُ حِينَ دَنَا شَوْبُوبُيْهَا الْبَرْدُ
إِذْ لَا يَزَالُ لَهُ نَهَبٌ يُنْقَلُهُ	مِنْ الْمَقَائِمِ لَا وَخْشٌ وَلَا نَكْدُ
تِلْكَ الْقُتُوحُ الَّتِي تُذَلُّ بِحُجَّتِهَا	عَلَى الْخَلِيفَةِ إِنَّا مَعَشَرٌ حُشِدُ
لَمْ تَشْرَوْجْ وَجْهَكَ عَنْ قَوْمٍ غَزَوْتَهُمْ	حَتَّى يُقَالَ لَهُمْ : بَعْدًا وَقَدْ بَعْدُوا
لَمْ تَرْضَ مِنْ حِصْنِهِمْ إِنْ كَانَ مَمْتَنِعًا	حَتَّى يُكَبَّرَ فِيهِ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ

(١) ب : بطليعة .

(٢) ب : وفيه .

خلافة سليمان بن عبد الملك

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة بُويج سليمان بن عبد الملك بالخلافة ، وذلك في اليوم الذي تُوُفِّي فيه الوليد بن عبد الملك ، وهو بالرَّمْلَة .

وفيها عَزَلَ سليمان بن عبد الملك عثمان بن حيان عن المدينة ، ذكر محمد بن عمر ، أنه نزعه عن المدينة لسبع يقين من شهر رمضان سنة ست (١) ١٢٨٢/٢ وتسعين .

قال : وكان علمه على المدينة ثلاث سنين . وقيل : كانت إمرته عليها سنتين غير سبع (٢) ليال .

قال الواقدي : وكان أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قد استأذن عثمان أن ينাম في غد ، ولا يجلس للناس ليقوم ليلة إحلى وعشرين ، فأذن له . وكان أيوب بن سلمة الخزوي عنده ، وكان الذي بين أيوب بن سلمة وبين أبي بكر بن عمرو بن حزم سيئاً ، فقال أيوب لعثمان : ألم تر إلى ما يقول هذا ؟ إنما هذا منه رثاء ؛ فقال عثمان : قد رأيت ذلك ، ولست لأبى إن أرسلت إليه غداً ولم أجلسه جالساً لأجلننه مائة ، ولأحلقن رأسه ولحيته .

قال أيوب : فجاءني أمرٌ أجبه ، ففعلت من السحر ، فإذا شمعة في الدار ، فقلت : عَجِلَ المرء ، فإذا رسولُ سليمان قد قدِم على أبي بكر بتأثيره وعزله عثمان وحده .

قال أيوب : فلخطت دار الإمارة ، فإذا ابن حيان جالس ، وإذا بأبي بكر على كرسي يقول للحداد : اضرب في رجل هذا الحديد ، ونظر إلى عثمان فقال (٣) :

أَبُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ كُشُفًا وَالْأَمْرُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ

(١) ب : « في سنة » .

(٢) ط : « سبعة » ، والصواب ما أتبعه من ب .

(٣) بعلها في ب : « متغلا » .

وفي هذه السنة عزّل صليانُ يزيدَ بنَ أبي مسلم عن العراق ، وأمر عليه يزيدَ بنَ المهلب ، وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج ، وأمره أن يقتل آل أبي عقيل ويَسْطِ عليهم العذاب . فحدثني عمر بن شُبّة ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : قدّم صالح العراق على الخراج ، ويزيدُ على الكُرب ، فبعث يزيد زيادَ بن المهلب على عُمان ، وقال له : كاتبٌ صالحاً ، وإذا كتبت إليه فابدأ باسمه ، وأخذ صالح آلَ أبي عقيل فكان يُعذبهم ، وكان يلي عذابهم عبدُ الملك بن المهلب .

* * *

[خبر مقتل قتيبة بن مسلم]

وفي هذه السنة قُتِل قتيبة بنُ مسلم بخراسان .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

وكان سبب ذلك أن الوليد بن عبد الملك أراد أن يجعل ابنته عبد العزيز ابن الوليد وليّ عهده ، ودسّ في ذلك إلى القواد والشعراء ، فقال جرير في ذلك :

إذا قيلَ أيّ الناس خيرُ خليفة؟ أشارت إلى عبد العزيز الأصابع^(١)
رأوه أحرّ الناس كلّهم بها وما ظلموا ، فبايعوه وسارِعوا^(٢)

وقال أيضاً جرير يحضّ الوكيل على بيعة عبد العزيز :

إلى عبد العزيز صمّت عيونُ الرعيّة إذ تحيرت الرعاء^(٣)
إليه دعت دواحيه إذا ما عمادُ الملوك خرت والسماء
وقال أولو الحكومة من قرّيش علينا البيع إن بلغ الغلاء^(٤)

(١) ديوانه ٣٥٧ .

(٢) ب : « إذ بايعوه وسارعوا » ، ر : « فبايعوه وسارعوا » .

(٣) ديوانه ٩ .

(٤) الديوان : « إذ بلغ الغلاء » .

رَأَوْا عَبْدَ الْعَزِيزِ وَلَّى عَهْدٍ وَمَا ظَلَمُوا بِذَلِكَ وَلَا أَسَاءُوا
فَمَاذَا تَنْظُرُونَ بِهَا وَفِيكُمْ جُسُورٌ بِالْعِظَامِ وَاعْتِلَاءُ !
فَزَحْلِفَهَا بِأَزْمَلِهَا إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا تَشَاءُ^(١)
فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ مَدُّوا إِلَيْهِ أَكْفَهُمْ وَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ
وَلَوْ قَدْ بَايَعوكَ وَلَّى عَهْدٍ لِقَامِ الْوَزْنِ وَاعْتَدَلَ الْبِنَاءُ^(٢) ١٢٨٤/٢

فَبَايَعَهُ عَلَى خَلْعِ سُلَيْمَانَ الْحِجَاجُ بْنُ يُوْسُفَ وَتَيْيَةَ ، ثُمَّ هَلَكَ الْوَلِيدُ
وَقَامَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَخَافَهُ تَيْيَةُ .

قال علي بن محمد : أَخْبَرَنَا بِشْرُ بْنُ عَمِيٍّ وَالْحَسَنُ بْنُ رُشَيْدٍ وَكُلَيْبُ
ابن خَلْفٍ ، عَنْ طُعَيْلِ بْنِ مِرْدَاسٍ ، وَجَبَلَةَ بْنِ قَرْوَخٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَزِيزِ
الْكِنْدِيِّ ، وَجَبَلَةَ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ^(٣) ، وَمُسْلَمَةَ بْنِ مَحَارِبٍ ، عَنْ السَّكِينِ بْنِ قَتَادَةَ ؛
أَنَّ تَيْيَةَ لَمَّا أَتَاهُ مَوْتُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقِيَامُ سُلَيْمَانَ ، أَشْفَقَتْ مِنْ سُلَيْمَانَ
لَأَنَّهُ كَانَ يَسْعَى فِي بَيْعَةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْوَلِيدِ مَعَ الْحِجَاجِ ، وَخَافَ أَنْ
يُوَلَّى سُلَيْمَانُ يُزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ خُرَّاسَانَ . قَالَ : فَكُتِبَ إِلَيْهِ كِتَابًا بِهَيْئَتِهِ
بِالْخُلَاقَةِ ، وَيَعَزِّيهِ عَلَى الْوَلِيدِ ، وَيُعَلِّمُهُ بِلَاءَةَ وَطَاعَتِهِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ وَالْوَلِيدِ ،
وَأَنَّهُ لَهُ عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ لَهَا عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ إِنْ لَمْ يَعَزِّلْهُ عَنْ
خُرَّاسَانَ . وَكُتِبَ إِلَيْهِ كِتَابًا آخَرَ يُعَلِّمُهُ فِيهِ فَتُوْحَهُ وَفِيكَائِيَتَهُ وَعَظَمَ
قُدْرَتَهُ عِنْدَ مُلُوكِ الْعَجَمِ ، وَهَيْئَتِهِ فِي صَلَورِهِمْ ، وَعَظَمَ صَوْتَهُ فِيهِمْ ، وَدَلَّمَ^{١٢٨٥/٢}
الْمُهَلَّبَ وَآلَ الْمُهَلَّبِ ، وَيُخَلِّفُ بِأَقْدَمِ لَنْ اسْتَعْمَلَ يُزِيدَ عَلَى خُرَّاسَانَ لِيُخَلِّعَتَهُ .
وَكُتِبَ كِتَابًا ثَالِثًا فِيهِ خَلْعُهُ ، وَبِعَثَ بِالْكِتُوبِ الثَّلَاثَةِ مَعَ رَجُلٍ مِنْ بَاهِلَةَ^(٤) ،
وَقَالَ لَهُ : ادْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابَ ، فَإِنَّ كَانَ يُزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ حَاضِرًا ، فَقَرَأْهُ
ثُمَّ أَلْقَاهُ إِلَيْهِ ، فَادْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابَ ، فَإِنْ قَرَأَهُ وَأَلْقَاهُ إِلَى يُزِيدَ فَادْفَعْ
إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابَ ، فَإِنْ قَرَأَ الْأَوَّلَ وَلَمْ يَدْفَعْهُ إِلَى يُزِيدَ فَاحْتَسِبِ الْكِتَابَيْنِ
الْآخَرَيْنِ .

(١) زحلفها إليه ، أي ادفعها . وقوله : « بِأَزْمَلِهَا » ، أي بأجسها .

(٢) الديوان : ولقَامَ التَّسْطُورُ . (٣) ط : وحواجه ، تحريف . (٤) ب : وباهله .

قال : قدّم رسولُ قتيبةٍ فدخل على سليمانَ وعندَه يزيدُ بنُ المهلب ، فدفَع إليه الكتاب ، فقرأه ، ثم ألقاه إلى يزيد ، فدفَع إليه كتابًا آخرَ فقرأه ، ثم رمى به إلى يزيد ، فأعطاه الكتاب الثالث ، فقرأه فتمعرَ لونه ^(١) ، ثم دعا بطينَ فحتمه ثم أمسكه يده .

* * *

وأما أبو عبيدة مَعمر بنُ المثنى ، فإنه قال — فيما حدثت عنه : كان في الكتاب الأولَ وقيةً في يزيد بنِ المهلب ، وذكرُ غدره وكفره وقلةُ شكره ، وكان في الثاني ثناء على يزيد ، وفي الثالث : لئن لم تُقرّني على ما كنتُ عليه وتؤمّني لأخلعنك خلع النحل ، ولأملأنها عليك خيلًا ورجالًا . وقال أيضًا لما قرأ سليمانُ الكتابَ الثالثَ وضعه بين مثالين من المُثُل التي تحتها ولم يُحِمْ في ذلك مرجوعًا .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عليّ بن محمد . قال : ثمّ أمر — بمعنى سليمان — برسولٍ قتيبةً أن يُترّل ، فحوّل إلى دار الضيافة ، فلما أُمسى دعا به سليمان ، فأعطاه صُرةً فيها دنانير ، فقال : هذه جائزُك ، وهذا عهدُ صاحبك ١٢٨٦/٢ على خُرّاسانَ فسرّ ، وهذا رسولى معك بعهدِهِ . قال : فخرج الباهليّ ، وبعث معه سليمانُ رجلًا من عبد القيس ، ثمّ أحد بنى لَيْثَ يقال له صَعَصعة — أو مُصعب — فلما كان بجلولانَ تلقاهم الناسُ بخلعٍ قتيبةً ، فرجع العبدى ، ودفع العهدَ إلى رسول قتيبة ، وقد خلع ، واضطرب الأمرُ ، فدفَع إليه عهدَهُ ، فاستشار إخوتَهُ ، فقالوا : لا يَثِقُ بك سليمانُ بعدَ هذا .

قال عليّ : وحدثني بعضُ العنبريين ، عن أشياخ منهم ، أن توبةَ ابنِ أبي أسيد العنبري ، قال : قدّم صالحُ العراق ، فوجهني إلى قتيبة ليُطْلِعني ^(٢) طليح ما في يده ، فصحبني رجل من بني أسد ، فسألني عما خرجتُ فيه ، فكأتمته أمرى ، فإننا لنسير إذ سنَح لنا مائح ؛ فنظر إلى رفيقي

(١) تمعرَ لونه ، أي تغيرَ .

(٢) ب : « ليطلع » .

فقال : أراك في أمر جسيم وأنت تكتمني ! فضيت ، فلما كنت بجحوان تلقاني الناسُ بقتل قتيبة .

قال علي : وذكر أبو الذِّيال وكُليب بن خُلف وأبو علي الجوزجاني عن طُفيل بن مِرْداس ، وأبو الحسن الجشمي ومصعب بن حيان ^(١) عن أخيه مقاتل بن حيان ، وأبو مخنف وغيرهم ، أن قتيبة لما هم بالخلع استشار إخوانه ، فقال له عبدالرحمن : اقطع بعثاً فوجه فيه كل من تخافه ، ووجه قوماً إلى مرو ، ومرو حتى تنزل سمرقند ، ثم قل لمن معك : من أحبَّ المقامَ فله المواساة ، ومن أراد الانصرافَ فغير مستكره ولا مشبوع بسره ، فلا يقيم معك إلا مناصح . وقال له عبد الله : انطعمه مكانك ، وادع الناس إلى خلعهم . فليس يختلف عليك رجالان . فأخذ يرى عبد الله ، فخلع سليمان ، ودعا الناس إلى خلعهم ، فقال للناس :

إني قد جمعتكم من عين التمر وفيض البحر فقصمت الأخ إلى أخيه ، والولد إلى أبيه ، وقسمت بينكم فينكم ، وأجريت عليكم أعطياتكم غير مكذرة ولا مؤخره ، وقد جريتم الولاء قبلي ، أناكم أمية ^(٢) ، فكتب إلى أمير المؤمنين إن خراج خراسان لا يقوم ^(٣) بمطبخي ، ثم جاءكم أبو سعيد ^(٤) فلووم بكم ^(٥) ثلاث سنين لا تدرون أفي طاعة أنتم أم في معصية ! لم يحب فيئاً ، ولم ينكحاً عدواً ، ثم جاءكم بنوه بعده ؛ يزيد ، فحل تبارى إليه النساء ، وإنما خليفتمكم يزيد بن ثروان هبنة القيس ^(٦) .

قال : فلم يحبه أحد ، فقتب فقال : لا أعز الله من نصرته ، والله لو اجتمعتم على عتري ما كسرتهم قرنهما ، يا أهل السافلة — ولا أقول أهل العالية — يا أرباش الصدقة ، جمعتمكم كما تجمع إبل الصلقة من كل أوب . يا معشر بكر بن وائل ، يا أهل التفخ والكذب والبخل ، بأي

(١) ط : « حيان » ، تحريف . (٢) أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي الماس بن أمية ، حليل عبد الملك على خراسان حتى سنة ٧٨ . ط : « لا يقيم » ، وفي البيان : « لو كان في مطبخه لم يكفه » . (٣) ط : « لا يقيم » ، وفي البيان : « لو كان في مطبخه لم يكفه » . (٤) أبو سعيد كنية المهلب بن أبي صفرة .

(٥) ب : « فردم فيكم » .

(٦) هو يزيد بن ثروان بن هبنة ذو الودعات القيسي ، المضروب به المثل في الحق .

يَوْمَيْكُمْ تَفْخَرُونَ ؟ يَوْمَ حَرْبِكُمْ ، أَوْ يَوْمَ سَلَمِكُمْ ! فَوَاللهِ لَأَنَا أَعَزُّ مِنْكُمْ . يَا أَصْحَابَ مُسَيْلَمَةَ ، يَا بَنِي تَمِيمٍ - وَلَا أَقُولُ تَمِيمٍ - يَا أَهْلَ الْخَوَرِ ^(١) وَالْقَصَفِ وَالْعَدَرِ ، كُنْتُمْ تَسْتَوْنِ الْغَدْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَيْسَانَ ^(٢) . يَا أَصْحَابَ سَجَّاحَ ، يَا مَعْشَرَ عَبْدِ الْقَيْسِ الْقَسَاةَ ، تَبَدَّلْتُمْ بِأَبْرِ النَّحْلِ ^(٣) أَعْنَةَ الْخَيْلِ . يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ ، تَبَدَّلْتُمْ بِقَلْبُوسٍ ^(٤) السَّفْنَ أَعْنَةَ الْخَيْلِ الْحَصْنِ ^(٥) ؛ ^{١٢٨٨/٢} إِنَّ هَذَا لَبَدْعَةٌ فِي الْإِسْلَامِ ! وَالْأَعْرَابُ ، وَمَا الْأَعْرَابُ ! لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْأَعْرَابِ ! يَا كُنَاسَةَ الْمَصْرَيْنِ ، جَمَعْتُمْكَ مِنْ مَنَابِتِ الشَّيْخِ وَالْقَيْصُومِ وَمَنَابِتِ الْقَلْقَلِ ^(٦) ، تَرْكَبُونَ الْبَقَرَ وَالْحُمْرَ فِي جَزِيرَةِ ابْنِ كَاوَانَ ، حَتَّى إِذَا جَمَعْتُمْكُمْ كَمَا تُجْمَعُ قَرْعُ الْحَرِيفِ ^(٧) قُلْتُمْ كَيْتَ وَكَيْتَ ! أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَبْنُ أَبِيهِ ! وَأَخُو أَخِيهِ ، أَمَا وَاللهِ لَأَعْصِبَنَّكُمْ عَصَبُ الْبَلْسَمَةِ . إِنَّ حَوْلَ الصَّلْيَانِ الزَّمْرَةَ ^(٨) .

يَا أَهْلَ خُرَّاسَانَ ، هَلْ تَدْرُونَ مَنْ وَلِيَّكُمْ ؟ وَلَيْسَ بِيَزِيدُ بْنُ ثَرْوَانَ . كَأَنِّي بِأَمِيرٍ مَزْجَاهُ ^(٩) ، وَحُكْمُكُمْ قَدْ بَجَاءَكُمْ فَتَغْلِبَكُمْ عَلَى فَيْتِكُمْ وَأُظْلَلَكُمْ . إِنَّ هَا هُنَا نَارًا أَرْمَوْهَا أَرْمَ مَعَكُمْ ، أَرْمُوا غُرَضَكُمْ الْأَقْصَى . قَدْ اسْتَخْلَفَ عَلَيْكُمْ أَبُو نَافِعٍ ذُو الْوَدَعَاتِ . إِنَّ الشَّامَ أَبٌ مَبْرُورٌ ، وَإِنَّ الْعِرَاقَ أَبٌ مَكْفُورٌ . حَتَّى مَنَى يَتَبَطَّحُ ^(١٠) أَهْلُ الشَّامِ بِأَفْنِيَّتِكُمْ وَظِلَالِ دِيَارِكُمْ يَا أَهْلَ خُرَّاسَانَ ، أَنْتَبِهُنِي تَجْلُوهُنِي عِرَاقُ الْأُمِّ ، عِرَاقُ الْأَبِ ، عِرَاقُ الْمَوْلِدِ ، عِرَاقُ الْهَوَى وَالرَّأْيِ وَالِدَيْنِ ^(١١) ، وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ الْيَوْمَ فَيَا تَرَوْنَ مِنَ الْأَمْنِ وَالْعَافِيَةِ قَدْ فَتَحَ اللَّهُ لَكُمْ الْبِلَادَ ، وَأَمِنْ سُبُلِكُمْ ، فَالظَّعِينَةَ تَخْرُجُ مِنْ مَرَوْ إِلَى بَلْسَخَ بِغَيْرِ جَبَّازٍ ،

- (١) ب : « الجور » . (٢) البيان : « وأما هذا الحي من تميم ، فإنهم كانوا يسمون الغدر كيسان » . (٣) أبر النحل : إصلاحه ، وفي ب : « تأبير » . (٤) القلوس : جميع قلوس ؛ وهو جبل ضخم من ليف أو غوص أو غيرها من قلوس سفن البحر . (٥) الحصن : جميع حصان . (٦) الشَّيْخِ وَالْقَيْصُومِ وَالْقَلْقَلِ : من منابت البادية . (٧) ط : « قَرْع » تحريف : والقَرْع : كل شيء يكون قطعاً متفرقاً ؛ ومنه قطع السحاب . (٨) الصَّلْيَانِ : نبت من أفضل الرعي ، يختل الخيل التي لا تتفارق الحي . والزَّمْرَةُ : ينسب صوت الفرس إذا رآه ؛ وهو مثل يضرب للرجل يحمي لثوقه . قال الميداني ١ : ٢٠٦ : « ويرى : » حول الصَّلْيَانِ الزَّمْرَةُ ؛ جمع صليب ، والزَّمْرَةُ : صوت عابدها ؛ يضرب لمن يحوم حول الشيء لا يظهر مرامه » . (٩) مزجاء المعلى ، أي كثير الإزجاء لها ، زجلها وأزججها ؛ ساقها . (١٠) س : « يتطلع » . (١١) ب : « الرئي والمري » .

فاحمدوا الله على النعمة ، وسكوه الشكر والمزيد^(١) .

قال : ثم نزل فدخل منزله ، فأناه أهل بيته فقالوا : ما رأينا كالיום قط ، والله ما اقتصرنا على أهل العالية وهم شعارك وديارك ، حتى تناولت بكرة وهم أنصارك ، ثم لم ترض بذلك حتى تناولت تمياً وهم إخوتك ، ثم لم ترض بذلك حتى تناولت الأزد وهم يلك ! . فقال : لما تكلمت فلم يجبتني أحدٌ غضبت ، فلم أدر ما قلت ، إن أهل العالية كلبل الصدقة قد جمعت من كل أوب ، وأما بكرة فإنها أمة لا تمنع يد لامس ، وأما تميم فجعل أجرب ، وأما عبد القيس فما يضرب العير بذئبه ، وأما الأزد فأعلاج ، شرار من خلق الله ، لو ملكت أمرهم لوسمتهم .

قال : فغضب الناس وكبرها خلج سليمان ، وغضبت القبائل من شتم قتيبة ، فأجمعوا على خلافه وخلعوه ، وكان أول من تكلم في ذلك الأزد ، فأتوا حصين بن المنذر فقالوا : إن هذا قد دعا إلى ما دعا إليه من خلج الخليفة ، وفيه فساد الدين والدنيا ، ثم لم يرض بذلك حتى قصر بنا وشتمنا ، فما ترى يا أبا حفص ؟ وكان يكسني في الحرب بأبي سامان ، ويقال : كنيته أبو محمد - فقال لهم : حصين : مضرب بخراسان تعدل هذه الثلاثة الأخماس ؛ وتميم أكثر الحمسين ، وهم فرسان خراسان ، ولا يرضون أن يصير الأمر في غير مضرب ، فإن أخرجتموه من الأمر أعانوا قتيبة ؛ قالوا : إنه قد وتر بنى تميم بقتل ابن الأهم ، قال : لا تنظروا إلى هذا فإنهم يتعصبون للمضربة ، فأنصرفوا رادين لرأى حصين ، فأرادوا أن يولوا عبد الله بن حوذان الجهمضمي ، فأبى ، وتدافعوها ، فرجعوا إلى حصين ، فقالوا : قد تدافعنا الرياسة ، فنحن نوليكم أمرنا ، وريعة لا تخالفك ، قال : لا ناقة لي في هذا ولا جمل ؛ قالوا : ما ترى ؟ قال : إن جعلتم هذه الرياسة في تميم تم أمركم ، قالوا : فمن ترى من تميم ؟ قال : ما أرى أحداً غير وكيع ، فقال حيّان مولى بني شيبان : إن أحداً لا يتقلد هذا الأمر فيصلي بحره ، ويبذل دمه ، ويتعرض للقتل ، فإن قدّم أمير

(١) أورد المحاذي خطبة قتيبة في ثلاث خطب متفرقة ، في البيان والبيان ٢ : ١٢٢ - ١٣٥ .

أَحَدَهُ بِمَا جَنَنِي وَكَانَ الْمَهْنَأُ لغيره إِلَّا هَذَا الْأَعْرَابِيَّ وَكَيْعَ ؛ فَإِنَّهُ مِقْدَامٌ لَا يُبَالِي مَا رَكِبَ ، وَلَا يَنْتَظِرُ فِي عَاقِبَةٍ ، وَلَهُ عَشِيرَةٌ كَثِيرَةٌ تَطِيعُهُ ، وَهُوَ مَوْثُورٌ يَطْلُبُ قَتِيلَةَ بَرِيَاثَةَ الَّتِي صَرَفَهَا عَنْهُ وَصَبَّرَهَا لِضِرَارِ بْنِ حُصَيْنِ بْنِ زَيْدِ الْقَوَارِصِ بْنِ حُصَيْنِ بْنِ ضِرَارِ الضَّبِّيِّ . فَشَتَّى النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ سِرًّا ، وَقِيلَ لِقَتِيلَةٍ : لَيْسَ يُنْصَدُّ أَمْرُ النَّاسِ إِلَّا حَيَّانٌ ، فَأَرَادَ أَنْ يَغْتَالَهُ - وَكَانَ حَيَّانٌ يُلَاطِفُ حَشَمَ الْوَلَاةِ فَلَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا - قَالَ : فَعَدَا قَتِيلَةً رَجُلًا فَأَمَرَهُ بِقَتْلِ حَيَّانَ ، وَصَمِعَهُ بَعْضُ الْخَدَمِ ، فَأَتَى حَيَّانَ فَأَخْبَرَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَدْعُوهُ ، فَحَلَّيْرٌ وَمَارِضٌ ، وَأَتَى النَّاسُ وَكَيْعًا فَسَأَلُوهُ أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِهِمْ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، وَتَمَثَّلَ قَوْلَ الْأَشْهَبِ بْنِ رُمَيْلَةَ :

سَأَجِي مَاجَنَيْتَ وَإِنْ رُكِنِي لِمَعْتَمِدٍ إِلَى نَصِيدِ رَكِينِ

١٢٩١/٢

قَالَ : وَيَخْرُاسَانِ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِنْ أَهْلِ الْعَالِيَةِ تِسْعَةَ آلَافٍ ، وَيَسْكُرُ سَبْعَةَ آلَافٍ ، رُئِيسُهُمُ الْخُضَيْيْنِ بْنِ الْمُنْدَرِ ، وَتَمِيمُ عَشْرَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمُ ضِرَارُ بْنُ حُصَيْنِ الضَّبِّيِّ ، وَعَبْدُ الْقَيْسِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عُلْكُونِ حَوْذِيٌّ ^(١) ، وَالْأَزْدُ عَشْرَةَ آلَافٍ رَأْسُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ حَوْذَانَ ، وَمِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ سَبْعَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمُ جَيْهَمُ بْنُ زَحْرٍ - أَوْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ - وَالْمَوَالِي سَبْعَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمُ حَيَّانٌ - وَحَيَّانُ يُقَالُ إِنَّهُ مِنْ الدَّيْلَمِ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ مِنْ خُرَاسَانَ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ نَبَطِيٌّ لِلْكِنْتَةِ - فَأَرْسَلَ حَيَّانُ إِلَى وَكَيْعَ : أَرَأَيْتَ إِنْ كَفَفْتُ عَنْكَ وَأَعْنَشْتُكَ تَجْعَلَ لِي جَانِبَ نَهْرٍ بَلْخَشٍ وَخَرَجَهُ مَا دَمْتُ حَيًّا ، وَمَا دَمْتُ وَالِيًّا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ لِلْعَسْجَمِ : هَؤُلَاءِ يَقَاتِلُونَ عَلَيَّ غَيْرَ دِينٍ ، فَدَعُوهُمْ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ؛ قَالُوا : نَعَمْ ، فَبَايَعُوا وَكَيْعًا سِرًّا ، فَأَتَى ضِرَارُ بْنُ حُصَيْنِ قَتِيلَةَ ، فَقَالَ : إِنَّ النَّاسَ يَخْتَلِفُونَ إِلَى وَكَيْعَ ، وَهُمْ يُبَايِعُونَهُ - وَكَانَ وَكَيْعَ يَأْتِي مَتَزِلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ الْفَقِيرِ فَيَشْرَبُ عَنْدهُ - فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : هَذَا يَحْصُدُ وَكَيْعًا ، وَهَذَا الْأَمْرُ بَاطِلٌ ، هَذَا وَكَيْعَ فِي بَيْتِي يَشْرَبُ وَيَسْكُرُ وَيَسْلَحُ فِي ثِيَابِهِ ؛ وَهَذَا يَتَزَمُّ أَنَّهُمْ يُبَايِعُونَهُ . قَالَ : وَجَاءَ وَكَيْعَ إِلَى قَتِيلَةَ فَقَالَ : احْذَرِ ضِرَارًا فَإِنِّي

لا آمَنَّهُ عليك ، فَأَنْزَلَ قَتِيْبَةً ذَلِكَ مِنْهُمَا عَلَى التَّحَامِدِ . وَتَمَارَضَ وَكَيْعٌ .
 ثُمَّ إِنَّ قَتِيْبَةَ دَمَ ضِرَارَ بْنَ سَيَانَ الْقُصْبِيِّ إِلَى وَكَيْعٍ فَبَايَعَهُ سِرًّا ، فَنَبِيْنُ لِقَتِيْبَةَ
 أَنَّ النَّاسَ يَبَايَعُوهُ ، فَقَالَ لَضِرَارٍ : قَدْ كُنْتَ صَدَقْتَنِي ، قَالَ : إِنِّي لَمْ أُخْبِرْكَ
 إِلَّا بِعِلْمٍ ، فَأَنْزَلْتُ ذَلِكَ مِنِّي عَلَى الْحَسَدِ ، وَقَدْ قَضَيْتُ الَّذِي كَانَ عَلَيَّ ، قَالَ :
 صَدَقْتَ . وَأَرْسَلَ قَتِيْبَةً إِلَى وَكَيْعٍ يَدْعُوهُ ^١ فَوَجَدَهُ رَسُولُ قَتِيْبَةَ قَدْ طَلَسَ
 عَلَى رَجُلِهِ مَغْرَةً ، وَعَلَى سَاقِهِ ^٢ خَرَزًا وَوَدْعًا ، وَعِنْدَهُ رَجُلَانِ مِنْ
 زَهْرَانَ يَرْقِيَانِ رَجُلَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَجِبِ الْأَمِيرَ ، قَالَ : قَدْ تَرَى مَا يَرْجُلِي ،
 فَرَجَعَ الرَّسُولُ إِلَى قَتِيْبَةَ فَأَعَادَهُ إِلَيْهِ ، قَالَ : يَقُولُ لَكَ : اتْنِي عَمَلًا عَلَى
 سَرِيرٍ ، قَالَ : لَا أَسْتَطِيعُ . قَالَ قَتِيْبَةَ لَشَرِيكَ بْنِ الصَّامِتِ الْبَاهِلِيَّ أَحَدَ
 بَنِي وَائِلٍ - وَكَانَ عَلَى شَرْطَتِهِ - وَرَجُلٌ مِنْ غَنَى أَنْطَلِقَا إِلَى وَكَيْعٍ فَأَتِيَانِي بِهِ .
 فَلَمَّا أَتَى فَاضْرِبَا عُنُقَهُ ، وَوَجْهَهُ مَعَهُمَا خِيَلًا ، وَيَقَالَ : كَانَ عَلَى شَرْطَةٍ
 بِخُرَّاسَانَ وَرَفَاءَ بْنِ نَصْرٍ الْبَاهِلِيَّ .

قَالَ عَلِيٌّ : قَالَ أَبُو الذَّيَّالِ : قَالَ ثُمَامَةُ بْنُ نَاجِدٍ الْعَدَوِيُّ : أُرْسِلَ قَتِيْبَةُ
 إِلَى وَكَيْعٍ مِنْ يَأْتِيهِ بِهِ ، فَقُلْتُ : أَنَا آتِيكَ بِهِ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! فَقَالَ : اتْنِي
 بِهِ ، فَأَتَيْتُ وَكَيْعًا - وَقَدْ سَبَقَ إِلَيْهِ الْخَبْرُ أَنَّ الْخَيْلَ تَأْتِيهِ - فَلَمَّا رَأَى قَالَ :
 يَا ثُمَامَةُ ، نَادَ فِي النَّاسِ ، فَنَادَيْتُ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ أَتَاهُ هُرَيْمُ بْنُ
 أَبِي طَحْسَمَةَ فِي ثَمَانِيَةِ .

قَالَ : وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ رَشِيدِ الْجَوْزَجَانِيِّ : أُرْسِلَ قَتِيْبَةُ إِلَى وَكَيْعٍ ،
 فَقَالَ هُرَيْمُ : أَنَا آتِيكَ بِهِ ، قَالَ : فَانْطَلِقْ . قَالَ هُرَيْمُ : فَكَرِهْتُ بِرَدِّي
 عَاقِبَةَ أَنْ يَرُدَّتْ ، فَأَتَيْتُ وَكَيْعًا وَقَدْ خَرَجَ .

قَالَ : وَقَالَ كَلِيبُ بْنُ خَكْفٍ : أُرْسِلَ قَتِيْبَةُ إِلَى وَكَيْعٍ شُعْبَةَ بْنُ ظَهْرٍ
 أَحَدَ بَنِي صَخْرَ بْنِ نَهْشَلٍ ، فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : يَا بَنَ ظَهْرٍ :

* لَيْسَتْ قَلِيلًا تَلْحَقُ الْكَتَابَ *

ثُمَّ دَعَا بِسَكِينٍ قَطَعَ خَرَزًا كَانَ عَلَى رَجُلَيْهِ ، ثُمَّ لَبَسَ سِلَاحَهُ ، وَتَمَثَّلَ :
 ١٢٩٣/٢ شُدُّوا عَلَيَّ سُرَّتِي لَا تَنْقَلِفْ يَوْمَ لَهْمَدَانَ وَيَوْمَ لِلصَّدْفِ

(١ - ١) ب : « فَوَجَدَهُ قَدْ طَلَّ رَجُلَيْهِ بِمِغْرَةٍ وَطَلَعَ عَلَى رَأْسِهِ » . وَالْمِغْرَةُ : طِينٌ أَحْمَرٌ يَصْبِغُ بِهِ .

وخرج وحده ، ونظر إليه نوسة فقلن : أبو مطرف وحده ؛ فجاء هُرم بن أبي طحمة في ثمانية ، فيهم عميرة البريد بن ربيعة العُجَيف . قال حمزة بن إبراهيم وغيره : إن وكيعاً خرج فطلقاه رجل ، فقال : ممن أنت ؟ قال : من بني أسد ؛ قال : ما اسمك ؟ قال : ضِرغامَة ؛ قال : ابنُ مَنْ ؟ قال : ابن لَيْث ، قال : دونك هذه الراية .

قال الفضل بن عمد الضبي : ودفع وكيع رايته إلى عُبَبة بن شهاب المازني ؛ قال : ثم رجع إلى حديثهم ، قالوا : فخرج وكيع وأمر غلمانَه ، فقال : اذهبوا بشقلى إلى بني العَم ، فقالوا : لا نعرف موضعهم ، قال : انظروا رُمحين مجموعين أحدهما فوق الآخر ، فوقهما غلالة ، فهم بنو العَم . قال : وكان في العسكر منهم خمسمائة ؛ قال : فنادى وكيع في الناس ، فأقبلوا أرسلوا من كل وجه ، فأقبل في الناس يقول :

قَرْمٌ إِذَا حُمِلَ مَكْرُوهَةٌ شَدَّ الشَّرَاسِيفَ لَهَا وَالْحَزِيمُ^(١)

وقال قوم : تمثل وكيع حين خرج :

أَنْخَنَ بَلْقَمَانُ بْنُ عَادَ فَجَسَنَهُ أَرِيْنِي سِلَاحِي لَنْ يَطْبِرُوا بِأَعَزَلِ
واجتمع إلى قتيبة أهل بيته ، ونحوهم من أصحابه وثقاته ، فيهم إياس ابن بيهس بن عمرو ، ابن عم قتيبة دُنْيَا ، وعبد الله بن ولان العلوي ، وناس من رهطه ، بني وائل . وأتاه حيان بن إياس العلوي في عشرة ، فيهم عبد العزيز بن الحارث ، قال : وأتاه مَيْسِرَةُ الجَلْدِي - وكان شجاعاً - فقال : إن شئت أتيتك برأس وكيع ، فقال : قف مكانك . وأمر قتيبة رجلاً ، فقال : ناد في الناس ، أين بنو عامر ؟ فنادى : أين بنو عامر ؟ فقال محض بن جَزْء الكلابي - وقد كان جفاهم : حيث وضعتهُم ؛ قال : ناد أذكركم الله والرحيم ! فنادى محض : أنت قطعتهَا ، قال : ناد لكم العُتْبَى ، فناداه محض أو غيره : لا أقالنا الله إذا ، فقال قتيبة :

يَا نَفْسُ صَبِرَا عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَلَمٍ إِذْ لَمْ أَجِدْ لِفُضُولِ الْقَوْمِ أَقْرَانَا

(١) الشرايف : أطراف أصابع الصدر التي تشرف على البطن . والحزيم : موضع الخزام

من الصدر والظهر .

ودعا بعمامة كانت أمه بعثت بها إليه ، فاعتم بها ، كان نعم بها في الشدائد ، ودعا بيردون له مدرّب ، كان يتطير إليه في الزحوف ، فمَرَّب إليه ليتركبه ، فجعل يقيص حتى أعياه ، فلما رأى ذلك عاد إلى سريره ففعل عليه وقال : دَعُوهُ ؛ فإنّ هذا أمرٌ يُراد . وجاء حيّان النبطي في العَجَم ، فوقف وقتيبة واجدٌ عليه ، فوقف معه عبدُ الله بنُ مسلم ، فقال عبدُ الله لحيّان : احمل على هذين الطّرفين ، قال : لم بأنّ لذلك ، فغضب عبدُ الله ، وقال : ناولني قوسى ، قال حيّان : ليس هذا يوم قوس ، فأرسل ١٢٩٠/٢ وكيع إلى حيّان : أين ما وعدتني ؟ فقال حيّان لابنه : إذا رأيتني قد حولتُ قلنسوتي ، ومضيتُ نحوَ عسكرٍ وكيع ، فإلّا بمن معك في العَجَم إلى . فوقف ابنُ حيّان مع العَجَم ، فلما حول حيّان قلنسوته مالت الأعجام إلى عسكرٍ وكيع ، فكبر^(١) أصحابه . وبعث قتيبةُ أخاه صالحاً إلى الناس فرماه رجلٌ من بني ضَبّة يقال له سليمان الزنجيرج — وهو الخرنوب ، ويقال : بل رماه رجلٌ من بكنعم فأصاب هامته — فحمل إلى قتيبة ورأسه مائل ، فوضع في مُصلاة ، فتحول قتيبةُ فجلس عنده ساعة ، ثمّ تحول إلى سريره .

قال : وقال أبو السريّ الأزديّ : رى صالحاً رجلٌ من بني ضَبّة فأنقذه ، وطعمته زياد بنُ عبد الرحمن الأزديّ ، من بني شريك بن مالك .
قال : وقال أبو غنّف : حمل رجلٌ من غنى على الناس فرأى رجلاً جفناً فشبّهه بجهنم بن زُحر بن قيس فطعمته ، وقال :

إِنَّ غَنِيًّا أَهْلٌ عَزٌّ وَمَصْلَقٌ إِذَا حَارَبُوا وَالنَّاسُ مُقْتَنُونَ
فَإِذَا الَّذِي طَعِنَ عَلِيجٌ وَتَهَاجَّ النَّاسُ ، وَأَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُسْلِمٍ
نَحْوَهُمْ ، فرماه أَهْلُ السُّوقِ وَالْفَوَاحِ ، فقتلوه ، وأحرقَ النَّاسُ مَوْضِعَهُ
كَانَتْ فِيهِ لِبَلٌ لِقَتِيْبَةٍ وَدَوَابَّةٌ ، وَدَنُوا مِنْهُ ، فَقَاتَلَ عَنْهُ رَجُلٌ مِنْ بَاهِلَةَ مِنْ
بَنِي وَائِلٍ ، فَقَالَ لَهُ قَتِيْبَةُ : ائْتِجْ بِنَفْسِكَ ، فَقَالَ لَهُ : بَشْ مَا جَزَيْتُكَ إِذَا ،

وقد أطعمتني الجردق^(١) وألبستني الثرمق^(٢) !

قال : فدعا قتيبةً بلبابه ، فأتي بيبرذون فلم يقر ليركبه ، فقال : إن له لشأنًا ؛ فلم يركبه . وجلس وجاء الناس حتى بلغوا الفسقاط ، فخرج إياس بن بيتهس وعبد الله بن ولان حين بلغ الناس الفسقاط وتركوا قتيبة . وخرج عبد العزيز بن الحارث يطلب ابنه عمرًا - أو عمر - فلقية الطائي فحذره ، ووجد ابنه فأردفه . قال : وقطن قتيبة للهيم بن المنخل وكان ممن يعين عليه ، فقال :

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا أَشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

قال : وقتل معه إخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحصين وعبد الكريم ، بنو مسلم ، وقتل ابنه كثير بن قتيبة وناس من أهل بيته ، ونجا أخوه ضرار ، استنقذه أخواله ، وأمه غراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن زُرارة . وقال قوم : قتل عبد الكريم بن مسلم بقرين . وقال أبو عبيدة : قال أبو مالك : قتلوا قتيبة سنة ست وتسعين ، وقتل من بني مسلم أحد عشر رجلاً ، فصلبهم وكعب ، سبعة منهم لصلب مسلم وأربعة من بني أبنائهم : قتيبة ، وعبد الرحمن ، وعبد الله الفقير ، وعبيد الله ، وصالح ، وبشار ، ومحمد بنو مسلم . وكثير بن قتيبة ، ومغلس بن عبد الرحمن ، ولم ينج من صلب مسلم غير عمرو - وكان عامل الجوزجان - وضرار ، وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن زُرارة ، فجاء أخواله فدفنوه حتى نحوه ، ففى ذلك يقول الفرزدق :

عَشِيَّةَ مَا وَدَّ ابْنُ غُرَّةَ أَنَّهُ لَه مِنْ سِوَانَا إِذْ دَعَا أَبَوَانِ^(٣)

وضرب إياس بن عمرو - ابن أخي مسلم بن عمرو - على ترقوته فعاش . قال : ولما عشي القوم الفسقاط قطعوا أطنابه . قال زهير : فقال جهنم ابن زحر لسعد : انزل ، فحز رأسه ، وقد أثخن جراحًا ، فقال : أخاف

(١) الجردق : الرغيف ، بالفارسية . والثرمق : اللين ، وهو فارسي أيضاً . وفي ب : «الثرمق» .

(٢) ديوانه ٨٧٢ .

أَنْ تَجُولَ الْخَيْلُ ، قَالَ : تَخَافُ وَأَنَا إِلَى جَنْبِكَ ! فَتَرَلْ سَعْدَ فُشَقِ
صَوْقَعَةٍ^(١) الْفُسْطَاطِ ، فَاحْتَرَّ رَأْسَهُ ، فَقَالَ حُصَيْنٌ بْنُ الْمُنْتَرِ :

وَإِنْ ابْنَ سَعْدٍ وَابْنَ زَخْرٍ تَعَاوَرَا بِسَيْفَيْهِمَا رَأْسَ الْهُمَامِ الْمُتَوَجِّ
عَشِيَّةً جِئْنَا بِابْنِ زَخْرٍ وَجِئْتُمْ بِأَدْعَمِ مَرْقُومِ الْفَرَاعِينِ ذِي زَجْرِ
أَصَمَّ غَدَائِي كَأَنَّ جَبِينَهُ لَطَاحَةً نَفْسٍ فِي أَيْدِيهِ مُجْمَعِ

قال : فلما قتل مسلمةُ يزيدَ بنَ المهلبِ استعملَ على خُرَاسَانَ سَعِيدُ بْنُ
خُلْدَيْنَةَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ، فَجَبَسَ عَمَالُ
يَزِيدَ ، وَجَبَسَ فِيهِمْ بَجْهَمُ بْنُ زَخْرٍ الْجُمُعِيُّ ، وَعَلَى عَدَابِهِ رَجُلٌ مِنْ بَاهِلَةَ ،
فَقِيلَ لَهُ : هَذَا قَاتِلُ قُتَيْبَةَ ، فَقَتَلَهُ فِي الْعَدَابِ ، فَلَامَهُ سَعِيدٌ ، فَقَالَ :
أَمَرْتَنِي أَنْ أُسْتَخْرِجَ مِنْهُ الْمَالَ فَعَدَبْتَهُ فَأَتَى عَلَى أَجَلِهِ .

قال : وسقطتْ على قُتَيْبَةَ يَوْمَ قَتْلِ جَارِيَةٍ لَهُ خُوارِزْمِيَّةٌ ، فَلَمَّا قُتِلَ ١٢٩٨/٢
خَرَجَتْ ، فَأَخَذَهَا بَعْدَ ذَلِكَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ، فَهِيَ أُمُّ خَلِيدَةٍ .

قال عليّ : قال حمزة بن إبراهيم وأبو اليقظان : لما قُتِلَ قُتَيْبَةُ صَعِدَ
نُحْمَارَةُ بْنُ جَنْبَةَ الرِّبَاحِيُّ الْمَنْبَرِيُّ فَتَكَلَّمَ فَأَكْثَرَ ، فَقَالَ لَهُ وَكِيعٌ : دَعْنَا مِنْ قَدَرِكَ
وَهَدَرِكَ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ وَكِيعٌ فَقَالَ : مِثْلِي وَمِثْلُ قُتَيْبَةَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

• مِنْ يَنْكِ الْعِمَرَ يَنْكِ نِيَّاكَ •

أَرَادَ قُتَيْبَةَ أَنْ يَقْتُلَنِي وَأَنَا قَتَلْتُ .

قَدْ جَرَّبُونِي ثُمَّ جَرَّبُونِي مِنْ غُلُوبَتَيْنِ وَمِنْ الْعِثْنِ
حَتَّى إِذَا شَبْتُ وَشَبُّونِي خَطُّوا عِنَانِي وَتَنَكَّبُونِي
أَنَا أَبُو مَطْرَفٍ .

قال : وَأَخْبَرَنَا أَبُو معاوية ، عن طلحة بن لياس ، قال : قال وكيع
يوم قتل قُتَيْبَةَ :

(١) صوقعة الفسطاط ، أي أعلاه .

أَنَا ابْنُ خَنْدِيفَ تَنْمِينِي قَبَائِلُهَا لِلصَّالِحَاتِ وَعَمِّي قَيْسُ عِيلَانَا
ثُمَّ أَخَذَ بِلَحْيَتِهِ ثُمَّ قَالَ :

شَيْخُ إِذَا حُمِّلَ مَكْرُوهَةً شَدَّ الشَّرَاسِيفَ لَهَا وَالْحَزِيمَ

وَاللَّهُ لَأَقْتُلَنَّ ، ثُمَّ لَأَقْتُلَنَّ ، وَلَأَصْلُبَنَّ ، ثُمَّ لَأَصْلُبَنَّ ، إِيَّيْ وَاللَّهِ دَمًا ، إِنْ
مَرَّرْتُ بَأَنكُمْ هَذَا ابْنُ الزَّانِيَةِ قَدْ أَغْلَى عَلَيْكُمْ أَسْعَارَكُمْ ، وَاللَّهُ لَيَصِيرَنَّ الْقَفِيزُ
فِي السُّوقِ غَدًا بِأَرْبَعَةٍ أَوْ لَأَصْلُبَنَّهُ ، صَلُّوا عَلَى نَبِيِّكُمْ . ثُمَّ نَزَلَ .

قَالَ عَلِيٌّ : وَأَخْبَرَنَا الْمُفَضَّلُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَشَيْخٌ مِنْ بَنِي تَيْمٍ ، وَمُسْلِمَةُ بْنُ
مُحَارِبٍ ، قَالُوا : طَلَبَ وَكَيْعَ رَأْسِ قُتَيْبَةَ وَخَاتَمَتِهِ ، فَقَبِلَ لَهُ : إِنَّ الْأَزْدَ أَخَذَتْهُ ،
فَخَرَجَ وَكَيْعٌ وَهُوَ يَقُولُ : دُهُ دُرَيْنَ ، صَعْدُ الْقَتَنِ :

فِي أَيِّ يَوْمٍ مِنَ الْمَوْتِ أَمَرَّ أَيُّومٌ لَمْ يُقَدَّرْ أَمْ يَوْمٌ قَلِيْرٌ
لَا خَيْرَ فِي أَحْزَمِ جُبَادِ الْقَرْعِ فِي أَيِّ يَوْمٍ لَمْ أَرِغْ وَلَمْ أَرِغْ

وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَا أَبْرَحَ حَتَّى أَوْتَى بِالرَّأْسِ ، أَوْ يَذْهَبَ بِرَأْسِي
مَعَ رَأْسِ قُتَيْبَةَ . وَجَاءَ بِخُشْبٍ فَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ الْخَلِيلَ لَا بَدَّ لَهَا مِنْ فُرْسَانٍ —
يَتَهَدَّدُ بِالصُّلْبِ — فَقَالَ لَهُ حُضَيْنٌ : يَا أَبَا مَطْرَفَ ، تَوَقَّى بِهِ فَاصْكُنْ . وَأَتَى
حُضَيْنُ الْأَزْدَ فَقَالَ : أَحْمَقَتْنِي أَنْتُمْ ! بَايَعْتَنَاهُ وَأَعْطَيْنَاهُ الْمَقَادَةَ ، وَعَرَضَ
نَفْسَهُ ، ثُمَّ تَأَخَّلَوْا بِالرَّأْسِ ! أَخْرَجُوهُ لَعَنَهُ اللَّهُ مِنْ رَأْسِ ! فَجَاءُوا بِالرَّأْسِ
فَقَالُوا : يَا أَبَا مَطْرَفَ ، إِنَّ هَذَا هُوَ احْتَرَهُ ، فَاشْكُنْهُ ؛ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَعْطَاهُ
ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، وَبَعَثَ بِالرَّأْسِ مَعَ سَلِيطَ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْخَنْبِيِّ وَرِجَالٍ
مِنَ الْقَبَائِلِ وَعَلَيْهِمْ سَلِيطٌ ، وَلَمْ يَبْعَثْ مِنْ بَنِي تَيْمٍ أَحَدًا .

قَالَ : قَالَ أَبُو الذَّيَّالِ : كَانَ فِيمَنْ ذَهَبَ بِالرَّأْسِ أَنْتَيْفُ بْنُ حِصَانٍ أَحَدُ
بَنِي عَلِيٍّ .

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ : وَقَفَى وَكَيْعُ لَحْيَانِ النَّبْطِيِّ بِمَا كَانَ أَعْطَاهُ . قَالَ :
قَالَ خُرَيْمُ بْنُ أَبِي يَحْيَى ، عَنْ أَشْيَاحَ مِنْ قَيْسٍ ، قَالُوا : قَالَ سَلِيحَانُ لِلْهَذِيلِ

ابن زُفر حين وُضع رأسُ قتيبة ورعوسُ أهل بيته بين يديه : هل ساءك هذا يا هذيل ؟ قال : لو ساءتني ساء قومًا كثيرًا ؛ فكلّمه خُريم بن عمرو والقعقاع ابن خُلَيْد ، فقال : ائذن في دَفْنِ رءوسهم ، قال : نعم ، وما أردت هذا كله .
قال عليّ : قال أبو عبد الله السلمي ، عن يزيد بن سُويد ، قال : قال رجلٌ من عَجَمٍ أهلِ خُرَاسان : يا معشر العرب ، قتلتم قتيبة ، والله لو كان قتيبةُ منّا فأتنا بجعلناه في تابوت فكنّا نستفتح به إذا غزونا ، وما صنع أحد قطّ بخُرَاسانَ ما صنع قتيبة ، إلا أنه قد غدر ، وذلك أنّ الحجاج كتب إليه أن اختلهم واقتلهم في الله .

قال : وقال الحسن بن رُشيد : قال الإصمعيدي لرجلٍ : يا معشر العرب ، قتلتم قتيبةَ ويزيدَ وهما سيّدَا العرب ! قال : فأَيُّهما كان أعظم عندكم وأهيب ؟ قال : لو كان قتيبة بالمغرب بأقصى جُحُر به في الأرض مكبلاً بالحديد ، ويزيد معنا في بلادنا وال علينا لكان قتيبةُ أهيبُّ في صدورنا وأعظم من يزيد .

قال عليّ : قال المفضل بن محمد الضبيّ : جاء رجل إلى قتيبة يوم قُتِل وهو جالس ، فقال : اليوم يُقتل ملك العرب — وكان قتيبةُ عندهم ملكَ العرب — فقال له : اجلس .

قال : وقال كلثيب بن خُلَيْف : حدّثني رجلٌ ممن كان مع وكيع حين قُتِل قتيبة ، قال : أمر وكيعُ رجلاً فنادى : لا يُسلَبن قتيلاً ، فرآه ابنُ عبيد المجرى على أبي الحجر الباهليّ فسكبه ، فبلغ وكيعاً فضرب عنقه .
قال أبو عبيدة : قال عبد الله بن عمر ، من تيمّ اللات : ركب وكيع ذات يوم ، فأثوه بسكران ، فأمر به فقتل ، فقيل له : ليس عليه القتل ، إنما عليه الحدّ ، قال : لا أعاقب بالسياط ، ولكنّي أعاقب بالسيف ، فقال :
نهار بن توصية :

وكنا نُبكي من الباهليّ فهذا الغدائيّ شرُّ وشرُّ

وقال أيضاً :

ولا رأينا الباهليّ ابن مسلم
وقال الفرزدق يذكر وقعة وكيع :

ومنا الذي سلّ السيوف وشامها
عشية لم تمنع بنيتها قبيلة
عشية ما ودّ ابن غراء أنه
عشية لم تستر موازن عامر
عشية ودّ الناس أنهم لنا
رأوا جبلا يعلو الجبال إذا التفت
رجال على الإسلام إذ ما تجالدوا ١٣٠٢/٢
وحق دعا في شور كل مدينة
سيجزي وكيعاً بالجماعة إذ دعا
جزاء بأعمال الرجال كما جرى
وقال الفرزدق في ذلك أيضاً :

أتاني ورخلى بالمدينة وقعة
وقال عليّ : أخبرنا خريم بن أبي يحيى ، عن بعض عمومه قال : أخبرني
شيخ من غسان قالوا : إنا لسنينة العقب إذ نحن برجل يشبه الفيّوج (١) معه
عصاً وجراب ، قلنا : من أين أقبلت ؟ قال : من خراسان ؛ قلنا : فهل
كان بها من خبر ؟ قال : نعم ، قتل قتيبة بن مسلم أمّس ، فتعجبنا
لقوله ، فلما رأى إنكارنا ذلك قال : أين تروني الليلة من إفريقية ؟ ومضى
واتبعناه على خيولنا ، فإذا شيء يسبق الطرف . وقال الطرمّاح :

لولا فوارس ملّحج ابنه ملّحج والأزد زعزع واستبيح العسكر

(١) ديوانه ٨٧٢ .

(٢) ديوانه ٨٥٣ .

(٣) الفيح : جمع فيح وهو رسول السلطان .

وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْبِلَادُ وَلَمْ يَوْبِ
وَاسْتَضَلَّتْ عَقْدَ الْجَمَاعَةِ وَازْدَرَى
قَوْمٌ هُمُ قَتَلُوا قُتَيْبَةَ عَنُوءَ
بِالْمَرْجِ مَرْجَ الصَّبِينِ حَيْثُ تَبَيَّنَتْ
إِذْ خَالَفَتْ جَزْعاً رَبِيعَةً كُلَّهَا
وَتَقَدَّمَتْ أَزْدُ الْعِرَاقِ وَمَلَجَجَ
قَحْطَانُ تَضْرِبُ رَأْسَ كُلِّ مَلْجَجٍ
وَالْأَزْدُ تَعْلَمُ أَنَّ تَحْتَ لَوَائِهَا
فِيهِزْنَا نُصِيرُ النَّبِيَّ مُحَمَّدٌ

مِنْهُمْ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ مُخَبِّرٌ
أَمْرُ الْخَلِيفَةِ وَاسْتَحْلُ الْمُنْكَرِ
وَالْخَيْلُ جَانِحَةٌ عَلَيْهَا الْعِثِيرُ
مُضَرُّ الْعِرَاقِ مِنَ الْأَعْزُ الْأَكْبَرُ
وَتَفَرَّقَتْ مُضَرٌّ وَمَنْ يَتَمَضَّرُ
لِلْمَوْتِ يَجْمَعُهَا أَبُوهَا الْأَكْبَرُ
تَحْيَى بِصَائِرُهُنَّ إِذْ لَا تَبْصُرُ
مُلْكاً قُرَاسِيَةً وَمَوْتُ أَحْمَرُ
وَبِنَا تَثَبَّتْ فِي دِمَشْقَ الْمُنِيرُ

١٢٠٢/٢

وقال عبد الرحمن بن جهمانة الباهلي :

كَأَنَّ أَبَا حَفْصٍ قُتَيْبَةَ لَمْ يَمِرْ
وَلَمْ تَخْفِ الرِّايَاتُ وَالْقَوْمُ حَوْلُهُ
دَعَتْهُ الْمَنَايَا فَاسْتَجَابَ لِرَبِّهِ
فَمَا رَزَى الْإِسْلَامُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
— يَعْنِي أُمَّ وَلَدَهُ .

بَجِيشٍ إِلَى جِيْشٍ وَلَمْ يَعْلُ مِنْبَرًا
وَقُوفٌ وَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ النَّاسُ عَسْكَرًا
وَرَاحَ إِلَى الْجَنَاتِ عَقًّا مُطَهَّرًا
بِثَلِّ أَبِي حَفْصٍ فَبَكَّيْهِ عَبَهَرًا

وقال الأصم بن الحجاج يربّي قتيبة :

أَلَمْ يَأْنِ لِلْأَحْيَاءِ أَنْ يَعْرِفُوا لَنَا
نَقُودُ تَمِيمًا وَالْمَوَالِي وَمَلْجَبًا
نَقْتُلُ مَنْ شَتْنَا بَغِزَّةَ مُلْكِنَا
سُلَيْمَانَ كَمْ مِنْ عَسْكَرٍ قَدْ حَوَتْ لَكُمْ
وَكَمْ مِنْ حَصُونٍ قَدْ أَبْخَسَا مَنِيْعَةً
وَمِنْ بِلْدَةٍ لَمْ يَغْزَهَا النَّاسُ قَبْلَنَا

بَلَى نَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِالْمَجْدِ وَالْفَخْرِ
وَأَزْدَ وَعِيدِ الْقَبِيرِ وَالْحَيِّ مِنْ بَكْرِ
وَنَجِيرُ مَنْ شَتْنَا عَلَى الْخَسْفِ وَالْقَسْرِ
أَسْتَنْتَنَا وَالْمُقَرَّبَاتُ بِنَا تَجْرَى
وَمِنْ بِلْدٍ سَهْلٍ وَمِنْ جَبَلٍ وَغَيْرِ
غَزَوْنَا نَقُودُ الْخَيْلِ شَهْرًا إِلَى شَهْرِ

١٣٠٤/٢

مَرَنَ عَلَى الْغَزْوِ الْجُرُورِ وَوَقَرَتْ
وَحَتَّى لَوْ أَنَّ النَّارَ ثُبَّتْ وَأَكْرِهَتْ
تَلَاعِبَ أَطْرَافِ الْأَمِينَةِ وَالْقَنَاصِ
بِهِنَّ أَبْحَنَّا أَهْلَ كُلِّ مَدِينَةٍ
وَلَوْ لَمْ تُعْجَلْنَا الْمَنَايَا لَجَاوَزَتْ
وَلَكِنْ أَجَالًا قُضِيْنَ وَمُدَّةٌ
عَلَى النَّفْرِ حَتَّى مَا تُهَالُ مِنَ النَّفْرِ
عَلَى النَّارِ خَاضَتْ فِي الْوُغَى لَهَبَ الْجَمْرِ
بِلِبَائِهَا وَالْمَوْتَ فِي لَجَجِ خَضِرٍ
مِنَ الشُّرْكِ حَتَّى جَاوَزَتْ مَطْلِعَ الْفَجْرِ
بِنَارِ دَمِ ذِي الْقَرْنَيْنِ ذَا الصُّخْرِ وَالْقَطْرِ
تَنَاهَى إِلَيْهَا الطُّيُونَ بَنُو عَمْرِو

وفي هذه السنة عزّل سليمان بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري
عن مكة ، وولّاها طلحة بن داود الحضرمي . ١٢٠٠/٢

وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم الصائفة ، ففتح حصنًا
يقال له حصن عوف .

وفي هذه السنة توفّي قرّة بن شريك العبّسي وهو أمير مصر في صفر في
قول بعض أهل السّير .

وقال بعضهم : كان هلاك قرّة في حياة الوليد في سنة خمس وتسعين
في الشهر الذي هلك فيه الحجاج .

وحجّ بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ،
كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن
أبي معشر . وكذلك قال الواقدي وغيره .

وكان الأمير على المدينة في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن
حزم ، وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى حرب
العراق وصلاتها يزيد بن المهلب ، وعلى خراجها صالح بن عبد الرحمن .
وعلى البصرة سفيان بن عبد الله الكِنْدِيّ من قبيل يزيد بن المهلب ، وعلى
قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة ، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى ،
وعلى حرب خراسان وكيع بن أبي سؤد .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك ما كان من تجهيز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية واستعماله ابنه داود بن سليمان على الصائفة ، فافتتح حصن المرأة .
وفيهما غزا - فيما ذكر الواقدي - مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ،
ففتح الحصن الذي كان فتحه الوضاح صاحب الوضاحية .
وفيهما غزا عمر^(١) بن هبيرة القزاري في البحر أرض الروم ، فشتا بها .
وفيهما قُتِل عبد العزيز بن موسى بن نصير بالأندلس ، وقدم برأسه
على سليمان حبيب بن أبي عبيد القهري .

[ولاية يزيد بن المهلب على خراسان]

وفيهما ولي سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب خراسان

* ذكر الخبر عن سبب ولايته خراسان :

وكان السبب في ذلك أن سليمان بن عبد الملك لما أفضت الخلافة إليه
ولى يزيد بن المهلب حرب العراق والصلاة وخراجها .

فذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن يزيد نظر لما ولّاه سليمان
ما ولّاه من أمر العراق في أمر نفسه ، فقال : إن العراق قد أخر بها الحجاج ،
وأنا اليوم رجاء أهل العراق ، متى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعدت بهم
عليه صرت مثل الحجاج أدخل على الناس الحرب ، وأعيد عليهم تلك
السجون التي قد عاقبهم الله منها ، متى لم أت سليمان بمثل ما جاء به الحجاج
لم يقبل مني . فأقى يزيد سليمان فقال : أدلك على رجل بصير بالخراج توليه
إياه ، فتكون أنت تأخذ به ؟ صالح بن عبد الرحمن ، مولى بني تميم .
فقال له : قد قبلنا رأيك ، فأقبل يزيد إلى العراق .

١٣٠٧/٢

(١) ط : عمرو ، تحريف .

وحدثني عمرُ بنُ شُبَيْة، قال : قال عليّ : كان صالح قدِم العراق قبل قُلوْم يزيدَ ، فَنَزَلَ واسطًا . قال عليّ : فقال عباد بن أيوب : لما قدِم يزيدُ خَرَجَ الناسُ يَتَلَقَّوْهُ ، فقبِلَ لصالح : هذا يزيدُ ، وقد خرجَ الناسُ يَتَلَقَّوْهُ ، فلم يخرج حتى قَرَّبَ يزيدُ من المدينة ، فخرج صالحٌ ، عليه دُرَاعَةٌ ودُبُوسِيَّةٌ صفراءُ صغيرة ، بين يديه أربع مائة من أهل الشام ، فلقى يزيدَ فسأله ، فلما دخل المدينة قال له صالح : قد فرَّغت لك هذه الدار — فأشار له إلى دار — فنزل يزيدُ ، ومضى صالح إلى منزله . قال : وضيقَ صالحٌ على يزيدَ فلم يملكه شيئًا ، واتخذَ يزيدُ ألفَ خَوان يُطِعمُ الناسَ عليها ، فأخذها صالح ، فقال له يزيد : اكتبْ ثمنَها عليّ ، واشترى متاعًا كثيرًا ، وصلك صيكاكًا إلى صالح لِبَاعَتِهَا^(١) منه ، فلم يُتَفِدِه ، فرجعوا إلى يزيدَ ، فغضب وقال : هذا عملي بنفسي ، فلم يكتب أن جاء صالحٌ ، فأوسَّعَ له يزيدُ ، فجلس وقال ليزيد : ما هذه الصيكاك ؟ الخراجُ لا يقوم لها ، قد أنفدتُ لك منذ أيام صيكاكًا بمائة ألف ، وصحبت لك أرزاقك ، وسألت مالا للجند ، فأعطيتك ، فهذا لا يقوم له شيء ، ولا يَرْضَى أميرُ المؤمنين به ، وتؤخذ به ! فقال له يزيد : يا أبا الوليد ، أجزء هذه الصيكاك هذه المرة ، وضاحكته . قال : فإني أجزئها ، فلا تُكثِرَنَّ عليّ ، قال : لا^(٢) .

قال عليّ بنُ محمد : حدثنا مَسْلَمَةُ بنُ مُحَارِبٍ وأبو العلاء التَّيْسِيُّ والطَّغِيل بن مِرْدَاس العَمِّي وأبو حفص الأزدِي عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ جِهَنَّم ابْن زَحْر بن قيس ، والحسن بن رشيد عن سليمان بن كثير ، وأبو الحسن الخُرَّاسَانِي عن الكَرَمَانِي ، وعامر بن حفص وأبو مخنف عن عُمَانَ ابْن عمرو بن محمَّد الأزدِي وزهير بن هنيد وغيرهم — وفي خبر بعضهم ما ليس في خبر بعض ، فألفت ذلك — أن سليمان بن عبد الملك ولي يزيدَ ابْن المَهْلَبِ العِرَاقِي ولم يولِّه خُرَّاسَانَ ، فقال سليمان بن عبد الملك لعبد الملك ابْن المَهْلَب وهو بالشَّام ويَزِيدُ بالعِراق : كيف أنت يا عبد الملك إن وليتُك خُرَّاسَانَ ؟ قال : يَمْلِكُنِي أميرُ المؤمنين حيثُ يُحِبُّ ، ثم أعرضَ سليمانُ عن

(١) ابن خلكان : وليتاعها . (٢) الخبر في ابن خلكان ٢ : ٢٧١ ، نقله عن الطبري .

ذلك . قال : وكتب عبدُ الملكُ بنُ المهلب إلى جرير بن يزيدَ الجَهَنمِيِّ وإلى رجال من خاصته : إنَّ أميرَ المؤمنين عَرَضَ عَلَى ولايةِ خُرَّاسَانَ . فبلغ الخبرُ يزيدَ بنَ المهلب ، وقد ضَجِرَ بالعراق ، وقد ضَبَّتْ عليه صالح ابنُ عبد الرحمن ، فليس يَصِلَ معه إلى شيء ، فلما عبد الله بن الأَهم ، فقال : إني أريدك لأمر قد أَهَمَّنِي ، فَأَحِبَّ أَنْ تَكْفِيَنِيهِ ، قال : مُرَّنِي ١٣٠٩/٢ بما أَحْبَبْتَ ، قال : أنا فإِذَا تَرَى مِنَ الضِّيقِ ، وقد أَضْجَرَنِي ذلك ، وخُرَّاسَانَ شَاغِرَةً بِرِجْلِهَا ، وقد بَكَسَنِي أَنْ أميرَ المؤمنين ذَكَرَهَا لِعبدِ الملكِ بنِ المهلب ، فهل من حيلة ؟ قال : نعم ، سَرَّحْنِي ^(١) إلى أميرِ المؤمنين ، فَإِنِ أَرَجَوُ أَنْ آتِيكَ بِعَهْدِكَ عَلَيْهَا ، قال : فَاكْتُمَ مَا أَخْبَرْتُكَ بِهِ . وكتب إلى سُلَيْمَانَ كِتَابَيْنِ : أَحَدُهُمَا يَذْكُرُ لَهُ فِيهِ أَمْرَ الْعِرَاقِ ، وَآخَرُهُ فِيهِ عَلَى ابْنِ الْأَهِمِ وَذَكَرَ لَهُ عِلْمَهُ بِهَا ، وَوَجَّهَ ابْنَ الْأَهِمِ وَحَمَلَهُ عَلَى الْبَرِيدِ ، وَأَعْطَاهُ ثَلَاثِينَ أَلْفًا . فَسَارَ سَبْعًا ، فَتَقَدَّمَ بِكِتَابِ يَزِيدَ عَلَى سُلَيْمَانَ ، فَلَنَظَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَتَقَدَّمُ ، فَجَلَسَ نَاحِيَةً ، فَأَتَى بِدَجَاجَتَيْنِ فَأَكَلَهُمَا .

قال : فَلَنَظَلَ ابْنُ الْأَهِمِ فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : لَكَ مَجْلَسٌ غَيْرُ هَذَا تَعُودُ ^(٢) إِلَيْهِ . ثُمَّ دَعَا بِهِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : إِنَّ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ كَتَبَ إِلَيَّ يَذْكُرُ عِلْمَكَ بِالْعِرَاقِ وَبِخُرَّاسَانَ ، وَيُسْقِي عَلَيْكَ ، فَكَيْفَ عِلْمُكَ بِهَا ؟ قال : أَنَا أَعْلَمُ النَّاسَ بِهَا ، بِهَا وَلَدْتُ ، وَبِهَانَشَاتُ ، فَلَ بِهَا وَبِأَصْلِهَا خَيْرٌ وَعِلْمٌ . قال : مَا أَحْوَجَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مِثْلِكَ يُشَاوِرُهُ فِي أَمْرِهَا ! فَأَشْرَفَ عَلَى بَرَجَلِ خُرَّاسَانَ ، قال : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ بِمَنْ يَرِيدُ يُولَى ، فَإِنْ ذَكَرَ مِنْهُمْ أَحَدًا أَخْبَرْتُهُ بِرَأْيِي فِيهِ ، هَلْ يَصْلُحُ لَهَا أَوْ لَا ، قال : فَسَمَّى سُلَيْمَانُ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ ، قال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَيْسَ مِنْ رِجَالِ خُرَّاسَانَ ، قال : فَعَبِدُ الْمَلِكِ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، قال : لَا ، حَتَّى عَدَدَ رَجُلًا ، فَكَانَ فِي آخِرِ مَنْ ذَكَرَ وَكَسِبَ بِنَ أَبِي سُودٍ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَيْفَ رَجُلٌ شَجَاعٌ صَارَ بِشَيْسٍ ^(٣) مَقْدَامٍ ، وَلَيْسَ بِصَاحِبِهَا ^(٤) ، مَعَ هَذَا ، إِنَّهُ لَمْ

(١) ب : « تَرَحَّنِي » . (٢) ابْنُ خُلَكَانَ : « تَعُودُ » .

(٣) ب : « رَأَيْس » . وَالْبَيْتُ : الشَّيْءُ . (٤) ب : « لَصَاحِبُهَا » .

يَقْدُ ثَلَاثَةَ قَطْرَئِ (١) لِأَحَدٍ عَلَيْهِ طَاعَةٌ . قَالَ : صَلَقَتْ وَيَسْحَكُ ، فَنَ لَهَا !
 قَالَ : رَجُلٌ أَعْلَمَهُ لَمْ تُسَمِّهِ (٢) ، قَالَ : فَنَ هُوَ ؟ قَالَ لَا أَبُوحُ بِاسْمِهِ إِلَّا
 أَنْ يَتَضَمَّنَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سَتَرَ ذَلِكَ ، وَأَنْ يُجِيرَتِي مِنْهُ إِنَّ عِلْمَ ؛ قَالَ :
 نَعَمْ ، سَمِّهِ مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ؛ قَالَ : ذَلِكَ بِالْعِرَاقِ ، وَالْمَقَامُ
 بِهَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمَقَامِ بِخُرَّاسَانَ ، قَالَ : قَدْ عَلِمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنْ
 تُكْرِهُهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَيَسْتَخْلِفُ عَلَى الْعِرَاقِ رَجُلًا وَيَسِيرُ ؛ قَالَ : أَصَبَتْ
 الرَّأْيَ . فَكَتَبَ عَهْدَ يَزِيدٍ عَلَى خُرَّاسَانَ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا : إِنَّ ابْنَ
 الْأَهِمَّ كَمَا ذَكَرْتَ فِي عَقْلِهِ وَدِينِهِ وَفَضْلِهِ وَرَأْيِهِ . وَدَفَعَ الْكِتَابَ وَعَهْدَ يَزِيدَ إِلَى
 ابْنِ الْأَهِمَّ ، فَسَارَ سَبْعَ مِائَةٍ ، فَقَدِمَ عَلَى يَزِيدَ فَقَالَ لَهُ : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ :
 فَأَعْطَاهُ الْكِتَابَ ، فَقَالَ : وَيَسْحَكُ ! أَعِنْدَكَ خَيْرٌ ؟ فَأَعْطَاهُ الْعَهْدَ ، فَأَمَرَ
 يَزِيدُ بِالْجِهَازِ لِلْمَسِيرِ مِنْ سَاعَتِهِ ، وَدَعَا ابْنَهُ مَخْلَدًا فَقَدَّمَهُ إِلَى خُرَّاسَانَ . قَالَ :
 فَسَارَ مِنْ يَوْمِهِ ، ثُمَّ سَارَ يَزِيدُ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى وَاسِطَةِ الْجَرَّاحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
 الْحَكَمِيَّ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْبَصْرَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هَلَالٍ الْكَلَابِيَّ ، وَصَيَّرَ مَرْوَانَ
 ابْنَ الْمُهَلَّبِ عَلَى أَمْوَالِهِ وَأُمُورِهِ بِالْبَصْرَةِ ، وَكَانَ أَوْثَقَ إِخْوَتِهِ عِنْدَهُ ، وَلِمَرْوَانَ
 يَقُولُ أَبُو الْبَهَاءِ الْإِبَادِيُّ :

رَأَيْتُ أَبَا قَبِيصَةَ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى الْعَلَاتِ أَكْرَمَهُمْ طِبَاعًا .
 إِذَا مَا هُمْ أَبَوًا أَنْ يَسْتَطِيعُوا جَسِيمَ الْأَمْرِ يَحْوِيلُ مَا اسْتَطَاعَا
 وَإِنْ ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ بِأَمْرِ فَضَلَّتْهُمْ بِذَلِكَ نَدَى وَبَاعَا

١٣١١/٢

* * *

وَأَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُنْثَرِ فَإِنَّهُ قَالَ فِي ذَلِكَ : حَدَّثَنِي أَبُو مَالِكٍ أَنَّ
 وَكِيعَ بْنَ أَبِي سُودٍ بَعَثَ بِطَاعَتِهِ وَبِرَأْسِ قُتَيْبَةَ إِلَى سُلَيْمَانَ ، فَوَكَّعَ ذَلِكَ مِنْ
 سُلَيْمَانَ كُلِّ مَوْقِعٍ ، فَجَعَلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَهِمَّ مِائَةَ أَلْفٍ
 عَلَى أَنْ يَنْقُرَ (٤) وَكِيعًا عَنْهُ ، فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! وَاللَّهِ مَا أَحَدٌ

(١) ب : « وَلَا رَأْيَ » . (٢) ب : « لَمْ يَسْمَعْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ » .

(٣) ب : « يَنْقُرُ » ، س : « يَنْقُرُ » وَيُقَالُ : نَقَرَ الرَّجُلُ يَنْقُرُهُ ، لَمَّا عَابَهُ وَوَقَعَ فِيهِ .

أَوْجِبَ شُكْرًا، وَلَا أَعْظَمَ عِنْدِي يَدًا مِنْ وَكَيْعَ ، لَقَدْ أَدْرَكَ بِشَأْرِي ، وَشَفَانِي مِنْ عَدُوِّي ، وَلَكِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْظَمُ وَأَوْجِبُ عَلَى حَقِّمَا ، وَإِنَّ النَّصِيحَةَ تَلَزَمُنِي لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّ وَكَيْعًا لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُ مِائَةُ عَنَانٍ قَطُّ إِلَّا حَدَّثَ نَفْسَهُ بِقُدْرَةٍ ؛ شَاطِلٍ فِي الْجَمَاعَةِ ، نَابِهِ فِي الْفِتْنَةِ ، فَقَالَ : مَا هُوَ إِذَا مَنِ نَسْتَعِينُ بِهِ — وَكَانَتْ قَيْسٌ تَزَعُمُ أَنْ قُتِيْبَةً لَمْ يَخْلَعْ — فَاسْتَعْمَلَ سَلِيْمَانُ يُزِيدُ ابْنَ الْمُهَلَّبِ عَلَى حَرْبِ الْعِرَاقِ ، وَأَمْرُهُ إِنْ أَقَامَتْ قَيْسٌ الْبَيْتَةَ أَنْ قُتِيْبَةً لَمْ يَخْلَعْ فَيَتَرَعَّ يَدًا مِنْ طَاعَةِ ، أَنْ يُقَيِّدَ وَكَيْعًا بِهِ . فَتَقَدَّرَ يُزِيدُ ، فَلَمْ يُعْطِ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الْأَهِمِّ مَا كَانَ ضَمِنَ لَهُ ، وَوَجَّهَ ابْنَهُ مُحَمَّدَ بْنَ يُزِيدٍ إِلَى وَكَيْعَ .

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ عَلِيٍّ . قَالَ عَلِيٌّ : أَخْبَرَنَا أَبُو غَنْخَفٍ عَنْ عِيَّانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَحْمُودٍ ، وَأَبُو الْحَسَنِ الْخُرَّاسَانِيَّ عَنْ الْكُرْمَانِيِّ ، قَالَ : وَجَّهَ يُزِيدُ ابْنَهُ مُحَمَّدًا إِلَى خُرَّاسَانَ فَقَدَّمَ مُحَمَّدُ عَمْرٍو بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَيَّانَ ١٣١٢/٢ الْعَمْسَكِيَّ ، ثُمَّ الصَّنَابِجِيَّ (١) ، حِينَ دَنَّا مِنْ مَرَّوٍ ، فَلَمَّا قَدِمَهَا أَرْسَلَ إِلَى وَكَيْعَ أَنْ الْفَتَى ، فَأَبَى ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَمْرٍو ، يَا أَعْرَابِيَّ أَحْمَقَ بَجَلْفًا جَافِيًا ، انْطَلِقْ إِلَى أَمِيرِكَ فَتَلْقَهُ . وَخَرَجَ وَجْهٌ مِنْ أَهْلِ مَرَّوٍ يَتَلَفَّوْنَ مُحَمَّدًا ، وَيَتَأَقَّلُ وَكَيْعٌ عَنْ الْخُرُوجِ ، فَأَخْرَجَهُ عَمْرٍو الْأَزْدِيُّ ، فَلَمَّا بَلَغُوا مُحَمَّدًا نَزَلَ النَّاسُ كُلَّهُمْ غَيْرَ وَكَيْعَ وَمُحَمَّدَ بْنَ حَمْرَانَ السَّعْدِيَّ وَعَبَّادَ بْنَ لَبِيْظٍ أَحَدَ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، فَأَنْزَلُوهُمْ ، فَلَمَّا قَدِمَ مَرَّوٍ حَبَسَ وَكَيْعًا فَعَذَّبَهُ ، وَأَخَذَ أَصْحَابَهُ فَعَذَّبَهُمْ قَبْلَ قُدُومِ أَبِيهِ .

قَالَ عَلِيٌّ عَنْ كُلَيْبِ بْنِ خَلِيفَةَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِدْرِيسُ بْنُ حَنْظَلَةَ ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ مُحَمَّدُ خُرَّاسَانَ حَبَسَنِي ، فَعَجَانِي ابْنُ الْأَهِمِّ فَقَالَ لِي : أَنْتَرِيدُ أَنْ تَنْجُوَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : أَنْخُرِجَ الْكُتُبَ الَّتِي كَتَبَهَا الْقَتَعَقَاقُ بْنُ خُلَيْدِ الْعَبْسِيِّ وَخُزَيْمِ بْنِ عَمْرٍو الْمُرِّيَّ إِلَى قُتِيْبَةٍ فِي خُخْلَجِ سَلِيْمَانَ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا ابْنَ الْأَهِمِّ ،

لِمَا يَتَّخِذُ عَنْ دِينِي ! قَالَ : فَلَمَّا بَطُّوْا وَقَالَ : إِنَّكَ أَحْمَقُ . فَكَتَبَ
 كُتُبًا عَنْ لِسَانِ الْقَهْقَاعِ وَرِجَالٍ مِنْ قَيْسٍ إِلَى قُتَيْبَةَ ، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ
 عَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ مَاتَ ، وَسَلْيَانُ بَاعَثَ هَذَا الْمَرْفُوعَ عَلَى خُرَّاسَانَ فَاطْلَعَهُ .
 فَقُلْتُ : يَا بَنَ الْأَهَمِّ ، تَهْلِكُ وَاللَّهِ نَفْسُكَ ! وَاللَّهِ لَنْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ لِأَعْلَمَنَّهُ
 أَنَّكَ كَتَبْتَهَا .

* * *

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ شَخَّصَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى خُرَّاسَانَ أَمِيرًا عَلَيْهَا ،
 فَلَكَرَ عَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِي السَّرِيِّ الْمُرُوزِيِّ الْأَزْدِيِّ ، عَنْ عَمِّهِ ، قَالَ : وَلِيَ وَكَيْعَ
 خُرَّاسَانَ بَعْدَ قَتْلِ قُتَيْبَةَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ أَوْ عَشْرَةَ . وَقَدْ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ
 سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ .

١٣١٢/٢

قَالَ عَلِيٌّ : فَلَذَكَرَ الْمُفَضَّلُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : أَدْنَى يَزِيدُ أَهْلَ
 الشَّامِ وَقَوْمًا مِنْ أَهْلِ خُرَّاسَانَ ، فَقَالَ نَهَارُ بْنُ تَوْمِيعَةَ :

وَمَا كُنَّا نُوْمِلُ مِنْ أَمِيرٍ كَمَا كُنَّا نُوْمِلُ مِنْ يَزِيدٍ
 فَأَخْطَأَ ظَنُّنَا فِيهِ وَقَدْ مَا زَهْدُنَا فِي مَعَاشِرَةِ الزَّهِيدِ
 إِذَا لَمْ يُعْطِنَا نَصْفًا أَمِيرٌ مَشِينًا نَحْوَهُ مِثْلَ الْأَسْوَدِ
 فَمَهْلًا يَا يَزِيدُ أَنْبَأِ الْإِنْسَا وَدَعْنَا مِنْ مَعَاشِرَةِ الْعَبِيدِ
 نَحْيِي فَلَا نَرَى إِلَّا صُدُودًا عَلَيَّ أَنَا نُسَلِّمُ مِنْ بَعِيدِ
 وَنَرْجِعُ خَائِبِينَ بِلَا نَوَالٍ فَمَا بَالُ التَّجَهُُّمِ وَالصُّدُودِ !

قَالَ عَلِيٌّ : أَخْبَرَ تَا زِيَادُ بْنُ الرَّبِيعِ ، عَنْ غَالِبِ الْقَطَّانِ ، قَالَ : رَأَيْتُ
 عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَاقِفًا بِعَرَافَاتٍ فِي خِلَافَةِ سُلَيْمَانَ ، وَقَدْ حَجَّ سُلَيْمَانَ عَامِلًا
 وَهُوَ يَقُولُ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ : الْعَجَبُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
 اسْتَعْمَلَ رِجَالًا عَلَى أَفْضَلِ تَغَرُّلِ الْمُسْلِمِينَ ! فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْهُمْ يَقْدَمُ مِنَ التَّجَارِ
 مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ أَنَّهُ يُعْطَى الْخَارِجَةَ مِنْ جَوَارِيهِ مِثْلَ مَهْمِ أَلْفِ رَجُلٍ . أَمَا وَاللَّهِ

ما الله أراد بولايته — فعرفت أنه يعني يزيدَ والجهنية — فقلت: يشكر بلاءهم أيام الأزارقة .

قال : ووصل يزيدُ عبد الملك بن سلام السلولى فقال :

ما زال سيِّبك يا يزيدَ بحويى حتى أرتويتُ وجودكم لا يُنكرُ
أنتَ الربيعُ إذا تكونَ خصاصةً عاش السقيم به وعاش المُقترُ
عمتْ سحابتُهُ جميعَ بلادكم فرووا وأغلقهم سحابٌ مُعطرُ
فسقاك ربك حيثُ كنتَ مخيلةً رياء سحابتها تروح وتُبكرُ^(١)

• • •

وفى هذه السنة حجَّ بالناس سليمانُ بنُ عبد الملك ، حدثني بذلك أحمدُ ابن ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

وفيهما عزَّل سليمانُ طلحةَ بن داودَ الحضرميَّ عن مكة ، قال الواقدي : حدثني إبراهيمُ بنُ نافع ، عن ابن أبي مُليكة ، قال : لما صدرَ سليمانُ ابنُ عبد الملك من الحجِّ عزَّل طلحةَ بن داودَ الحضرميَّ عن مكة ، وكان عمَلُهُ عليها ستة أشهر ، وولى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أميد ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

وكانت عُمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها إلا خراسان ، فإن عاملها على الحرب والخراج والصلاة يزيدُ بن المهلب .

وكان خليفته على الكوفة حنظلة بن حمر اللخمي أشهرًا ، ثم عزَّله وولَّاهما بشير بن حسان النهدي .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[خبر محاصرة مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية]

فمن ذلك ما كان من توجيه سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك إلى القسطنطينية ، وأمره أن يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه ، فشتابها وصاف . فذكر محمد بن عمر أن ثور بن يزيد حدثه عن سليمان بن موسى ، قال : لما دنا مسلمة من قسطنطينية أمر كل فارس أن يحمل على عجز فرسه مدين^(١) من طعام حتى يأتي به القسطنطينية ، فأمر بالطعام فألقى في ناحية مثل الجبال ، ثم قال للمسلمين : لا تأكلوا منه شيئا ، أغبروا في أرضهم ، وازدروا^(٢) . وعمل بيوتنا من خشب ، فشتا فيها ، وزرع الناس ، وسكت ذلك الطعام في الصحراء لا يكتنه شيء ، والناس يأكلون مما أصابوا من الغارات ، ثم أكلوا من الزرع ، فأقام مسلمة بالقسطنطينية قاهراً لأهلها ، معه وجوه أهل الشام : خالد بن معدان ، وعبد الله بن أبي زكرياء الخزاعي ، ومجاهد بن جبر ، حتى أتاه موت سليمان فقال القائل :

• تخيل مدينتها ومدينتي مسلمة •

حدثني أحمد بن زهير ، عن علي بن محمد ، قال : لما ولي سليمان غزاة الروم فنزل دابق ، وقدّم مسلمة فهاجته الروم ، فشخص إلى اليون من أرمينية ، فقال لمسلمة : ابعث إلى رجلا يكلمني ، فبعث ابن هبيرة ، فقال له ابن هبيرة : ما تعدّون الأحمتي فيكم ؟ قال : الذي يملأ بطنه من كل شيء يحيله ، فقال له ابن هبيرة : إننا أصحاب دين ، ومن ديننا طاعة

(١) المدي : مكياض صنع لأهل الشام ومصر .

(٢) ازدروا ، أي اتغنوا لأنفسكم زرعاً لكم ، وفي ب : « وازدروا » .

أمرائنا ، قال : صلبت ، كنا وأنتم نُقاتِل على الدين وتغضب له ، فأما اليوم فلإنا نُقاتِل على القسبة والملِك ، نُعطيك عن كلِّ رأس ديناراً . ١٣١٦/٢
فرجع ابنُ هُبيرة إلى الروم من غده ، وقال : أبى أن يرضى ، أتيتُه وقد تغدَّى وملأ بطنه ونام ، فانتبَه وقد غلب عليه البلغم ، فلم يدِر ما قلتُ .
وقالت البطارقة لإليون : إن صرفت عنا مَسْلَمَة ملكناك فوَقِّعوا له ، فأتى مَسْلَمَة فقال : قد علم القومُ أنك لا تصدِّقهم القتال ، وأنتك تُطاولم ما دام الطعام عندك ، ولو أحرقت الطعامَ أعطوا بأيديهم ، فأحرَّقه ، فقوى العدو ، وضاق المسلمون حتى كادوا يهلكون ، فكانوا على ذلك حتى مات سليمان . قال : وكان سليمانُ بنُ عبد الملك لما نزل دابق أعطى الله عهداً ألا ينصرف حتى يدخل الجيش الذي وجهه إلى الروم القسطنطينية .

قال : وهلك ملك الروم ، فأتاه إليون فأخبره ، وضمن له أن يندفع إليه أرض الروم ، فوجه معه مَسْلَمَة حتى نزل بها ، وجَمَعَ كلَّ طعام حولها وحَصَرَ أهلها^(١) ، وأتاهم إليون فلكوه^(٢) ، فكتب إلى مَسْلَمَة يخبره بالذي كان ، ويسأله أن يُلْخِل من الطعام ما يعيش به القوم ، ويصدقونه بأن أمره وأمر مَسْلَمَة واحد ، وأنهم في أمان من السباء والخروج من بلادهم ، وأن يأذن لهم ليلةً في حَمْل الطعام ، وقد هبَّ إليون السفن والرجال ، فأذن له ، فما بقى في تلك الحظائر إلا ما لا يُذكر ؛ حُمِل في ليلة ، وأصبح إليون محارباً ، وقد خدعه خديعة لو كان امرأةً لعبَ بها ، فلقى الجند ما لم يلقَ جيشٌ ؛ حتى إن كان الرجلُ ليخاف أن يخرج من العسكر وحده ، وأككوا الدواب والجُلُود وأصولَ الشجر والورق ، وكلَّ شيء غير التراب ، ١٣١٧/٢
وسليان مقيمٌ بدابق ، ونزل الشتاء فلم يقدر يُمدِّهم حتى هلك سليمان .

* * *

[مبايعة سليمان لابنه أيوب ولياً للعهد]

وفي هذه السنة بايَعَ سليمانُ بنُ عبد الملك لابنه أيوبَ بن سليمان وجعلته وليَّ عهده ، فحدثني عمر بن شبة ، عن علي بن محمد ، قال : كان عبدُ الملك أخذ على الوليد وسليان أن يبایعا لابن عاتكة ولروان بن عبد الملك

من بعده ، قال : فحدثني طارقُ بنُ المبارك ، قال : مات مروانُ بنُ عبد الملك في خلافة سليمانَ منصوره من مكة ، فبايع سليمان حين مات مروانُ لأبيوبَ ، وأمسك عن يزيدَ وتربص به ، ورَجَا أن يهلك ، فهلك أَيْوَبُ وهو وليَّ عهله .

وفي هذه السنة فُتِحَت مَدِينَةُ الصَّقَالِبَةِ ، قال محمد بنُ عمر : أغارت بُرْجَانُ في سنة ثمان وتسعين على مَسْلَمَةَ بن عبد الملك وهو في قِلَّةٍ مِنَ النَّاسِ ، فَأَمَدَهُ سُلَيْمَانُ بنُ عبد الملك بِمَسْعُودَةٍ - أَوْ حَمْرٍو بن قَيْسٍ - في جَمْعِ فَسَكَّرَتْ بِهِمُ الصَّقَالِبَةُ ، ثُمَّ هَزَمَهُمُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ قَتَلُوا شَرَّاحِيلَ بن عبد ابن عِبْدَةَ (١) .

وفي هذه السنة - فيما زعم الواقدي - غَزَا الْوَلِيدُ بنُ هشامٍ وَحَمْرُو بنُ قَيْسٍ ، فَأَصِيبَ نَاسٌ من أَهْلِ لِنَطْلَاقِيَّةِ ، وَأَصَابَ الْوَلِيدُ نَاسًا من ضَوَاحِي الرُّومِ وَأَسْرَمَ مِنْهُمْ بِشَرًّا كَثِيرًا .

* * *

[غزو جرجان وطبرستان]

وفي هذه السنة غزا يزيدُ بن المهلب جرجانَ وطبرستانَ ، فذكرَ هشامُ بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن يزيد بن المهلب لما قدم خراسانَ أقام ثلاثة أشهر أو أربعة ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى دِهِسْتَانَ وَجُرجَانَ ، وَبَعَثَ ابْنَهُ مَخْلُودًا عَلَى خُرَاسَانَ ، وَجَاءَ حَتَّى نَزَلَ بِدِهِسْتَانَ ، وَكَانَ أَهْلُهَا طَائِفَةً مِنَ التُّرْكِ ، فَأَقَامَ عَلَيْهَا ، وَحَاصَرَ أَهْلَهَا ، مَعَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ وَأَهْلُ الشَّامِ وَوَجْهَ أَهْلِ خُرَاسَانَ وَالرَّيِّ ، وَهُوَ فِي مِائَةِ أَلْفٍ مُقَاتِلٍ سِوَى الْمَوَالِي وَالْمَسَالِكِ وَالْمُتَطَوِّعِينَ ، فَكَانُوا يَخْرُجُونَ فَيُقَاتِلُونَ النَّاسَ ، فَلَا يَكْبِتُهُمُ النَّاسُ أَنْ يَهْزِمُوهُمْ فَيَدْخُلُونَ حَصْنَهُمْ ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ أَحْيَانًا فَيُقَاتِلُونَ فَيَشْتَدُّ قِتَالُهُمْ . وَكَانَ جِهَنَّمُ وَجَمَالُ ابْنِ زَحَرٍ من يزيد بمكان ، وَكَانَ يُكْرَهُمَا ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بن عبد الرحمن بن أبي سَبْرَةَ الْجُعْفَى لَهُ لِسَانٌ وَبَاسٌ ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يُفْسِدُ نَفْسَهُ بِالشَّرَابِ ، وَكَانَ لَا يَكْثُرُ غَشِيَانُ يَزِيدَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ ، وَكَانَهُ

(١) ط : « شراحيل بن عبدة » ، والصواب ما أثبت ، وهو أبو عامر الشعبي .

أَيْضًا حَجَرَهُ ^(١) عَنْ ذَلِكَ مَا رَأَى مِنْ حُسْنِ أَثَرِهِمْ عَلَى ابْنِي زَحْرَ جَهَنَّمَ وَجَمَالٍ . وَكَانَ إِذَا نَادَى الْمُنَادَى : يَا خَيْلَ اللَّهِ أَرْكَبِي وَأُبْشِرِي كَانَ أَوَّلُ فَارِسٍ مِنْ أَهْلِ الْعَسْكَرِ يَبْدُرُ ^(٢) إِلَى مَوْقِفِ الْبَأْسِ عِنْدَ الرَّوْعِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ ، فَتَوَدَّى ذَاتَ يَوْمٍ فِي النَّاسِ ، فَبَدُرَ ^(٣) النَّاسَ ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ ، فَإِنَّهُ لَوَاقِفٌ عَلَى تَلٍّ إِذْ مَرَّ بِهِ عِيَانُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ أَبِي سَبْرَةَ ، مَا قَدَرْتُ عَلَى أَنْ أَسْبِقَكَ إِلَى الْمَوْقِفِ قَطًّا ، فَقَالَ : وَمَا يُغْنِي ذَلِكَ عَنِّي ، وَأَنْتُمْ تُرْشِطُونَ غُلَمَانَ مِلْجَحٍ ، وَتَجْهَلُونَ حَقَّ ذَوِي الْأَسْنَانِ وَالتَّجَارِبِ وَالْبِلَاءِ ! فَقَالَ : أَمَا إِنَّكَ لَوْ تَرِيدَ مَا قَبْلَنَا لَمْ نَعْمَلْ ^(٤) عَنْكَ مَا أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ .

قَالَ : وَخَرَجَ النَّاسُ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَحَمَلَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي سَبْرَةَ عَلَى تَرْكِيٍّ قَدْ صَدَّ النَّاسَ عَنْهُ ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ : فَثَبَّتَ سَيْفُ التَّرْكِئِيِّ فِي بَيْضَةِ ابْنِ أَبِي سَبْرَةَ ، وَضَرْبَهُ ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ فَمَقَّنْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ وَسِيقَهُ ^(٥) فِي يَدِهِ يَسْقُطُ دَمًا ، وَسَيْفُ التَّرْكِئِيِّ فِي بَيْضَتِهِ ، فَنَظَرَ النَّاسُ إِلَى أَحْسَنِ مَنَظَرٍ رَأَوْهُ مِنْ فَارِسٍ ، وَنَظَرَ يَزِيدُ إِلَى اتِّلَاقِ السَّيْفَيْنِ وَالْبَيْضَةِ وَالسَّلَاحِ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ ، فَقَالَ : اللَّهُ أَبُوهَا أَيْ رَجُلٌ هُوَ لَوْلَا إِسْرَافُهُ عَلَى نَفْسِهِ !

وَخَرَجَ يَزِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمًا وَهُوَ يَرْتَادُ مَسْكَانًا يَلْخُلُ مِنْهُ عَلَى الْقَوْمِ ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِشَيْءٍ حَتَّى هَجَمَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ التُّرْكِ — وَكَانَ مَعَهُ وَجُوهُ النَّاسِ وَفَرَسَانُهُمْ ، وَكَانَ فِي نَحْوِ مِنْ أَرْبَعِمِائَةٍ ، وَالْعُلُوُّ فِي نَحْوِ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ — فَقَاتَلَهُمْ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالُوا لِيَزِيدُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، انْصَرِفْ وَنَحْنُ نَقَاتِلُ عَنْكَ ، فَأَبَى أَنْ يَفْعَلَ ، وَغَشِيَ الْقِتَالَ يَوْمُئِذٍ بِنَفْسِهِ ، وَكَانَ كَأَحْلَمِهِمْ ، وَقَاتَلَ ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ وَإِبْنَا زَحْرَ وَالْحِجَّاجُ بْنُ جَارِيَةَ ^(٦) الْحِجَّاعِيَّ وَجُلَّ أَصْحَابِهِ ، فَأَحْسَنُوا الْقِتَالَ ، حَتَّى إِذَا أَرَادُوا الْانْصِرَافَ جَعَلَ الْحِجَّاجُ بْنُ جَارِيَةَ عَلَى

(١) ب : « فكَأَنَّهُ إِذَا كَانَ يَحْجَرُهُ » . (٢) ب : « يَنْهَبُهُ » .

(٣) ب : « فَيَبْدُرُ » . (٤) ب : « مَا عَدَلْنَا » .

(٥) ب : « سَيْقَهُ » بِوَيْنٍ وَلَوْ . (٦) ب : « سَارِيَةَ » .

الساقة ، فكان يُقاتِل مَنْ وراءه حتى انتهى إلى الماء ، وقد كانوا عطشوا فشرّبوا ، وانصرفت عنهم العدو ، ولم يظفروا منهم بشيء ، فقال سفيانُ ابن صفيان الحشمي :

١٣٢٠/٢ لولا ابنُ جاريةِ الأغر جبينُهُ لَسَقَيْتَ كأساً مرّةً المتجرّع

وحماك في فُرسانيهِ ونُيُولِهِ حتى وَرَدَتِ الماءَ غَيْرَ مُتَعَتِع
ثم إنّه ألح عليها^(١) وأزل الجنود^(٢) من كلِّ جانب حولها، وقطع عنهم الموادّ، فلما جهدوا^(٣) ، وعجزوا عن قتال المسلمين ، واشتدَّ عليهم الحصار والبلاء، بعث صول دِهقان دِهستان إلى يزيد : إلى أवालحك على أن تؤمنني على نفسي وأهل بيتي ومالي، وأدفع إليك المدينة وما فيها وأهلها. فصالحه، وقبِل منه ، ووفى له ، ودخل المدينة فأخذ ما كان فيها من الأموال والكنوز ومن السبي شيئاً لا يُحصى ، وقتل أربعة عشر ألف تركي صبراً ، وكتب بذلك إلى سليمان بن عبد الملك .

ثم خرج حتى أتى جرجان ، وقد كانوا يصلحون أهل الكوفة على مائة ألف ، ومائتي ألف أحياناً، وثلاثمائة ألف ، وصالحهم عليها، فلما أتاها يزيدُ استقبلوه بالصلح ، وهابوه وزادوه ، واستخلف عليهم رجلاً من الأزد يقال له : أمدُ بنُ عبد الله ، ودخل يزيدُ إلى الإصبيهد في طبرستان فكان معه الفعلة يقطعون الشجر ، ويصلحون الطرق ، حتى انتهوا إليه ، فنزل به فحصره^(٤) وغلب على أرضه، وأخذ الإصبيهد يعرض على يزيد الصلح ويريده على ما كان يؤخّده منه ، فبابى رجاء^(٥) افتتاحها . فبعث ذات يوم أخاه أبا عيينة في أهل الميرين^(٦) ، فأصعد في الجبل إليهم ، وقد بعث الإصبيهد إلى الديلم ، فاستجاش بهم ، فاقتتلوا ، فحازم المسلمون ساعةً وكشفهم ، وخرج رأسُ الديلم يسأل المبارزة ، فخرج إليه ابن أبي سبرة فقتله ، فكانت هزيمتهم حتى انتهى المسلمون إلى فم الشعب ؛

١٣٢١/٢

(١) ب : عليهم وعليها .

(٢) ب : أجهلوا .

(٣) ب : رجال .

(٤) ب : أجهلوا .

(٥) ب : أجهلوا .

(٦) ب : أجهلوا .

فَدَهَبُوا لِيَصْعَدُوا فِيهِ ، وَأَشْرَفَ عَلَيْهِمُ الْعَدُوُّ يَرْشُقُونَهُمْ بِالنَّشَابِ ،
وَيَرْمُونَهُمْ بِالْحِجَارَةِ ، فَانْهَزَمَ النَّاسُ مِنْ فَمِّ الشَّعْبِ مِنْ غَيْرِ كَبِيرِ قِتَالٍ
وَلَا قُوَّةَ مِنْ عَدُوِّهِمْ عَلَى اتِّبَاعِهِمْ وَطَلْيِهِمْ ، وَأَقْبَلُوا يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ،
حَتَّى أَخَذُوا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّهْيِ ، وَتَنَهَضَ الرَّجُلُ مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ حَتَّى
نَزَلُوا إِلَى عَسْكَرِ يَزِيدَ لَا يَعْثَبُونَ بِالْشَّرِّ شَيْئًا .

وَأَقَامَ يَزِيدُ بِمَكَانِهِ عَلَى حَالِهِ ، وَأَقْبَلَ الْإِصْبَهْدَ يَكْتَابُ أَهْلَ بَجْرُجَانَ
وَيَسْأَلُهُمْ أَنْ يَسْبُوا بِأَصْحَابِ يَزِيدَ ، وَأَنْ يَقْطَعُوا عَلَيْهِ مَادَّتَهُ وَالطَّرِيقَ فِيمَا بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الْعَرَبِ ، وَيَعِدُهُمْ أَنْ يَكْفِيَتْهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، فَوَثِقُوا بِمَنْ كَانَ يَزِيدُ
خَطَفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَنْ قَدَّرُوا عَلَيْهِ ، وَاجْتَمَعَ بِقِيَّتِهِمْ
فَتَحَصَّنُوا فِي جَانِبِ ، فَلَمْ يَزَالُوا فِيهِ حَتَّى خَرَجَ إِلَيْهِمْ يَزِيدُ ، وَأَقَامَ يَزِيدُ عَلَى
الْإِصْبَهْدِ فِي أَرْضِهِ حَتَّى صَالَحَهُ عَلَى سَبْعِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفِ
فَقْدًا وَمِائَتِي أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ حِمَارٍ مَوْقَرَةٍ زَعْفَرَانًا ، وَأَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ ،
عَلَى رَأْسِ كُلِّ رَجُلٍ بَرْنُسٌ ، عَلَى الْبَرْنُسِ طَبْلَسَانٌ وَلِحْجَامٌ مِنْ فِضَّةٍ
وَمِسْقَةٍ^(١) مِنْ حَرِيرٍ ، وَقَدْ كَانُوا صَالِحُوا قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى مِائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ .
ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا يَزِيدُ وَأَصْحَابُهُ كَأَنَّهُمْ فُلٌّ ، وَلَوْلَا مَا صَنَعَ أَهْلُ بَجْرُجَانَ
لَمْ يَخْرُجْ مِنْ طَبْرَمِسْتَانَ حَتَّى يَفْتَحَهَا .

١٣٢٢/٢

وَأَمَّا غَيْرُ أَبِي عَجَفٍ ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي أَمْرِ يَزِيدَ وَأَمْرِ أَهْلِ بَجْرُجَانَ مَا حَدَّثَنِي
أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ كَلِيبِ بْنِ خَلْفٍ وَغَيْرِهِ ؛ أَنَّ
سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ صَالِحَ أَهْلِ بَجْرُجَانَ ، ثُمَّ امْتَنَعُوا وَكَفَرُوا ، فَلَمْ يَأْتِ
بَجْرُجَانَ بَعْدَ سَعِيدِ أَحَدٍ ، وَمَنَعُوا ذَلِكَ الطَّرِيقَ ، فَلَمْ يَسْكُنْ يَسْلُكُ طَرِيقَ
خُرَّاسَانَ مِنْ نَاحِيَةِ أَحَدٍ إِلَّا عَلَى وَجْهِ خَوْفٍ مِنْ أَهْلِ بَجْرُجَانَ ؛ كَانَ
الطَّرِيقُ إِلَى خُرَّاسَانَ مِنْ فَارَسَ إِلَى كَرْمَانَ ، فَأَوَّلَ مَنْ صَيَّرَ الطَّرِيقَ مِنْ
قَوْمِ قُتَيْبَةَ بْنِ مَسْلَمٍ حِينَ وَلِيَ خُرَّاسَانَ . ثُمَّ غَزَا مَصْقَلَةَ خُرَّاسَانَ أَيَّامَ
مَعَاوِيَةَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ، فَأَصَابَ وَجْهَهُ بِالرُّوْيَانِ ، وَهِيَ مَتَاخِمَةُ طَبْرَمِسْتَانَ

(١) السَّرَقَةُ : شَقَّةُ الْحَرِيرِ الْأَبْيَضِ .

فهلكوا في واديٍّ من أوديتها ، أخذ العدو عليهم بمضايقه ، فقتلوا جميعاً ، فهو يُسمَّى وادي مصقلة .

قال : وكان يُضرب به المثل حتى يرجع مصقلة من طبرستان ، قال علي ، عن كليب بن خكف العمي ، عن طقميل بن مرداس العمي وإدريس بن حنظلة : إن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان ، فكانوا يبيعون أحياناً مائة ألف ، ويقولون : هذا صلحنا ، وأحياناً مائتي ألف ، وأحياناً ثلاثمائة ألف ؛ وكانوا ربما أعطوا ذلك ، وربما منعه ، ثم امتنعوا وكتموا فلم يعطوا خراجاً ، حتى أتاهم يزيد بن المهلب فلم يعاذه أحد حين قدمها ، فلما صالح صول وفتح البحيرة ودهستان صالح أهل جرجان على صلح سعيد بن العاص . ١٣٢٣/٢

حدثني أحمد ، عن علي ، عن كليب بن خكف العمي ، عن طقميل بن مرداس ، وبشر بن عيسى عن أبي^(١) صفوان ، قال علي : وحدثني أبو حفص الأزدي عن سليمان بن كثير ، وغيرهم ؛ أن صولاً التركي كان ينزل دِهستان والبحيرة - جزيرة في البحر بينها وبين دِهستان خمسة فراسخ ، وهما من جرجان مما يلي خوارزم - فكان صول يغير على فيروز بن قول ، مَرزبان جرجان ، وبينهم خمسة وعشرون فرسخاً ، فيصيب من أطرافهم ثم يرجع إلى البحيرة ودهستان ، فوقع بين فيروز وبين ابن عم له يقال له المَرزبان مُنازعة ، فاعتزله المَرزبان ، فنزل الباسان ، فخاف فيروز أن يغير عليه الترك ، فخرج إلى يزيد بن المهلب بخراسان ، وأخذ صول جرجان ، فلما قدم على يزيد بن المهلب قال له : ما أقدمك ؟ قال : خفت صولاً ، فهربت منه ، قال له يزيد : هل من حيلة لقتاله ؟ قال : نعم ، شيء واحد ، إن ظفرت به قتلته ، أو أعطى^(٢) يده ، قال : ما هو ؟ قال : إن خرج من جرجان حتى يتزل^(٣) البحيرة ، ثم أتيتهُ ثم فحاصرته بها ظفرت به ، فاكتب إلى الإصهبذ كتاباً تسأله فيه أن يمتثل

(١) سابقة من ط (٢) ب : « وأعطى » . (٣) ب : « يترك » .

لصول حتى يقيم بجرجان ، واجعل له على ذلك جُعلاً ، ومنه ، فإنه يبعث بكتابك إلى صول يتقرب به إليه لأنه يعظمه ، فيتحول عن جرجان ، فينزل البُحيرة .

فكتب يزيد بن المهلب إلى صاحب طبرستان : إني أريد أن أغزو صولا وهو بجرجان ، ففخت إن يكلفه أني أريد ذلك أن يتحول إلى البُحيرة فينزلها ، فإن تحول إليها لم أقدر^(١) عليه ؛ وهو يسمع منك^(٢) ويستصحك ، فإن حبسته العام بجرجان فلم يأت البُحيرة حملت إليك خمسين ألف مثقال ؛ فاحتل له حيلة ؛ تحبسه بجرجان ، فإنه إن أقام بها ظفرت به . فلما رأى الإصبيهدُ الكتاب أراد أن يتقرب إلى صول ، فبعث بالكتاب إليه ، فلما أتاه الكتاب أمر الناس بالرحيل إلى البُحيرة وحمل الأطعمة ليتحصن فيها . وبلغ يزيد أنه قد سار من جرجان إلى البُحيرة ، فاعتزم على السير إلى الجرجان ، فخرج في ثلاثين ألفاً ، ومعه فيروز ابن قول ، واستخلف^(٣) على خراسان مخلد بن يزيد ، واستخلف على مسرقند وكيس ونسف وبخاري ابنه معاوية بن يزيد ، وعلى طخارستان حاتم بن قيصه بن المهلب ، وأقبل حتى أتى جرجان ولم تكن يومئذ مدينة إنما هي جبال مُحيطَةٌ بها ، وأبوابٌ ومخارم ، يقوم الرجل على باب منها فلا يقدم عليه أحدٌ — فدخلها يزيد لم يعاذه أحد ، وأصاب أموالاً ، وهرّب المرزبان ، وخرج يزيد بالناس إلى البُحيرة ، فأناخ على صول ، وتمثل حين فزك بهم :

فخرُ السيفِ وارتعشت يداهُ وكانَ ينقيهِ ويُقيتُ نفوسُ

قال : فحاصره ، فكان يخرج إليه صول في الأيام فيقاتله ثم يرجع إلى حصنه ، ومع يزيد أهل الكوفة وأهل البصرة . ثم ذكر من قصة جهنم ابن زحر وأخيه محمد نحواً مما ذكره هشام ، غير أنه قال في ضربة الركي ١٣٢٠/٢ ابن أبي سبرة : فنشب سيف الركي في حرقة ابن أبي سبرة

(١) ب : لم يقدر عليه . (٢) ب : « منا » .

(٣) ب : « واستعمل » .

قال علي بن محمد ، عن علي بن مجاهد ، عن عتبسة ، قال : قاتل محمد بن أبي سبرة الترك بيجراح فأحاطوا به واعتوروه بأسيا فمهم ، فأنقطع في يده ثلاثة أسياف .

ثم رجع إلى حديثهم ، قال : فكثروا بذلك - يعني الترك - محصورين يخرجون فيقاتلون ، ثم يرجعون إلى حصنهم ستة أشهر ، حتى شربوا ماء الأحساء ، فأصابهم داء يسمى السواد^(١) ، فتوقع فيهم الموت ، وأرسل صول في ذلك يطلب الصلح ، فقال يزيد بن المهلب : لا ، إلا أن يستزل على حكني ، فأبى . فأرسل إليه : إني أصالحك على نفسي ومالي وثلاثمائة من أهل بيتي وخاصتي ، على أن تؤمنني فقتل البحيرة . فأجابته إلى ذلك يزيد ، فخرج بماله وثلاثمائة من أحسب ، وصار مع يزيد ، فقتل يزيد من الأمراء أربعة عشر ألفاً صبراً ، ومن على الآخرين فلم يقتل منهم أحداً . وقال الجند لي زيد : أعطنا أرزاقنا ، فدعا لإدريس بن حنظلة العمي ، فقال : يا بن حنظلة ، أحص لنا ما في البحيرة حتى نعطى الجند ، فدخلكها إدريس ، فلم يقدر على إحصاء ما فيها ، فقال لي زيد : فيها ما لا أستطيع إحصاءه ، وهو في ظروف ، فتحصي الجواليق ونعلم ما فيها ، ونقول للجند : ادخلوا فخذوا ، فن أخذ شيتاً عرفنا ما أخذ من الحنظلة والشعير والأرز والسمسم^(٢) والعسل . قال : نعم ما رأيت ، فأحصوا الجواليق عنداً ، وعلموا كل جوالق^(٣) ما فيه ، وقالوا^(٤) للجند : خذوا ، فكان الرجل يخرج وقد^(٥) أخذ ثياباً^(٦) أو طعاماً أو ما حصل^(٧) من شيء فيكتب على كل رجل ما أخذ ، فأخذوا شيتاً كثيراً .

قال علي : قال أبو بكر الحلبي : كان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب ، ففرعوا عليه أنه أخذ خريطة ، فسأله يزيد عنها ، فأتاه بها ، فدعا يزيد الذي رفع عليه فشتمه ، وقال لشهر : هي لك ، قال : لا حاجة لي فيها ، فقال القطامي الكلبي - ويقال : سينان بن مكمل النعميري :

(١) في القاموس : السواد ، كتراب : داء يأخذ الإنسان والإبل والقنم من شرب الماء المالح .

(٢) ب : « والسمن » . (٣) ب : « على جواليق » .

(٤) ب : « وقال » . (٥) ر : « قد » . (٦) ب : « وطعاماً وما » .

لَقَدْ بَاعَ شَهْرٌ دِينَهُ بِخَرِيطَةٍ فَمَنْ يَأْمَنُ الْقُرَاءَ بِعَلِّكَ يَا شَهْرُ؟
أَخَذَتْ بِهِ شَيْئاً طَفِيفاً وَبِعَتْهُ مِنْ ابْنِ جَوْبُوذٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْغَدْرُ
وقال مرة النَّخَعِيُّ لَشَهْرٍ :

يَا بِنَ الْمُهَلَّبِ مَا أَرَدْتَ إِلَى أَمْرِي لَوْلَاكَ كَانَ كَصَالِحِ الْقُرَاءِ

قال عليّ: قال أبو محمد النَّخَعِيُّ: أصاب يزيدُ بنُ المهلبِ تاجاً بِجُرْجَانٍ فيه جَوْهَرٌ ، فقال : أترون أحداً يزهد في هذا التاج ؟ قالوا : لا ، فدعا محمد بن واسع الأزديّ ، فقال : خذْ هذا التاجَ فهو لك ، قال : لا حاجة لي فيه ، قال : عزمتُ عليك ، فأخذه ، وخرج فأمرَ يزيدُ رجلاً ينظر ما يصنع به ، فلقى سائلاً فدفعه إليه ، فأخذ الرجلُ السائلُ ، فأتى به يزيدُ وأخبره الخبر ، فأخذ يزيدُ التاجَ ، وعوّضَ السائلُ مالا كثيراً .
١٣٢٧/٢

قال عليّ : وكان سليمانُ بن عبد الملك كلما افتتح قُتَيْبَةً فَتَحَهَا قال ليزيد بن المهلب : أما تَرَى ما يصنعُ الله على يدي قُتَيْبَةٍ ؟ فيقول ابنُ المهلب : ما فعلتُ جُرْجَانُ التي حالت بين الناس والطريق الأعظم ، وأفسدت قُومِيْسَ وأبرشَهْرَ ! ويقول : هذه الفتوحُ ليست بشيء ، الشأنُ في جُرْجَانٍ . فلما ولي يزيدُ بنُ المهلب لم يكن له همة غير جُرْجَانٍ . قال : ويقال : كان يزيدُ بنُ المهلب في عشرين واثنة ألف ، معه من أهل الشام ستون ألفاً .

قال عليّ في حديثه ، عَمَّنْ ذَكَرَ خَبَرَ جُرْجَانٍ عَنْهُمْ : وزاد فيه عليّ ابن مجاهد ، عن خالد بن صبيح أن يزيدَ بنَ المهلب لما صالح صولاً طمِيع في طَبْرِسْتَانِ أَنْ يَمْتَحِنَهَا ، فاعترَمَ على أن يسيرَ إليها ، فاستعمل عبد الله بن المعتمرَ اليشكريّ على الياسان ودهستان ، وخلف معه أربعة آلاف ، ثم أقبل إلى أداني جُرْجَانِ مما يلي طَبْرِسْتَانِ ، واستعمل على أُنْدَرِسْتَانِ أسد ابن عمرو - أو ابن عبد الله بن الرَبِيعَةِ - وهي مما يلي طَبْرِسْتَانِ ، وحلَّقه في أربعة آلاف ، ودخل يزيدُ بلادَ الإصبَهْذِ فأرسل إليه يسأله الصلحَ ،

وَأَنْ يَخْرُجَ مِنْ طَبَرَسْتَانَ ، فَأَبَى يَزِيدُ وَرَجَا أَنْ يَفْتَحَهَا ، فَوَجَّهَ أَخَاهُ
 ١٣٢٨/٢ أَبَا عُسَيْبَةَ مِنْ وَجْهِ ، وَخَالَدَ بْنَ يَزِيدَ ابْنَهُ مِنْ وَجْهِ ، وَأَبَا الْجَهْمِ الْكَلْبِيَّ مِنْ
 وَجْهِ ، وَقَالَ : إِذَا اجْتَمَعْتُمْ فَأَبُوا عُسَيْبَةَ عَلَى النَّاسِ . فَسَارَ أَبُو عُسَيْبَةَ فِي أَهْلِ
 الْمِصْرَيْنِ وَمَعَهُ هُرَيْرٌ بْنُ أَبِي طَحْمَةَ . وَقَالَ يَزِيدُ لِأَبِي عُسَيْبَةَ : شَاوِرْ هُرَيْرًا
 فَإِنَّهُ نَاصِحٌ . وَأَقَامَ يَزِيدُ مَعْسُكِرًا .

قال : واستجاش الإصبيهد بأهل جيلان وأهل الديلم ، فأتوه فالتقوا
 في سَندِ جبل ، فانهزم المشركون ، وأتبعهم المسلمون حتى انتهوا إلى قَمِ الشَّعْبِ
 فدخله المسلمون ، فصعد المشركون في الجبل ، وأتبعهم المسلمون ، فرماهم
 العدو بالثَّشَابِ والحجارة ، فانهزم أبو عُسَيْبَةَ والمسلمون ، فركب بعضهم بعضًا
 يتساقطون من الجبل ، فلم يثبتوا حتى انتهوا إلى عسكر يَزِيدَ ، وكَفَّ
 العدو عن اتِّباعهم ، وخافَهم الإصبيهدُ ، فكتب إلى المَرْزُبَانِ ابْنِ حَمٍّ
 فَيَرُوزَ بْنَ قَوْلٍ وهو بأقصى جُرْجَانَ بمِائِلِي الْبِيَّاسَانِ : إنا قد قتلنا يَزِيدَ وأصحابه
 فاقتُلْ مَنْ فِي الْبِيَّاسَانِ مِنَ الْعَرَبِ . فخرج إلى أهل البِيَّاسَانِ والمسلمون
 غَارُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ ، قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِمْ ، فَقَتَلُوا جَمِيعًا فِي لَيْلَةٍ ، فَأَصْبَحَ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَمِرِ مَقْتُولًا وَأَرْبَعَةُ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ،
 وَقُتِلَ مِنْ بَنِي الْعَمِّ خَمْسُونَ رَجُلًا ، قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَإِسْمَاعِيلُ
 ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شِمَاسٍ . وَكَتَبَ إِلَى الْإِصْبِيهِدِ يَأْخُذُ بِالْمَضْمَائِقِ ^(١) . وَالطَّرِيقُ .
 وَبَلَغَ يَزِيدُ قَتْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ وَأَصْحَابِهِ ، فَأَعْظَمُوا ذَلِكَ ، وَهَالَهُمْ ،
 فَفَرَّغَ يَزِيدُ إِلَى حَيَّانِ التَّبَطِيِّ . وَقَالَ : لَا يَمْنَعُكَ مَا كَانَ مِنْتَ إِلَيْكَ مِنْ
 ١٣٢٩/٢ نَصِيحَةِ الْمُسْلِمِينَ ، قَدْ جَاءَنَا عَنْ جُرْجَانَ مَا جَاءَنَا ، وَقَدْ أَخَذَ هَذَا بِالطَّرِيقِ ،
 فَأَعْمَلْ فِي الصَّلَاحِ ، قَالَ : نَعَمْ ، فَأَتَى حَيَّانُ الْإِصْبِيهِدَ فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ
 مِنْكُمْ ، وَإِنْ كَانَ الدِّينُ قَدْ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، فَإِنِّي لَكُمْ ^(٢) نَاصِحٌ ، وَأَنْتَ
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ يَزِيدَ ، وَقَدْ بَعَثَ يَسْتَمِدُّ ، وَأَمْدَادُهُ مِنْهُ قَرِيبَةٌ ، وَإِنَّمَا أَصَابُوا
 مِنْهُ طَرَفًا ، وَلَسْتُ أَتَمَنُّ أَنْ يَأْتِيَكَ مَا لَا تَقُومُ لَهُ ، فَأَرَحْ نَفْسَكَ مِنْهُ ، وَصَالِحَهُ

(١) ب : « للمضايق » .

(٢) ط : « فإني لَكُمْ » .

فلأنك إن صالحته صيرَ حدةً على أهل جُرْجان ، بفِئدهم وقتلهم من قتلوا ، فصالحه على سبعمئة ألف - وقال علي بن مجاهد : على خمسمئة ألف - وأربعمئة وقر زعفران أو قيمته من العيين ، وأربعمئة رجل ، على كل رجل بُرْئس وطَيْلَسَان ، ومع كل رجل جام فضة وسرقة خنز وكِسوة .

ثم رجع إلى يزيد بن المهلب فقال : ابعث من يحمل صلحهم الذي صالحتهم عليه ، قال : من عندهم أو من عندنا ؟ قال : من عندهم . وكان يزيد قد طابت نفسه على أن يعطيهم ما سألوا ، ويرجع إلى جُرْجان فأرسل يزيد من يحمل ما صالحهم عليه حيان ، وانصرف إلى جُرْجان ، وكان يزيد قد غرم حياناً مائتي ألف ، فخاف ألا ينأصحه .

والسبب الذي له أغرم حيان فيه ما حدثني علي بن مجاهد ، عن خالد بن صبيح ، قال : كنت مؤدباً لوليد حيان ، فدعاني فقال لي : اكتب كتاباً إلى عَلمَد بن يزيد - وعَلمَد يومئذ بَيْلَخ ، ويزيد بمرو - فتناولت القِرطاس ، فقال : اكتب : من حيان مولى مصقلة إلى عَلمَد بن يزيد ، فعمزني مقابل ابن حيان ألا تسكتب ، وأقبل علي أبيه فقال : يا أبت تسكتب إلى عَلمَد وتبدأ بنفسك ! قال : نعم يا بني ، فإن لم يرض لقي ما لقي قتيبة . ثم قال لي : اكتب ، فكتب ، فبعث عَلمَد بكتابه إلى أبيه ، فأغرم يزيد حيان مائتي ألف درهم .

[فتح جرجان]

وفي هذه السنة فتح يزيد جُرْجانَ الفتح الآخر بعد غلهم يحنده ونقضهم العهد ، قال علي ، عن الرُّهط الذين ذكروا أنهم حدثوه بخبر جُرْجان وطبرستان : ثم إن يزيد لما صالح أهل طبرستان قصد لجرجان ، فأعطى الله عهداً ؛ لئن ظفّر بهم ألا يقلع عنهم ، ولا يرفع عنهم السيف حتى يطحن بدمائهم ، ويختبر من ذلك الطحين ، ويأكل منه ،

فلما بلغ المرتزبان أنه قد صالح الإصبيهد وتوجه إلى جرجان ، جمَعَ أصحابه وأتى وجاه ، فتحصن فيها ، وصاحبها لا يحتاج إلى عُدَّة من طعام ولا شراب . وأقبل يزيدُ حتى نَزَلَ عليها وهم متحصنون فيها ، وحولها غياض فليس يَعْرِف لها إلا طريق واحد ، فأقام بذلك سبعة أشهر لا يَقْدِر منهم على شيء ، ولا يَعْرِف لهم مَأْتَى إلا مِنْ وَجْه واحد ، فكانوا يخرجون في الأيام فيقاتلونه ويرجعون إلى حصنهم ، فبيّناهم على ذلك إذ خرج رجلٌ من عَجَم خراسان كان مع يزيد يتصيدُ ومعه شاكِرِيَّة له .

١٣٣١/٢

وقال هشامُ بنُ محمد ، عن أبي مخنف : فخرَجَ رجل من عسكره من طَبِئٍ يتصيد ، فأبصرَ وَعِلاً يَرُقُّ في الجبَل ، فاتبعه ، وقال لمن معه : قفوا مكانكم ، ووَقِل في الجبَل يقتنص الأثر ، فاشمَرَ بشيء حتى هَجَمَ على عسكرهم ، فرجع يريدُ أصحابه ، فخاف ألا يهتدى ، فجعل يُحْرِقُ قَبَاءً وَيَعْقِدُ على الشجر علامات ، حتى وَصَلَ إلى أصحابه ، ثم رجع إلى العسكر . ويقال : إنَّ الذي كان يتصيد الهَيَّاج بن عبد الرحمن الأزدي من أهل طُوس ، وكانَ منهوياً بالصيد ، فلما رجع إلى العسكر أتى عامر بن أيمن الواشجي صاحب شرطة يزيد ، فسَمِعَهُ من الدخول ، فصاح : إنَّ عِنْدِي نَصِيحَةً .

وقال هشام عن أبي مخنف : جاء حتى رَفَعَ ذلك إلى ابني زَحَر بن قيس ، فانطلقا به ابنا زَحَر حتى أدخلاه على يزيد ، فأعلمه ، ففَضَّلَ له بَضْمَان الجُهْنِيَّة - أم ولد كانت ليزيد - على شيء قد سَاءَ .

وقال علي بن محمد في حديثه عن أصحابه : فدعا به يزيد فقال : ما عندك ؟ قال : أتريد أن تدخل وجاه بغير قِتال ؟ قال : نعم ، قال : جَعَلَنِي ؟ قال : احتكمت ، قال : أربعة آلاف ؛ قال : لك دِيَّة ، قال : عَجِّلُوا لي أربعة آلاف ، ثم أنتم بعدُ مِنْ وراء الإحسان . فَأَمَرَ له بأربعة آلاف ، وَتَدَبَّ الناس ، فانتدب ألف وأربعمائة ، فقال : الطريق لا يَحْمِلُ هذه الجماعة لالتفاف الغياض ، فاختر منهم ثلثمائة ، فوجههم ، واستعمل عليهم جهنم بن زَحَر .

١٣٣٢/٢

وقال بعضهم : استعمل عايهم ابنه خالد بن يزيد ، وقال له : إن عُلِبَتْ على الحياة فلا تُغَلِّبَنَّ على الموت ، وإياك أن أراك عندى منهزماً ، وضمَّ إليه جَتهُم بن زحر ، وقال يزيد للرجل الذى نَدَبَ الناسَ معه : متى تَصِلُ إليهم ؟ قال : غداً عند العَصْرِ فيما بين الصَّلَاتين ، قال : امضوا على بركة الله ؛ فإنى سأجهد على مناهضتهم غداً عند صلاة الظهر . فساروا ، فلما قارب انتصاف النهار من غدٍ أمر يزيدُ الناسَ أن يُشعلوا النارَ فى حطَب كان جمعة فى حصاره لإياهم ، فصيَّره أكاماً ، فأضرموه ناراً ؛ فلم تزل الشمس حتى صارَ حولَ عسكره أمثال الجبال من النيران ، ونظَّر العدو إلى النار ، فهالَهم ما رأوا من كثرتها ، فخرجوا إليهم . وأمر يزيدُ الناسَ حين زالت الشمس فصلُّوا ، فجمعوا بين الصَّلَاتين ، ثم زَحَفُوا إليهم فاقتتلوا ، وسار الآخرون بقيةَ يومهم والغد ، فهَجَمُوا على عسكر الترك قُبَيْلَ العَصْرِ ، وهم آمنون من ذلك الوجه ، ويزيدُ يُقاتِلُ من هذا الوجه ، فاشعروا إلا بالتكبير من ورائهم ، فانقطعوا جميعاً إلى حصنهم ، وركبَهم المسلمون ، فأعطوا بأيديهم ، ونزلوا على حُكْم يزيدٍ ، فسبى ذراريهم ، وقتل مقاتلتهم ، وصلبهم قَرَسَخين عن يمين الطريق ويساره ، وقاد منهم اثني عشر ألفاً إلى الأندلس - وادى جرجان - وقال : سَمَّ طلبهم بثار فليقتل ، فكان الرجلُ من المسلمين يَقتلُ الأربعة والخمسة فى الوادى ، وأجرى الماء فى الوادى على الدَّم ، وعليه أرحاء ليطحنَ بدمائهم ، ولتبرَّ يمينه ، فطحنَ واختبرَ وأكلَ وبَنَى مدينةَ جرجان . وقال بعضهم : قَتَلَ يزيدُ من أهل جرجان أربعين ألفاً ، ولم تكن قبلَ ذلك مدينة ورجع إلى خراسان واستعمل على جرجانَ جَتهُم بن زحر الجعفى .

١٣٣٣/٢

وأما هشام بن محمد فإنه ذَكَرَ عن أبي مخنف أنه قال : دعا يزيدُ جهمَ ابنَ زحر فبعث معه أربعمئة رجل حتى أخلوا فى المكان الذى دُلُّوا عليه وقد أمرهم يزيدُ فقال : إذا وصلتم إلى المدينة فانتظروا ، حتى إذا كان فى السَّحر فكبروا ، ثم انطلقوا نحو باب المدينة ، فإنكم تجدونى وقد نهضت بجميع الناس إلى بابها ؛ فلما دخل ابن زحر المدينة أمهل حتى إذا كانت

الساعة التي أمره يزيد أن يتنهض فيها مشقياً بأصحابه، فأخذ لا يستقبل من أحراسهم أحداً إلا قتله. وكبير، ففزع أهل المدينة فزعاً لم يدخلهم مثله قط فيما مضى، فلم يرعهم إلا والمسلمون معهم في مدينتهم يكبرون فدُهِشُوا، فألقى الله في قلوبهم الرعب، وأقبلوا لا يدرون أين يتوجهون! غير أن عصابة منهم ليسوا بالكثير قد أقبلوا نحو جهنم بن زحر، فقاتلوا ساعة، فدقت يد جهنم، وصبر لم هو وأصحابه، فلم يلبثهم أن قتلهم إلا قليلاً. ومع يزيد بن المهلب الكثير، فوُكِّب في الناس إلى الباب، فوجدوه قد شغلهم جهنم بن زحر عن الباب، فلم يجد عليه من يمنعه ولا من يدفع عنه كبير دفع، ففتح الباب ودخلها من ساعته، فأخرج من كان فيها من المقاتلة، فنصب لم الجملوع فترسّخين عن يمين الطريق ويساره، فصلبهم أربعة فراسخ، وسبى أهلها، وأصاب ما كان فيها.

قال علي في حديثه، عن شيوخه، الذين قد ذكرت أسماءهم قبل، وكتب يزيد إلى سليمان بن عبد الملك:

أما بعد، فإن الله قد فتح لأمر المؤمنين فتحاً عظيماً، وصنّع للمسلمين أحسن الصنّع، فلربنا الحمد على نعمة وإحسانه، أظهر في خلافة أمير المؤمنين على جرجان وطبرستان، وقد أعيا ذلك سابور ذا الأكتاف وكيسرى بن قباد وكيسرى بن هرمز، وأعيا الفاروق عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان ومن بعدهما من خلفاء الله، حتى فتح الله ذلك لأمر المؤمنين، كرامة من الله له، وزيادة في نعمة عليه. وقد صار عندي من خمس ما أفاء الله على المسلمين بعد أن صار إلى كل ذي حق حقه من الفتيمة والغنمية ستة آلاف ألف، وأنا جامل ذلك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله.

فقال له كاتبه المغيرة بن أبي قرّة مولى بني سدّوس: لا تكسب بتسمية مال، فإنك من ذلك بين أمرين: إما استسكركه فأمرّك بحملته، وإما مسخت نفسه لك به فسوّغتك فتكلفت الهدية، فلا يأتيه من قبلك شيء إلا استقبله، فكأن بك قد استغرقت ما سميت ١٣٣٥/٢

ولم يقع منه موقعا ، ويبقى المال الذي سميت غلداً عندهم عليك في دواوينهم ، فإن وكليّ والٍ بعده أخذك به ، وإن وكليّ من يتحامل عليك لم يرض منك بأضعافه ، فلا تمصر كتابك ، ولكن اكتب بالفتح ، سلكه القلوم فتشافهه بما أحبت مشافهة ، ولا تقصر ، فإنك إن تقصر عما أحبت أخرى من أن تكثر .

فأبى يزيد وأمضى . وقال : بعضهم كان في الكتاب أربعة آلاف ألف .

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة توفي أيوب بن سليمان بن عبد الملك ، فحدثت عن عليّ بن محمد ، قال : حدثنا عليّ بن مجاهد ، عن شيخ من أهل الرىّ أدرك يزيد ، قال : أتى يزيد بن المهلب الرىّ حين فرغ من جرجان ، فبلغه وفاة أيوب بن سليمان وهو يسير في باغ أبي صالح على باب الرىّ ، فارتجز واجزّ بين يديه فقال :

إِنْ يَكْ أَيُّوبُ مَضَى لَشَانِيْهِ فَلَنْ دَاوُدَ لِنِيْ مَكَانِيْهِ .

• يَقِيْمُ مَا قَدْ زَالَ مِنْ سُلْطَانِيْهِ •

وفي هذه السنة فتحت مدينة الصقالية .

وفيهما غزا داود بن سليمان بن عبد الملك أرض الروم ، ففتح حصن المرأة بما يلي مكطية .

وحج بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وهو يومئذ أمير على مكة ، حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عليها سنة سبع ، وقد ذكرناهم قبل ، غير أن عامل يزيد بن المهلب على البصرة في هذه السنة كان - فيما قيل - سفيان بن عبد الله الكندي .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[وفاة سليمان بن عبد الملك]

فمن ذلك وفاة سليمان بن عبد الملك، توفى - فيما حدثت عن هشام، عن أبي مخنف - بدأبى من أرض قنسرين يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر، فكانت ولايته ستين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام .

وقد قيل : توفى لعشر ليال مضين من صفر . وقيل : كانت خلافته ستين وسبعة أشهر وقيل : ستين وثمانية أشهر وخمسة أيام .

وقد حدث الحسن بن حماد ، عن طلحة أبي محمد ، عن أشياخه ، أنهم قالوا : استخلف سليمان بن عبد الملك بعد الوليد ثلاث سنين . وصلى عليه عمر بن عبد العزيز .

وحدثني أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : توفى سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين ، فكانت خلافته ثلاث سنين إلا أربعة أشهر .

* * *

* ذكر الخبر عن بعض صيره :

١٣٣٧/٢

حدثت عن علي بن محمد ، قال : كان الناس يقولون : سليمان مفتاح الخير ، ذهب عنهم الحجاج ، فولى سليمان ، فأطلق الأمارى ، وعلّى أهل السجون ، وأحسن إلى الناس ، واستخلف عمر بن عبد العزيز ، فقال ابن يفيص :

حاز الخلافة والدك كلاهما من بين سُخْطَةِ سَاخِطِ أَوْطَاعِ
أَبَوَاكَ ثُمَّ أَخُوكَ أَصْبَحَ ثَالِثًا وَعَلَى جَبِينِكَ نُورُ مُلْكِ الرَّابِعِ
وقال علي : قال المفضل بن المهلب : دخلت على سليمان بدأبى يوم

جمعة ، فلما بثياب فكلبها ، فلم تُعجبه ، فلما بغيرها بثياب خُضر سُوسية بحث بها يزيدُ بن المهلب ، فلبسها واعتم وقال : يا بن المهلب ، أعجبتك؟ قلتُ : نعم ، فحَسَر عن ذراعَيْهِ ثم قال : أنا الملكُ القُتبي ، فصلَّى الجمعة ، ثم لم يجمع بعدها ، وكتب وصيته ، ودعا ابن أبي نُعيم صاحب الخاتم فختمه .

قال عليّ : قال بعضُ أهل العلم : إن سليمانَ لبس يوماً حلة خضراءَ وعمامة خضراءَ ونظر في المرأة فقال : أنا الملكُ القُتبي ، فاعاشَ بعد ذلك إلا أسبوعاً .

قال عليّ : وحدَّثنا سُحيمُ بنُ حَفْص ، قال : نظرتُ إلى سليمانَ جاريةً له يوماً ، فقال : ما تنظرين ؟ فقالت :

أَنْتَ خَيْرُ الْمَتَاعِ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
لَيْسَ فِيهَا عِلْمُهُ فَيْكَ عَيْبٌ كَانَ فِي النَّاسِ غَيْرَ أَنْكَ فَإِنْ ١٣٣٨/٢
فَتَنْفُضَ عِمَامَتَهُ .

قال عليّ : كان قاضي سليمانَ سليمانُ بنُ حَبِيبٍ الحارثي ، وكان ابن أبي عبيّنة يُقصّ عنده .

وحَدَّثْتُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، عَنْ رُوْبَةَ بْنِ الْعِجَاجِ ، قَالَ : حَجَّ (١) سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَحَجَّ الشَّعْرَاءُ مَعَهُ ، وَحُجِّجْتُ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَاجِعاً تَلَقَّوْهُ بَنَحُو مِنْ أَرْبَعَةِ أَسِيرٍ مِنَ الرُّومِ ، فَتَعَدَّ سُلَيْمَانُ ، وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ مَجْلِساً عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، (٢) فَقَدَّمَ بِطَرِيقِهِمْ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، اضْرِبْ عُنُقَهُ (٣) ، فَقَامَ فَاأَعْطَاهُ أَحَدٌ سَيْفًا حَتَّى دَفَعَ إِلَيْهِ حَرَمِي سَيْفَهُ فَضَرَبَهُ فَأَبَانَ الرَّأْسَ ، وَأَطْنِ السَّاعِدَ (٤) ، وَبَعْضُ النَّاسِ ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ : أَمَّا وَاللَّهِ مَا مِنْ جُودَةِ السَّيْفِ

(١) الخبر في الأغاني ١٥ : ٣٤١ ، ٣٤٢ ، بسنده عن قتادة ، عن أبي مبيدة في كتاب التقائق ، عن رُوْبَةَ بْنِ الْعِجَاجِ ، وهو أيضاً في التقائق ٣٨٣ .

(٢ - ٣) الأغاني : ٥ وعليه ثوبان ممران ، وهو أقرهم منه مجلساً ، فلدنوا إليه بطريقهم وهو في جامعة ، فقال لمجد الله بن الحسن : قم فانضرب عنقه . (٣) أخته : تطله .

جاءت الضربة ، ولكن لحسنه^(١) ، وجعل يدفع البقية إلى الوجوه وإلى الناس يقتلونهم حتى دَفَعَ إلى جرير رجلاً منهم ، فلمست إليه بنو عبس سيفاً في قراب أبيص ، فضربه فأبان رأسه ، ودفع إلى الفرزدق أسير فلم يجد سيفاً ، فدسوا له سيفاً دداناً^(٢) مثنيًا^(٣) لا يقطع ، فضرَب به الأسير ضربات ، فلم يصنع شيئاً ، فضحك سليمان والقوم ، وسميت بالفرزدق بنو عبس أحوال سليمان ، فالتقى السيف وأنشأ يقول ، ويعتبر إلى سليمان ، ويأتى بنجو سيف ورفاء عن رأس خالد :

١٣٣٩/٢

إن يك سيفُ خانٍ أو قدرُ آتى بتأخير نفسٍ حَقَّقها غيرُ شاهدٍ^(٤)
فسيبُ بنى عبسٍ وقد ضربوا به نبأً يكدى ورقاء عن رأس خالد
كذلك سيوفُ الهند تنبؤ طباتها وتقطع أحياناً مناط القلائد

ورقاء هو ورقاء بن زهير بن جندبة العبسي ، ضرب خالد بن جعفر بن كلاب ، وخالد مكب على أبيه زهير ، قد ضربه بالسيف وصصره ، فأقبل ورقاء بن زهير فضرَب خالدًا ، فلم يصنع شيئاً ، فقال ورقاء ابن زهير :

رأيتُ زهيراً تحت كلِّ خالد فأقبلتُ أسعى كالعجولِ أبادرٍ^(٥)
فشلتُ يميني يومَ أضربُ خالدًا ويخصُّه مني الحديدُ المظاهر^(٦)

وقال الفرزدق في مقامه ذلك :

أيعجبُ النَّاسُ أنْ أضحكتُ خيَرَهُمُ خليفةَ اللهِ يُستسقى به المطرُ^(٧)
فما نبأ السيفُ عن جُبْنٍ ولا دَهْشٍ عند الإمام ولكن آخرَ القدرِ

(١) في الأغاني : « فقال له سليمان : اجلس ، فواقه ما ضربته بسيفك ، ولكن بمسبك » ،
و في التناقض : « واقه ما هو من جودة السيف أجاد الضريبة ، ولكن بجودة حبه وشرف مركبه » .

(٢) الددان ، السيف الكليل ، و في الأغاني : « فلمست إليه القيسية سيفاً كليلاً » .

(٣) ط : « مثني » . (٤) ديوانه ١٨٦ .

(٥) الأغاني ١١ : ٧٤ . (٦) الأغاني : « ومجته مني الحديد » .

(٧) التناقض ٣٨٤ ، الأغاني ١٥ : ٣٤٤ . وفيه : « أيفسك الناس » .

ولو ضربتُ على عمرو مقلدته لخرَّ جثمانه ما فوقه شعر^(١)
وما يُعجلُ نفساً قبلَ ميتهَا^(٢) جمعُ اليدين ولا الصَّصامةُ الذَّكرُ ١٣٤٠/٢
وقال جرير في ذلك :

بسيِّفٍ أبي رَعْوَانٍ سيِّفٍ مجاشعٍ ضربتُ ولم تضرب بـسيِّفِ ابنِ ظالمٍ^(٣)
ضربتُ به عند الإمام فأزعشتُ يداك ، وقالوا مُحَلَّتٌ غيرُ صارِمٍ

حدثني عبدُ الله بنُ أحمد ، قال : حدثني ، أبي قال : حدثني سليمان
قال : حدثني عبد الله بن محمد بن عبيّنة ، قال : أخبرني أبو بكر بنُ
عبد العزيز بن الضحاك بن قيس ، قال : شهد سليمان بنُ عبد الملك جنازةً
بدايق ، فدخلتُ في حقل ، فجعلَ سليمانُ يأخذ من تلك التربة فيقول :
ما أحسنَ هذه التربة ! ما أطيبها ! فما أتى عليه جمعةٌ أو كما قالَ حتى دُفن
إلى جنب ذلك القبر .

(١) لم يرد في النفاذ . وفي الأغاني : « ولو ضربت به عمراً مقلده » .

(٢) الأغاني : « وما يقم » .

(٣) الأغاني ١٥ : ٣٤٣ ، وروى : « أن الفرزدق قال لسليمان : يا أمير المؤمنين ، هب لي
هذا الأسير ، فوجهه له فأعفته ، وقال الأبيات التي تقدم ذكرها . ثم أقبل على روايته وأصعابه وقال :
كأنني بآبِن المرافعة وقد بلغه خبري ، فقال - وذكر البيت - قال : فإلبشنا غير مدة يسيرة حتى جأمتنا
القصيدة وفيها هذان البيتان ، فصحبنا من ضلّة الفرزدق » .

خلافة عمر بن عبد العزيز

وفي هذه السنة استُخلف عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحَكَم .

• ذكر الخبر عن سبب استخلاف سليمان إياه :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ،

قال : حدثني الهيثم بن واقد ، قال : استُخلف عمر بن عبد العزيز بدأبت يوم الجمعة لعشر مئة من صفر سنة تسع وتسعين .

قال محمد بن عمر : حدثني داود بن خالد بن دينار ، عن سهيل بن

١٣٤١/٢

أبي سهيل قال : سمعت رجاء بن حيوة ، يقول : لما كان يوم الجمعة لبس

سليمان بن عبد الملك ثياباً خضراً من خَزّ ، ونظر في المرأة ، فقال : أنا والله

الملك الشاب ، فخرج إلى الصلاة ^(١) فبلى بالناس الجمعة ، فلم يرجع حتى

وعك ، فلما ثقل ^(٢) عهد في كتاب كتبه لبعض بنيه وهو غلام ولم يبلغ

فقلت : ما تصنع يا أمير المؤمنين ! إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف

على المسلمين الرجل الصالح . فقال سليمان : أنا أستخير الله وأنظر فيه . ولم

أحزم عليه ؛ قال : فكث يوماً أو يومين ، ثم خرّقه ، فدعاني ، فقال : ما ترى

في داود بن سليمان ؟ فقلت : هو غائب عنك بقسطنطينية وأنت لا تدري

أحيى هو أم ميت ! فقال لي : فن ترى ؟ قلت : رأيك يا أمير المؤمنين ،

وأنا أريد أنظر من يذكر ؛ قال : كيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت :

أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً ؛ فقال : هو والله على ذلك ، ثم قال : والله

لئن وليته ولم أول أحداً سواه لتكونن فتنة ، ولا يركونه أبداً بلى عليهم إلا

أن يجعل أحدهم بعده ، ويزيد بن عبد الملك غائب على الموضع ، قال : فيزيد

ابن عبد الملك أجعله ^(٣) بعده ، فإن ذلك مما يسكنهم ويرضون به ؛ قلت :

رأيك . قال : فكتب . ١٣٤٢/١

(١) ر : « صلاة » .

(٢) ثقل ، أي لثقل مرضه .

(٣) يملأ في ب : « يوظف » .

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعُسر بن عبد العزيز^(١) ، إني قد ولّيتك الخلافةَ من بعدى ، ومن بعده يزيد بن عبد الملك ؛ فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمعَ فيكم . وختم الكتاب ، وأرسل إلى كعب بن حامد العيسى صاحب شرطه فقال : مرّ أهل بيتي فليجتمعوا ، فأرسل كعب إليهم^(٢) أن يجتمعوا فاجتمعوا ، ثم قال سليمانُ لرجاء بعد اجتماعهم : اذهب بكتابي هذا إليهم فأخبرهم أن هذا كتابي ، وأمرهم فليأبوا من وليت فيه ؛ ففعل رجاء ، فلما قال رجاء ذلك لم قالوا : ندخل فنسلم على أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ؛ فدخلوا فقال لهم سليمانُ في هذا الكتاب — وهو يشير لهم إليه وهم ينظرون إليه في يد رجاء ابن حيوة — عهدى ، فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا لمن سميتُ في هذا الكتاب . فبايعوه رجلا رجلا ، ثم خرج بالكتاب محتوماً في يد رجاء بن حيوة .

قال رجاء : فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال : أخشى أن يكون هذا أسنداً إلى شيئاً من هذا الأمر ، فأنتدك الله وحرمي وسودتي إلا أعلمتني إن كان ذلك حتى أستغفبه الآن قبل أن تأتى حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة ! قال رجاء : لا والله ما أنا بمُخبرك حرقاً ؛ قال : ٤٢/٢ فذهب عمر غضبان .

قال رجاء : لقيني هشام بن عبد الملك ، فقال : يا رجاء ، إن لي بك حرمةٌ ومودةٌ قديمةٌ ، وعندى شكر ، فأعلمتني هذا الأمر ، فإن كان إلى علمتُ ، وإن كان إلى غيري تكلمتُ ، فليس مثلى قصر به ، فأعلمتني فلك الله على ألا أذكر من ذلك شيئاً أبداً . قال رجاء : فأبيت فقلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أسرَّ إلى .

قال : فانصرف هشام وهو قد يشس ، ويضرب^(٤) يلحدي يديه على الأخرى وهو يقول : فإلى من إذا نُحييتُ عني ؟ أخرج من بني عبد الملك ؟ قال رجاء : ودخلتُ على سليمان فإذا هو يموت ، فجعلتُ إذا أخذته السكرة من

(١) يملأني من : « ابن مروان » . (٢) ب : « ورثته » .

(٣) ب : « إليهم كعب » . (٤) ب : « وهو يضرب » .

مَسْكِرَاتِ الْمَوْتِ حَرَفَتْهُ إِلَى الْقَبْلَةِ ، فَجَعَلَ يَقُولُ حِينَ يُعْتِيقُ : لَمْ يَأْنِ لِلذَّكَاءِ
بَعْدُ يَا رَجَاءُ ، فَفَعَلْتُ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ ، فَلَمَّا كَانَتْ الثَّالِثَةُ قَالَ : مِنْ الْآنَ يَا رَجَاءُ
إِنْ كُنْتُ تَرِيدُ شَيْئًا ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .
قَالَ : فَحَرَفَتْهُ وَمَاتَ ؛ فَلَمَّا غَمَضَتْهُ سَجَّيْتُهُ بِقُطَيْفَةِ خَضِرَاءَ ، وَأَغْلَقْتُ الْبَابَ .
وَأُرْسِلْتُ إِلَى زَوْجَتِهِ تَقُولُ : كَيْفَ أَصْبَحَ ؟ فَقُلْتُ : نَأَمُ ، وَقَدْ تَغَطَّى ، فَنَظَرَ
الرَّسُولُ إِلَيْهِ ^(١) مَغْطًى بِالْقُطَيْفَةِ ، فَرَجَعَ فَأَخْبَرَهَا فَقَبِلَتْ ذَلِكَ ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ
نَأَمُ ، قَالَ رَجَاءُ : وَأَجْلَسْتُ عَلَى الْبَابِ مِنْ أَتَقَى بِهِ ، وَأَوْصَيْتُهُ إِلَّا يَبْرَحَ حَتَّى
آتِيَهُ ، وَلَا يَدْخُلَ عَلَى الْخَلِيفَةِ أَحَدٌ .

قَالَ : فَفَرَجْتُ فَأُرْسِلْتُ إِلَى كَعْبِ بْنِ حَامِدِ الْعَبْسِيِّ ، فَجَمَعَ أَهْلَ بَيْتِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَاجْتَمَعُوا فِي مَسْجِدِ دَابِيقَ ، فَقُلْتُ : يَا بَعِيعَا ، فَقَالُوا : قَدْ بَايَعْنَا
مَرَّةً وَبَايَعَ أُخْرَى ! قُلْتُ : هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَبَايَعُوا عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ
وَمِنْ سَمِي فِي هَذَا الْكِتَابِ الْمَخْتُومِ ، فَبَايَعُوا الثَّانِيَةَ رَجُلًا رَجُلًا . قَالَ رَجَاءُ :
فَلَمَّا بَايَعُوا بَعْدَ مَوْتِ سُلَيْمَانَ رَأَيْتُ أَنِّي قَدْ أَحْكَمْتُ الْأَمْرَ ، قُلْتُ : قَوْمُوا إِلَى
صَاحِبِكُمْ فَقَدْ مَاتَ ، قَالُوا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! وَقَرَأْتُ الْكِتَابَ عَلَيْهِمْ ،
فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى ذِكْرِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ نَادَى هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : لَا بُدَّ لَنَا مِنْ
أَبْدَأَ ، قُلْتُ : أَضْرِبْ وَاللَّهِ عُنُقَكَ ، قُمْ فَبَايِعْ ، فَقَامَ يَمْحَرُ رَجُلِيهِ .

قَالَ رَجَاءُ : وَأَخَذْتُ بِضَبْعِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَأَجْلَسْتُهُ لَمَّا وَقَعَ فِيهِ
وَهْشَامُ يَسْتَرْجِعُ عَلَى الْمَنِيرِ وَهُوَ يَسْتَرْجِعُ لِمَا أَخْطَأَهُ ، فَلَمَّا انْتَهَى هِشَامُ إِلَى عُمَرَ
قَالَ عُمَرَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! حِينَ صَارَتْ إِلَيَّ لِكِرَاهَتِهِ [لِبَاهَا] ^(٢) ،
وَالْآخِرُ يَقُولُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، حَيْثُ نُحْيِي عَنْهُ .

قَالَ : وَغَسَلَ سُلَيْمَانُ وَكَفَّنَ وَصَلَّى عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ قَالَ
رَجَاءُ : فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ دَفْنِهِ أَتَيْتُ بِمَرَكَبِ الْخُلَافَةِ : الْبِرَازِيزِينَ وَالْحَلِيلَ وَالْبَغَالِ
وَلِكُلِّ دَابَّةٍ سَائِسٍ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ! قَالُوا : مَرْكَبُ ^(٣) الْخُلَافَةِ ، قَالَ :

(١) ب : « إِلَيْهِ الرُّسُولُ » .

(٢) مِنْ بَيْتٍ .

(٣) ب : « مَرَكَبٌ » .

دابقي أوفتق لي ، وركب دابته . قال : فصرفت تلك الدواب^(١) ، ثم أقبل سائراً ، فقيل : منزل الخلافة ، فقال : فيه عيال أبي أيوب وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا ، فأقام في منزله حتى فرغوه بعد ، قال رجاء : فلما كان المساء من ذلك اليوم قال : يا رجاء ، ادع لي كاتباً ، فدعوتُه وقد رأيتُ منه كلَّ ما سرتي^(٢) ، صَنَعَ في المراكب ما صَنَعَ ، وفي منزل سليمان ؛ فقلتُ : كيف يصنع الآن في الكتاب ؟ أيصنع نُسخاً ، أم ماذا ؟ فلما جلس الكاتب أملتُ عليه كتاباً واحداً من فيه إلى يد الكاتب بغير نُسخة ، فأملئ أحسن إملاء وأبلغه وأوجزه ، ثم أمر بذلك الكتاب أن يُنسخ إلى كلِّ بلد .

وبلغ عبد العزيز بن الوليد - وكان غائباً - موت سليمان بن عبد الملك ، ولم يعلم بيعة الناس ثممر بن عبد العزيز ، وعهد سليمان إلى عمر ، فعقد لواء ، ودعا إلى نفسه ، فبلغته بيعة الناس عمر بعهد سليمان ، فأقبل حتى دخل على عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر : قد بلغني أنك كنتَ بايعتَ من قبلك ، وأردتَ دخولَ دمشق ، فقال : قد كان ذلك ، وذلك أنه بلغني أنَّ الخليفة سليمان لم يكن عَقْدَ لأحد ، فخفتُ على الأموال أن تُنتهب ، فقال عمر : لو بويعتَ وقمتَ بالأمر ما نازعتُك ذلك ، ولقعدتُ في بيتي ، فقال عبد العزيز : ما أحبُّ أنه ولي هذا الأمر غيرك . وباع عمر بن عبد العزيز . قال : فكان بُرجي لسليمان بتوليته عمر بن عبد العزيز وترك ولده .

وفي هذه السنة وجّه عمر بن عبد العزيز إلى مَسَلَمَة وهو بأرض الروم وأمره بالقُفُول منها بمن معه من المسلمين ، ووجّه إليه خيلاً عتاقاً وطعاماً كثيراً ، وحشَّ الناس على معونتهم ، وكان الذي وجّه إليه الخيل العتاق - فيما قيل - خمسمائة فرس .

وفي هذه السنة أغارت الترك على أذربيجان ، فقتلوا من المسلمين جماعة ، ونالوا منهم ، فوجّه إليهم عمر بن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي ،

(٢) ب : « يرفي » .

(١) ر : « الخيل » .

فقتل أولئك الترك ، فلم ^(١) يُفلت منهم إلا اليسير ، فقدم منهم على عمرَ
بُخناصرةَ بخمسين أسيراً .

وفيها عزل عمرُ يزيدَ بن المهلب عن العراق ، ووجه على البصرة وأرضها
عدى بن أرمطة الفزاري ، وبعث على الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن
ابن زيد بن الخطاب الأعرج القرشي ، من بني عدى بن كعب ، وضم إليه
أبا الزناد ، فكان أبو الزناد كاتب عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وبعث عدى
في أثر يزيد بن المهلب موسى بن الوحيه الحميري .

وحج بالناس في هذه السنة أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ، وكان عامل
عمر على المدينة .

وكان عامل عمر على مكة في هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله
ابن خالد بن أسيد ، وعلى الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن ،
وعلى البصرة وأرضها عدى بن أرمطة ، وعلى خراسان الجراح بن عبد الله .
وعلى قضاء البصرة إياس بن معاوية بن قرّة المزني ، وقد ولى فيما ذكر قبله
الحسن بن أبي الحسن ، فشكا ^(٢) ، فاستقصى إياس بن معاوية .

وكان على قضاء الكوفة — في هذه السنة فيما قيل — عامر الشعبي . وكان
الواقدي يقول : كان الشعبي على قضاء الكوفة أيام عمر بن عبد العزيز
من قبل عبد الحميد بن عبد الرحمن ، والحسن بن أبي الحسن البصري على
قضاء البصرة من قبل عدى بن أرمطة ، ثم إن الحسن استغنى عن القضاء
عدياً ، فأعفاه وولّى إياساً .

(١) ابن الأثير « ولم » .

(٢) ر : « فشكى » .

ثم دخلت سنة مائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك خروج الخارجة التي خرجت على عمر بن عبدالعزيز بالعراق .

* ذكر الخبر عن أمرهم :

ذكر محمد بن عمر أن ابن أبي الزناد حدثه ، قال : خرجت حرورية بالعراق ، فكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب عامل العراق يأمره أن يدعوهم إلى الصلح بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . فلما أهدر في دعائهم بعث إليهم عبد الحميد جيشاً ١٢٤٨/٢ فهزمتهم الحرورية ، فبلغ عمر ، فبعث إليهم مسلماً بن عبد الملك في جيش من أهل الشام جهزهم من الرقة ، وكتب إلى عبد الحميد : قد بلغني ما فعل جيشك جيش السوء ، وقد بعثت مسلماً بن عبد الملك ، فخل بينه وبينهم . فلقبهم مسلماً في أهل الشام ، فلم ينشب أن أظهره الله عليهم .

* * *

[خبر خروج شوذب الخارجي]

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن الذي خرج على عبد الحميد بن عبد الرحمن بالعراق في خلافة عمر بن عبدالعزيز شوذب - واسمه بسطام من بني يشكر - فكان يخرجهم بجوخي في ثمانين فارساً أكثرهم من ربيعة ، فكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عبد الحميد ، ألا تحركهم إلا أن يسفكوا دمًا ، أو يفسدوا في الأرض ، فإن فعلوا فحُلْ بينهم وبين ذلك ، وانظر رجلاً صلياً حازماً فوجهه إليهم ، وجهه معه جنداً ، وأوصه بما أمرتك به . فعقد عبد الحميد محمد بن جرير بن عبد الله البجلي في ألقين من أهل الكوفة ، وأمره بما أمره به عمر ، وكتب عمر إلى بسطام يدعو ويسأله عن يخرجهم ، فقدم كتاب عمر عليه ، وقد قدم عليه محمد بن جرير ، فقام بإزائه لا يحركه

ولا يهتجه ، فكان في كتاب عمر إليه : إنه بلغني أنك خرجت غَضَبًا لله ولنبيه ،
ولست بأولى بذلك مني ، فهِلَمْ أَنَاظِرُكَ فَإِنْ كَانَ الْحَقُّ بِأَيْدِينَا دَخَلْتَ فِيَا دَخَلَ
فِيهِ النَّاسُ ، وَإِنْ كَانَ فِي يَدِكَ نَظَرْنَا فِي أَمْرِنَا . فلم يحرك بسطام شيئاً ، وكتب ١٣٤٩/٢
إلى عمر : قد أنصفت ، وقد بعثتُ إليك رجلين يُدَارِسَانِكَ وَيَنَاظِرَانِكَ — قال
أبو عبيدة : أحد الرجلين اللذين بعثتهما شوذب إلى عمر بمنزوجة مولى بني
شيبان ، والآخر من صليبة بني يشكر — قال : فيقال : أرسل نَصْرًا فيهم
هذان ، فأرسل إليهم عمر : أن اختاروا رجلين ، فاختاروهما ، فدخلَا
عليه فناظرَاهُ ، فقالا له : أخبرنا عن يزيد لِمَ تَقْرَهُ خَلِيفَةً بَعْدَكَ ؟ قال :
صِبرُهُ غَيْرِي ؛ قالَا : أفرأيت لو وُكِّيتَ مَالًا لغيرك ثم وُكِّلْتَهُ إِلَى غَيْرِ مَأْمُونٍ
عليه ، أَتُرَاكَ كُنْتَ أَدَيْتَ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ اتَّصَمْتِكَ ! قال : فقال : أَنظِرَانِي
ثَلَاثًا ، فخرجَا مِنْ عِنْدِهِ ، وخاف بنو مروان أن يُخْرِجَ مَا عِنْدَهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ
مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَأَنْ يَخْطَعَ يَزِيدٌ ، فَلَمَسُوا إِلَيْهِ مَنْ سَقَاهُ سُمًّا ، فلم يلبث
بعد خروجهما من عنده إِلَّا ثَلَاثًا حَتَّى مَاتَ .

* * *

وفي هذه السنة أغزى عمرُ بن عبد العزيز الوليدَ بن هشام المُعِيطِيَّ وعمرُو
ابن قيس الكِنْدِيَّ مِنْ أَهْلِ حِمصِ الصَّافَةِ .
وفيها شَخَّصَ عمرُ بن هُبَيْرَةُ الْفَزَارِيَّ إِلَى الْجَزِيرَةِ عَامِلًا لِعَمْرِ عَلَيْهَا .

* * *

[خبر القبض على يزيد بن المهلب]

وفي هذه السنة حُملَ يزيد بن المهلب من العراق إلى عمرَ بن عبد العزيز .
* ذكر الخبر عن سبب ذلك ، وكيف وصل إليه حتى استوثق منه : ١٣٥٠/٢
اِخْتَلَفَ أَهْلُ السَّيْرِ فِي ذَلِكَ ، فَأَمَّا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ فَإِنَّهُ ذَكَرَ عَنْ
أَبِي مَخْنَفٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَمَّا جَاءَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ فَتَنَزَلَ وَاسِطًا ،
ثُمَّ رَكِبَ السَّفْنَ يَرِيدُ الْبَصْرَةَ ، بَعَثَ عَلِيَّ بْنَ أَوْطَاةٍ إِلَى الْبَصْرَةِ أَمِيرًا ، فَبَعَثَ
عَلِيٌّ مُوسَى بْنَ الْوَجِيهِ الْحَمِيرِيَّ ، فَلَمَحَهُ فِي نَهْرٍ مَحْقِلٍ عِنْدَ الْجِسْرِ ، جَسَرَ

البصرة فأوثقه ، ثم بعث به إلى عمر بن عبد العزيز ، فقَدِم به عليه موسى ابن الوحيه ، فلما به عمر بن عبد العزيز - وقد كان^(١) عمر يَبْغِضُ يزيدَ وأهل بيته ، ويقول : هؤلاء جَبَابِرَة ، ولا أَحَبُّ مِثْلَهُمْ ، وكان يزيد بن المهلب يَبْغِضُ عمرَ ويقول : إني لأظنه مرائياً ، فلما ولي عمر عرفَ يزيدُ أن عمرَ كان من الرياء بعيداً . ولما دعا عمر يزيدَ سألَه عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك ، فقال : كنتُ من سليمان بالمكان الذي قد رأيت ، وإنما كتبتُ إلى سليمان لأسمعَ الناسَ به ، وقد علمتُ أن سليمان لم يكن ليأخذني بشيء سمعت ، ولا بأمر أكرهه ، فقال له : ما أجِدُ في أمرك إلا حبسك ، فاتقِ الله وأدِّ ما قبيلك ، فإنها حقوقُ المسلمين ، ولا يَسْتَحْسِنُ تركُها ، فردَّه إلى محبسه^(٢) ، وبعث إلى الجراح بن عبد الله الحكيمي فسرَّحه إلى خراسان ، وأقبل غلذ بن يزيدَ من خراسان يُعْطَى الناسَ ، ولا يمرُّ بكَوْرَة إلا أعطاهم فيها أموالاً عظيماً . ثم خرج حتى قدم على عمر بن عبد العزيز ، فدخل عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله يا أمير المؤمنين صَنَعَ لهذه الأمة بولايتك عليها ، وقد ابتليتنا بك ، فلا نكن أشقى الناس بولايتك ، عَلامَ تَحْبِسُ هذا الشيخَ ! أنا أتحمِل ما عليه ، فصالحني على^(٣) ما إياه تسأل ، فقال عمر : لا . إلا أن تحمل جميعَ ما نسأله إياه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كانت لك يِئْنة فخذُ بها ، وإن لم تكن يِئْنة فصَدِّقْ مقالةَ يزيد ، وإلا فاستحلفه ، فإن لم يفعل فصالحه . فقال له عمر : ما أجِدُ إلا أخذَه بجميع المال . فلما خرج تَخَلَّد قال : هذا خيرٌ عندي من أبيه ، فلم يَلْبَثْ غلذ إلا قليلاً حتى مات ، فلما أبى يزيد أن يودِّي إلى عمر شيئاً ألبسه جُبَّةً من صوف ، وحمَلَه على جَمَلٍ ، ثم قال : سيروا به إلى دَهْلُك ، فلما أخرجَ فرَّ به على الناس أخذ يقول : ما لي عشيرة ، ما لي يُدْجِبُ بي إلى دَهْلُك ! إنما يُدْجِبُ إلى دَهْلُك بالفاسق المريب الخارب ، سبحان الله ! أما لي عشيرة ! فدخل على عمر سلامة بن نعيم

(١) س : « وكان » . (٢) ب ، س : « مجله » .

(٣) س : « عما إياه » .

الحولاني ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اردد يزيدي عجبته ؛ فإني أخاف إن أمضيته أن يتترعه قومه^(١) ؛ فإني قد رأيت قومه غَضِبوا له . فردّه إلى عجبته ، فلم يزل في عجبته ذلك حتى بلغه مرض عمر . ١٣٥٢/٢

وأما غير أبي مخنف فإنه قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى ابن أوطاة يأمره بتوجيه يزيد بن المهلب ، ودفعه إلى مَنْ بعين التمر من الجند ، فوجهه عدى بن أوطاة مع وكيع بن حسان بن أبي سُود التميمي مغلولاً مقيداً في سفينة ، فلما انتهى به إلى نهر أبان ، عرض لوكيع ناس من الأزد ليترعوه منه ، فوثب وكيع فانتضى سيفه ، وقطع قلنس السفينة ، وأخذ سيف يزيد ابن المهلب ، وحلف بطلاق امرأته ليضربن عنقه إن لم يفرقوا ، فناداهم يزيد بن المهلب ، فأعلمهم بين وكيع ، ففترقوا ، ومضى به حتى سلّمه إلى الجند الذين بعين التمر ، ورجع وكيع إلى عدى بن أوطاة ، ومضى الجند الذين بعين التمر بيزيد بن المهلب إلى عمر بن عبد العزيز ، فحبسه في السجن .

* * *

[عزل الجراح بن عبد الله عن خراسان]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله عن خراسان ، وولاه عبد الرحمن بن نعيم القشيري^(٢) ، فكانت ولاية الجراح بخراسان سنة وخمسة أشهر ، قدمها سنة تسع وتسعين ، وخرج منها لأيام بقيت من شهر رمضان سنة مائة .

* ذكر سبب عزل عمر إياه :

وكان سبب ذلك - فيما ذكر علي بن محمد عن كليب بن خلفه عن إدريس بن حنظلة ، والفضل عن جدّه ، وعلي بن مجاهد عن خالد ابن عبد العزيز ؛ أن يزيد بن المهلب ولّى جهنم بن زحر جرجان حين شخص عنها ، فلما كان من أمر يزيد ما كان وجه عامل العراق من العراق والياً على جرجان ، فقدم الولى عليها من العراق ، فأخذ جهنم فقيده وقيّد

(١) ب : « أهله » .

(٢) هو عبد الرحمن بن نعيم النمامي الأزدي ، وانظر ص ٥٦١ .

رهطاً قداموا معه ، ثم خرج في خمسين من اليمن يريد الجراح بخراسان ، فأطلق أهل جرجان عاملهم ، فقال الجراح لجهم : لولا أنك ابن عمي لم أسوئك هذا ، فقال له جهنم : ولولا أنك ابن عمي لم آتاك - وكان جهم سليف الجراح من قبل ابنتي حصين بن الحارث وابن عمه ، لأن الحكم وجعني ابناً سعد - فقال له الجراح : خالفت إمامك ، وخرجت عاصياً ، فاغز لعلك أن تظفر ، فيصلح أمرك عند خليفتك . فوجهه إلى الختل ، فخرج ، فلما قرب منهم سار متكرراً في ثلاثة ، وخلف في عسكريه ابن عمه القاسم بن حبيب - وهو غشيتنه على ابنته أم الأسود - حتى دخل على صاحب الختل فقال له : أخشني ، فأخلاه ، فاعتري ، فزّل صاحب الختل عن سريره وأعطاه حاجته - ويقولون : الختل مولى النعمان وأصاب مغناً ؛ فكتب الجراح إلى عمر : وأوفد وفداً رجلين من العرب ، ورجلا من المولى من بني ضبّة ، ويكنى أبا الصبياء واسمه صالح بن طريف ، كان فاضلاً في دينه . وقال بعضهم : المولى سعيد أخو خالد أو يزيد^(١) النحوي . فتكلم العريان والآخر جالس ، فقال له ١٣٥٤/٢ عمر : أما أنت من الوفد ؟ قال : بلى ، قال : فما يمنعك من الكلام ! قال : يا أمير المؤمنين ، عشرون ألفاً من المولى يتخزون بلاعطاء ولا رزق ، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يُؤخذون بالجراح ، وأميرنا عصبي جاف يقوم على منبرنا ، فيقول : أتيتكم حفيّاً ، وأنا اليوم عصبي ! والله لرجل من قوى أحب إلى من مائة من غيرهم . وبلغ من جفائه أن كُسم^٢ درعه يبلغ نصف درعه ، وهو بعد سيف من سيوف الحجاج ، قد عمل بالظلم والعلوان . فقال عمر : إذن مثلك فليوفد .

وكتب عمر إلى الجراح : انظر من صلتى قبيلك إلى القبلة ، فضع عنه الجزية . فسارع الناس إلى الإسلام ، فقبل للجراح : إن الناس قد سارعوا إلى الإسلام ، وإنما ذلك نفوراً من الجزية ؛ فامتنعهم بالختان .

فكتب الجراح بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : إن الله بعث محمداً صلى الله عليه داعياً ولم يبعثه خاتماً . وقال عمر : ابغوني رجلاً صلوقاً ،

أَسْأَلُهُ عَنْ خِرَاسَانَ ، فَقِيلَ لَهُ : قَدْ وَجَدْتَهُ ، عَلَيْكَ بِأَبِي جَمَلٍ . فَكَتَبَ إِلَى الْجَرَاحِ : أَنْ أَقْبَلَ وَلِحْمِلَ أَبَا جَمَلٍ وَخَلَّفَ عَلَى حَرْبِ خِرَاسَانَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَعِيمٍ الْغَامِدِيَّ^(١) . وَعَلَى جَزَيْتِهَا عِبِيدُ اللَّهِ - أَوْ عَبْدُ اللَّهِ - بْنُ حَبِيبٍ .

فَخَطَبَ الْجَرَاحُ فَقَالَ : يَا أَهْلَ خِرَاسَانَ ، جِئْتُمْ فِي ثِيَابِي هَذِهِ الَّتِي عَلَى وَعَلَى فَرَسِي ، لَمْ أَصِبْ مِنْ مَالِكُمْ إِلَّا حَلِيَّةَ سِنِي - وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ إِلَّا فَرَسٌ قَدْ شَابَ وَجْهَهُ ، وَبَقْلَةٌ قَدْ شَابَ وَجْهَهَا ؛ فَخَرَجَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَاسْتَخْلَفَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ نَعِيمٍ ، فَلَمَّا قَدِمَ^(٢) قَالَ لَهُ عَمْرٌ : مَتَى خَرَجْتَ ؟ قَالَ : فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، قَالَ : قَدْ صَدَقَ مَن وَصَفَكَ بِالْخَفَاءِ ، هَلَّا أَقَمْتَ حَتَّى تُفْطِرَ ثُمَّ تَخْرُجَ ! وَكَانَ الْجَرَاحُ يَقُولُ : أَنَا وَاللَّهِ عَصْبِي عَقْبِي - يَرِيدُ مِنَ الْعَصِيَّةِ . وَكَانَ الْجَرَاحُ لَمَّا قَدِمَ خِرَاسَانَ كَتَبَ إِلَى عَمْرٍ : إِنِّي قَدِمْتُ خِرَاسَانَ وَفُجِدْتُ قَوْمًا قَدْ أَبْطَرْتَهُمُ الْفِتْنَةُ فَهُمْ يَتَرَوْنَ فِيهَا نَزْوًا ، أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْهِمْ أَنْ تَعُودَ لِيَمْنَعُوا حَتَّى آتِيَهُمْ ، فَلَيْسَ يَكْفِيهِمْ إِلَّا السِّيفُ وَالسُّوْطُ ، وَكَرِهَتْ الْإِقْدَامُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِإِذْنِكَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرٌ :

يَا بْنَ أُمِّ الْجَرَاحِ ، أَنْتَ أَحْرَصُ عَلَى الْفِتْنَةِ مِنْهُمْ ؛ لَا تَضْرِبَنَّ مَوْسِمًا وَلَا مَعَاهِدًا سَوِيًّا إِلَّا فِي حَقِّ ، وَاحْطَرِ الْقَصَاصَ فَإِنَّكَ صَالِرٌ إِلَى مَنْ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، وَتَقْرَأُ كِتَابًا لَا يَفَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا .

وَلَمَّا أَرَادَ الْجَرَاحُ الشَّخْصَ مِنْ خِرَاسَانَ إِلَى عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَخَذَ عَشْرِينَ أَلْفًا . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : عَشْرَةُ آلَافٍ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ . وَقَالَ : هِيَ عَلَى سَلَفًا حَتَّى أَقْدِيهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ ، فَقَدِمَ عَلَى عَمْرِ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ : مَتَى خَرَجْتَ ؟ قَالَ : لَأَيَّامَ بَقِيَيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَعَلَى دِينَ فَاقْضِهِ ؛ قَالَ : لَوْ أَقَمْتَ حَتَّى تَفْطِرَ ثُمَّ خَرَجْتَ قَضَيْتَ عَنْكَ . فَأَدَّى عَنْهُ قَوْمَهُ فِي أُعْطِيَاتِهِمْ^(٣) .

(١) ب : « العامري » .

(٢) ب : « خرج » .

(٣) ب : « وأعطى أسلحتهم » .

ذكر الخبر عن سبب تولية عمر بن عبد العزيز عبد الرحمن بن نعيم
وعبد الرحمن بن عبد الله القشيري خراسان

وكان سبب ذلك - فيما ذكر لي - أن الجراح بن عبد الله لما شكى، واستقله عمر بن عبد العزيز، فقدم عليه عزله عن خراسان لما قد ذكرت قبل. ثم إن عمر لما أراد استعمال عامل على خراسان، قال - فيما ذكر على ابن محمد عن خارجة بن مصعب الضبي وعبد الله بن المبارك وغيرهما: ابغوني رجلاً صدوقاً أسأله عن خراسان، فقبل له: أبو مجلز لاحق بن حميد، فكتب فيه، فقدم عليه - وكان رجلاً لا تأخذه العين - فدخل أبو مجلز على عمر في جفّة^(١) الناس، فلم يشبته^(٢) عمر، وخرج مع الناس فسأل عنه فقيل: دخل مع الناس ثم خرج، فدعاه عمر فقال: يا أبا مجلز، لم أعرفك، قال: فهلا أنكرتني إذ لم تعرفني! قال: أخبرتني عن عبد الرحمن بن عبد الله، قال: يكافئ الأكفاء، ويهادي الأعداء، وهو أمير يفعل ما يشاء، ويقدم إن وجد من يساعده. قال: عبد الرحمن بن نعيم، قال: ضعيف ليس يحب العافية، وتأتي له، قال: الذي يحب العافية وتأتي له أحب إلى، فواله الصلاة والحرب، وولّى عبد الرحمن القشيري، ثم أحد بني الأعور بن قشير الخراج، وكتب إلى أهل خراسان: إني استعملت عبد الرحمن على حربكم وعبد الرحمن بن عبد الله على خراجكم عن غير معرفة مني بهما ولا اختيار، إلا ما أنجبرت عنهما؛ فإن كانا على ما تحبون فاحمدوا الله، وإن كانا على غير ذلك فاستعينوا بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٣٥٧/٢

قال علي: وحدتنا أبو السري الأزدي، عن إبراهيم الصانع، أن عمر ابن عبد العزيز كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم:
أما بعد، فكن عبداً ناصحاً لله في عباده، ولا يأخذك في الله لومة لائم؛ فإن الله أولى بك من الناس، وحقه عليك أعظم، فلا تولين شيئاً من أمر المسلمين إلا المعروف بالصيحة لم والتوفير عليهم، وأداء الأمانة فيما استرعى،

(١) جفّة الناس: جماعتهم. (٢) لم يشبته: لم يقره حق المعرفة.

ولإياك أن يكون ميلك ميلاً إلى غير الحق ، فإن الله لا تخفى عليه خافية ، ولا تذهبن عن الله مذهباً ؛ فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه .

قال عليّ ، عن محمد الباھليّ وأبي نھيك بن زياد وغيرهما : إن عمر بن عبد العزيز بعث بعهد عبد الرحمن بن نعيم على حرب خراسان وسجستان مع عبد الله بن صخر القرشيّ ، فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى مات عمر بن عبد العزيز ، وبعد ذلك حتى قُتل يزيد بن المهلب ، ووجه مسلمة سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم ، فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف ، وليها في شهر رمضان من سنة مائة ، وعزل سنة اثنتين ومائة ، بعد ما قتل يزيد بن المهلب .

قال عليّ : كانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان سنة عشر شهراً .

* * *

أول الدعوة

١٣٥٨/٧

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة - أعني سنة مائة - وجه محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس من أرض الشراة ميسرة إلى العراق ، وجه محمد بن خنيس وأبا عكرمة السراج - وهو أبو محمد الصادق - وحيان العطار خال إبراهيم ابن سلمة إلى خراسان ، وعليها يومئذ الجراح بن عبد الله الحكمي من قبل عمر بن عبد العزيز ، وأمرهم بالدعاء إليه وإلى أهل بيته ، فلقوا من لقوا ، ثم انصرفوا بكتب من استجاب لهم إلى محمد بن عليّ ، فدفعوها إلى ميسرة ، فبعث بها ميسرة إلى محمد بن عليّ ، واختار أبو محمد الصادق لمحمد بن عليّ اثني عشر رجلاً ، نقيباً^(١) ، منهم سليمان ابن كثير الخزاعيّ ، ولاهز بن قريظ التميمي ، وقحطبة بن شبيب الطائي ، وموسى بن كعب التميمي ، وخالد بن إبراهيم أبو داود ، من بني عمرو بن شيبان بن ذهل ، والقاسم بن مجاشع التميمي وعمران بن إسماعيل أبو النجم ، مولى لآل أبي معيط ومالك بن الهيثم الخزاعيّ وطلحة ابن رزيق الخزاعي وعمرو بن أعين أبو حمزة مولى خزاعة . وشيّل بن طهمان أبو عليّ الهرويّ ؛ مولى لبني حنيفة ، وعيسى بن أعين مولى خزاعة ؛ واختار سبعين رجلاً ، فكتب إليهم محمد بن عليّ كتاباً ليكون لهم مثلاً وسيرة يسرون بها .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، حدثني ١٣٥٩/٢
 بذلك أحمد بن ثابت عن ثوبان بن عمرو ، عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر .
 وكذلك قال الواقدي .

وكان عمال الأمصار في هذه السنة العمال في السنة التي قبلها ، وقد ذكرناهم
 قبل ما خلا عامل خراسان ؛ فإن عاملها كان في آخرها عبد الرحمن بن نعيم
 على الصلاة والحرب ، وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج .

ثم دخلت سنة إحدى ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر هرب يزيد المهلب من سجنه]

فمن ذلك ما كان من هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز .

* ذكر الخبر عن سبب هربه منه وكيف كان هربه منه :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن عمر بن عبد العزيز لما كُلم في يزيد بن المهلب حين أراد تقيته إلى دمهلك ، وقيل له : إنا نخشى أن يتترعه قومه ، ردّه إلى محبسه . فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر ، فأخذ يعمل بعد في الحرب من محبسه مخافة يزيد بن عبد الملك ؛ لأنه كان قد عذب أصحابه آل أبي عَقيْل - كانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف عند يزيد بن عبد الملك ، فولدت له الوليد بن يزيد المقتول - فكان يزيد بن عبد الملك قد عاهد الله لأن أمكنه الله من يزيد بن المهلب ليقطعن منه طابقاً فكان يخشى ذلك ، فبعث يزيد بن المهلب

١٣٦٠/٢

إلى مواليه ، فأعدوا له إيلاً ؛ وكان مرض عمر في ديار سمعان ، فلما اشتد مرض عمر أمر بإياله ، فأقْبى بها ، فلما تبين له أنه قد ثقل نزل من محبسه ، فخرج حتى مضى إلى المكان الذي واعدهم فيه ؛ فلم يجدهم جاءوا ، فجزع أصحابه وضجروا ، فقال لأصحابه : أترؤوني أرجع إلى السجن ! لا والله لا أرجع إليه أبداً . ثم إن الإبل جاءت ، فاحتمل ، فخرج ومعه عاتكة امرأته ابنة الفرات ابن معاوية العامرية من بني البكاء في شقّ الحمل ، فضى .

فلما جاز كتب إلى عمر بن عبد العزيز : إني والله لو علمتُ أنك تبقى ما خرجتُ من محبسي ؛ ولكني لم آمن يزيد بن عبد الملك . فقال عمر : اللهم إن كان يزيد يريد بهذه الأمة شرّاً فاكفهم شرّه ، واردد كيده في نحره . ومضى يزيد بن المهلب حتى مرّ بحدث الزقاق ، وفيه الهذيل بن زُفر معه قيس ،

فأتبعوا يزيد بن المهلب حيث مرّ بهم ، فأصابوا طرّفاً من ثقله وغلّمة من وصفائه ، فأرسل الحقليل بن زُفر في آثارهم ، فردّهم فقال : ما تطلبون ؟ أخبروني ، أنطلبون يزيد بن المهلب أو أحداً من قومه بتبيل ؟ فقالوا : لا ، قال : فما تريدون ؟ إنما هو رجل كان في إيسار ، فحظف على نفسه فهرب . وزعم الواقدي أن يزيد بن المهلب إنما هرب من سجن عمر بعد موت عمر .

* * *

[خبر وفاة عمر بن عبد العزيز]

وفي هذه السنة توفّي عمر بن عبد العزيز ، فحدثني أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : توفّي عمر بن عبد العزيز لخمس ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة .

وكذلك قال محمد بن عمر ، حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني عمرو بن عثمان ، قال : مات عمر بن عبد العزيز لعشر ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة .

وقال هشام عن أبي مخنف : مات عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لخمس بقين من رجب بدير سمعان في سنة إحدى ومائة ، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، وكانت خلافته ستين وخمسة أشهر . ومات بدير سمعان .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني عمي الهيثم بن واقد ، قال : ولدت سنة سبع وتسعين ، واستخلف عمر بن عبد العزيز بدابق يوم الجمعة لعشرين من صفر سنة تسع وتسعين ، فأصابني من قسمة ثلاثة دنانير ، وتوفّي بخنصرة يوم الأربعاء لخمس ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، وكان شكوه عشرين يوماً ، وكانت خلافته ستين وخمسة أشهر وأربعة أيام : ومات وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، ودفن بدير سمعان .

وقد قال بعضهم : كان له يوم توفّي تسع وثلاثون سنة ، وخمسة أشهر .

وقال بعضهم : كان له أربعون سنة .

وقال هشام : توفي عمر وهو ابن أربعين سنة وأشهر : وكان يكنى أبا حفص وله يقول عُويف القوافي . وقد حضره في جنازة شهدها معه :

أَجْبَنِي أَبَا حَفْصٍ لَقِيتَ مُحَمَّدًا عَلَى حَوْضِهِ مُسْتَبْشِرًا وَرَأَى كَأَنَّ
فَأَنْتَ أَمْرُؤُ كِلْتَا يَدَيْكَ مُفِيدَةٌ شِمَالُكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينٍ سِوَاكَ
وَأُمُّهُ أُمُّ عَاصِمِ بِنْتِ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : أَشْجَعُ
بَنِي أُمَيَّةَ ، وَذَلِكَ أَنَّ دَابَّةَ مِنْ دَوَابِّ أَبِيهِ كَانَتْ شَجَّتَهُ فَقِيلَ لَهُ : أَشْجَعُ بَنِي أُمَيَّةَ .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا سليمان بن حرب ،
قال : حدثنا المبارك بن فضالة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، قال : كنتُ
أسمع ابن عمر كثيراً يقول : ليت شعري مَنْ هذا الذي مِنْ ولد عمر ، في
وجهه علامة ، يملأ الأرض عدلاً !

وحدثت عن منصور بن أبي مزاحم : قال : حدثنا مروان بن شجاع ،
عن سالم الأفطس : أن عمر بن عبد العزيز رحمه (٢) دابة وهو غلام يدهم شق ،
فأتيت به أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، فضمته إليها ،
وجعلت تمسح الدم عن وجهه (٣) . ودخل أبوه عليها على تلك الحال ، فأقبلت
عليه تعذله وتلومه ، ويقول : ضيقت ابني ، ولم تضم إليه خادماً ولا حاضناً (٤)
يحفظه من مثل هذا ! فقال لها : اسكني يا أم عاصم ، فطوباك إذ كان أشجع
بني أمية !

١٢٦٣/٢

* * *

ذكر بعض مسيره

ذكر علي بن محمد أن كليب بن خلف حدثهم عن إدريس بن حنظلة ،
والمفضل ، عن جده ، وعلي بن مجاهد عن خالد : أن عمر بن عبد العزيز كتب
حين ولي الخلافة إلى يزيد بن المهلب :

(١) الأغاني ١٧ : ١١٠ . (٢) س : « وضحه » .
(٣) ب : « من وجهه » . (٤) ب : « حاضناً ولا خادماً » .

أما بعد ، فإن سليمان كان عبداً من عبيد الله أنعم الله عليه ، ثم قبضه واستخلفني ، ويزيد بن عبد الملك من بعدى إن كان ، وإن الذى ولانى الله من ذلك وقد رلى ليس على بهين ، ولو كانت رغبى فى اتخاذ أزواج واعتقاد^(١) أموال ، كان فى الذى أعطانى من ذلك ما قد بلغ بى أفضل ما بلغ بأحد من خلقه ، وأنا أخاف فيما ابتليت به حساباً شديداً ، ومساءلة غليظة ، إلا ما عافى الله ورحم ، وقد بايع من قبيلتنا فبايع من قبيلتك .

فلما قدم الكتاب على يزيد بن المهلب ، ألقاه إلى أبى عيينة ، فلما قرأه قال : لست من عماله ، قال : ولم ؟ قال : ليس هذا كلام من مضى من أهل بيته ، وليس يريد أن يسلك مسلكتهم . فدعا الناس إلى البيعة فبايعوا^(٢) .
قال : ثم كتب عمر إلى يزيد استخلف على خراسان ، وأقبل ، فاستخلف ابنه مخلداً .

قال على : وحدثنا على بن مجاهد ، عن عبد الأعلى بن منصور ، عن ميمون بن مهران ، قال : كتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم أن العَمَل والعلم قريان ، فكن عالماً بالله عاملاً له ، فإن أقواماً علموا ولم يعملوا ، فكان علمهم عليهم وبالاً .

قال وأخبرنا مصعب بن حيّان ، عن مقاتل بن حيّان ، قال : كتب عمر إلى عبد الرحمن :

أما بعد ، فاعمل عمل رجل يعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين .

قال على : أخبرنا كليب بن خلف ، عن طفيل بن مرداس ، قال : كتب عمر إلى سليمان بن أبى السرى ، أن اعمل خانات فى بلادك فن مر بك من المسلمين فاقروهم يوماً وليلة ، وتعهدوا دوابهم ، فن كانت به علة فاقرؤهم يومين وليلتين ، فإن كان منقطعاً به فقوّره بما يصل به إلى بلده .

فلما أتاه كتاب عمر قال أهل سمرقند لسليمان : إن قتيبة غدّر بنا ، وظلمنا وأخذ بلادنا ، وقد أظهر الله العدل والإنصاف ، فاذن لنا فليغد^(٣) منا وفد

(١) ب وابن الأثير : « اعتقال » . (٢) ب : « فبايعوه » .

(٣) ب : « فليقدم » .

إلى أمير المؤمنين يشكون ظلماً متناً ، فإن كان لنا حق أعطيناه ، فإن بنا إلى ذلك حاجة . فأذن لهم ، فوجهوا منهم قوماً ، فقدموا على عمر ، فكتب لهم عمر إلى سليمان ابن أبي السرى :

١٣٦٥/٢

إن أهل سمرقند قد شكوا إلى ظلماً أصابهم : ونحاملنا من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم ، فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي ، فليُنظر في أمرهم ، فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة .

قال : فأجلس لهم سليمان جُمَيْع بن حاضر القاضي الناجي ، فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابلوهم على سواء ، فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوةً ، فقال أهل السغد : بل نرضى بما كان ، ولا نجد حرباً . وترضوا بذلك ، فقال أهل الرأي : قد خالطنا هؤلاء القوم وأقننا معهم ، وأمنونا وأمنائهم ، فإن حكم لنا عدنا إلى الحرب ولا ندرى لمن يكون الظفر . وإن لم يكن لنا كذا قد اجتلبنا عداوة في المنازعة . فتركوا الأمر على ما كان ، ورضوا ولم ينازعو .

قال : وكتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم يأمره بإقفال مَنْ وراء النهر من المسلمين بنوازيهم . قال : فأبوا وقالوا : لا يسعنا مَرَوْ . فكتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه عمر : اللهم إني قد قضيت الذي عليّ ، فلا تنزُر بالمسلمين . فحسبهم الذي قد فتح الله عليهم .

١٣٦٦/٢

قال : وكتب إلى عقبه بن زرعة الطائي وكان قد ولّاه الخراج بعد القُشَيْرِي : إنَّ للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها ، فالوَالِي رُكْنٌ ، والقاضي رُكْنٌ ، وصاحب بيت المال رُكْنٌ ، والركن الرابع أنا ، وليس من ثغور المسلمين ثغر أهمُّ إليّ ، ولا أعظم عندي من ثغر خراسان ، فاستوعب الخراج وأحرزه في غير ظلم ، فإن يك كتماناً لأعطيائهم فسييل ذلك ، وإلا فاكتب إليّ حتى أحمل إليك الأموال فتوفر لهم أعطيائهم .

قال : فقدم عقبه فوجد خراجهم بفضل عن أعطيائهم ، فكتب إلى

عمر فأعلمه ، فكتب إليه عمر : أن أقسم الفضل في أهل (١) الحاجة .
 وحدثنني عبد الله بن أحمد بن شبيب ، قال : حدثني أبي ، قال :
 حدثني سليمان ، قال : سمعت عبد الله يقول عن محمد بن طلحة ، عن داود
 ابن سليمان الجعفي ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز (٢) :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الحميد : سلام عليك ؛ أما بعد ؛
 فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدّة وجور في أحكام الله وسنة خبيثة
 استنّها (٣) عليهم عمال سوء ، وإن قوام الدين العدل والإحسان ، فلا يكوننّ
 شيء أهمّ إليك من نفسك ؛ فإنه لا قليل من الإثم . ولا تحمل خراباً على
 عامر ، ولا عامراً على خراب ، انظر الخراب (٤) فخذ منه ما أطاق . وأصلحه
 حتى يعمر ، ولا يؤخذ (٥) من العامر إلا وظيفة الخراج في رفقة وتسكين لأهل
 الأرض ، ولا تأخذنّ في الخراج إلا وزن سبعة ليس لها آيين ولا أجور
 الضرايين ، ولا هدية التبروز والمهرجان (٦) . ولا ثمن الصُحف ، ولا أجور
 الفيوج (٧) ، ولا أجور البيوت ، ولا دواهم النكاح ، ولا خراج على من أسلم من
 أهل الأرض : فاتبع في ذلك أمرى ؛ فإنّي قد وليتكَ من ذلك ما ولّاني الله ،
 ولا تعجل دوني بقطع ولا صلب ؛ حتى تراجعني فيه ، وانظر من أراد من
 الذرية أن يمحج . فمجل له مائة محج بها ، والسلام .

حدثنا عبد الله بن أحمد بن شبيب ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا
 سليمان ، قال : حدثني عبد الله ، عن شهاب بن شريعة المجاشعي ، قال :
 ألقى عمر بن عبد العزيز ذوازي الرجال الذين في العطايا (٨) أفرع بينهم ، فن

(١) ب : « ذوى » .

(٢) بعد ما في ب : « كتاباً » .

(٣) ابن الأثير : « سبأ » ، وفي ط « استنّها » ، تحريف .

(٤) ب : « إلى الخراب » . (٥) ب : « ولا يؤخذ » .

(٦) التبروز : اسم أول يوم في السنة ؛ وهو عند الفرس عند نزول الشمس أول الحمل ،
 وعند القبط أول توت ، عرب « نوروز » ، أي اليوم الجديد . والمهرجان : عيد الفرس عند نزول الشمس
 أول الميزان .

(٧) الفيوج : جمع فيج ؛ وهو رسول السلطان الذي يسمى بالكتب .

(٨) س : « العطاء » .

أصابته القرعة جعله في المائة ، ومن لم تُصِبه القرعة جعله في الأربعين ، وقسم في فقراء أهل البصرة كل إنسان ثلاثة دراهم ، فأعطى الزمى خمسين خمسين . قال : وأراه رزق الفظم^(١) .

حدثني عبد الله ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا الفضيل ، عن عبد الله قال : بلغني أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل الشام :

سلام عليكم ورحمة الله ، أما بعد ؛ فإنه من أكثر ذكر الموت قل كلامه ، ومن علم أن الموت حتى رضى باليسير ، والسلام^(٢) .

١٣٦٨/٢

قال علي بن محمد : وقال أبو مجلز لعمر : إنك وضعتنا بمنقطع التراب ، فاحبل إلينا الأموال . قال : يا أبا مجلز : قلبت الأمر ، قال : يا أمير المؤمنين أهو لنا أم لك ؟ قال : بل هو لكم إذا قصّر خراجكم عن أعطيتكم ، قال : فلا أنت تحمله إلينا ، ولا نحمله إليك ، وقد وضعت بعضه على بعض . قال : أحمله إليكم إن شاء الله .

ورضى من ليلته ثلث من مرضه . وكانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستة عشر شهراً .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة توفي عمارة بن أكيمه اللبي ، ويكنى أبا الوليد ، وهو ابن تسع وسبعين .

زيادة في سيرة عمر بن عبد العزيز ليست من كتاب أبي جعفر

إلى أول خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

روى عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي ، قال : حدثنا رجل في مسجد الجنابذة ، أن عمر بن عبد العزيز خطب الناس بخصناصرة ، فقال : أيها الناس ، إنكم لم تَحْلَمُوا عِبْثًا ، ولَنْ تُرْكُوا سُدًى ؛ وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم ، والفصل بينكم ، وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، وحُرِّمَ الجنة التي عرضها السموات والأرض . ألا واعلموا

(٢) ب : « السلام عليكم » .

(١) ب : « الفظم » .

أَتَمَّا الْأَمَانُ غَدًا لَمَنْ حَذَرَ اللَّهَ وَخَافَهُ ، وَبَاعَ نَافِدًا^(١) بَاقٍ ، وَقَلِيلًا بَكْثِيرٍ ، ١٣٦٩/٢
 وَخَوْفًا بَأَمَانٍ . أَلَا تَرَوْنَ أَنْكُمْ فِي أَسْلَابِ الْمَالِكِينَ ، وَسِيخْلَفُهَا بِعَدَمِ الْبَاقُونَ
 كَذَلِكَ حَتَّى تَرُدَّ^(٢) إِلَى خَيْرِ الْوَارِثِينَ ! وَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَشْتَعُونَ غَادِيًا وَرَاحَةً إِلَى
 اللَّهِ فَدَقَضَى نَجَبَهُ ، وَانْقَضَى أَجَلُهُ ، فَتَنَبَّيْتُمْ فِي صَدْعٍ مِنَ الْأَرْضِ ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ
 غَيْرَ مُوسَّدٍ وَلَا مَمْهَدٍ ، قَدْ فَارَقَ الْأَحْبَةَ ، وَخَلَعَ الْأَسْبَابَ ، فَسَكَنَ التَّرَابَ
 وَوَجَّهَ الْحِسَابَ : فَهُوَ مَرْتَهَنٌ بِعَمَلِهِ ، فَقِيرٌ إِلَى مَا قَدَّمَ ، غَنِيٌّ عَمَّا تَرَكَ .
 فَاتَّقُوا اللَّهَ قَبْلَ نَزْلِ الْمَوْتِ وَانْقِضَاءِ مَوَاقِعِهِ . وَإِيمَ اللَّهِ إِنِّي لَأَقُولُ لَكُمْ هَذِهِ الْمَقَالَةُ ،
 وَمَا أَعْلَمُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنَ الذَّنُوبِ أَكْثَرَ مِمَّا عِنْدِي ، فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ .
 وَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ تَبْلُغُنَا عَنْهُ حَاجَةٌ إِلَّا أَحْبَبْتُ أَنْ أَسَدَّ مِنْ حَاجَتِهِ مَا قَدَرْتُ
 عَلَيْهِ ، وَمَا مِنْكُمْ أَحَدٌ يَسْمَعُ مَا عِنْدُنَا إِلَّا وَدِدْتُ أَنْ سَدَّ^(٣) أَيْ وَلَحَمْتُ ، حَتَّى
 يَكُونَ عَيْشُنَا وَعَيْشُهُ سَوَاءً . وَإِيمَ اللَّهِ أَنْ لَوْ أَرَدْتُ غَيْرَ هَذَا مِنَ الْغَضَابَةِ وَالْعَيْشِ ؛
 لَكَانَ الْإِنْسَانُ مَنِيَّ بِهِ ذُلُولًا عَالِمًا بِأَسْبَابِهِ ، وَلَكِنَّهُ مَضَى مِنَ اللَّهِ كِتَابَ نَاطِقٍ
 وَسَنَةٍ عَادِلَةٍ ، يَدُلُّ فِيهَا عَلَى طَاعَتِهِ ، وَيَنْهَى عَنْ مَعْصِيَتِهِ .
 ثُمَّ رَفَعَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَكَى حَتَّى شَهِقَ وَأَبْكَى النَّاسَ حَوْلَهُ ، ثُمَّ نَزَلَ فَكَانَتْ
 لِإِبَاهِمَا لِيَخْطُبَ بَعْدَهَا حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٤) .

روى خلف بن تميم ، قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ١٣٧٠/٢
 بَلَغَنِي أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَاتَ ابْنُ لَهُ ، فَكُتِبَ عَامِلٌ لَهُ بِعَزِيهِ عَنْ ابْنِهِ ،
 فَقَالَ لِكَاتِبِهِ : أَجِبْهُ عَنِّي ، قَالَ : فَأَخَذَ الْكَاتِبُ يَبْرِي الْقَلَمَ ، قَالَ : فَقَالَ
 لِلْكَاتِبِ : أَدِقَّ الْقَلَمُ ، فَإِنَّهُ أَبْقَى لِلْقُرَاطِ ، وَأَوْجَزَ لِلْحُرُوفِ ، وَاكْتُبْ :
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرُ قَدْ كُنَّا وَطَنًا أَنْفُسَنَا
 عَلَيْهِ ، فَلَمَّا نَزَلَ لَمْ نَنْكَرْهُ^(٥) ، وَالسَّلَامُ .

روى منصور بن مزاحم ، قال : حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ — يَعْنِي ابْنَ صَفْوَانَ —
 عَنْ ابْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : مَنْ وَصَلَ أَخَاهُ
 بِنَصِيحَةٍ لَفِي دِينِهِ ، وَنَظَرَ لَهُ فِي صَلَاحِ دُنْيَاهُ ، فَقَدْ أَحْسَنَ صَلَاتَهُ ، وَأَدَّى وَاجِبَ

(١) الْبَيَانُ وَالْتَبِيْنُ : « فَأَتَانَا » . (٢) الْبَيَانُ : « تَرُدُّوْا » .

(٣) ط : « سَارَانِي » . الْبَيَانُ : « إِنْ يَدُ مَعَ يَدِي ، وَلَحَمْتُ الَّذِيْنَ يُلَوِّقُ » .

(٤) الْبَيَانُ وَالْتَبِيْنُ : ٢ : ١٢١ . (٥) ط : « نَذَكْرُهُ » .

حقه ؛ فاتقوا الله ، فإنها نصيحة لكم في دينكم ، فاقبلوها ، وموعظة منجية في المواقب فالزموها . الرزق مقسوم فلن يغدر المؤمن ما قسم له ، فأجملوا في الطلب ، فإن في القنوع سعة وبخلغة وكفافاً ، إن أجل الدنيا في أعتاقكم ، وسجيم أمامكم ، وما ترون ذاهب ، وما مضى فكان لم يكن ، وكل أموات عن قريب ، وقد رأيتم حالات الميت وهو يسوق ؛ وبعد فراغه وقد ذاق الموت ، والقويح حوله يقولون : قد فرغ رحمه الله ! وعايتم تعجيل إخراجيه ، وقسمة تراثه ووجهه مفقود ، وذكره منسى ، وبابه مهجور ، وكأن لم يخالط إخوان الحفاظ ، ولم يصير الديار ، فاتقوا هول يوم لا تحقر فيه مثقال ذرة في الموازين ..

روى سهل بن محمود ؛ قال : حدثنا حرملة بن عبد العزيز ، ثقل : حدثني أبي ، عن ابن عمر بن عبد العزيز ، قال : أمرنا عمر أن نشتري موضع قبره ، فاشتريناه من الراهب ، قال : فقال بعض الشعراء (١) :

١٣٧١/ ٢

أَقُولُ لِمَا تَعْبَى الْمُتَأَنِّهِينَ عَلَى عَمْرٍَا لَا يَبْعَلَنَّ قِيَامُ الْعَدْلِ وَالِدَيْنِ
قَدْ غَادَرَ الْقَوْمُ بِالْحَدِّ الْحَدَّوَا بِدَيْرٍ سَمْعَانَ قِسْطَاسَ الْمَوَازِينِ

روى عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، ومن لم يعد كلامه من جملة كثرت ذنوبه ، والرضا قليل ، وسعول المؤمن الصبر ، وما أنعم الله على عبد نعمة ثم انتزعها منه فأعاضه مما انتزع منه الصبر إلا كان ما أعاضه خيراً مما انتزع منه ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢) .

وقدم كتابه على عبد الرحمن بن نعيم :

لا تهلما كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار صولحتم عليه ، ولا تحدثن كنيسة ولا بيت نار ، ولا تجر الشاة إلى مذبحها ، ولا تحدثوا الشفرة على رأس الذبيحة ، ولا تجمعوا بين الصلاتين إلا من عذر .

١٣٧٢/ ٢

روى عفان بن مسلم ، عن عثمان بن عبد الحميد ، قال : حدثنا أبي ،

(١) ابن الأثير : « فقال كثير عزة » . وما من ثلاثة أبيات في الكامل ٢ : ٢٧٧ من غير نسبة .

(٢) سورة الزمر : ١٠ .

قال : بلغنا أن فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز قالت : اشتدَّ علَّزُه (١) ليلةً ، فسهر وسهرنا معه ، فلما أصبحنا أمرت وصيفاً له يقال له مرثد ، فقلت له : يا مرثد ، كن عند أمير المؤمنين ، فإن كانت له حاجة كنت قريباً منه . ثم انطلقنا فضر بنا برعوسنا لطول سهرنا ، فلما انفتح النهار استيقظت فخرجت إليه ، فوجدت مرثداً خارجاً من البيت نائماً ، فأيقظته فقلت : يا مرثد ، ما أخرجك ؟ قال : هو أخرجني ، قال : يا مرثد ؛ اخرج عني ! فوالله إني لأرى شيئاً ما هو بالإنس ولا جان ، فخرجت فسمعت يتلو هذه الآية : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) ، قال : فدخلت عليه فوجدته قد وجّه نفسه ، وأغمض عينيه ، وإنه لميت . رحمه الله (٣) .

(١) في اللسان : « الماز : شبه رعدة تأخذ المريض أو الحريص على الشيء ، كأنه لا يستقر

في مكانه من الوجع » . (٢) سورة القصص : ٨٣ .

(٣) في حاشية ب : « تم الفصل من الزيادة وعاد ترتيب أبي جعفر من هنا » .

خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

وفيهما ولي يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وكنيته أبو خالد ، وهو ابن تسع وعشرين سنة في قول هشام بن محمد ؛ ولما ولي الخلافة نزع عن المدينة أبا بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم ، ولأها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري ، فقدمها - فيما زعم الواقدي - يوم الأربعاء ليلال بقيين من شهر رمضان فاستقضى عبد الرحمن سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد المخزومي .

١٣٧٢/٢

وذكر محمد بن عمر أن عبد الجبار بن عمار حدثه عن أبي بكر بن حزم ، أنه قال : لما قدم عبد الرحمن بن الضحاك المدينة وعزني ، دخلت عليه ، فسلمت فلم يقبل علي ، فقلت : هذا شيء لا تملكه قريش للأنصار^(١) ، فرجعت إلى منزلي وخففت - وكان شاباً مقداماً - فإذا هو يبلغني عنه أنه يقول : ما يمنع ابن حزم أن يأتي إلا الكبير ، وإلى لعالم بخيانه ؛ فجاءني ما كنت أحذر وما أستيقن من كلامه ، فقلت للذي جاءني بهذا : قل له : ما الخيانة لي بعبادة ، وما أحب أهلها ، والأمر يحدث نفسه بالخلود في سلطانه ، كم نزل هذه الدار من أمير وخليفة قبل الأمير فخرجوا منها وبقيت آثارهم أحاديث إن خيراً فخير وإن شراً فشر ! فاتق الله ولا تسمع قول ظالم أو جاسد على نعمة .

فلم يزل الأمر يترق بينهما ، حتى خاصم إليه رجل من بني فيهر وأخبر من بني النجار - وكان أبو بكر قضى للنجاري على الفهري في أرض كانت بينهما نصفين ، فدفع أبو بكر الأرض إلى النجاري - فأرسل الفهري إلى النجاري وإلى أبي بكر بن حزم ، فأحضرهما ابن الضحاك ، فتظلم الفهري من أبي بكر بن حزم ، وقال : أخرج مالي من يدي ، فدفعه إلى هذا النجاري ، فقال أبو بكر : اللهم عقر ! أما رأيتني سألت أياماً في أمرك وأمر صاحبك ، فاجتمع لي على إخراجها من يدك ، وأرسلتك^(٢) إلى من أفتاني بذلك : سعيد بن المسيب وأبي بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فسألتهما ؟ فقال الفهري : بلى ،

١٣٧٤/٢

(١) كلما في ب ، وف ط : « الأنصار » .

(٢) ب : « فأرسلتك » .

وليس يلزمني قولهما . فانكسر ابن الضحاك فقال : قوموا ، فقاموا ، فقال للقهرى :
تقر له أنك سألت من أفناه بهذا ، ثم تقول رُدّها على ! أنت أرعن ، اذهب
فلاحاً لك ؛ فكان أبو بكر يتقيه ويخافه ، حتى كلم ابن حيان^(١) يزيد أن
يقبده من أبي بكر ؛ فإنه ضربه حدّين ، فقال يزيد : لا أفعل ، رجل اصطنعه
أهل بيبي ؛ ولكني أوكّيك المدينة . قال : لا أريد ذلك ، لو ضربته بسلطاني
لم يكن لي قوداً . فكتب يزيد إلى عبد الرحمن بن الضحاك كتاباً :

أما بعد ، فانظر فيما ضرب ابن حزم ابن حيان ، فإن كان ضربه في أمر
بين فلا تلتفت إليه ، وإن كان ضربه في أمر يختلف فيه فلا تلتفت إليه ،
فإن كان ضربه في أمر غير ذلك فأقده منه .

فقدم بالكتاب على عبد الرحمن بن الضحاك ، فقال عبد الرحمن :
١٣٧٠/٢ ما جئت بشيء ، أترى ابن حزم ضربك في أمر لا يختلف فيه ! فقال
عثمان لعبد الرحمن : إن أردت أن تحسن أحسنت ، قال : الآن أصبت
المطلب ، فأرسل عبد الرحمن إلى ابن حزم فضربه حدّين في مقام واحد ، ولم
يسأله عن شيء . فرجع أبو المغراء^(٢) بن حيان وهو يقول : أنا أبو المغراء بن
الحيان ، والله ما قربت النساء من يوم صنع بي ابن أبي حزم ما صنع حتى يوي
هذا ، واليوم أقرب النساء !

• • •

[مقتل شوذب الخارجي]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة قُتِل شوذب الخارجي .
• ذكر الخبر عن مقتله :

قد ذكرنا قبل الخبر عمّا كان من مراسلة شوذب عمر بن عبد العزيز
لنناظرته في خلافه عليه ، فلما مات عمر أحبّ - فيما ذكر معمر بن المنثري -
عبد الحميد بن عبد الرحمن أن يحظى عند يزيد بن عبد الملك ، فكتب إلى

محمد بن جرير يأمره بمحاربة^(١) شوذب وأصحابه ، ولم يرجع رسولا شوذب ، ولم يعلم بموت عمر ، فلما رأوا محمد بن جرير يستعد للحرب : أرسل إليه شوذب : ما أعجلك^(٢) قبل انقضاء المدة فيما بيننا وبينكم ! أليس قد تواعدنا إلى أن يرجع رسولا شوذب ! فأرسل إليهم محمد : إنه لا يسعنا ترككم على هذه الحالة — قال غير أبي عبيدة : فقالت الخوارج : ما فعل هؤلاء هذا^(٣) إلا وقد مات الرجل الصالح .

قال معمر بن النخعي : فبرز لهم شوذب ، فاقتتلوا ، فأصيب من الخوارج نفر ، وأكثروا في أهل القبلة القتل ، وتولوا منهزمين ، والخوارج في أعقابهم تقتل حتى بلغوا أخصاص الكوفة ، ولجئوا إلى عبد الحميد ، ورجع محمد بن جرير في أمته ، ورجع شوذب إلى موضع فأقام ينتظر صاحبيه ، فجاءاه فأخبراه بما صار عليه عمر ، وأن قد مات . فأقر يزيد عبد الحميد على الكوفة ، ووجه من قبله تميم بن الحباب في ألفين ، فراسلهم وأخبرهم أن يزيد لا يفارقهم على ما فارقهم عليه عمر ، فلعنوه ولعنوا يزيد ، فحاربهم فقتلوه وهزموا أصحابه ، فلجأ بعضهم إلى الكوفة ورجع الآخرون إلى يزيد ، فوجه إليهم نجدة بن الحكم الأزدی في جمع فقتلوه ، وهزموا أصحابه ، فوجه إليهم الشحاج بن وداع في ألفين ، فراسلهم وراسلوه ، فقتلوه وقتل منهم نقرأ فيهم هذبة اليشكري ، ابن غم بسطام — وكان عابداً — وفيهم أبو شبيل مقاتل ابن شيبان — وكان فاضلاً عندهم — فقال أبو ثعلبة أيوب بن خولى يرثيهم :

تَرَكْنَا تَمِيمًا فِي الْغُبَارِ مُلْحَبًا تُبَكِّي عَلَيْهِ عِرْسُهُ وَقَرَاتِبُهُ
وَقَدْ أَسْلَمَتْ قَيْنَسٌ تَمِيمًا وَمَالِكًا كَمَا أَسْلَمَ الشَّحَاجُ أَمِيرَ أَقَارِبِهِ
وَأَقْبَلَ مِنْ حَرَّانَ يَحْمِلُ رَايَةً يَغَالِبُ أَمْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَالِبُهُ
فَيَاهُذِبْ لِلْهَيْجَا ، وَيَاهُذِبْ لِلنَّدَى ، وَيَاهُذِبْ لِلْخَضَمِ الْأَكْدِ يُحَارِبُهُ !
وَيَاهُذِبْ كَمَنْ مَلَحَمٌ قَدْ أَجَبْتَهُ^(٥) وَقَدْ أَسْلَمَتْهُ لِلرَّمَا حِ جَوَالِيَتُهُ

١٣٧٦/٢

١٣٧٧/٢

(١) ابن الأثير : « بمناجزة » . (٢) اب : « ما أعجلكم » . (٣) ر : « ما فعلوا » .

(٤) ط : « صادقاً » . ب : « صاراً » . (٥) ابن الأثير : « كم من ملحم » .

وكان أَبُو شَيْبَانَ خَيْرَ مُقَاتِلٍ يُرْجَى وَيَخْشَى بِأَسْهُ مِنْ يَحَارِبُهُ
فَفَارَ وَلَاقَى اللَّهَ بِالْخَيْرِ كُلِّهِ وَخَذَمَهُ بِالسَّيْفِ فِي اللَّهِ ضَارِبُهُ
تَزَوَّدَ مِنْ دُنْيَاهُ دِرْعًا وَمَغْفَرًا وَعَضْبًا حُسَامًا لَمْ تَخُنْهُ مَضَارِبُهُ
وَأَجْرَدَ مَحْبُوكَ السَّرَاقَةِ كَأَنَّهُ إِذَا انْقَضَى وَافِيَ الرَّيْشِ حُجْنٌ مَخَالِيهِ

١٣٧٨/٢

فلما دخل مسلمة الكوفة شكا إليه أهلها مكان شوذب ، وخوفهم منه
وما قد قتل منهم ، فدعا مسلمة سعيد بن عمرو الحرثي — وكان فارساً — فعقد
له على عشرة آلاف ، وجهته إليه ^(١) وهو مقيم بموضعه ، فأتاه ما لا طاقة له به .
فقال شوذب لأصحابه : من كان يريد الله فقد جاءته الشهادة ، ومن كان
إنما خرج للدنيا فقد ذهب الدنيا ، وإنما البقاء في الدار الآخرة ؛ فكسروا
أعماد السيوف ^(٢) وحملوا ، فكشفوا سعيداً وأصحابه مراراً ؛ حتى خاف الفضيحة
فلمّر أصحابه ، وقال لهم : آمين هذه الشرزمة لا أبا لكم تفرون ! يا أهل
الشام يوماً كأيامكم !

قال : فحملوا عليهم ، فطحنوهم ^(٣) طحناً لم يقو منهم أحداً ، وقتلوا بسطاماً
وهو شوذب وفرسانه ، منهم الريان بن عبد الله البشكري ، وكان من المحبطين ^(٤) ،
فقال أخوه شيعر بن عبد الله يرثيه :

وَلَقَدْ فَجِئْتُ بِسَادَةٍ وَقَوَارِيسَ لِلْحَرْبِ سُعْرٍ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ
إِغْتَاقَهُمْ رَبِيبُ الزَّمَانِ فَعَالَهُمْ وَتُرَكْتُ فَرْدًا غَيْرَ ذِي إِخْوَانٍ
كَيْدًا تَجَلْجَلُ فِي فَوَادِي حَسْرَةٍ كَالنَّارِ مِنْ وَجْدٍ عَلَى الرِّيَانِ
وَقَوَارِيسَ بَاعُوا الْإِلَهَ نَفْسَهُمْ مِنْ يَشْكُرٍ عِنْدَ الْوَعَى فَرْسَانِ
وَقَالَ حَسَانُ بْنُ جَعْفَرٍ يَرِثُهُمْ :

يَا عَيْنُ أَذْرَى دُمُوعَايْنِكَ تَسْجَامَا وَابْكِي صَحَابَةَ بَسْطَامٍ وَيَسْطَامَا
فَلَنْ تَرَى أَبَدًا مَا عِشْتَ مِثْلَهُمْ أَنْقَى وَأَكْمَلَ فِي الْأَحْلَامِ أَحْلَامَا

(٢) ب : « سيوفهم » .

(١) س : « إليهم » .

(٤) ط : « المحبطين » . وأُعييت إلى ربه ،

(٣) ط : « فطحنوهم » ، وما أنيته من ب .

إلى المكان .

١٣٧٩/٢ بِسَبَبِهِمْ قَدْ تَأَسَّوْا عِنْدَ شِدَّتِهِمْ وَلَمْ يُرِيدُوا عَنِ الْأَعْدَاءِ إِحْجَامًا
حَتَّى مَضَوْا لِلَّذِي كَانُوا لَهُ خَرَجُوا فَأَوْرَثُونَا مَنَازِلَ وَأَعْلَانًا
إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ قَدْ أَنْزَلُوا غُرَفًا مِنَ الْجَنَانِ وَنَالُوا ثُمَّ خُدَّامًا
أَسْقَى إِلَهُ بِلَادًا كَانَ مَصْرَعُهُمْ فِيهَا مَسْحَابًا مِنَ الْوَسْمَى سَجَامًا

• • •

[خبر خلع يزيد بن المهلب بن يزيد بن عبد الملك]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة لحق يزيد بن المهلب بالبصرة ، فغلب عليها ، وأخذ عامل يزيد بن عبد الملك عليها عدى بن أرتاة الفزاري ، فحبسه وخلع يزيد بن عبد الملك .

• ذكر الخبر عن سبب خلعه يزيد بن عبد الملك وما كان من أمره وأمر يزيد في هذه السنة :

قد مضى ذكرى خبر هرب يزيد بن المهلب من محبسه الذي كان عمر بن عبد العزيز حبسه فيه ، ونذكر الآن ما كان من صنيعه بعد هربه في هذه السنة — أعني سنة إحدى ومائة .

ولما مات عمر بن عبد العزيز بويع يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي مات فيه عمر ، وبلغه هرب يزيد بن المهلب ، فكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن يأمره أن يطلبه ويستقبله ، وكتب إلى عدى بن أرتاة يعلمه هربه ، ويأمره أن ينهيا لاستقباله ، وأن يأخذ من كان بالبصرة من أهل بيته .

فذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن عدى بن أرتاة أخذهم وحبسهم ، وفيهم الفضل وحبيب وروان بنو المهلب ، وأقبل يزيد بن المهلب حتى مر بسعيد بن عبد الملك بن مروان ، فقال يزيد لأصحابه : ألا نعرض لهذا فتأخذه فنذهب به معنا ! فقال أصحابه : لا بل امض بنا ودعه . وأقبل يسير حتى ارتفع فوق القُطُطُطَانَةِ ، وبعث عبد الحميد بن عبد الرحمن هشام ابن مساحق بن عبد الله بن محرمة بن عبد العزيز بن أبي قيس بن عبدود بن

نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤي القرشي، في ناس من أهل الكوفة من الشرط ووجوه الناس وأهل القوة، فقال له: انطلق حتى تستقبله فإنه اليوم يمر بجانب العذيب. فثنى هشام قليلا، ثم رجع إلى عبد الحميد، فقال: أجيئك به أسيرا أم آتيك برأسه؟ فقال: أي ذلك ما شئت، فكان يعجب لقوله ذلك من سمعه، وجاء هشام حتى نزل العذيب، ومر يزيد منهم غير بعيد، فاتقوا الإقدام عليه، ومضى يزيد نحو البصرة، فقيه يقول الشاعر:

وسار ابن المهلب لم يُعرج وعرس ذو القطيفة من كينانه
ويأسر والتياسر كان حزمًا ولم يقرب قصور القططانة

ذوالقطيفة هو محمد بن عمرو^(١)، وهو أبو قطيفة بن الوليد بن عتبة بن أبي معيط، وهو أبو قطيفة، وإنما سمي ذا القطيفة، لأنه كان كثير شعر اللحية والوجه والصدر. ومحمد يقال له ذوالشامة.

١٣٨١/٢

فلما جاء يزيد بن المهلب انصرف هشام بن مساحق إلى عبد الحميد، ومضى يزيد إلى البصرة، وقد جمع عدى بن أوطاة إليه أهل البصرة وخذلق عليها، وبعث على خيل البصرة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي. وكان عدى بن أوطاة رجلا من بني فزارة. وقال عبد الملك بن المهلب لعدى بن أوطاة: خذ ابني حميدا فأحبسه مكاني، وأنا أضمن لك أن أرد يزيد عن البصرة حتى يأتي فارس، ويطلب لنفسه الأمان^(٢) ولا يقربك^(٣) فأبى عليه، وجاء يزيد ومعه أصحابه^(٤) الذين أقبل فيهم^(٥)، والبصرة محفوفة بالرجال، وقد جمع محمد بن المهلب ولم يكن ممن حيس رجالا وفتية من أهل بيته وناسا من مواليه، فخرج حتى استقبله، فأقبل في كتيبة تهول من رآها، وقد دعا عدى أهل البصرة، فبعث على كل خمس من أخماسها رجلا، فبعث على خمس الأزد المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي، وبعث على خمس بني تميم محرز بن حمران السعدي من بني متقر، وعلى خمس بكر بن وائل عمران بن عامر

(١) وهو، أي عمرو، وقط : « وأبو قطيفة »، وهو خطأ .

(٢) ب : « الأمان لنفسه » . (٣) ب : « ولا يفرطك » .

(٤) س : « وجاء يزيد وأصحابه » . (٥) س : « بهم » .

ابن مسمع من بنى قيس بن ثعلبة . فقال أبو منقر - رجل من قيس بن ثعلبة - :
 إن الراية لا تصلح إلا في بنى مالك بن مسمع ، فدعا عدى نوح بن شيان
 ابن مالك بن مسمع ، فعقد له على بكر بن وائل ، ودعا مالك بن المنذر بن
 الجارود ، فعقد له على عبد القيس ، ودعا عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر
 القرشي ، فعقد له على أهل العالية - والعالية قریش وكنانة والأزد وبجيلة وخثعم
 وقيس عيلان كلها ومزينة - وأهل العالية بالكوفة يقال لهم ربيع أهل المدينة
 وبالبصرة ^(١) خمس أهل العالية ، وكانوا بالكوفة أحماساً ، فجعلهم زياد بن
 عبيد أرباعاً .

١٣٨٢/٢

قال هشام عن أبي مخنف : وأقبل يزيد بن المهلب لا يمر بخيل من خيلهم
 ولا قبيلة من قبائلهم إلا تنحوا له عن السبيل ^(٢) حتى يمضى ، واستقبله المغيرة
 ابن عبد الله الثقفي في الخيل ، فحمل عليه محمد بن المهلب في الخيل ، فأفرج
 له عن الطريق هو وأصحابه ، وأقبل يزيد حتى نزل داره ، واختلف ^(٣) الناس
 إليه ، وأخذ يبعث إلى عدى بن أوطاة أن ادفع ^(٤) إلى إخوتي وأنا أصالحك
 على البصرة ، وأخطيك وإياها حتى آخذ لنفسى ما أحب من يزيد بن عبد الملك ،
 فلم يقبل منه ، وخرج ^(٥) إلى يزيد بن عبد الملك حميد بن عبد الملك بن
 المهلب ، فبعث معه يزيد بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري وعمر بن
 يزيد ^(٦) الحكمي بأمان يزيد بن المهلب وأهل بيته ، وأخذ يزيد بن المهلب
 يعطى من أتاه من الناس ، فكان يقطع لهم قطع الذهب وقطع الفضة ، قال
 الناس لإليه ، ولحق به عمران بن عامر بن مسمع ساخطاً على عدى بن أوطاة
 حين نزع منه رايته ، راية بكر بن وائل ، وأعطاهما ابن عمه ، ومالت إلى يزيد
 ربيعة وبقية تميم وقيس وناس بعد ناس ^(٧) ، فيهم عبد الملك ومالك ابنا مسمع
 ومعه ناس من أهل الشام ، وكان عدى لا يعطى إلا درهمين درهمين ، ويقول :

١٣٨٣/٢

- (١) س : « والبصرة » .
 (٢) ابن الأثير : « عن طريقه » .
 (٣) ابن الأثير : « فاختلف » .
 (٤) ب : « فسار » .
 (٥) ب : « زيد » .
 (٦) ب : « من الناس » .

لا يحل لي أن أعطيك من بيت المال درهمًا إلا بأمر يزيد بن عبد الملك ،
ولكن تبلغوا بهذا^(١) حتى يأتي الأمر في ذلك^(٢) . فقال الفرزدق في ذلك :

أظن رجالَ الرَّحْمَنِ يُسَوِّقُهُمْ إِلَى الْمَوْتِ آجَالُ لَهُمْ وَمَصَارِعُ^(٣)
فَأَحْزَمُهُمْ مَنْ كَانَ فِي قَعْرِ بَيْتِهِ^(٤) وَأَيَقَنَ أَنَّ الْأَمْرَ لَا شَكَّ وَأَقِيعُ^(٥)

وخرجت بنو عمرو بن تميم من أصحاب عدى ، فترلوا المريد ، فبعث
إليهم يزيد بن المهلب مولى له يقال له دارس ؛ فحمل عليهم فهزمهم ، فقال
الفرزدق في ذلك :

تَفَرَّقَتِ الْحَمَرَاءُ إِذْ صَاحَ دَارِسُ وَلَمْ يَصْبِرُوا تَحْتَ السُّيُوفِ الصَّوَارِمِ^(٦)
جَزَى اللَّهُ قَيْسًا عَنْ عَدَى مَلَامَةً أَلَا صَبَرُوا حَتَّى تَكُونَ مَلَاحِمُ

وخرج يزيد بن المهلب حين اجتمع له الناس . حتى نزل جبانة بن يشكر
— وهو المنصف^(٧) فيما بينه وبين القصر — وجاءته بنو تميم وقيس^(٨) وأهل الشام ،
فاقتتلوا هنيئة ، فحمل عليهم محمد بن المهلب ، ففرض مسور بن عباد
الحبلى بالسيف فقطع أنف البيضة ، ثم أسرع السيف إلى أنفه^(٩) ، وحمل
على هريم بن أبي طلحة من بني نهشل بن دارم . فأخذ بمنطقته ، فحذفه عن
فرسه^(١٠) ، فوقع فيما بينه وبين الفرس ، وقال : هيهات هيهات ! علك أنقل من
ذلك . وانهزموا ، وأقبل يزيد بن المهلب إثر القوم يتلوهم حتى دنا من القصر ،

(١) ابن الأثير : « جهله » . (٢) ب : « بنك » .

(٣) ديوانه ٥١٦ ، وروايته : « إلى قدر آجالهم » .

(٤) الديوان : « من قر في قعر بيته » .

(٥) الديوان : « وأيقن أن الأمر لا يد واقع » .

(٦) ديوانه ٧٧٨ ، والرواية فيه :

تَصَدَّعَتِ الْجَعْرَاءُ إِذْ صَاحَ دَارِسُ وَلَمْ يَصْبِرُوا عِنْدَ السُّيُوفِ الصَّوَارِمِ
جَزَى اللَّهُ قَيْسًا عَنْ عَدَى مَلَامَةً وَخَصَّ بِهَا الْأَذْنَيْنِ أَهْلَ الْمَلَامِ
هُمْ قَتَلُوا مَوْلَاهُمْ وَأَمِيرَهُمْ وَلَمْ يَصْبِرُوا لِلْمَوْتِ عِنْدَ الْمَلَامِ

(٧) ابن الأثير : « المنصف » . (٨) ابن الأثير : « فلقبه قيس وتيم » .

(٩) ب : « في أنفه » . (١٠) حلفه عن فرسه ، أى رماه عنه .

فقاتلوهم وخرج إليه عدى بنفسه فقتل من أصحابه الحارث بن مصرف الأودي— وكان من أشرف أهل الشام وفرسان الحجاج — وقتل موسى بن الوجيه الحميري ثم الكلاعي ، وقيل راشد المؤذن ، وانهزم أصحاب عدى ، وسمع إخوة يزيد وهم في محبس على الأصوات تدنو ، والنشاب تقع في القصر ، فقال لهم عبد الملك : إني أرى النشاب تقع في القصر ، وأرى الأصوات تدنو ، ولا أرى يزيد إلا قد ظهر ، وإني لا آمن من مع عدى من مضر ومن أهل الشام أن يأتونا فيقتلونا قبل أن يصل إلينا يزيد إلى الدار ، فأغلقوا الباب ثم ألقوا عليه ثياباً . ففعلوا فلم يلبثوا إلا ساعة حتى جاءهم عبد الله بن دينار مولى ابن عمر^(١) ، وكان على حرس عدى — فجاء يشتد إلى الباب هو وأصحابه ، وقد وضع بنو المهلب متاعاً على الباب ، ثم اتكوا عليه ، فأخذ الآخرون يعالجون الباب ، فلم يستطيعوا الدخول ، وأعجلهم الناس فخلّوا عنهم .

١٣٨٥/٢

وجاء يزيد بن المهلب حتى نزل دار سلم بن زياد بن أبي سفيان إلى^(٢) جانب القصر^(٣) ، وأتى بالسلايم ، فلم يلبث عثمان أن فتح القصر ، وأتى بعدى ابن أرطاة ، فجىء به وهو يتبسّم ، فقال له يزيد : لم تضحك ؟ فوالله إنه لينبغي أن يمنعك من الضحك خصلتان : إحداهما الفرار من القبلة الكريمة حتى أعطيت يديك إعطاء المرأة بيدها ، فهذه واحدة ، والأخرى أتيت بك تُنكَلُ كما ينكَلُ^(٤) العبد الآبق إلى أربابه ، وليس معك مني عهد ولا عَقْد ، فما يؤمنك أن أضرب عنقك ! فقال عدى : أما أنت فقد قَدَرْتَ عليّ ، ولكني أعلم أن بقائي بقاؤك ، وأن هلاكى مطلوب به من جرته يده ؛ إنك قد رأيت جنود الله بالمغرب ، وعلمت بلاء الله عندهم في كل موطن من مواطن الغدر والنكث ، فتدرك فلتنسك وزلتك بالتوبة واستقالة العثرة ، قبل أن يرى إليك البحر بأمواجه ، فإن طلبت الاستقالة حيث لم تُنكَلْ ، وإن أردت الصلح وقد أشخصت القوم إليك وجدتهم لك مباعدين ، وما لم يشخص القوم إليك فلم

(١) ط : « عامر » ، وانظر الفهرس .

(٢) ط : « سالم » ، وانظر الفهرس .

(٣) ب وابن الأثير : « إلى جنب » .

(٤) يتل ، أى يقاد .

يعتصمك شيئاً طلبت فيه الأمان على نفسك وأهلك ومالك .

١٣٨٦/٢ فقال له يزيد : أما قولك : إن بقاءك بقائى ، فلا أبقانى الله حسوة طائر مذعور إن كنت لا يبقينى إلا بقاءك ، وأما قولك : إن هلاكك مطلوب به مع جرته يده ، فوالله لو كان فى يدي من أهل الشام عشرة آلاف إنسان ليس فيهم ^(١) رجل إلا أعظم منزلة منك فيهم ، ثم ضربت أعناقهم فى صعيد واحد ، لكان فراق إيتامهم وخلافى عليهم أهولَ عندهم وأعظم فى صدورهم من قتل أولئك ، ثم لو شئت أن تهد رلى دماؤهم ، وأن أحكم فى بيوت أموالهم ، وأن يجوزوا لى عظيماً من سلطانهم ، على أن أضع الحرب فيما بينى وبينهم لفعلوا ، فلا يخفين عليك أن القوم ناسوك لو قد وقعت أخبارنا إليهم ، وأن أعمالهم وكيدهم لا يكون إلا لأنفسهم ، لا يذكرنك ولا يحلفون بك . وأما قولك : تدارك أمرك واستقله وافعل وافعل ، فوالله ما استشرتك ، ولا أنت عندى بوادٍ ولا نصيح ، فما كان ذلك منك إلا عجزاً وفضلاً ، انطلقوا به ، فلما ذهبوا به ساعة قال : ردوه ، فلما رد قال : أما إن حبسى إياك ليس إلا لحبسك بنى المهلب وتضييقك عليهم فيما كنا نسألك التسهيل فيه عليهم ، فلم تكن تألوما عسرت وضيقت وخالفت ، فكأنه لهذا القول حين سمعه أمين على نفسه ، وأخذ عدى يحدث به كل من دخل عليه .

١٣٨٧/٢ وكان رجل يقال له السמידع الكندى من بنى مالك بن ربيعة من ساكنى حُمان يرى رأى الخوارج ، وكان خرج وأصحاب يزيد وأصحاب عدى مصطفون فاعتزل معه ناس من القراء ، فقال طائفة من أصحاب يزيد وطائفة من أصحاب عدى : قد رضينا بحكم السَّمِيدِع . ثم إن يزيد بعث إلى السמידع فدعاه إلى نفسه ، فأجابه ، فاستعملوا يزيد على الأبلَّة ، فأقبل على الطَّيِّب والتخلىق والنعم ، فلما ظهر يزيد بن المهلب هرب رموس أهل البصرة من قيس وتيم ومالك بن المنذر ، فلاحقوا بعبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة ، ولحق بعضهم بالشَّام ، فقال الفرزدق :

فدائاً لِقَوْمٍ مِنْ تَمِيمٍ تَتَابَعُوا إِلَى الشَّامِ لَمْ يَرْضَوْا بِحُكْمِ السَّمِيدِ^(١)
أَحْكُمُ حُرُورِي مِنَ الدِّينِ مَارِي أَصْلُ وَأَعْوَى مِنْ حِمَارٍ مُجَدِّعٍ
فَأَجَابَهُ خَلِيفَةُ الْأَقْطَعِ .

وَمَا وَجَّهَهَا نَحْوَهُ عَنْ وَفَادَةٍ وَلَا نَهْزَةٍ يُرْجَى بِهَا خَيْرٌ مَطْمَعٍ .
وَلَكِنَّهُمْ رَاحُوا إِلَيْهَا وَأَذَلُّجُوا بِأَقْرَعِ أَسْتَاهُ تَرَى يَوْمَ مَقْرَعِ
وَهُمْ مِنْ جِذَارِ الْقَوْمِ أَنْ يَلْحَقُوا بِهِمْ لَهُمْ نَزْلَةٌ فِي كُلِّ خَمْسٍ وَأَرْبَعٍ
وَنُجْرَجُ الْحَوَارِيُّ^(٢) بِنَ زِيَادِ بْنِ عَمْرِو الْعَتَكِيِّ يُرِيدُ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ
هَارِيًّا مِنْ يَزِيدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، فَلَقِيَ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيَّ وَعَمْرُو بْنُ يَزِيدَ
الْحَكَمِيَّ وَمَعَهُمَا حُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْمُهَلَّبِ قَدْ أَقْبَلُوا مِنْ عِنْدِ يَزِيدِ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ بِأَمَانٍ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ، وَكُلَّ شَيْءٍ أَرَادَهُ ، فَاسْتَقْبَلَهُمَا ، فَسَأَلَاهُ عَنْ
الْخَبَرِ ، فَخَلَا بِهِمَا حِينَ رَأَى مَعَهُمَا حُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : أَيْنَ تَرِيدَانِ ؟
فَقَالَا : يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ، قَدْ جِئْنَاهُ بِكُلِّ شَيْءٍ أَرَادَهُ ، فَقَالَ : مَا تَصْنَعَانِ بِيَزِيدَ
شَيْئًا ، وَلَا يَصْنَعُهُ بَكْمَا ، قَدْ ظَهَرَ عَلَى عُلُوِّهِ عَدِيٌّ بِنَ أَرْطَاةَ ، وَقَتْلُ الْقَتْلَى
وَجِسْ عَدِيًّا ، فَارْجِعَا إِلَيْهَا الرِّجْلَانِ . وَبَعَثَ رَجُلٌ مِنْ بَاهِلَةَ يَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ بِنَ
عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَلَمْ يَقِفْ عَلَيْهِمَا ، فَصَابِحَاهُ وَسَاءَلَاهُ ، فَلَمْ يَقِفْ عَلَيْهِمَا ، فَقَالَ
الْقَسْرِيُّ : أَلَا تَرُدُّهُ فَتَجْلِدُهُ مِائَةَ جَلْدَةٍ ! فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : غَرَبَهُ عَنْكَ ،
وَأَمَّا لِيَنْصَرَفَ .

وَمَضَى الْحَوَارِيُّ بِنَ زِيَادٍ إِلَى يَزِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَأَقْبَلَا بِحُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
مَعَهُمَا ، فَقَالَ لهُمَا حَمِيدٌ : أَنْشَدَكُمَا اللَّهُ أَنْ تَخَالِفَا أَمْرَ يَزِيدَ مَا بُعِثْنَا بِهِ ! فَإِنْ
يَزِيدُ قَابِلٌ مِنْكُمَا ؛ وَإِنْ هَذَا وَأَهْلُ بَيْتِهِ لَمْ يَزَالُوا لَنَا أَعْدَاءُ ، فَأَنْشَدَكُمَا اللَّهُ أَنْ
تَقْبِلَا مَقَالَتَهُ ؛ فَلَمْ يَقْبِلَا قَوْلَهُ ، وَأَقْبَلَا بِهِ حَتَّى دَفَعَاهُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَلِيمٍ^(٣)
الْكَلْبِيِّ ، وَقَدْ كَانَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَعَثَهُ إِلَى خُرَّاسَانَ عَامِلًا عَلَيْهِ . فَلَمَّا
بَلَغَهُ خَلَعَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ كَتَبَ إِلَيْهِ : إِنْ جِهَادَ مِنْ خَالَفَكَ أَحَبُّ إِلَيَّ

(١) ديوانه ٥٠٨ ، وفيه : « قلى لرويس من تميم » .

(٢) ابن الأثير : « المتيعة » . (٣) ط : « سليمان » ، وانظر الفهرس .

من على على خراسان، فلاحاجة لى فيها ، فاجعلنى ممن توجهنى الى يزيد بن المهلب ، وبعث بحميد بن عبد الملك الى يزيد ، ووثب عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب على خالد بن يزيد بن المهلب ، وهو بالكوفة وعلى حمّال بن زحر الجعفى ، وليسا ممن كان ينطق بشيء إلا أنهم عرفوا ما كان بينه وبين بنى المهلب، فأوثقهما وسرحهما^(١) الى يزيد بن عبد الملك ، فحبسهما جميعاً ، فلم يفارقوا السجن حتى هلكوا فيه . وبعث يزيد بن عبد الملك رجالاً من أهل الشام إلى الكوفة يسكتونهم ، ويثنون عليهم بطاعتهم ، ويمتنونهم الزيادات منهم القطاى بن الحصين ، وهو أبو الشرقى ، واسم الشرقى الوليد ، وقد قال القطاى حين بلغه ما كان من يزيد بن المهلب :

لَعَلَّ عَيْنِي أَنْ تَرَى يَزِيدًا يَقُودُ جَيْشًا جَمْعًا شَدِيدًا

تَسْمَعُ لِلأَرْضِ بِهِ وَثِيدًا لَا بَرَمًا هَذَا وَلَا حَسُودًا

وَلَا جَبَانًا فِي الْوُحَى رَعِيدًا تَرَى ذَوِي التَّاجِ لَهُ سُجُودًا

مُكْفَرِينَ خَاشِعِينَ قُودًا وَأَخْرَجَ رَجُوبًا وَقُودًا

لَا يَنْقُضُ الْعَهْدَ وَلَا الْمَعْهُودَا مِنْ نَفَرٍ كَانُوا هِجَانًا صِيدَا

تَرَى لَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ عِيدَا مِنْ الْأَعَادَى جَزْرًا مَقْصُودَا

ثم إن القطاى سار بعد ذلك إلى العفر حتى شهد قتال يزيد بن المهلب مع مسلمة بن عبد الملك، فقال يزيد بن المهلب : ما أبعد شعر القطاى من فعله !

ثم إن يزيد بن عبد الملك بعث العباس بن الوليد في أربعة آلاف فارس؛ جريدة خيل ، حتى واقفوا الحيرة يبادر إليها يزيد بن المهلب ، ثم أقبل بعد ذلك مسلمة بن عبد الملك وجنود أهل الشام ، وأخذ على الجزيرة وعلى شاطئ الفرات ، فاستوثق أهل البصرة ليزيد بن المهلب ، وبعث عماله على الأهواز وفارس وكيرمان ، عليها الجراح بن عبد الله الحكيم حتى انصرف إلى عمر بن

عبد العزيز ، وعبد الرحمن بن نعيم الأزدي فكان على الصلاة . واستخلف يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن القشيري على الحجاج ، وجاء مُدْرِكُ بن المهلب حتى انتهى إلى رأس المفازة ، فدخل عبد الرحمن بن نعيم إلى بني تميم أن هذا مدرك بن المهلب يريد أن يلتقي بينكم الحرب ، وأنتم في بلاد عافية وطاعة وعلى جماعة ، فخرجوا ليلاً يستقبلونه ، وبلغ ذلك الأزدي ، فخرج منهم نحو من أنفي فارس حتى ملقوهم قبل أن ينتهوا إلى رأس المفازة ، فقالوا لهم : ما جاء بكم ؟ وما أخرجكم إلى هذا المكان ؟ فاعتلوا عليهم بأشياء ، ولم يُقِرُّوا لهم أنهم خرجوا ليلتفوا مدرك بن المهلب ، فقال لهم الآخرون ، بل قد علمنا أن تخرجوا لتلحق صاحبنا ، وما هو ذا قريب ؟ فما شتم .

ثم انطلقت الأزدي حتى تلقوا مدرك بن المهلب على رأس المفازة ، فقالوا له : إنك أحب الناس إلينا ، وأعزهم علينا ، وقد خرج أخوك ونابذته ، فإن يظهره الله فلنما ذلك لنا ، ونحن أسرع الناس إليكم أهل البيت وأحقه بذلك ؛ وإن تكن الأخرى فوالله مالك في أن يغشانا ما يعرنا فيه من البلاء راحة . فغزم له رأيه على الانصراف ، فقال ثابت قُطنة ، وهو ثابت بن كعب ، من الأزدي من العتيك :

١٢٩١/٢

أَلَمْ تَرَ دَوَسْرًا مَنَعَتْ أَحَاها	وقد حَشَدَتْ لِتَقْتَلَهُ تَمِيمٌ
رَأَوْا مِنْ دُونِهِ الزُّرْقَ الْعَوَالِي	وَحَيًّا مَا يُبَايَحُ لَهُمْ حَرِيمٌ
شُؤْمَهَا وَصِمْرَانُ بْنُ حَزْمٍ	هَنَّاكَ الْمَجْدُ وَالْحَسْبُ الصَّمِيمُ
فَمَا حَمَلُوا وَلَكِنْ نَهَنَّهُتُهُمْ	رِمَاحُ الْأَزْدِ وَالْعَزُّ الْقَدِيمُ
رَدَدْنَا مُدْرِكًا بِمَرْدٍ صِلَقٍ	وَلَيْسَ بِوَجْهِهِ مِنْكُمْ كَلُومٌ
وَحَيْلٍ كَالْقِدَاحِ مُسَوَّمَاتٍ	لَدَى أَرْضٍ مَغَانِيهَا الْجَمِيمُ
عَلَيْهَا كُلُّ أَصَيْدٍ دَوَسْرِيٌّ	عَزِيزٌ لَا يَفْرُ وَلَا يَرِيمُ
بِهِمْ تُسْتَعْتَبُ السَّفَهَاءُ حَتَّى	تَرَى السَّفَهَاءَ تَرَدُّعُهَا الْحُلُومُ

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدثني معاذ بن سعد أن يزيد لما استجمع له البصرة ، قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أخبرهم أنه يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ويحث على الجهاد ، ويزعم أن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم .

قال : فدخلت أنا والحسن البصري وهو واضح يده على عاتقي ، وهو يقول : انظر هل ترى وجه رجل تعرفه ؟ قلت : لا والله ، ما أرى وجه رجل أعرفه ، قال : فهؤلاء والله الغنماء^(١) ، قال : فضينا حتى دوننا من المنبر . قال : فسمعت يذكّر كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم رفع صوته^(٢) ، فقال : والله لقد رأيناك وإلياً ومولى^(٣) عليك ، فما ينبغي لك ذلك . قال : فوثبنا عليه ، فأخذنا بيده وفه وأجلسناه ، فوالله ما نشك أنه سمعه ، ولكنه لم يلتفت إليه ومضى في خطبته .

قال : ثم إنا خرجنا إلى باب المسجد ، فإذا على باب المسجد النضر بن أنس ابن مالك يقول : يا عباد الله ، ما تقومون من أن تجيبوا إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ! فوالله ما رأينا ذلك ولا رأيتموه منذ ولدت إلا هذه الأيام من إمارة عمر بن عبد العزيز ، فقال الحسن : سبحان الله ! وهذا النضر بن أنس قد شهد أيضاً .

قال هشام : قال أبو مخنف : وحدثني المثنى بن عبد الله أن الحسن البصري مرّ على الناس وقد اصطفوا صفيين ، وقد نصبوا الرايات والرماح ، وهم ينتظرون خروج يزيد ، وهم يقولون : يدعوننا يزيد إلى سنة العُمَريين ، فقال الحسن : إنما كان يزيد بالأمس بضرب أعناق هؤلاء الذين ترون ، ثم يسرّح بها إلى بني مروان ، يويد بهلاك هؤلاء رضاهم . فلما غضب غضبة نصب قصباً ، ثم وضع عليها خيراً ، ثم قال : إني قد خالفتهم فخالقوهم . قال هؤلاء : نعم . وقال : إني أدعوكم إلى سنة العُمَريين ، وإن من سنة العُمَريين أن يوضع قيد في زجله ، ثم يردّ إلى محبس عمر الذي فيه حبسه ، فقال له ناس من أصحابه

(١) ط : « الأعتاء » ، والصواب ما في الأصول .

(٢) ابن الأثير : « وكان حسن البصري يسمع ، فرفع رأسه » .

(٣) ط : « مولى » تحريف .

من سمع قوله : والله لكأنك يا أبا سعيد راض عن أهل الشام ، فقال : أنا راض عن أهل الشام قبحهم الله ويرحمهم ! أليس هم الذين أحلوا حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقتلون أهله ثلاثة أيام^(١) وثلاث ليال ! قد أباحوهم^(٢) لأنباطهم وأقباطهم ، يحملون الحرائر ذوات الدين ، لا يتناهون عن انتهاك حرمة . ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام ، فهتّموا الكعبة ، وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارها ، عليهم لعنة الله وسوء الدار !

١٣٩٢/٢

قال : ثم إن يزيد خرج من البصرة ، واستعمل عليها مروان بن المهلب ، وخرج معه بالسلاح وبيت المال ، فأقبل حتى نزل واسطاً ، وقد استشار أصحابه حين توجه نحو واسط ، فقال : هاتوا الرأي ، فإن أهل الشام قد نهضوا إليكم ، فقال له حبيب ، وقد أشار عليه غير حبيب أيضاً فقالوا : نرى أن تخرج وتزول بفارس ، فتأخذ بالشعاب وبالعقاب ، وتدنو من خراسان ، وتطاول القوم ، فإن أهل الجبال ينفضون إليك وفي يدك القلاع والحصون . فقال : ليس هذا برأى ، ليس يوافقني هذا ؛ إنما تريدون أن تجعلوني طائراً على رأس جبل . فقال له حبيب : فإن الرأي الذي كان ينبغي أن يكون في أول الأمر قد فات ، قد أمرتك حيث ظهرت على البصرة أن توجه خيلاً عليها أهل بيتك حتى ترد الكوفة ، فلما هو^(٣) عبد الحميد بن عبد الرحمن ، مرت به في سبعين رجلاً فعجز عنك ؛ فهو عن خيلك أعجز في العدة ، فنسب إلى أهل الشام وعظماء أهلها يرون رأيك ، وأن تلى عليهم أحب إلى جلّهم من أن يلى عليهم أهل الشام ، فلم تطعني ، وأنا أشير الآن برأى ؛ سرح مع أهل بيتك خيلاً من خيلك عظيمة فتأني الجزيرة ، وتبادر إليها حتى يتزلوا حصناً من حصونها^(٤) ، وتسير في أثرهم ، فلذا أقبل أهل الشام يريدونك لم يدعوا جنداً من جنودك بالجزيرة ؛ ويقبلون إليك فيقيمون عليهم ، فكانهم حابستهم عليك^(٥) حتى تأتيهم فيأتيك من بالموصل من قومك ، وينفض إليك أهل العراق وأهل الثغور ، وتقاتلهم في أرض ربيعة^(٦) السمر ، وقد جعلت العراق كله وراء ظهرك ،

١٣٩٤/٢

(١) ابن الأثير : « ثلاثاً » .

(٢) ابن الأثير : « أباحوها » .

(٣) ابن الأثير : « بها » .

(٤) ابن الأثير : « حصونها » .

(٥) ابن الأثير : « فحبسهم عنك » .

(٦) ابن الأثير : « ربيعة » . وفي ط :

« ربيعة » تحريف .

فقال : إني أكره أن أقطع جيشي وجندي . فلما نزل واسيطاً أقام بها أياماً يسيرة .

* * *

قال أبو جعفر : وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحّاك ابن قيس القهريّ، حدّثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق ابن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك قال محمد بن عمر .

وكان عبد الرحمن عامل يزيد بن عبد الملك على المدينة ، وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد . وكان على الكوفة عبد الحميد ابن عبد الرحمن ، وعلى قضائها الشّعبيّ ، وكانت البصرة قد غلب عليها يزيد ابن المهلب ، وكان على خراسان عبد الرحمن بن نعيم .

ثم دخلت سنة اثنتين ومائة

[ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث]

فمن ذلك ما كان فيها من مسير العباس بن الوليد بن عبد الملك ومسلمة ابن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب بتوجيه يزيد بن عبد الملك لئلاهما لحربه .

١٣٩٥/٢

وفيها قتل يزيد بن المهلب ، في صفر .

ذكر الخبر عن مقتل يزيد بن المهلب

ذكر هشام ، عن أبي مخنف : أن معاذ بن سعيد حدثه أن يزيد بن المهلب استخلف على واسط حين أراد الشخصوس عنها لقاء مسلمة بن عبد الملك والعباس ابنة معاوية ، وجعل عنده بيت المال والخزائن والأُسرَاء ، وقدّم بين يديه أخاه عبد الملك ، ثم سار حتى مرّ بقمّ النيل ^(١) ، ثم سار حتى نزل العُقر . وأقبل مسلمة يسير على شاطئ القرات حتى نزل الأنبار ، ثم عقد عليها الجسر . فعبر من قبّل قرية يقال لها فارط ، ثم أقبل حتى نزل على يزيد بن المهلب ، وقد قدّم يزيد أخاه نحو الكوفة ، فاستقبله العباس بن الوليد بسُوراً ، فاصطفقوا ، ثم اقتتل القوم ، فشده عليهم أهل البصرة شدة كشفهم فيها ، وقد كان معهم ناس من بني تميم وقيس ممن انهزم من يزيد بالبصرة ، فكانت لهم جماعة حسنة مع العباس ، فيهم هرّيم بن أبي طحّمة المجاشعي . فلما انكشف أهل الشام تلك الانكشاف ، ناداهم هرّيم بن أبي طحّمة : يا أهل الشام ، الله الله أن تسلمونا ! وقد اضطرم أصحاب عبد الملك إلى نهر ^(٢) فأخذوا ينادونه : لا بأس عليك ؛ إن لأهل الشام جولة في أول القتال ، أتاك الغوث .

١٣٩٦/٢

(١) ابن الأثير : « سار على قمّ النيل » .

(٢) ابن الأثير : « النهر » .

قال : ثم إن أهل الشام كروا عليهم ، فكشف أصحاب عبد الملك وهزموا ، وقُتل المنتوف من بكر بن وائل ، مولى لم ، فقال الفرزدق يحرّض بكر بن وائل :

تُبَكِّي على المنتوفِ بكرُ بنُ وائلٍ وتنهَى عن ابني مسمعٍ من بكاهُمَا^(١)
غلامينِ شَبَاباً في الحروبِ وأدركا كِرَامَ المساعِي قَبْلَ وصالِ لحاهُمَا^(٢)
ولو كانَ حَيًّا مالِكُ وابنُ مالِكٍ إِذَا أوقَدُوا نارينِ يعلو سَنَاهُمَا
وابنا مسمع : مالك وعبد الملك ابنا مسمع ، قتلهم معاوية بن يزيد بن المهلب فأجابه الجعد بن درهم مولى من همدان^(٣) :

تُبَكِّي على المنتوف في نصر قومِهِ ولَمَسْنَا تُبَكِّي الشائدينِ أبَاهُمَا
أَرَادَ فَنَاءَ الحَيِّ بكرِ بن وائلٍ فِعِزٌّ تَمِيمٌ لو أُصِيبَ فَنَاهُمَا
فلا لَقِيَا رَوْحاً مِنَ اللَّهِ سَاعَةً ولا رَقَاتٍ عَيْنَا شَجِيَّ بِكَاهُمَا
أَفِي الغَيْشِ تُبَكِّي إِنْ بَكَيْنَا عليهما وقد لَقِيَا بالغَيْشِ فِينَا رَدَاهُمَا ١٣٩٧/٢

وجاء عبد الملك بن المهلب حتى انتهى إلى أخيه بالعقر ، وأمر عبد الله ابن حيان العبدى ، فعبر إلى جانب الصرة الأقصى - وكان الجسر بينه وبينه - ونزل هو وعسكره وجمع من جموع يزيد ، وتخلق عليه ، وقطع مسلمة إليهم الماء وسعيد بن عمرو الحرثي ، ويقال : عبر إليهم الوضاح ، فكانوا يلزأهم . وسقط إلى يزيد ناس من الكوفة^(٤) كثير ، ومن الجبال ، وأقبل إليه ناس من الثغور ، فبعث على أرباع أهل الكوفة الذين خرجوا إليه ورُبِع أهل المدينة عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي ، وبعث على ربع منحج وأسد النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي ، وبعث على رُبِع كتلة وريعة محمد

(١) الكامل للبهراني : ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٢) الكامل : « غلامان » ، ويبدو في الكامل :

ولو قُتِلَا من جُذِمَ بكر بن وائل لكانَ على الناعِي شديداً بُكَاهُمَا

(٣) كلما في ط ، وفي ابن القيسراني ٣١ : « والجعد بن درهم مولى سويد بن غفلة » .

(٤) ابن الأثير : « من أهل الكوفة » .

ابن إسحاق بن محمد بن الأشعث ، وبعث على ربيع تميم وهمّدان حنظلة بن عتاب بن ورقاء التميمي ، وجمعهم جميعاً مع الفضل بن المهلب .

قال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف : حدثني العلاء بن زهير ، قال : والله إنا لجلوس عند يزيد ذات يوم إذ قال : ترون أن في هذا العسكر ألف سيف يضرب به ؟ قال حنظلة بن عتاب : إى والله وأربعة آلاف سيف ، قال : إنهم والله ما ضربوا ألف سيف قط ، والله لقد أحصى ديوانى مائة وعشرين ألفاً ، والله لوددت أن مكانهم الساعة معى من بخراسان من قوى .

١٣٩٨/٢

قال هشام : قال أبو مخنف : ثم إنه قام ذات يوم فحرّضنا ورغبنا في القتال ثم قال لنا فيما يقوله : إن هؤلاء القوم لن يردّهم عن غيهم إلا الطعن في عيونهم ، والضرب بالمشرقية على هامهم . ثم قال : إنه قد ذكر لي أن هذه الجراده الصفراء — يعنى مسلمة بن عبد الملك — وعافر ناقة ثمود ؛ يعنى العباس ابن الوليد ، وكان العباس أزرق أحمر ، كانت أمه رومية — والله لقد كان سليمان أراد أن ينفيه حتى كلمته فيه فأقره على نسبه ؛ فبلغني أنه ليس همتما إلا التماسي في الأرض ، والله لو جاء أهل الأرض جميعاً وليس إلا أنا ، ما برحت العرصة حتى تكون لي أو لهم . قالوا : نخاف أن تعيننا كما عانانا عبد الرحمن ابن محمد ، قال : إن عبد الرحمن فضح الذمار ، وفضح حسبه ، وهل كان يعلو أجله ! ثم نزل .

قال : ودخل علينا عامر بن العَمَيْشَل — رجل من الأزد — قد جمع جموعاً فأتاه فبايعه ؛ فكانت ببيعة يزيد : تبايعون على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلى ألا تطأ الجنود بلادنا ولا يبيضتنا ، ولا يعاد علينا سيرة الفاسق الحجاج ، فن بايعنا على ذلك قبلنا منه ، ومن أبى جاهدناه ، وجعلنا الله بيننا وبينه ، ثم يقول : تبايعونا ؟ فإذا قالوا : نعم ، بايعهم .

وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنخيلة ، وبعث إلى المياه فبسطها فيما بين الكوفة وبين يزيد بن المهلب ، لئلا يصل إلى الكوفة ، ووضع على الكوفة منظاراً وأرصداً لتجسس أهل الكوفة عن الخروج إلى يزيد ، وبعث

١٣٩٩/٢

عبد الحميد بعثاً من الكوفة عليهم سيف بن هانيّ الحمدانيّ حتى قدموا على مسلمة ، فألطفهم مسلمة ، وأثنى عليهم بطاعتهم ، ثم قال : والله لقلّ ما جاءنا من أهل الكوفة . فبلغ ذلك عبد الحميد ، فبعث بعثاً هم أكثر من ذلك ، وبعث عليهم سبّرة بن عبد الرحمن بن غنم الأزديّ ، فلما قدم أثنى عليه ، وقال : هذا رجل لأهل بيته طاعة وبلاء ، ضمّوا إليه من كان ها هنا من أهل الكوفة . وبعث مسلمة إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن فعزله ، وبعث محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة — وهو ذو الشامة — مكانه . فدعا يزيد بن المهلب رعيوس أصحابه فقال لهم : قد رأيتُ أن أجمع اثني عشر ألف رجل ، فأبعثهم مع محمد ابن المهلب حتى يبيتوا مسلمة ويحملوا معهم البراذع والأكف والزيبل للدفن خندقهم ، فيقاتلهم على خندقهم وعسكرهم بقية ليلتهم ، وأميده بالرجال حتى أصبح ، فإذا أصبحتُ نهضتُ إليهم أنا بالناس ، فتناجزهم ، فإني أرجو عند ذلك أن ينصرونا الله عليهم .

قال السَّيِّدُ : إنا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسنة نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد زعموا أنهم قابلوا هذا منا ، فليس لنا أن نمكر ولا نفر ، ولا نريدهم بسوء حتى يردّوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا .

قال أبو روبة — وكان رأس طائفة من المرجئة ، ومعه أصحاب له : ١٤٠٠/٢
صدّق ، هكذا ينبغي . قال يزيد : ويحكم ! أتصدقون بني أمية ؟
أنهم يعملون بالكتاب والسنة ، وقد ضيعوا ذلك منذ كانوا ! إنهم يقولون لكم : إنا قبل منكم ، وهم يريدون ألا يعملوا بسلطانهم إلا ما تأمروهم به ، وتلعنهم إليه ، لكنهم أرادوا أن يكفّركم عنهم ؛ حتى يعملوا في المكر ، فلا يسبقوكم إلى تلك ، ابدعهم بها ، إني قد لقيت بني مروان فوالله ما لقيت رجلاً هو أكر ولا أبعد غوراً من هذه الجرادة الضفراء — يعني مسلمة — قالوا : لا نرى أن تفعل ذلك ، حتى يردّوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا . وكان مروان بن المهلب وهو بالبصرة يحث الناس على حرب أهل الشام ، ويسرّح الناس إلى يزيد ، وكان الحسن البصريّ يثبّط الناس عن يزيد ابن المهلب .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الحميد البصري ، أن الحسن البصري كان يقول في تلك الأيام :

أيها الناس ، الزموا رجالكم ، وكفوا أيديكم ، واتقوا الله مولاكم ، ولا يقتل بعضهم بعضاً على دنيا زائلة ، وطمع فيها يسير ليس لأهلها بباقي ، وليس الله عنهم فيما اكتسبوا براصاً ؛ إنه لم تكن فتنة إلا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التبذير والخيلاء ، وليس يسلم منها إلا المجهول الخفي والمعروف التقي ، فمن كان منكم خفياً فليزِم الحق ، وليحبس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدنيا ، فكفاه الله بمعرفة الله إياه بالخير شرفاً ؛ وكفى له بها (١) من الدنيا خلوفاً ؛ ومن كان منكم معروفاً شريفاً ، فترك ما يتنافس فيه نظراؤه من الدنيا لإرادة الله بذلك ، فوهاً لهذا ! ما أسعده وأرشدته وأعظم أجره وأهدى سبيله ! فلهذا غداً — يعني يوم القيامة — القرير عيناً ، الكريم عند الله مأبياً . فلما بلغ ذلك مروان بن المهلب قام خطيباً كما يقوم ، فأمر الناس بالجلوس والاحتشاد ، ثم قال لهم :

١٤٠١/٢

لقد بلغني أن هذا الشيخ الضال المرائي — ولم يسمه — يشبّط الناس ، والله لو أن جاره نزع من شخص داره قصبة لظلّ يرعف أنفه ؛ أينكر علينا وعلى أهل مصرنا أن نطلب حقنا (٢) ، وأن ننكر مظلمتنا ! أما والله لتيكفرن عن ذكرنا وعن جمعه إلينا سقّاط (٣) الأبلّة وعلّوج فُرات البصرة — قوموا ليسوا من أنفسنا ، ولا ممن جرت عليه النعمة من أحلمنا — أو لأنحين عليه مبرداً خشناً .

فلما بلغ ذلك الحسن قال : والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه . فقال ناس من أصحابه : لو أردك ثم شئت لمنعتك ، فقال لهم : فقد خالفتكم إذا إلى ما نهيتكم عنه ! أكرمكم ألا يقتل بعضكم بعضاً مع غيبي ، وأدعوكم إلى أن يقتل بعضكم بعضاً دوني ! فبلغ ذلك مروان بن المهلب ، فاشتدّ عليهم وأخافهم وطلبهم حتى تفرقوا . ولم يدع الحسن كلامه ذلك ، وكف عنه مروان بن المهلب .

(١) ط : « هـ » . (٢) ط : « خيرنا » .

(٣) سقّاط : جمع ساقط ؛ وهو الشيء في حبه ونسبه .

وكانت إقامة يزيد بن المهلب منذ أجمع هو ومسلمة ثمانية أيام ، حتى إذا كان يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من صفر ، بعث مسلمة إلى الوضاح أن يخرج بالوضاحية والسفن حتى يحرق الجسر ، ففعل . وخرج مسلمة فعبى جنود أهل الشام ، ثم ازدلف بهم نحو يزيد بن المهلب ، وجعل على ميمنته جبلة بن خزيمة الكندي ، وجعل على ميسرته المذيل بن زفر بن الحارث العامري ، وجعل العباس على ميمنته سيف بن هاني الهمداني ، وعلى ميسرته سويد بن القعقاع التميمي ومسلمة على الناس ، وخرج يزيد بن المهلب ، وقد جعل على ميمنته حبيب بن المهلب ، وعلى ميسرته المفضل بن المهلب ، وكان مع المفضل أهل الكوفة وهو عليهم ، ومعه خيل لربيعه معها عدد حسن ، وكان مما يلي العباس بن الوليد .

قال أبو مخنف : فحدثني القنوي - قال هشام : وأظن القنوي العلاء ابن المنهال - أن رجلاً من الشام خرج فدعا إلى المبارزة ، فلم يخرج إليه أحد ، فبرز له محمد بن المهلب ، فحمل عليه ، فأتاه الرجل بيده ، وعلى كفه كف من حديد ، فضربه محمد فقطع كف الحديد وأسرع السيف في كفه ، واعتق فرسه ، وأقبل محمد يضربه ، ويقول : المنجل أعود عليك . قال : فذكر لي أنه حيّان النسبى .

قال : فلما دنا الوضاح من الجسر ألهب فيه النار ، فسطع دخانه ؛ وقد اقتتل^(١) الناس ونشبت الحرب ، ولم يشتد القتال ، فلما رأى الناس الدخان ، وقيل لهم : أحرق الجسر انهزموا ، فقالوا ليزيد : قد انهزم الناس . قال : وممّ انهزموا ؟ هل كان قتال ينهزم من مثله ! فقيل له : قالوا : أحرق الجسر فلم يثبت أحد ، قال : فبهم الله ! بقى دُخْنٌ عليه فطار . فخرج وخرج معه أصحابه ومواليه وناس من قومه ، فقال : اضربوا وجوه من ينهزم ، ففعلوا ذلك بهم ، حتى كثروا عليه ، فاستقبلهم منهم مثل الجبال ، فقال : دعوهم ، فوالله إنى لأرجو ألا يجمعني الله وإياهم في مكان واحد أبداً ؛ دعوهم يرحمهم الله ، غمّ عدا في نواحيها الذئب ، وكان

(١) ابن الأثير : « وقد أتيل » .

يزيد لا يحدث نفسه بالفِرار ، وقد كان يزيد بن الحكم بن أبي العاص — وأمه ابنة الزبيرِ قان السعدى — آتاه وهو بواسط قبل أن يصل إلى العترة ، فقال (١) :
 إِنَّ بَنِي مَرْوَانَ قَدْ بَادَ مُلْكُهُمْ فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَشْعُرْ بِذَلِكَ فَاشْعُرْ
 قَالَ يَزِيدُ : مَا شَعَرْتُ . قَالَ : فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيُّ :
 فَعِشْ مَلِكًا أَوْ مِتْ كَرِيمًا وَإِنْ تَمَتَّ (٢) وَسَيْفُكَ مَشْهُورٌ بِكَفِّكَ تُعْلَى
 قَالَ : أَمَّا هَذَا فَعَسَى .

ولما خرج يزيد إلى أصحابه واستقبلته الهزيمة ، فقال : يَا سَمِيدَ ع ،
 أَرَأَيْتَ أَمْ رَأَيْتَ ؟ أَلَمْ أَحْمِلْكَ مَا يَرِيدُ الْقَوْمُ ! قَالَ : بَلَى وَاللَّهِ ، وَالرَّأْيَ كَانَ رَأْيُكَ ،
 وَأَنَا ذَا مَعْلِكَ لَا أُنْزِلُكَ ، فَمَرَّتْ بِأَمْرِكَ ؟ قَالَ : إِمَّا لَا فَانْزِلْ ، فَتَزَلْ فِي أَصْحَابِهِ ،
 وَجَاءَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ جَاءً فَقَالَ : إِنْ حَبِيبًا قَدْ قُتِلَ .

١٤٠٤/٢

قَالَ هِشَامُ : قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ : فَحَدَّثَنِي ثَابِتُ مَوْلَى زُهَيْرِ بْنِ سُلَيْمَةَ
 الْأَزْدِيِّ ، قَالَ : أَشْهَدُ أَنِّي أَسْمَعُهُ حِينَ قَالَ لَهُ ذَلِكَ ، قَالَ : لَا خَيْرَ فِي الْعِيشِ
 بَعْدَ حَبِيبٍ ! قَدْ كُنْتُ وَاللَّهِ أَبْغَضَ الْحَيَاةِ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ ؛ فَوَاللَّهِ مَا أَزْدَدْتُ لَهُ
 إِلَّا بَغْضًا ، أَمْضُوا قُدَمَاءَ . فَعَلِمْنَا وَاللَّهِ أَنَّ قَدْ اسْتَقْتَلَ ، فَأَخَذَ مَنْ يَكْرَهُ الْقِتَالَ
 يَنْكُصُ ، وَأَخْذُوا يَتَسَلَّلُونَ ، وَبَقِيتْ مَعَهُ جَمَاعَةٌ حَسَنَةٌ ، وَهُوَ يَزْدَلِفُ ، فَكَلَّمَا
 مَرَّ بِخَيْلٍ كَشَفَهَا ، أَوْ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَدَلُوا عَنْهُ وَعَنْ سِنِّ أَصْحَابِهِ ،
 فَجَاءَ أَبُو رُوَيْبَةَ الْمَرْجِيُّ ، فَقَالَ : ذَهَبَ النَّاسُ — وَهُوَ يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَيْهِ وَأَنَا
 أَسْمَعُهُ — فَقَالَ : هَلْ لَكَ أَنْ تَنْصَرِفَ إِلَى وَاسِطٍ ؟ فَإِنَّهَا حَصْنٌ فَتَتَرَكُهَا وَيَأْتِيكَ
 مَسَدٌ أَهْلُ الْبَصْرَةِ ، وَيَأْتِيكَ أَهْلُ عُثْمَانَ وَالْبَحْرَيْنِ فِي السَّفَنِ ، وَتَضْرِبُ خَنْدَقًا ؟
 فَقَالَ لَهُ : قَبِّحَ اللَّهُ رَأْيَكَ ! أَلَيْسَ يَقُولُ هَذَا ! الْمَوْتُ أَيْسَرُ عَلَى مَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ
 لَهُ : فَلَأَيُّ أَنْتَ خَوْفٌ عَلَيْكَ لِمَا تَرَى ، أَمَا تَرَى مَا حَوْلَكَ مِنْ جِبَالِ الْحَدِيدِ ! وَهُوَ
 يُشِيرُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَمَا أَنَا فَمَا أَبَالِيهَا ؛ جِبَالُ حَدِيدٍ كَانَتْ أَمْ جِبَالُ نَارٍ ،
 أَذْهَبَ عَنَّا إِنْ كُنْتَ لَا تَرِيدُ قِتَالًا مَعَنَا . قَالَ : وَتَمَثَّلَ قَوْلُ حَارِثَةَ بْنِ بَدْرٍ الْقُدْسِيِّ
 : قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ أَخْطَأَ هَذَا ؛ هُوَ لِلْأَعْشَى — :

أَبَالُمُوتِ خَشْتَنِي عِمَادُ وَإِنَّمَا رَأَيْتُ مَنَابِكَا النَّاسِ يَشْقَى ذَلِيلُهَا
فَمَا مِيتَةٌ إِنْ مُتْهَا غَيْرَ عَاجِزٍ بَعَارٍ إِذَا مَا غَالَتِ النَّفْسُ عُولُهَا

وكان يزيد بن المهلب على يردون له أشهب ، فأقبل نحو مسلمة لا يريد غيره ؛ حتى إذا دنّا منه أدنى مسلمة فرسه ليركب ، فعطف عليه خيول أهل الشام ، وعلى أصحابه ، فقتل يزيد بن المهلب . وقتل معه السّميدع ، وقتل معه محمد بن المهلب . وكان رجل من كلب من بني جابر بن زهير بن جناب الكلبيّ يقال له القسحّل بن عيّاش لما نظر إلى يزيد قال : يا أهل الشام ، هذا والله يزيد ، والله لأقتلنه أو ليقتلنني ، وإن دونه ناساً ، فن يحمل معي يكفيني أصحابه حتى أصل إليه ؟ فقال له ناس من أصحابه : نعمل نحن معك ، ففعلوا ، فحملوا بأجمعهم ، واضطربوا^(١) ساعة ، وسطع الغبار ، وانفجر الفريقان عن يزيد قتيلاً ، وعن القسحّل بن عيّاش بآخر رمق . فأوى إلى أصحابه يريهم مكان يزيد ؛ يقول لهم : أنا قتلتُه ، ويوى إلى نفسه إنه هو قتلي . ومرّ مسلمة على القسحّل بن عيّاش صريعاً إلى جنب يزيد ، فقال : أما إني أظن هذا هو الذي قتلتني . وجاء برأس يزيد مول لبني مُرّة ، فقيل له : أنت قتلتُه ؟ فقال : لا ، فلما أتى به مسلمة لم يعرف ولم ينكر ، فقال له الحواريّ بن زياد ابن عمرو العنكي : مرّ برأسه فليُغسل ثم ليعمّم ، ففعل ذلك به ، فعرّفه ، فبعث برأسه إلى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط .

١٤٠٦/٢

قال أبو مخنف : فحدثني ثابت مولى زهير ، قال : لقد قتل يزيد وهزم الناس ، وإن المفضل بن المهلب ليقا تل أهل الشام ما يدرى بقتل يزيد ولا بهزيمة الناس ؛ وإنّه لعلّي يردون شديد قريب من الأرض ، وإنّ معه لحققة أمامه ، فكلما حمل عليها نكصت وانكشفت وانكشفت ، فيحمل في ناس من أصحابه حتى يخالط القوم ثم يرجع حتى يكون من وراء أصحابه ، وكان لا يرى منا ملتبساً إلا أشار إليه بيده ألا يلتفت ليُقبِل القومُ بوجوههم على علوهم ، ولا يكون لهم ممّ غيرهم .

قال : ثم اقتلتنا ساعة ؛ فكأنى أنظر إلى عامر بن العَمَيْشِثِلِ الأزدى وهو يضرب سيفه ، ويقول :

قد عَلِمْتُ أُمَّ الصَّبِيِّ الملوذ أَننى يَنْصُلُ السَّيْفِ غَيْرَ رَغِيدٍ
قال : واضطربنا والله ساعة ، فانكشفت خيل ربيعة ؛ والله ما رأيت عند
أهل الكوفة من كبير صبر ولا قتال ، فاستقبل ربيعة بالسيف يناديهم : أى
معشر ربيعة ، الكثرة الكثرة ! والله ما كنتم بكُشف ولا نِثام ، ولا هذه لكم عبادة ،
فلا يَتَيْنِ أهل العراق اليوم من قبلكم . أى ربيعة ، فدَ تَكم نفسى ، اصبروا
ساعة من النهار .

قال : فاجتمعوا حوله ، وثابوا إليه ^(١) ، وجاءت كَوَيْفَتُكَ ^(٢) .

قال : فاجتمعنا ونحن نريد الكثرة عليهم ، حتى أتى ، فقليل له :
ما تصنع ها هنا وقد قُتِلَ يزيد وحبيب ومحمد ، وانهزم الناس منذ طويل ؟
وأخبر الناس بعضهم بعضاً ، ففترقوا ومضى المفضل ، فأخذ الطريق إلى واسط ،
فأرأيت رجلاً من العرب مثل منزله كان أغشى للناس بنفسه ، ولا أضرب
سيفه ، ولا أحسن تعبته لأصحابه منه .

قال أبو مخنف : فقال لى ثابت مولى زهير : مررت بالخنلق ، فإذا عليه
حائط ، عليه رجال معهم النبل ، وأنا مجتفٍ ، وهم يقولون : يا صاحب
التجفاف ، أين تذهب ؟ قال : فما كان شيء أثقل على من تجفاني ،
قال : فما هو إلا أن جُرْتُهم ، فتزلت فألقيته لأخطف عن دابتي . وجاء أهل
الشام إلى عسكر يزيد بن المهلب ، فقاتلهم أبو ربيعة صاحب المرجة ساعة
من النهار حتى ذهب عظمهم ، وأسر أهل الشام نحواً من ثلثائة رجل ،
فسرحهم مسلمة إلى محمد بن عمرو بن الوليد فحبسهم .. وكان على شرطه
المُريان بن الهيثم . وجاء كتاب من يزيد بن عبد الملك إلى محمد بن عمرو :
أن اضرب رقاب الأسراء ، فقال للمُريان بن الهيثم : أخرجهم عشرين عشرين ،
وثلاثين ثلاثين . قال : فقام نحواً من ثلاثين رجلاً من بنى تميم ، فقالوا :

١٤٠٧/٢

(١) ابن الأثير : « فرجعوا إليه » .

(٢) كنا ق ط .

نحن انهزمنا بالناس ، فاتقوا الله وايدموا بنا ، أخرجونا قبل الناس ، فقال لهم العريان : اخرجوا على اسم الله ، فأخرجهم إلى المصطبة ، وأرسل إلى محمد بن عمرو يخبره بإخراجهم ومقاتلتهم ، فبعث إليه أن اضرب أعناقهم .

قال أبو مخنف : فحدثني نجيع أبو عبد الله مولى زهير ، قال : والله إنى لأنظر إليهم يقولون : إنا لله ! انهزمنا بالناس ، وهذا جزاؤنا ، فما هو إلا أن فرغ منهم ، حتى جاء رسول من عند مسلمة فيه عافية الأسراء والنهى عن قتلهم . فقال حاجب بن ذبيان من بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم :

لَعَمْرِي لَقَدْ خَاضَتْ مَعِيْطُ دِمَاءَنَا بِأَسْيَافِهَا حَتَّى انْتَهَى بِهِمُ الْوَحْلُ
وَمَا حُمِلَ الْأَقْوَامُ أَعْظَمَ مِنْ دَمٍ حَرَامٍ وَلَا دَخَلَ إِذَا التَّمَسَّ لِلْخَلِّ^(١)
حَقَنْتُمْ دِمَاءَ الْمُصْلِتِينَ عَلَيْكُمْ^(٢) وَجُرُّ عَلَى فُرْسَانٍ شَيْعَتِكَ الْقَتْلُ
وَقَى بِهِمُ الْعُرْيَانُ فُرْسَانَ قَوْمِهِ فَيَا عَجَبًا أَيْنَ الْأَمَانَةُ وَالْعَدْلُ !

وكان العريان يقول : والله ما اعتمدتهم ولا أردتهم حتى قالوا : ابند بنا ، أخرجنا ، فما تركت حين أخرجتهم أن أعلمت المأمور يقتلهم ، فما يقبل حجبتهم : وأمر يقتلهم ، والله على ذلك ما أحب أن قتل من قوى مكانهم رجل . ولئن لاموني ما أنا بالذى أحفل لا تمتهم ، ولا تكبر على .

وأقبل مسلمة حتى نزل الحيرة ، فأتى بنحو من خمسين أسيراً ، ولم يكونوا فيمن بعث به إلى الكوفة ، كان أقبل بهم معه ، فلما رأى الناس أنه يريد أن يضرب رقابهم ، قام إليه الحصين بن حماد الكلبي فاستوبه ثلاثة : زياد بن عبد الرحمن القشيري ، وعتبة بن مسلم ، وإسماعيل مولى آل بني عقيل بن مسعود ، فوهبهم له ، ثم استوب بقيتهم أصحابه ، فوهبهم لهم ، فلما جاءت هزيمة يزيد إلى واسط ، أخرج معاوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين أسيراً كانوا

(١) في الحاشية : « اللحل بالذال معجمة : الحقد ، ويثير سجة : الحفر في الأرض » .

في يده ، فضرب أعناقهم : منهم عدى بن أوطاة ، ومحمد بن عدى بن أوطاة ومالك وعبد الملك ابنا مسع وعبد الله بن عزة البصرى ، وعبد الله بن وائل ، وابن أبي حاضر التميمي من بني أسيد بن عمرو بن تميم ، وقد قال له القوم : ويحك ! إنا لا نراك إلا تقتلنا ؛ إلا أن أباك قد قتل ، وإن قتلنا ليس بنافع لك في الدنيا ، وهو ضارك في الآخرة ؛ فقتل الأسارى كلهم غيز ربيع بن زياد بن الربيع ابن أنس بن الرتيان ، تركه ، فقال له ناس : نسيته ؟ فقال : ما نسيته ؛ ولكن لم أكن لأقتله ؛ وهو شيخ من قوى له شرف ومعروف وبيت عظيم ، ولست أتهمه في ود ، ولا أخاف بغيته . فقال ثابت قطنه في قتل عدى بن أوطاة :

مَا سَرَّنِي قَتْلُ الْغَزَارِيِّ وَابْنِهِ عَدَى وَلَا أَحْبَبْتُ قَتْلَ ابْنِ مِسْعَرٍ
وَلَكِنِّهَا كَانَتْ مُعَاوِيَ زَلَّةً وَضَبْتُ بِهَا أَمْرِي عَلَى غَيْرِ مَوْضِعٍ

١٤١٠/٢

ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه المال والخزائن ، وجاء المفضل بن المهلب ، واجتمع جميع آل المهلب بالبصرة ، وقد كانوا يتخوفون الذي كان من يزيد ، وقد أعدوا السفن البحرية ، وتجهزوا بكل الجهاز ، وقد كان يزيد بن المهلب بعث وداع بن حميد الأزدي على قسندابيل أميراً ، وقال له : إني سائر إلى هذا العدو ، ولو قد لقيتهم لم أبرح العرصه حتى تكون إلى أولهم ، فإن ظفرت أكرمك ، وإن كانت الأخرى كنت بقسندابيل حتى يقدم عليك أهل بيتي ، فيتحصنوا بها حتى يأخذوا لأنفسهم أماناً ، أما إني قد اخترتك لأهل بيتي من بين قوى ؛ فكن عند حسن ظني ، وأخذ عليه أماناً غلاظاً ليس ناصحاً أهل بيته ، إن هم احتاجوا ولجئوا إليه ، فلما اجتمع آل المهلب بالبصرة بعد الهزيمة حملوا عيالاتهم وأموالهم في السفن البحرية ، ثم لجئوا في البحر حتى مروا بهرم ابن القرار العبدى — وكان يزيد استعمله على البحرين — فقال لهم : أشير عليكم ألا تفارقوا سفنكم ، فإن ذلك هو بقاؤكم ، وإني أتخوف عليكم إن خرجتم من هذه السفن أن يتخطفكم الناس ، وأن يقتربوا بكم إلى بني مروان . ففضوا حتى إذا كانوا بجبال كرمان خرجوا من سفنهم ، وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدواب .

وكان معاوية بن يزيد بن المهلب حين قدم البصرة قدمها ومعه الخزائن وبيت المال ؛ فكأنه أراد أن يتأمر عليهم ، فاجتمع آل المهلب وقالوا للمفضل : أنت أكبرنا وسيدنا ، وإنما أنت غلام حديث السن كيعض فتیان أهلِكَ ، فلم يزل المفضل عليهم حتى خرجوا إلى كثرمان ، وبكرمان فلول كثيرة ، فاجتمعوا إلى المفضل ، وبعث مسلمة بن عبد الملك مدرك بن ضب الكلي في طلب آل المهلب وفي أثر القتل^(١) . فأدرك مدرك المفضل بن المهلب ، وقد اجتمعت إليه القلول بفارس فتيهم ، فأدركهم في عقبة ، فعضقوا عليه ، فقاتلوه واشتد قتالهم إياه ، فقتل مع المفضل بن المهلب النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي ومحمد بن إسحاق ابن محمد بن الأشعث ، وأخذ ابن صول ملك قهستان أسيراً ، وأخذت سرية المفضل العالية ، وجرح عثمان بن إسحاق بن محمد بن الأشعث جراحة شديدة ، وهرب حتى انتهى إلى حلوان ، فدل عليه ، فقتل وحمل رأسه إلى مسلمة بالحيرة ، ورجع فاس من أصحاب يزيد بن المهلب ، فطلبوا الأمان ، فأمنوا ؛ منهم مالك بن إبراهيم بن الأشتر ، والورد بن عبد الله بن حبيب السعدي من تميم ، وكان قد شهد مع عبد الرحمن بن محمد موطنه وأيامه كلها ، فطلب له الأمان محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان إلى مسلمة بن عبد الملك عنه وابنة مسلمة تحته — فأمنه ، فلما أتاه الورد وقفه مسلمة فشتته قائماً ، فقال : صاحب خلاف وشقاق ونفاق وفيار في كل فتنة ، مرة مع حائك كندة ، ومرة مع ملاح الأزدي ؛ ما كنت بأهل أن تؤمن ؛ قال : ثم انطلق . وطلب الأمان للملك بن إبراهيم بن الأشتر الحسن بن عبد الرحمن بن شراحيل — وشراحيل يلقب رستم الحضرمي — فلما جاء ونظر إليه ، قال له الحسن بن عبد الرحمن الحضرمي : هذا مالك بن إبراهيم بن الأشتر ، قال له : انطلق ، قال له الحسن : أصلحك الله ! لم لم تشتمه كما شتمت صاحبه ! قال : أجلتكم عن ذلك ، وكنتم أكرم علي من أصحاب الآخر وأحسن طاعة . قال : فإنه أحب إلينا أن تشتمه ، فهو والله أشرف أباً وجداً ، وأساء أثراً من أهل الشام من الورد بن عبد الله ؛ فكان الحسن يقول بعد أشهر : ما تركه إلا حسداً من أن يعرف

١٤١٢/٢

صاحبنا ، فأراد أن يُرينا أنه قد حقره . ووضي آل المهلب ومن سقط منهم من القُلول حتى انتهوا إلى قنذابيل ، وبعث مسلمة إلى ملوك بن ضبّ الكليّ فردّه ، وصرّح بأنهم هلال بن أحوز التميمي ، من بني مازن بن عمرو بن نعيم فلاحقهم بقنذابيل ، فأراد آل المهلب دخول قنذابيل ، فنعهم وداع بن حميد . وكاتبه هلال بن أحوز ، ولم يباين آل المهلب^(١) فيفارقه ، فتبين لهم فراقه لما التقوا وصفوا ، كان وداع بن حميد على الميمنة ، وعبد الملك بن هلال على اليسرة وكلاهما أزدى ، فرجع لهم راية الأمان ، فقال إليهم وداع بن حميد وعبد الملك ابن هلال ، وارفض عنهم الناس فخلّوهم . فلما رأى ذلك مروان بن المهلب ذهب يريد أن ينصرف إلى النساء ، فقال له الفضل : أين تريد ؟ قال : أدخل إلى نساتنا فأقتلن ، لئلا يصل إليهن هؤلاء الفساق ، فقال : ويحك ! أتقتل أخواتك ونساء أهل بيتك ! إنا والله ما نخاف عليهن منهم . قال : فردّه عن ذلك ، ثم مشوا بأسيا فمهم ، فقاتلوا حتى قتلوا من عند آخرهم^(٢) ، إلا أبا عينة ابن المهلب ، وعثمان بن الفضل فإنهما نَجّوا ، فلاحقا بخاقان ورتبيل ، وبعث بنسائهم^(٣) وأولادهم إلى مسلمة بالبحيرة ، وبعث برعوسهم إلى مسلمة ، فبعث بهم مسلمة إلى يزيد بن عبد الملك ، وبعث^(٤) بهم يزيد بن عبد الملك إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك ، وهو على حلب ، فلما نُصّبوا خرج لينظر إليهم ، فقال لأصحابه : هذا رأس عبد الملك ، هذا رأس الفضل ، والله لكانه جالس معي يحدثني .

١٤١٣/٢

وقال مسلمة : لأبعين خريّتهم وهم في دار الرزق ، فقال الجراح بن عبد الله^(٥) : فأنا أشتريهم منك لأبرّ يمينك ، فاشترأهم منه بمائة ألف ، قال : هاتهما ، قال : إذا شئت فخذها ، فلم يأخذ منه شيئا ، وخلي سبيلهم ، إلا تسعة فتية

١٤١٤/٢

(١) ابن الأثير : « وكان هلال بن أحوز لم يباين آل المهلب » .

(٢) أضاف ابن الأثير : « ومع الفضل وعبد الملك وزيد ومروان بن المهلب ، وبماوية ابن يزيد بن المهلب ، والمهال بن أبي عينة بن المهلب ، وعمرو والمغيرة ابتناقيصة بن المهلب ، وسمكت برعوسهم وفي أذن كل واحد رقعة فيها اسم » .

(٣) ابن الأثير : « وبعث هلال بن أحوز بنسائهم » .

(٤) ابن الأثير : « فبرهم » .

(٥) بسما في ابن الأثير : « الحكى » .

منهم أحداث بعث بهم إلى يزيد بن عبد الملك ، فقدم بهم عليه ، فضرب رقابهم ، فقال ثابت قطنة^(١) حين بلغه قتل يزيد بن المهلب يرثيه :

ألا يا هند طالَ علىَّ ليلي وعاد قصيرُهُ ليلاً نماماً
كأننى حين حطقتُ الثرىا مُقيتُ لعابَ أسودٍ أو مماماً
أمرَ علىَّ حلو العيش يومٌ من الأيام شيبيني غلاماً
مصابُ بنى أبيك وغيتُ عنهم فلم أشهدهم ومضوا كراماً
فلا والله لا أنسى يزيداً ولا القتلَى التى قُتِلت حراماً
فعلَى أن أبُو بأخيك يوماً يزيداً أو أبوه به هشاماً
وعلى أن أقودَ الخيل شعثاً شواذبَ ضمراً تقصُ الإكاثا
فأصبحهنَّ حميمَ من قريب وعكاً أو أرغ بهما جذاماً
ونسقى مذججاً والحي كلباً من اللبغان أنفاساً قواماً
عشارنا التى تبغى علينا تجربنا زكاً عاماً فعاماً
ولولاهم وما جلبوا علينا لأصبح وسطناً عليكاً هماماً

وقال أيضاً يرفى يزيد بن المهلب :

أبى طولُ هذا الليل أن يتصرماً وهاج لك الهمُّ الفؤاد المتيمماً
أرقتُ ولم تارق معى أم خالد وقد أرقّت عيناي حولاً مجرماً
على هالكِ هذ العشيرة فقله دعته النايأ فاستجاب وسلماً
على ملكٍ ياصاح بالعقر جبتت كتابه واستورد الموت معلماً

١٢١٥/٢

(١) في ابن الأثير : « قطنة ؟ بالنون ؟ وهو ثابت بن كعب بن جابر التميمي الأزدى ، أصيبت عينه بجراحان ، فبعل عليها قطنة ، فمرف بذلك ؟ وهو يشبه بثابت قطنة ، بالياء الموحدة ، وهو خزاعي ، وذلك متكى » ..

أَصِيبَ وَلَمْ أَشْهَدْ وَلَوْ كُنْتُ شَاهِدًا
 وَفِي غَيْرِ الْأَيَّامِ يَا هِنْدُ فَاعْلَمِي
 فَعَلَيَّْ إِنْ مَالَتْ بِي الرِّيحُ مَيْلَةً
 أَمْسَلَمَ إِنْ يَقْلِبُ عَلَيْكَ رِمَاحُنَا
 وَإِنْ نَلَقَ لِلْعَبَاسِ فِي الدَّهْرِ عَشْرَةٌ
 قِصَاصًا وَلَا نَعُدُّو الذِّي كَانَ قَدْ أَتَى
 سَتَعْلَمُ إِنْ زَلَّتْ بِكَ النُّعْلُ زَلَّةً
 مِنَ الظَّالِمِ الْجَانِي عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ
 وَإِنَّا لَعَطَّافُونَ بِالْحِلْمِ بَعْدَ مَا
 وَإِنَّا لَحَلَّالُونَ بِالشُّغْرِ لَا نُرَى
 نُرَى أَنْ لِلْجَبْرِ إِنْ حَاجَا وَخُشْرَةً
 وَإِنَّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ مِنْ قَمْعِ النَّزَى
 وَرَاحَتْ بِصُرَادٍ مُلِثٌ جَلِيدُهُ
 أَبُونَا أَبُو الْأَنْصَارِ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ
 وَقَدْ كَانَ فِي غَسَّانَ مَجْدٌ يَعُدُّهُ

١٤١٦/٢

* * *

[ولاية مسلمة بن عبد الملك على العراق وخراسان]

فلما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حَرْبِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، جَمَعَ لَهُ (١)
 يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ولاية الكوفة والبصرة وخراسان في هذه السنة ، فلما ولَّاه
 يَزِيدُ ذَلِكَ ، وَلَّى مُسْلِمَةَ الكوفة ذا الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن
 أَبِي مَعِيْطٍ ، وَقَامَ بِأَمْرِ البصرة بعد أن خرج منها آل المهلب — فيما قيل —
 شَيْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ ، فَضَبَطَهَا ، فَلَمَّا ضُمَّتْ إِلَى مُسْلِمَةَ بَعَثَ عَامِلًا

١٤١٧/٢

(١) ابن الأثير : « أخبرت » . (٢) ابن الأثير : « له أخوه » .

عليها عبد الرحمن بن سليم الكلبي ، وعلى شُرطتها وأحداثها عمر بن يزيد التميمي ، فأراد عبد الرحمن بن سليم أن يستعرض أهل البصرة ، وأفتش ذلك إلى عمر بن يزيد ، فقال له عمر : أتريد أن تستعرض أهل البصرة ولم تمن حصناً بكوفة ، وتدخل من تحتاج إليه ! فوالله لو رماك أهل البصرة وأصحابك بالحجارة لتخوفت أن يقتلونا ؛ ولكن أنظرنا عشرة أيام حتى نأخذ أهبة ذلك . ووجه رسولا إلى مسلمة يخبره بما هم به عبد الرحمن ، فوجه مسلمة عبد الملك ابن بشر بن مروان على البصرة ، وأقر عمر بن يزيد على الشرطة والأحداث .

* * *

[ذكر استعمال مسلمة سعيد خليفة على خراسان]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وجه مسلمة بن عبد الملك سعيد بن عبدالعزيز ابن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، وهو الذي يقال له سعيد خديفة — وإنما لقب بذلك — فيما ذكر — أنه كان رجلاً ليناً سهلاً متنعماً^(١) ، قدم خراسان على بختية معلقاً سكيناً في منطقتة^(٢) ، فدخل عليه^(٣) ملك أبقر ، وسعيد متفضل في ثياب مصبغة ، حوله^(٤) مرافق مصبغة ، فلما خرج^(٥) من عنده قالوا له : كيف رأيت الأمير ؟ قال : خديفية ، لمتة سكينية ، فلقب خديفة وخديفة هي الدهقانة ربة البيت ، وإنما استعمل مسلمة سعيد خديفة على خراسان لأنه كان خسته على ابنته ، كان سعيد متزوجاً بابنة مسلمة .

ولما ولي مسلمة سعيد^(٦) خديفة خراسان ، قدم إليها قبل شخوصه سورة ابن الحر من بني دارم ، فلقمها قبل سعيد — فيما ذكر — بشهر ، فاستعمل شعبة بن ظهير النهشل على سمرقند ، فخرج إليها في خمسة وعشرين رجلاً من أهل بيته ، فأخذ على أمل ، فأتي بخاري ، فصحبه منها مائتا رجل ، فقدم

(١) ف : « منها » .

(٢) ب : « منطقة » .

(٣) ح : « عل » .

(٤) ابن الأثير : « وحوله » .

(٥) ح : « خرجوا » .

(٦) ب : « سعيداً » .

السَّغْد ، وقد كان أهلها كُفُروا في ولاية عبد الرحمن بن نعيم الغامدي ، ووليها ثمانية عشر شهراً ، ثم عادوا إلى الصُّلح ، فخطب شعبة أهل السَّغْد ، ووبَّخ سكانها من العرب وغيرهم بالحبس ، فقال (١) : ما أرى فيكم جرماً ، ولا أسمع فيكم أنفة . فاحتلروا إليه بأن جبنوا عاملهم علباء بن حبيب العبدى ، وكان على الحرب . ثم قدم سعيد ، فأخذ عمال عبد الرحمن بن عبد الله القشيري الذين وُلُّوا أيام عمر بن عبد العزيز فحبسهم ، فكلَّمهم فيهم عبد الرحمن بن عبد الله (٢) القشيري ، فقال له سعيد : قد رُفِّعَ عليهم أن عندهم أموالاً من الخراج . قال : فأنا أضمنه ، فضمن عنهم (٣) سبعمائة ألف ، ثم لم يأخذ بها .

١٤١٩/٧

ثم إن سعيداً رفع إليه - فيما ذكر على بن محمد - أن جهم بن زحر الجعفي وعبد العزيز بن عمرو بن الحجاج الزبيدي والمتجع بن عبد الرحمن الأزدي والقعقاع الأزدي وُلُّوا ليزيد بن المهلب وهم ثمانية (٤) ، وعندهم أموال قد اختانوها من فيء المسلمين . فأرسل إليهم ، فحبسهم في قَهْنَدَز مَرَو ، فقيل له : إن هؤلاء لا يؤدون إلا أن تبسط عليهم . فأرسل إلى جهم بن زحر ، فحمل على حمار من قَهْنَدَز مَرَو ، فرأوا به على القيص بن عمران ، فقام إليه فوجاً أنفه ، فقال له جهم : يا فاسق ، هلاً فعلت هذا حين أتوتني بك سكران قد شربت الخمر ، فضررتك جداً ! فغضب سعيد على جهم فضر به مائتي سوط ، فكبر أهل السوق حين ضرب جهم بن زحر ، وأمر سعيد بجهم والثمانية الذين كانوا في السجن فذُقُوا (٥) إلى ورقاء بن نصر الباهلي ، فاستغفاه فأعفاه .

١٤٢٠/٧

وقال عبد الحميد بن دثار - أوعبد الملك بن دثار - والزيبر بن نشيط مولى باهلة ، وهو زوج أم سعيد نخدينة : ولنا محاسبتهم ، فولاهم قتلوا في العذاب جهماً ، وعبد العزيز بن عمرو والمتجع ، وعذبوا القعقاع وقوماً حتى أشرفوا على الموت . قال : فلم يزالوا في السجن حتى غزتهم الترك وأهل السَّغْد ، فأمر سعيد بإخراج

(١) ابن الأثير : « وقال » . (٢) ب : « عبد الله بن عبد الرحمن » .

(٣) ح : « عليه » .

(٤) ابن الأثير : « في ثمانية نفر » .

(٥) ب : « فرقوا » ، ابن الأثير : « فسلموا » .

مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ ، فَكَانَ سَعِيدٌ يَقُولُ : قَبِّحَ اللَّهُ الزُّبَيْرَ ، فَإِنَّهُ قَتَلَ جِهْمًا !

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا الْمُسْلِمُونَ السُّغْدَ وَالتُّرْكَ ، فَكَانَ فِيهَا الْوَقْعَةُ بَيْنَهُمْ بِقَصْرِ الْبَاهِلِيِّ .

وَفِيهَا عَزَلَ سَعِيدٌ خَزِينَةَ شُعْبَةَ بْنِ ظُهَيْرٍ عَنْ سَمَرْقَنْدَ .

ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنْ سَبَبِ عَزْلِ سَعِيدِ شُعْبَةَ وَسَبَبِ هَذِهِ الْوَقْعَةِ وَكَيْفَ كَانَتْ :

ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ الَّذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُ خَبَرِهِ عَنْهُمْ ، أَنَّ سَعِيدَ خَزِينَةَ لَمَّا تَقَدَّمَ خُرَّاسَانَ ، دَعَا قَوْمًا مِنَ الدَّهَاقِينَ ، فَاسْتَشَارَهُمْ فِيمَنْ يَرْجُوهُ إِلَى الْكُوفِ ، فَأَشَارُوا إِلَيْهِ بِقَوْمٍ مِنَ الْعَرَبِ ، فَوَلَّاهُمْ ، فَشَكُّوا إِلَيْهِ ، فَقَالَ لِلنَّاسِ يَوْمًا وَقَدْ دَخَلُوا عَلَيْهِ : إِنِّي قَدِمْتُ الْبَلَدَ ، وَلَيْسَ لِي عِلْمٌ بِأَهْلِهِ ، فَاسْتَشَرْتُ فَأَشَارُوا^(١) عَلَيَّ بِقَوْمٍ ، فَسَأَلْتُ عَنْهُمْ فَحَمِدُوا ، فَوَلَّيْتَهُمْ ، فَأَخْرَجْتُ عَلَيْهِمْ لَمَّا أَخْبَرْتُمُونِي عَنْ عَمَلِي . فَأَتَيْتُ عَلَيْهِمُ الْقَوْمَ خَيْرًا ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيُّ : لَوْلَمْ تُخْرِجْ^(٢) عَلَيْنَا لَكَفَفْتُ^(٣) ، فَأَمَّا إِذْ حَرَجْتَ عَلَيْنَا فَلِئَلَّا شَاوَرْتُ الْمُشْرِكِينَ فَأَشَارُوا عَلَيْكَ بِمَنْ لَا يَخَالِفُهُمْ وَبِأَشْبَاهِهِمْ^(٤) ، فَهَذَا عَلِمْنَا فِيهِمْ .

١٤٢١/٢

قَالَ : فَاتَّكَأَ سَعِيدٌ ثُمَّ جَلَسَ ، فَقَالَ : **(خُذِ الْبَعْثَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)** ، قَوْمُوا .

قَالَ : وَعَزَلَ سَعِيدٌ شُعْبَةَ بْنَ ظُهَيْرٍ عَنِ السُّغْدِ ، وَوَلَّى حَرِيبًا عُمَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَطْرُفٍ بْنِ الشَّخِيرِ ، وَوَلَّى الْخُرَاجَ سُلَيْمَانَ بْنَ أَبِي السَّرِيِّ مَوْلَى بَنِي عَوْفَةَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى هَرَاةَ مَقِيلَ بْنَ عُرْوَةَ الْقَشِيرِيَّ ، فَسَارَ إِلَيْهَا . وَضَعَفَ النَّاسُ سَعِيدًا وَاسْمَهُ خَزِينَةَ ، فَطَمَعَ فِيهِ التُّرْكَ ، فَجَمَعَ لَهُ خَاقَانَ التُّرْكَ ،

(٢) ح : « تخرج » .

(١) ب : « فأشار » .

(٣) ب : « لكففتنا » .

(٤) ب : « ولا بأشباهم » .

ووجههم إلى السُغد ، فكان على الترك كورصول ، وأقبلوا حتى نزلوا قصر الباهلي .

وقال بعضهم : أراد عظيم من عظماء الدهاقين أن يتزوج امرأة من باهلة ، وكانت في ذلك القصر ، فأرسل إليها بخطبها ، فأبت ، فاستعجاش ورجا أن يسبوا من في القصر ، فيأخذ المرأة ، فأقبل كورصول حتى حصر أهل القصر ، وفيه مائة أهل بيت بذراريهم ، وعلى سمرقند عثمان بن عبد الله^(١) وخافوا أن يبطئ عنهم المدد ، فصالحوا الترك على أربعين ألفاً ، وأعطوهم سبعة عشر رجلاً رهينة ، وندب عثمان بن عبد الله الناس ، فانتدب المسيب بن بشر الرياحي وانتدب معه أربعة آلاف من جميع القبائل ، فقال شعبة بن ظهير : لو كان ها هنا خيول خراسان ما وصلوا إلى غايتهم^(٢) .

١٤٢٢/٢

قال : وكان فيمن انتدب من بني تميم شعبة بن ظهير النهشلي وبلعاء بن مجاهد العنزى ، وعميرة بن ربيعة أحد بني العجيف — وهو عميرة الثريد — وغالب بن المهاجر الطائي — وهو عم أبي العباس الطوسي — وأبو سعيد معاوية بن الحجاج الطائي ، وثابت قطنة ، وأبو المهاجر بن دارة من غطفان ، وحكيس^(٣) الشيباني ، والحجاج بن عمرو الطائي ، وحصان بن معدان الطائي ، والأشعث أبو حطامة وعمرو بن حصان الطائيين . فقال المسيب بن بشر لما عسكروا : إنكم تقدمون على حكمة الترك ، حلبة خاقان وغيرهم ، والعروض إن صبرتم الجنة ، والعقاب النار إن فرتم ، فمن أراد الغزو والصبر فليقدم .

فانصرف عنه ألف وثلثمائة ، وسار في الباقيين ، فلما سار فرسخاً قال للناس مثل مقالته الأولى ، فاعتزل ألف ، ثم سار فرسخاً آخر فقال لهم مثل ذلك ، فاعتزل ألف ، ثم سار — وكان دليلهم الأشهب بن عبيد الحنظلي — حتى إذا كان على فرسخين من القوم نزل فأتاهم ترك خاقان ملك قبي فقال : إنه لم يبق ها هنا ديهقان إلا وقد بايع الترك غيري ، وأنا في ثلثمائة مقاتل فهم معك ، وعندى الخبر ، قد كانوا صالحوهم على أربعين ألفاً ، فأعطوهم سبعة عشر رجلاً ؛ ليكونوا رهنًا

١٤٢٣/٢

(١) يبعث في ب : ابن مطرف .

(٢) ب : لغايتهم .

(٣) ط : جليس ، بالجيم ، تحريف .

في أيديهم^(١) حتى يأخذوا صلحتهم ؛ فلما بلغهم مسيركم إليهم قتل الترك من كان في أيديهم من الرهائن .

قال : وكان فيهم نهشل بن يزيد الباهلي فتجا لم يقتل ، والأشهب بن عبيد الله الحنظلي ، ومياعدهم أن يقتلوه^(٢) غداً أو يفتحوا القصر ، فبعث المسيب رجلين : رجلاً من العرب ورجلاً من العجم من ليلته على خيولهم ، وقال لهم : إذا قرئتم فشدوا دوابكم بالشجر ، واعلموا علم القوم . فأقبلا في ليلة مظلمة ؛ وقد أجرت^(٣) الترك الماء في نواحي القصر ؛ فليس يصل إليه أحد ، ودنوا من القصر ؛ فصاح بهما الريثة ، فقالا : لا تصيح وادع لنا عبد الملك ابن دنار ، فلغاه فقالا له : أرسلنا المسيب ، وقد أتاكم الغياث ، قال : أين هو ؟ قال : على فرسخين ؛ فهل عندكم امتناع ليلتك وغدا ؟ فقال : قد أجمعنا على تسليم^(٤) نساتنا وتقديمهم للموت أمامنا ؛ حتى نموت جميعاً غداً . فرجعا إلى المسيب ، فأخبراه فقال المسيب للذين معه : إني سائر إلى هذا العدو ، فمن أحب أن يذهب فليذهب ، فلم يفارقه أحد ؛ وبايعوه على الموت .

فسار وقد زاد الماء الذي أجروه حول المدينة^(٥) تحصيناً ، فلما كان بينه وبينهم نصف فرسخ نزل ، فأجمع على يأتهم ؛ فلما أمسى أمر الناس فشدوا على خيولهم ، وركب فحثهم على الصبر ، ورغبهم فيما يصبر إليه أهل الاحتساب والصبر ، وما لهم في الدنيا من الشرف والغنيمة إن ظفروا ، وقال لهم : اكتموا^(٦) دوابكم وقودوها^(٧) ، فإذا دنوتم من القوم فاركبوها ، وشدوا شدة صادقة وكبروا ، وليكن شعاركم : يا عجم ولا تتبعوا مولياً ، وعليكم بالدواب فاعقروها ، فإن الدواب إذا عقرت كانت أشد عليهم منكم ، والقتيل الصابر خير من الكثير الفشل ؛ وليست بكم قيلة ، فإن سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر إلا أوهنوه وإن كثر أهله .

(١) ب : « بأيديهم » . (٢) ح : « يقتلوه » ، ابن الأثير : « يقتلوا » .

(٣) ب وابن الأثير : « أعنت » .

(٤) ح : « تسليح » ، ابن الأثير : « حل تقديم نساتنا إلى الموت » .

(٥) ح : « الذي أحرقه المدينة » .

(٦) الكلام : حتى يجعل على فم البعير وكتم البعير : شد فاه بالكمام في هياجه فلا يعض أو يأكل .

(٧) كلما في ب ، وفي ط : « قودهم » .

قال : وعبأهم وجعل على الميمنة كثير بن الدَّبُوسِيّ ، وعلى الميسرة رجلا من ربيعة يقال له ثابت قُطْنَة ، صاروا حتى إذا كانوا منهم على غلوتين كبروا وذلك في السحر ، وثار الترك ، وخالط المسلمون العسكر ، فقرروا الدواب ، وصابروهم الترك ، فجال المسلمون وانهزموا حتى صاروا إلى المسيّب ، وتبعهم الترك وضربوا عَجَزُ دابة المسيّب فترجل رجل من المسلمين ، فيهم البَحْرِيّ أبو عبد الله المرائيّ ، ومحمد بن قيس الغَسَوِيّ — ويقال : محمد بن قيس العنبريّ — وزيد الأصهبانيّ ، ومعاوية بن الحجاج ، وثابت قُطْنَة . فقاتل البَحْرِيّ ففُطِمَتْ^(١) يمينه ، فأخذ السيف بشماله فقطعت ، فجعل يذبُّ بيديه حتى استشهد . واشتهد أيضاً محمد بن قيس العنبريّ أو الغَسَوِيّ وشبيب بن الحجاج الطائيّ .

١١٢٥/٢

قال : ثم انهزم المشركون ، وضرب ثابت قُطْنَة عظيماً من عظمائهم ، فقتله ، ونادى منادى المسيّب : لا تتبعوهم^(٢) ؛ فإنهم لا يدرون من الرَّعْب ، اتبعتموهم أم لا ! واقصبلوا القَصْر ، ولا تحملوا شيئاً من المتاع إلا المال ، ولا تحملوا من يقدّر على المشي .

وقال المسيّب : مَنْ حمل امرأة أو صبيّاً أو ضعيفاً حِسْبَةً فأجره على الله ، وَمَنْ أبى فله أربعون درهماً ، وإن كان في القصر أحدٌ من أهل عَهْدِكُمْ فأحملوه . قال : فقصبلوا جميعاً القَصْر ، فحملوا مَنْ كان فيه ، وانتهى رجلٌ من بني فُقيْم إلى امرأة ، فقالت : أغشني أغاثك الله ! فوقف وقال : دونك وعجز الفرس ، فوثبت فإذا هي على عَجَزُ الفرس ؛ فإذا هي أفرسٌ من رجل ، فتناول الفقيميّ بيد ابنها ، غلاماً صغيراً ، فوضعه بين يديه ، وأتوا ترك خاقان ، فأنزلهم قصره وأتاهم بطعام ، وقال : الحقوا بسمرقندة لا يرجعوا في آثاركم . فخرجوا نحو سمرقند ، فقال لهم : هل بقي أحد ؟ قالوا : هلال الحريريّ ، قال : لا أسلمه ، فأتاه وبه بضع وثلاثون جراحة ، فاحتمله ، فبرأ ، ثم أصيب يوم الشعب مع الجنيد .

قال : فرجع الترك من الغد ، فلم يروا في القَصْر أحداً ، ورأوا

(١) ب : « حتى قطعت » .

(٢) ط : « تبعهم » ، وما أثبت من ب .

قتلاهم ، فقالوا : لم يكن الذين جاءوا من الإنس ، فقال ثابت قطنة :

قَدَتْ نَفْسِي فَوَارِسَ مِنْ تَيْمٍ غَدَاةَ الرُّوعِ فِي ضَنْكِ الْمَقَامِ
قَدَتْ نَفْسِي فَوَارِسَ أَكْنَفُونِي عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي رَهَجِ الْقَتَامِ
بِقَصْرِ الْبَاهِلِيِّ وَقَدْ رَأَوْنِي أَحْيَى حَيْثُ ضَنَّ بِهِ الْمُحَايِ^(١)
بَسِيفِي بَعْدَ حَطَمِ الرُّمَحِ قُدَمَاءُ أَدْوُهُمْ بَدَى شُطْبُ جَسَامِ
أَكُرُّ عَلَيْهِمُ الْيَحْمُومَ كَرًّا كَكُرِّ الشَّرْبِ أَنْيَةَ الْمُدَامِ
أَكُرُّ بِهِ لَدَى الْغَمَرَاتِ حَتَّى تَجَلَّتْ لَا يَضِيقُ بِهَا مَقَامِي
فَلَوْلَا اللَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ وَضَرْبِي قَوْنَسَ الْمَلِكِ الْهَامِ
إِذَا لَمَعَتْ نِسَاءُ بَنِي دِنَارِ أَمَامَ التَّرِكِ بَادِيَةِ الْخِدَامِ
فَمَنْ مِثْلُ الْمَسِيبِ فِي تَيْمٍ أَبِي يَشْرِ كَقَادِمِ الْحَمَامِ

وقال جرير يذكر المسيب :

لَوْلَا حِمَايَةُ يَرْثُوعٍ نِسَاءَكُمْ كَانَتْ لِفَيْرَكُمُ مِنْهُنَّ أَطْهَارُ^(٢)
حَايَ الْمَسِيبُ وَالْخِيلَانُ فِي رَهَجِ إِذْ مَازَنُ ثُمَّ لَا يُحَيِّ لَهَا جَارُ^(٣)
إِذْ لَا عِقَالُ يُحَايِ عَنْ ذِمَارِكُمْ وَلَا زُرَّارَةٌ يَحْمِيهَا وَوَزَارُ

قال : وعور تلك الليلة أبو سعيد معاوية بن الحجاج الطائي ، وشكت يده ، وقد كان ولي ولاية قبيل سعيد ، فخرج عليه شيء مما كان بقى عليه ، فأخذ به ، فدفعه سعيد إلى شدّاد بن خليلد الباهلي ليحاسبه ويستأديه^(٤) فضيق عليه شدّاد ، فقال : يا معشر قيس ، مرت إلى قصر الباهلي وأنا شديد البطش ، حديد البصر ، فصوّرت وشكت يدي ، وقاشرت مع مَنْ قاتل

(١) ابن الأثير : « حيث ضرب به » . (٢) ديوانه ١٩٨ .

(٣) الديوان : « أزمان شبة لا يسمي ونمار » . (٤) ابن الأثير : « ويستأذنه » .

حتى استعذناهم بعد أن أشرَفوا^(١) على القتل والأسر والسبي ، وهذا^(٢) صاحبكم يصنع في ما يصنع^(٣) ، فكفُّوه عني ، فخلَّاه .

قال : وقال عبد الله بن محمد عن رجل شهد ليلة قصر الباهلي قال : كنا في القصر ، فلما اتقوا ظننا أن القيامة قد قامت لما سمعنا من همسهم القوم ووقع الحديد وصهيل الخيل .

١٤٢٨/٢

[ذكر الخبر عن غزو سعيد خدينة السُغْد]

وفي هذه السنة قطع سعيد خدينة نهر بلخ وغزا السُغْد^(٤) ، وكانوا نقضوا العهد وأعانوا الترك على المسلمين .

• ذكر الخبر عما كان من أمر سعيد والمسلمين في هذه الغزوة :

وكان سبب غزو^(٥) سعيد هذه الغزوة — فيما ذكر — أن الترك عادوا إلى السُغْد ، فكلم الناس سعيداً وقالوا : تركت الغزو ، فقد أغار الترك ، وكفر أهل السُغْد ، فقطع النهر ، وقصد للسُغْد ، فلقية الترك وطائفة من أهل السُغْد فهزموهم المسلمون ، فقال سعيد : لا تتبعوهم ؛ فإن السُغْد بستان أمير المؤمنين وقد هزمتوهم ؛ أفر يدون بوارهم ! وقد قاتلتم يا أهل العراق الخلفاء غير مرة فهل أباروكم^(٦) !

وسار المسلمون ، فانتهوا إلى وادٍ بينهم وبين المرج ، فقال عبد الرحمن ابن صبيح : لا يقطن هذا الوادي مجفف ولا راجل ، وليعبر من سواهم . فعبروا^(٧) ، وأنهم الترك ، فأكنوا كميناً ، وظهرت لهم خيل المسلمين فقاتلوهم ، فانهاز الترك فاتبعوهم حتى جازوا الكمين ، فخرجوا عليهم ، فانهزم المسلمون حتى انتهوا إلى الوادي ، فقال لهم عبد الرحمن بن صبيح : ساقوهم ، ولا تقطعوا فإنكم إن قطعتم أبادوكم . فصبروا ولم حتى انكشفوا عنهم ، فلم يتبعوهم ، فقال

١٤٢٩/٢

(١) ب وابن الأثير : « ما أشرَفوا » . (٢) ب : « فهذا » .

(٣) ح : « صنع » . (٤) ب وابن الأثير : « السُغْد » .

(٥) ح : « غزوة » . (٦) ابن الأثير : « أبادوكم » .

(٧) ب : « فساروا » .

قوم : قُتِلَ يومئذ شُعْبَةُ بن ظُهَيْرٍ وأصحابه ، وقال قوم : بل انكشف الترك منهم يومئذ منهزمين ، ومعهم جمع من أهل السَّغْد . فلما كان الغد ، خرجت مسلحة للمسلمين - والمسلحة يومئذ من بني تميم - فاشعروا إلا بالترك معهم ، خرجوا عليهم من غيضة وعلى خيل بني تميم شعبة بن ظُهَيْر ، فقاتلهم شعبة فقتل ؛ أعجلوه عن الركوب . وقتل رجل من العرب ، فأخرجت جاريته حياءً ، وهى تقول : حتى متى أعد لك مثل هذا الخضاب ، وأنت تختضب بالدم ! مع كلام كثير ، فأبكت أهلَ المسكر . وقتل نحو من خمسين رجلاً ، وانهزم أهلُ المسلحة ، وأتى الناسَ الصَّرِيخ ، فقال عبد الرحمن بن المهلب العدوي : كنت أنا أولَ مَنْ أتاها لما أتاها الخبر ، وتحتى فرس جواد ، فإذا عبد الله بن زهير إلى جنب شجرة كأنه قُنفذ من الشباب ؛ وقد قتل ، وركب الخليل بن أوس العبشمي - أحد بني ظلم ، وهو شاب - ونادى : يا بني تميم ، أنا الخليل ، إلى ! فانضمت^(١) إليه جماعة - فحمل بهم على العدو ، فكفروهم ووزعهم عن الناس حتى جاء الأمير والجماعة ، فانهزم العدو ، فصار الخليل على خيل بني تميم يومئذ ، حتى ولي نصر بن سيار ؛ ثم صارت رئاسة بني تميم لأخيهِ الحكم بن أوس .

وذكر علي بن محمد ، عن شيوخه ؛ أن سورة بن الحرّ قال لحِيَّان : انصرف يا حِيَّان ، قال : عقيرة الله أدعها وأنصرف قال : يا نبطي قال : أنبط الله وجهك !

قال : وكان حِيَّان النبطي يكنى في الحرب أبا الهَيَّاج ، وله يقول الشاعر :

إِنَّ أبا الهَيَّاجَ أَرْبَعِيٌّ لِلرَّيْحِ فِي أَثْوَابِهِ دَوِيٌّ

قال : وعبر سعيد النهر مرتين ، فلم يجاوز سمرقند ، نزل في الأول بلازاء العدو ، فقال له حِيَّان مولى مصقلة بن هيرة الشيباني : أيها الأمير ، ناجز أهل السَّغْد ، فقال : لا ، هذه بلاد أمير المؤمنين ، فرأى دخاناً ساطعاً ، فسأل عنه فقيل له : السَّغْد قد كفروا ومعهم بعض الترك . قال : فتناوشهم ، فانهزموا

فألقوا في طلبهم ، فنادى منادى سعيد : لا تطلبوهم ؛ إنما السَّعْدُ بستان
أمير المؤمنين ، وقد هزمتوهم ، أفريدون بوارهم ! وأنتم يا أهل العراق قد قاتلتم
أمير المؤمنين غير مرة ، ففما عنكم ولم يستأصلكم ورجع ، فلما كان العام المقبل
بعث رجالاً من بني تميم إلى وَرْعَسَر ، فقالوا : لبتنا نلقى العدو فطاردتهم
— وكان سعيد إذا بعث سرية فأصابوا وغنموا ^(١) وسبوا ردّ ذراري السبي
وعاقب السريّة ، فقال المهجري وكان شاعراً :

سريت إلى الأغداء تلهو بلعبة وأيرك مسلولٌ وسيفك مُعَمَّدُ ١٤٣١/٢
وأنت لِمَن عاديت عِرْسَ خَفِيَّةٍ وَأنتَ عَلَيْنَا كَالْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ
فلله دَر السَّعْدِ لما تَحَزَّبُوا ^(٢) وَيَا عَجَباً من كَيْدِكَ الْمُتَرَدِّدِ !

قال : فقال سورة بن الحرّ لسعيد — وقد كان حفظ عليه ، وحقد عليه
قوله : «أنبط الله وجهك» — إن هذا العبد أعدى الناس للعرب والعمال ، وهو
أسد خراسان على قتية بن مسلم ، وهو واثب بك ، مفسد عليك خراسان ؛
ثم يتحصن ^(٣) في بعض هذه القلاع . فقال : يا سورة ^(٤) لا تُسمعن هذا
أحدًا . ثم مكث أياماً ، ثم دعا في مجلسه بلبس ، وقد أمر بذهب فسحق ،
والنقي في إناء حَيَّان فشربه ، وقد خطط بالذهب ، ثم ركب ، فركب الناس أربعة
فراسخ إلى باركث ، كأنه يطلب عدوًّا ، ثم رجع فعاش حَيَّان أربعة أيام ومات
في اليوم الرابع ، فتقلّ سعيد على الناس وضعفوه ، وكان رجل من بني أسد
يقال له إسماعيل منقطعاً إلى مروان بن محمد ، فذكر إسماعيل عند خُذَيْنَةَ
ومودته مروان ، فقال سعيد : وما ذاك المِلَطُ ! فهجاه إسماعيل ، فقال :

زَعَمْتَ خُذَيْنَةَ أَنَّنِي مِلَطٌ ^(٥) لِيُخْدِنَسَةَ الْمَرَاةَ وَالْمُشْطُ
وَمَجَايِرٌ وَمَكَايِلُ جُعِلَتْ وَمَعَازِفٌ وَبَحْدَهَا نُقْطُ

(١) ابن الأثير : «أوغنموا» .

(٢) ح : «تهربوا» .

(٣) ب : «تتحصن» .

(٤) ابن الأثير : «فقال سعيد : لا أسمعن هذا أحدًا» .

(٥) المِلَطُ : الذي لا يعرف له نسب ولا أب .

أَفَذَلِكَ أَمْ زَعَفُ مُضَاعَفَةٌ وَمَهْنَدٌ مِنْ شَأْنِهِ الْقَطُّ
لِمُقَرِّمٍ ذَكَرَ أَخَى ثِقَةٍ لَمْ يَخْذُهُ التَّائِيثُ وَاللَّفْظُ
أَغْضِبْتَ أَنْ بَاتَ ابْنُ أُمِّكُمْ بِهِمْ وَأَنْ أَبَاكُمْ سَقَطَ
إِلَى رَأَيْتَ نِبَالَهُمْ كُسِبَتْ رِيَشُ اللُّوَامِ وَنَبْلُكُمْ مَرَطَ
وَرَأَيْتَهُمْ جَعَلُوا مَكَاسِرَهُمْ عِنْدَ النَّدَى وَأَنْتُمْ خِلَطَ

[عزل مسلمة عن العراق وخراسان]

وفي هذه السنة عُرِلَ مسلمة بن عبد الملك عن العراق وخراسان وانصرف إلى الشام .

• ذكر الخبر عن سبب عزله وكيف كان ذلك :

وكان سبب ذلك - فيما ذكر على بن محمد - أن مسلمة لما ولى ما ولى من أرض العراق وخراسان لم يرفع من الخراج شيئاً ، وأن يزيد بن عاتكة أراد عزله فاستحيا منه ، وكتب إليه أن استخلف على عملك ، وأقبل .

١٤٢٣/٢

وقد قيل إن مسلمة شاور عبد العزيز بن حاتم بن النعمان في الشخص إلى ابن عاتكة ليزوره ، فقال له : أمن ^(١) شوق بك إليه ! إنك لطروب ، وإن عهدك به لقريب ، قال : لا بد من ذلك ، قال : إذا لا تخرج من عملك حتى تلقى الوالى عليه ، فشخص ؛ فلما بلغ دُورين لقيه عمر بن هيرة على خمس ^(٢) من دواب البريد ، فدخل عليه ابن هيرة ، فقال : إلى أين يابن هيرة ؟ فقال : وجهنى أمير المؤمنين في حياة أموال بنى المهلب . فلما خرج من عنده أرسل إلى عبد العزيز فجاءه ، فقال : هذا ابن هيرة قد لقينا كما ترى ، قال : قد أنبأتك ، قال : فإنه إنما وجهه لحياة أموال بنى المهلب ، قال : هذا ^(٣) أعجب من الأول ؛ يصرف عن الجزيرة ، ويوجه في حياة أموال

(٢) ح : في خمسين .

(١) ف : من .

(٣) ب : فلان هذه .

بنى المهلب ، قال : فلم يلبث أن جاءه عزل ابن هبيرة عماله والغلظة عليهم
فقال الفرزدق :

رَاحَتْ بِمَسْلَمَةَ الرَّكَّابِ مُودَعَا فَارَعَى فَرَازَةَ لَا هُنَاكَ الْمَرْتَعُ^(١)
عُزِّلَ ابْنُ بَشْرِ بْنِ عَمْرِو قَبْلَهُ وَأَخُو هَرَاةٍ لِمِثْلِهَا يَتَوَقَّعُ^(٢)
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَنَنْ فَرَازَةَ أُمِرْتُ أَنْ مَوْفَ تَطْمَعُ فِي الْإِمَارَةِ أَشْجَعُ
مَنْ خَلَقَ رَبُّكَ مَا هُمْ وَلِمِثْلِهِمْ فِي مِثْلِ مَا نَالَتْ فَرَازَةُ يَطْمَعُ^(٣)

يعنى^(٤) : بابت بشر عبد الملك بن بشر بن مروان ، وبابن عمرو محمداً
ذا الشامة بن عمرو بن الوليد ، وبأخي هراة سعيد خذينة بن عبد العزيز ،
كان عاملاً مسلماً على خراسان .

وفي هذه السنة غزا عمر بن هبيرة الروم بأرمينية ، فهزمهم وأسر منهم
بشراً كثيراً قيل سبعمائة أسير .

[بلده ظهور الدعوة]

وفيها وجه — فياذكر ميسرة — رسلته من العراق إلى خراسان وظهر أمر الدعوة^(٥)
بها ، فجاء رجل من بني تميم يقال له عمرو بن بجير بن ورقاء السعدي إلى
سعيد خدينة ، فقال له : إن ها هنا قوماً قد ظهر منهم كلام قبيح ، فبعث
إليهم سعيد ، فأقْبَى بهم ، فقال : من أنتم ؟ قالوا : أناس من التجار ؟ قال :
فا هذا الذي يحكي عنكم ؟ قالوا : لا ندرى ، قال : جئتم دعاة ؟ فقالوا :

(١) ديوانه ٥٠٩ ، وفيه : « وضعت لمسة » .

(٢) الديوان : « فزع ابن بشر » .

(٣) موضعه في الديوان :

إِنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ دَنَتْ أَشْرَاطُهَا حَتَّى أُمِّيَّةٌ عَنْ فَرَازَةٍ تَنْزَعُ

(٤) ف : « ويحيى » . (٥) ب : « وظهر أمر الدعوة » .

إن لنا في أنفسنا وتجارتنا شغلا عن هذا ، فقال : مَنْ يعرف هؤلاء ؟ فجاء أناس من أهل خراسان ، جلّهم ربيعة واليمن ، فقالوا : نحن نعرفهم ، وهم علينا إن أتاك منهم شيء تكرهه ، فخطى سيلهم .



[ذكر خبر قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية]

وفيها - أعني سنة اثنتين ومائة - قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية وهو وال عليها . ١٤٣٥/٢
• ذكر الخبر عن سبب قتله :

وكان سبب ذلك أنه كان - فيما ذكر - عزم أن يسير بهم ^(١) بسيرة الحجاج بن يوسف في أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ، من كان أصله من السواد من أهل الذمة ، فأسلم بالعراق ممن ردّهم إلى قراهم ^(٢) ورسائيقهم ، ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم ، فلما عزم ^(٣) على ذلك تأمروا في أمره ، فأجمع ^(٤) رأيهم - فيما ذكر - على قتله فقتلوه ، وولوا على أنفسهم الذي كان عليهم قبل يزيد بن أبي مسلم ، وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار ، وكان في جيش يزيد بن أبي مسلم ، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك : إنا لم نخلع أيدينا من الطاعة ؛ ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى ^(٥) الله والمسلمون ، فقتلناه ، وأعدنا عاملك . فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك : إني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم ، وأقر محمد بن يزيد على إفريقية .



وفي هذه السنة استعمل عمر بن هبيرة بن مُعَيَّة بن سكين بن خنديج بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة على العراق وخراسان .
وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك ؛ كذلك قال أبو معشر والواقدي .

(١) ب وابن الأثير : « قجم » . (٢) ف : « قراهم » .

(٣) ح : « عزوا » ، ابن الأثير : « فلما عزم يزيد » .

(٤) ب : « وأجمع » . (٥) ب وابن الأثير : « يرضاه » .

وكان العامل على المدينة عبد الرحمن بن الضحّاك ، وعلى مكة عبد العزيز
ابن عبد الله بن خالد بن أسيد . وعلى الكوفة محمد بن عمرو ذو الشامة ،
وعلى قضائها القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وعلى البصرة
عبد الملك بن بشر بن مروان ، وعلى خراسان سعيد خُلدية ، وعلى مصر أسامة
ابن زيد .

ثم دخلت سنة ثلاث ومائة ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[عزل سعيد خدينة عن خراسان]

فَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ عَزَلَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ سَعِيدَ خَدِينَةَ عَنْ خُرَاسَانَ ،
وَكَانَ سَبَبُ عَزْلِهِ عَنْهَا - فِيمَا ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَشْيَاخِهِ - أَنَّ الْمُجَشَّرَ بْنَ
مُزَاحِمَ السُّلَمِيِّ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُثْمَانَ اللَّيْثِيَّ قَدِمَا عَلَى عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ ، فَشَكَوَاهُ
فَعَزَلَهُ ، وَاسْتَعْمَلَ سَعِيدَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْأَسْوَدِ بْنَ مَالِكِ بْنَ كَعْبِ بْنِ وَقْدَانَ بْنَ
الْحَرِيشِ ^(١) بْنَ كَعْبِ بْنِ رَيْبَعَةَ بْنَ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، وَخَدِينَةَ غَازٍ ^(٢) بِيَابِ
مِهْرَقَنْدَ ، فَبَلَغَ النَّاسَ عَزْلُهُ ، فَقَتَلَ خَدِينَةَ ، وَخَلَفَ بِمِهْرَقَنْدَ أَلْفَ فَارِسٍ ،
فَقَالَ نَهَارُ بْنُ تَوْسِعَةَ :

فَمَنْ ذَا مُبْلَغٌ فِتْيَانٍ قَوِيٍّ ^(٣) يَا نَبْلَ رِيشتِ كُلِّ رِيشتِ
بِأَنَّ اللَّهَ أَبْدَلَ مِنْ سَعِيدٍ سَعِيدًا لَا الْمُخَنَّثَ مِنْ قَرَشٍ
قَالَ : وَلَمْ يَعْزِضْ سَعِيدُ الْحَرَشِيِّ لِأَحَدٍ مِنْ عَمَالِ خَدِينَةَ ، فَقَرَأَ رَجُلٌ
عَهْدَهُ فَلَحَنَ فِيهِ ، فَقَالَ سَعِيدٌ : صَهْ ، مَهْمَا مَعْتَمَ فَهُوَ مِنَ الْكَاتِبِ ، وَالْأَمِيرُ
مَنْ بَرَى ، فَقَالَ الشَّاعِرُ يَضْعُفُ الْحَرَشِيُّ فِي هَذَا الْكَلَامِ :

تَبَدَّلْنَا سَعِيدًا مِنْ سَعِيدٍ لَجَدُّ السُّوءِ وَالْقَلْبِ الْمُنَاحِ

قَالَ الطَّبَرِيُّ : وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ الرُّومَ فَفَتَحَ مَدِينَةَ ^(٤)
يُقَالُ لَهَا رَسَلَةُ .

وَفِيهَا أَغَارَتِ التُّرُكُ عَنِ اللَّانِ .

(١) ب : « وَقْدَانُ بْنُ الْحَرِيشِ » . (٢) ابْنُ الْأَثِيرِ : « كَانَ » .
(٣) ب وَابْنُ الْأَثِيرِ : « قَهْلٌ مِنْ مِبْلَغٍ » . (٤) بِمِثْلِهَا فِي ف : « مَهَا » .

وفيهما ضُمَّت مكة إلى عبد الرحمن بن الضحاك الفهري ، فجمعت له مع المدينة .

وفيهما ولي عبد الواحد بن عبد الله النضري ، الطائف وعزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد عن مكة .

وفيهما أمر عبد الرحمن بن الضحاك أن يجمع بين أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعثمان بن حيان المري ، وكان من أمره وأمرهما ما قد مضى ذكره قبل .

وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري ، كذلك قال أبو معشر والواقدي . ١٤٣٨/٢

وكان عامل يزيد بن عاتكة في هذه السنة على مكة والمدينة عبد الرحمن بن الضحاك ، وعلى الطائف عبد الواحد بن عبد الله النضري^(١) . وعلى العراق وخراسان عمر بن هبيرة ، وعلى خراسان سعيد بن عمرو الحرثي من قبيل عمر بن هبيرة ، وعلى قضاء الكوفة القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى .

[استعمال ابن هبيرة سعيداً الحرثي على خراسان]
وفيهما استعمل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرثي على خراسان .

* ذكر الخبر عن سبب استعماله الحرثي على خراسان :

ذكر علي بن محمد عن أصحابه أن ابن هبيرة لما ولي العراق ، كتب إلى يزيد بن عبد الملك بأسماء من أبلت يوم العقر ، ولم يذكر الحرثي ، فقال يزيد بن عبد الملك : لم لم يذكر الحرثي ؟ فكتب إلى ابن هبيرة : ولي الحرثي خراسان . فولاّه ، فقدم الحرثي على مقدمته الجش بن مزاحم السلمي سنة ثلاث ومائة ، ثم قدم الحرثي خراسان ، والناس يلزأه العدو ، وقد كانوا نكبوها ، فخطبهم وحشهم على الجهاد ، فقال : إنكم لا تقاتلون عدو الإسلام بكثرة

(١) ب : « البصري » ، ف : « النضري » .

ولا بعدة ، ولكن بنصر الله وحز الإسلام ، فقولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله .
وقال :

فَلَسْتُ لِعَامِرٍ إِنْ لَمْ تَرَوْنِي أَمَامَ الْخَيْلِ أَطْعُنُ بِالْعَوَالِ^(١)
فَأَضْرِبُ هَامَةَ الْجَبَّارِ مِنْهُمْ بِعَضْبِ الْحَدْحُودِثِ بِالصُّبَالِ^(٢)
فَمَا أَنَا فِي الْحُرُوبِ بِمُسْتَكِينٍ وَلَا أَخْشَى مُصَاوَلَةَ الرِّجَالِ
أَبَى لِي وَالِدِي مِنْ كُلِّ دَمٍ وَخَالِي فِي الْحَوَادِثِ خَيْرُ خَالِ
إِذَا خَطَرَتْ أَمَامِي حَيٌّ كَعَبٍ وَزَافَتْ كَالْجِبَالِ بَنُو هِلَالِ

[ارتحال أهل السُّغْد عن بلادهم إلى فرغانة]

وفي هذه السنة ارتحل أهل السُّغْد عن بلادهم عند مقدم سعيد بن عمرو
الحَرْشِيِّ فَلَاحَقُوا بِفَرَّغَانَةِ ، فَسَأَلُوا مَلِكَهَا مَعُونَتَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

• ذكر الخبر عما كان منهم ومن صاحب فَرَّغَانَةِ :

ذكر علي بن محمد عن أصحابه ، أن السُّغْد كانوا قد أعانوا الترك أيام
خُلْدِيَّةَ ، فلما وليهم الحَرْشِيُّ خَافُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَأَجْمَعَ عِظَمَاؤُهُمْ عَلَى
الْخُرُوجِ عَنْ بِلَادِهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ مَلِكُهُمْ : لَا تَفْعَلُوا ، أَقِيمُوا وَاحْمِلُوا إِلَيْهِ خَرَاजَ
مَا مَضَى ، وَاضْمِنُوا لَهُ خَرَاجَ مَا تَسْتَقْبِلُونَ ، وَاضْمِنُوا لَهُ عِمَارَةَ أَرْضِيكُمْ^(٣) وَالْفَزْوِ
مَعَهُ إِنْ أَرَادَ ذَلِكَ ، وَاعْتَدُوا بِمَا كَانَ مِنْكُمْ ، وَأَعْطُوهُ رَهَائِنَ يَكُونُونَ فِي يَدَيْهِ .
قَالُوا : نَخَافُ أَلَّا يَرْضَى ، وَلَا يَقْبَلُ مَتًّا ، وَلَكِنَّا نَأْتِي خُجُنْدَةَ ، فَتُسْتَجِيرُ
مَلِكَهَا ، وَتُرْسَلُ إِلَى الْأَمِيرِ فَتَسْأَلُهُ الصَّفْحَ عَمَّا كَانَ مِنْنا ، وَنُوَثِّقُ لَهُ أَلَّا يَرَى أَمْرًا^{١٠/٢}
يَكْرَهُهُ ، فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ ، وَمَا أَشْرْتُ بِهِ عَلَيْكُمْ كَانَ خَيْرًا لَكُمْ ، فَأَبَوْا ،
فَخَرَجُوا إِلَى خُجُنْدَةَ ، وَخَرَجَ كَارَزَنْجُ وَكَشْبَيْنُ وَبَيْبَارْكَشُ وَثَابِتُ بَاهِلِ
إِسْتِيخَنْ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى مَلِكِ فَرَّغَانَةِ الطَّارِ بِسَأَلُونَهُ أَنْ يَمْنَعَهُمْ وَيَنْزِلَهُمْ

(١) ابن الأثير : « نطعن » . (٢) حوث ، أى جل .

(٣) ح : « أرضكم » ، ابن الأثير : « الأرض » .

مدينته. فهم أن يفعل، فقالت له أمه: لا تدخل هؤلاء الشياطين مدينتك، ولكن فرغ لم رستاقاً يكونون فيه، فأرسل إليهم: سمو لي رستاقاً^(١) أفرغه لكم، وأجلوني أربعين يوماً - ويقال: عشرين يوماً - وإن شئتم فرغت لكم شعب عصام بن عبد الله الباهلي - وكان قتيبة خلقه فيهم - فقبلوا شعب عصام. فأرسلوا إليه^(٢): فرغه لنا، قال: نعم، وليس لكم على^(٣) عقد ولا جوار حتى تدخلوه، وإن أتتكم العرب قبل أن تدخلوه لم أمنعكم، فرضوا؛ وفرغ لم الشعب.

وقد قيل: إن ابن هبيرة بعث إليهم قبل أن يخرجوا من بلادهم يسألهم أن يقيموا، ويستعمل عليهم من أحبوا، فأبوا وخرجوا إلى خُجْجَنْدَة وشعب عصام من رستاق أسفرة - وأسفرة يومئذ ولي عهد ملك فرغانة بلاذا، وبيلاذا أنوجور ملكها.

وقيل: قال لم كارزنج: أخيركم ثلاث خصال، إن تركتموها هلكتم: إن سعيداً فارس العرب، وقد وجه على مقدمته عبد الرحمن بن عبد الله القشيري^(٤) في حماة أصحابه، فيبئوه فاقتلوه؛ فإن الحرشي إذا أتاه خبره لم يتركهم، فأبوا عليه، قال: فاقطعوا نهر الشاش، فسلوهم ماذا تريدون؟ فإن أجابوكم وإلا مضيت إلى سوياب، قالوا: لا، قال: فأعطوهم.

١٤٤١/٢

قال: فارتحل كارزنج وجنح بأهل قبي، وأبارين مانزون وثابت بأهل إشتيخن، وارتحل أهل بياركت وأهل سسكت بألف رجل عليهم مناطق الذهب مع دهاقين بزُماجن، فارتحل الديواشني بأهل بُنْجِيْكَث إلى حصن أبغَر، ولحق كلوزنج وأهل السغد بخُجْجَنْدَة.

تم الجزء السادس من تاريخ الطبري

ويليه الجزء السابع، وأوله: ذكر حوادث سنة أربع ومائة

(١) يملأ في ابن الأثير: «تكونون فيه حتى» ، (٢) ب: «وقالوا له» .

(٣) ح: «على» . (٤) ب، ح: «القشيري» .

فهرس الموضوعات

السنة السادسة والستون

- ذكر الخبر عن الكائن الذى كان فيها من الأمور الجليلة . ٥ - ٣٨
 ذكر الخبر عن أمر المختار مع قتلة الحسين بالكوفة . ٣٨ - ٦٦
 ذكر الخبر عن البيعة للمختار بالبصرة . . . ٦٦ - ٧١
 ذكر الخبر عن بعث المختار جيشه للمكثّر بابن الزبير . ٧١ - ٧٥
 ذكر الخبر عن قتلوا الخشيبة مكة وموافاتهم الحج . ٧٥ - ٧٧
 ذكر الخبر عن حصول بنى تميم بخراسان . ٧٧ - ٨٠
 شخوص إبراهيم بن الأشتر لحرب عبيد الله بن زياد . ٨١ - ٨٢
 ذكر أمر الكرمي الذي كان المختار يستنصر به . ٨٢ - ٨٥

• • •

السنة السابعة والستون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٨٦
 خبر مقتل عبيد الله بن زياد ومن كان معه من أهل الشام . ٨٦ - ٩٢
 ذكر الخبر عن عزل القبايع عن البصرة . . . ٩٣
 ذكر خبر قتل مصعب المختار بن أبي عبيد . . . ٩٣ - ١١٦
 خبر عزل عبد الله بن الزبير أخاه المصعب . . . ١١٧ - ١١٨
 أخبار متفرقة ١١٨

• • •

السنة الثامنة والستون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجلييلة ١١٩ .
 ذكر الخبر عن رجوع الأزارقة من فارس إلى العراق . . . ١١٩ - ١٢٧
 ذكر الخبر عن مقتل عبد الله بن الحر ١٢٨ - ١٣٨
 أخبار متفرقة ١٣٨ ، ١٣٩

* * *

السنة التاسعة والستون

- ذكر خبر قتل عبد الملك سعيد بن عمرو ١٤٠ - ١٤٨
 أخبار متفرقة ١٤٨ ، ١٤٩

* * *

السنة السبعون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ١٥٠

* * *

السنة الحادية والسبعين

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ١٥١
 خبر مسير عبد الملك بن مروان لحرب مصعب بن الزبير ثم قتله ١٥١ - ١٦٢
 ذكر الخبر عن دخول عبد الملك بن مروان الكوفة . . . ١٦٢ - ١٦٥
 ذكر خبر ولاية خالد بن عبد الله على البصرة . . . ١٦٥ ، ١٦٦
 خطبة عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب . . . ١٦٦

* * *

السنة الثانية والسبعون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجلية . . . ١٦٨ — ١٧٣
- خروج أبي فديك الخارجي وغلبته على البحرين . . . ١٧٤
- خبر توجيه عبد الملك الحجاج لقتال ابن الزبير . . . ١٧٤ ، ١٧٥
- أمر عبد الله بن خازم السلمى مع عبد الملك . . . ١٧٦ — ١٧٨
- فصل في ذكر الكتاب من بدء أمر الإسلام . . . ١٧٨ ، ١٧٩
- أسماء من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم . . . ١٧٩
- أسماء من كان يكتب للخلفاء والولاة . . . ١٧٩ — ١٨٦

* * *

السنة الثالثة والسبعون

- ذكر الكائن الذى كان فيها من الأمور الجلية . . . ١٨٧
- خبر مقتل عبد الله بن الزبير . . . ١٨٧ — ١٩٣
- أخبار متفرقة . . . ١٩٣ ، ١٩٤

* * *

السنة الرابعة والسبعون

- ذكر ما كان فيها من الأعمال الجلية . . . ١٩٥
- ذكر الخبر عن حرب المهلب للأزارقة . . . ١٩٥ — ١٩٩
- عزل بكير بن وشاح عن خراسان ولاية أمية بن عبد الله عليها . . . ١٩٩ — ٢٠١
- أخبار متفرقة . . . ٢٠١ ، ٢٠٢

* * *

السنة الخامسة والسبعون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٢٠٢
 ولاية الحجاج على الكوفة وخطبته في أهلها ٢٠٢ - ٢٠٩
 ذكر الخبر عن ثورة التماس بالحجاج بالبصرة ٢١٠ - ٢١١
 نفي المهلب وابن مخنف الأزارقة عن واهرمز ٢١١ - ٢١٥
 ذكر الخبر عن تحرك صالح للخروج وما كان منه في هذه السنة ٢١٥

. . .

السنة السادسة والسبعون

- ذكر الخبر عن خروج صالح بن مسرّح وعن سبب خروجه ٢١٦ - ٢٢٣
 خبر دخول شبيب الكوفة وما كان من أمره مع الحجاج . . . ٢٢٤ - ٢٥٦
 نقش الدّراهم والنانايير بأمر عبد الملك بن مروان . . . ٢٥٦
 أخبار متفرقة ٢٥٦

. . .

السنة السابعة والسبعون

- محاربة شبيب عتاب بن ورقاء وزهرة بن حوية وقتلها ٢٥٧ - ٢٦٧
 ذكر الخبر عن دخول شبيب الكوفة مرة ثانية ٢٦٧ - ٢٧٩
 ذكر الخبر عن مهلك شبيب ٢٧٩ - ٢٨٤
 خروج مطرف بن المنبيرة على الحجاج وعبد الملك . . . ٢٨٤ - ٣٠٠
 ذكر الخبر عن وقوع الخلاف بين الأزارقة ٣٠٠ - ٣٠٨
 ذكر الخبر عن هلاك قطري وأصحابه ٣٠٨ - ٣١١

ذكر الخبر عن مقتل أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد . ٣١١ - ٣١٧

أخبار متفرقة ٣١٧ ، ٣١٨

. . .

السنة الثامنة والسبعون

ذكر الخبر عن الكائن في هذه السنة من الأحداث الجلية . ٣١٧

ذكر الخبر عن العمال الذين ولاهم الحجاج خراسان وسجستان

وذكر السبب في توليته مَنْ ولاه ذلك وشيأ منه . ٣١٧ - ٣٢١

أخبار متفرقة ٣٢١

. . .

السنة التاسعة والسبعون

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجلية ٣٢٢

ذكر الخبر عن غزو عبيد الله بن أبي بكره وتبيل . ٣٢٢ - ٣٢٤

أخبار متفرقة ٣٢٤

. . .

السنة الثمانون

ذكر الأحداث الجلية التي كانت في هذه السنة ٣٢٥

ذكر خبر غزو المهلب ما وراء النهر ٣٢٥ ، ٣٢٦

تسير الجنود مع ابن الأشعث إلى تبيل ٣٢٦ - ٣٢٩

أخبار متفرقة ٣٢٩ ، ٣٣٠

. . .

السنة الحادية والثمانون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٣٣٠
- ذكر الخبر عن مقتل بختيار بن ورقاء بخراسان . . . ٣٣٠ — ٣٣٤
- ذكر الخبر عن خلاف ابن الأشعث على الحجاج . . . ٣٣٤ — ٣٤١
- أخبار متفرقة ٣٤١

. . .

السنة الثانية والثمانون

- ذكر الخبر عن الكائن فيها من الأحداث ٣٤٢
- ذكر خبر الحرب بين الحجاج وابن الأشعث بالزاوية . . . ٣٤٢ — ٣٤٥
- وقعة دير الحمام بين الحجاج وابن الأشعث ٣٤٦ — ٣٥٠
- ذكر الخبر عن وفاة المغيرة بن المهلب ٣٥٠ — ٣٥٢
- ذكر الخبر عن سبب انصراف المهلب عن كِسْر ٣٥٢ ، ٣٥٣
- ذكر خبر وفاة المهلب بن أبي صفرة ٣٥٤ ، ٣٥٥
- أخبار متفرقة ٣٥٥ ، ٣٥٦

. . .

السنة الثالثة والثمانون

- ذكر الأحداث التي كانت فيها ٣٥٧
- خبر هزيمة ابن الأشعث بدبير الحمام ٣٥٧ — ٣٦٥
- هزيمة ابن الأشعث وأصحابه في وقعة مسكن ٣٦٦ — ٣٨٣
- ذكر خبر بناء مدينة واسط ٣٨٣ ، ٣٨٤
- أخبار متفرقة ٣٨٤

السنة الرابعة والثمانون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٣٨٥
 خبر قتل الحجاج أيوب بن القيرية ٣٨٥ ، ٣٨٦
 خبر فتح قلعة نيزك ببادغيس ٣٨٦ - ٣٨٨
 أخبار متفرقة ٣٨٨

• • •

السنة الخامسة والثمانون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٣٨٩
 خبر هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ٣٨٩ - ٣٩٣
 عزل يزيد بن المهلب عن خراسان ٣٩٣ - ٣٩٧
 غزو المفضل ببادغيس وآخرين ٣٩٧ ، ٣٩٨
 خبر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم بالترمذ ٣٩٨ - ٤١٢
 عزم عبد الملك بن مروان على خلع أخيه عبد العزيز ٤١٢ ، ٤١٣
 خبر موت عبد العزيز بن مروان ٤١٣ - ٤١٦
 بيعة عبد الملك لابنيه : الوليد ثم سليمان ٤١٦ ، ٤١٧
 أخبار متفرقة ٤١٧

• • •

السنة السادسة والثمانون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤١٨
 خبر وفاة عبد الملك بن مروان ٤١٨
 ذكر الخبر عن مبلغ سنة يوم توفي ٤١٩

٤١٩	ذكر نسبه وكنيته
٤٢٢ — ٤١٩	ذكر أولاده وأزواجه
٤٢٣	خلافة الوليد بن عبد الملك
٤٢٤	ولاية قتيبة بن مسلم على خراسان من قبيل الحجاج
٤٢٦ — ٤٢٤	ذكر ما كان من أمر قتيبة بخراسان في هذه السنة
٤٢٦	أخبار متفرقة

* * *

السنة السابعة والثمانون

٤٢٧	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٤٢٨ ، ٤٢٧	خبر إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة
٤٢٩ ، ٤٢٨	خبر صلح قتيبة ونيزك
٤٢٩	خبر غزو مسلمة بن عبد الملك أرض الروم
٤٣٣ — ٤٢٩	خبر غزو قتيبة بيسكند
٤٣٣	أخبار متفرقة

* * *

السنة الثامنة والثمانون

٤٣٤	ذكر ما كان فيها من الأحداث
٤٣٤	خبر فتح حصن طوالة من بلاد الروم
٤٣٦ ، ٤٣٥	ذكر عمارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
٤٣٧ ، ٤٣٦	ذكر غزو قتيبة نوميشت وراميشنه
٤٣٧	ذكر ما عمل الوليد بن المعروف
٤٣٨ ، ٤٣٧	أخبار متفرقة

* * *

السنة التاسعة والثمانين

- ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها . . . ٤٣٩
 خبر غزو مسلمة أرض الروم . . . ٤٣٩
 خبر غزو قتيبة بخارى . . . ٤٣٩ ، ٤٤٠
 خبر ولاية خالد القسري على مكة . . . ٤٤٠
 أخبار متفرقة . . . ٤٤١

• • •

السنة التسعون

- ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها . . . ٤٤٢
 خبر فتح بخارى . . . ٤٤٢ — ٤٤٤
 خبر صالح قتيبة مع السفد . . . ٤٤٥
 غدر نيزك . . . ٤٤٥ — ٤٤٧
 خبر فتح الطالقان . . . ٤٤٧
 هرب يزيد بن المهلب وإخوته من سجن الحجاج . . . ٤٤٨ — ٤٥٣

• • •

السنة الحادية والتسعون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث . . . ٤٥٤
 تمتع خبر قتيبة مع نيزك . . . ٤٥٤ — ٤٦١
 خبر ولاية قتيبة شومان وكيس ونسف . . . ٤٦١ — ٤٦٤
 ولاية خالد بن عبد الله القسري على مكة . . . ٤٦٤ ، ٤٦٥
 أخبار متفرقة . . . ٤٦٥ — ٤٦٧

• • •

السنة الثانية والتسعون

- ذكر الأحداث التي كانت فيها ٤٦٨
- فتح الأندلس ٤٦٨

* * *

السنة الثالثة والتسعون

- ذكر الأحداث التي كانت فيها ٤٦٩
- صلح قتيبة ملك خوارزم شاه وفتح خام جرد ٤٦٩ — ٤٧٢
- غزو قتيبة سمرقند ثم فتحها ٤٧٢ — ٤٨١
- فتح طليطلة ٤٨١
- ذكر خبر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز ٤٨١ ، ٤٨٢
- أخبار متفرقة ٤٨٢

* * *

السنة الرابعة والتسعون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤٨٣
- غزو قتيبة الشاش وفرغانة ٤٨٣ — ٤٨٥
- ولاية عثمان بن حيّان المرقى على المدينة ٤٨٥ — ٤٨٧
- ذكر الخبر عن مقتل سعيد بن جبير ٤٨٧ — ٤٩١
- أخبار متفرقة ٤٩١

* * *

السنة الخامسة والتسعون

- ذكر الأحداث التي كانت فيها ٤٩٢
- بقية الخبر عن غزو الشاش ٤٩٢ ، ٤٩٣
- أخبار متفرقة ٤٩٣ ، ٤٩٤

* * *

• السنة السادسة والتسعون

٤٩٥	ذكر الأحداث التي كانت فيها
٤٩٦ ، ٤٩٥	ذكر الخبر عن موت الوليد بن عبد الملك
٤٩٩ — ٤٩٦	ذكر الخبر عن بعض سيره
٥٠٤ — ٥٠٠	فتح قتيبة كاشغر وغزو الصين
٥٠٦ ، ٥٠٥	خلافة سليمان بن عبد الملك
٥٢٢ — ٥٠٦	خبر مقتل قتيبة بن مسلم
٥٢٣ ، ٥٢٢	أخبار متفرقة

• • •

السنة السابعة والتسعون

٥٢٤	ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث
٥٢٩ — ٥٢٤	ولاية يزيد بن المهلب على خراسان
٥٢٩	أخبار متفرقة

• • •

السنة الثامنة والتسعون

٥٣٠	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٥٣١ ، ٥٣٠	خبر محاصرة مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية
٥٣٢ ، ٥٣١	مبايعة سليمان لابنه أيوب ولياً للمهد
٥٤١ — ٥٣٢	غزو جرجان وطبرستان
٥٤٥ — ٥٤١	فتح جرجان
٥٤٥	أخبار متفرقة

• • •

السنة التاسعة والتسعين

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٤٦ .
 ذكر الخبر عن وفاة سليمان بن عبد الملك ٥٤٦ .
 ذكر الخبر عن بعض سيره ٥٤٨ ، ٥٤٩ .
 خلافة عمر بن عبد العزيز ٥٥٠ — ٥٥٣ .
 أخبار متفرقة ٥٥٣ ، ٥٥٤ .

* * *

السنة المائة

- ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها ٥٥٥ .
 خبر خروج شوذب الخارجي ٥٥٥ ، ٥٥٦ .
 خبر القبض على يزيد بن المهلب ٥٥٦ — ٥٥٨ .
 عزل الجراح بن عبد الله عن خراسان ٥٥٨ — ٥٦٠ .
 ذكر الخبر عن سبب تولية عمر بن عبد العزيز عبد الرحمن بن
 نعيم وعبد الرحمن بن عبد الله القشيري خراسان ٥٦١ ، ٥٦٢ .
 أول الدعوة ٥٦٢ .
 أخبار متفرقة ٥٦٣ .

* * *

سنة إحدى ومائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٦٤ .
 خبر خروج يزيد بن المهلب من سجته ٥٦٤ ، ٥٦٥ .
 خبر وفاة عمر بن عبد العزيز ٥٦٥ ، ٥٦٦ .
 ذكر بعض سيره ٥٦٦ — ٥٧٠ .
 زيادة في سيرة عمر بن عبد العزيز ٥٧٠ — ٥٧٣ .

- خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان ٥٧٤ ، ٥٧٥
 مقتل شاذب الخارجي ٥٧٥ - ٥٧٨
 خبر خلع يزيد بن المهلب يزيد بن عبد الملك ٥٧٨ - ٥٨٩
 أخبار متفرقة ٥٨٩

• • •

سنة التتين ومائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٩٠
 ذكر الخبر عن مقتل يزيد بن المهلب ٥٩٠ - ٦٠٤
 خبر ولاية مسلمة على العراق وخراسان ٦٠٤ ، ٦٠٥
 خبر استعمال مسلمة سعيد خدينة على خراسان ٦٠٥ - ٦٠٧
 ذكر الخبر عن سبب عزل سعيد شعبة وسبب هذه الواقعة
 وكيف كانت ٦٠٧ - ٦١٢
 ذكر الخبر عن غزو سعيد خدينة السغد ٦١٢ - ٦١٥
 عزل مسلمة عن العراق وخراسان ٦١٥ ، ٦١٦
 بدء ظهور الدعوة ٦١٦ ، ٦١٧
 ذكر خبر قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية ٦١٧
 أخبار متفرقة ٦١٧ - ٦١٨

• • •

سنة ثلاث ومائة

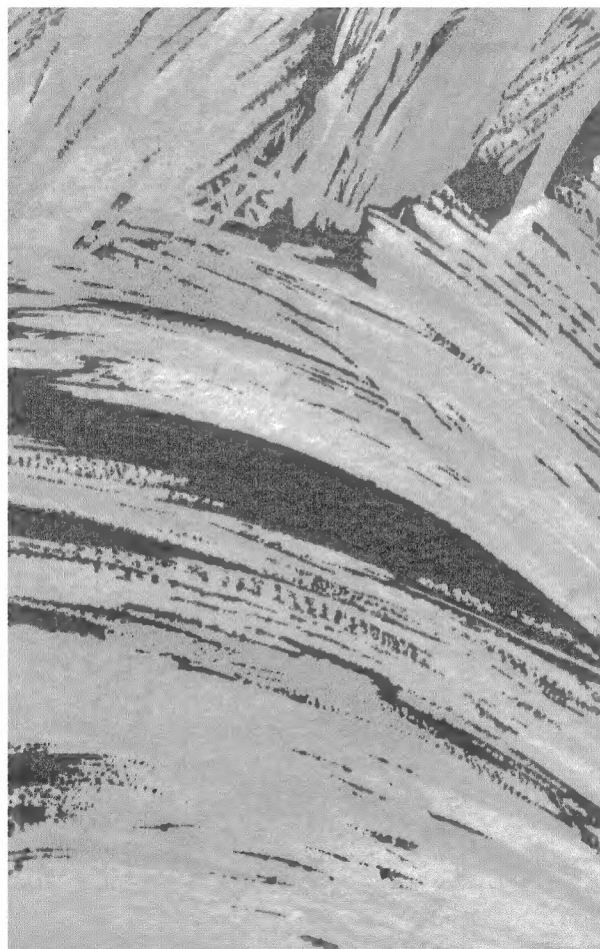
- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٦١٩
 عزل سعيد خدينة عن خراسان ٦١٩
 أخبار متفرقة ٦١٩ ، ٦٢٠
 استعمال ابن هبيرة سعيد بن عمر الحرشي على خراسان ٦٢٠ ، ٦٢١
 خبر ارتحال أهل السغد عن بلادهم إلى فرغانة ٦٢١ - ٦٢٢

١٩٩٣/١٠٠٢٩	رقم الإنتاج
ISBN 977-02-4290-X	الترقيم الدولي

١/٩٣/١٠٣
 طبع بمطبع دار المعارف (ج.م.ع.)







Bibliotheca Alexandrina



0267345